

الإيمانُ بالجنِّ بينَ الحقيقةِ والتَّهْوِيلِ

جمع وإعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

٢٠١٠ م - ١٤٣٢ هـ

((ماليزيا))

((بهانج - دار المعمور))

((حقوق الطبع لكل مسلم))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الإيمان بالغيب جزء لا يتجزأ من عقيدة المؤمن، قال تعالى: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) } [البقرة: ١ - ٣]

ومن ذلك الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالجن، والإيمان بيوم القيامة، والإيمان بالحساب والجنة والنار...

"إنَّ الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس - أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس - وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير."¹

"لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة. ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان - كجماعة الماديين في كل زمان - يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقري.. إلى عالم البهيمة، الذي لا وجود فيه لغير المحسوس! ويسمون هذا «تقدمية»! وهو النكسة التي وقى الله المؤمنين إياها. فجعل صفتهم الميزة هي صفة: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»... والحمد لله على نعمائه والنكسة للمتكسرين والمرتكسين"²

¹ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٢٣١)

² - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١٥٤٨)

" وَحَصَّ بِالذِّكْرِ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْإِيمَانِ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ أَيْ مَا غَابَ عَنِ الْحِسِّ هُوَ الْأَصْلُ فِي اعْتِقَادِ إِمْكَانِ مَا تُخْبِرُ بِهِ الرُّسُلُ عَنْ وُجُودِ اللَّهِ وَالْعَالَمِ الْعُلُويِّ، فَإِذَا آمَنَ بِهِ الْمَرْءُ تَصَدَّى لِسَمَاعِ دَعْوَةِ الرُّسُولِ وَلِلنَّظَرِ فِيهَا يُبْلَغُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَهْلٌ عَلَيْهِ إِذْرَاكُ الدَّلِيلِ، وَأَمَّا مَنْ يَعْتَقِدُ أَنْ لَيْسَ وَرَاءَ عَالَمِ الْمَادِّيَّاتِ عَالَمٌ آخَرُ وَهُوَ مَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ فَقَدْ رَاضَ نَفْسَهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِوُجُودِ اللَّهِ وَعَالَمِ الْآخِرَةِ كَمَا كَانَ حَالُ الْمَادِّيِّينَ وَهُمْ الْمُسَمَّوْنَ بِالذَّهْرِيِّينَ الَّذِينَ قَالُوا: مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ [الجاثية: ٢٤] وَقَرِيبٌ مِنْ اعْتِقَادِهِمْ اعْتِقَادُ الْمُشْرِكِينَ وَلِذَلِكَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ الْمُجَسَّمَةَ وَمُعْظَمُ الْعَرَبِ كَانُوا يُثَبِّتُونَ مِنَ الْغَيْبِ وُجُودَ الْخَالِقِ وَبَعْضُهُمْ يُثَبِّتُ الْمَلَائِكَةَ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِسِوَى ذَلِكَ." ٣

" إن الإيمان بالغيب عندئذ يكون هو الثمرة الطبيعية لإزالة الحجب الساترة، واتصال الروح بالغيب والاطمئنان إليه، ومع التقوى والإيمان بالغيب عبادة الله في الصورة التي اختارها، وجعلها صلة بين العبد والرب. ثم السخاء بجزء من الرزق اعترافا بجميل العطاء، وشعورا بالإحياء. ثم سعة الضمير لموكب الإيمان العريق، والشعور بآصرة القرى لكل مؤمن ولكل نبي ولكل رسالة. ثم اليقين بالآخرة بلا تردد ولا تأرجح في هذا اليقين.. وهذه كانت صورة الجماعة المسلمة التي قامت في المدينة يوم ذاك، مؤلفة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. وكانت هذه الجماعة بهذه الصفات شيئا عظيما. شيئا عظيما حقا بتمثل هذه الحقيقة الإيمانية فيها. ومن ثم صنع الله بهذه الجماعة أشياء عظيمة في الأرض، وفي حياة البشر جميعا .." ٤

ولا يقبل من المسلم إيمان ما لم يؤمن بهذه الغيبات التي ذكرت في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة. وأهل السنّة والجماعة يؤمنون بكل ما ورد به الوحي، ومن ذلك الإيمان بالجن والشياطين.

٣ - التحرير والتنوير (١/ ٢٣٠) والتحرير والتنوير - مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (١/ ٢٢٧)

٤ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٢٣٣)

وقد اضطربت عقائدُ الناس الذين ابتعدوا عن الوحي في الإيمان بالجن ما بين مؤمن بهم، وما بين منكر لهم، وفي عصرنا هذا كثرت الدعوات التي يزعم أصحابها أنهم يتبعون الحقائق العلمية، والتي تنكر وجود هذه المغيبات عنا لأنها لا تُرى بوسائل الحس والمشاهدة، ونسي هؤلاء أن كثيرا مما يؤمنون به لا يُرى بوسائل الحس والمشاهدة، ولكنه الاستكبار وإنكار حقائق الدين الحق.

وانتشرت بين المسلمين كثيرٌ من الأوهام والخرافات حول الجن والشياطين، والعلاقة بينهم وبين الإنسان، وكثرت الكهانة والعرافة والسحر والشعوذة والتي تعتمد على الجن.

وقد ألفت كتبٌ قليلة في هذا الموضوع، وأهمها كتاب ((آكام المرجان في أحكام الجن)) للشبلي، وهو كتاب جامع، وفيه كثير من الفوائد، ولكنه - رحمه الله - قد ملأه بالأحاديث والروايات الواهية والمنكرة. ومع هذا فقد أفدت منه كثيرا ...
وقد تكلم عنهم طويلا وعن علاقتهم بالإنس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في مجموع الفتاوى....

ومن الكتب المعاصرة كتاب ((عالم الجن والشياطين)) للدكتور عمر سليمان الأشقر حفظه الله، وهو كتاب قيّم ونافع... ولكنه مختصر، وفاته أشياء كثيرة، وقد أفدت منه كثيرا.

وفي كتاب ((الجامع الصحيح للسنن والمسائيد)) الجزء الأول بحث عن الإيمان بالجن، وهو بحث قيّم، ولكن الأحاديث فيه متداخلة... وقد أفدت منه ..
وفي كتابي هذا جمعتُ ما تناثر في هذا الموضوع الجلل، من مصادره الأساسية.
وقد اشتمل كتابنا هذا على عشرين مبحثا وهي:

المبحث الأول-وجوب الإيمان بالغيب

المبحث الثاني-وجوب الإيمان بالجن

المبحث الثالث-أنواع الجن وطوائفهم، وفيه تفصيل عن الشياطين

المبحث الرابع-قدرات الجن

المبحث الخامس-مساكنُ الجن
المبحث السادس-طعامُ الجنّ
المبحث السابع-الجن كالإنس يموتون
المبحث الثامن-الجنُّ مكلفون كالإنس
المبحث التاسع-العلاقة بين الجن والإنس
المبحث العاشر-الصراع بين الحق والباطل والإنسان والشیطان
المبحث الحادي عشر-أهداف الشیطان في إغواء الإنسان، وفيه تفصیل..
المبحث الثاني عشر-أساليب الشیطان في إضلال الإنسان، وهي كثيرة جدا..
المبحث الثالث عشر-كيف يصلُ الشیطان بوسوسته إلى نفس الإنسان، وفيه كلام أيضا
عن تمثل الشیاطین وعن رجال الغیب، وحكم الاستعانة بالجن في الطب وغيره، وتحضير
الأرواح، والتنويم المغناطيسي...
المبحث الرابع عشر-كيف نقی أنفسنا من كید الشیطان ؟ وفيه أمور كثيرة ...
المبحث الخامس عشر-الجن وعلم الغیب، وفيه تفصیل عن العرافة
والكهانة، والتنجيم، والأطباق الطائرة.
المبحث السادس عشر-النهي عن التشبه بالجن
المبحث السابع عشر-تلبس الجن ببدن الإنسان، وذكرت الأدلة على وقوع
ذلك، وأسباب الصرع، وحكم قتل حیات البیوت ...
المبحث الثامن عشر-علاجُ المسِّ والصرع بالوسائل الشرعية ..
المبحث التاسع عشر-حكم التزاوج بين الإنس والجن ..
المبحث العشرون-الحكمة من خلق الشیطان ...
هذا وقد ذكرت الآيات القرآنية، وقمت بتفسيرها بشكل مختصر اعتمادا على كتب
التفسير المعتبرة. وقد حاولت استقصاء الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وقمت
بتحريجها من مظانها، والحكم عليها صحة وضعفا إذا لم تكن في الصحيحين أو
أحدهما، وقمت بشرح الغريب، والتعليق على بعضها حسب مقتضى الحال.

وكلُّ قولٍ في هذا الكتاب معزوٌّ لمصدره الأساسي، وهو مبين في هوامش هذا الكتاب، حتى لا يقع خطأ في النقل أو العزو كما وقع عند الكثيرين اليوم..

قال تعالى على لسان مؤمني الجن: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٣١]

أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناقله وناشره والذال عليه في الدارين.

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في فجر يوم الثلاثاء في ٢٢ محرم ١٤٣٢ هـ الموافق ل ٢٨/١٢/٢٠١٠ م



المبحث الأول

وجوب الإيمان بالغيب

إن الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس - أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس - وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير. كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته ويتلقى أصداؤه وإيماءاته في أطوائه وأعماقه، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود. وأن وراء الكون ظاهره وخفيه، حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها، واستمد من وجودها وجوده.. حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول.

وعندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة المحال عن التبدد والتمزق والانشغال بما لم تخلق له، وما لم توهب القدرة للإحاطة به، وما لا يجدي شيئاً أن تنفق فيه. إن الطاقة الفكرية التي وهبها الإنسان، وهبها ليقوم بالخلافة في هذه الأرض، فهي موكلة بهذه الحياة الواقعة القريبة، تنظر فيها، وتعمقها وتتقصاها، وتعمل وتنتج، وتنمي هذه الحياة وتحملها، على أن يكون لها سند من تلك الطاقة الروحية التي تتصل مباشرة بالوجود كله وخالق الوجود، وعلى أن تدع للمجهول حصته في الغيب الذي لا تحيط به العقول. فأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بحدود هذه الأرض والحياة عليها، دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة، وترك حصة للغيب لا ترتادها العقول.. فأما هذه المحاولة فهي محاولة فاشلة أولاً، ومحاولة عابثة أخيراً. فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال. وعابثة لأنها تبدد طاقة العقل التي لم تخلق لمثل هذا المجال.. ومتى سلم

العقل البشري بالبديهية العقلية الأولى، وهي أن الحدود لا يدرك المطلق، لزمه - احتراماً لمنطقه ذاته - أن يسلم بأن إدراكه للمطلق مستحيل. ونعدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون وأن عليه أن يكل الغيب إلى طاقة أخرى غير طاقة العقل وأن يتلقى العلم في شأنه من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن، والغيب والشهادة.. وهذا الاحترام لمنطق العقل في هذا الشأن هو الذي يتحلى به المؤمنون، وهو الصفة الأولى من صفات المتقين.

لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة. ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان، كجماعة الماديين في كل زمان، يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقري.. إلى عالم البهيمة الذي لا وجود فيه لغير المحسوس! ويسمون هذا «تقدمية» وهو النكسة التي وفي الله المؤمنين إياها، فجعل صفتهم المميزة، صفة: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» والحمد لله على نعمائه، والنكسة للمتكسبين والمرتكسين! «وَيُؤَيِّمُونَ الصَّلَاةَ».. فيتجهون بالعبادة لله وحده، ويرتفعون بهذا عن عبادة العباد، وعبادة الأشياء. يتجهون إلى القوة المطلقة بغير حدود، ويحنون جباههم لله لا للعبيد والقلب الذي يسجد لله حقاً، ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجات الأرض، ويحس أنه أقوى من المخاليق لأنه موصول بخالق المخاليق.. وهذا كله مصدر قوة للضمير، كما أنه مصدر تخرج وتقوى، وعامل هام من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك.^٥

" نقف لنقول كلمة عن «الغيب» و«مفاته» واختصاص الله - سبحانه - «بالعلم» بها.. ذلك أن حقيقة الغيب من «مقومات التصور الإسلامي» الأساسية لأنها من مقومات العقيدة الإسلامية الأساسية ومن قواعد «الإيمان» الرئيسية.. وذلك أن كلمات «الغيب» و«الغيبية» تلاك في هذه الأيام كثيراً - بعد ظهور المذهب المادي - وتوضع في مقابل «العلم» و«العلمية».. والقرآن الكريم يقرر أن هناك «غيباً» لا يعلم «مفاته»

^٥ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٢٣١) وانظر (ص: ٢٣٣)

إلا الله. ويقرر أن ما أوتيهِ الإنسان من العلم قليل.. وهذا القليل إنما آتاه الله له بقدر ما يعلم هو - سبحانه - من طاقته ومن حاجته. وأن الناس لا يعلمون - فيما وراء العلم الذي أعطاهم الله إياه - إلا ظنا، وأن الظن لا يغني من الحق شيئا.. كما يقرر - سبحانه - أن الله قد خلق هذا الكون، وجعل له سننا لا تتبدل وأنه علم الإنسان أن يبحث عن هذه السنن ويدرك بعضها ويتعامل معها - في حدود طاقته وحاجته - وأنه سيكشف له من هذه السنن في الأنفس والآفاق ما يزيده يقينا وتأكدا أن الذي جاءه من عند ربه هو الحق.. دون أن يخل هذا الكشف عن سنن الله التي لا تبدل لها، بحقيقة «الغيب» المجهول للإنسان، والذي سيظل كذلك مجهولا، ولا بحقيقة طلاقة مشيئة الله وحدوث كل شيء بقدر غيبي خاص من الله، ينشئ هذا الحدث ويبرزه للوجود.. في تناسق تام في العقيدة الإسلامية، وفي تصور المسلم الناشئ من حقائق العقيدة..

فهذه الحقائق بجملتها - على هذا النحو المتعدد الجوانب المتناسق المتكامل - تحتاج منا هنا - في الظلال - إلى كلمة نحاول بقدر الإمكان أن تكون مجملة، وألا تخرج عن حدود المنهج الذي اتبعناه في الظلال أيضا^٦.

إن الله سبحانه يصف المؤمنين في مواضع كثيرة من القرآن بأنهم الذين يؤمنون بالغيب فيجعل هذه الصفة قاعدة من قواعد الإيمان الأساسية: «الْمَذْكُورَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».. (البقرة: ١ - ٥).

والإيمان بالله - سبحانه - هو إيمان بالغيب. فذات الله - سبحانه - غيب بالقياس إلى البشر فإذا آمنوا به فإنما يؤمنون بغيب، يجدون آثار فعله، ولا يدركون ذاته، ولا كيفيات أفعاله.

^٦ - يراجع بتوسع كتاب: «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» بقسميه. «دار الشروق».

والإيمان بالآخرة كذلك، هو إيمان بالغيب. فالساعة بالقياس إلى البشر غيب، وما يكون فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب كله غيب يؤمن به المؤمن، تصديقاً لخبر الله سبحانه.

والغيب الذي يتحقق الإيمان بالتصديق به يشمل حقائق أخرى يذكرها القرآن الكريم في وصف واقع المؤمنين وعقيدتهم الشاملة: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ. كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».. (البقرة: ٢٨٥).

ف نجد في هذا النص أن رسول الله - ﷺ - والمؤمنين كذلك، كل آمن بالله - وهو غيب - وآمن بما أنزل الله على رسوله - وما أنزل الله على رسوله فيه جانب من اطلاعه - ﷺ - على جانب من الغيب بالقدر الذي قدره الله - سبحانه - كما قال في الآية الأخرى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ».. (الجن: ٢٦ - ٢٧).

وآمن بالملائكة - وهي غيب - لا يعرف عنه البشر إلا ما يخبرهم به الله، على قدر طاقتهم وحاجتهم^٧.

ويبقى من الغيب الذي لذا لا يقوم الإيمان إلا بالتصديق به: قدر الله - وهو غيب لا يعلمه الإنسان حتى يقع - كما جاء في حديث الإيمان: «يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»... (أخرجه الشيخان)^٨.

على أن الغيب في هذا الوجود يحيط بالإنسان من كل جانب.. غيب في الماضي وغيب في الحاضر، وغيب في المستقبل.. غيب في نفسه وفي كيانه، وغيب في الكون كله من حوله.. غيب في نشأة هذا الكون وخط سيره، وغيب في طبيعته وحركته.. غيب في نشأة الحياة وخط سيرها، وغيب في طبيعتها وحركتها.. غيب فيما يجهله الإنسان، وغيب فيما

^٧ - يراجع ما جاء عن الملائكة في هذا الجزء ص ١٠٣٩ - ١٠٤٢

^٨ - أخرجه الجماعة المسند الجامع [١٣ / ٩٦٤] (١٠٤٤١)

يعرفه كذلك! ويسبح الإنسان في بحر من المجهول...حتى ليجهل اللحظة ما يجري في كيانه هو ذاته فضلا على ما يجري حوله في كيان الكون كله وفضلا عما يجري بعد اللحظة الحاضرة له وللكون كله من حوله: ولكل ذرة، وكل كهرب من ذرة وكل خلية وكل جزئي من خلية! إنه الغيب...إنه المجهول...والعقل البشري - تلك الذبالة القريبة المدى - إنما يسبح في بحر المجهول.

فلا يقف إلا على جزر طافية هنا وهناك يتخذ منها معالم في الخضم. ولولا عون الله له، وتسخير هذا الكون، وتعليمه هو بعض نواميسه، ما استطاع شيئا.. ولكنه لا يشكر.. «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ».. بل إنه في هذه الأيام ليتبجح بما كشف الله له من السنن، وبما آتاه من العلم القليل.. يتبجح فيزعم أحيانا أن «الإنسان يقوم وحده»^٩ ولم يعد في حاجة إلى إله يعينه! ويتبجح أحيانا فيزعم أن «العلم» يقابل «الغيب» وأن «العلمية» في التفكير والتنظيم تقابل «الغيبية» وأنه لا لقاء بين العلم والغيب كما أنه لا لقاء بين العقلية العلمية والعقلية الغيبية! فلنلق نظرة على وقفة «العلم» أمام «الغيب».. في بحوث وأقوال «العلماء» من بني البشر أنفسهم - بعد أن نقف أمام كلمة الفصل التي قالها العليم الخبير عن علم الإنسان القليل - «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»... (الإسراء: ٨٥) «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى».. (النجم: ٢٩) وأن الغيب كله لله: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»... (الأنعام: ٥٩) وأن الذي يعلم الغيب هو الذي يرى: «أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى؟».. (النجم: ٣٥) وهي ناطقة بذاتها عن مدلولاتها..

فلنلق نظرة على وقفة «العلم» أمام «الغيب» في بحوث وأقوال العلماء من بني الإنسان لا لنصدق بها كلمة الفصل من الله سبحانه - فحاشا للمؤمن أن يصدق قول الله بقول البشر - ولكننا نقف هذه الوقفة لنحاكم الذين يلوكون كلمات العلم والغيب، والعلمية والغيبية، إلى ما يؤمنون هم به من قول البشر! ليعلموا أن عليهم هم أن يحاولوا «الثقافة» و«المعرفة» ليعيشوا في زمانهم ولا يكونوا متخلفين عن عقليته ومقررات تجاربه!

^٩ - عنوان كتاب للملحد جوليان هاكسلي

وليستيقنوا أن «الغيب» هو الحقيقة «العلمية» الوحيدة المستيقنة من وراء كل التجارب والبحوث والعلم الإنساني ذاته! وأن «العلمية» في ضوء التجارب والنتائج الأخيرة مرادفة تماما «للغيبية».. أما الذي يقابل الغيبية حقا فهو «الجهلية»!!! الجهلية التي تعيش في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر - ربما - ولكنها لا تعيش في القرن العشرين!!! عالم معاصر - من أمريكا - يقول عن «الحقائق» التي يصل إليها «العلم» بجمليتها:

«إن العلوم حقائق مختبرة ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الإنسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته. ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود. فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ. وهي تبدأ بالاحتمالات، وتنتهي بالاحتمالات كذلك.. وليس باليقين.. ونتائج العلوم بذلك تقريبية، وعرضة للأخطاء المحتملة في القياس والمقارنات ونتائجها اجتهدية، وقابلة للتعديل بالإضافة والحذف، وليست نهائية. وإننا لنرى أن العالم عندما يصل إلى قانون أو نظرية يقول: إن هذا هو ما وصلنا إليه حتى الآن، ويترك الباب مفتوحا لما قد يستجد من التعديلات»^{١٠}. وهذه الكلمة تلخص حقيقة جميع النتائج التي وصل إليها العلم، والتي يمكن أن يصل إليها كذلك، فطالما أن «الإنسان» بوسائله المحدودة، بل بوجوده المحدود بالقياس إلى الأزل والأبد هو الذي يحاول الوصول إلى هذه النتائج فإنه من الحتم أن تكون مطبوعة بطابع هذا الإنسان، ولها مثل خصائصه من كونها محدودة المدى وقابلة للخطأ والصواب، والتعديل والتبديل..

على أن الوسيلة التي يصل بها الإنسان إلى أية نتيجة هي التجربة والقياس. فهو يجرب، ثم يعمم النتيجة التي يصل إليها عن طريق القياس والقياس - باعتراف العلم وأهله - وسيلة تؤدي إلى نتيجة ظنية ولا يمكن أبدا أن تكون قطعية ولا نهائية. والوسيلة الأخرى

^{١٠} - من مقال: «درس من شجرة الورد» لما ريت ستانلي كويندن، العالم الطبيعي الفيلسوف.. عن كتاب: «اللّه يتجلى في عصر العلم» ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان.

- وهي التجربة والاستقصاء. بمعنى تعميم التجربة على كل ما هو من جنس ما وقعت عليه التجارب في جميع الأزمنة وفي جميع الظروف - وسيلة غير مهيأة للإنسان. وهي إحدى الوسائل الموصلة إلى نتائج قطعية. ولا سبيل إلى نتيجة قطعية وحقيقة يقينية إلا عن طريق هدى الله الذي يبينه للناس. ومن ثم يبقى علم الإنسان فيما وراء ما قرره الله له، علما ظنيا لا يصل إلى مرتبة اليقين بحال! على أن «الغيب» ضارب حول الإنسان فيما وراء ما يصل إليه علمه الظني ذاك...

هذا الكون من حوله.. إنه ما يزال يضرب في الفروض والنظريات حول مصدره ونشأته وطبيعته وحول حركته، وحول «الزمان» ما هو وحول «المكان» وارتباطه بالزمان وارتباط ما يجري في الكون بالزمان والمكان.

والحياة. ومصدرها. ونشأتها. وطبيعتها. وخط سيرها. والمؤثرات فيها. وارتباطها بهذا الوجود «المادي»! إن كان هناك في الكون مادة على الإطلاق ذات طبيعة غير طبيعة «الفكر» وغير طبيعة الطاقة على العموم! «والإنسان» ما هو؟ ما الذي يميزه من المادة؟ وما الذي يميزه عن بقية الأحياء؟ وكيف جاء إلى هذه الأرض وكيف يتصرف؟ وما «العقل» الذي يتميز به ويتصرف؟ وما مصيره بعد الموت والانحلال؟..

بل هذا الكيان الإنساني ذاته، ما الذي يجري في داخله من تحليل وتركيب في كل لحظة؟ وكيف يجري؟^{١١}..

إنما كلها ميادين للغيب، يقف العلم على حافاتها، ولا يكاد يقتحمها، حتى على سبيل الظن والترجيح.

وإن هي إلا فروض واحتمالات! ولندع ما لا يشغل العلم به نفسه - إلا قليلا في هذا القرن - من حقيقة الألوهية، وحقيقة العوالم الأخرى من ملائكة وجن وخلق لا يعلمه إلا الله. ومن حقيقة الموت، وحقيقة الآخرة. وحقيقة الحساب والجزاء..

لندع هذا كله لحظة ففي «الغيب» القريب، الكفاية، ومن هذا الغيب يقف العلم وقفة التسليم، الذي لا يخرج عنه إلا من يؤثرون المرء على «العلم» والتبجح على الإخلاص!

^{١١} - «الإنسان ذلك المجهول» لأليكسيس كاريل.

ونضرب بعض الأمثال..

١ - في قاعدة بناء الكون وسلوكه:

الذرة - فيما يقول العلم الحديث - قاعدة بناء الكون. وليست هي أصغر وحدة في بناء هذا العالم. فهي مؤلفة من بروتونات (طاقة كهربية موجبة) والكترونات (طاقة كهربية سالبة) ونيوترونات (طاقة محايدة مكونة من طاقة كهربية موجبة وطاقة كهربية سالبة متعادلتين ساكنتين) وحين تحطم الذرة تتحرر الكهارب (الإلكترونات) ولكنها لا تسلك في المعمل سلوكا حتميا موحدا. فهي تسلك مرة كأنها أمواج ضوئية ومرة كأنها قذائف. ولا يمكن تحديد سلوكها المقبل مقدما. وإنما هي تخضع لقانون آخر - غير الحتمية - هو قانون الاحتمالات. وكذلك تسلك الذرة نفسها، والمجموعة المحدودة من الذرات (في صورة جزئيات) هذا السلوك.

يقول سير جيمس جينر - الإنجليزي - الأستاذ في الطبيعيات والرياضيات:

«لقد كان العلم القديم يقرر تقرير الوثائق، أن الطبيعة لا تستطيع أن تسلك إلا طريقا واحدا: وهو الطريق الذي رسم من قبل، لتسير فيه من بداية الزمن إلى نهايته، وفي تسلسل مستمر بين علة ومعلول، وألا مناص من أن الحالة (أ) تتبعها الحالة (ب) أما العلم الحديث فكل ما يستطيع أن يقوله حتى الآن هو: أن الحالة (أ) يحتمل أن تتبعها (ب) أو (ج) أو (د) أو غيرها من الحالات الأخرى التي يخطئها الحصر. نعم إن في استطاعته أن يقول: إن حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالا من حدوث الحالة (ج) وإن الحالة (ج) أكثر احتمالا من الحالة (د).. وهكذا. بل إن في مقدوره أن يحدد درجة احتمال كل حالة من الحالات (ب) و(ج) و(د) بعضها بالنسبة إلى بعض. ولكنه لا يستطيع أن يتنبأ عن يقين: أي الحالات تتبع الأخرى.

لأنه يتحدث دائما عما يحتمل. أما ما يجب أن يحدث فأمره موكول إلى الأقدار - مهما تكن حقيقة هذه الأقدار!..».

فماذا يكون «الغيب» وماذا يكون قدر الله المغيب عن علم الإنسان، إن لم يكن هو هذا الذي تنتهي إليه تجارب العلم الإنساني، وتقف على عتباته في صلب الكون وذراته؟

ويضرب مثلاً لذلك إشعاع ذرات الراديوم، وتحولها إلى رصاص وهليوم...وهي خاضعة تماماً لقدر مجهول، وغيب مستور، يقف دونه علم الإنسان:

«ولنضرب لذلك مثلاً مادياً يزيد وضوحاً: من المعروف أن ذرات الراديوم وغيره من المواد ذات النشاط الإشعاعي، تتفكك بمجرد مرور الزمن عليها، وتختلف وراءها ذرات من الرصاص والهليوم. ولهذا فإن كتلة من الراديوم ينقص حجمها باستمرار، ويحل مكانها رصاص وهليوم. والقانون العام الذي يتحكم في معدل التناقص غريب غاية الغرابة. ذلك أن كمية من الراديوم تنقص بنفس الطريقة التي ينقص بها عدد من السكان، إذا لم تجد عليهم مواليد، وكانت نسبة تعرض كل منهم للوفاة واحدة بغض النظر عن السن أو أنها تنقص كما ينقص عدد أفراد كتيبة من الجند معرضين لنيران ترسل عليهم اعتباراً، ومن غير أن يكون أحدهم مقصوداً لذاته. ومجمل القول إنه ليس لكبر السن أثر ما في ذرة الراديوم الواحدة. فإنها لا تموت لأنها قد استوفت حظها من الحياة، بل لأن المنية قد أصابتها خبط عشواء»^{١٢}.

«ولنوضح هذه الحقيقة بمثل مادي فنقول: إذا فرض أن بحجرتنا ألفين من ذرات الراديوم. فإن العلم لا يستطيع أن يقول: كم منها يبقى حياً بعد عام. بل كل ما يستطيعه هو أن يذكر فقط الاحتمالات التي ترجح بقاء ٢٠٠٠ أو ١٩٩٩ أو ١٩٩٨، وهكذا. وأكثر الأمور احتمالاً في الواقع هو أن يكون العدد ١٩٩٩، أي أن أرجح الاحتمالات هو أن ذرة واحدة لا أكثر من الألفي ذرة، هي التي تتحلل في العام التالي.

«ولسنا ندري بأي طريقة تختار تلك الذرة المعينة من بين هذه الألفي ذرة. وقد نشعر في بادئ الأمر. بميل إلى افتراض أن هذه الذرة ستكون هي التي تتعرض للاصطدام أكثر من غيرها، أو التي تقع في أشد الأمكنة حرارة، أو التي يصادفها غير هذا أو ذاك من

^{١٢} - هكذا يقول الرجل... ونحن نأخذ من قوله النتيجة العلمية التي وصلت إليها التجربة ووصف الظاهرة الطبيعية. أما تعبيره بأنها خبط عشواء فلا يهمنا! فنحن نعلم أنها قد استوفت حظها، وأن المنية أصابتها بقدر من الله يعلم هو حكمته. وأنه «لكل أجل كتاب» لا فرق بين ذرة الراديوم وأي شيء وأي حي من الأحياء. والناس هكذا يموتون عند استيفاء الأجل المغيّب عن العيون!

الأسباب في العام التالي. ولكن هذا كله غير صحيح، لأنه إذا كان في استطاعة الصدمات أو الحرارة أن تفكك ذرة واحدة، فإن في استطاعتها أيضا أن تفكك ال ١٩٩٩ ذرة الباقية، ويكون في استطاعتنا أن نعمل بتفكيك الراديوم بمجرد ضغطه أو تسخينه ولكن كل عالم من علماء الطبيعة يقرر أن ذلك مستحيل بل هو يعتقد على الأرجح أن الموت يصيب في كل عام ذرة واحدة من كل ٢٠٠٠ من ذرات الراديوم، ويضطرها إلى أن تتفكك. وهذه هي نظرية «التفكك التلقائي» التي وضعها «رذرفورد» و«سدي» في عام ١٩٠٣.

فكيف إذن يكون القدر الغيبي إن لم يكن هو هذا الذي تتشعب به الذرات على غير اختيار منها ولا من أحد.

وعلى غير علم منها ولا من أحد؟! إن الرجل الذي يقول هذا الكلام، لا يريد أن يثبت به القدر الإلهي المغيب عن الناس. بل إنه يحاول جاهدا أن يهرب من ضغط النتائج التي ينتهي إليها العلم البشري ذاته. ولكن حقيقة الغيب تفرض نفسها عليه فرضا على النحو الذي نراه!

٢ - وكما تفرض حقيقة «الغيب» نفسها على قاعدة بناء الكون وحركته، فهي كذلك تفرض نفسها على قاعدة انبثاق الحياة وحركتها بنفس القوة في النتائج التي ينتهي إليها العلم البشري. يقول عالم الأحياء والنبات «رسل تشارلز إرنست» الأستاذ بجامعة فرانكفورت بألمانيا:

«لقد وضعت نظريات عديدة لكي تفسر نشأة الحياة من عالم الجملادات فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين، أو من الفيروس، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة. وقد يحيل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجملادات. ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلم به هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية، قد باءت بالفشل وخذلان ذريعتين. ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة، يمكن أن

يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدها في الخلايا الحية. وللشخص مطلق الحرية في أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة، فهذا شأنه وحده! ولكنه إذ يفعل ذلك، فإنما يسلم بأمر أشد إعجازا وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله، الذي خلق الأشياء ودبرها.

«إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها. وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق. ولذلك فإنني أؤمن بوجود الله إيمانا راسخا»^{١٣}. والذي يهمنا هنا من هذه الشهادة هو أن سر الحياة ونشأتها غيب من غيب الله، كنشأة الكون وحركته وأن ليس لدى البشر عن ذلك إلا الاحتمالات. وصدق الله العظيم: «ما أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ»...

٣ - ونخطو خطوة واسعة لنصل إلى الإنسان.. إن الدفقة الواحدة من ماء الرجل تحتوي على نحو ستين مليوناً من الحيوانات المنوية.. كلها تدخل في سباق لتلقح بالبويضة في رحم المرأة.. ولا يعلم أحد من الذي يسبق! فهو غيب، أو هو قدر غيبي لا علم للبشر به - بما فيهم الرجل والمرأة صاحبا الدور في هذا الأمر! - ثم يصل السابق من بين ستين مليوناً! يلتحم مع البويضة ليكونا معا خلية واحدة ملقحة هي التي ينتج منها الجنين.

ولما كانت كل كروموسومات البويضة مؤنثة، بينما كروموسومات الحيوان المنوي بعضها مذكر وبعضها مؤنث فإن غلبة عدد كروموسومات الذكـر أو كروموسومات التأنيث في الحيوان المنوي الذي يلتحم بالبويضة، هو الذي يقرر مصير الجنين - ذكراً أو أنثى - وهذا خاضع لقدر الله الغيبي لا علم به ولا دخل للبشر - بما فيهم أبوا الجنين أنفسهما: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ. وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ»... (الرعد: ٨ - ٩) «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

^{١٣} - من مقال: «الخلايا الحية تؤدي رسالتها» في كتاب: «الله يتجلى في عصر العلم».. ونحب أن ننبه أننا إذ نقتطف ما نقتطف إنما نخاطب الماديين «العلميين» بلغتهم.. وليس هذا إقراراً منا بصحة كل ما نستشهد به وسلامة منهجه التفكير والتعبيري في القضية التي نعرضها..

وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِائًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِائًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ»... (الشورى: ٤٩ - ٥٠) «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنِّي تُصْرَفُونَ؟»... (الزمر: ٦).

هذا هو «الغيب» الذي يقف أمامه «العلم» البشري ويواجهه في القرن العشرين.. بينما الذين يعيشون على فئات القرون الماضية يزعمون أن «الغيبية» تنافي «العلمية». وأن المجتمع الذي يريد أن يعيش بعقلية علمية ينبغي له أن يتخلص من العقلية الغيبية! ذلك بينما العلم البشري ذاته.. علم القرن العشرين.. يقول: إن كل ما يصل إليه من النتائج هو «الاحتمالات»! وإن الحقيقة المستيقنة الوحيدة هي أن هنالك «غيبا» لا شك فيه! على أننا قبل أن نغادر هذه الوقفة المحملة أمام حقيقة الغيب، ينبغي أن نقول كلمة عن طبيعة «الغيب» في العقيدة الإسلامية، وفي التصور الإسلامي، وفي العقلية الإسلامية.

إن القرآن الكريم - وهو المصدر الأساسي للعقيدة الإسلامية التي تنشئ التصور الإسلامي والعقلية الإسلامية - يقرر أن هناك عالما للغيب وعالما للشهادة. فليس كل ما يحيط بالإنسان غيبا، وليس كل ما يتعامل معه من قوى الكون مجهولا.. إن هنالك سننا ثابتة لهذا الكون يملك «الإنسان» أن يعرف منها القدر اللازم له، حسب طاقته وحسب حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض. وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها.. وإلى جانب هذه السنن الثابتة - في عمومها - مشيئة الله الطليقة لا تقيد هذه السنن وإن كانت من عملها.

وهناك قدر الله الذي ينفذ هذه السنن في كل مرة تنفذ فيها. فهي ليست آلية بحتة، فالقدر هو المسيطر على كل حركة فيها وإن جرت وفق السنة التي أودعها الله إياها. وهذا القدر الذي ينفذ هذه السنن في كل مرة تنفذ فيها «غيب» لا يعلمه أحد

علم يقين وأقصى ما يصل إليه الناس هو الظنون و«الاحتمالات».. وهذا ما يعترف به العلم البشري أيضا..

وإن ملايين الملايين من العمليات لتتم في كيان الإنسان في اللحظة الواحدة وكلها «غيب» بالقياس إليه، وهي تجري في كيانه! ومثلها ملايين ملايين العمليات التي تتم في الكون من حوله وهو لا يعلمها! وإن الغيب ليحيط بماضيه وماضى الكون. وحاضره وحاضر الكون. ومستقبله ومستقبل الكون.. وذلك مع وجود السنن الثابتة، التي يعرف بعضها، وينتفع بها انتفاعا علميا منظما في النهوض بعبء الخلافة.

وإن «الإنسان» ليحيى إلى هذا العالم على غير رغبة منه ولا علم بموعد قدومه! وإنه ليذهب عن هذا العالم على غير رغبة منه ولا علم بموعد رحيله!.. وكذلك كل شيء حي.. ومهما تعلم ومهما عرف، فإن هذا لن يغير من هذا الواقع شيئا! إن العقلية الإسلامية عقلية «غيبية علمية» لأن «الغيبية» هي «العلمية» بشهادة «العلم» والواقع.. أما التنكر للغيب فهو «الجهلية» التي يتعالم أصحابها وهم بهذه الجهالة! وإن العقلية الإسلامية لتجمع بين الاعتقاد بالغيب المكنون الذي لا يعلم مفاتيحه إلا الله وبين الاعتقاد بالسنن التي لا تتبدل، والتي تمكن معرفة الجوانب اللازمة منها لحياة الإنسان في الأرض، والتعامل معها على قواعد ثابتة.. فلا يفوت المسلم «العلم» البشري في مجاله، ولا يفوته كذلك إدراك الحقيقة الواقعة وهي أن هنالك غيبا لا يطلع الله عليه أحدا، إلا من شاء، بالقدر الذي يشاء..

والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها «الفرد» فيتجاوز مرتبة «الحيوان» الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة «الإنسان» الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدود الذي تدركه الحواس - أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس - وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله، ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود وفي إحساسه بالكون، وما وراء الكون من قدرة وتدير. كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض. فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته

وبصيرته ويتلقى أصداءه وإجاءاته في أطوائه وأعماقه ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود وأن وراء الكون..ظاهره وخافيه..حقيقة أكبر من الكون،هي التي صدر عنها،واستمد من وجودها وجوده..حقيقة الذات الإلهية التي لا تدرکہا الأبصار،ولا تحيط بها العقول.

...«لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة.ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان - كجماعة الماديين في كل زمان - يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقري..إلى عالم البهيمة،الذي لا وجود فيه لغير المحسوس! ويسمون هذا «تقدمية»! وهو النكسة التي وقى الله المؤمنين إياها.فجعل صفتهم المميّزة هي صفة:«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»...والحمد لله على نعمائه والنكسة للمتكسّين والمرتكسين»^{١٤}.

والذين يتحدثون عن «الغيبية» و«العلمية» يتحدثون كذلك عن «الحتمية التاريخية» كأن كل المستقبل مستيقن! و«العلم» في هذا الزمان يقول:إن هناك «احتمالات» وليست هنالك «حتميات»! ولقد كان ماركس من المتنبّعين «بالحتميات»! ولكن أين نبوءات ماركس اليوم؟

لقد تنبأ بحتمية قيام الشيوعية في إنجلترا،نتيجة بلوغها قمة الرقي الصناعي ومن ثم قمة الرأسمالية في جانب والفقر العمالي في جانب آخر..فإذا الشيوعية تقوم في أكثر الشعوب تخلفا صناعيا..في روسيا والصين وما إليها..ولا تقوم قط في البلاد الصناعية الراقية! ولقد تنبأ لينين وبعده ستالين بحتمية الحرب بين العالم الرأسمالي والعالم الشيوعي.وها هو ذا خليفتهما «خروشوف» يحمل راية «التعايش السلمي»! ولا نمضي طويلا مع هذه «الحتميات» النبؤة! فهي لا تستحق جدية المناقشة! إن هنالك حقيقة واحدة مستيقنة هي حقيقة الغيب،وكل ما عداها احتمالات.وإن هنالك حتمية واحدة هي وقوع ما يقضي به الله ويجري به قدره.وقدر الله غيب لا يعلمه إلا هو.وإن هنالك - مع هذا وذلك - سننا للكون ثابتة،يملك الإنسان أن يتعرف إليها،ويستعين بها في خلافة

^{١٤} - عن الجزء الأول من ظلال القرآن من ٣٩ - ٤٠.

الأرض، مع ترك الباب مفتوحاً لقدر الله النافذ وغيب الله المجهول.. وهذا قوام الأمر كله.. «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ».^{١٥}

ويقول السيد رحمه الله في مقدمة تفسير سورة الجن: "هذه السورة تبده الحس - قبل أن ينظر إلى المعاني والحقائق الواردة فيها - بشيء آخر واضح كل الوضوح فيها.. إنها قطعة موسيقية مطردة الإيقاع، قوية التنعيم، ظاهرة الرنين مع صبغة من الحزن في إيقاعها، ومسحة من الأسى في تنعيمها، وطائف من الشجى في رنينها، يساند هذه الظاهرة ويتناسق معها صور السورة وظلالها ومشاهدها، ثم روح الإيحاء فيها. وبخاصة في الشطر الأخير منها بعد انتهاء حكاية قول الجن، والاتجاه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ - هذا الخطاب الذي يثير العطف على شخص الرسول في قلب المستمع لهذه السورة، عطفاً مصحوباً بالحب وهو يؤمر أن يعلن تجرده من كل شيء في أمر هذه الدعوة إلا البلاغ، والرقابة الإلهية المضروبة حوله وهو يقوم بهذا البلاغ: «قُلْ: إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا.. قُلْ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا.. قُلْ: إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا، إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا.. قُلْ: إِنِّي أَذْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا، عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ، وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ، وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا»..

وذلك كله إلى جانب الإيقاع النفسي للحقائق التي وردت في حكاية قول الجن، وبيانهم الطويل المديد. وهي حقائق ذات ثقل ووزن في الحس والتصور والاستجابة لها تغشى الحس بحالة من التدبر والتفكير، تناسب مسحة الحزن ورنه الشجى المتمشية في إيقاع السورة الموسيقي!

^{١٥} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١٥٣٩) فما بعدها

وقراءة هذه السورة بشيء من الترتيل الهادئ، توقع في الحس هذا الذي وصفناه من المسحة الغالبة عليها.. فإذا تجاوزنا هذه الظاهرة التي تبده الحس إلى موضوع السورة ومعانيها واتجاهها فإننا نجد لها حافلة بشتى الدلالات والإيحاءات.

إنما ابتداء شهادة من عالم آخر بكثير من قضايا العقيدة التي كان المشركون يجحدونها ويجادلون فيها أشد الجدل، ويرجمون في أمرها رجماً لا يستندون فيه إلى حجة، ويزعمون أحياناً أن محمداً - ﷺ - يتلقى من الجن ما يقوله لهم عنها!

فتجيء الشهادة من الجن أنفسهم بهذه القضايا التي يجحدونها ويجادلون فيها وبتكذيب دعواهم في استمداد محمد من الجن شيئاً. والجن لم يعلموا بهذا القرآن إلا حين سمعوه من محمد - ﷺ - فهم لهم وراعهم ومسهم منه ما يدهش ويذهل، وملاً نفوسهم وفاض حتى ما يملكون السكوت على ما سمعوا، ولا الإجمال فيما عرفوا، ولا الاختصار فيما شعروا. فانطلقوا يحدثون في روعة المأخوذ، ووهلة المشدود، عن هذا الحادث العظيم، الذي شغل السماء والأرض والإنس والجن والملائكة والكواكب. وترك آثاره وتناججه في الكون كله!.. وهي شهادة لها قيمتها في النفس البشرية حتماً.

ثم إنها تصحيح لأوهام كثيرة عن عالم الجن في نفوس المخاطبين ابتداء بهذه السورة، وفي نفوس الناس جميعاً من قبل ومن بعد ووضع حقيقة هذا الخلق المغيب في موضعها بلا غلو ولا اعتساف. فقد كان العرب المخاطبون بهذا القرآن أول مرة يعتقدون أن للجن سلطاناً في الأرض، فكان الواحد منهم إذا أمسى بواد أو قفر، لجأ إلى الاستعاذة بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الأرض، فقال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه.. ثم بات آمناً!

كذلك كانوا يعتقدون أن الجن تعلم الغيب وتخبر به الكهان فيتنبأون بما يتنبأون. وفيهم من عبد الجن وجعل بينهم وبين الله نسباً، وزعم له سبحانه وتعالى زوجة منهم تلد له الملائكة!

والاعتقاد في الجن على هذا النحو أو شبهه كان فاشياً في كل جاهلية، ولا تزال الأوهام والأساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة إلى يومنا هذا!!!

وبينما كانت الأوهام والأساطير تغمر قلوب الناس ومشاعرهم وتصوراتهم عن الجن في القديم، وما تزال.. نجد في الصف الآخر اليوم منكرين لوجود الجن أصلاً، يصفون أي حديث عن هذا الخلق المغيب بأنه حديث خرافة.. وبين الإغراق في الوهم، والإغراق في الإنكار، يقرر الإسلام حقيقة الجن، ويصحح التصورات العامة عنهم، ويحرر القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم:

فالجن لهم حقيقة موجودة فعلاً وهم كما يصفون أنفسهم هنا: «وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا».. ومنهم الضالون المضلون ومنهم السذج الأبرياء الذين ينخدعون: «وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا».. وهم قابلون للهداية من الضلال، مستعدون لإدراك القرآن سماعاً وفهماً وتأثراً: «قُلْ: أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَن تُشْرِكَ رَبَّنَا أَحَدًا».. وأنهم قابلون بخلقهم لتوقيع الجزاء عليهم وتحقيق نتائج الإيمان والكفر فيهم: «وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ، فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا. وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ، فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ، فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا».. وأنهم لا ينفعون الإنس حين يلودون بهم بل يرهقونهم: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا».. وأنهم لا يعلمون الغيب، ولم تعد لهم صلة بالسماء: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً فَخَرَّسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا، وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا».. وأنهم لا صهر بينهم وبين الله - سبحانه وتعالى - ولا نسب: «وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا»..

وأن الجن لا قوة لهم مع قوة الله ولا حيلة: «وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَن نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا».

وهذا الذي ذكر في هذه السورة عن الجن بالإضافة إلى ما جاء في القرآن من صفات أخرى كتسخير طائفة من الشياطين لسليمان - وهم من الجن - وأنهم لم يعلموا بموته

إلا بعد فترة، فدل هذا على أنهم لا يعلمون الغيب: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾ [سبأ: ١٤]..

ومثل قوله تعالى عن حصيصة من خصائص إبليس وقبيله - وهو من الجن - غير أنه تمحض للشر والفساد والإغراء: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾ [الأعراف: ٢٧].. وما يدل عليه من أن كيان الجن غير مرئي للبشر، في حين أن كيان الإنس مرئي للجن.

هذا بالإضافة إلى ما قرره في سورة الرحمن عن المادة التي منها كيان الجن والمادة التي منها كيان الإنسان في قوله: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ».. يعطي صورة عن ذلك الخلق المغيب، تثبت وجوده، وتحدد الكثير من خصائصه وفي الوقت ذاته تكشف الأوهام والأساطير، العالقة بالأذهان عن ذلك الخلق، وتدع تصور المسلم عنه واضحا دقيقا متحررا من الوهم والخرافة، ومن التعسف في الإنكار الجامح كذلك!

وقد تكفلت هذه السورة بتصحيح ما كان مشركو العرب وغيرهم يظنونونه عن قدرة الجن ودورهم في هذا الكون. أما الذين ينكرون وجود هذا الخلق إطلاقا، فلا أدري علام يبنون هذا الإنكار، بصيغة الجزم والقطع، والسخرية من الاعتقاد بوجوده، وتسميته خرافة! ألاهم عرفوا كل ما في هذا الكون من خلائق فلم يجدوا الجن من بينها؟! إن أحدا من العلماء لا يزعم هذا حتى اليوم. وإن في هذه الأرض وحدها من الخلائق الحية لكثيرا مما يكشف وجوده يوما بعد يوم، ولم يقل أحد إن سلسلة الكشف للأحياء في الأرض وقفت أو ستقف في يوم من الأيام! ألاهم عرفوا كل القوى المكنونة في هذا الكون فلم يجدوا الجن من بينها؟! إن أحدا لا يدعي هذه الدعوى.

فهناك قوى مكنونة تكشف كل يوم وهي كانت مجهولة بالأمس. والعلماء جادون في التعرف إلى القوى الكونية، وهم يعلنون في تواضع قادتهم إليه كشوفهم العلمية ذاتها، أنهم

يقفون على حافة المجهول في هذا الكون، وأنهم لم يكادوا يبدأون بعد! ألاهم رأوا كل القوى التي استخدموها، فلم يروا الجن من بينها؟! ولا هذه. فإنهم يتحدثون عن الكهرب بوصفه حقيقة علمية منذ توصلوا إلى تحطيم الذرة. ولكن أحدا منهم لم ير الكهرب قط. وليس في معاملهم من الأجهزة ما يفرزون به كهربا من هذه الكهارب التي يتحدثون عنها! فقيم إذن هذا الجزم بنفي وجود الجن؟ ومعلومات البشر عن هذا الكون وقواه وسكانه من الضالة بحيث لا تسمح لإنسان يحترم عقله أن يجزم بشيء؟ لأن هذا الخلق المسمى الجن تعلقت به خرافات شتى وأساطير كثيرة؟ إن طريقنا في هذه الحالة هو إبطال هذه الخرافات والأساطير كما صنع القرآن الكريم، لا التبجح بنفي وجود هذا الخلق من الأساس، بلا حجة ولا دليل! ومثل هذا الغيب ينبغي تلقي نبئه من المصدر الوحيد الموثوق بصحته، وعدم معارضة هذا المصدر بتصورات سابقة لم تستمد منه. فما يقوله هو كلمة الفصل في مثل هذا الموضوع.

والسورة التي بين أيدينا - بالإضافة إلى ما سبق - تساهم مساهمة كبيرة في إنشاء التصور الإسلامي عن حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، ثم عن هذا الكون وخلائقه، والصلة بين هذه الخلائق المتنوعة.

وفي مقالة الجن ما يشهد بوحداية الله، ونفي الصاحبة والولد، وإثبات الجزاء في الآخرة وأن أحدا من خلق الله لا يعجزه في الأرض ولا يفلت من يديه ويفوته، فلا يلاقي جزاءه العادل. وتتكرر بعض هذه الحقائق فيما يوجه للرسول - ﷺ - من الخطاب: «قُلْ: إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا»... «قُلْ: إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا».. وذلك بعد شهادة الجن بهذه الحقيقة شهادة كاملة صريحة. كما أن تلك الشهادة تقرر أن الألوهية لله وحده، وأن العبودية هي أسمى درجة يرتفع إليها البشر: «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا».. ويؤكد السياق هذه الحقيقة فيما يوجه للرسول - ﷺ - من خطاب: «قُلْ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا»..

والغيب موكل لله وحده لا تعرفه الجن: «وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا».. ولا تعرفه الرسل إلا ما يطلعهم الله عليه منه لحكمة يعلمها: «قُلْ: إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ، فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا...»..

أما العباد والعبيد في هذا الكون، فقد علمتنا السورة أن بين بعضها والبعض الآخر مشاركات ومنافذ، ولو اختلف تكوينها، كالمشاركات التي بين الجن والإنس، مما حكته السورة وحكاها القرآن في مواضع أخرى.

فإن الإنسان ليس بمعزل - حتى في هذه الأرض - عن الخلائق الأخرى. وبينه وبينها اتصال وتفاعل في صورة من الصور. وهذه العزلة التي يحسها الإنسان بجنسه - بله العزلة الفردية أو القبلية أو القومية - لا وجود لها في طبيعة الكون ولا في واقعه. وأخرى بهذا التصور أن يفسح في شعور الإنسان بالكون وما يعمره من أرواح وقوى وأسرار. قد يجهلها الإنسان، ولكنها موجودة بالفعل من حوله، فهو ليس الساكن الوحيد لهذا الكون كما يعن له أحيانا أن يشعر!!

ثم إن هناك ارتباطا بين استقامة الخلائق على الطريقة، وتحركات هذا الكون وتناججها، وقدر الله في العباد: «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لَنَفَتْنَهُمْ فِيهِ. وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا».. وهذه الحقيقة تؤلف جانبا من التصور الإسلامي للارتباطات بين الإنسان والكون وقدر الله. ^{١٦}



^{١٦} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٤٦١٩) فما بعدها

المبحث الثاني

وجوب الإيمان بالجن

قال ابن حزم رحمه الله: "إِنَّ الْجِنَّ حَقٌّ وَهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فِيهِمُ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ؛ يَرَوْنَنَا وَلَا نَرَاهُمْ؛ يَأْكُلُونَ وَيَنْسِلُونَ وَيَمُوتُونَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأنعام: ١٣٠] وَقَالَ تَعَالَى: {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ} [الحجر: ٢٧] وَقَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا {وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} [الجن: ١٤] {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٥] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف: ٢٧] وَقَالَ تَعَالَى: {أَفْتَنَّاكَ بِهِ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي} [الكهف: ٥٠] وَقَالَ تَعَالَى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: ٢٦] وَقَالَ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥].^{١٧}

لقد سمي الجن بهذا الاسم لاجتماعهم عن العيون أي استتارهم، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧]

يا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زينها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، يترع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتكشف لهما عوراتهما. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إننا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بحديه.^{١٨}

^{١٧} - المحلى بالآثار (١/ ٣٣)

^{١٨} - التفسير الميسر [٢/ ٤٨٨]

والجنُّ من مخلوقات الله - عز وجل - والمسلم يؤمن بأن الجنَّ خلقوا من النار، قال تعالى: { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) } سورة الرحمن.

لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ، لَهُ صَلْصَلَةٌ إِذَا نُقِرَ بِالْيَدِ. وَخَلَقَ الْجِنَّ مِنْ خَالِصِ النَّارِ، وَمِنْ لَهَبِهَا الْمُخْتَلِطِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، الَّذِي لَا دُخَانَ فِيهِ ^{١٩}. وقال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٢٨) } [الحجر: ٢٦ - ٢٨]

لَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَهُ صَلْصَلَةٌ إِذَا نُقِرَ بِالْيَدِ (صَلْصَالٍ)، وَكَانَ قَبْلًا طِينًا رَطْبًا (حَمًا) مُغَيَّرَ اللَّوْنِ مُسَوَّدَةً (مَسْنُونٍ). وَخَلَقْنَا الْجَانَ قَبْلَ الْإِنْسَانِ (مِنْ قَبْلُ) مِنَ النَّارِ ذَاتِ الْحَرَارَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَنْفُذُ فِي مَسَامِ الْجِسْمِ. ^{٢٠}

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» (أخرجه مسلم) ^{٢١}.

وهذا الحديث يردُّ على الذين لا يفرقون بين الجن والملائكة. قال ابن عبد البر: " وَالْجِنَّ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ بِاللِّسَانِ يَنْزِلُونَ عَلَى مَرَاتِبَ فَإِذَا ذَكَرُوا الْوَاحِدَ مِنَ الْجِنَّ خَالِصًا قَالُوا جَنِّي فَإِنْ أَرَادُوا أَنَّهُ مِمَّنْ يَسْكُنُ مَعَ النَّاسِ قَالُوا عَامِرٌ وَالْجَمْعُ عُمَارٌ وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَعْزِضُ لِلصَّبَّيَّانِ قَالُوا أَرْوَاحٌ فَإِنْ خَبَتْ وَتَعَرَّمَ فَهُوَ شَيْطَانٌ فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مَارِدٌ فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ وَقَوِيَ أَمْرُهُ قَالُوا عَفَرِيَّتٌ وَالْجَمْعُ عَفَارِيَّتٌ.. " ^{٢٢}.

^{١٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٧٩٤)

^{٢٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ١٨٢٩]

^{٢١} - صحيح مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٦٠ - (٢٩٩٦) [ش (الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار]

^{٢٢} - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١١ / ١١٧)

وقد خلق الله - عز وجل - الجن قبل الإنس، قال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) [الحجر/٢٦، ٢٧].

ولقد خلقنا آدم أبا البشر من طين يابس له صلصلة إذا نقر باليد (صلصال)، وكان قبلا طينا رطبا (حمأ) مغير اللون مسودة (مسنون).
وخلقنا الجن قبل الإنسان (من قبل) من النار ذات الحرارة الشديدة التي تنفذ في مسام الجسم^{٢٣}.

والمسلم يؤمن بأن الجن مأمورٌ مثل الإنسان بطاعة الله، وأن يجعلوا حياتهم كلها طبقاً لما أَرَادَهُ اللهُ، قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) } سورة الذاريات.

هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.

فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تعالى الله الغني المغني عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق، فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم الضرورية وغيرها، ولهذا قال: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ } أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، { ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه

^{٢٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٨٢٩)

إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى، وعصفت
بترابهم الرياح، وابتلعهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج
البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين^{٢٤}.

إن هذا النص الصغير ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا
تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها. سواء كانت حياة فرد أم
جماعة. أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها.

وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي، تندرج كلها تحت هذه الحقيقة
الضخمة، التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة.

وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس. تتمثل
في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد
أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، حاوية من معناها
الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى
الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس
الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء.

هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود. هي العبادة لله. أو هي
العبودية لله.. أن يكون هناك عبد ورب. عبد يعبد، ورب يعبد. وأن تستقيم حياة العبد
كلها على أساس هذا الاعتبار.

ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لا بد أن
يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر. فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة
الشعائر والله لا يكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألوانا أخرى من النشاط تستغرق معظم
حياتهم. وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن ولكننا نعرف حدود النشاط
المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً».. فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني. وهي

^{٢٤} - تفسير السعدي - (١ / ٨١٣)

تقتضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكوناتها، وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام.

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر وأن وظيفة الخلافة داخلية في مدلول العبادة قطعاً. وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس. أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً ورباً. عبداً يعبد، ورباً يعبد. وأن ليس وراء ذلك شيء وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار. ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود وإلا رب واحد والكل له عبيد. والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة.

التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التبعيد لله.

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضى بقدر الله.. كلها عبادة وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها وكلها خضوع للناموس العام الذي يتمثل في عبودية كل شيء لله دون سواه.

عندئذ يعيش الإنسان في هذه الأرض شاعراً أنه هنا للقيام بوظيفة من قبل الله تعالى، جاء لينهض بها فترة، طاعة لله وعبادة له لا أرب له هو فيها، ولا غاية له من ورائها، إلا الطاعة، وجزاؤها الذي يجده في نفسه من طمأنينة ورضى عن وضعه وعمله، ومن أنس برضى الله عنه، ورعايته له. ثم يجده في الآخرة تكريماً ونعيماً وفضلاً عظيماً.

وعندئذ يكون قد فر إلى الله حقاً. يكون قد فر من أوهاق هذه الأرض وجواذها المعوقة ومغرياتها الملفة.

ويكون قد تحرر بهذا الفرار. تحرر حقيقة من الأوهاق^{٢٥} والأثقال. وخلص لله، واستقر في الوضع الكوني الأصيل: عبداً لله. خلقه الله لعبادته. وقام بما خلق له. وحقق غاية وجوده. فمن مقتضيات استقرار معنى العبادة أن يقوم بالخلافة في الأرض، وينهض بتكاليفها، ويحقق أقصى ثمراتها وهو في الوقت ذاته نافض يديه منها خالص القلب من جواذها ومغرياتها. ذلك أنه لم ينهض بالخلافة ويحقق ثمراتها لذاته هو ولا لذاتها.

ولكن لتحقيق معنى العبادة فيها، ثم الفرار إلى الله منها! ومن مقتضياته كذلك أن تصبح قيمة الأعمال في النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها. فلتكن النتائج ما تكون. فالإنسان غير معلق بهذه النتائج. إنما هو معلق بأداء العبادة في القيام بهذه الأعمال ولأن جزاءه ليس في نتائجها، إنما جزاؤه في العبادة التي أداها..

ومن ثم يتغير موقف الإنسان تغيراً كاملاً تجاه الواجبات والتكاليف والأعمال. فينظر فيها كلها إلى معنى العبادة الكامن فيها. ومتى حقق هذا المعنى انتهت مهمته وتحققت غايته. ولتكن النتائج ما تكون بعد ذلك.

فهذه النتائج ليست داخلية في واجبه ولا في حسابه، وليست من شأنه. إنما هو قدر الله ومشيبته. وهو وجهه ونيتة وعمله جانب من قدر الله ومشيبته.

ومتى نفّض الإنسان قلبه من نتائج العمل والجهد وشعر أنه أخذ نصيبه، وضمن جزاءه، بمجرد تحقق معنى العبادة في الباعث على العمل والجهد، فلن تبقى في قلبه حينئذ بقية من الأطماع التي تدعو إلى التكاليف والخصام على أعراض هذه الحياة. فهو من جانب يبذل أقصى ما يملك من الجهد والطاقة في الخلافة والنهوض بالتكاليف.

ومن جانب ينفّض يده وقلبه من التعلق بأعراض هذه الأرض، وثمرات هذا النشاط. فقد حقق هذه الثمرات ليحقق معنى العبادة فيها لا ليحصل عليها ويحتجزها لذاته.

^{٢٥} - الأوهاق: جمع وهق - بالتحرّك - وقد يُسكن، وهو حبْلٌ كالطَّوْلُ تُشَدُّ بِهِ الإِبِلُ والخَيْلُ، لئلا تَنَدَّ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٣٣/٥) ولسان العرب (٣٨٦/١٠)

والقرآن يغذي هذا الإحساس ويقويه. بإطلاق مشاعر الإنسان من الانشغال بهمّ الرزق ومن شح النفس.

فالرزق في ذاته مكفول. تكفل به الله تعالى لعباده. وهو لا يطلب إليهم بطبيعة الحال أن يطعموه - سبحانه - أو يرزقوه. حين يكلفهم إنفاق هذا المال محتاجيه، والقيام بحق المحرومين فيه: «مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»..

وإذن لا يكون حافز المؤمن للعمل وبذل الجهد في الخلافة هو الحرص على تحصيل الرزق. بل يكون الحافز هو تحقيق معنى العبادة، الذي يتحقق ببذل أقصى الجهد والطاقة. ومن ثم يصبح قلب الإنسان معلقا بتحقيق معنى العبادة في الجهد، طليقا من التعلق بنتائج الجهد.. وهي مشاعر كريمة لا تنشأ إلا في ظل هذا التصور الكريم.

وإذا كانت البشرية لا تدرك هذه المشاعر ولا تتذوقها، فذلك لأنها لم تعيش - كما عاش جيل المسلمين الأول - في ظلال هذا القرآن. ولم تستمد قواعد حياتها من ذلك الدستور العظيم.

وحين يرتفع الإنسان إلى هذا الأفق. أفق العبادة. أو أفق العبودية. ويستقر عليه، فإن نفسه تأنف حتما من اتخاذ وسيلة خسيسة لتحقيق غاية كريمة. ولو كانت هذه الغاية هي نصر دعوة الله وجعل كلمته هي العليا.

فالوسيلة الخسيسة من جهة تحطم معنى العبادة النظيف الكريم. ومن جهة أخرى فهو لا يعني نفسه ببلوغ الغايات، إنما يعني نفسه بأداء الواجبات، تحقيقا لمعنى العبادة في الأداء. أما الغايات فموكولة لله، يأتي بها وفق قدره الذي يريده. ولا داعي لاعتساف الوسائل والطرق للوصول إلى غاية أمرها إلى الله، وليست داخلية في حساب المؤمن العابد لله.

ثم يستمتع العبد العابد براحة الضمير، وطمأنينة النفس، وصلاح البال، في جميع الأحوال. سواء رأى ثمرة عمله أم لم يرها. تحققت كما قدرها أم على عكس ما قدرها. فهو قد أنهى عمله، وضمن جزاءه، عند تحقق معنى العبادة. واستراح. وما يقع بعد

ذلك خارج عن حدود وظيفته..وقد علم هو أنه عبد، فلم يعد يتجاوز بمشاعره ولا بمطالبه حدود العبد.وعلم أن الله رب، فلم يعد يتقحم فيما هو من شؤون الرب. واستقرت مشاعره عند هذا الحد، ورضي الله عنه، ورضي هو عن الله. وهكذا تتجلى جوانب من تلك الحقيقة الضخمة الهائلة، التي تقررها آية واحدة قصيرة: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»..وهي حقيقة كفيلة بأن تغير وجه الحياة كلها عند ما تستقر حقا في الضمير...^{٢٦}.

وقال سبحانه مخاطباً الجن والإنس: {يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْنَاهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} (١٣٠) سورة الأنعام. أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم -وظاهر النصوص يدل على أن الرسل من الإنس فقط-، يخبرونكم بآياتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي وبيان الخير والشر، ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟ قال هؤلاء المشركون من الإنس والجن: شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِأَن رَّسَلَك قَدْ بَلَّغُونَا آيَاتِكَ، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم، وخذعت هؤلاء المشركين زينة الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى ومكذبين لرسله عليهم السلام^{٢٧}.

والمسلم يؤمن بأن الله -عز وجل- أرسل نبيّه محمداً ﷺ إلى كل من الإنس والجن، فعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخَتَمَ بِيَ النَّبِيُّونَ" (مسلم)^{٢٨}.

^{٢٦} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٣٨٦)

^{٢٧} - التفسير الميسر - (٢ / ٤٢٥)

^{٢٨} - صحيح مسلم (١ / ٣٧١) - ٥ - (٥٢٣)

[ش (أعطيت جوامع الكلم) وفي رواية الأخرى بعثت بجوامع الكلم قال الهروي يعني به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ البسيطة منه المعاني الكثيرة وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) [الأحقاف/٢٩-٣٢].

واذكر -أيها الرسول- حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن، فلما حضروا، ورسول الله ﷺ يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا؛ لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعوه وأثر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومخذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به.

قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى، مصدقاً لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم. يا قومنا أجبوا رسول الله محمداً إلى ما يدعوكم إليه، وصدّقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم وينقذكم من عذاب مؤلم موجه.

ومن لا يُجِبْ رسول الله إلى ما دعا إليه فليس بمُعْجِز الله في الأرض إذا أراد عقوبته، وليس له من دون الله أنصار يمنعونه من عذابه، أولئك في ذهاب واضح عن الحق^{٢٩}.

وإذا كنا لا نرى الجن فإن بعض الأحياء يروهم كالحمار والكلب ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»^{٣٠}.

^{٢٩} - التفسير الميسر - (٩ / ١٥٦)

^{٣٠} - صحيح البخاري (٤ / ١٢٨) (٣٣٠٣) وصحيح مسلم (٤ / ٢٠٩٢) ٨٢ - (٢٧٢٩) - (تهذيب الحمار) صوته

المنكر

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَقْلُوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هُدُوءٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ دَوَابَّ يَنْثُنُّ، فَمَنْ سَمِعَ نُبَاحَ الْكَلْبِ، أَوْ نُهَاقَ حِمَارٍ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا تَرَوْنَ» ٣١.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكَلَابِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَقْلُوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَّاتِ الرَّجُلُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْثُ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أَجِيفَ، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَغَطُّوا الْجِرَارَ، وَأَكْفِتُوا الْآنِيَةَ. ٣٢.

ورؤية الحيوان لما لا نرى ليس غريباً، فقد تحقق العلماء من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية، ولذلك فإنه يرى الشمس حال الغيم، والبقرة ترى الفأر في ظلمة الليل البهيم...

الأدلة الدالة على وجود الجن

١- وجودهم معلوم من الدين بالضرورة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لَمْ يُخَالَفْ أَحَدٌ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ فِي وُجُودِ الْجِنِّ وَلَا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَيْهِمْ وَجُمْهُورُ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ عَلَى إِبْتَاتِ الْجِنِّ أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَهُمْ مُقَرُّونَ بِهِمْ كَقِرَارِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ وُجِدَ فِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَكَمَا يُوْجَدُ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ كَمَا يُوْجَدُ فِي طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ الْغَالِطُونَ وَالْمُعْتَزِلَةُ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ جُمْهُورُ الطَّائِفَةِ وَأَثَمَتُهَا مُقَرَّرِينَ بِذَلِكَ. وَهَذَا لِأَنَّ وُجُودَ الْجِنِّ تَوَاتَرَتْ بِهِ أَخْبَارُ الْأَنْبِيَاءِ تَوَاتُرًا مَعْلُومًا بِالِاضْطِرَارِّ وَمَعْلُومًا بِالِاضْطِرَارِّ أَنََّّهُمْ أَحْيَاءُ عَقْلَاءُ فَاعِلُونَ بِالْإِرَادَةِ، بَلْ مَأْمُورُونَ مِنْهُمْ لَيْسُوا صِفَاتٍ وَأَعْرَاضًا قَائِمَةً بِالْإِنْسَانِ أَوْ غَيْرِهِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ، فَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْجِنِّ مُتَوَاتِرًا

٣١ - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤٢٢) (١٢٣٣) صحيح

٣٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) (٥/ ٤٢) (١٤٢٨٣) (١٤٣٣٤) صحيح

قوله: "هدأت الرجل" قال السندي: أي: بعد انقطاع الأرجل عن المشي في الطريق ليلاً. "يبث" من البث بتشديد المثناة، أي: ينشر.

عَنِ النَّبِيِّ تَوَاتُرًا ظَاهِرًا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ لَمْ يُمْكِنْ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُؤْمِنِينَ بِالرُّسُلِ أَنْ تُنْكِرَهُمْ " ٣٣ .

وقال أيضاً: "جميع طوائف المسلمين يُقرُّون بوجود الجن، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد الهذيل والهند وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث. فجماهير الطوائف تُقرُّ بوجود الجن، بل يُقرُّون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم سواء أكان ذلك سائعا عند أهل الإيمان أو كان شركا " ٣٤ .

وقال إمام الحرمين: "والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف منا مع إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين، والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبه بمسكه من الدين ثم ساق عدة أحاديث، ثم قال: فمن لم يرتدع بهذا وأمثاله فينبغي أن يتهم في الدين ويعترف بالانسلال منه، على أنه ليس في إثبات الشياطين ومردة الجن ما يقدح في أصل من أصول العقل وقضية من قضاياها " ٣٥ .

وقال ابن حجر الهيتمي: "وأما الجان فأهل السنة يؤمنون بوجودهم، وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه مخالفة للكتاب والسنة والإجماع، بل ألزموا به كفرا لأن فيه تكذيب النصوص القطعية بوجودهم، ومن ثم قال بعض المالكية: الصواب كفر من أنكر وجودهم، لأنه جحد نص القرآن والسنة المتواترة والإجماع الضروري.." ٣٦ .

٢- النصوص القرآنية والحديثية:

جاءت نصوص كثيرة تقرر وجودهم كقوله تعالى: {قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ

٣٣ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ١٠)

٣٤ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ١٣)

٣٥ - آكام المرجان في أحكام الجان (ص: ١٩)

٣٦ - الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص: ٨٩)

شَطَطًا (٤) وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا (١١) وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) { [الجن: ١ - ١٣].

وهي نصوص كثيرة ذكرنا غالبها في ثنايا هذه الرسالة، وإن كانت كثرتها وشهرتها تغني عن ذكرها. وهناك نصوص حديثة متواترة سوف نمرُّ معنا في ثنايا هذا الموضوع، ونكتفي بالخبر التالي:

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [الإسراء: ٥٧] قَالَ: "كَانَ قَوْمٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ قَوْمًا مِنَ الْجِنِّ فَاسْلَمُوا، وَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، فَقَالَ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [الإسراء: ٥٧] ٣٧. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ، فَاسْلَمَ الْجِنُّ وَتَبَتِ الْإِنْسُ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [الإسراء: ٥٧] ٣٨.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [الإسراء: ٥٧] قَالَ: نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَاسْلَمَ الْجِنُّونَ، وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ، فَأَنْزَلَتْ {الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء: ٥٧] ٣٩.

٣٧ - السنن الكبرى للنسائي (١٠ / ١٥١) (١١٢٢٤) صحيح

٣٨ - السنن الكبرى للنسائي (١٠ / ١٥٠) (١١٢٢٣) صحيح

٣٩ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٤ / ٦٢٨) صحيح

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "نَزَلَتْ بِنَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجَنِّيُّونَ، وَالتَّفَرُّ مِنَ الْعَرَبِ لَأَ يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، يَعْنِي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: ٥٧].^{٤٠}

٣- المشاهدة والرؤية:

كثيرٌ من الناس في عصرنا وقبل عصرنا شاهد شيئاً من ذلك، وإن كان كثير من الذين يشاهدونهم ويسمعونهم لا يعرفون أنهم جنٌّ؛ إذ يزعمون أنهم أرواح، أو رجال الغيب، أو رجال الفضاء...

وأصدق ما يروى في هذا الموضع رؤية الرسول ﷺ للجن، وحديثه معهم، وحديثهم معه، وتعليمه إياهم، وتلاوته القرآن عليهم، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه.^{٤١}

وقال بعض العلماء: عالم الجن من العوالم الكونية، كعالم الملائكة وقد أخبر الله - تعالى - أنه خلقه من مارج من نار، أي: أن عنصر النار فيه هو الغالب، وأنه يرى الأناسي وهم لا يرونه، أي: بصورته الجبلية، وإن كان يرى حين يتشكل بأشكال أخرى، كما رئي جبريل حين تشكل بشكل آدمي.

وأخبر - سبحانه - بأن الجن قادرون على الأعمال الشاقة. وأن الله سخر الشياطين لسليمان يعملون له ما يشاء من محاريب وتمثال...^{٤٢}

وأخبر بأن من الجن مؤمنين، وأن منهم شياطين متمردين، ومن هؤلاء إبليس اللعين. ولم يختلف أهل الملل في وجودهم، بل اعترفوا به كالمسلمين، وإن اختلفوا في حقيقتهم، ولا تلازم بين الوجود والعلم بالحقائق، ولا بينه وبين الرؤية بالحواس، فكثير من الأشياء الموجودة لا تزال حقائقها مجهولة، وأسرارها محجوبة، وكثير منها لا يرى

^{٤٠} - شرح مشكل الآثار (٦/ ١١٥) (٢٣٣٦) صحيح

^{٤١} - عالم الجن والشياطين (ص: ١٤)

بالحواس. ألا ترى الروح- وهي مما لا شك في وجودها في الإنسان والحيوان- لم يدرك
كنهها أحد ولم يرها أحد، وغاية ما علم من أمرها بعض صفاتها وآثارها..
وقد بعث النبي ﷺ إلى الجن، كما بعث إلى الإنس، فدعاهم إلى التوحيد، وأنذرهم وبلغهم
القرآن، وسيحاسبون على الأعمال يوم الحساب كما يحاسب الناس، فمؤمنهم
كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم وكل ذلك جاء صريحاً في القرآن والسنة..^{٤٢}



^{٤٢} -التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥ / ١٣٠) وصفوة البيان ج ٢ ص ٤٧٠ فضيلة الشيخ حسين مخلوف.

المبحث الثالث

أنواع الجن وطوائفهم

أولاً - طوائف الجن:

المسلم يؤمن بأن الجن طوائف كثيرة مثل الإنس تماماً، فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون، ومنهم الصالحون ومنهم المفسدون، ومنهم الشياطين، ومنهم العفاريت، قال تعالى: {وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} (١٤) سورة الجن.

وأنا منا الخاضعون لله بالطاعة، ومنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق، فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك الذين قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في اختياره فهداهم الله إليه، وأما الجائرون عن طريق الإسلام فكانوا وقوداً لجهنم^{٤٣}. وقال أيضاً: {وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا} (١١) سورة الجن. وأنا منا الأبرار المتقون، العاملون بطاعة الله، ومنا قوم دون ذلك وأنا كنا مذاهب وأهواء مختلفة، وفرقا شتى: فمننا المؤمنون ومننا الفاسقون ومننا الكافرون^{٤٤}.

وقال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (١١٢) سورة الأنعام.

وكما جعلنا هؤلاء وأمثالهم أعداء لك يا محمد، يخالفونك ويعاندونك، ويعادونك، كذلك جعلنا لكل نبي من قبلك أعداء من شياطين الإنس والجن (شياطين الإنس هم الكبراء ومن يضلون الناس عن الهدى بالوسوسة والإغراء والمخادعة)، ويلقي بعض هؤلاء الشياطين من الإنس والجن إلى بعض القول المموه الذي يظنون أنهم يسترون به قبح باطلهم، ويؤدونه بطرق خفية لا يفطن إلى باطلها كل واحد، حتى يغروا الناس

^{٤٣} - التفسير الميسر - (١٠ / ٢٨٥)

^{٤٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٣٣٦)

ويخدعوهم ويميلوهم إلى ما يريدون، كما وسوس الشيطان لآدم وحواء للأكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها، وكما وسوس شياطين الإنس لمن يجترحون السيئات، فيزينون لهم ما فيها من عظيم اللذة، والتمتع بالحرية، ويمنّوهم بعفو الله. ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك لما فعلوه ولكنه تعالى لم يشأ ذلك إذ خلق الناس على استعداد لقبول الحق والباطل، والخير والشر^{٤٥}.

ونعلم أن لهم قلوباً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لَقَدْ خَلَقْنَا كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ لِيَكُونُوا وَقُودًا لِجَهَنَّمَ، لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلَ أَهْلِهَا، وَلَا يَتَفَقَهُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ جَوَارِحِهِمُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سَبِيلًا لِلْهَدَايَةِ، فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ بِأَذَانِهِمْ، وَلَا يَفْقَهُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَلَا يَرَوْنَ النُّورَ بِعُيُونِهِمْ، فَهُمْ كَالْبَهَائِمِ وَالْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ، لَا تَنْتَفِعُ بِحَوَاسِّهَا إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَاشِهَا وَبَقَائِهَا، أَوْ هُمْ شَرٌّ مِنَ الدَّوَابِّ وَأَكْثَرُ ضَلَالًا، لِأَنَّ الدَّوَابَّ قَدْ تَسْتَجِيبُ لِأَرْعِيهَا إِذَا أُنْسِتَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَفْقَهُ كَلَامَهُ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ. وَلِأَنَّ الدَّوَابَّ تَفْعَلُ مَا خُلِقَتْ لَهُ، إِمَّا بِطَبْعِهَا وَإِمَّا بِتَسْخِيرِهَا. أَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ خُلِقُوا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُوحِّدُوهُ، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ، وَأَشْرَكُوا بِهِ فَهُمْ الْغَافِلُونَ^{٤٦}. فقد صرح - تبارك وتعالى - بأن للجن قلوباً، وأعيناً، وأذناً، وللشيطان صوتاً، لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٦٤]. وثبت في الأحاديث أن للشيطان لساناً، وأن الجان يأكلون، ويشربون، ويضحكون..

والجنُّ أنواعٌ مختلفة، لكل نوع ميزات يميز بها عن غيره، فهناك الجنُّ الطيار والغواصُّ وغير ذلك.

^{٤٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٩٠٢)

^{٤٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١١٣٤)، بترقيم الشاملة آليا

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "خَلَقَ اللَّهُ الْجِنَّ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ حَيَاتٌ وَعَقَارِبٌ وَخَشَاشُ الْأَرْضِ، وَصِنْفٌ كَالرَّيْحِ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ عَلَيْهِمُ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ، وَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ كَالْبَهَائِمِ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) الْآيَةِ، وَصِنْفٌ أَجْسَادُهُمْ أَجْسَادُ بَنِي آدَمَ وَأَرْوَاحُهُمْ أَرْوَاحُ الشَّيَاطِينِ، وَصِنْفٌ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ".^{٤٧}

وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "الْجِنَّ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنَحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَاتٌ وَكِلَابٌ، وَصِنْفٌ يَحِلُّونَ وَيَظْلَعُونَ".^{٤٨}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْحَيَاتُ مِنْ مَسْخِ الْجَانِّ كَمَا مُسِخَتْ الْخَنَازِيرُ وَالْقِرَدَةُ»^{٤٩}

قلت: قد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله، قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزواجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِحَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامِ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقِ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتُ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ» قَالَ: وَذَكَرْتُ عَنْهُ الْقِرَدَةَ، قَالَ مِسْعَرٌ: وَأَرَاهُ قَالَ: وَالْخَنَازِيرُ مِنْ

^{٤٧} - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٦/ ١٧٠) (٥٦٠٠) ضعيف

^{٤٨} - الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٦٤) (٨٢٧) والمستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢/ ٤٩٥) (٣٧٠٢)

صحيح

الظُّعْنُ: سَبْرُ الْبَادِيَةِ لُجَّةٍ أَوْ حُضُورُ مَاءٍ، أَوْ طَلَبُ مَرْبَعٍ، أَوْ تَحَوُّلٌ مِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ، أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ شَاخِصٍ لِسَفَرٍ فِي حَجٍّ أَوْ غَزْوٍ أَوْ مَسِيرٍ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى ظَاعِنٌ، وَيُقَالُ: أَطَاعِنُ أَنْتَ أَمْ مُقِيمٌ؟ وَالظُّعِينَةُ: الْجَمَلُ يُطْعَنُ عَلَيْهِ، وَالظُّعِينَةُ الْهُودُجُ تَكُونُ فِيهِ الْمَرْأَةُ، وَقِيلَ: هُوَ الْهُودُجُ كَانَتْ فِيهِ أَوْ لَمْ تَكُنْ، وَالظُّعِينَةُ: الْمَرْأَةُ فِي الْهُودُجِ، سَمِيَتْ بِهِ عَلَى حَدِّ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ الشَّيْءِ لِقُرْبِهِ مِنْهُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (ج ١٣ ص ٢٧٠)

^{٤٩} - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٢/ ٤٥٨) (٥٦٤٠) صحيح

مَسْخٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلاً وَلَا عَقَباً، وَقَدْ كَانَتْ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ»^{٥٠}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَثَارٍ مَوْطُوعَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعْجَلُ شَيْئاً مِنْهَا قَبْلَ حُلِّهِ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ حُلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ، هِيَ مِمَّا مَسَخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْماً، أَوْ يُعَذِّبَ قَوْماً، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً، وَإِنَّ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»^{٥١}

ثانياً - التعريف بالشیطان:

الشیطان الذي حدثنا الله عنه كثيراً في القرآن من عالم الجن، كان يعبد الله في بداية أمره، وسكن السماء مع الملائكة، ودخل الجنة، ثم عصى ربه عندما أمره أن يسجد لآدم، استكباراً وعلواً، فطرده الله من رحمته.

والشیطان في لغة العرب يطلق على كل عاتٍ متمرد، وقد أطلق على هذا المخلوق لعتوّه وتمرده على ربّه (شیطان). وأطلق عليه لفظ (الطاغوت): {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي

^{٥٠} - مسلم (٤/ ٢٠٥٠) (٣٢) - (٢٦٦٣)

[ش (حله) ضبطناه بوجهين فتح الحاء وكسرها في المواضع الخمسة من هذه الروايات وذكر القاضي أن جميع الروايات على الفتح ومراده رواية بلادهم وإلا فالأشهر عند رواية بلادنا الكسر وهما لغتان ومعناه وجوبه وحينه يقال حل الأجل يحل حلاً وحلاً وهذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك (وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك) أي قبل مسخ بني إسرائيل فدل ذلك على أنها ليست من المسخ]

^{٥١} - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥١) (٣٣) - (٢٦٦٣)

قال الإمام النووي في "شرح مسلم" ٢١٤/١٦: أي قبل مسخ بني إسرائيل، فدل على أنها ليست من المسخ. وانظر "فتح الباري" ٤٠٧/٦ في شرح حديث أبي هريرة (٣٣٠٥): "فقدت أمة...". وقال الألباني رحمه الله: "واعلم أن الحديث لا يعني أن الحيات الموجودة الآن هي من الجن المسوخ، وإنما يعني أن الجن وقع فيهم مسخ إلى الحيات كما وقع في اليهود مسخهم قردة وخنازير، ولكنهم لم ينسلوا كما في الحديث الصحيح: "إن الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك" الصَّحِيحَةُ: ١٨٢٤

سَبِيلَ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا { [النساء: ٧٦].

وهذا الاسم معلومٌ عند غالبية أمم الأرض باللفظ نفسه، كما يذكر العقاد في كتابه (إبليس)، وإنما سمي طاغوتاً لتجاوزه حده، وتمرده على ربه، وتنصيبه نفسه إلهاً يعبد. وقد يئس هذا المخلوق من رحمة الله، ولذا أسماه الله (إبليس). والبَّلس في لغة العرب: من لا خير عنده، وأبلس: يئس وتخيّر.

والذي يطالع ما جاء في القرآن والحديث عن الشيطان يعلم أنه مخلوق يعقل ويدرك ويتحرك و....، وليس كما يقول بعض الذين لا يعلمون: "إنه روح الشر متمثلة في غرائز الإنسان الحيوانية التي تصرفه - إذا تمكنت من قلبه - عن المثل الروحية العليا".^{٥٢}

ثالثاً - أصل الشيطان:

سبق القول أن الشيطان من الجن، وقد نازع في هذه المسألة بعض المتقدمين والمتأخرين، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٣٤]. وهذه الآية وأمثالها يستثني الله فيها إبليس من الملائكة، والمستثنى لا يكون إلا من جنس المستثنى منه عادة. والدليل قوله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } [الكهف: ٥٠]

وقد نقلت لنا كتب التفسير والتاريخ أقوال عدد من العلماء، يذكرون أن إبليس كان من الملائكة، وأنه كان خازناً للجنة، أو للسماء الدنيا، وأنه كان من أشرف الملائكة، وأكرمهم قبيلة.... إلى آخر تلك الأقوال التي لا دليل عليها، قال ابن كثير: "وقد روي في هذا آثارٌ كثيرةٌ عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تُنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها. ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي

^{٥٢} - دائرة المعارف الحديثة: ص ٣٥٧.

بِأَيْدِينَا، وَفِي الْقُرْآنِ غُنْيَةٌ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، وَقَدْ وُضِعَ فِيهَا أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحِفَاطِ الْمُتَقِينِينَ الَّذِينَ يَنْفُونَ عَنْهَا تَحْرِيفَ الْعَالِينَ وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ، كَمَا لَهُدِ [الْأُمَّةُ مِنَ] الْأَائِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالسَّادَةِ الْأَثَقِيَاءِ وَالْأَبْرَارِ وَالنَّجَبَاءِ مِنَ الْجَهَابِذَةِ الثَّقَادِ، وَالْحِفَاطِ الْجِيَادِ، الَّذِينَ دَوَّوْا الْحَدِيثَ وَحَرَّرُوهُ، وَبَيَّنَّوْا صَحِيحَهُ مِنْ حَسَنِهِ، مِنْ ضَعِيفِهِ، مِنْ مُنْكَرِهِ وَمَوْضُوعِهِ، وَمَتَرَوْكَه وَمَكْذُوبِهِ، وَعَرَفُوا الْوَضَاعِينَ وَالْكَذَّابِينَ وَالْمَجْهُولِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الرِّجَالِ، كُلُّ ذَلِكَ صِيَانَةٌ لِلْجَنَابِ النَّبَوِيِّ وَالْمَقَامِ الْمُحَمَّدِيِّ، خَاتَمِ الرُّسُلِ، وَسَيِّدِ الْبَشَرِ [عَلَيْهِ أَفْضَلُ التَّحِيَّاتِ وَالصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ]، أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ كَذِبٌ، أَوْ يُحَدَّثَ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَعَلَ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُمْ، وَقَدْ فَعَلَ. ٥٣

وما احتجوا به من أن الله استثنى إبليس من الملائكة... ليس دليلاً قاطعاً، لاحتمال أن يكون الاستثناء منقطعاً، بل هو كذلك حقاً، للنص على أنه من الجن في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠].

قال الشنقيطي رحمه الله: "وقوله في هذه الآية الكريمة، كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ [١٨ \ ٥٠]، ظاهر في أن سَبَبَ فَسَقِهِ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ كَوْنُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ فِي «مَسَلِّكَ النَّصِّ» وَفِي «مَسَلِّكَ الْإِيمَاءِ وَالتَّائِبِينَ»: أَنَّ الْفَاءَ مِنَ الْحُرُوفِ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّعْلِيلِ، كَقَوْلِهِمْ: سَرَقَ فَقُطِعَتْ يَدُهُ، أَيْ: لِأَجْلِ سَرِقَتِهِ. وَسَهَا فَسَجَدَ، أَيْ: لِأَجْلِ سَهْوِهِ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا [٥ \ ٣٨] أَيْ: لِعَلَّةِ سَرِقَتِهِمَا. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ هُنَا كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ [١٨ \ ٥٠] أَيْ: لِعَلَّةِ كَيْفُونَتِهِ مِنَ الْجِنِّ؛ لِأَنَّ هَذَا الْوَصْفَ فَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّهُمْ امْتَثَلُوا الْأَمْرَ وَعَصَاهُ؛ وَلِأَجْلِ ظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ذَهَبَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ إِبْلِيسَ

٥٣ - تفسير ابن كثير ت سلامة (١٦٨ / ٥)

لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْأَصْلِ بَلْ مِنَ الْجِنِّ، وَأَنَّهُ كَانَ يَتَعَبَّدُ مَعَهُمْ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِمْ اسْمُهُمْ
لَأَنَّهُ تَبَعَ لَهُمْ، كَالْحَلِيفِ فِي الْقَبِيلَةِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُهَا. وَالْخِلَافُ فِي إِبْلِيسَ هَلْ هُوَ مَلَكٌ
فِي الْأَصْلِ وَقَدْ مَسَخَهُ اللَّهُ شَيْطَانًا، أَوْ لَيْسَ فِي الْأَصْلِ بِمَلَكٍ، وَإِنَّمَا شَمَلَهُ لَفْظُ الْمَلَائِكَةِ
لِدُخُولِهِ فِيهِمْ وَتَعَبُّدُهُ مَعَهُمْ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَحُجَّةٌ مَنْ قَالَ: إِنَّ أَصْلَهُ لَيْسَ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا عَصَمَةُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ ارْتِكَابِ الْكُفْرِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ إِبْلِيسُ. كَمَا
قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [٦٦ \ ٦٦]، وَقَالَ
تَعَالَى: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ [٢١ \ ٢٧]، وَالثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ صَرَّحَ فِي
هَذِهِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ، وَالْجِنُّ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ. قَالُوا: وَهُوَ نَصٌّ قُرْآنِيٌّ فِي مَحَلِّ
النِّزَاعِ. وَاحْتِجَّ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَلَكٌ فِي الْأَصْلِ بِمَا تَكَرَّرَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ: فَسَجَدَ
الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ [١٥ \ ٣٠ - ٣١]، قَالُوا: فَإِخْرَاجُهُ بِالِاسْتِثْنَاءِ مِنْ
لَفْظِ الْمَلَائِكَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْهُمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَالظُّوَاهِرُ إِذَا كَثُرَتْ صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ
النَّصِّ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ الْإِئْتِصَالُ لَا الْإِنْقِطَاعُ، قَالُوا: وَلَا حُجَّةَ لِمَنْ
خَالَفَنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى كَانَ مِنَ الْجِنِّ [١٨ \ ٥٠]؛ لِأَنَّ الْجِنَّ قَلِيلَةٌ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ، خُلِقُوا مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ كَمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْعَرَبُ
تَعْرِفُ فِي لُغَتِهَا إِطْلَاقَ الْجِنِّ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى فِي سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ:

وَسُخِّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةٌ... قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بَلَا أَجْرٍ

قَالُوا: وَمِنْ إِطْلَاقِ الْجِنِّ عَلَى الْمَلَائِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا [٣٧ \ ١٥٨]، عِنْدَ مَنْ يَقُولُ: بَأَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ
كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ عُلُوءًا كَبِيرًا! وَمِمَّنْ جَزَمَ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْأَصْلِ
لِظَاهِرِ هَذِهِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقَصَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ
فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ «الْبَقَرَةِ»: إِنَّ كَوْنَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ
مَسْعُودٍ، وَابْنِ جُرَيْجٍ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ. وَهُوَ اخْتِيَارُ الشَّيْخِ أَبِي
الْحَسَنِ، وَرَجَحَهُ الطَّبْرِيُّ، وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ «إِلَّا إِبْلِيسَ» أَهـ. وَمَا يَذْكُرُهُ الْمُفَسِّرُونَ عَنْ
جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ كَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ: مِنْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْمَلَائِكَةِ، وَمِنْ خُزَّانِ

الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ كَانَ يُدَبِّرُ أَمْرَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ كَانَ اسْمُ عَزَازِيلَ كُلُّهُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا مُعَوَّلَ عَلَيْهَا.

وَأَظْهَرَ الْحُجَجَ فِي الْمَسْأَلَةِ حُجَّةً مَنْ قَالَ: إِنَّهُ غَيْرُ مَلَكٍ. لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ الْآيَةَ [١٨ \ ٥٠]، وَهُوَ أَظْهَرُ شَيْءٍ فِي الْمَوْضُوعِ مِنْ نُصُوصِ الْوَحْيِ. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. " ٥٤

وقال العلامة محمد عزت دروزة رحمه الله تعليقا على الآية: " ويلحظ أن الآية هنا تقرر بصراحة أن إبليس من الجن في حين أن آيات قصة إبليس و آدم الأخرى احتوت فقط حكاية قول إبليس إنه خلق من نار وإنه أفضل من آدم الذي خلق من طين وتراب. ولقد أورد المفسرون في سياق الآية روايات وأقوالا متنوعة ليس شيء منها واردا في كتب الصحاح. منها أن الجنّ جيل من الملائكة ومنها أن كلمة الجنّ يصح إطلاقها لغة على الملائكة لأما من الاجتنان وهو الاستتار والخفاء. والذين قالوا هذا تفادوا به مما هموا أنه تناقض في مفهوم القرآن لأن مقتضى جميع القصة في السور الأخرى أن يكون إبليس من الملائكة لأنه استثنى منهم حيث جاءت الجملة: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ [٥٠] ولا نرى طائلا ولا ضرورة إلى ذلك. فالآية صريحة بأن إبليس شيء والملائكة شيء آخر. والذين قالوا إن الجنّ جيل من الملائكة وإن كلمة الجنّ يصح أن تطلق على الملائكة وإن إبليس من الملائكة قد غفلوا فيما يتبادر لنا عن تقارير القرآن الصريحة الأخرى بأن الجنان قد خلقوا من نار. وعن حكاية قول إبليس أنه خلق من نار مما فيه حسم في قصد تقرير كون إبليس من الجنّ الناري. وكذلك غفلوا عن جمع الجنّ والملائكة في سياق واحد وهو آيات سورة سبأ هذه: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)، مما فيه حسم بأن كلا منهم غير الآخر.

٥٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٩٠)

ولقد روى مسلم عن عائشة، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^{٥٥}

والنبي ﷺ وحده هو المعتمد فيما فيه توضيح لما أجمله القرآن أو أطلقه أو سكت عنه وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة وقد انطوى على حسم آخر.

ولقد قال الزمخشري إن الفاء في كلمة فَفَسَقَ سببية لتقرير كون إبليس إنما فسق لأنه من الجن وليس من الملائكة.^{٥٦}

وقال قبل ذلك: "ومن غريب ما عزي إلى ابن عباس وبعض التابعين مثل قتادة والضحاك أن إبليس كان من الملائكة بل كان من أشrafهم وكان خازنا للسماء وللجنة. وأنه لو لم يكن من الملائكة لما أمر بالسجود لأن الله أمر الملائكة بالسجود فسجدوا وتمرد إبليس. أي أمر معهم بالسجود لأنه منهم وعزي إليهم إزاء آية الكهف التي تصف إبليس بأنه من الجن وهي: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ... [٥٠] أن الجن الذين منهم إبليس هم قبيلة من الملائكة مع أن في سورة سبأ آية جمعت بين الجن والملائكة كخلفين مختلفين بل متعاكسين وهي: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) ومع أن القرآن جمع إبليس مع الجن في أصل الخلقة حيث قرر في الآيات التي نحن في صددنا وأمثالها أن إبليس خلق من نار وقرر في آيات عديدة أن الجن خلقوا من النار أيضا مثل آية سورة الرحمن هذه: وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) وآية سورة الحجر هذه وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) في حين أن هناك حديثا رواه مسلم عن عائشة، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

^{٥٥} - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٤) ٦٠ - (٢٩٩٦) [ش (الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار]

^{٥٦} - التفسير الحديث (٥/ ٧٥)

ونلاحظ أولاً: أن القرآن في صدد ماهية إبليس قد قرر بعض التقريرات التي منها أنه كان من الجنّ كما جاء في آية سورة الكهف التي أوردناها آنفاً. مع تقرير أن الجنّ خلقوا من النار كما جاء في آيات سورتي الحجر والرحمن التي أوردناها وغيرها. وحكى قول إبليس أنه هو نفسه خلق من نار كما جاء في آيات قصته التي نحن في صددها وفي السور الأخرى. وقد ذكره بمفرده كما في آيات القصة وأحياناً هو وذريته كما في آية سورة الكهف المذكورة آنفاً وأحياناً هو وجنوده كما في آية سورة الشعراء هذه: وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) وذكر الشيطان مرادفاً له بصيغة المفرد كما في آية سورة الأعراف [١١] التي أوردناها آنفاً، وبصيغة الجمع كما في نفس الآية، وذكره هو وقبيله كما في نفس الآية. وعزا إلى إبليس والشيطان وفروعهما إغواء الناس وإضلالهم وتزيينهم لهم الفساد والكفر والإثم كما ورد في الآيات التي أوردناها وكثير غيرها وحكى ما جرى من حوار في صدد ذلك بين الله تعالى وإبليس وبين إبليس وآدم، ووقف عند هذا الحدّ.

وثانياً: أن القرآن في صدد ماهية آدم وخلق كرم ما قرره في الآيات التي نحن في صددها بشيء من الخلاف الأسلوبى، وذكر مع ذلك في بعض الآيات خلق الإنسان من طين بدون ذكر آدم وسجود الملائكة كما جاء في آيات سورة المؤمنون هذه: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ووقف عند هذا الحدّ.

وثالثاً: أن القرآن أورد كل ما أورده في صدد آدم وإبليس بأسلوب التذكير والعظة لا بأسلوب تقرير واقعة لذاً. وتكرار القصة مع تنوّع صيغتها وسياقها في كل مرة وردت فيها مما يدل على ذلك فضلاً عن الأسلوب. فالأولى - فيما نرى من وجهة التفسير القرآني - الوقوف عند الحد الذي وقف عنده القرآن أو اقتضت حكمة التزليل إيجاءه في صددها بدون تزييد ولا تخمين مع الإيمان بما احتوته الآيات القرآنية من صور وعدم التورط في تخمين الكيفيات التي لم تقتض حكمة التزليل بيانها ومع ملاحظة أن هذه القصة هي مثل سائر القصص من قسم القرآن الثاني الذي سميناه بالوسائل، والذي يمكن

أن يدخل في نطاق التشابهات اللاتي ذكرت في آية سورة آل عمران مقابل الآيات المحكمات اللاتي هن أم الكتاب والتي ليست الإحاطة بماهيتها من الضرورات الدينية وأن هدفها هو التدعيم والعبرة والعظة، وأنه ليس في التخمين والتزيد طائل كما أنهما لا ينسجمان مع الهدف القرآني، ونرى في الوقت نفسه أن ما نقله المفسرون من الروايات دليل على أن أشياء كثيرة حول آدم وإبليس كانت متداولة في بيئة النبي ﷺ وعهده، منها ما مصدره أسفار العهد القديم ومنها ما كان يتناقله الكتّابيون على هامشها من شروح وحواش من الجائز أن تكون وردت في قراطيس كانت عندهم ولم تصل إلينا وبكلمة أخرى إن هذه القصة كانت معلومة عند السامعين، فأوحى الله بها في القرآن استهدافاً للعظة والإنذار والتدعيم.

ثم قال أخيراً: "ونقول فيما جاء فيها من أمور مغيّبة وماهيات إن من واجب المسلم أن يؤمن بما ثبت عن النبي ﷺ في هذا الأمر ويقف عنده ولو لم يدرك حكمته ومداه ويفوض الأمر إلى الله ورسوله كما هو الشأن بالنسبة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة في شؤون أخرى مماثلة مرّت أمثلة لها وسيأتي أمثلة عديدة لها. ولا سيما إن هذه المسألة وأمثالها ليست من أركان الدين المحكمة التي يجب على المسلم معرفتها والعمل بها. ويكفي أن يؤمن بما جاء في القرآن والحديث الثابت فيها والله تعالى أعلم. وما قلناه آنفاً ينسحب على هذا. فالقصة وحواشيتها إنما جاءت في معرض العظة وليس من طائل في التوسع ولا ضرورة. ولا يتصل بجوهر الهدف القرآني. والأولى أن يوقف منها عند ما وقف القرآن والإيمان به مع ملاحظة الهدف الذي استهدفه منها." ^{٥٧}

وفي التفسير الوسيط: "وللعلماء في كون إبليس من الملائكة، أم لا، قولان: أحدهما: أنه كان منهم، لأنه - سبحانه - أمرهم بالسجود لآدم، ولولا أنه كان منهم لما توجه إليه الأمر بالسجود، ولو لم يتوجه إليه الأمر بالسجود لما كان عاصياً، ولما استحق الطرد واللعنة، ولأن الأصل في المستثنى أن يكون داخلاً تحت اسم المستثنى منه، حتى يقوم

^{٥٧} - التفسير الحديث - دار إحياء الكتب العربية القاهرة (٢/ ٣٤٨)

دليل على أنه خارج عنه. وعلى هذا رأى الذي اختاره ابن عباس وابن مسعود وغيرهما يكون الاستثناء متصلاً.

والثاني: أنه لم يكن من الملائكة، لقوله - تعالى - : «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ، فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ..» «الكهف» فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور، ولأن له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم..

وعلى هذا رأى الذي اختاره الحسن وقتادة وغيرهما يكون الاستثناء منقطعاً.

قال الشيخ القاسمي: «وقد حاول الإمام ابن القيم - رحمه الله - أن يجمع بين الرأيين فقال: والصواب التفصيل في هذه المسألة، وأن القولين في الحقيقة قول واحد. فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله فإن أصله من نار وأصل الملائكة من نور، فالنافي كونه من الملائكة والمثبت كونه منهم لم يتوارداً على محل واحد».^{٥٨}

والذي نميل إليه في هذه المسألة أن إبليس لم يكن من الملائكة، بدليل الحديث الصحيح الذي يقول فيه النبي ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^{٥٩}

والآية الكريمة - وهي قوله - تعالى - «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ صَرِيحاً في أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة.

ومع هذا فإن الأمر بالسجود يشملهم، بدليل قوله - تعالى - «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ...» «سورة الأعراف الآية ١٢».

فهذه الآية تدل دلالة صريحة على أن الله - تعالى - قد أمر إبليس بالسجود لآدم... ووجود إبليس مع الملائكة لا يستلزم أن يكون منهم، ومثل ذلك كمثل أن تقول: حضر بنو فلان إلا محمداً، ومحمد ليس من بنى فلان هؤلاء، وإنما هو معهم بالجاورة أو

^{٥٨} - تفسير القاسمي = محاسن التأويل (١/ ٢٩١)

^{٥٩} - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٤) ٦٠ - (٢٩٩٦) [ش (الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار]

المصاحبة أو غير ذلك. هذا ما نختاره ونميل إليه، استنادا إلى ظاهر الآيات وظاهر الأحاديث، والله - تعالى - أعلم. ^{٦٠}

قلت: لقد ثبت لدينا بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة والإنس، فعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» ^{٦١} وعن الحسن رحمه الله تعالى قال: «لَمْ يَكُنْ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرَفَةً عَيْنٍ وَكَانَ أَبَا الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَبُو الْإِنْسِ» ^{٦٢}

والذي حققه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والتَّحْقِيقُ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ بِاعْتِبَارِ صُورَتِهِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِاعْتِبَارِ أَصْلِهِ وَلَا بِاعْتِبَارِ مِثَالِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ السُّجُودِ لِأَدَمَ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: لَا جِبْرَائِيلَ وَلَا ميكائيلَ وَلَا غَيْرُهُمَا" ^{٦٣}

رابعاً - هل الشيطان أصل الجن أم واحد منهم؟

ليس لدينا نصوص صريحة تدلنا على أن الشيطان أصل الجن، أو واحد منهم، وإن كان هذا الأخير أظهر لقوله: (إلا إبليس كان من الجن) [الكهف: ٥٠].

وابن تيمية رحمه الله يذهب إلى أن الشيطان أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس. "فقد سئل الشيخ - رحمه الله - عن قوله تعالى { إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ } الآية الكريمة. هل ذلك عامٌ لا يَرَاهُمْ أَحَدٌ أَمْ يَرَاهُمْ بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ؟ وهل الجنُّ والشَّيَاطِينُ جنسٌ واحدٌ وكُلُّ إبليسٍ أَمْ جنسَيْنِ: وكُلُّ إبليسٍ وَغَيْرُ وكُلِّهِ؟. فأجاب شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله ورَضِيَ عَنْهُ آمِينَ - فقال: الحمد لله، الذي في القرآن أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْإِنْسَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ الْإِنْسُ وَهَذَا حَقٌّ يَفْتَضِي أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْإِنْسَ فِي حَالٍ لَا يَرَاهُمْ الْإِنْسُ فِيهَا وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُمْ لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ مِنْ

^{٦٠} - التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٠ / ٨)

^{٦١} - صحيح مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٦٠ - (٢٩٩٦) [ش (الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار]

^{٦٢} - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥ / ١٦٩٠) صحيح

^{٦٣} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٤ / ٣٤٦)

الْإِنْسِ بِحَالٍ؛ بَلْ قَدْ يَرَاهُمْ الصَّالِحُونَ وَغَيْرُ الصَّالِحِينَ أَيْضًا؛ لَكِنْ لَا يَرَوْنَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ وَالشَّيَاطِينُ هُمْ مَرَدَّةُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَجَمِيعُ الْجِنِّ وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. " ٦٤
وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: «أَدَمُ أَصْلُ الْإِنْسِ وَإِبْلِيسُ أَصْلُ الْجِنِّ» ٦٥
وَعَنْ حَرَمَلَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى الْجِنَّ أَبْطَلْنَا شَهَادَتَهُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف: ٢٧] ٦٦

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: الْجِنُّ وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ، وَالْإِنْسُ وَلَكِنَّ آدَمَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مُؤْمِنُونَ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مُؤْمِنًا فَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كَافِرًا فَهُوَ شَيْطَانٌ. " ٦٧
وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرَفَةً عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسِ» ٦٨
وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «إِبْلِيسُ أَبُو الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ أَبُو الْإِنْسِ» ٦٩

٦٤ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٥ / ٧) وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٤ / ٢٣٥)

٦٥ - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥ / ١٥٧٣) ضعيف

٦٦ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩ / ١٤١) صحيح

وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها، وليس في الآية أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال، بل قد يراهم كثير من الإنس، لكن لا يروهم في كل حال من أحوال الجن، فقد يتشكل لهم الجن بأشكال مختلفة وصور متنوعة، كما حصل في الجني الذي رآه أبو هريرة والجني الذي رآه أبي بن كعب وغيرهما من الصحابة، وكما أتى الشيطان قريشاً في صورة سراقه بن مالك لما أرادوا الخروج إلى بدر، وكما روي أنه تصور في صورة شيخ نخدي لما اجتمعوا بدار الندوة. فتاوى الشبكة الإسلامية (١ / ٤٠٥١)

٦٧ - أخرجه ابن أبي حاتم، تفسير ابن كثير ت سلامة (٦ / ٥٠٠) وفيه ضعف

٦٨ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١ / ٥٤٠) صحيح

٦٩ - صحيح إلى ابن زيد ولكنه ضعيف في نفسه

وقال الطبري معللاً ذلك: "وَعِلَّةُ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ خَلَقَ إِبْلِيسَ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَمِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَلَمْ يُخْبِرْ عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ خَلَقَهَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ. فَقَالُوا: فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى غَيْرِ مَا نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ. قَالُوا: وَإِلَّا إِبْلِيسَ نَسَلٌ وَذُرِّيَّةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا تَنْتَاسِلُ وَلَا تَنْوَلُّ" تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١ / ٥٤١)

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: {أَفْتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف: ٥٠] وَهُوَ أَبُو الْجِنِّ كَمَا آدَمُ أَبُو الْإِنْسِ وَقَالَ: قَالَ اللَّهُ لِإِبْلِيسَ: إِنِّي لَأُذَرُّ لَأَدَمَ ذُرِّيَّةً إِلَّا ذَرَأْتُ لَكَ مِثْلَهَا، فَلَيْسَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَحَدٌ إِلَّا لَهُ شَيْطَانٌ قَدْ قُرِنَ بِهِ^{٧٠} وَعَنْ عُقَيْلٍ حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠]، فَإِبْلِيسُ أَبُو الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَبُو الْإِنْسِ وَآدَمُ مِنَ الْإِنْسِ وَهُوَ أَبُوهُمْ، وَإِبْلِيسُ مِنَ الْجِنِّ وَهُوَ أَبُوهُمْ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ ذَلِكَ حِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِلَّا إِبْلِيسَ..} {أَفْتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي} [الكهف: ٥٠] ^{٧١} وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السَّلَمِيِّ، أَنَّهُ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَمْرٍ لَأَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ: مَنْ أَبُوْنَا؟ قَالَ: «آدَمُ» قَالَ: مَنْ أُمُّنَا؟ قَالَ: «حَوَاءُ» قَالَ: مَنْ أَبُو الْجِنِّ؟ قَالَ: «إِبْلِيسُ» قَالَ: فَمَنْ أُمُّهُمْ؟ قَالَ: «أُمُّرَأَتُهُ»^{٧٢} وَقَالَ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الجن ثقل عظيم، خلقهم الله لعبادته، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات الآية ٥٦)، والصحيح أنهم أولاد إبليس يقال لهم الجن، هو أبوهم، كما أن آدم أبو الإنس.."^{٧٣}

وقال أيضاً: "والشيطان هو أبو الجن عند جمع من أهل العلم، وهو الذي عصى ربه واستكبر عن السجود..."^{٧٤}

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وإذا ثبتَ وجُودهم فقد اختلفَ في أصلهم فقيل: إنَّ أصلهم من ولدِ إبليس، فمن كان منهم كافراً سُمِّيَ شَيْطَانًا، وقيل: إنَّ الشَّيَاطِينَ خاصَّةً أولاد إبليس ومن عداهم ليسوا من ولده. وحديث ابن عباس الآتي في تفسير سورة

^{٧٠} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٥ / ٢٩٣) صحيح إلى ابن زيد ولكنه ضعيف قوي في التفسير

^{٧١} - تفسير ابن أبي حاتم - محققا (٧ / ٢٣٦٦) (١٢٨٤٦) (الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥ / ٤٠٢) والعظمة

لأبي الشيخ الأصبهاني (٥ / ١٦٤٥) ومكائد الشيطان (ص: ٥٢) (٣٢) صحيح لغيره

^{٧٢} - المعجم الأوسط (٦ / ١٩٧) (٦١٧٤) وهو ضعيف جدا لا يحتج به

^{٧٣} - فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١ / ٢١٩)

^{٧٤} - فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١ / ٢٢٢)

الْجَنُّ يُقَوِّي أَنَّهُمْ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَاخْتَلَفَ صِنْفُهُ فَمَنْ كَانَ كَافِرًا سُمِّيَ شَيْطَانًا وَإِلَّا قِيلَ لَهُ جَنِّي".^{٧٥}

وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ: "وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ، فِي أَصْلِ الْجَنِّ، فَرَوَى إِسْمَاعِيلُ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: أَنَّ الْجَنَّ وَلَدُ إِبْلِيسَ، وَالْإِنْسَ وَلَدُ آدَمَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مُؤْمِنُونَ وَكَافِرُونَ، وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. فَمَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مُؤْمِنًا فَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كَافِرًا فَهُوَ شَيْطَانٌ. وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْجَنَّ هُمْ وَلَدُ الْجَانِّ وَلَيْسُوا بِشَيَاطِينٍ، وَهُمْ يُؤْمِنُونَ، وَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَمِنْهُمْ الْكَافِرُونَ، وَالشَّيَاطِينُ هُمْ وَلَدُ إِبْلِيسَ لَا يُمُوتُونَ إِلَّا مَعَ إِبْلِيسَ".^{٧٦}

وَقَالَ ابْنُ عُلَيْشٍ: "وَفِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْمَشْهُورِ أَنَّ جَمِيعَ الْجَنِّ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْلِيسَ وَبِذَلِكَ يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَنَاسَلُونَ وَلَيْسَ فِيهِمْ إِنَاثٌ وَقِيلَ الْجَنُّ جِنْسٌ وَإِبْلِيسُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ انْتَهَى. أَفَادَ ذَلِكَ كُلَّهُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ الزَّرْقَانِيُّ فِي أَجْوِبَتِهِ وَفِي الْمَعْيَارِ...".^{٧٧}

وفي فتاوى واستشارات الإسلام اليوم سؤال: الجن والشیاطین سلالة من ؟

"الذي يظهر والله أعلم أن إبليس هو أبو الجن وذلك هو ظاهر القرآن ولا معارض له مقبول فإن الله سبحانه قد أخبر في كتابه عن إبليس أنه اعترض على السجود بقوله: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢]، فهو يتحدث عن خلقه هو لا عن غيره من أب أو جد فأول الجن خلقا هو إبليس وهو أبوهم {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠]، كما أن أول الإنس خلقا هو آدم وهو أبوهم وإبليس قد خلق قبل آدم

^{٧٥} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (٦/ ٣٤٤)

^{٧٦} - تفسير القرطبي (٥/ ١٩)

^{٧٧} - فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (١/ ٢٩) وانظر: التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (٢/ ١٣٧) وعالم الجن والشیاطین (ص: ١٨) والتفسير الوسيط لطنطاوي (١/ ٩٩) والتفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢٥١) والتفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٤٠) والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ١٣٠) وتفسير القاسمي = محاسن التأويل (١/ ٢٩٠) وفتاوى الأزهر (١٠/ ١٤٦) إبليس والجن والشیاطین

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) } [الحجر: ٢٦ - ٢٧]

قال الحسن البصري رحمه الله: "مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسِ". قال ابن كثير: "وهذا إسناد صحيح عن الحسن" ^{٧٨}

قال ابن القيم رحمه الله: ^{٧٩}

واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الخلاق أم أصبحت ذا نكران

وقال ابن حجر في الفتح: "إِبْلِيسُ لِأَنَّهُ أَبُو الْجِنِّ كُلِّهِمْ" ^{٨٠}

وكل قول غير هذا غير فإنه معارض لظاهر القرآن كما أن مستنده النقل عن بني إسرائيل فمرة ينسب إلى حي من الملائكة وأخرى إلى الجن ولكن اصطفي فكان بين الملائكة... إلى غير ذلك من الأقوال، والمسألة سمعية لا مجال للرأي فيها، ومثلها لا يستند فيه على الإسرائيليات، وتجدد الإشارة إلى أنها قد وردت مجموعة من الروايات عن المتقدمين في إبليس وكيفية نسبته إلى الجن، وتحديد مهمته، وذكر عبادته، وكيفية انتقاله، إلى السماء وتسميته، وغير ذلك، ومصدر ذلك والله أعلم بالإسرائيليات.

قال ابن كثير في تفسيره: "قَدْ رُوي فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ، وَغَالِبُهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي تُنْقَلُ لِيُنْظَرَ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا. وَمِنْهَا مَا قَدْ يُقْطَعُ بِكَذِبِهِ لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي بَأْيَدِينَا، وَفِي الْقُرْآنِ غُنْيَةٌ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَتَقْصَانٍ، وَقَدْ وُضِعَ فِيهَا أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ". ^{٨١}

وحينئذ فلا داعي للعدول عن ظاهر القرآن.

وبهذا القول يزول الإشكال عن كيفية وجود إبليس بين الملائكة وهو ليس منهم، فالله قد خلقه وجعله بينهم، كما أنه خلق آدم وجعله في الجنة ثم أنزل الجميع إلى الأرض جزاءً وابتلاءً، هذا بالنسبة لأبي الجن.

^{٧٨} - تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٢٣١)

^{٧٩} - نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٩)

^{٨٠} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (٦/ ٣٦٩)

^{٨١} - تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ١٦٨)

وأما بالنسبة لأبي الشياطين فلا بد من مقدمة لبيان ذلك، فإن لفظ (شيطان) يطلق على إبليس ويطلق على جنس من الجن وهم المرة من ذرية إبليس، ويطلق على المتمرد من الإنس على أوامر ربه.

فأما إطلاقه على إبليس ففي مثل قوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) وقوله تعالى (فوسوس لهما الشيطان) وقوله تعالى (لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) وهذا غالب إطلاقه، فالشيطان علم في الغالب على إبليس.

وأما إطلاقه على جنس من الجن ففي مثل قوله تعالى (وما تنزل به الشياطين) وقوله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) (والشياطين كل بناء وغواص) (وجعلناها رجوما للشياطين) وهو ههنا وصف لهم.

وأما إطلاقه على متمردي الإنس ففي مثل قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدو شياطين الجن والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وهو هنا وصف لهم أيضا.

وحينئذ فلا يمكن أن يقال: أبو الشياطين هو فلان إذ منهم جن ومنهم بشر، إلا أن يكون الحكم أغلبي، فيقال إبليس أبو الشياطين لأن غالب الشياطين منهم ولأنه مصدر شيطنتهم والله أعلم.^{٨٢}

خامسا - قبح صورة الشيطان؛

الشيطان قبيح الصورة، وهذا مستقر في الأذهان، وقد شبه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين، لما علم من قبح صورهم وأشكالهم {أَذَلِكْ

^{٨٢} - تفسير فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (١/ ٥): الجن والشياطين سلالة من ؟

وانظر أيضا: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤٩٩) وتفسير الألوسي = روح المعاني (٧/ ٢٧٩) وفتاوى الرملي (٤/ ٢٤٢) وفتاوى السبكي (٢/ ٦٢٠) وفتاوى الشبكة الإسلامية (١/ ١٠٤٢): الفرق بين الملائكة والجن، والشياطين والجن وفتاوى الشبكة الإسلامية (١/ ٤٠٨٤): سبب تسمية (إبليس) بهذه التسمية ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١١/ ١١٢) وموقع الإسلام سؤال وجواب (١/ ٥٥٦): هل إبليس أب للجن كلهم ؟ وموقع الإسلام سؤال وجواب (١/ ٦١١): هل الجن يعاونون الإنس على بعض الأشياء

خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) { [الصفات: ٦٢ - ٦٥].

أَذَلَّكَ الرَّزْقُ الْكَرِيمُ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا الْمَنْزِلُ الطَّيِّبُ الَّذِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ فِيهِ فِي رَحَابِ الْجَنَّةِ خَيْرٌ، أَمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْأَكْلِ مِنْ شَجَرَةِ الزُّقُومِ، ذَاتِ الثَّمَرِ الْكَرِيمِ الْمَذَاقِ؟

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَنْ وُجُودِ شَجَرَةِ الزُّقُومِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ابْتِلَاءً مِنْهُ وَاجْتِبَاءً لِيَرَى مَنْ يُصَدِّقُ بِهَا، مِمَّنْ يُكَذِّبُ، وَجَعَلَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ.

حِينَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ وَسَطِ نَارِ جَهَنَّمَ، قَالَ الْكَافِرُونَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَالنَّارُ تَحْرِقُ الشَّجَرَ؟

كَأَنَّ ثَمَرَهَا (طَلْعُهَا)، فِي قُبْحِ مَنْظَرِهِ، رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ: (وَالْعَرَبُ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَقْبِيحَ شَجَرَةِ الزُّقُومِ، وَتَكْرِيمَ السَّامِعِينَ بِهَا).^{٨٣}

وَقَدْ كَانَ النَّصَارَى فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى يَصُورُونَ الشَّيْطَانَ عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ أَسْوَدَ ذِي لَحْيَةٍ مَدْبِيَةٍ، وَحَوَاجِبٍ مَرْفُوعَةٍ، وَفَمٍ يَنْفُثُ لَهَباً، وَقُرُونٍ وَأُظْلَافٍ وَذَيْلٍ.^{٨٤}

سادسا - الشيطان له قرنان:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَيْ الشَّيْطَانِ»^{٨٥}

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ، وَلَا

^{٨٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٧٢٩، بترقيم الشاملة آليا)

^{٨٤} - دائرة المعارف الحديثة: ٣٥٧.

^{٨٥} - صحيح مسلم (١/ ٥٦٧) ٢٩٠ - (٨٢٨)

[ش (فإنها تطلع بقربي شيطان) هكذا هو في الأصول بقربي شيطان في حديث ابن عمر وفي حديث عمرو بن عبسة بين قري شيطان قيل المراد بقربي الشيطان حزيه وأتباعه وقيل قوته وغلبته وانتشار فساده وقيل القران ناحيتا الرأس وإنه على ظاهره وهذا هو الأقوى وسمي شيطانا لتمرده وعتوه وكل مارد عات شيطان والأظهر أنه مشتق من شطن إذا بعد لبعده من الخير والرحمة وقيل مشتق من شاط إذا هلك واحترق]

تَحِينُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، أَوْ الشَّيْطَانِ»^{٨٦}

والمعنى أن طوائف المشركين كانوا يعبدون الشمس، ويسجدون لها عند طلوعها، وعند غروبها، فعند ذلك ينتصب الشيطان في الجهة التي تكون فيها الشمس، حتى تكون عبادتهم له. فعن أبي أمامة، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كُنتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجْلَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ حِينَئِذٍ تُسَجِّرُ جَهَنَّمَ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ

^{٨٦} - صحيح البخاري (٤/ ١٢٢) (٣٢٧٢ و ٣٢٧٣)

[ش (تبرز) تظهر. (تحينوا) من التحين وهو طلب وقت معلوم. (قري الشيطان) جاني رأسه]

العصر، ثُمَّ أَقْصَرَ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَالْوُضُوءَ حَدَّثَنِي عَنْهُ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضَّمُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَشِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَحْيًا شِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: «يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ، أَنْظِرْ مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ»، فَقَالَ عَمْرُو: «يَا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبُرَتْ سِتِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^{٨٧}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَابِغِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارْقَهَا فَإِذَا اسْتَوَتْ فَارْقَهَا فَإِذَا زَالَتْ فَارْقَهَا فَإِذَا دَنَتْ لِلْغُرُوبِ فَارْقَهَا فَإِذَا غَرَبَتْ فَارْقَهَا، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الصَّلَاةِ فِي تِلْكَ السَّاعَاتِ»^{٨٨}

"فَالْتَّهَى حِينَئِذٍ لَتَرْكٍ مُشَابِهَةِ الْكُفَّارِ، وَقَدْ اعْتَبَرَ ذَلِكَ الشَّرْعُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَفِي هَذَا تَعَقُّبٌ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيِّ حَيْثُ قَالَ: إِنَّ النَّهْيَ عَنْ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ مَعْنَاهُ، وَجَعَلَهُ مِنْ قَبِيلِ التَّعْبُدِ الَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ." ^{٨٩}

قَالَ ابْنُ عَبْدِ البر: "وَتَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ وَنَحْوُ هَذَا فَإِنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَإِنَّهَا تَغْرُبُ وَتَطْلُعُ عَلَى قَرْنِ شَيْطَانٍ وَعَلَى

^{٨٧} - صحيح مسلم (١/ ٥٧٠) ٢٩٤ - (٨٣٢)

^{٨٨} - السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٢١٢) (١٥٥٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٦٣٧) (٤٣٨٤) صحيح

^{٨٩} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (٢/ ٦٠)

رَأْسِ شَيْطَانٍ وَبَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ عَلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ لِأَنَّهُ لَا يُكَيَّفُ مَا لَا يُرَى.....

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: وَجْهٌ هَذَا الْحَدِيثِ وَمَعْنَاهُ عِنْدَنَا حَمْلُهُ عَلَى مَجَازِ اللَّفْظِ وَاسْتِعَارَةِ الْقَوْلِ وَاتِّسَاعِ الْكَلَامِ وَقَالُوا أَرَادَ بِذِكْرِهِ ﷺ قَرْنَ الشَّيْطَانِ أُمَّةً تَعْبُدُ الشَّمْسَ وَتَسْجُدُ لَهَا وَتُصَلِّي فِي حِينِ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَكَانَ ﷺ يَكْرَهُ التَّشَبُّهَ بِالْكَفَّارِ وَيُحِبُّ مُخَالَفَتَهُمْ وَبِذَلِكَ وَرَدَتْ سُنَنُهُ ﷺ وَكَأَنَّهُ أَرَادَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ يَفْصِلَ دِينَهُ مِنْ دِينِهِمْ إِذْ هُمْ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ وَحَزْبُهُ فَتَنَى عَنِ الصَّلَاةِ فِي تِلْكَ الْأَوْقَاتِ لِذَلِكَ وَهَذَا التَّأْوِيلُ جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ مَعْرُوفٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِأَنَّ الْأُمَّةَ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ قَرْنًا وَالْأُمَّمُ قُرُونًا...

وَجَائِزٌ أَنْ يُضَافَ الْقَرْنُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِطَاعَتِهِمْ فِي ذَلِكَ لِشَيْطَانٍ وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ الْكَفَّارَ حِزْبَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا أَعْرَفُ فِي اللُّغَةِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ فِيهِ إِلَى إِكْثَارٍ... وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي ظَاهِرِهَا حُجَّةٌ لِلْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِقَوْلِهِ فِيهَا بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ عَلَى مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَأْوِيلِهِ..^{٩٠}

وقد نهينا عن الصلاة في هذين الوقتين، والصحيح أن الصلاة في هذين الوقتين جائزة، إذا كان لها سبب كتحية المسجد، ولا تجوز بلا سبب كالنفل المطلق؛ لقوله ﷺ: (لا تحينوا)؛ أي لا تتقصدوا.

ومما ورد فيه ذكر قرن الشيطان حديث البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَالَ: «هَآ إِنِ الْفِتْنَةُ هَآ هُنَا، إِنِ الْفِتْنَةُ هَآ هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»^{٩١}

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا» قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا»

^{٩٠} - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٦ / ٤)

^{٩١} - صحيح البخاري (٤ / ١٢٣) (٣٢٧٩) والمراد بقوله: (حين يطلع قرن الشيطان)؛ أي جهة الشرق.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ، وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»^{٩٢}

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ انْقَلَبَ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدُنَا وَصَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمْنِنَا» فَقَالَ رَجُلٌ: وَالْعِرَاقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدُنَا وَصَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي حَرَمِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمْنِنَا» فَقَالَ رَجُلٌ: وَالْعِرَاقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ تَمَّ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَتَهْجِجُ الْفِتَنُ»^{٩٣}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ «الْإِيمَانُ يَمَانٌ هَا هُنَا، أَلَا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغَلْظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أَصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةٍ، وَمُضَرٍّ»^{٩٤}

قَالَ الْمُهَلَّبُ: إِنَّمَا تَرَكَ ﷺ الدُّعَاءَ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ لِيَضَعُوهَا عَنِ الشَّرِّ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ فِي جِهَتِهِمْ لَاسْتِبْلَاءِ الشَّيْطَانِ بِالْفِتَنِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: "قَرْنُ الشَّمْسِ" فَقَالَ الدَّوْدِيُّ: لِلشَّمْسِ قَرْنٌ

^{٩٢} - صحيح البخاري (٣٣/٢) (١٠٣٧) و(٥٤/٩) (٧٠٩٤) والسنن الواردة في الفتن للداي (١/٢٥١) (٤٦) [ش الحديث في صورة الموقوف على ابن عمر رضي الله عنه وهو في الحكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأن مثله لا يقال بالرأي وقد جاء مرفوعاً في الرواية التي ستأتي في كتاب الفتن (بارك) من البركة وهي الزيادة والنماء وكثرة الخير. (شامنا ويمنا) هي البلدان المعروفة ببلاد الشام وبلاد اليمن. (نجدنا) ما ارتفع من بلاد العرب إلى أرض العراق. (قرن الشيطان) جماعته وحزبه]

^{٩٣} - صحيح البخاري (٤/١٢٨) (٣٣٠٢) وصحيح مسلم (١/٧١) (٨١) - (٥١) [(عند أصول أذنان الإبل) أي إنهم يبعدون عن المدن لرعي إبلهم فيجهلون معالم دينهم. (قرنا الشيطان) جانباً رأسه والمراد ظهور ما لا يحمد من الأمور والمزيد من تسلط الشيطان وانتشار الكفر. أو المراد أن الشيطان ينتصب في محاذاة الشمس عند طلوعها فتطلع بين جانبي رأسه فإذا سجد عبدة الشمس لها عند الشروق كان السجود له. (ربيعة ومضر) بدل من الفدادين]

^{٩٤} - صحيح البخاري (٤/١٢٨) (٣٣٠٢) [ش (عند أصول أذنان الإبل) أي إنهم يبعدون عن المدن لرعي إبلهم فيجهلون معالم دينهم. (قرنا الشيطان) جانباً رأسه والمراد ظهور ما لا يحمد من الأمور والمزيد من تسلط الشيطان وانتشار الكفر. أو المراد أن الشيطان ينتصب في محاذاة الشمس عند طلوعها فتطلع بين جانبي رأسه فإذا سجد عبدة الشمس لها عند الشروق كان السجود له. (ربيعة ومضر) بدل من الفدادين]

حَقِيقَةً وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْقَرْنِ قُوَّةَ الشَّيْطَانِ وَمَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْإِضْلَالِ، وَهَذَا
أَوْجَهُ، وَقِيلَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَقْرِنُ رَأْسَهُ بِالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا لِيَقَعَ سُجُودُ عِبَادَتِهَا لَهُ قِيلَ
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلشَّمْسِ شَيْطَانٌ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْقَرْنُ الْأُمَّةُ
مِنَ النَّاسِ يَحْدُثُونَ بَعْدَ فَنَاءِ آخَرِينَ، وَقَرْنُ الْحَيَّةِ أَنْ يُضْرَبَ الْمَثَلُ فِيهَا لَا يُحْمَدُ مِنَ
الْأُمُورِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ كَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ أَهْلُ كُفْرٍ فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْفِتْنَةَ تَكُونُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ
فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ، وَأَوَّلُ الْفِتَنِ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
وَذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ الشَّيْطَانُ وَيَفْرَحُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْبِدْعُ نَشَأَتْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ، وَقَالَ
الْخَطَّابِيُّ: نَجِدُ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَمَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ نَجْدُهُ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ وَنَوَاحِيهَا
وَهِيَ مَشْرِقُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَصْلُ النَّجْدِ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ خِلَافُ الْعَوْرِ فَإِنَّهُ مَا
انْخَفَضَ مِنْهَا وَتِهَامَةٌ كُلُّهَا مِنَ الْعَوْرِ وَمَكَّةٌ مِنْ تِهَامَةٍ انْتَهَى .^{٩٥}



^{٩٥} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (١٣ / ٤٦)

المبحث الرابع

قدرات الجن

المسلم يؤمن بأن الله -عز وجل- منح الجن قدرات خاصة لم يمنحها للإنس جميعاً، ومن هذه القدرات سرعة التنقل الفائق، والقوة العظيمة التي تدل على عظمة الخالق - سبحانه-، كما جاء في قصة سليمان عليه السلام، عندما أراد أن يثبت للملكة سبأ عظم ما أعطاه الله -عز وجل- له من نعم عظيمة وآلاء جلييلة، قال تعالى: { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) [النمل/٣٨-٤٠].

قال سليمان مخاطباً من سخرهم الله له من الجن والإنس: أيكم يأتيني بسرير ملكها العظيم قبل أن يأتوني منقادين طائعين؟

قال مارِد قوِيٌّ شديد من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا، وإني لقويٌّ على حمّله، أمين على ما فيه، آتي به كما هو لا أنقص منه شيئاً ولا أبدله.

قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك بهذا العرش قبل ارتداد أجفانك إذا تحرّكت للنظر في شيء. فأذن له سليمان فدعا الله، فأتى بالعرش. فلما رآه سليمان حاضراً لديه ثابتاً عنده قال: هذا من فضل ربي الذي خلّقي وخلق الكون كله؛ ليختبرني: أأشكر بذلك اعتراًفاً بنعمته تعالى عليّ أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر لله على نعمه فإنّ نفع ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة^{٩٦}.

^{٩٦} - التفسير الميسر - (٦ / ٤٨٧)

والمسلم يؤمن بأن الجن يستطيعون التحليق في الفضاء الخارجي، وكانوا يستمعون إلى السماء، وينقلون أخبارها إلى الكهنة بعد إضافة كثير من الأكاذيب إليها، فلما بعث الله - عز وجل - النبي ﷺ حُرِسَت السماء بالشهب والملائكة، يقول الله - عز وجل - على لسان أحد الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) [الجن/٨، ٩].
وَأَنَا - معشر الجن - طلبنا بلوغ السماء؛ لاستماع كلام أهلها، فوجدناها ملئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يُرمى بها من يقترب منها.

وَأَنَا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع؛ لنستمع إلى أخبارها، فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهابًا بالمرصاد، يُحرقه ويهلكه. وفي هاتين الآيتين إبطال مزاعم السحرة والمشعوذين، الذين يدعون علم الغيب، ويغررون بضعة العقول؛ بكذبهم وافترائهم.^{٩٧}

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُفَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" (أخرجه البخاري)^{٩٨}.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاسٌ عَنِ الْكُفَّانِ، فَقَالَ: «لَيْسَ بِشَيْءٍ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

^{٩٧} - التفسير الميسر - (١٠ / ٢٧٩)

^{٩٨} - صحيح البخاري (٤ / ١١١) (٣٢١٠)

[ش (فتسرق) تختلس وتستمع ستخفية كالسارق. (فتوحه) فتلقه. (الكهان) جمع كاهن وهو الذي يتعاطى الإخبار عن الكائنات في المستقبل ويدعي معرفة الأسرار]

العَنَان بالفتح: السَّحَاب ، والواحدة عَنَانَةٌ ، والعَنَان: سَيْرُ اللَّحَامِ = السَّحَابُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِالسَّحَابِ السَّمَاءَ ، كَمَا أَطْلَقَ السَّمَاءَ عَلَى السَّحَابِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَأَنَّ بَعْضَ الْمَلَائِكَةِ إِذَا نَزَلَ بِالْوَحْيِ إِلَى الْأَرْضِ تَسْمَعُ مِنْهُمْ الشَّيَاطِينُ، أَوْ الْمُرَادُ الْمَلَائِكَةُ الْمُؤَكَّلَةُ بِإِثْرَالِ الْمَطَرِ. فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٢٩٤)

﴿تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا مِنَ الْجَنِّيِّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلُطُونَ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةً﴾^{٩٩}.

والمسلم يؤمن بأن الله -عز وجل- قد سخر الجن لسليمان، يغوصون في البحر، ويستخرجون له من خيرات، ويبنون له القصور الشاخصات، وقد جعلهم الله -عز وجل- من جنود سليمان عليه السلام، قال تعالى: {وَحْشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (١٧) سورة النمل.

وجُمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم، فهم على كثرهم لم يكونوا مهملين، بل كان على كل جنس من يرُدُّ أولهم على آخرهم؛ كي يقفوا جميعاً منتظمين^{١٠٠}.

وقال تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوهاً شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاً شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) [سبأ/١٢، ١٣]}.

وسخَّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء، وسخَّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة.

يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج، وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء، وقُدور ثابتات لا تتحرك من أماكنها

^{٩٩} - صحيح البخاري (١٣٦/٧) (٥٧٦٢)

[ش (عن الكهان) أي قولهم وهل يصدقون في هذا. (ليس بشيء) يعتمد عليه لأنه لا أصل له. (حقاً) واقعاً وثابتاً. (تخطفها) من الخطف وهو الأخذ بسرعة. (الجنى) واحد الجن وهم خلق من خلق الله تعالى مكلفون كالإنس وإن اختلفوا عنهم في صفاتهم. (فيقرأها) يصبها. (وليه) أي الكاهن الذي يواليه.]

^{١٠٠} - التفسير الميسر - (٦ / ٤٧٢)

لعظمتهم، وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتناله أمره، وقليل من عبادي من يشكر الله كثيرًا، وكان داود وآله من القليل^{١٠١}.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (٨٢) سورة الأنبياء.

وسخرنا لسليمان من الشياطين شياطين يستخدمهم فيما يعجز عنه غيرهم، فكانوا يغوصون في البحر يستخرجون له اللآلئ والجواهر، وكانوا يعملون كذلك في صناعة ما يريد من غيرهم، لا يقدر على الامتناع مما يريد من غيرهم، حفظهم الله له بقوته وعزه سبحانه وتعالى^{١٠٢}.

"ولا شك أن الجن يتطورون ويتشكلون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وفي صور الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفي صور الطير وفي صور بني آدم"^{١٠٣}.

فالمسلم يؤمن أن للجن قدرة على تغيير أشكالهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكلفني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذه، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبت، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة»، قال: قلت: يا رسول الله، شكاً حاجة شديدة، وعيلاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك، وسيعود»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذه، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك»، قلت: يا رسول الله، شكاً حاجة شديدة، وعيلاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذه، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث

^{١٠١} - التفسير الميسر - (٧ / ٣٨٩)

^{١٠٢} - آكام المرجان في أحكام الجان (ص: ٤٠)

^{١٠٣} - التفسير الميسر - (٥ / ٤٩٨)

مَرَّاتٍ، أَنْتَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلِّيتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أُسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلِّيتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أُحْرَصَ شَيْءٌ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ» (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ) ١٠٤.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ «إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنَّ تَفَلَّتَ عَلَى الْبَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَى الصَّلَاةِ، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرِيطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (٣٥) سُورَةُ ص» (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ) ١٠٥. ذَعَتُهُ: خَنْقَةٌ. وَالدَّعْتُ: أَشَدُّ الْخَنْقِ.

١٠٤ - صحيح البخاري (٣/ ١٠١) (٢٣١١) معلقا وشعب الإيمان (٤/ ٥٣) (٢١٧٠) موصولا صحيح

[ش (آت) اسم فاعل من أتى وأصله آت فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. (يحثو) يأخذ بكفيه. (علي عيال) نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء. (أسيرك) سمي أسيرا لأنه ربطه بحبل وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل. (البارحة) أقرب ليلة مضت. (فرصته) ترقبته. (آية الكرسي) الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا وهي قوله تعالى {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}. إلى آخر الآية / البقرة ٢٥٥. / (وكانوا) أي الصحابة يحرصون على تعلم الخير فيأخذونه حيثما صدر ويبدلون في سبيله كل شيء من متاع الدنيا. (قد صدقك) أخبرك بما يوافق الواقع والحق. (وهو كذوب) من شأنه وخلقه كثرة الكذب]

١٠٥ - برقم (٤٦١ و ١٢١٠ و ٣٢٨٤ و ٣٤٢٣ و ٤٨٠٨)

وعن يسير بن عمرو قال: ذكّرنا الغيلانَ عندَ عمرَ فقال: «إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَيَّرَ عَنْ صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَلَكِنْ لَهُمْ سَحَرَةٌ كَسَحَرَتِكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَادْنُوهُ».^{١٠٦}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْغِيلَانِ؟ قَالَ: هُم سَحَرَةُ الْجِنِّ.^{١٠٧}

والجنُّ يُشَاهَدُ وَيُسْمَعُ وَيَتَشَكَّلُ فِي عِدَّةِ أَشْكَالٍ وَكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي عَهْدِنَا وَقَبْلَ عَهْدِنَا شَاهِدٌ وَسَمِعَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. وَهَنَّاكَ بَعْضُ الْأَحْيَاءِ مِنْ غَيْرِ الْإِنْسِ يَرُونَ الْجِنَّ كَالْحِمَارِ وَالْكَلْبِ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكَلَابِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَقْلُوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَّاتِ الرَّجُلُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْثُ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَغَطُّوا الْجِرَارَ، وَأَكْفَتُوا الْآنِيَةَ.^{١٠٨}

والشيطان كما هو مستقر في الأذهان أنه قبيح الصورة، وهذا حق، فإن الله عز وجل شبه ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين، لما علم من قبح صورهم وأشكالهم. كما قال تعالى: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)} [الصفافات: ٦٢ - ٦٥]

^{١٠٦} - مكائد الشيطان (ص: ٢٤) (٢) صحيح موقوف

^{١٠٧} - الجامع لابن وهب ت مصطفى أبو الخير (ص: ٧٢٥) (٦٣٢) ومكائد الشيطان (ص: ٢٤) (٣) صحيح

مرسل

إِنَّ الْغِيلَانَ سَحَرَةُ الْجِنِّ، تَسْحَرُ النَّاسَ، وَتَفْتِنُهُمْ بِالْإِضْلالِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْعُؤْلُ وَالْعُؤْلُ يَقَعَانِ عَلَى مَعْنَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الْبُعْدُ، وَالْآخَرُ: الْإِهْلَاكُ، فَالْعُؤْلُ: الْمَصْدَرُ، وَالْعُؤْلُ: الْأَسْمُ. شرح السنة للبغوي (١٢ / ١٧٣)

^{١٠٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) [٤٢ / ٥] (١٤٢٨٣) ١٤٣٣٤ صحيح

قِيلَ: هُوَ شَجَرٌ مِنْ أَحَبَثِ الشَّجَرِ يَكُونُ بُتْهَامَةً وَبِالْبَلَادِ الْمُجَدِيَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِلصَّحَرَاءِ كَرِيهَةً الرَّائِحَةِ صَغِيرَةُ الْوَرَقِ مَسْمُومَةٌ ذَاتُ لَبَنٍ إِذَا أَصَابَ جِلْدَ الْإِنْسَانِ تَوَرَّمَ وَمَاتَ مِنْهُ فِي الْعَالِبِ. قَالَهُ قُطْرُبٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ.

وَرُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرَادًا بِهَا رُؤُوسُ شَيَاطِينِ الْجِنِّ جَمْعُ شَيْطَانٍ بِالْمَعْنَى الْمَشْهُورِ وَرُؤُوسُ هَذِهِ الشَّيَاطِينِ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ لَهُمْ، فَالتَّشْبِيهُ بِهَا حَوَالَةً عَلَى مَا تُصَوِّرُ لَهُمُ الْمُخَيَّلَةُ، وَطَلَعُ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ فَوُصِفَ لِلنَّاسِ فَطِيعًا بِشَعًا، وَشُبِّهَتْ بِشَاعَتِهِ بِشَاعَةِ رُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ، وَهَذَا التَّشْبِيهُ مِنْ تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَعْقُولِ كَتَشْبِيهِهِ الْإِيمَانِ بِالْحَيَاةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: لَتُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا [يس: ٧٠] وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ هُنَا تَقْرِيبُ حَالِ الْمُشَبَّهِ فَلَا يَمْتَنِعُ كَوْنُ الْمُشَبَّهِ بِهِ غَيْرَ مَعْرُوفٍ وَلَا كَوْنُ الْمُشَبَّهِ كَذَلِكَ.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: وَمَسْئُونَةُ زُرْقٍ كَأَثَابِ أَغْوَالٍ وَقِيلَ: أُرِيدَ بِرُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ ثَمَرُ الْأَسْتَنِ، وَالْأَسْتَنْ (بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ السِّينِ وَفَتْحِ التَّاءِ) شَجَرَةٌ فِي بَادِيَةِ الْيَمَنِ يُشَبَّهِ شُخُوصَ النَّاسِ وَيُسَمَّى ثَمَرُهُ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ، وَإِنَّمَا سَمَّوْهُ كَذَلِكَ لِشَاعَةِ مَرَاهِ ثُمَّ صَارَ مَعْرُوفًا، فَشَبَّهَ بِهِ فِي الْآيَةِ.^{١٠٩}

وَقَدْ يَظْهَرُ بِشَكْلِ الْإِنْسَانِ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ، فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ مِنَ الْإِنْسِ، فَعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتِمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَحْدِثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرَفُ وَجْهَهُ، وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ"^{١١٠}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً، أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا»^{١١١}

^{١٠٩} -التحرير والتنوير [٢٣/ ١٢٢]

^{١١٠} -صحيح مسلم (١/ ١٢)

^{١١١} -صحيح مسلم (١/ ١٢)

[ش (العاص) أكثر ما يأتي في كتب الحديث والفقهاء بحذف الباء وهي لغة والفصح الصحيح العاصي بإثبات الياء (يوشك) معناه يقرب ويستعمل أيضا ماضيا فيقال أوشك كذا أي قرب]

وعن مُسْلِمٍ بَنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»^{١١٢}

وَعَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَطُوفَ إِبْلِيسُ فِي الْأَسْوَاقِ وَيَقُولُ: حَدَّثَنَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بِكَذَا وَكَذَا.^{١١٣}

وَعَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ رَأَى قَاصًّا يَقْصُ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ أَوْ نَحْوِهِ قَالَ: فَطَلَبْتُهُ فَإِذَا هُوَ شَيْطَانُ.^{١١٤}

وَعَنْ عِيسَى بَنِ أَبِي فَاطِمَةَ الْفَزَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ شَيْخٍ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ أَكْتُبُ عَنْهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ الشَّيْبَانِيُّ فَقَالَ رَجُلٌ: حَدَّثَنِي الشَّيْبَانِيُّ فَقَالَ عَنِ الشَّعْبِيِّ فَقَالَ: حَدَّثَنِي الشَّعْبِيُّ فَقَالَ عَنِ الْحَارِثِ فَقَالَ قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتُ الْحَارِثَ وَسَمِعْتُ مِنْهُ قَالَ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتُ عَلِيًّا وَشَهِدْتُ مَعَهُ صَفَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قَرَأْتُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فَلَمَّا قُلْتُ وَلَا يُوَدُّهُ حَفِظُهُمَا التَّفْتُ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا.^{١١٥}

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَالْجَنُّ يَتَصَوَّرُونَ فِي صُورِ الْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ فَيَتَصَوَّرُونَ فِي صُورِ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ وَغَيْرِهَا وَفِي صُورِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ وَفِي صُورِ الطَّيْرِ وَفِي صُورِ بَنِي آدَمَ كَمَا أَتَى الشَّيْطَانُ قُرَيْشًا فِي صُورَةِ سُرَّاقَةِ بَنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ لَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ إِلَى بَدْرٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ { [الأنفال: ٤٨] }

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "جَاءَ إِبْلِيسُ يَوْمَ بَدْرٍ فِي جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَعَهُ رَأْيَتُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ فِي صُورَةِ سُرَّاقَةِ بَنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلْمُشْرِكِينَ: لَا

^{١١٢} - صحيح مسلم (١/ ١٢) - ٧ - (٧)

^{١١٣} - دلائل النبوة للبيهقي محققا (٦/ ٥٥١) حسن

^{١١٤} - دلائل النبوة للبيهقي محققا (٦/ ٥٥١)

^{١١٥} - دلائل النبوة للبيهقي محققا (٦/ ٥٥١)

غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ، فَلَمَّا اصْطَفَى النَّاسُ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْضَةً مِنَ الثَّرَابِ، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ. وَأَقْبَلَ جَبْرِيلُ إِلَى إِبْلِيسَ، فَلَمَّا رَأَاهُ، وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، انْتَرَعَ إِبْلِيسُ يَدَهُ، فَوَلَّى مُدْبِرًا هُوَ وَشِيعَتُهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا سُرَاقَةَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ؟ قَالَ: {إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ { [الأنفال: ٤٨] وَذَلِكَ حِينَ رَأَى الْمَلَائِكَةَ "١١٦"

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، فِي قَوْلِهِ: " {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} [الأنفال: ٤٨] فَذَكَرَ اسْتِدْرَاجَ إِبْلِيسَ إِيَّاهُمْ وَتَشَبُّهَهُ بِسُرَاقَةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ حِينَ ذَكَرُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ مِنَ الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ. يَقُولُ اللَّهُ: {فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ} [الأنفال: ٤٨] وَنَظَرَ عَدُوُّ اللَّهِ إِلَى جُنُودِ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَدْ أَيْدَ اللَّهُ بِهِمْ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ {نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ} إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ { [الأنفال: ٤٨] وَصَدَقَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّهُ رَأَى مَا لَا يَرَوْنَ. وَقَالَ: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: ٤٨]، فَأَوْرَدَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ لَا يُنْكِرُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ، كَانَ الَّذِي رَأَاهُ حِينَ نَكَصَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ أَوْ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْجُمَحِيُّ، فَذَكَرَ أَحَدُهُمَا فَقَالَ: أَيْنَ سُرَاقَةُ؟ أَسْلَمْنَا عَدُوَّ اللَّهِ وَذَهَبَ "١١٧"

وَكَمَا رَوَى أَنَّهُ تَصَوَّرَ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِيٍّ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِدَارِ النَّدْوَةِ هَلْ يَقْتُلُوا الرَّسُولَ أَوْ يَحْسِبُونَهُ أَوْ يُخْرِجُونَهُ؟ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ أَشْرَافِ كُلِّ قَبِيلَةٍ، اجْتَمَعُوا لِيَدْخُلُوا دَارَ النَّدْوَةِ وَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، سَمِعْتُ بِمَا اجْتَمَعْتُمْ لَهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضَرَكُمْ وَلَكِنْ يَعْذِمُكُمْ مِنِّي رَأْيِي وَنُصِحْتُ قَالُوا: أَجَلٌ فَادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ قَالَ: انْظُرُوا فِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ فَوَ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يُؤَاتِبَكُمْ فِي أَمْرِكُمْ بِأَمْرِهِ فَقَالَ قَائِلٌ: احْسِبُوهُ فِي وَثَاقٍ ثُمَّ

١١٦ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١ / ٢٢١) حسن

١١٧ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١ / ٢٢٢) وسيرة ابن هشام ت السقا (١ / ٦٦٣) بلا سند

تَرَبَّصُوا بِهِ الْمُتُونِ حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ زُهَيْرٌ وَنَابِغَةُ، فَإِنَّمَا هُوَ كَأَحَدِهِمْ، فَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ - الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لَّا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ وَاللَّهِ لَيُخْرِجَنَّ رَأْيُهُ مِنْ مَحَبْسِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلْيُوشِكَنَّ أَنْ يَثْبُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يَمْنَعُوهُ مِنْكُمْ فَمَا آمَنَ عَلَيْكُمْ أَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ، فَاَنْظُرُوا فِي غَيْرِ هَذَا الرَّأْيِ، فَقَالَ قَائِلٌ: فَأَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ فَاسْتَرْجِعُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ إِذَا خَرَجَ لَمْ يَضُرَّكُمْ مَا صَنَعَ وَأَيْنَ وَقَعَ وَإِذَا غَابَ عَنْكُمْ أَذَاهُ اسْتَرْحِطْ مِنْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فِي غَيْرِكُمْ فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حَلَاوَةَ قَوْلِهِ وَطَلَاقَةَ لِسَانِهِ وَأَخَذَهُ لِلْقُلُوبِ بِمَا يَسْتَمِعُ مِنْ حَدِيثِهِ؟ وَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتُمْ ثُمَّ اسْتَعْرَضَ الْعَرَبَ لِيَجْتَمِعَنَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لَيَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ وَيَقْتُلَ أَشْرَافَكُمْ، قَالُوا: صَدَقَ وَاللَّهِ، فَاَنْظُرُوا رَأْيَا غَيْرَ هَذَا، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَا شِيرَنَّ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مَا أَرَى أَبْصَرْتُموهُ بَعْدَ مَا أَرَى غَيْرَهُ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ غُلَامًا سَيِّطًا شَابًّا نَهْدًا، ثُمَّ نَعْطِي كُلَّ غُلَامٍ مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ بِعَيْنِي: ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا فَلَا أَظُنُّ هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقُومُونَ عَلَى حَرْبٍ قُرَيْشٍ كُلِّهِمْ، وَأَنْتُمْ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ قِيلُوا الْعَقْلَ وَاسْتَرْحِطْنَا وَقَطَعْنَا عَنَّا أَذَاهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الرَّأْيُ الْقَوْلُ، مَا قَالَ الْفَتَى لَّا رَأْيَ غَيْرَهُ فَتَفَرَّغُوا عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ، قَالَ: فَآتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ، وَأَخْبَرَهُ بِمَكْرِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَبِيتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْخُرُوجِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ فِي الْأَنْفَالِ يَذْكُرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَبَلَاءَهُ عِنْدَهُ { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال: ٣٠] ١١٨

فَإِذَا كَانَ حَيَاتُ الْبُيُوتِ قَدْ تَكُونُ جَنًّا فَتُؤْذَنُ ثَلَاثًا فَإِنْ ذَهَبَتْ وَإِلَّا قُتِلَتْ، فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ حَيَّةً قُتِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ جَنِّيَّةً فَقَدْ أَصْرَتْ عَلَى الْعُدُوَانِ بِظُهُورِهَا لِلنَّاسِ فِي صُورَةٍ

حَيَّةٌ تُفَرِّغُهُمْ بِذَلِكَ، وَالْعَادِي هُوَ الصَّائِلُ الَّذِي يَجُوزُ دَفْعُهُ بِمَا يَدْفَعُ ضَرَرَهُ وَلَوْ كَانَ قَتْلًا، وَأَمَّا قَتْلُهُمْ بِدُونِ سَبَبٍ يُبِيحُ ذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ.

وَأَهْلُ الْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ يُقْسِمُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ لِيُعِينَهُمْ عَلَى بَعْضِ تَارَةٍ يَبْرُونَ قِسْمَهُ، وَكَثِيرًا لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْجَنِّي مُعْظَمًا عِنْدَهُمْ وَلَيْسَ لِلْمُعْزَمِ وَعَزِيمَتِهِ مِنَ الْحُرْمَةِ مَا يَقْتَضِي إِعَانَتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ كَانَ الْمُعْزَمُ قَدْ يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يُحْلَفُ غَيْرُهُ وَيُقْسَمُ عَلَيْهِ بِمَنْ يُعْظَمُهُ، وَهَذَا تَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُ فَمَنْ أَقْسَمَ عَلَى النَّاسِ لِيُؤْذُوا مَنْ هُوَ عَظِيمٌ عِنْدَهُمْ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ وَقَدْ يَكُونُ ذَاكَ مَنِعًا، فَأَحْوَالُهُمْ شَبِيهَةٌ بِأَحْوَالِ الْإِنْسِ لَكِنَّ الْإِنْسَ أَعْقَلُ وَأَصْدَقُ وَأَعْدَلُ وَأَوْفَى بِالْعَهْدِ، وَالْجَنُّ أَجْهَلُ وَأَكْذَبُ وَأَظْلَمُ وَأَغْدَرُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَرْبَابَ الْعَزَائِمِ مَعَ كَوْنِ عَزَائِمِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى شِرْكِ وَكُفْرٍ لَا تَجُوزُ الْعَزِيمَةُ وَالْقَسَمُ بِهِ فَهُمْ كَثِيرًا مَا يَعْجِزُونَ عَنْ دَفْعِ الْجَنِّيِّ وَكَثِيرًا مَا تَسْخَرُ مِنْهُمْ الْجِنُّ إِذَا طَلَبُوا مِنْهُمْ قَتْلَ الْجَنِّيِّ الصَّارِعِ لِلْإِنْسِ أَوْ حَبْسَهُ فَيُخَيَّلُوا إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ أَوْ حَبَسُوهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ تَخْيِيلًا وَكَذِبًا هَذَا إِذَا كَانَ الَّذِي يَرَى مَا يُخَيَّلُونَهُ صَادِقًا فِي الرُّؤْيَةِ فَإِنَّ عَامَّةَ مَا يَعْرِفُونَهُ لَمَنْ يُرِيدُونَ تَعْرِيفَهُ إِمَّا بِالْمُكَاشَفَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ إِنْ كَانَ مِنْ جِنْسِ عِبَادِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَمُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ تُضَلُّهُمْ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ، وَأَمَّا مَا يُظْهِرُونَهُ لِأَهْلِ الْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ أَنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ مَا يُرِيدُونَ تَعْرِيفَهُ فَإِذَا رَأَى الْمِثَالَ أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ يَعْرِفُ أَنَّهُ مِثَالٌ وَقَدْ يُوهِمُونَهُ أَنَّهُ نَفْسُ الْمُرْتَبِيِّ، وَإِذَا أَرَادُوا سَمَاعَ كَلَامٍ مِنْ يُنَادِيهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ مِثْلَ مَنْ يَسْتَعِيثُ بِبَعْضِ الْعِبَادِ الضَّالِّينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَأَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ عِبَادِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا اسْتَعَاثَ بِهِ بَعْضُ مُحِبِّيهِ فَقَالَ: يَا سَيِّدِي فَلَانُ فَإِنَّ الْجَنِّيَّ يُخَاطَبُهُ بِمِثْلِ صَوْتِ ذَلِكَ الْإِنْسِيِّ فَإِذَا رَدَّ الشَّيْخُ عَلَيْهِ الْخُطَابَ أَجَابَ ذَلِكَ الْإِنْسِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الصَّوْتِ وَهَذَا وَقَعَ لَعَدَدٍ كَثِيرٍ أَعْرِفُ مِنْهُمْ طَائِفَةً.

وَكَثِيرًا مَا يَتَصَوَّرُ الشَّيْطَانُ بِصُورَةِ الْمَدْعُوِّ الْمُنَادِي الْمُسْتَعَاثَ بِهِ إِذَا كَانَ مَيِّتًا. وَكَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ حَيًّا وَلَا يَشْعُرُ بِالَّذِي نَادَاهُ؛ بَلْ يَتَصَوَّرُ الشَّيْطَانُ بِصُورَتِهِ فَيُظَنُّ الْمُشْرِكُ الضَّالُّ

الْمُسْتَغِيثُ بِذَلِكَ الشَّخْصِ أَنَّ الشَّخْصَ نَفْسَهُ أَجَابَهُ وَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ، وَهَذَا يَقَعُ
لِلْكَفَّارِ الْمُسْتَغِيثِينَ بِمَنْ يُحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ كَالنَّصَارَى الْمُسْتَغِيثِينَ
بِمَرْجَسٍ وَغَيْرِهِ مِنْ قَدَادِيسِهِمْ، وَيَقَعُ لِأَهْلِ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ مِنَ الْمُتَسَيِّبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ
الَّذِينَ يَسْتَغِيثُونَ بِالْمَوْتَى وَالْعَائِينَ، يَتَصَوَّرُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الْمُسْتَعَاثِ بِهِ
وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. وَأَعْرِفُ عَدَدًا كَثِيرًا وَقَعَ لَهُمْ فِي عِدَّةِ أَشْخَاصٍ يَقُولُ لِي كُلُّ مَنْ
الْأَشْخَاصِ: أَنِّي لَمْ أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا اسْتَعَاثَ بِي وَالْمُسْتَغِيثُ قَدْ رَأَى ذَلِكَ الَّذِي هُوَ عَلَى
صُورَةِ هَذَا وَمَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ إِلَّا هَذَا. وَذَكَرَ لِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُمْ اسْتَعَاثُوا بِي كُلُّ يَذْكُرُ قِصَّةً
غَيْرَ قِصَّةِ صَاحِبِهِ فَأَخْبَرْتُ كُلًّا مِنْهُمْ أَنِّي لَمْ أُجِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَلَا عَلِمْتُ بِاسْتَعَاثَتِهِ
فَقِيلَ: هَذَا يَكُونُ مَلَكًا فَقُلْتُ: الْمَلِكُ لَا يُغِيثُ الْمُشْرِكِ إِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ أَرَادَ أَنْ
يُضِلَّهُ. ١١٩

وَكَذَلِكَ يَتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ وَيَقِفُ بِعَرَافَاتٍ فَيُظَنُّ مَنْ يُحْسِنُ بِهِ الظَّنَّ أَنَّهُ وَقَفَ
بِعَرَافَاتٍ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ حَمَلَهُ الشَّيْطَانُ إِلَى عَرَافَاتٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْحَرَمِ فَيَتَجَاوَزُ الْمِيقَاتَ
بِلَا إِحْرَامٍ وَلَا تَلْبِيَةٍ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَلَا بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَفِيهِمْ مَنْ لَا يَعْبُرُ مَكَّةَ وَفِيهِمْ
مَنْ يَقِفُ بِعَرَافَاتٍ وَيَرْجِعُ وَلَا يَرْمِي الْجِمَارَ إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُضِلُّهُمْ بِهَا
الشَّيْطَانُ حَيْثُ فَعَلُوا مَا هُوَ مِنْهُي عَنْهُ فِي الشَّرْعِ إِمَّا مُحَرَّمٌ وَإِمَّا مَكْرُوهٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ
وَلَا مُسْتَحَبٍّ، وَقَدْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّ هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَهُوَ مِنْ تَلْبِيسِ
الشَّيْطَانِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْبُدُ إِلَّا بِمَا هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ، وَكُلُّ مَنْ عَبْدَ عِبَادَةً لَيْسَتْ
وَاجِبَةً وَلَا مُسْتَحَبَّةً وَظَنَّنَهَا وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً فَإِنَّمَا زَيْنَ ذَلِكَ لَهُ الشَّيْطَانُ وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّهُ
عَفَا عَنْهُ لِحُسْنِ قَصْدِهِ وَاجْتِهَادِهِ لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِمَّا يُكْرِمُ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ الْمُتَّقِينَ، إِذْ لَيْسَ
فِي فِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ إِكْرَامٌ بَلِ الْإِكْرَامُ حِفْظُهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَنْعُهُ مِنْهُ؛ فَإِنَّ
ذَلِكَ يُنْقِصُهُ لَا يَزِيدُهُ وَإِنْ لَمْ يُعَاقَبْ عَلَيْهِ بِالْعَذَابِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخَفِّضَهُ عَمَّا كَانَ وَيُخَفِّضُ
أَتْبَاعَهُ الَّذِينَ يَمْدَحُونَ هَذِهِ الْحَالَ وَيُعْظَمُونَ صَاحِبَهَا، فَإِنَّ مَدْحَ الْمُحَرَّمَاتِ

١١٩ - قلت: مفهومه المخالف أن الملك يغيث المؤمن الطائع عند الاضطراب، ولا يجوز إلحاقه بمن يستغيث بالمشركين

أو الضالين كما هو معلوم.

وَالْمَكْرُوهَاتِ وَتَعْظِيمَ صَاحِبِهَا هُوَ مِنَ الضَّلَالِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ فِي
الْبَدْعِ اجْتِهَادًا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا؛ لِأَنَّهَا تُخْرِجُهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ؛ سَبِيلِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ إِلَى بَعْضِ سَبِيلِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ
وَالضَّالِّينَ". ١٢٠



١٢٠ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٤٤) فما بعدها

المبحث الخامس

مساكن الجن

المسلم يؤمن بأن للجن مساكن يسكنون فيها، مثل: الأماكن الخربة، والصحارى، والأماكن النجسة، كالحمامات والمزابل، والأماكن المظلمة. فعن صيفي - وهو عندنا مولى ابن أفلح - أخبرني أبو السائب، مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية فوثبت لأقفلها، فأشار إلي أن اجلس فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم، قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك فريضة، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به وأصابته غيره، فقالت له: اكفف عليك رُمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمتها به، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى، قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له وقُلنا ادع الله يحييه لنا فقال: «استغفروا لصاحبكم» ثم قال: «إن بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً، فاذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك، فاقتلوه، فإنما هو شيطان» (أخرجه مسلم) ١٢١.

١٢١ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٥٦) : ١٣٩ - (٢٢٣٦)

[ش (عراجين) أراد بها الأعواد التي في سقف البيت شبهها بالعراجين والعراجين مفردة عرجون وهو العود الأصفر الذي فيه شواخيد العذق وهو فعلون من الانعراج والانعطاف والواو والنون زائدتان (بأنصاف النهار) أي منتصفه وكأنه وقت لآخر النصف الأول وأول النصف الثاني فجمعه (فاذنوه) هو من الإيدان بمعنى الإعلام (فإن بدا لكم

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْحَمَامَ وَالْمَقْبَرَةَ. ١٢٢

ويكثر تواجد الشياطين في الأماكن التي يستطيعون أن يفسدوا فيها كالأسواق. فعَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصَبُ رَأْيُهُ. ١٢٣.

فليحذر الذين يقضون جُلَّ أوقاتهم في الأسواق من طلوع الشمس حتى غروبها أن لا يكونوا من الذين قد نصب لهم الشيطان رأيته.

بعد ذلك فاقتلوه) قال العلماء معناه وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيت ولا ممن أسلم من الجن بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم]

١٢٢ - صحيح ابن حبان [٤/ ٥٩٨] (١٦٩٩) صحيح رغم إعلاله بالإرسال

(إِلَّا الْحَمَامَ وَالْمَقْبَرَةَ): الْمَقْبَرَةُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الَّذِي يُدْفَنُ فِيهِ الْمَوْتَى، وَالْحَمَامُ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ الْأَوَّلَى هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُغْتَسَلُ فِيهِ بِالْحَمِيمِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْمَاءُ الْحَارُّ، ثُمَّ قِيلَ: لِلْإِعْتِسَالِ بِأَيِّ مَاءٍ كَانَ. وَحِكْمَةُ الْمَنْعِ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ: قِيلَ: هُوَ مَا تَحْتَ الْمُصَلِّي مِنَ النَّجَاسَةِ، وَقِيلَ لِحُرْمَةِ الْمَوْتَى، وَحِكْمَةُ الْمَنْعِ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْحَمَامِ أَنَّهُ يَكْثُرُ فِيهِ النَّجَاسَاتُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَأْوَى الشَّيْطَانِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ إِذَا كَانَتِ الْمَقْبَرَةُ مُخْتَلِطَةً التُّرَابِ بِلُحُومِ الْمَوْتَى وَصَدِيدِهِمْ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ لَمْ تَجُزِ الصَّلَاةُ فِيهَا لِلنَّجَاسَةِ، فَإِنْ صَلَّى الرَّجُلُ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ مِنْهَا أَجَزَّ أَنْ صَلَّاهُ، قَالَ: وَكَذَلِكَ الْحَمَامُ إِذَا صَلَّى فِي مَوْضِعٍ تَطْيِفُ مِنْهُ طَاهِرٌ فَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ. وَعَنْ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: لَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ. وَقَالَ أَبُو نَوْزٍ: لَا يُصَلِّي فِي حَمَامٍ وَلَا فِي مَقْبَرَةٍ عَلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ. وَكَانَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ يَكْرَهُانِ ذَلِكَ وَرُوِيَ الْكَرَاهِيَةُ فِيهِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ. وَاحْتِجَّ بَعْضُ مَنْ لَمْ يُجِزِ الصَّلَاةَ فِي الْمَقْبَرَةِ وَإِنْ كَانَتْ طَاهِرَةً التُّرْبَةَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا مَقَابِرَ " قَالَ: فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَقْبَرَةَ لَيْسَتْ بِمَحَلٍّ لِلصَّلَاةِ. انْتَهَى. قُلْتُ: وَذَهَبَ الثَّوْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ إِلَى كَرَاهَةِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا كَمَا فَرَّقَ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ الْأَشْبَهُ، وَأَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَالْحَادِيثُ تُرَدُّ عَلَيْهِ " عَوْنُ الْمَعْبُودِ [١٨/

١٢٣ - صحيح مسلم (٤/ ١٩٠٦) ١٠٠ - (٢٤٥١) وروي مرفوعا مسند البزار = البحر الزخار (٦/ ٥٠٢) (٢٥٤١) صحيح

[ش (فإنها معركة الشيطان) قال أهل اللغة المعركة موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضها فيها ومصارعتهم فشبه السوق وفعل الشيطان بأهله ونيله منهم بالمعركة لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع والأيمان الخائنة والعقود الفاسدة والنجش والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه والسوم على سومه وبخس المكيال والميزان والسوق تؤنث وتذكر وسميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم (وبها ينصب رأيته) إشارة إلى ثبوته هناك واجتماع أعوانه إليه للتحرش بين الناس وحملهم على هذه المفاصد المذكورة ونحوها فهي موضعه وموضع أعوانه]

وكذلك فإن الشياطين تبيت في البيوت التي يسكنها الناس، وهذا ليس بالغريب. ولكن الغريب أن يغفل الناس عما أرشدنا إليه رسول الله ﷺ فيما يُطرد الشيطان من بيوتنا. فقد أخبرنا المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام في غير ما حديث أن التسمية وذكر الله، وقراءة القرآن، خاصة سورة البقرة، وآية الكرسي منها تطرد الشياطين من البيوت.

فَعَنْ أُمِّمَةَ بْنِ مَخْشِيٍّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - - قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ - ثُمَّ قَالَ « مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ » ١٢٤.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » ١٢٥.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. ١٢٦

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْفَيِّ سَنَةً، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: بِالْفَيِّ عَامٌ، فَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَلِجُ بَيْتًا قُرِئَتْ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ" ١٢٧

١٢٤ - سنن أبي داود - المكثر [٤٠٧/ ٣] (٣٧٧٠) فيه ضعف وله شواهد بمعناه

١٢٥ - صحيح مسلم - المكثر [١٧٨/ ٥] (١٨٦٠)

١٢٦ - صحيح ابن حبان [٥٩/ ٣] (٧٨٠) صحيح

قال أبو حاتم: قوله ﷺ: لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَرَادَ بِهِ مَرَدَّةَ الشَّيَاطِينِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

١٢٧ - السنن الكبرى للنسائي (٣٥٤/ ٩) (١٠٧٣٦ و ١٠٧٣٧) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ فِيهَا آيَةٌ سَيِّدَةٌ آيَةُ الْقُرْآنِ، لَا تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ وَفِيهِ شَيْطَانٌ، إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ^{١٢٨}

وَعَنْ ابْنِ أَبِي كَعْبٍ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ جُرْنٌ فِيهِ تَمْرٌ، وَكَانَ أَبِي يَتَعَاهَدُهُ، فَوَجَدَهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ، فَإِذَا هُوَ بِدَايَةِ تَشْبِهِهِ الْعِلَامِ الْمُحْتَلِمِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ أَجِنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟ قَالَ: جِنٌّ، قَالَ: فَتَنَاوَلْنِي يَدَكَ، فَتَنَاوَلَنِي يَدُهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلَقَ الْجِنَّ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنُّ مَا فِيهِمْ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ لَهُ أَبِي: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ أَبِي: فَمَا الَّذِي يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ، آيَةُ الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ غَدَا أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: صَدَقَ الْخَبِيثُ^{١٢٩}.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ فِيهَا تَمْرٌ، فَكَانَتْ تَجِيءُ الْعُورُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ قَالَ: فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "فَاذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ" قَالَ: فَأَخَذَهَا فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا فَعَلْتَ أُسِيرُكَ؟» قَالَ: حَلَفْتُ أَنْ لَا تَعُودَ فَقَالَ: «كَذَبْتَ، وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ»، قَالَ: فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا فَعَلْتَ أُسِيرُكَ؟» قَالَ: حَلَفْتُ أَنْ لَا تَعُودَ فَقَالَ: «كَذَبْتَ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ»، فَأَخَذَهَا. فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِكَ حَتَّى أَذْهَبَ بِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا آيَةُ الْكُرْسِيِّ أَقْرَأَهَا فِي بَيْتِكَ فَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ، قَالَ: فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا فَعَلْتَ أُسِيرُكَ؟» قَالَ: فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ، قَالَ: «صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ»^{١٣٠}.

^{١٢٨} - المستدرک للحاکم مشکلا [٨٢/ ٣] (٣٠٢٦) حسن لغيره

^{١٢٩} - أخرجه النَّسَائِيُّ، في "عمل اليوم والليلة" (٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢) صحيح

^{١٣٠} - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١٥٨) (٢٨٨٠) صحيح لغيره

السهوة: تشبه الرف أو الخزانة الصغيرة يوضع فيها الشيء

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمُ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، يَتَعَنَّى وَيَدْعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ يَقْرُوهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ، وَإِنْ أَصْفَرَ الْبُيُوتَ الْجَوْفُ الصَّغِيرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^{١٣١}

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «جَرِّدُوا الْقُرْآنَ لِيَرَبُّوهُ فِيهِ صَغِيرُكُمْ، وَلَا يَنَأَى عَنْهُ كَبِيرُكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ يُسْمَعُ تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^{١٣٢}



^{١٣١} - السنن الكبرى للنسائي (٣٥٣ / ٩) (١٠٧٣٣) حسن

^{١٣٢} - السنن الكبرى للنسائي (٣٥٣ / ٩) (١٠٧٣٤) صحيح

المبحث السادس طعام الجن

الجن يأكلون ويشربون، والمسلم يؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ عن طعام الجن، وهو العظم والروثة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لَوْضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «ابْغِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْتَةٍ». فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمَلُهَا فِي طَرْفِ ثَوْبِي، حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْتَةِ؟ قَالَ: «هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفَدُ جِنٌّ نَصِييْنِ، وَنَعِمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِي الرَّادَّ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ، وَلَا بِرَوْتَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا» (أخرجه البخاري) ١٣٣.

وعن عامر، قال: سَأَلْتُ عُلَقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عُلَقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ. قَالَ: فَبَيْنَا بَشَرٌ لَيْلَةَ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قَبْلِ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبَيْنَا بَشَرٌ لَيْلَةَ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَأَنْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الرَّادَّ فَقَالَ: "لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عُلْفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ» (أخرجه مسلم) ١٣٤.

١٣٣ - صحيح البخاري (٤٧ / ٥) (٣٨٦٠)

[ش (ما بال العظم والروثة) أي نهيتي عن الإتيان بها للاستنجاء. (وجدوا عليها طعاما) حقيقة بخلق الله تعالى أو أنها هي تكون طعاما أو العظم طعام لهم والروث علف لدوابهم كما ورد والله تعالى ورسوله أعلم]

١٣٤ - صحيح مسلم (١ / ٣٣٢) ١٥٠ - (٤٥٠)

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِإِدَاوَةٍ لَوْضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ وَقَالَ: فَأَدْرَكَهُ يَوْمًا فَقَالَ: "مَنْ هَذَا؟" قَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: "ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ، وَلَا رَوْثٍ". فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ فِي ثَوْبِي، فَوَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ حَتَّى إِذَا فَرَغَ وَقَامَ تَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثِ؟ فَقَالَ: "أَتَانِي وَفَدُّ نَصِيْبَيْنِ فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِرَوْثَةٍ وَلَا بِعَظْمٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهِ طَعَامًا" ١٣٥
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ، وَلَا بِالْعِظَامِ، فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجَنِّ ١٣٦

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّ كُلِّ خَلْقِكَ قَدْ سَبَبْتُ أَرْزَاقَهُمْ فَمَا رَزَقِي؟ قَالَ: كُلُّ مَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمِي عَلَيْهِ" ١٣٧
ولكي يحترس المسلم من وجود الشيطان معه عند الطعام، فعليه أن يلتزم بآداب الإسلام في تناول الطعام بأن يبدأ باسم الله -تعالى-، ويأكل بيمينه، ولا يأكل بشماله، حتى لا يشاركه الشيطان في أكله، فعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا»، قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا» (أخرجه مسلم) ١٣٨.
وفي هذين الحديثين يا عباد الله نهي من الرسول ﷺ من أن يستنجى أحدنا بالروث والعظام لأنهما طعام إخواننا من الجن المسلمين بدعوة الرسول ﷺ.

[ش (الأودية والشعاب) في المصباح الأودية جمع الوادي وهو كل منفرج بين جبال يكون منفذا للسيل والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل (استطير أو اغتبل) معنى استطير طارت به الجن ومعنى اغتبل قتل سرا والغيلة بالكسر هي القتل خفية]

١٣٥ - السنن الكبرى للبيهقي (١/ ١٧٤) (٥٢٤) صحيح

١٣٦ - مسند أبي عوانة مشكلا [١/ ١١٦] (٤٤٧٩) صحيح

١٣٧ - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥/ ١٦٨٣) صحيح

١٣٨ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٩٩) (١٠٦) - (٢٠٢٠)

"فالقائلون إن الجن لا تأكل ولا تشرب إن أرادوا أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون فهذا قول ساقط لمصادمته الأحاديث الصحيحة وإن أرادوا أن صنفا منهم لا يأكلون ولا يشربون فهو مُحْتَمَلٌ غير أن العمومات تقتضي أن الكل يأكلون ويشربون" آكام المرجان في أحكام الجنان (ص: ٥٦)

قال ابن عبد البر: " وفي هذا الحديث دليل على أن الشياطين يأكلون ويشربون، وقد حمل قوم هذا الحديث وما كان مثله على المجاز فقالوا في قوله إن الشيطان يأكل بشماله إن الأكل بالشمال أكل يحبه الشيطان كما قال في الخمرة زينة الشيطان وفي الاقتعاط بالعمامة عمامة الشيطان أي إن الخمرة ومثل تلك العمة يزيناها الشيطان ويدعو إليها وكذلك يدعو إلى الأكل بالشمال ويزينه وهذا عندي ليس بشيء ولا معنى لحمل شيء من الكلام على المجاز إذا أمكنت فيه الحقيقة بوجه ما وقال آخرون أكل الشيطان صحيح ولكنه تشبُّه واسترواح لا مضغ ولا بلع وإنما المضغ والبلع لذوي الحث ويكون استرواحه وشبهه من جهة شماله ويكون بذلك مشاركا في المال، قال أبو عمر أكثر أهل العلم بالتأويل يقولون في قول الله عز وجل وشاركهم في الأموال قالوا الإنفاق في الحرام والأولاد قالوا الزنا ومن الدليل على أن الشياطين من الجن يأكلون ويشربون قوله ﷺ في العظم والروثة في حديث الاستنجاء هي زاد إخوانكم من الجن وفي غير هذا الحديث إن طعامهم ما لم يذكر اسم الله عليه وما لم يغسل من الأيدي والصحاف وشرابهم الجذف وهي الرغوة والزبد وهذا أشياء لا تدرك بعقل ولا تقاس على أصل وإنما فيه التسليم لمن آتاه الله من العلم ما لم يؤتينا وهو نبينا ﷺ وفي هذا الحديث حديث ابن عمر المذكور في هذا الباب ما يرفع الإشكال قوله إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويحتمل أن يكون الجن كلهم يأكلون ويشربون ويحتمل أن يكون كذلك بعضهم جنس منهم^{١٣٩}.

وإذا كان رسول الله ﷺ نهانا عن أن نفسد طعام الجن وذلك باستخدام الروث والعظام في الاستنجاء، فإفساد طعام الإنس يحرم من باب أولى. فما بالنا أيها الإخوة لا نبالي في هذه المسألة، وما بالنا لا نشكر نعم الله التي أغرقنا بها. لقد تساهل الناس في قضية إفساد الطعام إلى حد التفريط. فلا تحرموا أنفسكم نعم الله بأنفسكم، ولا تقابلوها بالكفر. قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]

^{١٣٩} - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١١ / ١١٤) فما بعد

إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية. فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة..

هذه واحدة.. والأخرى أن النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة. بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد.

وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة. مما ينميها ويبارك فيها ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً ويصلح روابط المجتمع فتتم فيه الثروات في أمان. إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة. وإن كان وعد الله بذاته يكفي لأطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أو لم يدركها، فهو حق واقع لأنه وعد الله.

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها. أو بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد.. وكله كفر بنعمة الله.. والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة. عينا بذهاها. أو سحق آثارها في الشعور. فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها ويحسد الخالين! وقد يكون عذاباً مؤجلاً إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة كما يشاء الله. ولكنه واقع لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بلا جزاء.

ذلك الشكر لا تعود على الله عائدته. وهذا الكفر لا يرجع على الله أثره. فالله غني بذاته محمود بذاته، لا بحمد الناس وشكرهم على عطايه.^{١٤٠}



^{١٤٠} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٢٧٣٣)

المبحث السابع

الجن كالإنس يموتون

قد يتوهم بعض الناس من أن الجن والشياطين لا يموتون، وهذا وهم فاسد لأنهم داخلون في قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) } [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]

جَمِيعُ مَنْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ سَيَمُوتُونَ، وَكَذَلِكَ سَيَمُوتُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَلَا يَبْقَى حَيًّا إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّهُ بَاقٍ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَأَهْلٌ لِأَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُخَالَفَ.^{١٤١}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^{١٤٢}.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ «اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^{١٤٣}.

وَعَنْ زُرْعَةَ بْنِ ضَمْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَتَمُوتُ الْجِنُّ؟ قَالَ: نَعَمْ غَيْرَ إِبْلِيسَ قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْحَيَّةُ الَّتِي تُدْعَى الْجَانَّ؟ قَالَ: هِيَ صِغَارُ الْجِنِّ"^{١٤٤}.

أما مقدار أعمارهم فلا نعلمها إلا ما أخبرنا الله عن إبليس اللعين أنه سيبقى حياً إلى أن تقوم الساعة: قال تعالى: { قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) } [الأعراف: ١٤، ١٥]

^{١٤١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ٤٨٠٦]

^{١٤٢} - صحيح البخارى - المكثر [٢٤ / ٢١٥] (٧٣٨٣)

^{١٤٣} - صحيح مسلم - المكثر [١٧ / ٣٦٣] (٧٠٧٤)

^{١٤٤} - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥ / ١٦٩١) صحيح

لقد استدرك إبليس، وسأل ربه أن يُمهله ولا يُميتهُ إلى يوم القيامة، وهو اليوم الذي سيبعث فيه الله الخلائق للحساب. وقد أراد إبليس بذلك أن يجد فسحة من الوقت لإغواء بني آدم وإضلالهم.

فأجابه الله تعالى إلى سؤاله لحكمة اقتضتها إرادته ومشيتته التي لا تُخالف ولا تُعارض. وقد أنظره الله إلى يوم الوقت المعلوم، يوم ينفخ في الصور كما جاء في آية أخرى^{١٤٥}.

وقال تعالى: { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) } [الحجر: ٣٦ - ٣٨]

لما تحقق إبليس من الغضب الذي لا مصرف له عنه، سأل الرب الكريم النظرَ والإمهال إلى يوم القيامة، وأن يؤخر موته إلى ذلك اليوم، وذلك من شدة حسده لآدم وذريته.

فأجابه الربُّ تعالى شأنه إلى ما سألهُ، وقال له: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الْمُمְهِلِينَ، استدراجاً له. إلى يوم القيامة، وهو الوقت المعلوم.^{١٤٦} ..

أما غيره فلا ندري مقدار أعمارهم. والذي يجب على المسلم أن يقف في أمثال هذه المسائل على الكتاب والسنة.



^{١٤٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ٩٦٩]

^{١٤٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ١٨٣٩]

المبحث الثامن

الجنُّ مكلفون كالإنس

قال ابن عبد البر: "وَهُمْ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ مُكَلَّفُونَ مُخَاطَبُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَقَوْلِهِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ وَقَوْلِهِ لَمْ يَطْمِئْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولٌ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ هَذَا مِمَّا فَضَّلَ بِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ بُعِثَ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَغَيْرُهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﷺ وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ دُعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ..^{١٤٧}

فالمسلم يؤمن بأن مصير الكافرين من الجن هو نفس مصير الكافرين من الإنس، فهم مكلفون بالإيمان بالله وطاعته، وسوف يحاسبون على ما يعملون في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩).

ولقد خلقنا للنار -التي يعذب الله فيها من يستحق العذاب في الآخرة - كثيرًا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يعقلون بها، فلا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا، ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلتها، ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيتفكروا فيها، هؤلاء كالبهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما تبصره، ولا تعقل بقلوبها الخير والشر فتميز بينهما، بل هم أضل منها؛ لأن البهائم تبصر منافعها ومضارها وتتبع راعيها، وهم بخلاف ذلك، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله وطاعته^{١٤٨}.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة السجدة ١٣)

^{١٤٧} - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١١٧ / ١)

^{١٤٨} - التفسير الميسر - (٣ / ١٤٠)

لو شاء الله لجعل لجميع النفوس طريقا واحدا. هو طريق الهدى، كما وحد طريق المخلوقات التي تمتدي بإلهام كامن في فطرتها، وتسلك طريقة واحدة في حياتها من الحشرات والطير والدواب أو الخلائق التي لا تعرف إلا الطاعات كالملائكة. لكن إرادة الله اقتضت أن يكون لهذا الخلق المسمى بالإنسان طبيعة خاصة، يملك معها الهدى والضلال ويختار الهداية أو يجرد عنها ويؤدي دوره في هذا الكون بهذه الطبيعة الخاصة، التي فطره الله عليها لغرض والحكمة في تصميم هذا الوجود. ومن ثم كتب الله في قدره أن يملأ جهنم من الجنة ومن الناس الذين يختارون الضلالة، ويسلكون الطريق المؤدي إلى جهنم.^{١٤٩}

وقوله تعالى: «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا.. وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». هو ردّ ضمنى على ما طلب المجرمون من أن يعودوا إلى الحياة الدنيا مرة أخرى..

والمعنى: أن الهدى بيد الله، وفي قيد مشيئته.. وأنه سبحانه لو شاء لهدى الناس جميعا، ولكنه سبحانه جعل للجنة أهلها ولها يعملون، وجعل للنار أهلها ولها يعملون.. وأن مما قضى الله به في خلقه أن يملأ النار ويعمرها بمن جعلهم من أهلها، من الجنة والناس!

وأن هؤلاء المجرمين الذين رأوا مشاهد القيامة، وعانوا أهوالها، وتمنوا العودة إلى الدنيا، ليستقيموا على طريق الحق والهدى — هؤلاء المجرمون، لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، ولركبوا نفس الطريق الذي كانوا عليه من قبل، ولما اتوا على الكفر والضلال، وكانوا في أصحاب النار، وذلك لأن قضاء الله فيهم قد سبق، وأنهم لن يخرجوا عما قضى الله فيهم!^{١٥٠}

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: ١] وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَقَدْ نَعَسَ بَعْضُ

^{١٤٩} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٨١١)

^{١٥٠} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١١ / ٦١٦)

الْقَوْمِ، وَتَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ، فَرَفَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: إِنَّ السَّاعَةَ قَدْ قَامَتْ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: " ذَلِكَ حِينَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِآدَمَ: قُمْ يَا آدَمُ فَابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: ابْعَثْ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدًا إِلَى الْجَنَّةِ "، فَأَبْلَسَ الْقَوْمُ فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يُبْذِرُ عَنْ وَاضِحَةٍ فَقَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَمَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ»، ثُمَّ قَالَ: «اعْمَلُوا أَنْتُمْ مَعَ خَلِيقَتَيْنِ لَمْ يَكُونُوا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثَرَتَاهُ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مَعَ مَنْ هَلَكَ مِنْ وَلَدِ إِبْلِيسَ»^{١٥١}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نَزَلَتْ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } [الحج: ١] عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ حَتَّى ثَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ يَوْمٌ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِآدَمَ: يَا آدَمُ، قُمْ فَابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ»، فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَدُّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ، وَإِنْ مَعَكُمْ لَخَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَثَرَتَاهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ»^{١٥٢}

قال ابن كثير عند قوله تعالى: { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَعْرِفَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأحقاف: ٣١]

" وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْجِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّمَا حَزَاءُ صَالِحِيهِمْ أَنْ يُجَارُوا مِنْ عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَلِهَذَا قَالُوا هَذَا فِي

^{١٥١} - المعجم الكبير للطبراني (١٨ / ١٥٥) (٣٤٠) صحيح

^{١٥٢} - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٦ / ٣٥٢) (٧٣٥٤) صحيح

ثاب: اجتمع وجاء = سدوا: الزموا السداد وهو الصواب بلا إفراط وبلا تفريط = قارب: اقتصد وحاول الوصول إلى الكمال = الشامة والشامة: العلامة في الجسد وتعرف بالخال ومنه: جميل الخال والقوام = البعير: ما صالح للركوب والحمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويقال للجمل والناقة = الرقمة: الهنة الناتجة في ذراع الدابة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها

هَذَا الْمَقَامُ، وَهُوَ مَقَامُ تَبَحُّحٍ وَمُبَالَغَةٍ فَلَوْ كَانَ لَهُمْ جَزَاءٌ عَلَى الْإِيمَانِ أَعْلَى مِنْ هَذَا لَأَوْشَكَ أَنْ يَذْكُرُوهُ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثْتُ عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ «الْجِنَّ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَا يَنْجُو مُؤْمِنُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ؛ لِأَنََّّهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْلِيسَ، وَلَا يَدْخُلُ ذُرِّيَةُ إِبْلِيسَ الْجَنَّةَ».^{١٥٣}

وَالْحَقُّ أَنَّ مُؤْمِنَهُمْ كَمُؤْمِنِي الْإِنْسِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ لِهَذَا بِقَوْلِهِ: {لَمْ يَطْمِئْنُوا أَنْ يُغَارِبُوا فِي دُيُونِهِمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حِسَابٌ} [الرَّحْمَنُ: ٧٤]، وَفِي هَذَا الِاسْتِدْلَالِ نَظَرٌ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ فِيهَا نَبَاتٌ بَارِبٌ شَرِبًا لَا يُكَذِّبُ} [الرَّحْمَنُ: ٤٦، ٤٧]، فَقَدْ آمَنَ تَعَالَى عَلَى الثَّقَلَيْنِ بِأَنْ جَعَلَ جَزَاءَ مُحْسِنِيهِمُ الْجَنَّةَ، وَقَدْ قَابَلَتْ الْجَنَّةُ هَذِهِ الْآيَةَ بِالشُّكْرِ الْقَوْلِيِّ أَبْلَغَ مِنَ الْإِنْسِ، فَقَالُوا: "وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ آلائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ" فَلَمْ يَكُنْ تَعَالَى لِيَمْتَنَنَّ عَلَيْهِمْ بِجَزَاءٍ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يُجَازِي كَافِرَهُمْ بِالنَّارِ - وَهُوَ مَقَامُ عَذَلٍ - فَلَا يُجَازِي مُؤْمِنَهُمْ بِالْجَنَّةِ - وَهُوَ مَقَامُ فَضْلٍ - بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى. وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ عَمُومُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٧]، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَقَدْ أَفْرَدْتُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي جُزْءٍ عَلَى حِدَةٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.^{١٥٤}

قُلْتُ: وَالرَّسُولُ ﷺ مَبْعُوثٌ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجِنِّ بِهَذَا الْخُصُوصِ، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا

^{١٥٣} تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٢٧٨٦/٨) (١٥٧٥٧) ضعيف لا يحتج به في هذا المقام، فيه ضعف

وجهالة

^{١٥٤} - تفسير ابن كثير ت سلامة (٣٠٣/٧)

السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا (١١) وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) { [الجن: ١ - ١٥]

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجِنِّ اسْتَمَعُوا إِلَيَّ الْقُرْآنَ فآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا بَدِيعًا. وَهَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، فَصَدَّقْنَا بِهِ، وَلَنْ نَعُودَ إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ بِعِبَادَةِ رَبِّنَا أَحَدًا. وَنَزَّهُوا رَبَّهُمُ الْعَظِيمَ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، لِأَنَّ الصَّاحِبَةَ تَتَّخِذُ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَلَا تَهْتَابُ مِنْ جِنْسِ الزَّوْجِ، وَالْوَلَدُ يَتَّخِذُ لِلْإِسْتِنَاسِ بِهِ، وَلِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي الْكِبَرِ وَفِي الشَّدَّةِ، وَلِبَقَاءِ الذِّكْرِ. وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، فَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَصِيرٍ وَلَا إِلَى مُعِينٍ، وَهُوَ بَاقٍ دَائِمٌ أَبَدًا وَأَنَّ الْجُهَالَ مِنَ الْجِنِّ كَانُوا يَقُولُونَ قَوْلًا بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، بِنِسْبَةِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ تَعَالَى. وَأَنَا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَكْذِبَ أَحَدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَنْسَبَ إِلَيْهِ تَعَالَى الصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ، وَمِنْ ثَمَّ اعْتَقَدْنَا صِحَّةَ قَوْلِ السَّافِيهِ، فَلَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ. وَأَنَّ رِجَالًا مِنَ الْإِنْسِ كَانُوا يَسْتَعِيدُونَ، وَهُمْ فِي الْقِفَارِ، بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ، فَزَادُوا الْجِنَّ بِذَلِكَ طُعْيَانًا وَغِيًّا، بَأَنَّهُمْ أَضَلُّوهُمْ حَتَّى اسْتَعَاذُوا بِهِمْ. وَأَنَّ الْجِنَّ ظَنُّوا، كَمَا ظَنَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ، أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ إِلَى خَلْقِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. (أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ أَحَدًا مِنْ قَبْرِهِ فِي الْآخِرَةِ لِيُحَاسِبَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ). يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، حَفِظَ اللَّهُ الْقُرْآنَ مِنَ الْجِنِّ إِذْ مُلِئَتِ السَّمَاءُ حَرَسًا شَدِيدًا، وَحَفِظَتْ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ

مِنْ مَقَاعِدِهَا لِئَلَّا يَسْتَرْقُوا سَمْعَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْجِنَّ قَالُوا: لَقَدْ طَلَبْنَا خَبَرَ السَّمَاءِ (لَمَسْنَا السَّمَاءَ) كَمَا جَرَتْ عَادَتُنَا بِذَلِكَ فَوَجَدْنَاهَا قَدْ مَلَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا، وَشُهَبًا تَحْرُسُهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَمْنَعُنَا مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهَا مَقَاعِدَ خَالِيَةً مِنَ الْحَرَسِ وَالشُّهُبِ لِنَسْتَرْقَ السَّمْعَ، فَطَرَدْنَا مِنْهَا لِكَيْلًا نَسْتَمِعَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ خَبَرِ السَّمَاءِ عَنِ الْقُرْآنِ، لِنُلْقِيَهُ إِلَى الْكُفَّانِ، فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَسْتَرْقِيَ الْآنَ السَّمْعَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا مُرْصَدًا يُهْلِكُهُ لِسَاعَتِهِ. وَأَنَّا لَا نَدْرِي مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ فِي السَّمَاءِ، أَهْوَى شَرُّ أَرَادَ اللَّهُ أَنْزَالَهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَرَشْدًا. وَأَنَّا مِنَ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، الْعَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمِنَّا قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ وَأَنَّا كُنَّا مَذَاهِبَ وَأَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةً، وَفَرَقًا شَتَّى: فَمِنَّا الْمُؤْمِنُونَ وَمِنَّا الْفَاسِقُونَ وَمِنَّا الْكَافِرُونَ.

وَأَنَّا لَنَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ حَاكِمَةٌ عَلَيْنَا، وَأَنَّا لَنْ نُعْجِزَهُ تَعَالَى، وَلَوْ أَمْعَنَّا فِي الْحَرْبِ، فَإِنَّهُ عَلَيْنَا قَادِرٌ، وَلَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنَّا. وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ صَدَقْنَا بِهِ، وَأَقْرَرْنَا بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى. وَمَنْ يُصَدِّقْ بِاللَّهِ وَبِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ فَلَا يَخَافُ نَقْصًا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَلَا ذَنْبًا يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتٍ غَيْرِهِ.

وَأَنَّا مِنَّا الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَآخَبَتُوا إِلَيْهِ، وَعَمِلُوا صَالِحًا يَرْضَاهُ، وَمِنَّا الْجَائِرُونَ عَنِ التَّهَجُّجِ الْقَوِيمِ، الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَأَطَاعَهُ، فَقَدْ اجْتَهَدَ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ لِلسَّعَادَةِ. وَأَمَّا الْجَائِرُونَ عَنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ حَطَبًا لِحَبْطِهِمْ، ثَوَقْدٌ بِهِمْ كَمَا ثَوَقْدُ بِكَفَرَةِ الْإِنْسِ.^{١٥٥}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْجِنَّ وَلَا رَأَهُمْ أَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، قَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَأَنْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَأَنْصَرَفَ أُولَئِكَ النَّفَرُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تَهَامَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي

^{١٥٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٣٢٦، بترقيم الشاملة آليا)

بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمِعُوا لَهُ وَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَهَنَالِكُمْ رَجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ} [سورة الجن آية ١]، وَإِنَّمَا أُوْحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجَنِّ ١٥٦.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ. فَقَالُوا مَا لَكُمْ فَقَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ. قَالُوا مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تَهَامَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَهُوَ بِخَلَّةٍ، عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمِعُوا لَهُ وَقَالُوا هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ. فَهَنَالِكُمْ حِينَ رَجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا يَا قَوْمَنَا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ - (قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ) وَإِنَّمَا أُوْحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجَنِّ ١٥٧.

وَعَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجَنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجَنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ. قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قَبْلِ حَرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: " أَتَانِي دَاعِي الْجَنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ " قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَلَّوَهُ الزَّادَ فَقَالَ: " لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ

١٥٦ - مسند أبي عوانة مشكلا [٢/ ٢٧٤] (٣٠٧٨) صحيح

١٥٧ - صحيح البخارى - المكثر [٣/ ٣٠٢] (٧٧٣) وصحيح مسلم - المكثر [٣/ ٢٤٦] (١٠٣٤)

يَعُفُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَّ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ" ١٥٨

وَعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قُلْنَا لِعَبْدِ اللَّهِ: هَلْ صَحِبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْكُمْ أَحَدًا لَيْلَةَ الْجَنِّ؟ ، قَالَ: لَمْ يَصْحَبْهُ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَنَا، بَنْنَا بِشْرَ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، إِنَّا افْتَقَدْنَاهُ ، فَقُلْنَا: اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ، فَتَفَرَّقْنَا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ نَطْلُبُهُ، فَلَقِيْتُهُ مُقْبِلًا مِنْ نَحْوِ حِرَاءَ، فَقُلْتُ: يَا أَبِي وَأُمِّي، بَنْنَا بِشْرَ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَقَالَ: "إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَأَجَبْتُهُمْ أَقْرَأَهُمُ الْقُرْآنَ" ، وَأَرَانِي آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ" ١٥٩ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ فَلَمَّا سَمِعُوهُ، قَالُوا: أَنْصِتُوا، قَالُوا: صَهْ، وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا إِلَى ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٦٠ .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمُئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَهُمْ إِخْوَةُ ثَلَاثَةِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غَيْرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَكَلَّمَهم بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ، وَقَالَ الْآخَرُ أَمَّا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ وَقَالَ الثَّلَاثُ وَاللَّهُ لَا أَكَلَمُكَ أَبَدًا. لَئِنْ كُنْتُ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ وَلَئِنْ كُنْتُ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلَمُكَ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَبَسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ - فِيمَا

١٥٨ - صحيح مسلم - المكثر [٣/ ٢٤٧] (١٠٣٥)

١٥٩ - السُّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ (١٠٢٤٣)

١٦٠ - المستدرک للحاکم مشکلا [٣/ ٢٠٢] (٣٧٠١) صحيح

ذَكَرَ لِي - إِذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاعْتَمُوا عَنِّي، وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْلَغَ قَوْمَهُ عَنْهُ
فَيَذَرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ:

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرَوْا لِقَتْلَى عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا

فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسْبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ
وَالْجَنُودُ إِلَى حَائِطِ لُعْبَةِ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ
تَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتَّبِعُهُ فَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عِنَبٍ فَجَلَسَ فِيهِ. وَأَبْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ
وَيَرِيَانِ مَا لَقِيَ مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا ذَكَرَ لِي -
الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَقَالَ لَهَا: مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَانِكَ؟

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - :اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ
حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى
مَنْ تَكَلِّمُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أُمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ
غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتِكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ
الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ
لَكَ الْعُنْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ قَالَ فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنَا رَبِيعَةَ، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ
وَمَا لَقِيَ تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، فَدَعَا غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا، يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ فَقَالَ لَهُ خُذْ
قُطْفًا (مِنْ هَذَا) الْعِنَبِ فَضَعُهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ ثُمَّ أَذْهَبَ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فَقُلْ لَهُ
يَأْكُلُ مِنْهُ. فَفَعَلَ عَدَّاسٌ ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُلْ
فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ ثُمَّ أَكَلَ فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ
وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ أَهْلُ أَيِّ الْبِلَادِ
أَنْتَ يَا عَدَّاسُ وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ مَنْ قَرِيَّةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُوسُفُ بْنُ مَتَّى
؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ قَالَ يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَمَا غُلَامُكَ فَقَدْ
أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ. فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ قَالَ لَهُ وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ مَا لَكَ تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ

وَيَدِيهِ وَقَدَمَيْهِ ؟ قَالَ يَا سَيِّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرِ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَا لَهُ وَيَحْكُ يَا عَدَّاسُ لَأُصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنْ دِينُكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ. قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، يَتَسَّ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِنَخْلَةٍ قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنَ الْجَنِّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُمْ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جَنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا. فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى { وَيُجْرِكُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجَنِّ } إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ١٦١ ..

ويعقب ابن كثير في التفسير على رواية ابن إسحاق بقوله: «وَهَذَا صَحِيحٌ، وَلَكِنْ قَوْلُهُ: "إِنَّ الْجَنِّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ". فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْجَنِّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ فِي ابْتِدَاءِ الْإِيحَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمَذْكُورُ، وَخُرُوجُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى الطَّائِفِ كَانَ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةٍ أَوْ سَتَيْنِ، كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِيْطْنِ نَخْلَةٍ، فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا. قَالَ صَهْ، وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ } إِلَى: { ضَلَالٍ مُبِينٍ } ١٦٢ .

فَهَذَا مَعَ الْأَوَّلِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقْتَضِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَشْعُرْ بِحُضُورِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ وَإِنَّمَا اسْتَمَعُوا قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدُوا إِلَيْهِ أَرْسَالًا قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ، وَفَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، كَمَا سَيَأْتِي بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ فِي مَوْضِعِهَا وَالْآثَارُ، مِمَّا سَنُورِدُهَا هَاهُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبِهِ الثَّقَةُ ..

١٦١ - سيرة ابن هشام [١ / ٤١٩] صحيح مرسل

١٦٢ - المستدرک علی الصحیحین - دار المعرفة بیروت (٢ / ٤٥٦) (٣٧٠١)

وذكر الروايات الكثيرة وغالبها يدور بين الصحة والحسن، ثم قال في نهاية هذه الأحاديث: "فَهَذِهِ الطُّرُقُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ﷺ ذَهَبَ إِلَى الْجَنِّ قَصْدًا، فَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَشَرَعَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَا هُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ سَمِعُوهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ [و] لَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَفَدُوا إِلَيْهِ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَأَمَّا ابْنُ مَسْعُودٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَالَ مُخَاطَبَتِهِ الْجَنِّ وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ بَعِيدًا مِنْهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ سِوَاهُ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَشْهَدْ حَالَ الْمَخَاطَبَةِ، هَذِهِ طَرِيقَةُ الْبَيِّهَتِيِّ.

وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَرَّةٍ خَرَجَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَلَا غَيْرُهُ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ سِيَاقِ الرِّوَايَةِ الْأُولَى مِنْ طَرِيقِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَهِيَ عِنْدَ مُسْلِمٍ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ: {قُلْ أَوْحَى}، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ: أَمَّا الْجَنُّ الَّذِينَ لَقُوهُ بَنَخْلَةَ فَجَنُّ نَبَوَى، وَأَمَّا الْجَنُّ الَّذِينَ لَقُوهُ بِمَكَّةَ فَجَنُّ نَصِيبِينَ، وَتَأَوَّلَهُ الْبَيْهَتِيُّ عَلَى أَنَّهُ يَقُولُ: "فَبَيْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ"، عَلَى غَيْرِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ بِخُرُوجِهِ ﷺ إِلَى الْجَنِّ، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ عَلَى بَعْدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ... ١٦٣.

قلت: وهو الصواب، فطالما أن الجمع ممكن فالإعمال أولى من الإهمال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وَقَدْ ثَبَتَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ خَاطَبَ الْجَنِّ وَخَاطَبُوهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَأَنَّهُمْ سَأَلُوهُ الزَّادَ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرَ الْجَنِّ وَلَا خَاطَبَهُمْ وَلَكِنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَأَبْنُ عَبَّاسٍ قَدْ عَلِمَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَا عَلَّمَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنْ إِثْبَانِ الْجَنِّ إِلَيْهِ وَمُخَاطَبَتِهِ إِيَّاهُمْ وَأَنَّهُ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَأَمْرَهُ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لَمَّا حُرِسَتْ السَّمَاءُ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَكَانَ

١٦٣ - تفسير ابن كثير - دار طيبة [٧/ ٢٩٠-٢٩٦]

فِي ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَبَعْدَ هَذَا أَتَوْهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَرَوَى أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ وَصَارَ كُلُّمَا قَالَ: { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } قَالُوا: وَلَا بَشْيَاءَ مِنْ آلَائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِطَابِ الثَّقَلَيْنِ مَا يَبِينُ هَذَا الْأَصْلَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا { وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْجِنَّ أَنَّهُمْ قَالُوا: { وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا } أَيُّ مَذَاهِبَ شَتَّى: مُسْلِمُونَ وَكُفَّارٌ، وَأَهْلُ سُنَّةٍ وَأَهْلُ بِدْعَةٍ وَقَالُوا: { وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا } { وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا } وَالْقَاسِطُ: الْجَائِرُ يُقَالُ: قَسَطَ إِذَا جَارَ وَأَقْسَطَ إِذَا عَدَلَ. وَكَافَرُهُمْ مُعَذِّبٌ فِي الْآخِرَةِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. وَأَمَّا مُؤْمِنُهُمْ فَجُمُهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَقَدْ رُوِيَ: "أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رُبُضِ الْجَنَّةِ تَرَاهُمْ الْإِنْسُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُمْ". وَهَذَا الْقَوْلُ مَأْثُورٌ عَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ. وَقِيلَ: إِنَّ ثَوَابَهُمُ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَهُوَ مَأْثُورٌ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ. وَقَدْ احْتَجَّ الْجُمُهُورُ بِقَوْلِهِ: { لَمْ يَطْمِئُنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ } قَالُوا: فَذَلِكَ عَلَى تَأْتِي الطَّمْثِ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ طَمِثَ الْحُورِ الْعَيْنِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ.

١٦٤



^{١٦٤} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٣٧) وانظر دلائل النبوة للبيهقي محققا (٢ / ٢٢٧) وانظر آكام المرجان في أحكام الجان (ص: ٧٥) و (ص: ٨٨): الباب الثاني والعشرون في ثواب الجن على أعمالهم و (ص: ٩١) الباب الثالث والعشرون في دخول كفار الجن النار والباب الرابع والعشرون في دخول مؤمنهم الجنة (ص: ٩٢)

المبحث التاسع

العلاقة بين الجن والإنس

المسلم يؤمن بأن الكافرين من الجن يوسوسون إلى الإنسان، ويزينون له المعاصي، ويشككون المسلم في الله - عز وجل - فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهَ» (متفق عليه) ^{١٦٥}.

والمسلم يؤمن بأن الله - سبحانه - يحفظه من مس الجن وإيذائه، بالترام الطاعات، قال تعالى: {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...} (١١) سورة الرعد.

أي: للإنسان { مُعَقَّبَاتٌ } من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار. { مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريد بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائماً، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء ^{١٦٦}.

أما الذين يتعدون عن طريق الله، فمن السهل على الجن أن يؤذوهم بالصرع والجنون، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ لِي أَخَا وَبِهِ وَجَعٌ. قَالَ « وَمَا وَجَعُهُ ». قَالَ بِهِ

^{١٦٥} - صحيح البخاري برقم (٣٢٧٦) ومسلم برقم (٣٦١ و ٣٦٢)

وفي شرح النووي على مسلم - (ج ١ / ص ٢٥٣)

قَالَ الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَوَاطِرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالرَّدَّ لَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِدْلَالٍ وَلَا نَظَرٍ فِي إِبْطَالِهَا. قَالَ: وَالَّذِي يُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ الْخَوَاطِرَ عَلَى قِسْمَيْنِ: فَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِمُسْتَقَرَّةٍ وَلَا اجْتِلِبَتْهَا شُبُهَةٌ طَرَأَتْ فِيهَا الَّتِي تُدْفَعُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ الْحَدِيثُ، وَعَلَى مِثْلِهَا يُنْطَلَقُ اسْمُ الْوَسْوسَةِ؛ فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَمْرًا طَارِئًا بَعِيرٌ أَصْلٌ دُفِعَ بِغَيْرِ نَظَرٍ فِي دَلِيلٍ إِذْ لَا أَصْلَ لَهُ يُنْظَرُ فِيهِ. وَأَمَّا الْخَوَاطِرُ الْمُسْتَقَرَّةُ الَّتِي أَوْجَبَتْهَا الشُّبُهَةُ فَإِنَّهَا لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِالْإِسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ فِي إِبْطَالِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

^{١٦٦} - تفسير السعدي - (١ / ٤١٤)

لَمْ. قَالَ « فَاتَّيَنِي بِهِ ». فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَوَّذَهُ النَّبِيُّ ﷺ - بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ (وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ) وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَآيَةٍ مِنَ الْأَعْرَافِ (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) وَآخِرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) وَآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) وَعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ (وَالصَّافَّاتِ) وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْتِكِ قَطُّ. (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ) ١٦٧.

ومن ذلك ما روي عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا بِهِ لَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ " قَالَ: فَبَرَأَ. فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ كَبْشَيْنِ، وَشَيْئًا مِنْ أَقِطٍ، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " خُذِ الْأَقِطَ وَالسَّمْنَ وَأَحَدَ الْكَبْشَيْنِ، وَرَدَّ عَلَيْهَا الْآخَرَ " (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ) ١٦٨.

وقال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٧٥) سورة البقرة.

والمسلم يعلم أنه في معركة مستمرة مع الشياطين وأعدائهم من شياطين الإنس والجن، الذين يفسدون في الأرض ولا يطيعون الله - عز وجل -.

والمسلم يعرف أعداءه جيِّداً، وأول عدو يجب أن يحترس منه هو الشيطان، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (٦) سورة فاطر

إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ يُوسِسُ لَكُمْ لِيُضِلَّكُمْ وَيَدْفَعَ بِكُمْ إِلَى هَاوِيَةِ الْجَحِيمِ، فَاحْذَرُوا مِنْهُ وَكُونُوا أَنْتُمْ أَعْدَاءَهُ، وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ فِيمَا يُغْرِكُمْ بِهِ، وَهُوَ يَدْعُو

١٦٧ برقم (٢١٧٧٤) وفيه ضعف = اللّم: طرف من الجنون يعتري الإنسان

١٦٨ - مسند أحمد ط الرسالة (٩٢ / ٢٩) (١٧٥٤٩) والسلسلة الصحيحة برقم (٤٨٥) والمستدرک للحاکم برقم (٤٢٣٢) وصححه ووافقه الذهبي وهو حسن = الأقط: اللبن الحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أو يطبخ به

حَزَبُهُ وَأَوْلِيَائَهُ وَشِيعَتُهُ، إِلَى أَتْبَاعِ الْهَوَى، وَالرُّكُونِ إِلَى اللَّذَاتِ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ، لِيُضِلَّهُمْ وَيُلْقِيَهُمْ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ، فِي سَعِيرِ جَهَنَّمَ.^{١٦٩}

وقال: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (٦٠) سورة يس.

أَلَمْ أُوصِيكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ تَتْرَكُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِيمَا يُوسَّسُ لَكُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ، وَمُخَالَفَةَ أَمْرِهِ، لِأَنَّهُ عَدُوٌّ لَكُمْ ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ، وَكَانَ عَدُوًّا لِأَبِيكُمْ آدَمَ مِنْ قَبْلُ. فَقَدْ خَلَقْتُ لَكُمْ الْعُقُولَ لِتُدْرِكُوا بِهَا الْأَشْيَاءَ، وَتَفَرَّقُوا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، وَنَصَبْتُ لَكُمْ الْأَدْلَةَ، فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِكُمْ، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَرْسَلْتُ لَكُمْ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ الْكُتُبَ وَفِيهَا الشَّرَائِعَ وَأُمُورَ الدِّينِ، لِيُعْظُواكُمْ بِهَا، وَلِيَدْعُواكُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ.^{١٧٠}

فالمسلم لا يتبع الشيطان في طريق غوايته، بل يحذر دائماً من وسوسته؛ لأنه سبب الضلال فب كل وقت وفي أي مكان، فهو الذي زين للأمم السابقة طرق الشرك بالله - تعالى - ودعاهم إلى تكذيب الرسل، وقد أخذ على نفسه العهد أن يضل الناس جميعاً إلا المخلصين المؤمنين، فقال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٨٣) [ص/٨٢، ٨٣]}

بَعْدَ أَنْ اسْتَوْتَقَ إِبْلِيسُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالنَّظَرَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَشَفَ عَمَّا كَانَ يَسْتَهْدِفُهُ مِنْ سَوَالِهِ رَبَّهُ النَّظَرَةَ وَالْإِمْهَالَ، فَأَقْسَمَ بَعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ عَلَى أَنَّهُ سَيُضِلُّ جَمِيعَ ذُرِّيَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُغْوِيَهُمْ.

وَلَا يَسْتَشْنِي إِبْلِيسُ مِنَ الَّذِينَ سَيَحَاوِلُ إِغْوَاءَهُمْ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ الْمُتَّقِينَ، لِأَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ.^{١٧١}

وقال - سبحانه - عن إضلال إبليس للأمم السابقة: {وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} (٢٤)

^{١٦٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ٣٥٤٧]

^{١٧٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ٣٦٤٥]

^{١٧١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ٣٩٣١]

سورة النمل، وقال تعالى: {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} (٣٨) سورة العنكبوت يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَانْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، فَعَادٌ، قَوْمُ هُودٍ (وَكَانُوا يَسْكُنُونَ فِي الْأَحْقَافِ، فِي مَنَاطِقَ حَضَرَمَوْتَ)، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ مُّتَوَاصِلَةٍ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ. وَثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ (وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْحِجْرَ قُرْبَ وَادِي الْقُرَى) أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا بِالصَّيْحَةِ، وَبِزَلْزَلَةِ الْأَرْضِ بِهِمْ، لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ لَهُمْ، بِنَاءً عَلَى طَلَبِهِمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءً.

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَسَاكِينَ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ، وَتَمُرُّ بِهِمَا فِي تَرْحَالِهَا، وَتَرَى آثَارَ الدَّمَارِ وَالْهَلَاكِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمَا وَأَهْلَاهَا. وَكَانَ سَبَبُ إِهْلَاكِهِمْ هُوَ مَا زَيَّنَهُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَعْمَالٍ سَيِّئَةٍ، وَعِبَادَةٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى الْإِدْرَاكِ وَالِاسْتَبْصَارِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلِذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُذْرٌ فِي الْعَقْلَةِ، وَعَدَمِ التَّبَصُّرِ فِي الْعَوَاقِبِ. ١٧٢

والشيطان يلازم الإنسان في كل حركاته وسكناته، فكلما هم بطاعة الله صرفه عنها، وكلما ابتعد عن معصية الله قَرَّبَهُ مِنْهَا، فهو يكره أن يرى الإنسان في طاعة الله - عز وجل -، ويوسوس للإنسان في صلاته ودعائه وقراءة القرآن، بل وفي كل طاعة. فعلى المسلم أن يتعوذ بالله من الشيطان حينما يشعر بوسوسة منه، قال تعالى: {وَإِذَا مَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَّغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٢٠٠) سورة الأعراف. فَإِذَا مَا اسْتَشَارَ الشَّيْطَانُ غَضَبَكَ لِيُصْذِكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَيَحْمِلَكَ عَلَى مُجَارَاتِهِمْ وَمُجَارَاتِهِمْ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَاسْتَجِرْ بِهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِّجَهْلِ الْجَاهِلِينَ عَلَيْكَ، عَلِيمٌ بِمَا يُذْهَبُ عَنْكَ نَزْغِ الشَّيْطَانِ. ١٧٣

١٧٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ٣٢٦٠]

١٧٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ١١٥٥]

والمسلم يعلم أن الشيطان يحاول أن يوقعه في الشرك بالله، وهي أكبر جريمة يرتكبها الإنسان في حق الله، فإن لم يستطع أن يوقعه في الشرك أوقعه في كبائر الذنوب، والبدع، وإن لم يستطع حاول أن يوقعه في صغائر الذنوب، فهو لا يعمل أبداً من إضلال الإنسان، قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (سورة البقرة: ٢٦٨). وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) [البقرة/١٦٨، ١٦٩].

والشيطان يسعى بين الناس بالفساد، وتقطيع الأرحام، ونشر الحقد والحسد والضغينة بينهم، قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} (٩١) سورة المائدة. والمسلم يعلم أن إبليس يبعث جنوده من الشياطين للفساد في الأرض، ويكون أكثرهم فساداً أقربهم إليه منزلة. عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ أَكْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيَذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ " قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» (أخرجه مسلم) ١٧٤.

فالشيطان يفرح بخراب البيوت العامة، وتشريد النفوس الآمنة. والمسلم يعلم ملازمة الشيطان له وإصراره على غوايته، فعليه أن يذكر الله عند دخوله إلى بيته حتى لا يدخل الشيطان معه، وعند طعامه حتى لا يأكل الشيطان معه، وفي كل أمور حياته ليبعد عنه الشيطان، والمسلم يعلم أنه إن لم يفعل ذلك أكل وشرب ونام معه الشيطان، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ

١٧٤ - صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧) ٦٧ - (٢٨١٣) [ش (فيلتزمه) أي يضمه إلى نفسه ويعانقه]

فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ » (أخرجه مسلم)^{١٧٥}.

والمسلم يعلم أن الشيطان عدوٌّ للأنبياء والمرسلين. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } (١١٢) سورة الأنعام.

وَكَمَا جَعَلْنَا هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالَهُمْ أَعْدَاءَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، يُخَالِفُونَكَ وَيُعَادُونَكَ، وَيُعَادُونَكَ، كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَعْدَاءَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (شَيَاطِينُ الْإِنْسِ هُمُ الْكُفَرَاءُ وَمَنْ يُضِلُّونَ النَّاسَ عَنِ الْهُدَى بِالْوَسْوَسَةِ وَالْإِغْرَاءِ وَالْمُخَادَعَةِ)، وَيُلْقِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ الْمَمُوءَةِ الَّذِي يَطْنُونَ أَنَّهُمْ يَسْتُرُونَ بِهِ قُبْحَ بَاطِلِهِمْ، وَيُؤَدُّونَهُ بِطُرُقٍ خَفِيَّةٍ لَا يَفْطِنُ إِلَى بَاطِلِهَا كُلُّ وَاحِدٍ، حَتَّى يَعْرِوَا النَّاسَ وَيَخْدَعُوهُمْ وَيَمِيلُوهُمْ إِلَى مَا يُرِيدُونَ، كَمَا وَسَّوَسَ الشَّيْطَانُ لَادَمَ وَحَوَاءَ لِلْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنْهَا، وَكَمَا يُوسَّسُ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ لِمَنْ يَجْتَرِحُونَ السَّيِّئَاتِ، فَيَزَيِّنُونَ لَهُمْ مَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ اللَّذَّةِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْحُرِّيَّةِ، وَيُمْنُونَهُمْ بِعَفْوِ اللَّهِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَفْعَلُوا ذَلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ إِذْ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقَبُولِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالْشَّرِّ.^{١٧٦}

كذلك.. كالذي قدرناه من أن أولئك المشركين الذين يعلقون إيمانهم بمجيء الخوارق، ويعرضون عن دلائل الهدى وموحياته في الكون والنفس، لا يقع منهم الإيمان ولو جاءهم كل آية

كذلك الذي قدرناه في شأن هؤلاء، قدرنا أن يكون لكل نبي عدوهم شياطين الإنس والجن. وقدرنا أن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليخدعوه به ويغروهم بحرب الرسل وحرب الهدى. وقدرنا أن تصغي إلى هذا الزخرف أفئدة الذين لا يؤمنون

^{١٧٥} - برقم (٥٣٨١)

^{١٧٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ٩٠٢]

بالآخرة، ويرضوه، ويقتربوا ما يقتربونه من العداوة للرسول وللحق ومن الضلال والفساد في الأرض..

كل ذلك إنما جرى بقدر الله وفق مشيئته. ولو شاء ربك ما فعلوه. ولمضت مشيئته بغير هذا كله وجرى قدره بغير هذا الذي كان. فليس شيء من هذا كله بالمصادفة. وليس شيء من هذا كله بسلطان من البشر كذلك أو قدرة! فإذا تقرر أن هذا الذي يجري في الأرض من المعركة الناشبة التي لا تهدأ بين الرسل والحق الذي معهم، وبين شياطين الإنس والجن وباطلهم وزخرفهم وغرورهم.. إذا تقرر أن هذا الذي يجري في الأرض إنما يجري بمشيئة الله ويتحقق بقدر الله، فإن المسلم ينبغي أن يتجه إذن إلى تدبر حمكة الله من وراء ما يجري في الأرض بعد أن يدرك طبيعة هذا الذي يجري والقدرة التي وراءه..

بإرادتنا وتقديرنا، جعلنا لكل نبي عدوا.. هذا العدو هو شياطين الإنس والجن.. والشيطنة وهي التمرد والغواية والتمحض للشر صفة تلحق الإنس كما تلحق الجن. وكما أن الذي يتمرد من الجن ويتمحض للشر والغواية يسمى شيطانا فكذلك الذي يتمرد من الإنس ويتمحض للشر والغواية.. وقد يوصف بهذه الصفة الحيوان أيضا إذا شرس وتمرد واستشرى أذاه!

هؤلاء الشياطين - من الإنس والجن - الذين قدر الله أن يكونوا عدوا لكل نبي، يخدع بعضهم بعضا بالقول المزخرف، الذي يوحيه بعضهم إلى بعض - ومن معاني الوحي التأثير الداخلي الذي ينتقل به الأثر من كائن إلى كائن آخر - ويغر بعضهم بعضا، ويحرض بعضهم بعضا على التمرد والغواية والشر والمعصية..

وشياطين الإنس أمرهم معروف ومشهود لنا في هذه الأرض، ونماذجهم ونماذج عدائهم لكل نبي، وللحق الذي معه، وللمؤمنين به، معروفة يملك أن يراها الناس في كل زمان.

فأما شياطين الجن - والجن كله - فهم غيب من غيب الله، لا نعرف عنه إلا ما يخبرنا به من عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.. ومن ناحية مبدأ وجود خلائق أخرى في هذا الكون غير الإنسان وغير الأنواع والأجناس المعروفة في الأرض من الأحياء.. نقول

من ناحية المبدأ نحن نؤمن بقول الله عنها، ونصدق بخبره في الحدود التي قررناها. فأما أولئك الذين يتترسون «بالعلم» لينكروا ما يقرره الله في هذا الشأن، فلا ندري علام يرتكبون؟ إن علمهم البشري لا يزعم أنه أحاط بكل أجناس الأحياء، في هذا الكوكب الأرضي! كما أن علمهم هذا لا «يعلم» ماذا في الأجرام الأخرى! وكل ما يمكن أن «يفترضه» أن نوع الحياة الموجود في الأرض يمكن أولاً أن يوجد في بعض الكواكب والنجوم.. وهذا لا يمكن أن ينفي - حتى لو تأكدت الفروض - أن أنواعاً أخرى من الحياة وأجناساً أخرى من الأحياء يمكن أن تعمر جوانب أخرى في الكون لا يعلم هذا «العلم» عنها شيئاً! فمن التحكم والتبجح أن ينفي أحد باسم «العلم» وجود هذه العوالم الحية الأخرى.

وأما من ناحية طبيعة هذا الخلق المسمى بالجن والذي يتشيطان بعضه ويتمحض للشر والغواية - كإبليس وذريته - كما يتشيطان بعض الإنس.. من ناحية طبيعة هذا الخلق المسمى بالجن، نحن لا نعلم عنه إلا ما جاءنا الخبر الصادق به عن الله - سبحانه - وعن رسول الله ﷺ -.

ونحن نعرف أن هذا الخلق مخلوق من مارج من نار. وأنه مزود بالقدرة على الحياة في الأرض وفي باطن الأرض وفي خارج الأرض أيضاً. وأنه يملك الحركة في هذه المجالات بأسرع مما يملك البشر. وأن منه الصالحين المؤمنين، ومنه الشياطين المتمردين. وأنه يرى بني آدم وبنو آدم لا يرونه - في هيئته الأصلية - وكم من خلائق ترى الإنسان ولا يراها الإنسان! وأن الشياطين منه مسلطون على بني الإنسان يغوونهم ويضلونهم، وهم قادرون على الوسوسة لهم والإيحاء بطريقة لا نعلمها.

وأن هؤلاء الشياطين لا سلطان لهم على المؤمنين الذاكرين. وأن الشيطان مع المؤمن إذا ذكر الله خنس وتوارى، وإذا غفل برز فوسوس له! وأن المؤمن أقوى بالذكر من كيد الشيطان الضعيف. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: {الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} [الناس: ٤] قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَى وَغَفَلَ وَسُوسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ. ^{١٧٧}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ {الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} هُوَ الشَّيْطَانُ يُولِهِ الْمَوْلُودَ وَالْوَسْوَاسَ عَلَى قَبْلِهِ فَهُوَ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ شَاءَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ جَنَمَ عَلَى قَلْبِهِ فَوَسْوَسَ ^{١٧٨} وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ مُتَبَطِّئٌ فَقَارَ ظَهْرَهُ، لَأَوْ عُنُقَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، فَاغْرَّ فَاهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ» ^{١٧٩}

وَعَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا رَبَّهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنِي مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَجَلَى لَهُ ذَلِكَ، فَإِذَا لَهُ رَأْسٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ وَاضِعٌ رَأْسُهُ عَلَى ثَمَرَةِ الْقَلْبِ فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ تَرَكَ الذِّكْرَ مَنَاهُ وَحَدَّثَهُ قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} [الناس: ٤] ^{١٨٠}

وَأَنَّ عَالَمَ الْجِنِّ يَحْشُرُ مَعَ عَالَمِ الْإِنْسِ وَيَحَاسِبُ وَيَجَازِي بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَالْجِنِّ الْإِنْسَانِي. وَأَنَّ الْجِنَّ حِينَ يَقَاسُونَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ يَبْدُونَ خَلْقًا ضَعِيفًا لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ! وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ نَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.. وَلَقَدْ كَانَ اللَّهُ - سَبْحَانَهُ - قَادِرًا - لَوْ شَاءَ - أَلَّا يَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ هَذَا.. أَلَّا يَتَمَرَّدُوا وَأَلَّا يَتَمَحَضُوا لِلشَّرِّ وَأَلَّا يَعَادُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَلَّا يُؤْذُوا الْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّا يَضْلُوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.. كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَادِرًا أَنْ يَقْهَرَهُمْ قَهْرًا عَلَى الْهُدَى أَوْ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لَوْ تَوَجَّهُوا لِلْهُدَى أَوْ أَنْ يَعْجِزَهُمْ عَنِ التَّصَدِي لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْحَقِّ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ.. وَلَكِنَّهُ سَبْحَانَهُ تَرَكَ لَهُمْ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْإِخْتِيَارِ. وَأَذِنَ لَهُمْ أَنْ تَمْتَدَّ أَيْدِيهِمْ بِالْأَذَى لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ - بِالْقَدْرِ الَّذِي تَقْضِي بِهِ مَشِئَتُهُ وَيَجْرِي بِهِ قَدْرُهُ - وَقَدَّرَ أَنْ يَتَّبِعُوا أَوْلِيَاءَهُ بِالْأَذَى

^{١٧٧} - الزهد لأبي داود (ص: ٢٩٥) (٣٣٧) صحيح موقوف ومثله لا يقال بالرأي

أي نشب فيه وسوسته ويحدثه بالأفكار الرديئة لأنه يجري منه مجرى الدم كما في الحديث الصحيح، ويدل عليه قوله تعالى: {الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} [الناس: ٥] وبه يرد على من أنكر سلوكه في بدن الإنسان كالمعتزلة.

^{١٧٨} - الأحاديث المختارة (١٠ / ١٧٥) (١٧٢) صحيح لغيره

^{١٧٩} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥ / ٢١٣) صحيح مقطوع

^{١٨٠} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦ / ١٢٣) حسن مقطوع

أعدائه كما يتلي أعداءه بهذا القدر من الاختيار والقدرة الذي أعطاهم إياه. فما يملك هؤلاء أن يوقعوا بأولياء الله من الأذى إلا ما قدره الله: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ»..

فما الذي يخلص لنا من هذه التقريرات؟

يخلص لنا ابتداء: أن الذين يقفون بالعداوة لكل نبي ويقفون بالأذى لأتباع الأنبياء.. هم «شياطين»!.

شياطين من الإنس ومن الجن.. وأنهم يؤدون جميعا - شياطين الإنس والجن - وظيفة واحدة! وأن بعضهم يخدع بعضا ويضله كذلك مع قيامهم جميعا بوظيفة التمرد والغواية وعداء أولياء الله..

ويخلص لنا ثانيا: أن هؤلاء الشياطين لا يفعلون شيئا من هذا كله، ولا يقدرّون على شيء من عداء الأنبياء وإيذاء أتباعهم بقدرة ذاتية فيهم. إنما هم في قبضة الله. وهو يتلي بهم أوليائه لأمر يريده. من تحييص هؤلاء الأولياء، وتطهير قلوبهم، وامتحان صبرهم على الحق الذي هم عليه أمناء. فإذا اجتازوا الامتحان بقوة كف الله عنهم الابتلاء. وكف عنهم هؤلاء الأعداء. وعجز هؤلاء الأعداء أن يمدوا إليهم بالأذى وراء ما قدر الله. وآب أعداء الله بالضعف والخذلان وبأوزارهم كاملة يحملونها على ظهورهم: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ»..

ويخلص لنا ثالثا: أن حكمة الله الخالصة هي التي اقتضت أن يترك لشياطين الإنس والجن أن يتشيطنوا - فهو إنما يتليهم في القدر الذي تركه لهم من الاختيار والقدرة - وأن يدعهم يؤذون أوليائه فترة من الزمان - فهو إنما يتلي أوليائه كذلك لينظروا: أيصبرون؟ أيثبتون على ما معهم من الحق بينما الباطل ينتفش عليهم ويستطيل؟ أيخلصون من حظ أنفسهم في أنفسهم ويبيعونها بيعة واحدة لله، على السراء وعلى الضراء سواء.

وفي المنشط والمكره سواء؟ وإلا فقد كان الله قادرا على ألا يكون شيء من هذا الذي كان! ويخلص لنا رابعا: هو أن الشياطين من الإنس والجن، وهو أن كيدهم وأذاهم. فما يستطيعون بقوة ذاتية لهم وما يملكون أن يتجاوزوا ما أذن الله به على أيديهم.. والمؤمن الذي يعلم أن ربه هو الذي يقدر، وهو الذي يأذن، خليق أن يستهين بأعدائه من

الشياطين مهما تبلغ قوتهم الظاهرة وسلطانهم المدعى. ومن هنا هذا التوجيه العلوي لرسول الله الكريم: «فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»..

دعهم وافتراءهم. فأنا من ورائهم قادر على أخذهم، مدخر لهم جزاءهم.. وهناك حكمة أخرى غير ابتلاء الشياطين، وابتلاء المؤمنين.. لقد قدر الله أن يكون هذا العداء، وأن يكون هذا الإيحاء، وأن يكون هذا الغرور بالقول والخداع.. لحكمة أخرى: «وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَلِيَرَضَوْهُ، وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ» أي لتستمع إلى ذلك الخداع والإيحاء لقلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة.. فهؤلاء يحصرون همهم كله في الدنيا. وهم يرون الشياطين في هذه الدنيا يقفون بالمرصاد لكل نبي، وينالون بالأذى أتباع كل نبي، ويزين بعضهم لبعض القول والفعل.

فيخضعون للشياطين، معجبين بزخرفهم الباطل، معجبين بسلطانهم الخادع. ثم يكسبون ما يكسبون من الإثم والشر والمعصية والفساد. في ظل ذلك الإيحاء، وبسبب هذا الإصغاء.. وهذا أمر أراد الله كذلك وجرى به قدره. لما وراءه من التمحيص والتجربة. ولما فيه من إعطاء كل أحد فرصته ليعمل لما هو ميسر له ويستحق جزاءه بالعدل والقسطاس.

ثم لتصلح الحياة بالدفع ويتميز الحق بالمفاصلة ويتمحض الخير بالصبر ويحمل الشياطين أوزارهم كاملة يوم القيامة.. وليجري الأمر كله وفق مشيئة الله.. أمر أعدائه وأمر أوليائه على السواء.. إنها مشيئة الله، والله يفعل ما يشاء..^{١٨١}

وعن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا لَيْلًا. قَالَتْ فَغَرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ « مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغَرَّتِ ». فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَقْدَ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ » (أخرجه مسلم)^{١٨٢}.

^{١٨١} - في ظلال القرآن كاملاً مدققاً تدقيق هائي [ص ١٦١٨]

^{١٨٢} - برقم (٧٢٨٨)

والمسلم يعلم أن السحر حقيقة لا ريب فيها، يقول الله في سحرة فرعون: {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} (١١٦) سورة الأعراف، وقال سبحانه: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (١٠٢) سورة البقرة.

وقد سحر الرسول ﷺ على يد لبيد بن الأعصم اليهودي، فعن عائشة قالت سحر النبي ﷺ - حَتَّى كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ « أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعَ الرَّجُلُ قَالَ مَطْبُوبٌ. قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَ فِي مَاذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَجُفٍّ طَلَعَهُ ذَكَرٌ. قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بَيْتِ ذَرْوَانَ ». فخرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ - ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ « نَخْلُهَا كَأَنَّهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ». فَقُلْتُ اسْتَخَرَجْتُهُ فَقَالَ « لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُبَيِّرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتِ الْبَيْتُ » (أخرجه البخاري) ^{١٨٣}.

فالمسلم يدعو ربه دائماً ويستغفره، ويتعوذ به من شرور الشياطين، قال تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) [المؤمنون/٩٧-٩٩]

^{١٨٣} - برقم (٣٢٦٨ و ٣١٧٥ و ٥٧٦٣ و ٥٧٦٥ و ٥٧٦٦ و ٦٠٦٣ و ٦٣٩١)

قلت: وهذا السحر لا ينافي عصمة الرسول ﷺ، فالعصمة هي في تبليغ الوحي الإلهي، وهي مصونة لم يؤثر عليها السحر بشيء، بل كان تأثيره في أمور دنيوية جبلية عادية، وهذا جائزة في حق الرسل، فهم بشر يعترهم ما يعترى البشر، خلا معصية الله تعالى

وهو يعلم أن الله - عز وجل - يحمى عباده المؤمنين من مكائد الشيطان، وأنه قد بشرهم بالحفظ من كيد الشيطان فقال: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} (٤٢) سورة الحجر.

وقال تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) [النحل/٩٨-١٠١].

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حينما يسير في طريق، يلتبس الشيطان طريقاً آخر خوفاً من عمر، لأنه كان عبداً مخلصاً لله، فعن سعد بن أبي وقاص قال استأذن عمر على رسول الله - ﷺ -، وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر، قمن يتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله - ﷺ -، ورسول الله - ﷺ - يضحك، فقال عمر أضحك الله سنك يا رسول الله. قال «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن. ثم قال أرى عدوات أنفسهن، أتبهنني ولا تهبن رسول الله - ﷺ - قلن نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله - ﷺ - قال رسول الله - ﷺ - «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك» (أخرجه الشيخان) ١٨٤.

والمسلم يعلم أن الجن لا تقدر على شيء إلا بإرادة الله، كما أنها لا تعلم من غيب الله شيئاً، قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) [الجن/٢٦، ٢٧]، وقال تعالى عن وفاة النبي سليمان عليه السلام: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (١٤) سورة سبأ. فعلى المسلم أن يكون دائم الصلة بالله - عز وجل -، فمن كان في كف الله - عز وجل - حماه الله من شياطين الإنس والجن فهو نعم المولى ونعم

١٨٤ - البخارى برقم (٣٢٩٤) ومسلم برقم (٦٣٥٥) - الفج: الطريق الواسع

النصير. قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٤٩) سورة الأنفال

والمسلم يعلم أن إبليس تكبر على أمر الله - عز وجل - عندما أمره بالسجود لآدم تكريماً له، وقال: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} (١٢) سورة الأعراف، فغضب الله عليه، وأنزله من السماء، وأخرجه من رحمته: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لِّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (١٨) سورة الأعراف. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَنْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ» (أخرجه أحمد) ^{١٨٥}.

والجن مكلفون بالعبادة والطاعة لله - عز وجل - مثل الإنس، يدل على ذلك خطاب الله - عز وجل - لهم في القرآن قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات، وعن جابر رضي الله عنه قال خرج رسول الله - ﷺ - على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال «لَقَدْ قَرَأْتُمْهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ (فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قَالُوا لَا بَشَىءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ» (أخرجه الترمذي) ^{١٨٦}.

لقد علم إبليس أن الله خلقه، وكلفه وأمره، ولكنه استكبر على أمر الله. والمسلم لا يفعل هذا أبداً، فعن عبد الله قال قال رسول الله - ﷺ - «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ» (أخرجه أبو داود والترمذي) ^{١٨٧}.

والمسلم يجب أن يعلم أن الشيطان سوف يتبرأ من أوليائه يوم القيامة، قال تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي

^{١٨٥} - برقم (٩٩٦٤) وهو صحيح

^{١٨٦} - برقم (٣٦٠٢) والصحيحة (٢١٥٠) وهو حديث حسن

^{١٨٧} - أبو داود برقم (٤٠٩٣) والترمذي برقم (٢١٢٩) وهو صحيح

عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْؤُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٢٢) سورة إبراهيم.

وَبَعْدَ أَنْ يُنَمَّ اللَّهُ تَعَالَى قَضَاءَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلَ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، يَقُومُ إِبْلِيسُ خَطِيئاً فِي أَهْلِ النَّارِ، لِيَزِيدَهُمْ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ، وَحَسْرَةً إِلَى حَسْرَتِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَوَعَدَكُمْ بِالنَّجَاةِ وَالسَّلَامَةِ إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ، وَصَدَقْتُمْ رَسُولَهُ، وَكَانَ وَعْدُهُ حَقًّا. أَمَّا أَنَا فَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي دَلِيلٌ وَلَا حُجَّةٌ فِيمَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ، وَدَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَقَدْ اسْتَجَبْتُمْ لِي بِمُجَرَّدِ أَنْ دَعَوْتُكُمْ وَوَسَّوَسْتُ لَكُمْ، وَقَدْ أَقَامَتِ الرُّسُلُ عَلَيْكُمْ الْحُجَجَ وَالْأَدِلَّةَ الصَّحِيحَةَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاؤُوكُمْ بِهِ، فَخَالَفْتُمُوهُمْ وَاتَّبَعْتُمُونِي فَصِرْتُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَا تُلْؤُمُونِي الْيَوْمَ، وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ لَأَنَّ الذَّنْبَ ذَنْبُكُمْ، فَمَا أَنَا الْيَوْمَ بِمُغِيثِكُمْ (مُصْرِخِكُمْ)، وَلَا مُنْقِذِكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَمَا أَنْتُمْ بِنَافِعِي وَلَا مُنْقِذِي وَلَا مُغِيثِي (مُصْرِخِي) مِمَّا أَنَا فِيهِ، مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ، وَإِنِّي جَحَدْتُ (كَفَرْتُ) أَنْ أَكُونَ شَرِيكاً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ فِي الدُّنْيَا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ إِبْلِيسُ: إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَاتَّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَالُ إِبْلِيسَ مَعَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي الدُّنْيَا لِيَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيهاً لَهُمْ، وَحِصْناً لَهُمْ عَلَى التَّبَصُّرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ.^{١٨٨}

وَالَّذِينَ يَنْكُرُونَ الْجَنَّ لَيْسَ لَهُمْ حُجَّةٌ وَلَا سِنْدٌ، فَإِنْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، فَإِنْ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ مِنَ الْغَيْبِ لَا نَدْرِكُهَا، وَلَكِنْ نَدْرِكُ تَأْثِيرَهَا، فَالْكَهْرِبَاءُ -مِثْلًا- لَا نَرَاهَا، وَلَكِنْ نَدْرِكُ تَأْثِيرَهَا، وَكَذَلِكَ الْجَاذِبِيَّةُ وَالرُّوحُ، فَإِنْ كَانُوا يَنْكُرُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، فَلْيَمْسِكْ أَحَدُهُمْ بَسْلَكَ مِنَ الْكَهْرِبَاءِ، وَيَزْعَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُوجُودٍ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ، هَذَا إِنْ أَرَادُوا دَلِيلًا عَقْلِيًّا، فَإِنْ أَرَادُوا دَلِيلًا مِنَ الشَّرْعِ، فَيَكْفِيهِمْ أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْزَلَ سُورَةَ كَامِلَةً، وَسَمَّاها سُورَةَ الْجَنِّ، وَذَكَرَهُمْ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.. فَهُمْ أَشْبَهَ

^{١٨٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ١٧٧٣]

الناس بقوله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) }

[الحجر/١٠-١٥]

يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَنْ تَكْذِيبِ الْكُفَّارِ لَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَكْفُرُ بِرَبِّهَا، وَتُكَذِّبُ رَسُولَهُ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، لِأَنَّهُمْ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ. وَلَمْ يَأْتِ أُمَّةٌ رَسُولٌ إِلَّا اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ، لِأَنَّ حَمَلَ النَّفْسِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ، مُسْتَثْقَلٌ عَلَى النَّفْسِ، كَمَا أَنَّ حَمَلَ النَّاسِ عَلَى تَرْكِ مَا أَلْفُوهُ مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ هُوَ ثَقِيلٌ أَيْضًا.

وَكَذَلِكَ يُلْقِي اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، وَيَسْلُكُهُ فِيهَا مُكَذِّبًا بِمَا فِيهِ، مُسْتَهْزِئًا بِهِ غَيْرَ مَقْبُولٍ لَدَيْهِمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِهِمْ اسْتِعْدَادٌ لِلتَّلَقِّيِ الْحَقِّ، وَلَا تُضِيءُ نَفْسُهُمْ بِمَصَابِيحِ هِدَايَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَلَكَ يَا مُحَمَّدُ أُسْوَةٌ بِمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ.

وَقَوْمُكَ، يَا مُحَمَّدُ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا بِمَا فَعَلَهُ اللَّهُ بِمَنْ كَذَّبَ رَسُولَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالْاسْتِنْصَالِ، وَكَيْفَ نَجَّى رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ، وَسَيَحِلُّ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ مَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ، وَنَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ حِينٍ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةَ الْمُعَانِدِينَ يَطْلُبُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ لِيُؤْمِنُوا لَكَ، وَلَكِنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا، حَتَّى إِنَّا لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَظَلُّوا يَصْعَدُونَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ فَيَرُونَ مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ لِمَا صَدَّقُوا بِذَلِكَ.

وَلَقَالُوا: لَقَدْ سُدَّتْ أَبْصَارُنَا، وَحَبِستْ عَنِ النَّظَرِ، وَشُبِّهَ عَلَيْنَا (سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا)، وَسُحِّرْنَا، فَمَا نَرَاهُ هُوَ تَخِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَقَدْ سَحَرْنَا مُحَمَّدٌ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ يَقْتَرِحُ عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ؟^{١٨٩}

يعزي الله سبحانه نبيه - ﷺ - فيخبره أنه ليس بدعا من الرسل الذين لقوا الاستهزاء والتكذيب، فهكذا المكذبون دائما في عنادهم الذميم: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ، وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»..

وعلى هذا النحو الذي تلقى به المكذبون أتباع الرسل ما جاءهم به رسالهم، يتلقى المكذبون المجرمون من أتباعك ما جئتهم به. وعلى هذا النحو يجري هذا التكذيب في قلوبهم التي لا تدبر ولا تحسن الاستقبال، جزاء ما أعرضت وأجرت في حق الرسل المختارين: «كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ».. نسلكه في قلوبهم مكذبا بما فيه مستهزا به لأن هذه القلوب لا تحسن أن تتلقاه إلا على هذا النحو. سواء في هذا الجيل أم في الأجيال الخالية أم في الأجيال اللاحقة فالمكذبون أمة واحدة، من طينة واحدة: «وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ»..

وليس الذي ينقصهم هو توافر دلائل الإيمان، فهم معاندون ومكابرون، مهما تأثم من آية بينة فهم في عنادهم ومكابرتهم سادرون.

وهنا يرسم السياق نموذجا باهرا للمكابرة المزدولة والعناد البغيض: «وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ، لَقَالُوا: إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ»..

ويكفي تصورهم يصعدون في السماء من باب يفتح لهم فيها. يصعدون بأجسامهم، ويرون الباب المفتوح أمامهم، ويحسون حركة الصعود ويرون دلائلها.. ثم هم بعد ذلك يكابرون فيقولون: لا. لا. ليست هذه حقيقة. إنما أحد سكر أبصارنا وخدراها فهي لا ترى إنما تتخيل: «إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ».. سكر أبصارنا مسكر وسحرنا ساحر، فكل ما نراه وما نحسه وما نتحركه تهيئات مسكر

^{١٨٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ١٨١٤]

مسحور! يكفي تصورهم على هذا النحو لتبدو المكابرة السمجة ويتجلى العناد المزري. ويتأكد أن لا جدوى من الجدل مع هؤلاء. ويثبت أن ليس الذي ينقصهم هو دلائل الإيمان. وليس الذي يمنعهم أن الملائكة لا تنزل. فصعودهم هم أشد دلالة وألصق بهم من نزول الملائكة. إنما هم قوم مكابرون. مكابرون بلا حياء وبلا تخرج وبلا مبالاة بالحق الواضح المكشوف! إنه نموذج بشري للمكابرة والاستغلاق والانطماس يرسمه التعبير، مثيرا لشعور الاشمزاز والتحقير..

وهذا النموذج ليس محليا ولا وقتيا، ولا هو وليد بيئة معينة في زمان معين.. إنه نموذج للإنسان حين تفسد فطرته، وتستغلق بصيرته، وتعطل في كيانه أجهزة الاستقبال والتلقي، وينقطع عن الوجود الحي من حوله، وعن إيقاعاته وإيجاءاته. هذا النموذج يتمثل في هذا الزمان في الملحدين وأصحاب المذاهب المادية التي يسمونها «المذاهب العلمية!» وهي أبعد ما تكون عن العلم بل أبعد ما تكون عن الإلهام والبصيرة..

إن أصحاب المذاهب المادية يلحدون في الله ويجادلون في وجوده - سبحانه - وينكرون هذا الوجود.

ثم يقيمون على أساس إنكار وجود الله، والزعم بأن هذا الكون موجود هكذا بذاته، بلا خالق، وبلا مدير، وبلا موجه.. يقيمون على أساس هذا الزعم وذلك الإنكار مذاهب اجتماعية وسياسية واقتصادية و«أخلاقية!» كذلك. ويزعمون أن هذه المذاهب القائمة على ذلك الأساس، والتي لا تنفصل عنه بحال.. «علمية».. هي وحدها «العلمية»! وعدم الشعور بوجود الله سبحانه، مع وجود تلك الشواهد والدلائل الكونية، هو دلالة لا تنكر على تعطل أجهزة الاستقبال والتلقي في تلك الجبلات التكدية. كما أن اللجاجة في هذا الإنكار لا تقل تبجحا عن تبجح ذلك النموذج الذي ترسمه النصوص القرآنية السابقة: «وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا: إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ!»..

فالشواهد الكونية أظهر وأوضح من عروجهم إلى السماء. وهي تخاطب كل فطرة غير معطلة خطابا هامسا وجاهرا، باطنا وظاهرا، بما لا تملك هذه الفطرة معه إلا المعرفة والإقرار.

إن القول بأن هذا الكون موجود بذاته وفيه كل تلك النواميس المتوافقة لحفظه وتحريكه وتديره كما أن فيه كل تلك الموافقات لنشأة الحياة في بعض أجزائه.. وهي موافقات لا تحصى.. إن هذا القول بذاته يرفضه العقل البشري، كما ترفضه الفطرة من أعماقها. وكلما توغل «العلم» في المعرفة بطبيعة هذا الكون وأسراره وموافقاته رفض فكرة التلقائية في وجود هذا الكون وفي حركته بعد وجوده واضطر اضطرارا إلى رؤية اليد الخالقة المدبرة من ورائه.. هذه الرؤية التي تتم للفطرة السوية بمجرد تلقي إيقاعات هذا الكون وإيجاءاته. قبل جميع البحوث العلمية التي لم تجئ إلا أخيرا!

إن الكون لا يملك أن يخلق ذاته، ثم يخلق في الوقت نفسه قوانينه التي تصرف وجوده. كما أن نشأة الحياة لا يفسرها وجود الخالي من الحياة. وتفسير نشأة الكون ونشأة الحياة بدون وجود خالق مدبر تفسير متعسف ترفضه الفطرة كما يرفضه العقل أيضا.. كما أخذ يرفضه العلم المادي نفسه أخيرا:

يقول عالم الأحياء والنبات «رسل تشارلز إرنست» الأستاذ بجامعة فرانكفورت بألمانيا: «لقد وضعت نظريات عديدة لكي تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين، أو من الفيروس، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة. وقد يخيّل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات. ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلم به هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية، قد باءت بفشل وخذلان ذريعين. ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة، يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدها في الخلايا الحية. وللشخص مطلق الحرية في أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة، فهذا شأنه وحده!

ولكنه إذ يفعل ذلك، فإنما يسلم بأمر أشد إعجازا وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله، الذي خلق الأشياء ودبرها.

« إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها. وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق. ولذلك فإنني أو من بوجود الله إيماننا راسخا»^{١٩٠}

وهذا الذي يكتب هذا التقرير لم يبدأ بحثه من التقارير الدينية عن نشأة الحياة. إنما بدأ بحثه من النظر الموضوعي لنواميس الحياة. والمنطق السائد في بحثه هو منطق «العلم الحديث» - بكل خصائصه - لا منطق الإلهام الفطري، ولا منطق الحس الديني. ومع ذلك فقد انتهى إلى الحقيقة التي يقررها الإلهام الفطري، كما يقررها الحس الديني. ذلك أن الحقيقة متى كان لها وجود، اعترض وجودها كل سالك إليها من أي طريق يسلكه إليها أما الذين لا يجدون هذه الحقيقة فهم الذين تعطلت فيهم أجهزة الإدراك جميعا!

والذين يجادلون في الله - مخالفين عن منطق الفطرة وعن منطق العقل، وعن منطق الكون... أولئك كائنات تعطلت فيها أجهزة الاستقبال والتلقي جميعا. إنهم العمي الذين يقول الله تعالى فيهم: «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى».

وإذا كانت هذه حقيقتهم فإن ما ينشئون من مذاهب «علمية!» اجتماعية وسياسية واقتصادية وما ينشئون من نظريات عن الكون والحياة والإنسان والحياة الإنسانية والتاريخ الإنساني يجب أن ينظر إليها المسلم كما ينظر إلى كل تحبط، صادر عن أعمى، معطل الحواس الأخرى، محجوبا عن الرؤية وعن الحس وعن الإدراك جميعا - على الأقل فيما يتعلق بالحياة الإنسانية وتفسيرها وتنظيمها. وما ينبغي لمسلم أن يتلقى عن هؤلاء شيئا فضلا على أن يكتف نظرتهم، ويقيم منهج حياته، على شيء مقتبس من أولئك العمي أصلا! إن هذه قضية إيمانية اعتقادية، وليست قضية رأي وفكر! إن الذي يقيم تفكيره، ويقيم مذهبه في الحياة، ويقيم نظام حياته كذلك، على أساس أن هذا الكون

^{١٩٠} - من مقال «الخلايا الحية تؤدي رسالتها» في كتاب: «الله يتجلى في عصر العلم» ونحب أن ننبه أننا إذ نقتطف ما نقتطف إنما نخاطب الماديين «العلميين» بلغتهم.. وليس هذا إقرارا منا بصحة كل ما نستشهد به وسلامة منهجه التفكير والتعبيري في القضية التي نعرضها.

المادي هو منشئ ذاته، ومنشئ الإنسان أيضا.. إنما يخطئ في قاعدة الفكرة والمذهب والنظام فكل التشكيلات والتنظيمات والإجراءات القائمة على هذه القاعدة لا يمكن أن تجيء بخير ولا يمكن أن تلتحم في جزئية واحدة مع حياة مسلم، يقيم اعتقاده وتصوره، ويجب أن يقيم نظامه وحياته على قاعدة ألوهية الله للكون وخلقه وتديره.

ومن ثم يصبح القول بأن ما يسمى «الاشتراكية العلمية» منهج مستقل عن المذهب المادي مجرد جهالة أو هراء! ويصبح الأخذ بما يسمى «الاشتراكية العلمية» - وتلك قاعدتها ونشأتها ومنهج تفكيرها وبناء أنظمتها - عدولا جذريا عن الإسلام: اعتقادا وتصورا ثم منهجا ونظاما.. حيث لا يمكن الجمع بين الأخذ بتلك «الاشتراكية العلمية» واحترام العقيدة في الله بناتا. ومحاولة الجمع بينهما هي محاولة الجمع بين الكفر والإسلام.. وهذه هي الحقيقة التي لا محيص عنها..

إن الناس في أي أرض وفي أي زمان إما أن يتخذوا الإسلام ديناً، وإما أن يتخذوا المادية ديناً. فإذا

اتخذوا الإسلام ديناً امتنع عليهم أن يتخذوا «الاشتراكية العلمية» المنبثقة من «الفلسفة المادية»، والتي لا يمكن فصلها عن الأصل الذي انبثقت منه، نظاما.. وعلى الناس أن تختار.. إما الإسلام، وإما المادية، منذ الابتداء! إن الإسلام ليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمير. إنما هو نظام قائم على عقيدة.. كما أن «الاشتراكية العلمية» - بهذا الاصطلاح - ليست قائمة على هواء، إنما هي منبثقة انبثاقا طبيعيا من «المذهب المادي» الذي يقوم بدوره على قاعدة مادية الكون وإنكار وجود الخالق المدبر أصلا، ولا يمكن الفصل بين هذا التركيب العضوي.. ومن ثم ذلك التناقض الجذري بين الإسلام وما يسمى «الاشتراكية العلمية» بكل تطبيقاتها!

ولا بد من الاختيار بينهما.. ولكل أن يختار وأن يتحمل عند الله تبعه ما يختار!!!^{١٩١}

الجن يشهدون للمؤمنين يوم القيامة:

^{١٩١} - في ظلال القرآن كاملا مدققا تدقيق نهائي [ص ٢٧٧٠]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعَصَعَةَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ
 الْمَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ
 وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذْنَتِ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعِ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «لَا
 يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جَنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ أَبُو
 سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^{١٩٢}
 وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِذَا كُنْتَ فِي الْبَوَادِي فَارْفَعِ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 يَقُولُ: «لَا يَسْمَعُ صَوْتُهُ شَجَرٌ، وَلَا مَدْرٌ، وَلَا حَجَرٌ، وَلَا جَنَّ، وَلَا إِنْسٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ»^{١٩٣}



^{١٩٢} - صحيح البخاري (١/ ١٢٥) (٦٠٩)

[ش (باديتك) هي الصحراء التي لا عمارة فيها حيث ترعى الغنم وغيرها. (مدى الصوت) آخر ما يصل إليه الصوت
 ينتهي]

"قوله جَنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ظاهره يُشْمَلُ الْحَيَوَانَاتِ وَالْحِمَادَاتِ فَهُوَ مِنَ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ، وَقَالَ التَّوْرِيْشِيُّ
 الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الشَّهَادَةِ اشْتِهَارُ الْمَشْهُودِ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْفَضْلِ وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ يَفْضَحُ بِالشَّهَادَةِ قَوْمًا
 فَكَذَلِكَ يُكْرَمُ بِالشَّهَادَةِ آخَرِينَ، وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْأَذَانِ لِكَثْرَةِ مَنْ يَشْهَدُ لَهُ مَا لَمْ يُجْهَدْهُ أَوْ
 يَتَأَذَّى بِهِ وَفِيهِ أَنَّ حُبَّ الْغَنَمِ وَالْبَادِيَةِ وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ نُزُولِ الْفِتْنَةِ مِنْ عَمَلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَفِيهِ جَوَازُ التَّبَدُّيِّ وَمُسَاكَنَةِ
 الْأَعْرَابِ وَمُشَارَكَتِهِمْ فِي الْأَسْبَابِ بِشَرْطِ حَظِّ مِنَ الْعِلْمِ وَأَمْنِ غَلِيَةِ الْحِفَاءِ وَفِيهِ أَنَّ أَذَانَ الْفَدَّ مَذْبُوبٌ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ
 فِي قَفَرٍ وَلَوْ لَمْ يَرْتَجَعْ حُضُورٌ مَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ لِأَنَّهُ إِنْ فَاتَهُ دُعَاءُ الْمُصَلِّينَ فَلَمْ يَقْنُتْهُ اسْتِشْهَادٌ مِنْ سَمْعِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ"فتح
 الباري لابن حجر (٢/ ٨٨)

^{١٩٣} - صحيح ابن خزيمة (١/ ٢٠٣) (٣٨٩) صحيح

المبحث العاشر

الصراع بين الحق والباطل والإنسان والشیطان

إنَّ الذي يرسمه القرآن الكريم للمعركة بين شياطين الإنس والجن من ناحية، وكل نبي وأتباعه من ناحية أخرى ومشیئة الله المهيمنة وقدره النافذ من ناحية ثالثة.. هذا المشهد بكل جوانبه جدير بأن نقف أمامه وقفة قصيرة:

إنها معركة تتجمع فيها قوى الشر في هذا الكون.. شياطين الإنس والجن.. تتجمع في تعاون وتناسق لإمضاء خطة مقررّة.. هي عدااء الحق الممثل في رسالات الأنبياء وحربه.. خطة مقررّة فيها وسائلها.. «يُوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا».. يمد بعضهم بعضا بوسائل الخداع والغواية وفي الوقت ذاته يغوي بعضهم بعضا! وهي ظاهرة ملحوظة في كل تجمع للشر في حرب الحق وأهله.. إن الشياطين يتعاونون فيما بينهم ويعين بعضهم بعضا على الضلال أيضا! إنهم لا يهدون بعضهم البعض إلى الحق أبدا. ولكن يزين بعضهم لبعض عدااء الحق وحربه والمضي في المعركة معه طويلا! ولكن هذا الكيد كله ليس طليقا.. إنه محاط به بمشيئة الله وقدره.. لا يقدر الشياطين على شيء منه إلا بالقدر الذي يشاؤه الله وينفذه بقدره. ومن هنا يبدو هذا الكيد - على ضخامته وتجمع قوى الشر العالمية كلها عليه - مقيدا مغلولا! إنه لا ينطلق كما يشاء بلا قيد ولا ضابط. ولا يصيب من يشاء بلا معقب ولا مراجع - كما يحب الطغاة أن يلقوا في روع من يعبدونهم من البشر، ليعلقوا قلوبهم بمشيئتهم وإرادتهم.. كلا! إن إرادتهم مقيدة بمشيئة الله. وقدرتهم محدودة بقدر الله. وما يضرون أولياء الله بشيء إلا بما أراده الله - في حدود الابتلاء - ومرد الأمر كله إلى الله.

ومشهد التجمع على خطة مقررّة من الشياطين جدير بأن يسترعي وعي أصحاب الحق ليعرفوا طبيعة الخطة ووسائلها.. ومشهد إحاطة مشیئة الله وقدره بخطة الشياطين وتديبرهم جدير كذلك بأن يملأ قلوب أصحاب الحق بالثقة والطمأنينة واليقين، وأن يعلق قلوبهم وأبصارهم بالقدرّة القاهرة والقدر النافذ، وبالسلطان الحق الأصيل في هذا

الوجود، وأن يطلق وجدانهم من التعلق بما يريد أولاً يريد الشياطين! وأن يمضوا في طريقهم بينون الحق في واقع الخلق، بعد بنائه في قلوبهم هم وفي حياتهم. أما عداوة الشياطين، وكيد الشياطين، فليدعوهما للمشيمة المحيطة والقدر النافذ. «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ. فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»...^{١٩٤}

فالعداء بين الإنسان والشیطان عداً بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي صور الله فيه آدم، قبل أن ينفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به، ففي صحيح مسلم عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خَلَقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ»^{١٩٥}

فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء، فشمله الأمر، ولكنه تعاضم في نفسه واستكبر، وأبى السجود لآدم: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢].
لقد سأل الله تعالى إبليس فقال له: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ بِالسُّجُودِ؟ فَردَّ عَلَى خَالِقِهِ قَائِلًا: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَآدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ، وَالنَّارُ أَفْضَلُ مِنَ الطِّينِ فِي رَأْيِ إِبْلِيسَ، لِذَلِكَ لَمْ يَسْجُدْ لآدَمَ، وَالْأَفْضَلُ لَا يَسْجُدُ لِلْمَفْضُولِ.^{١٩٦}
لقد فتح أبونا آدم عينيه، فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له، ولكنه يجد عدواً رهيباً يتهدهه وذريته بالهلاك والإضلال.

^{١٩٤} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١٦٢١)

^{١٩٥} - صحيح مسلم (٢٠١٦ / ٤) ١١١ - (٢٦١١)

[ش (يطيف به) قال أهل اللغة طاف بالشيء يطوف طوفاً وطوافاً وأطاف يطيف - إذا استدار حوايه (فلما رآه أجوف) الأجوف صاحب الجوف وقيل هو الذي داخله خال ومعنى لا يتمالك - لا يملك نفسه ويجسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب والمراد جنس بني آدم]

^{١٩٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٦٧، بترقيم الشاملة آليا)

وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكباره، وحصل على وعد من الله بإبقائه حياً إلى يوم القيامة: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥)} [الأعراف: ١٤، ١٥]

لقد استدرَكَ إبليسُ، وسألَ رَبَّهُ أَنْ يُمهلهُ وَلَا يُمِتهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي سَبَّعَتْ فِيهِ اللَّهُ الْخَلَائِقَ لِلْحِسَابِ. وَقَدْ أَرَادَ إبليسُ بِذَلِكَ أَنْ يَجِدَ فُسْحَةً مِنَ الْوَقْتِ لِإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ وَإِضْلَالِهِمْ. فَأَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى سُؤَالِهِ لِحِكْمَةٍ اقْتَضَتْهَا إِرَادَتُهُ وَمَشِئَتُهُ الَّتِي لَا تُخَالَفُ وَلَا تُعَارَضُ. وَقَدْ أَنْظَرَهُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى.^{١٩٧}

وقد قطع اللعين على نفسه عهداً بإضلال بني آدم: {قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَنْتِهَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)} [الأعراف: ١٦ - ١٨].

لَمَّا اسْتَوْثِقَ إبليسُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ لَهُ بِإِبقَائِهِ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، أَخَذَ فِي الْمَعَانِدَةِ وَالتَّمَرُّدِ فَقَالَ لِربِّهِ: كَمَا أُغْوَيْتَنِي (فِيمَا أُغْوَيْتَنِي) وَأَضَلَلْتَنِي وَأَهْلَكْتَنِي فَإِنِّي سَأُحَاوِلُ فَتْنَةَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وَسَأَعْتَزُّ سَبِيلَهُمْ مُحَاوِلًا إِبْعَادَهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، بِأَنْ أُزَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقًا أُخْرَى حَتَّى يَضِلُّوا. ثُمَّ سَأُحَاوِلُ تَشْكِيكَهُمْ فِي أَحْرَبَتِهِمْ (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) وَأُرْغِبُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ (مِنْ خَلْفِهِمْ)، وَسَأُشَبِّهُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ (عَنْ أَيْمَانِهِمْ)، وَسَأُزَيِّنَ لَهُمُ الْمَعَاصِيَ، وَأُحَسِّنُهَا لَهُمْ (عَنْ شَمَائِلِهِمْ) وَسَأَفْتِنُهُمْ، مَا اسْتَطَعْتُ، حَتَّى لَا تَجِدَ يَا رَبِّ بَيْنَ بَنِي آدَمَ كَثِيرًا مِنَ الْمُطِيعِينَ الشَّاكِرِينَ لَأَنْعَمِكَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى لَعْنَتَهُ عَلَى إبليسَ وَطَرَدَهُ لَهُ، وَإِبْعَادَهُ عَنِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَهُوَ مَقِيْتُ مَعِيبٍ (مَذْذُومٍ) مُقْصَى مُبْعَدٍ، وَقَالَ لَهُ مُهَدِّدًا: إِنَّهُ وَمَنْ يَتَّبِعْهُ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ جَهَنَّمَ، وَسَيَمْلَأُهَا مِنْهُمْ جَمِيعًا.^{١٩٨}

^{١٩٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٦٩، بترقيم الشاملة آليا)

^{١٩٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٧١، بترقيم الشاملة آليا)

وقوله هذا يصور مدى الجهد الذي يبذله لإضلال بني آدم، فهو يأتيه من كل طريق، عن اليمين وعن الشمال، ومن الأمام ومن الخلف؛ أي من جميع الجهات، قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "ثُمَّ لَاتَيْنَهُمْ مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ الَّتِي يَأْتِي مِنْهَا الْعَدُوُّ فِي الْغَالِبِ. وَهَذَا مِثْلُ لَوْ سَوَّيْتَهُ إِلَيْهِمْ وَتَسَوَّيْلَهُ مَا أَمَكْنَهُ وَقَدَّرَ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بَصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤] ١٩٩

وَعَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعْدَ لَابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ فَقَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءَ أَيْبِكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمُهَاجِرِ كَمِثْلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقَسِّمُ الْمَالُ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَّتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ" ٢٠٠

وَعَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعْدَ لَابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ فَقَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتَدْعُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ ؟ ، ثُمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ ، وَتَدْعُ مَوْلِدَكَ فَتَكُونُ كَالْفَرَسِ فِي طَوْلِهِ ، ثُمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَتُقْتَلُ، فَتَتَزَوَّجُ امْرَأَتَكَ، وَيُقَسِّمُ مِيرَاثَكَ ؟

١٩٩ - تفسير الكشاف - دار الكتاب العربي - بيروت (٢/ ٩٣)

٢٠٠ - السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٢٨٣) (٤٣٢٧) صحيح

إن الشيطان قعد: قد جاء في لفظ الحديث، قال: «قعد الشيطان لابن آدم بأطرقه» يريد جمع طريق، والمعروف في جمع طريق: أطرقه، وهو جمع قلة، والكثرة: طرق، فأما «أطرق» في جمع طريق فلم أسمعه ولا رأيته، وأما أفعلة في جمع فعيل، فقد جاء كثيرا، قالوا: رغيغ وأرغفة، وجريغ وأجربة، وكثيب وأكثبة، وسرير وأسرة، فأما أفعل في جمع فعيل فلم يجيء إلا فيما كان مؤنثا نحو: يمين وأيمن، فإن كان نظير في جمع طريق إلى جواز تأنيثها، فجمعها جمع المؤنث، فقال: طريق وأطرق، فيجوز، فإن الطريق يذكر ويؤنث، تقول: الطريق الأعظم، والطريق العظيم. = الطَّوْلُ: الحبل. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (٩/ ٥٤١)

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ إِنْ قُتِلَ، أَوْ مَاتَ غَرَقًا، أَوْ حَرَقًا، أَوْ أَكَلَهُ السَّبُعُ. ٢٠١

ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها، فعن عبد الله بن عمر قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي، قَالَ: يَعْنِي الْخَسْفَ. ٢٠٢

وعن جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا مَعَ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، أَوْ حَتَّى مَاتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي» وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي " قَالَ جُبَيْرٌ: هُوَ الْخَسْفُ. قَالَ عَبَادَةُ: فَلَا أَدْرِي قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ قَوْلَ جُبَيْرٍ. ٢٠٣

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَأَهْلِي، وَاسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ يَسَارِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» ٢٠٤

٢٠١ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٢٩٣ / ٥) (١٩٦٧٥) صحيح

٢٠٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) (٢٧٩ / ٢) (٤٧٨٥) صحيح

قال السندي: قوله: "وَأَمِنْ رَوْعَاتِي" أصله: آمِنِي مِنْ رَوْعَاتِي، أي: مخاوفي ومهالكِي، كما في قوله تعالى: (وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ). = احفظني من بين يديّ: أي: ادفع عني البلاء من الجهات الست، فإن ما يصل الإنسان يصله من إحداها، وبالغ في جهة السفلى لرداءة الآفة منها. = والاعتغال: الأخذ غيلة، واعتغال: مبيئ للمفعول من المتكلم، والله تعالى أعلم.

٢٠٣ - الدعوات الكبير (٩٠ / ١) (٣٢) صحيح

٢٠٤ - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٢٤٣) (٦٩٨) صحيح لغيره

وقد أطل القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظم فتنته، ومهارته في الإضلال، ودأبه وحرصه على ذلك: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ٢٧].

يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِبْلِيسَ وَحِمَاةِهِ (قَبِيلِهِ)، وَيَذَكِّرُهُمْ بِعَدَاوَتِهِ الْقَدِيمَةِ لِآدَمَ وَزَوْجِهِ، حِينَمَا سَعَى فِي إِخْرَاجِهِمَا مِنَ الْجَنَّةِ، ذَارِ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ، إِلَى الْأَرْضِ دَارِ الشَّقَاءِ، وَتَسَبَّبَ فِي هَتَكِ سِتْرِهِمَا، وَكَشَفِ عَوْرَاتِهِمَا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَسْتُورَةً عَنْهُمَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يُمَكِّنُوا إِبْلِيسَ مِنْ خِدَاعِهِمْ، وَإِقَاعِهِمْ فِي الْمَعَاصِي بَوَسْوَسَتِهِ، فَإِبْلِيسُ يَرَى الْبَشَرَ فِي حِينَ أَنْتَهُمْ لَا يَرَوْنَهُ هُمْ. وَالشَّيَاطِينُ هُمْ أَوْلِيَاءُ وَأَحِلَاءُ وَأَصْحَابُ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مِنَ الْإِنْسِ، لَا سَتَعْدَادِهِمْ لَتَقْبَلِ وَسْوَسَةُ الشَّيَاطِينِ وَإِعْوَاتِهِمْ. أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.^{٢٠٥}

وقال تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر: ٦]

قال الطبري: " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: { إِنَّ الشَّيْطَانَ } [الأعراف: ٢٢] الَّذِي نَهَيْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَعْتَرُوا بِغُرُورِهِ إِيَّاكُمْ بِاللَّهِ { لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فاطر: ٦] يَقُولُ: فَاتَّخِذُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَنَزِلَ الْعَدُوِّ مِنْكُمْ، وَاحْذَرُوهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاسْتَعِشَّاشِكُمْ إِيَّاهُ، حَذَرَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ الَّذِي تَخَافُونَ غَائِلَتَهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَلَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ، يَعْنِي شِيعَتَهُ، وَمَنْ أَطَاعَهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالْقَبُولِ مِنْهُ، وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ { لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر: ٦] يَقُولُ: لِيَكُونُوا مِنَ الْمُخْلَدِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي تَتَوَقَّدُ عَلَى أَهْلِهَا"^{٢٠٦}

إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ يُوَسْوِسُ لَكُمْ لِيُضِلَّكُمْ وَيُدْفَعَ بِكُمْ إِلَى هَاوِيَةِ الْجَحِيمِ، فَاحْذَرُوا مِنْهُ وَكُونُوا أَنْتُمْ أَعْدَاءَهُ، وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ فِيمَا يُغْرِكُمْ بِهِ، وَهُوَ يَدْعُو

^{٢٠٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٨٢، بترقيم الشاملة آليا)

^{٢٠٦} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩ / ٣٣١)

حَزْبُهُ وَأَوْلِيَائَهُ وَشِيعَتُهُ، إِلَى اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالرُّكُونِ إِلَى اللِّذَاتِ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ، لِيُضِلَّهُمْ وَيُلْقِيَهُمْ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ، فِي سَعِيرِ جَهَنَّمَ.^{٢٠٧}

"والشيطان قد أعلن عداؤه لكم وإصراره على عداكم «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» لا تركنوا إليه، ولا تتخذوه ناصحاً لكم، ولا تتبعوا خطاه، فالعدو لا يتبع خطى عدوه وهو يعقل! وهو لا يدعوكم إلى خير، ولا ينتهي بكم إلى نجاة: «إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ»! فهل من عاقل يجب دعوة الداعي إلى عذاب السعير؟! إنما لمسة وجدانية صادقة. فحين يستحضر الإنسان صورة المعركة الخالدة بينه وبين عدوه الشيطان، فإنه يتحفز بكل قواه وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن النفس وحماية الذات. يتحفز لدفع الغواية والإغراء ويستيقظ لمداخل الشيطان إلى نفسه، ويتوجس من كل هاجسة، ويسرع ليعرضها على ميزان الله الذي أقامه له ليتبين، فلعلها خدعة مستترة من عدوه القديم! وهذه هي الحالة الوجدانية التي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير. حالة التوفز والتحفز لدفع وسوسة الشيطان بالغواية كما يتوفز الإنسان ويتحفز لكل بادرة من عدوه وكل حركة خفية! حالة التعبئة الشعورية ضد الشر ودواعيه، وضد هواتفه المستترة في النفس، وأسبابه الظاهرة للعيان. حالة الاستعداد الدائم للمعركة التي لا تهدأ لحظة ولا تضع أوزارها في هذه الأرض أبداً.^{٢٠٨}

وقال تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَكُونَنَّ أَذَانًا أَلْفَاظًا وَلَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَكُونَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيَنَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١)} [النساء: ١١٧ - ١٢١].

إن الكافرين يدعون من دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا صَوَّرُوها، وَقَالُوا إِنَّهَا تُشْبِهُ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، لِذَلِكَ عَبَدُوهَا، وَسَمَوْهَا بِأَسْمَاءِ الْإِنَاثِ (مِثْلُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ..)

^{٢٠٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٤٧، بترقيم الشاملة آليا)

^{٢٠٨} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٣٦٩٥)

وَالَّذِي أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَهُوَ الَّذِي حَسَنَ لَهُمْ ذَلِكَ، وَزَيَّنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَكَانَتْ طَاعَتُهُمْ لَهُ عِبَادَةً. وَالشَّيْطَانُ الَّذِي أَضَلَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ قَدْ طَرَدَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ جِوَارِهِ (لَعْنَهُ). وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ: إِنَّهُ سَيَفْتِنُ عِبَادَ اللَّهِ، وَسَيَتَّخِذُ مِنْهُمْ نَصِيبًا مُعَيَّنًا يَجْعَلُهُمْ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

وَيَتَّبِعُ الشَّيْطَانُ قَوْلَهُ لِلَّهِ: إِنَّهُ سَيَعْمَلُ عَلَى إِضْلَالِ عِبَادِ اللَّهِ عَنِ الْحَقِّ، وَعَلَى صَرْفِهِمْ عَنِ الْهُدَى، وَإِنَّهُ سَيُزَيِّنُ لَهُمْ الْأَسْتَعْجَالَ بِاللَّذَاتِ الْحَاضِرَةِ، وَالتَّسْوِيفَ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَسَيَعِدُّهُمْ الْأَمَانِي، وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُهُمْ بِتَشْقِيقِ آذَانِ الْبَهَائِمِ السَّائِمَةِ، وَجَعْلِهَا سِمَةً وَعَلَامَةً لِلْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ، وَسَيَأْمُرُهُمْ بِتَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَادِيَّةِ كَخَصْمِي الدَّوَابِّ وَالْوَشْمِ، وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَغْيِيرِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَمَّا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى النَّظَرِ وَالْاِسْتِدْلَالِ وَطَلَبِ الْحَقِّ، وَتَرْبِيتِهَا وَتَوْيِيدِهَا عَلَى الْأَبَاطِيلِ وَالرَّذَائِلِ وَالْمُنْكَرَاتِ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَهَؤُلَاءِ يُفْسِدُونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَيَطْمَسُونَ عُقُولَ النَّاسِ. وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَخْسِرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَتِلْكَ خَسَارَةٌ لَا جَبْرَ لَهَا، وَلَا اسْتِدْرَاكَ لِفَاتِتِهَا.

يُخَوِّفُ الشَّيْطَانُ النَّاسَ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا هُمْ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُوسَّسُ لَهُمْ بِأَنَّ أَمْوَالَهُمْ تَنْفَدُ أَوْ تَنْقُصُ، وَيُصْبِحُونَ فَقَرَاءَ أَذِلَاءَ، وَيَعِدُّهُمْ بِالْغِنَى وَالثَّرْوَةِ حِينَ يُغْرِيهِمْ بَلْعَبِ الْقِمَارِ وَيُمْنِيهِمْ بِأَنَّهُمْ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَى فِي ذَلِكَ فَوْعُودُهُ بَاطِلَةٌ.

وَهَؤُلَاءِ الْمُسْتَحْسِنُونَ لِمَا وَعَدَهُمُ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَمَتَّاهُمْ بِهِ، سَيَكُونُ مَاوَاهُمْ وَمَصِيرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ، وَلَكِنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا وَلَا خَلَاصًا.^{٢٠٩}

"لقد كان العرب - في جاهليتهم - يزعمون أن الملائكة بنات الله. ثم يتخذون لهذه الملائكة تماثيل يسمونها أسماء الإناث: «اللآت». وَالْعَزَى. وَمَنَاة» وأمثالها ثم يعبدون هذه الأصنام - بوصفها تماثيل لبنات الله - يتقربون بها إلى الله زلفى.. كان هذا على الأقل

^{٢٠٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٦١٠، بترقيم الشاملة آيا)

في مبدأ الأمر.. ثم ينسون أصل الأسطورة، ويعبدون الأصنام ذاتها، بل يعبدون جنس الحجر، كما بينا ذلك في الجزء الرابع.

كذلك كان بعضهم يعبد الشيطان نصا.. قال الكلبي: كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن..

على أن النص هنا أوسع مدلولاً، فهم في شركهم كله إنما يدعون الشيطان، ويستمدون منه: هذا الشيطان صاحب القصة مع أبيهم آدم الذي لعنه الله، بسبب معصيته وعدائه للبشر. والذي بلغ من حقه بعد طرده ولعنته، أن يأخذ من الله - سبحانه - إذناً بأن يغوي من البشر كل من لا يلجأ إلى حمى الله: «إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا، وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا، لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ: لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا» - عدوهم القديم - ويسوحوه ويستمدون منه هذا الضلال. ذلك الشيطان الذي لعنه الله. والذي صرح بنيته في إضلال فريق من أبناء آدم، وتمنياتهم بالأمنيات الكاذبة في طريق الغواية، من لذة كاذبة، وسعادة موهومة، ونجاة من الجزاء في نهاية المطاف! كما صرح بنيته في أن يدفع بهم إلى أفعال قبيحة، وشعائر سخيفة، من نسج الأساطير. كتمزيق آذان بعض الأنعام، ليصبح ركوبها بعد ذلك حراماً، أو أكلها حراماً - دون أن يجرمها الله - ومن تغيير خلق الله وفطرته بقطع بعض أجزاء الجسد أو تغيير شكلها في الحيوان أو الإنسان، كخصاء الرقيق، ووشم الجلود.. وما إليها من التغيير والتشويه الذي حرّمه الإسلام.

وشعور الإنسان بأن الشيطان - عدوه القديم - هو الذي يأمر بهذا الشرك وتوابعه من الشعائر الوثنية، يثير في نفسه - على الأقل - الحذر من الفخ الذي نصبه العدو. وقد جعل الإسلام المعركة الرئيسية بين الإنسان والشيطان. ووجه قوى المؤمن كلها لكفاح الشيطان والشر الذي ينشئه في الأرض والوقوف تحت راية الله وحزبه، في مواجهة الشيطان وحزبه: وهي معركة دائمة لا تضع أوزارها. لأن الشيطان لا يمل هذه الحرب التي أعلنها منذ لعنه وطرده. والمؤمن لا يغفل عنها، ولا ينسحب منها. وهو يعلم أنه إما أن يكون ولياً لله، وإما أن يكون ولياً للشيطان وليس هنالك وسط.. والشيطان يتمثل في

نفسه وما يبيته في النفس من شهوات ونزوات ويتمثل في أتباعه من المشركين وأهل الشر عامة. والمسلم يكافحه في ذات نفسه، كما يكافحه في أتباعه.. معركة واحدة متصلة طوال الحياة.

ومن يجعل الله مولاه فهو ناج غانم. ومن يجعل الشيطان مولاه فهو خاسر هالك: «وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا»..

ويصور السياق القرآني فعل الشيطان مع أوليائه، في مثل حالة الاستهواء: «يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِّيهِمْ، وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا». إنها حالة استهواء معينة هي التي تنحرف بالفطرة البشرية عن الإيمان والتوحيد، إلى الكفر والشرك. ولولا هذا الاستهواء لمضت الفطرة في طريقها، ولكان الإيمان هو هادي الفطرة وحاديها. وإنها حالة استهواء معينة هي التي يزين فيها الشيطان للإنسان سوء عمله، فيراه حسناً! ويعده الكسب والسعادة في طريق المعصية، فيعدو معه في الطريق! ويمنيه النجاة من عاقبة ما يعمل فيطمئن ويمضي في طريقه إلى المهلكة! «وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»..

وحين يرسم المشهد على هذا النحو، والعدو القديم يقتل الحبال، ويضع الفخ، ويستدرج الفريسة، لا تبقى إلا الجبلات الموكوسة المطموسة هي التي تظل سادرة لا تستيقظ، ولا تتلفت ولا تحاول أن تعرف إلى أي طريق تساق، وإلى أية هوة تستهوى! وبينما هذه اللمسة الموقظة تفعل فعلها في النفوس، وتصور حقيقة المعركة، وحقيقة الموقف، يجيء التعقيب ببيان العاقبة في نهاية المطاف: عاقبة من يستهويهم الشيطان، ويصدق عليهم ظنه، وينفذ فيهم ما صرح به من نيته الشريرة.. وعاقبة من يفلتون من حبالته، لأنهم آمنوا بالله حقاً. والمؤمنون بالله حقاً في نجوة من هذا الشيطان لأنه - لعنة الله عليه - وهو يستأذن في إغواء الضالين، لم يؤذن له في المساس بعباد الله المخلصين. فهو إزاءهم ضعيف ضعيف كلما اشتدت قبضتهم على حبل الله المتين: «وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا. يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِّيهِمْ، وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا؟»..

فهي جهنم ولا محيص عنها لأولياء الشيطان.. وهي جنات الخلد لا خروج منها لأولياء الله.. وعد الله: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا؟» والصدق المطلق في قول الله هنا يقابل الغرور الخادع، والأمان الكاذبة في قول الشيطان هناك! وشتان بين من يثق بوعد الله، ومن يثق بتغريير الشيطان! ٢١٠

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول؛ لأنه يرى أن طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم، فلا بد أن ينتقم من آدم وذريته من بعده: { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدُّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) } [الإسراء: ٦٢ - ٦٥].

وَقَالَ إِبْلِيسُ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ مُتَوَاقِعًا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الَّذِي شَرَّفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ عَلَيَّ فَإِنْ أَخَّرْتَنِي وَأَنْظَرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَأُضِلَّنَّ ذُرِّيَّتَهُ، وَلَأُسَيِّطِرَنَّ عَلَيْهِمْ، وَلَأُخَوِّبَنَّهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.

وَلَمَّا سَأَلَ إِبْلِيسُ النَّظْرَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ لَشَأْنِكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ، فَقَدْ أَنْظَرْتُكَ. ثُمَّ أَوْعَدَهُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، نَارَ جَهَنَّمَ، وَأَنَّهَا سَتَكُونُ جَزَاءً لَهُمْ، جَزَاءً وَافِيًا كَافِيًا لَا يَنْقُصُ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ. (جَزَاءً مَوْفُورًا). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: وَادَّعُ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَطَعْتَ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَاسْتَخِفَّهُ وَأَرْعَجْهُ (اسْتَغْفِرْ) وَاحْمِلْ عَلَيْهِمْ بِجُنُودِكَ: خِيَالَتِهِمْ وَرَجَالَتِهِمْ (بِخَيْلِكَ وَرَجَلِكَ)، وَحَاوِلْ إِغْوَاءَهُمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتَ، وَادَّعُهُمْ إِلَى كَسْبِ أَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ السَّبِيلِ الْمَشْرُوعِ، وَإِنْفَاقِهَا فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ، وَاحْمِلُهُمْ عَلَى عَصْيَانِ اللَّهِ فِي أَوْلَادِهِمْ بِتَسْمِيَّتِهِمْ بِمَا يَكْرَهُ اللَّهُ (كَعَبْدِ اللَّاتِ وَعَبْدِ الْعِزَّى)، وَبِالزَّنى

٢١٠ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١١٢٣)

بِأَمْهَاتِهِمْ، أَوْ بِإِدْخَالِهِمْ فِي غَيْرِ دِينِ اللَّهِ،) وَهَذَا كُلُّهُ مُشَارَكَةٌ مِنْ إِبْلِيسَ فِي الْأَوْلَادِ
(، وَعَدَهُمْ بِاطِّلَاءٍ بِالنُّصْرَةِ وَالْعَوْنِ... فَإِنَّكَ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَنْ تُضِلَّ غَيْرَ الضَّالِّينَ، وَهَؤُلَاءِ
الضَّالُّونَ هُمْ وَخَدَهُمُ الَّذِينَ تَسْتَطِيعُ إِغْوَاءَهُمْ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَعِدُ أَوْلِيَاءَهُ
إِلَّا كَذِبًا وَبَاطِلًا وَغُرُورًا، لِأَنَّهُ لَا يُعْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.
وَيَقُولُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: أَمَّا عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَعَصَوْكَ، فَلَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ إِضْلَالَهُمْ وَلَا إِغْوَاءَهُمْ، فَهُمْ فِي
حِفْظِي، وَحِرَاسَتِي، وَرِعَايَتِي، وَكَفَى بِاللَّهِ حَافِظًا وَمُؤَيِّدًا وَنَصِيرًا.^{٢١١}

" إن السياق يكشف عن الأسباب الأصلية لضلال الضالين، فيعرض هذا المشهد
هنا، ليحذر الناس وهم يطلعون على أسباب الغواية، ويرون إبليس عدوهم وعدو أبيهم
يتهددهم بها، عن إصرار سابق قديم! «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِسَ قَالَ: أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا؟» إنه حسد إبليس لآدم يجعله يذكر الطين ويغفل
نفخة الله في هذا الطين! ويعرض إبليس بضعف هذا المخلوق واستعداده للغواية، فيقول
في تبجح: «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ؟» أترى هذا المخلوق الذي جعلته أكرم مني
عندك؟

«لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا».. فلاستولين عليهم وأحتويهم
وأملك زمامهم وأجعلهم في قبضة يدي أصرف أمرهم.

ويغفل إبليس عن استعداد الإنسان للخير والهداية استعداداً للشر والغواية. عن حالته التي
يكون فيها متصلاً بالله فيرتفع ويسمو ويعتصم من الشر والغواية، ويغفل عن أن هذه
هي مزية هذا المخلوق التي ترفعه على ذوي الطبيعة المفردة التي لا تعرف إلا طريقاً
واحداً تسلكه بلا إرادة. فالإرادة هي سر هذا المخلوق العجيب.

وتشاء إرادة الله أن يطلق لرسول الشر والغواية الزمام، يحاول محاولته مع بني
الإنسان: «قَالَ: أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا».. اذهب
فحاول محاولتك. اذهب مأذوناً في إغوائهم. فهم مزودون بالعقل والإرادة، يملكون أن

^{٢١١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٠٩٢، بترقيم الشاملة آليا)

يتبعوك أو يعرضوا عنك «فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ» مغلبا جانب الغواية في نفسه على جانب الهداية، معرضا عن نداء الرحمن إلى نداء الشيطان، غافلا عن آيات الله في الكون، وآيات الله المصاحبة للرسالات، «فَإِنْ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ» أنت وتابعوك «جَزَاءٌ مَوْفُورًا».

«وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ».

وهو تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة، والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول. فهي المعركة الصاخبة، تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات. يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة، أو يستدرجهم للفتح المنسوب والمكيدة المدبرة. فإذا استدرجوا إلى العراء أخذهم الخيل، وأحاطت بهم الرجال! «وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ»..

وهذه الشركة تتمثل في أوهام الوثنية الجاهلية، إذ كانوا يجعلون في أموالهم نصيبا للآلهة المدعاة - فهي للشيطان - وفي أولادهم نذورا للآلهة أو عبيدا لها - فهي للشيطان - كعبد اللات وعبد مناة. وأحيانا كانوا يجعلونها للشيطان رأسا كعبد الحارث! كما تتمثل في كل مال يجي من حرام، أو يتصرف فيه بغير حق، أو ينفق في إثم. وفي كل ولد يجي من حرام. ففيه شركة للشيطان.

والتعبير يصور في عمومته شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة! وإبليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها، ومنها الوعود المغرية الخادعة: «وَعَدُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» كالوعد بالإفلات من العقوبة والقصاص. والوعد بالغنى من الأسباب الحرام. والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة...

ولعل أشد الوعود إغراء الوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة وهي الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التي يعز عليه غزوها من ناحية الجاهرة بالمعصية والمكابرة. فيتلطف حينئذ إلى تلك النفوس المتحرجة، ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لها بسعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة! اذهب مأذونا في إغواء من يجنحون

إليك. ولكن هنالك من لا سلطان لك عليهم، لأنهم مزودون بحصانة تمنعهم منك ومن خيلك ورجلك! «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ. وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا».. فمتى اتصل القلب بالله، واتجه إليه بالعبادة. متى ارتبط بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. متى أيقظ في روحه النفخة العلوية فأشرقت وأثارت.. فلا سلطان حينئذ للشيطان على ذلك القلب الموصول بالله، وهذا الروح المشرق بنور الإيمان.. «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا» يعصم وينصر ويبطل كيد الشيطان. وانطلق الشيطان ينفذ وعيده، ويستذل عبيده، ولكنه لا يجرؤ على عباد الرحمن، فما له عليهم من سلطان. "٢١٢

فإبليس بما معه من كيد ومكر، هو مدحور مخذول أمام الإرادة الصادقة، والعزم الوثيق، فهو أضعف من الإنسان، الذي يعرف قدر إنسانيته، ويحترم وجوده كإنسان كرمه الله، ورفع بين العالمين قدره.. والله سبحانه وتعالى يقول بعد هذا: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» (٧٠: الإسراء). ويقول عن الشيطان: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا» (٧٦: النساء). فليعلن الشيطان الحرب على أبناء آدم، وليأت بكل ما معه من عدد وعدة.. وليجلب بخيله ورجله، وليشاركهم في أمواهم وأولادهم، وذلك بما يفسد عليهم من أموال وبنين.. ثم إذا لم يجد في ذلك ما يمكنه منهم، فليأتهم متلطفا، متوددا، بعد أن جاءهم مهددا، متوعدا، مفسدا.. وليمد لهم في حبل الأمان، وليكثر لهم من الوعود المعسولة الكاذبة.. فذلك كله لن يبلغه شيئا من أبناء آدم الذين جعلهم الله من أهل طاعته، وأرادهم لجنته، كما يقول سبحانه وتعالى: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» فهؤلاء هم أبناء آدم، ليس لإبليس سلطان عليهم، إلا من كان من أهل الشقوة والضلال.. فهؤلاء.. بما سبق فيهم من قضاء الله - هم مستجيون للشيطان موالون له.. إذ كانت أهواؤهم متفقة مع هواه، ووجهتهم قائمة على وجهته.. إنهم، وهو، من أهل الشقاء والبلاء.

٢١٢ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٢٩١٠)

وفي قوله تعالى: «وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» تحذير من الشيطان، وأمانيه ومغرياته التي يمتنى بها الناس، ويغريهم بها، فما هي إلا ضلال في ضلال، وأباطيل لا تجيء إلا بالباطيل! وتحذير الناس من الشيطان ومغرياته، وإن كان لا يرد شيئاً مما قضى به الله في عباده، فإنه تحذير من الشر، وترغيب في الخير.. وعلى التحذير والترغيب يعتدل ميزان الناس، حيث يجدون القانون الذي يحتكمون إليه.. وهنا يصح الابتلاء، ويقع الاختبار.. فمن كان من أهل السعادة، اهتدى بهدى الله، وعمل بأوامره، واجتنب نواهيه، ومن كان من أهل الشقاء، أخذ طريقه مع الشيطان، فضل بضالاه، وغوى بغوايته.. وكل ميسر لما خلق له..

قوله تعالى «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا».

فعباد الله، هم أولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وهؤلاء لا سبيل للشيطان إليهم، إنهم في عصمة منه بهذا القضاء الأزلي من الله فيهم.. وهو قضاء خفي لا يعلمه أحد، ولا يدرى مخلوق إن كان من أهل السعادة أو أهل الشقاء.. ومن هنا كان السعي والعمل، والتسابق إلى الإحسان - من مطلوبات الناس، ومن مبتغياتهم.. لأن الإحسان هو الأمانة الدالة على الفوز والنجاة. فمن كان من أهل السعادة، عمل عمل المحسنين، ومن كان من أهل الشقاء عمل عمل المسيئين.. وفي الحديث عن عبد الله، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: يَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " ٢١٣

٢١٣ - صحيح البخاري (٩/ ١٣٥) (٧٤٥٤) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٦) ١ - (٢٦٤٣)

[ش (الصادق المصدق) معناه الصادق في قوله المصدق فيما يأتيه من الوحي الكريم (ذراع) المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه وإن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض

وهكذا نحن في الحياة.. طلاب العلم مثلاً:

العاقلون المجتهدون منهم، هم على طريق النجاح عند الامتحان، والمهملون الغافلون، هم على طريق الإخفاق..

وقد يجتدّ للعامل المجتدّ ما يصرفه عن العمل والجهد، فيخفق، ويجتدّ للكسول المهمّل ما يدفعه إلى الجهد والتحصيل، فينجح. وكل سائر إلى القدر المقدور له.. ولكن سنة الله قائمة في الناس: أن لا ثمرة بغير عمل، ولا حصاد إلا بعد زرع!

وفي قوله تعالى: «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا».. في هذا ما يسأل عنه، وهو: كيف يخاطب إبليس بهذا الخطاب الذي يشعر بالقرب: «كَفَىٰ بِرَبِّكَ»؟

والجواب على هذا، - والله أعلم - أن هذا الخطاب ليس لإبليس، وإنما هو التفات إلى الإنسان، الذي هو داخل في عموم قوله تعالى: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» وكأنهم. عمشهد من هذا الخطاب.. ثم إنه بدلاً من أن يجيء النظم بصيغة الجمع هكذا: «وكفى بربكم» جاء النظم القرآني بصيغة المفرد «وكفى برّبك».. وذلك لينظر كل إنسان إلى خاصة نفسه، وليعمل ما وسعه العمل على أن يتوقّى هذا الشيطان المترصد له، والمتربص به، وليكن مما يستعين به على ذلك أن يتوكل على الله، وأن يستعين به، وليجعل في يقينه أنه من عباد الله، الذين لا سلطان للشيطان عليهم..

ويجوز أن يكون الخطاب للشيطان، قهراً له: وإلزاماً له بسلطان الربوبية، الذي خرج بكفره عن سلطانه.. وأنه مقهور مخذول، ليس له على عباد الله سلطان، وهو سبحانه وتعالى وكيلهم الذي يدفع عنهم كيده.^{٢١٤}

وكثير من أرباب السلوك اعتنوا بذكر النفس وعيوبها وآفاتهما، ولكنهم قصّروا في التعرف على عدوهم اللدود.



ذراع والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة

^{٢١٤} - التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٥١٩)

المبحث الحادي عشر

أهداف الشيطان في إغواء الإنسان

أولا - الهدف البعيد

هناك هدف وحيد يسعى الشيطان لتحقيقه في نهاية الأمر، هو أن يلقي الإنسان في الجحيم، ويحرمه من الجنة، { إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر: ٦]. فهذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.^{٢١٥}

ثانيا - الأهداف القريبة:

ذلك هو هدف الشيطان البعيد، أما أهدافه القريبة فإنها كثيرة منها:

١ - إيقاع العباد في الشرك والكفر:

فَالْأُولَى مَرْتَبَةُ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ وَمَعَادَاةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولُهُ فَإِذَا ظَفَرَ بِذَلِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ يَرُدُّ أُنَيْنَهُ وَاسْتِرَاحَ مِنْ تَعْبِهِ مَعَهُ هَذَا أَوَّلُ مَا يُرِيدُهُ مِنَ الْعَبْدِ^{٢١٦} فهو يدعوهم إلى عبادة غير الله، والكفر بالله وبشريعته: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦]. ومثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود بالنصرة إن قوتلوا وبالخروج معهم إن أُخرجوا من ديارهم، كمثل الشيطان الذي غرَّ الإنسان، ووعدته بالنصرة عند الحاجة إليه، إذا أطاعه وكفر بالله، فلما احتاج الإنسان إليه، وطلب منه النصرة، تبرأ الشيطان منه، وخذله وتركه لمصيره، وقال له: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ إِنْ نَصَرْتُكَ أَنْ يُشْرِكَنِي رَبُّ الْعَالَمِينَ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ.^{٢١٧}

أي أن مثل المنافقين مع إخوانهم هؤلاء من اليهود، كمثل الشيطان، الذي يدعو الإنسان إلى الكفر، فيستجيب له، ويتقبل دعوته، ويأخذ بنصيحته، حتى إذا كفر هذا

^{٢١٥} - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٥)

^{٢١٦} - آكام المرجان في أحكام الجان (ص: ٢٢٥)

^{٢١٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٠٢٠، بترقيم الشاملة آليا)

الإنسان، ولبس الكفر ظاهراً وباطناً، وأحاطت به خطيئته، وحلّت به النقمة - تركه الشيطان لمصيره، ونفض يديه منه، وتبرأ من الجناية التي جناها عليه، وتنكر له، بل ورماه بالجهل والغفلة، ليزيد في آلامه وحسرتة، وقال له: «إني أخاف الله رب العالمين».. وبهذا يريه أنه قد أضله، وخدعه، وصرفه عن الله، وعن الخوف منه، على حين أنه هو لم يصرف عن الله، وعن خشيته والخوف منه...!!

والسؤال هنا: ماذا يريد الشيطان بقوله: «إني أخاف الله رب العالمين» ؟ وهل هو صادق فيما يقول؟ وإذا كان صادقاً فكيف يتفق هذا مع دعوة غيره إلى الكفر بالله والمحادة لله؟

والجواب على هذا - والله أعلم - أن الشيطان يعلم ما لله سبحانه وتعالى من جلال وقدرة، وأنه على خوف من جلال الله وقدرته، ولكنه - وقد غلبت عليه شقوته، وأعماه حسده لأبناء آدم وعداوته لهم - ذهل عن هذا، في سبيل الانتقام لنفسه، وما يحمل للإنسان من عداوة وحسد، لما كان من تكريم الله لآدم، وأمر الملائكة بالسجود له، واستعلاء إبليس واستكباره عن أن يكون من الساجدين، فلعنه الله وطرده من عالم الملائكة.. فخرج بهذه اللعنة، وهو على عزيمة بأن ينتقم من آدم ومن ذريته، ولو كان في ذلك هلاكه!! وكم من الناس من يعلم الحق ويأخذ نفسه بخلافه، ويعرف الطريق القويم، ويسلك المعوج؟ وهل كان موقف المشركين من النبي إلا عن حسد وكبر واستعلاء؟ إنهم كانوا يعرفون صدق النبي، ومع هذا فقد بهتوه، وكذبوه، وأبوا أن يقبلوا هذا النور الذي بين يديه، وآثروا أن يعيشوا بما هم فيه من عمى وضلال.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» (الأنعام: ٣٣) وفي هذا التشبيه، يمثل المنافقون دور الشيطان، فهم يعرفون طريق الحق ويتجنبونه، وهم يزينون الشر لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب، ويدعونهم إلى المحادة لله ولرسوله، ويشدون ظهرهم في كيدهم للنبي وخلافهم له.. حتى إذا وقعت الواقعة بهم، نظر إليهم هؤلاء المنافقون نظر الشيطان إلى صاحبه الذي استجاب له، وأروهم أنهم لا يستطيعون أن يخفّوا إلى نجدتهم، وأنهم يخافون النبي

والمسلمين، كما يخاف الشيطان الله رب العالمين..وهنا نذكر قول الله للمؤمنين عن المنافقين: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ».

ففى هذا التشبيه ثلاثة أطراف..الشيطان،والإنسان الذي أضله الشيطان،والله،الذي يخافه الشيطان..

وفى مقابل هذه الأطراف:المنافقون،وإخوانهم اليهود،والنبي وأصحابه الذين يخافهم المنافقون..

قوله تعالى: «فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ»..تلك هى عاقبة الشيطان وصاحبه..لقد هلك الشيطان،وهلك معه من استجاب له..وتلك هى عاقبة المنافقين،وإخوانهم من اليهود..إنهم جميعا إلى النار خالدين فيها..وذلك جزاء الظالمين..لا جزاء لهم إلا جهنم وبئس المصير..^{٢١٨}

وصورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان،تتفقان مع طبيعته ومهمته.فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان.وحاله هو هذا الحال! وهى حقيقة دائمة ينتقل السياق القرآني إليها من تلك الواقعة العارضة.فيربط بين الحادث المفرد والحقيقة الكلية،فى مجال حي من الواقع ولا يعزل بالحقائق المجردة فى الذهن.فالحقائق المجردة الباردة لا تؤثر فى المشاعر،ولا تستجيش القلوب للاستجابة.وهذا فرق ما بين منهج القرآن فى خطاب القلوب،ومنهج الفلاسفة والدارسين والباحثين!^{٢١٩}

وَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: "أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَا لَمْ نَحْلُثْهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لَأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ

^{٢١٨} - التفسير القرآني للقرآن (١٤ / ٨٧٤)

^{٢١٩} - فى ظلال القرآن للسيد قطب - ت- على بن نايف الشحود (ص: ٤٣٩٧)

نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَتَلَعَا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخَرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْرَكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَتْ خَمْسَةٌ مِثْلُهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ وَالشَّنْظِيرَ الْفَحَّاشُ ٢٢٠

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَهِيكَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّ رَاهِبًا تَعَبَدَ سِتِّينَ سَنَةً، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَرَادَهُ فَأَعْيَاهُ، فَعَمَدَ إِلَى امْرَأَةٍ فَأَجَحَّهَا، وَلَهَا

٢٢٠ - صحيح مسلم (٤/٢١٩٧) - ٦٣ - (٢٨٦٥)

[ش (كل مال نخلته عبدا حلال) في الكلام حذف أي قال الله تعالى كل مال الخ ومعنى نخلته أعطيته أي كل مال أعطيته عبدا من عبادي فهو له حلال والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك وأما لم تصر حراما بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق (حنفاء كلهم) أي مسلمين وقيل طاهرين من المعاصي وقيل مستقيمين منيبين لقبول الهداية (فاجتالتهم) هكذا هو في نسخ بلادنا فاجتالتهم وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل وقال شمر اجتال الرجل الشيء ذهب به واجتال أموالهم ساقها وذهب بها (فمقتهم) المقت أشد البغض والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ (إلا بقايا من أهل الكتاب) المراد بهم الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك) معناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده والصبر في الله تعالى وغير ذلك وأبتلي بك من أرسلتك إليهم فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته ومن يتخلف وينابذ بالعداوة والكفر ومن ينافق (كتابا لا يغسله الماء) معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على ممر الزمان (إذا يثلغوا رأسي) أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الحيز أي يكسر (نغرك) أي نعينك (لا زبر له) أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي وقيل هو الذي لا مال له وقيل الذي ليس عنده ما يعتمد (لا يتبعون) مخفف ومشدد من الاتباع أي يتبعون ويتبعون وفي بعض النسخ يتبعون أي يطلبون (والخائن الذي لا يخفى له طمع) معنى لا يخفى لا يظهر قال أهل اللغة يقال خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيتها إذا سترته وكنتمه هذا هو المشهور وقيل هما لغتان فيهما جميعا (وذكر البخل أو الكذب) هكذا هو في أكثر النسخ أو الكذب وفي بعضها والكذب والأول هو المشهور في نسخ بلادنا (الشنظير) فسره في الحديث بأنه الفحاش وهو السيئ الخلق]

إِخْوَةٌ، فَقَالَ لِإِخْوَتِهَا: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقِسِّ فَيَدَاوِيَهَا، فَجَاءُوا بِهَا، قَالَ: فِدَاؤَاهَا، وَكَانَتْ عِنْدَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عِنْدَهَا إِذْ أَعْجَبَتْهُ، فَأَتَاهَا فَحَمَلَتْ، فَعَمِدَ إِلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَجَاءَ إِخْوَتُهَا، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلرَّاهِبِ: أَنَا صَاحِبُكَ، إِنَّكَ أَعْيَيْتَنِي، أَنَا صَنَعْتُ بِكَ هَذَا فَأُطْعِمِي أَنْجَحَكَ مِمَّا صَنَعْتُ بِكَ، اسْجُدْ لِي سَجْدَةً، فَسَجَدَ لَهُ؛ فَلَمَّا سَجَدَ لَهُ قَالَ: إِنَّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنَّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦] ٢٢١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنَّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦] قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ تَرْعَى الْغَنَمَ، وَكَانَ لَهَا أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ، وَكَانَتْ تَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ، قَالَ: فَنَزَلَ الرَّاهِبُ فَفَجَرَ بِهَا، فَحَمَلَتْ، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهُ: اقْتُلْهَا ثُمَّ ادْفَعْهَا، فَإِنَّكَ رَجُلٌ مُصَدِّقٌ يُسْمَعُ كَلَامُكَ، فَقَتَلَهَا ثُمَّ دَفَنَهَا؛ قَالَ: فَاتَى الشَّيْطَانُ إِخْوَتَهَا فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الرَّاهِبَ صَاحِبَ الصَّوْمَعَةِ فَجَرَ بِأُخْتِكُمْ؛ فَلَمَّا أَحْبَلَهَا قَتَلَهَا، ثُمَّ دَفَنَهَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا وَمَا أَدْرِي أَقْصَاهَا عَلَيْكُمْ أَمْ أَتْرُكُ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ قُصَّهَا عَلَيْنَا؛ قَالَ: فَقُصَّصَهَا، فَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ؛ قَالُوا: فَمَا هَذَا إِلَّا لَشَيْءٍ، فَانْطَلِقُوا فَاسْتَعْدُوا مَلَكَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الرَّاهِبِ، فَأَتَوْهُ فَأَنْزَلُوهُ، ثُمَّ انْطَلِقُوا بِهِ، فَلَقِيَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنَّي أَنَا الَّذِي أَوْفَعْتُكَ فِي هَذَا وَلَنْ يُنْجِيَكَ مِنْهُ غَيْرِي فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً وَاحِدَةً وَأَنَا أُنْجِيَكَ مِمَّا أَوْفَعْتُكَ فِيهِ؛ قَالَ: فَسَجَدَ لَهُ؛ فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ مَلَكَهُمْ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَأَخَذَ فَقَتَلَ ٢٢٢

٢- إيقاعهم في الذنوب والمعاصي:

٢٢١ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٥٤١) حسن موقوف ومثله لا يقال بالرأي

٢٢٢ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٥٤٢) حسن لغيره

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَطَاوُسٍ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَبَّانٍ، نَحْوُ ذَلِكَ. وَاشْتَهَرَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّ هَذَا الْعَابِدَ هُوَ بَرَصِيصًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. تفسیر ابن كثير ت سلامة (٧٥-٧٦)

وَهِيَ الْكَبَائِرُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا فَإِذَا عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ انْتَقَلَ إِلَى الصَّغَائِرِ الَّتِي إِذَا اجْتَمَعَتْ رُبَّمَا أَهْلَكَتْ صَاحِبَهَا^{٢٢٣}، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَهُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا.^{٢٢٤}

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بِبَطْنٍ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، حَتَّى جَمَعُوا مَا أَنْضَجَ خُبْزُهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يَأْخُذْهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهَا"^{٢٢٥} وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "لَمَّا افْتَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ رَنَّ إِبْلِيسُ رَنَّةً اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جُنُودُهُ، فَقَالَ: أَيَسُوا أَنْ تُرِيدَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ عَلَى الشَّرِّكَ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ افْتَنُّوهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَأَفْشُوا فِيهِمُ النَّوْحَ"^{٢٢٦}

^{٢٢٣} - آكام المرجان في أحكام الجان (ص: ٢٢٦)

^{٢٢٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٧٢ / ٢) (٣٨١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (١١ / ٣٢٩) صحيح لغيره

قال السندي: قوله: ومحقرات الذنوب: بفتح القاف المشددة، أي: صغائرها. يهلكه: إما لأن اعتيادها يؤدي إلى ارتكاب الكبائر، من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فيكون الهلاك بالكبائر التي تؤدي إليها الصغائر. = وإما لأن تكفير الصغائر عند اجتناب الكبائر جائز لا واجب، كما ذكر كثير من أهل العلم، وإن كان ظاهر القرآن يقتضي خلافه، فيبين الحديث أنهن إذا كثرن يخاف عدم المغفرة. وإما لأن اعتيادها يؤدي إلى قلة المبالاة بها، أو هو يوجب الهلاك. وإما لأن الإصرار على الصغيرة كبيرة، وهو محمل الحديث. والأقرب أن الحديث يدل على أن الإصرار على نوع الصغيرة أيضاً كبيرة، وإن لم يصر على صغيرة واحدة بعينها، وهذا هو ظاهر المثل المذكور. صنيع القوم: فسر في "النهاية" الصنيع بالطعام. مسند أحمد ط الرسالة (٦ / ٣٦٩)

^{٢٢٥} - شعب الإيمان (٩ / ٤٠٦) (٦٨٨١) صحيح لغيره

^{٢٢٦} - المعجم الكبير للطبراني (١٢ / ١١) (١٢٣١٨) ولأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما (١٠ / ١٠٥) (١٠١) حسن

قوله: (رن إبليس) أي: صاح: وا ويلاه! والرنة والرنين: المنكر يقال: رن فهو رانٌ، وأرن فهو مرن.

فالشيطان إذا لم يستطع إيقاعهم في الشرك والكفر، فإنه لا يئأس، ويرضى بما دون ذلك من إيقاعهم في الذنوب والمعاصي، وغرس العداوة والبغضاء في صفوفهم، فعن سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: يَوْمُ النَّحْرِ، يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا، وَلَكِنْ سَيَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَيَرْضَى، أَلَا وَإِنْ كُلُّ رَبٍّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، أَلَا وَإِنْ كُلُّ دَمٍ مِنْ دِمَائِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ مَا أَضْعُ مِنْهَا دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثَ فَقَتَلْتَهُ هَذَا يَوْمًا «أَلَا يَا أُمَّتَاهُ هَلْ بَلَغْتُ؟» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ٢٢٧

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ لِلنَّاسِ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٌ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ» ٢٢٨

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يُعْبَدَ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» ٢٢٩

٢٢٧ - السنن الكبرى للنسائي (١٠ / ١١١) (١١١٤٩) صحيح

٢٢٨ - سنن الترمذي ت شاكر (٤ / ٤٦١) (٢١٥٩) صحيح

٢٢٩ - صحيح مسلم (٤ / ٢١٦٦) ٦٥ - (٢٨١٢)

[ش (ولكن في التحريش بينهم) أي ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها]

أي بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم، وإغراء بعضهم ببعض، كما قال تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } [المائدة: ٩١].

إِنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ لَكُمْ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَلَعِبَ الْمَيْسِرِ، لِيُعَادِيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَبْغِضَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَيَتَشَتَّتَ أَمْرُكُمْ بَعْدَ أَنْ أَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَجَمَعَ بِأَخَوَةِ الْإِسْلَامِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَصْرِفَكُمْ بِالسُّكْرِ وَالِاشْتِعَالِ بِالْمَيْسِرِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي بِهِ صَلَاحُ أَمْرِكُمْ، فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَعَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ، تَرْكِهَ لِنَفْسِكُمْ، وَتَطْهِيرًا لِقُلُوبِكُمْ.

وَالْخَمْرُ تُفْقِدُ الْإِنْسَانَ عَقْلَهُ الَّذِي يَمْنَعُهُ عَنْ إِثْبَانِ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَعَنْ تَوْجِيهِ الْأَقْوَالِ الشَّائِنَةِ إِلَى النَّاسِ، فَإِذَا شَرِبَهَا الْإِنْسَانُ أَقْدَمَ عَلَى مَا لَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ وَهُوَ صَاحِبُ مَتَمَالِكٍ قُوَاهُ فَيُسَيِّئُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ، وَيُؤْذِيهِمْ فَيُؤْذِي ذَلِكَ إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالْبَغْضَاءِ. وَالْمَيْسِرُ يُبَيِّرُ الْبَغْضَاءَ وَالشَّحْنَاءَ بَيْنَ اللَّاعِبِينَ وَالْحَاضِرِينَ، وَكَثِيرًا مَا يُفْرِطُ الْمُقَامِرُ فِي حُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، حَتَّى يُوشِكُ أَنْ يَمُوتَهُ كُلُّ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَنْتَهُوا عَنْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ لِيُفَوِّتُوا عَلَى إِبْلِيسَ غَرَضَهُ. ٢٣٠

قال الخطيب: "وقوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ } هو بيان لما يبغيه الشيطان من وراء هذه المنكرات التي عرضها للناس، في معارض مغوياته، ومفسداته.. إنه يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين الناس في مواطن الخمر والميسر، حيث يفقد الإنسان عقله بالخمرة، فلا يدارى قوله سوء، ولا يمسك كلمة شر، وحيث يستترف الميسر أموال الناس، ويريه أن بعضهم أكل بعضا، وهم - في الواقع - مأكولون جميعا، فيقع بينهم الشر، وتشتعل نار العداوة والبغضاء.. وبهذا تتمزق وحدة المجتمع، ويصبح الإنسان في مجتمعه إما طالبا أو مطلوبا، لا يبيت على أمن، ولا يستقر على حال..

٢٣٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٧٦١، بترقيم الشاملة آليا)

ثم إن هذه المنكرات من خمر وميسر وأنصاب وأزلام، مع ما تزرع بين الناس من أشواك العداوة والبغضاء.. تصدّ عن ذكر الله، وعن الصلاة، حيث تلهي أصحابها، وتمسك بهم في مجالها، فلا يخطر ببال أحدهم ذكر الله، وقد استولى عليه هذا الرجس، ولا يجيب داعي الله إلى الصلاة، إن هو وجد أذنا تستمع إلى هذا الداعي.

وقوله تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» يحمل تحريضا قويا على الانخلاع عن هذه المنكرات، ومجاهدة النفس في اجتنابها، ومغالبة الأهواء الداعية إليها..

فهذه المنكرات لها سلطاتها المتسلط على النفوس، بما فيها من مغويات تدعو الإنسان إلى التحلل من سلطان العقل، وما يدعو إليه من وقار، وجدّ، لتحمله على أجنحة الخلاعة والعبث والمجون.. ومن وراء ذلك شيطان يستحث أهواء النفس، ويثير غرائزها الحيوانية الخسيسة.. فإذا لم يأخذ الإنسان حذره ويتجرد لحرب هذه المغويات المتسلطة عليه، ويلقاها بإيمان وثيق وعزم ثابت، غلبته على أمره، وأخذته من مقوده، وأقامته على هذا المرعى الويل، ليطعم منه، ويعيش عليه..

ففى قوله تعالى «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» استفهام مطلوب الجواب عليه، ولن يعطى الجواب الذي ينبغي أن يجيب به المؤمن إلّا من نظر إلى نفسه، وإلى موقفه من ربه الذي يدعوه إليه، فإن استجاب لله، وانتهى عن هذه المنكرات واجتنبها، كان له أن يلقى الله بوجهه، وأن يدخل في عباده المؤمنين، وإلا اختطفه الشيطان، وألقى به بين ضحاياهِ وصرعاه! "٢٣١"

وبهذا ينكشف لضمير المسلم هدف الشيطان، وغاية كيده، وثمره رجسه.. إنها إيقاع العداوة والبغضاء في الصف المسلم - في الخمر والميسر - كما أنها هي صد «الذين آمنوا» عن ذكر الله وعن الصلاة.. ويا لها إذن من مكيدة! وهذه الأهداف التي يريدّها الشيطان أمور واقعة يستطيع المسلمون أن يروها في عالم الواقع بعد تصديقها من خلال القول الإلهي الصادق بذاته. فما يحتاج الإنسان إلى طول بحث حتى يرى أن الشيطان يوقع العداوة والبغضاء - في الخمر والميسر - بين الناس. فالخمر بما تفقد من الوعي وبما

٢٣١ - التفسير القرآني للقرآن (٤ / ٢٠)

تثير من عرامة اللحم والدم، وبما تهيج من نزوات ودفعات. والميسر الذي يصاحبها وتصابه بما يتركه في النفوس من خسارات وأحقاد إذ المقمور لا بد أن يحقد على قامره الذي يستولي على ماله أمام عينيه، ويذهب به غاماً وصاحبه مقمور مقهور.. إن من طبيعة هذه الأمور أن تثير العداوة والبغضاء، مهما جمعت بين القرناء في مجالات من العربة والانطلاق اللذين يخل للنظرة السطحية أنهما أنس وسعادة! وأما الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فلا يحتاجان إلى نظر.. فالخمر تنسي، والميسر يلهي، وغيوبة الميسر لا تقل عن غيبة الخمر عند المقامرين وعالم المقامر كعالم السكير لا يتعدى الموائد والأفداح والقداح! وهكذا عند ما تبلغ هذه الإشارة إلى هدف الشيطان من هذا الرجز غايتها من إيقاظ قلوب «الذين آمنوا» وتحفزها، يجيء السؤال الذي لا جواب له عندئذ إلا جواب عمر رضي الله عنه وهو يسمع: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟» فيجيب لتوه: «انتهينا. انتهينا»^{٢٣٢}....^{٢٣٣}

وهو يأمر بكل شر، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) } [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

يَعْتَنُ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ عَلَى النَّاسِ بِمَا أَبَاحَ لَهُمْ مِنَ الْأَكْلِ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ حَلَالًا طَيِّبًا وَيَنْهَاهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ سِيرَةِ الشَّيْطَانِ فِي الْإِغْوَاءِ وَالِإِضْلَالِ، وَالْوَسْوَسَةِ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ مَسَلِكِهِ وَطَرَائِقِهِ فِيمَا أَضَلَّ بِهِ أَتْبَاعَهُ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ وَالْوَصَائِلِ وَغَيْرِهَا مِمَّا كَانَ زِينَةً لِلْمُشْرِكِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ مُبِينٌ الْعَدَاوَةَ لِلْإِنْسَانِ.

٢٣٢ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتٌ شَافِيَةٌ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ}، قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتٌ شَافِيَةٌ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى: أَنْ لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانٌ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتٌ شَافِيَةٌ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا - مسند أحمد (عالم الكتب) [١/ ١٨٩] (٣٧٨) صحيح...

٢٣٣ - فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ لِلْسَيِّدِ قُطُبٍ - ت - عَلِي بن نَافِيسٍ الشَّحُود (ص: ١٣٧٣)

وَالشَّيْطَانُ الْعَدُوُّ يُوسَّسُ لِلْكَفَرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَيَحْثُثُهُمْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الْمُنْكَرَةِ، وَالْفَوَاحِشِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ فِي دِينِهِ مَا لَا يُعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ شَرَعُهُ لِلنَّاسِ، مِنْ عَقَائِدَ وَشَعَائِرَ دِينِيَّةٍ، أَوْ تَحْلِيلٍ مَا الْأَصْلُ فِيهِ التَّحْرِيمُ.^{٢٣٤}

وخلاصة الأمر: أن كل عبادة محبوبة لله بغضه إلى الشيطان، وكل معصية مكروهة للرحمن محبوبة للشيطان.

٣- إيقاعهم في البدعة:

وهي أحبُّ إلى الشيطان من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في الدين، عَنْ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ، وَكَانُوا شِيعًا، هُمْ أَصْحَابُ الْبِدْعِ، وَالْأَهْوَاءِ، إِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْبِدْعِ لَيْسَتْ لَهُمْ تَوْبَةٌ، هُمْ مِنِّي بُرَاءٌ، وَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ»^{٢٣٥} وَعَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لِعَائِشَةَ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا» [الأنعام: ١٥٩]، هُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ «،» يَا عَائِشَةُ! إِنَّ لِكُلِّ صَاحِبِ ذَنْبٍ تَوْبَةً إِلَّا أَصْحَابَ الْبِدْعِ لَيْسَتْ لَهُمْ تَوْبَةٌ، فَهُمْ مِنِّي بُرَاءٌ، وَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ»^{٢٣٦}

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَمَانَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: «الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، الْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا»^{٢٣٧}

٤- صدّه العباد عن طاعة الله:

وهو لا يكتفي بدعوة الناس إلى الكفر والذنوب والمعاصي، بل يصدّهم عن فعل الخير، فلا يترك سبيلاً من سبل الخير، يسلكه عبد من عباد الله إلا قعد فيه، يصدّهم ويميل

^{٢٣٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٧٥)، بترقيم الشاملة (آلبا)

^{٢٣٥} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٠٣) (١٤٠) حسن

^{٢٣٦} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٥/ ١٤٣٠) (٨١٥٧) حسن

^{٢٣٧} - مسند ابن الجعد (ص: ٢٧٢) (١٨٠٩) صحيح وآكام المرجان في أحكام الجان (ص: ٢٢٦)

البدعة بدعتان: بدعة هُدًى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به.

بهم، فعن سبرة بن أبي فاكه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تُسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أهلك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تُهاجر وتدع أرضك وسماؤك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تُجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتتخج المرأة، ويُقسم المال، فعصاه فجاهد،" فقال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»^{٢٣٨}

ومصادق ذلك في كتاب الله ما حكاه الله عن الشيطان أنه قال لرب العزة: { قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) } [الأعراف: ١٦، ١٧]. وقوله: (لأقعدن لهم صراطك) أي: على صراطك، فهو منصوب بترع الخافض، أو هو منصوب بفعل مضمر، أي: لألزم صراطك، أو لأرصدته، أو لأعوججه.

وعبارات السف في تفسير الصراط متقاربة، فقد فسر ابن عباس: بأنه الدين الواضح، وابن مسعود: بأنه كتاب الله، وقال جابر: هو الإسلام، وقال مجاهد: هو الحق.^{٢٣٩} فالشيطان لا يدع سبيلاً من سبل الخير إلا قعد فيه يصد الناس عنه.

٥- إفساد الطاعات:

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدّهم عن الطاعات، فإنه يجتهد في إفساد العبادة والطاعة، كي يحرمهم الأجر والثواب، ومن ذلك:

التلبس في قراءة المصلي:

^{٢٣٨} - سنن النسائي (٦/ ٢١) (٣١٣٤) صحيح - الطول: حبل يشد به قائمة الدابة = وقصت: كسرت عنقه

^{٢٣٩} - انظر تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٣٩٣-٣٩٤)

عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاثْقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي " ٢٤٠.

إشغاله بأمور الدنيا أثناء الصلاة حتى لا يدري كم صلى:

فإذا دخل العبد صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له، ويشغله عن طاعة الله، ويذكره بأمور الدنيا؛ ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُوبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى " ٢٤١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَّا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا تُوبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى " ٢٤٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا تُوبَ بِهَا أَدْبَرَ، فَإِذَا

٢٤٠ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٢٨) ٦٨ - (٢٢٠٣)

[ش (يلبسها) أي يخلطها ويشككي فيها = حال: حذر وفرق ومنع = الخنزب: قطعة اللحم المنتنة، وهو اسم للشيطان الصلاة]

٢٤١ - صحيح البخاري (١/ ١٢٥) (٦٠٨)

(وله ضراط) تمثيل لشدة خوفه عند إداره أو يكون ذلك حقيقة لشدة خوفه أيضا. (توب) أقم للصلاة وهو المراد هنا. (النداء) الأذان. (يخطر) يوسوس ويشغل المصلي عما هو فيه]

٢٤٢ - صحيح مسلم (١/ ٢٩١) ١٩ - (٣٨٩)

[ش (توب) المراد بالتثويب الإقامة وأصله من تاب إذا رجع ومقيم الصلاة راجع إلى الدعاء إليها فإن الأذان دعاء إلى الصلاة والإقامة دعاء إليها (يخطر) هو بضم الطاء وكسرها حكاهما القاضي عياض في المشارق قال والكسر هو الوجه ومعناه يوسوس وهو من قولهم خطر الفحل بذنبه إذا حركه فضرب فخذه وأما بالضم فمن السلوك والمروء أي يدنو منه فيمر بينه وبين قلبه فيشغله عما هو فيه]

قُضِيَ التَّوْبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ " (أخرجه البخاري) ٢٤٣.

وفي رواية مثله ثم قال: «فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ ثُمَّ لِيُسَلِّمَ» ٢٤٤. وعن أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا تَوَبَّ بِهَا أَذْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّوْبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ وَهُوَ جَالِسٌ ٢٤٥ ١١.

وعن أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أُذِّنَ الْمُؤَذِّنُ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، فَإِذَا سَكَتَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، حَتَّى يَذْكُرَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُهُ، حَتَّى يُوْهَمَ فِي صَلَاتِهِ فَلَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى فَإِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى؟ زَادَ أَمْ نَقَصَ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ بَعْدَمَا يُسَلِّمُ، فَإِنَّهُمَا الْمُرْغَمَتَانِ» ٢٤٦.

إيهامه المصلي أنه قد أحدث ولم يحدث:

٢٤٣ - صحيح البخاري (٢/ ٦٩) (١٢٣١) [يخطر بكسر الطاء يوسوس وبضمها يدنو فيمر. (إن يدري) ما يدري]

٢٤٤ - سنن أبي داود (١/ ٢٧١) (١٠٣٢) صحيح

٢٤٥ - مستخرج أبي عوانة (١/ ٥٠٩) (١٩٠٢) صحيح

٢٤٦ - المعجم الأوسط (٤/ ٣٥٠) (٤٤٠٢) صحيح

وفيه دليل على أن السهو في الصلاة لا يُبطلها، لأن النبي ﷺ ذكر أن الشيطان يفعل بالإنسان ذلك كلما أراد أن يصلي ثم هو - أي النبي ﷺ - لم يأمر من وجد الوسوسة بإعادة الصلاة، ولم يقل بطلانها، وكان السهو أمر يكاد يكون خارجاً عن الإرادة البشرية، فلم يَعْرِ منه حتى النبي ﷺ نفسه، عندما سها في صلاته - كما في حديث ذي البدين - وعندما استمع لأصحابه وهم يحققون مع العبد القرشي يوم بدر وهو يصلي ﷺ، وإنما أمر النبي ﷺ من شك في صلاته بإتمام الصلاة والبناء على اليقين، أمّا من يقول: إن النبي ﷺ لا يسهو، وإنما كان سهوه بتقدير من الله لِيُشَرِّعَ للأمة. فنقول له: نعم، ولكن، ماذا شرَّع النبي ﷺ لَأُمَّتِهِ حين يسهو المرء في صلاته؟، هل أعاد النبي ﷺ صلاته لأنه سها فيها؟، أم أنه أكمل بقيتها وسلم؟ الجامع الصحيح للسنن والمسند ١ (١/ ١٤٦)

فَعَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ جَاءَ الشَّيْطَانُ، فَأَبَسَ بِهِ كَمَا يَأْبَسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ، فَإِذَا سَكَنَ لَهُ، أَضْرَطَ بَيْنَ أُتَيْتِهِ لِيَفْتِنَهُ عَنْ صَلَاتِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا لَا يُشَكُّ فِيهِ" قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "فَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ، أَمَّا الْمَرْثُوقُ فَتَرَاهُ مَائِلًا كَذَا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ، وَأَمَّا الْمَلْجُومُ فَفَاتِحُ فَاهُ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ" ٢٤٧.

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ السَّكَنِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُطِيفُ بِالرَّجُلِ فِي صَلَاتِهِ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، فَإِذَا أَعْيَاهُ نَفَخَ فِي دُبُرِهِ، فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلَا يَنْصَرِفَنَّ حَتَّى يَجِدَ رِيحًا أَوْ يَسْمَعَ صَوْتًا» ٢٤٨.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُطِيفُ بِالرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، فَإِذَا أَعْيَاهُ نَفَخَ فِي دُبُرِهِ لِيُرِيَهُ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَإِذَا وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلَا يَنْصَرِفَنَّ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا» ٢٤٩.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَطِيفُ بِالْعَبْدِ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ فَإِذَا أَعْيَاهُ نَفَخَ فِي دُبُرِهِ فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا، وَيَأْتِيهِ فَيَعْصِرُ ذِكْرَهُ فَيُرِيهِ أَنَّهُ أُخْرِجَ مِنْهُ شَيْءٌ فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْتَيْقِنَ. ٢٥٠.

دفع الشيطان الإنسان للمرور بين يدي المصلي:

قَالَ أَبُو صَالِحِ السَّمَّانُ: رَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ يُصَلِّي إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَأَرَادَ شَابٌّ مِنْ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَدَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ، فَنَظَرَ الشَّابُّ فَلَمْ يَجِدْ مَسَاعًا إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَادَ لِيَجْتَازَ، فَدَفَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى، فَنَالَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى مَرْوَانَ، فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَدَخَلَ

٢٤٧ - مسند أحمد ط الرسالة (١٤ / ١٠٥) (٨٣٦٩ و ٨٣٧٠) صحيح

قوله: "فأبس به"، قال السندي: من الإبساس: وهو التلطف بالدابة بأن يقال لها: بس، تسكيناً لها. قوله: "زلقه"، قال

الزمخشري في "الفائق" ١٢٧/٢: هو من الزنقة: وهي ميل في جدار في سكة أو عروق واد.

٢٤٨ - المعجم الكبير للطبراني (٩ / ٢٤٩) (٩٢٣١) صحيح موقوف

٢٤٩ - المعجم الكبير للطبراني (٩ / ٢٥٠) (٩٢٣٢) صحيح موقوف

٢٥٠ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٢ / ٤٣٠) (٨٠٩١) صحيح موقوف

أَبُو سَعِيدٍ خَلَفَهُ عَلَى مَرْوَانَ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَلِابْنِ أَخِيكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلْيَدْفَعْهُ فَإِنَّ أَبِي فَلْيَقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»^{٢٥١}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنَّ أَبِي فَلْيَقَاتِلْهُ فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ»^{٢٥٢}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَأَرَادَ ابْنُ لِمَرْوَانَ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَدَرَأَهُ فَلَمْ يَرْجِعْ فَضَرَبَهُ فَخَرَجَ الْغُلَامُ يَبْكِي حَتَّى أَتَى مَرْوَانَ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: مَرْوَانُ لِأَبِي سَعِيدٍ: لِمَ ضَرَبْتَ ابْنَ أَخِيكَ؟ قَالَ: مَا ضَرَبْتُهُ إِلَّا مَا ضَرَبْتُ الشَّيْطَانَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَأَرَادَ إِنْسَانٌ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْرَأْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَبِي فَلْيَقَاتِلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»^{٢٥٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنَّ أَبِي فَلْيَقَاتِلْهُ، فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ»^{٢٥٤}

مسابقة الإمام في الركوع والسجود:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يَسْجُدُ قَبْلَ الْإِمَامِ، وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَهُ، إِنََّّمَا نَاصِبَتُهُ بِيَدِ الشَّيْطَانِ»^{٢٥٥}

^{٢٥١} - صحيح البخاري (١/١٠٨) (٥٠٩)

(يستره) يحجز بينه وبين الناس. (شاب) قيل الوليد بن عقبة وقيل غيره. (يجتاز) يمر. (مساغا) طريقا يمكنه المرور منها. (فنال) تكلم عليه وشتمه. (ولابن أخيك) أي في الإسلام أو لأنه أصغر منه. (فليقاتله) الجمهور على أن معناه الدفع بالقهر لا جواز قتله. (هو شيطان) فعله فعل شيطان]

^{٢٥٢} - السنن الكبرى للنسائي (١/٤١٠) (٨٣٥) صحيح

^{٢٥٣} - السنن الكبرى للنسائي (٦/٣٧٧) (٧٠٣٨) صحيح

^{٢٥٤} - صحيح مسلم (١/٣٦٣) ٢٦٠ - (٥٠٦)

[ش (القرين) في النهاية قرين الإنسان هو مصاحبه من الملائكة والشياطين فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه]

^{٢٥٥} - فوائد تمام (١/٩٩) (٢٢٦) حسن

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَخْفِضُ قَبْلَ الْإِمَامِ، فَإِنَّمَا نَاصِيَتُهُ بِيَدِ الشَّيْطَانِ. ٢٥٦

كل مخالفة للرحمن فهي طاعة للشيطان:

يقول تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَكُونَنَّ أَذَانُ الْأَنْعَامِ وَلَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَكُونَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيَنَّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) } [النساء: ١١٧ - ١٢١].

فكل من عبد غير الله من صنم أو وثن، أو شمس وقمر، أو هوى، أو إنسان، أو مبدأ، فهو عابد للشيطان، رضي أم أبى؛ لأن الشيطان هو الأمر بذلك والمرغب فيه، ولذلك فإن عباد الملائكة يعبدون الشيطان في الحقيقة: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) } [سبأ: ٤٠ - ٤٢].

وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَحْشُرُ اللَّهُ فِيهِ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْهُمْ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، الَّذِينَ كَانُوا الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ طَمَعًا فِي شَفَاعَتِهِمْ، وَلِيَقْرَبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ قَائِلًا: هَلْ أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ؟

فَتَرُدُّ الْمَلَائِكَةُ عَلَى سُؤَالِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ قَائِلِينَ: تَعَالَيْتَ رَبَّنَا، وَتَقَدَّسْتَ، وَتَنَزَّهْتَ أَسْمَاؤُكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ، نَحْنُ نَعْبُدُكَ، وَتَبَرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَأَنْتَ الَّذِي نَوَالِيهِ مِنْ دُونِهِمْ، فَلَا مَوْلَاةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَنَا، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ زَيَّنُوا لَهُمُ الشِّرْكَ، وَعِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَأَضَلُّوهُمْ فَأَطَاعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَكْثَرُهُمْ بِهِمْ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ.

فَيَقُولُ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: الْيَوْمَ لَا يَنْتَفِعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي عَبَدْتُمُوهَا وَأَشْرَكْتُمُوهَا بِالْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ، طَمَعًا فِي نَفْعِهَا وَاتَّقَاءً لِضَرِّهَا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ تَعَالَى مُقَرَّعًا وَمُوبِّخًا: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَا فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، فَهِيَ أَنْتُمْ قَدْ عَايَنْتُمُوهَا، وَأَدْرَكْتُمْ أَنَّهَا لَا مَحِيصَ لَكُمْ عَنْهَا، فَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ.^{٢٥٧}

يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك، وإنما أمرهم بذلك الجن، ليكونوا عابدين للشياطين الذين يتمثلون لهم، كما يكون للأصنام شياطين.

الخلاصة:

والشيء الذي نخلص إليه أن الشيطان يأمر بكل شرٍّ، ويحث عليه، وينهى عن كل خير، ويخوف منه؛ كي يرتكب الأول، ويترك الثاني. كما قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦٨].

فالشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنْكُمْ مِنَ الْفَقْرِ، لِيَتَمَسِكُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَا تُنْفِقُوهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمَآثِمِ، وَمُخَالَفَةِ الْأَخْلَاقِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ، وَبِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ. وَاللَّهُ وَاسِعُ الرِّزْقِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ. عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَمَا فِيهِ خَيْرُكُمْ.^{٢٥٨}

وتخويفه إيانا الفقر بأن يقول: إن أنفقتم أموالكم افتقرتم، والفحشاء التي يأمرنا بها: هي كل فعلة فاحشة خبيثة من البخل والزنا وغير ذلك.

٦- إشغاله بالمباحات عن الطاعات وبالعامل المفضول عن الفاضل:

اشْتَغَالَهُ بِالْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا ثَوَابَ فِيهَا وَلَا عِقَابَ بَلْ عِقَابُهَا فَوَاتُ الثَّوَابِ الَّذِي فَاتَ عَلَيْهِ بِاشْتِغَالِهِ بِهَا فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ نَقَلَهُ إِلَى الْمُرْتَبَةِ الَّتِي تَلِيهَا وَهُوَ أَنْ يَشْغَلَهُ بِالْعَمَلِ

^{٢٥٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٢٧، بترقيم الشاملة آليا)

^{٢٥٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٧٥، بترقيم الشاملة آليا)

الْمَفْضُولُ عَمَّا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ لِيَسْتَرِيحَ عَلَيْهِ الْفَضْلَةُ وَيَفُوتَهُ ثَوَابُ الْعَمَلِ الْفَاضِلِ فَنَعُودُ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَحَزْبِهِ^{٢٥٩}
قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اجْتَهِدْكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ وَتَقْصِرْكَ فِيمَا طُلِبَ مِنْكَ دَلِيلٌ عَلَى انْطِمَاسِ
بَصِيرَتِكَ .

والاجتهاد في الشيء استفراغ الجهد والطاقة في طلبه والتقصير هو التفریط، ولتضييع
والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القلب، فالبصيرة لا ترى إلا المعاني والبصر لا
يرى إلا المحسوسات، أو تقول البصيرة لا ترى إلا اللطيف والبصر لا يرى إلا الكثيف، أو
تقول البصيرة لا ترى إلا القديم والبصر لا يرى إلا الحادث، أو تقول البصيرة لا ترى إلا
المكوّن والبصر لا يرى إلا الكون، فإذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله في الظاهر بخدمته
وفي الباطن بمحبته، فكلما عظمت المحبة في الباطن والخدمة في الظاهر قوي نور البصيرة
حتى يستولى على البصر فيغيب نور البصر في نور البصيرة، فلا يرى إلا ما تراه البصيرة
من المعاني اللطيفة والأنوار القديمة"^{٢٦٠}

فهؤلاء قد أقاموا الدُّنْيَا فهدمتهم، واغترروا بها من دون الله فأذلتهم، أكثروا فيها من الآمال
وأحبوا طول الآجال ونسوا الموت وَمَا بعده من الشدائد فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ
تَعَالَى: { قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } [الزمر: ١٥].^{٢٦١}

٧- الإيذاء البدني والنفسي:

كما يهدف الشيطان إلى إضلال الإنسان بالكفر والذنوب، فإنه يهدف إلى إيذاء المسلم
في بدنه ونفسه، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " لا شك أن الجن لهم تأثير على الإنسان
بالأذية التي قد تصل إلى القتل، وربما يؤذونه يرمي الحجارة، وربما يروعون الإنسان، إلى
غير ذلك من الأشياء التي ثبتت بها السّنة ودلّ عليها الواقع، وذكر قصة الصحابي الذي

^{٢٥٩} - آكام المرجان في أحكام الجن (ص: ٢٢٦)

^{٢٦٠} - إيقاظ المهمل شرح متن الحكم (ص: ١٢)، بترقيم الشاملة آلبا) وانظر بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية
وشريعة نبوية (٤ / ١٩٢)

^{٢٦١} - موارد الظمان لدروس الزمان (٢ / ١٧٤)

قتل الحية في داره فقتلته الجن بها، ثم قال: " وهذا دليل على أن الجن قد يعتدون على الإنسان، وأنهم قد يؤذونهم، كما أن الواقع شاهدٌ بذلك، فإنه قد تواترت الأخبار واستفاضت بأن الإنسان قد يأتي إلى الخربة فيرمي بالحجارة وهو لا يرى أحداً من الإنسان في هذه الخربة، وقد يسمع أصواتاً وقد يسمع حفيفاً كحفيف الأشجار وما أشبه ذلك مما يستوحش به ويتأذى به، وكذلك أيضاً قد يدخل الجني إلى جسد الآدمي إما بعشق أو بقصد الإيذاء أو لسبب آخر من الأسباب، ويشير إلى هذا قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: ٢٧٥].

وفي هذا النوع قد يتحدث الجني من باطن الإنسي نفسه ويخاطب من يقرأ عليه آيات من القرآن الكريم، وربما يأخذ القارئ عليه عهداً أن لا يعود، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي استفاضت بها الأخبار وانتشرت بين الناس. وعلى هذا فإن الوقاية المانعة من شر الجن أن يقرأ الإنسان ما جاءت به السنة مما يتحصن به منهم مثل آية الكرسي، ففي الحديث الصحيح.. إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ آيَةَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. " ٢٦٢

ونحن نسوق ما ورد في السنة من هذا الإيذاء:

أ- مهاجمة الرسول ﷺ:

ذكرنا في غير هذا الموضع الحديث الذي يخبر فيه الرسول ﷺ بمهاجمة الشيطان له، ومجيء الشيطان بشهاب من نار ليرميه في وجه الرسول ﷺ. فعن أبي الدرداء، قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلَعُنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: " إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ

٢٦٢ - مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين " (١ / ٢٨٧، ٢٨٨) وموقع الإسلام سؤال وجواب (١ / ٥٤٣)

قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بَلْعَنَةُ اللَّهِ التَّامَّةُ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهُ لَوَلَا دَعْوَةُ أَحِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ^{٢٦٣}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ أَصَلِّي اعْتَرَضَ لِي الشَّيْطَانُ، فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَخَنَّقْتُهُ حَتَّى إِنِّي لَأَجِدُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى إِبْهَامِي، فَرَحِمَ اللَّهُ سُلَيْمَانَ لَوَلَا دَعْوَتُهُ أَصْبَحَ مَرْبُوطًا نَنْظُرُونَ إِلَيْهِ»^{٢٦٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اعْتَرَضَ لِي الشَّيْطَانُ فِي مُصَلَّايَ فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَخَنَّقْتُهُ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى كَفِّي، وَلَوْلَا مَا كَانَ مِنْ دَعْوَةِ أَخِي سُلَيْمَانَ، لَأَصْبَحَ مَرْبُوطًا نَنْظُرُونَ إِلَيْهِ»^{٢٦٥}

ب- الحلم من الشيطان:

للشيطان قدرة على أن يرى الإنسان في منامه أحلاماً تزعجه وتضايقه، بهدف إحزانه وإيلامه. فقد أخبر الرسول ﷺ: أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاثة أنواع، فعن أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا تُعْجِبُهُ فَلْيَقْصِّهَا، إِنْ شَاءَ، وَإِنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلَا يَقْصِّهِ عَلَى أَحَدٍ، وَلْيَقُمْ يُصَلِّيْ".^{٢٦٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَرُؤْيَا حَقٌّ، وَرُؤْيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ" ^{٢٦٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الرُّؤْيَا عَلَى ثَلَاثَةٍ: بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَتَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالشَّيْءُ يُحَدِّثُ بِهِ الْإِنْسَانُ فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ" ^{٢٦٨}

^{٢٦٣} - صحيح مسلم (١/٣٨٥) ٤٠ - (٥٤٢)

^{٢٦٤} - السنن الكبرى للنسائي (١/٢٩٤) (٥٥٥) صحيح

^{٢٦٥} - السنن الكبرى للنسائي (١/٢٩٥) (٥٥٦) صحيح

^{٢٦٦} - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة (٥/٦٢) (٣٩٠٦) صحيح

^{٢٦٧} - السنن الكبرى للنسائي (٩/٣٣٤) (١٠٦٨٠) صحيح

^{٢٦٨} - السنن الكبرى للنسائي (٩/٣٣٢) (١٠٦٧٣) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهَا، وَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ»^{٢٦٩}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ» وَقَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُ»^{٢٧٠}
وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهْوَئِلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ بِهَا ابْنُ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقْظَتِهِ، فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ" ^{٢٧١}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيَحْدِثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»^{٢٧٢}
وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ حِينَ يَسْتَيْقِظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَتَعَوَّذْ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ» وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: «وَإِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الْجَبَلِ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فَمَا أُبَالِيهَا»^{٢٧٣}

^{٢٦٩} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٣٢) (١٠٦٧٢) صحيح

^{٢٧٠} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٣٢) (١٠٦٧٤) صحيح

^{٢٧١} - سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٨٥) (٣٩٠٧) صحيح - (أهوايل) جمع أهوال. كأقوايل جمع أقوال جمع قول

^{٢٧٢} - صحيح البخاري (٩/ ٣٠) (٦٩٨٥)

[ش (من الله) الإضافة إلى الله تعالى تشريف. (لا تضره) لا يصيبه أذى بسببها]

^{٢٧٣} - صحيح البخاري (٧/ ١٣٣) (٥٧٤٧) وصحيح مسلم (٤/ ١٧٧١) ١ - (٢٢٦١)

[فلينفث) يبصق بصاقا خفيفا عن يساره وقيل هو البصاق بلا ريق يفعل ذلك طردا للشيطان واحتقارا له واستقذارا منه. (فما أباليها) أي لا أكثرث بالرؤيا التي يتوقع منها الشر لتحصني بما يحفظني منه]

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَلْقَى مِنَ الرُّؤْيَا شِدَّةَ غَيْرِ أَنِّي لَا أَزْمِلُ حَتَّى حَدَّثَنِي أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ بَصَقَاتٍ وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^{٢٧٤}

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الرُّؤْيَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ: فَمِنْهَا مَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ، وَمِنْهَا رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الشَّيْءَ يُعْجِبُهُ فَلْيَعْرِضْهُ عَلَى ذِي رَأْيٍ نَاصِحٍ، فَلْيَتَأَوَّلْ خَيْرًا وَلْيَقُلْ خَيْرًا، فَإِنَّ رُؤْيَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"^{٢٧٥}

وَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُخْبِرُ أَحَدًا بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ»^{٢٧٦}

وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَأَعْرَابِيٍّ جَاءَهُ قَالَ: إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأْسِي قُطِعَ، فَأَنَا أَتْبَعُهُ؟ فَزَجَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «لَا تُخْبِرَ بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ»^{٢٧٧}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَأْسِي فِي الْمَنَامِ ضُرِبَ فَرَأَيْتُهُ يَتَدَهَّدُ؟ فَضَحِكَ وَقَالَ: «يَعْمِدُ الشَّيْطَانُ إِلَى أَحَدِكُمْ فَيَتَهَوَّلُهُ، ثُمَّ يَغْدُو يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ؟»^{٢٧٨}

وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْزُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ حَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^{٢٧٩}

^{٢٧٤} - الدعاء للطبراني (ص: ٣٨٠) (١٢٧١) صحيح

^{٢٧٥} - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ٣٣٤) (١٠٦٧٩) صحيح

^{٢٧٦} - السنن الكبرى للنسائي (٧ / ١١٩) (٧٦٠٩) صحيح

^{٢٧٧} - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ٣٣٥) (١٠٦٨٢) صحيح

^{٢٧٨} - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ٣٣٥) (١٠٦٨٣) صحيح

^{٢٧٩} - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ٣٣٤) (١٠٦٨١) صحيح

"وقال المازري، كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكّرة، لأنّهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تُدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان، وهم لا يصدّقون بالسمع فاضطّرت أقوالهم، فمن ينتمي إلى الطبّ ينسب جميع الرؤيا إلى الأخلاط فيقول من غلب عليه البلغم رأى أنّه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم، ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو، وهكذا إلى آخره، وهذا وإن جوزه العقل وجاز أن يجري الله العادة به لكِنَّه لم يَقم عليه دليل ولا اطرّدت به عادة، والقطع في موضع التّجوز غلط.

ومن ينتمي إلى الفلسفة يقول: إنّ صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلويّ كالنقوش فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها، قال: وهذا أشدّ فساداً من الأوّل لكونه تحكّماً لا برهان عليه والانتقاش من صفات الأجسام، وأكثر ما يجري في العالم العلويّ الأعراض، والأعراض لا يُنتقش فيها

والصّحيح ما عليه أهل السنّة أنّ الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فإذا خلقها فكأنّه جعلها علماً على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال، ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان، ونظيره أنّ الله خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسرّ أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضّرّ والعلم عند الله تعالى.

وقال القرطبي: سبب تخليط غير الشرعيين إعراضهم عمّا جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم، وبيان ذلك أنّ الرؤيا إنّما هي من إدراكات النفس وقد غيّب عنا علم حقيقتها أي النفس، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا نعلم علم إدراكها، بل كثير ممّا انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنّما نعلم منه أموراً جمليّة لا تفصيليّة. ٢٨٠

"قال المازري: وأما قوله ﷺ فإنّها لن تضره فقل معناه أنّ الروح يذهب بهذا النفس المذكور، وفي الحديث إذا كان فاعله مُصدّقاً به متكللاً على الله جلت قدرته في دفع المكروه، وقيل يحتمل أن يُريد أن هذا الفعل منه بمنع من نفوذ ما دلّ عليه المنام من

٢٨٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (١٢/ ٣٥٣) وشرح النووي على مسلم (١٥/ ١٧)

الْمَكْرُوه، وَيَكُون ذَلِكَ سَبَبًا فِيهِ كَمَا تَكُون الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْبَلَاءَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّظَائِرِ الْمَذْكُورَةِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ^{٢٨١}

رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ حَقٌّ:

فَعَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْبَقِظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»^{٢٨٢}
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي»^{٢٨٣}

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَيَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^{٢٨٤}
قَالَ الْبَغَوِيُّ: "وَرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَنَامِ حَقٌّ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِهِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَالنُّجُومُ الْمُضِيئَةُ، وَالسَّحَابُ الَّذِي فِيهِ الْعَيْثُ، لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

^{٢٨١} - أكام المرجان في أحكام الجان (ص: ٢٤٤)

^{٢٨٢} - صحيح البخاري (٣٣ / ٩) (٦٩٩٣) وصحيح مسلم (٤ / ١٧٧٥) ١١ - (٢٢٦٦)

[في الحديث أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام صحيحة لا تنكر وليست بأضغاث أحلام ولا من تشبيهات الشيطان. وقيل إذا رئي على الصفات الحميدة دل ذلك على الخصب والأمطار الكثيرة وكثرة الرحمة ونصرة المجاهدين وظهور الدين وظفر الغزاة والمقاتلين ودمار الكفار وظفر المسلمين بهم وصحة الدين. وإذا رئي على صفات مكروهة ربما دل ذلك على الحرارة وظهور الفتن والبدع وضعف الدين (فسيراني في البقظة) قيل المراد أهل عصره أي من رآه في المنام وفقه الله تعالى للهجرة إليه والتشرف بلقائه صلى الله عليه وسلم. أو يرى تصديق تلك الرؤيا في الدار الآخرة أو يراه فيها رؤية خاصة في القرب منه والشفاعة. (لا يتمثل الشيطان بي) لا يحصل له مثال صورتي ولا يتشبه بي. (إذا رآه في صورته) أي أن رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم لا تعتبر إلا إذا رآه على صفته التي وصف بها]

^{٢٨٣} - صحيح البخاري (٣٣ / ٩) (٦٩٩٧) وصحيح مسلم (٤ / ١٧٧٦) ١١ - (٢٢٦٧)

[ش (لا يتكونني) لا يتشكل بشكلي]

^{٢٨٤} - صحيح البخاري (٣٣ / ٩) (٦٩٩٤)

[ش (فقد رآني) أي إن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثا ولا من تشبيهات الشيطان. (لا يتخيل بي) لا يتمثل ولا يتصور]

وَمَنْ رَأَى نُزُولَ الْمَلَائِكَةِ بِمَكَانٍ، فَهُوَ نُصْرَةٌ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَفَرَجٌ إِنْ كَانُوا فِي كَرْبٍ، وَخَصْبٌ إِنْ كَانُوا فِي ضَيْقٍ وَقَحْطٍ، وَكَذَلِكَ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَمَنْ رَأَى مَلَكًا يُكَلِّمُهُ بَرًّا، أَوْ بَعْظَةً، أَوْ بَصِلَةً، أَوْ يُسَرُّهُ، فَهُوَ شَرَفٌ فِي الدُّنْيَا، وَشَهَادَةٌ فِي الْعَاقِبَةِ.

وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ رُؤْيَا الْمَلَائِكَةِ إِلَّا فِي الشَّهَادَةِ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا يُخَالِطُونَ النَّاسَ، وَالْمَلَائِكَةُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَرَاهُمُ النَّاسُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} [الأعراف: ٢٠٦]، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الشُّهُدَاءِ: {وَالشُّهُدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} [الحديد: ١٩].

وَرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي مَكَانٍ سَعَةٍ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِنْ كَانُوا فِي ضَيْقٍ، وَفَرَجٌ إِنْ كَانُوا فِي كَرْبٍ، وَنُصْرَةٌ إِنْ كَانُوا فِي ظُلْمٍ، وَكَذَلِكَ رُؤْيَا الصَّاحِبَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَرُؤْيَا أَهْلِ الدِّينِ بَرَكَةٌ وَخَيْرٌ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ فِي الدِّينِ، وَمَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ كَثِيرًا فِي الْمَنَامِ، لَمْ يَزَلْ خَفِيفَ الْحَالِ، مُقْلًا فِي دُنْيَاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ قَادِحَةٍ، وَلَا حَدْلَانٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ» ٢٨٥.

وَرُؤْيَا الْإِمَامِ إِصَابَةٌ خَيْرٌ وَشَرَفٌ. ٢٨٦

" قَالَ الْمَازِرِيُّ: اِخْتَلَفَ الْمُحَقِّقُونَ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ فَذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الطَّيِّبِ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: "مَنْ رَأَانِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَانِي" أَنَّ رُؤْيَاهُ صَحِيحَةٌ لَا تَكُونُ أَضْغَاثًا وَلَا مِنْ تَشْبِيهَاتِ الشَّيْطَانِ، قَالَ: وَيُعْضَدُهُ قَوْلُهُ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ "فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ" قَالَ وَفِي قَوْلِهِ: "فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي" إِنْشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رُؤْيَاهُ لَا تَكُونُ أَضْغَاثًا.

ثُمَّ قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ رَأَاهُ فَقَدْ أَدْرَكَهُ وَلَا مَانِعَ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا عَقْلٌ يُحِيلُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى صَرْفِ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ قَدْ يُرَى عَلَى غَيْرِ صِفَتِهِ أَوْ يُرَى فِي مَكَانَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ مَعًا فَإِنَّ ذَلِكَ

٢٨٥ - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٨٥ / ٧) (٢٩٢٢) صحيح

٢٨٦ - شرح السنة للبيهقي (٢٢٨ / ١٢)

غَلَطَ فِي صِفَتِهِ وَتَخَيَّلَ لَهَا عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يُظَنُّ بَعْضُ الْخَيَالَاتِ مَرْتَبَاتٍ لِكُونَ مَا يُتَخَيَّلُ مُرْتَبِطًا بِمَا يُرَى فِي الْعَادَةِ فَتَكُونُ ذَاتُهُ ﷺ مَرْتَبَةً وَصِفَاتُهُ مُتَخَيَّلَةٌ غَيْرَ مَرْتَبَةٍ، وَالْإِدْرَاكُ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ تَحْدِيقُ الْبَصَرِ وَلَا قُرْبُ الْمَسَافَةِ وَلَا كَوْنُ الْمَرْتَبِيِّ ظَاهِرًا عَلَى الْأَرْضِ أَوْ مَدْفُونًا، وَإِنَّمَا يُشْتَرَطُ كَوْنُهُ مَوْجُودًا، وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى فَنَاءِ جِسْمِهِ ﷺ، بَلْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ مَا يَدُلُّ عَلَى بَقَائِهِ وَتَكُونُ ثَمَرَةُ اخْتِلَافِ الصِّفَاتِ اخْتِلَافَ الدَّلَالَاتِ كَمَا قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ التَّعْبِيرِ إِنَّ مَنْ رَأَاهُ شَيْخًا فَهُوَ عَامٍ سَلِمَ أَوْ شَابًّا فَهُوَ عَامٍ حَرَبَ.

وَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَقْوَالِهِ كَمَا لَوْ رَأَاهُ أَحَدٌ يَأْمُرُهُ بِقَتْلِ مَنْ لَا يَحِلُّ قَتْلُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْمَلُ عَلَى الصِّفَةِ الْمُتَخَيَّلَةِ لَا الْمَرْتَبَةِ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاذُ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ إِذَا رَأَاهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ لَا عَلَى صِفَةٍ مُضَادَّةٍ لِحَالِهِ، فَإِنَّ رُؤْيِيَّ عَلَى غَيْرِهَا كَانَتْ رُؤْيَا تَأْوِيلَ لَا رُؤْيَا حَقِيقَةً، فَإِنَّ مِنَ الرُّؤْيَا مَا يُخَرَّجُ عَلَى وَجْهِهِ وَمِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ. " ٢٨٧

ج- إحراق المنازل بالنار:

وذلك بواسطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك، ففي سنن أبي داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَتْ فَأَرَةٌ فَأَخَذَتْ تَجْرُ الْفَتِيلَةَ فَجَاءَتْ بِهَا فَأَلْقَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْخُمْرَةِ الَّتِي كَانَ قَاعِدًا عَلَيْهَا فَأَحْرَقَتْ مِنْهَا مِثْلَ مَوْضِعِ الدَّرْهِمِ فَقَالَ: «إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ عَلَى هَذَا فَتَحْرِقُكُمْ» ٢٨٨ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَتْ فَأَرَةٌ فَأَخَذَتْ تَجْرُ الْفَتِيلَةَ، فَذَهَبَتْ الْجَارِيَةُ تَزْجُرُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعِيهَا»، فَجَاءَتْ بِهَا فَأَلْقَتْهَا عَلَى الْخُمْرَةِ الَّتِي كَانَ قَاعِدًا عَلَيْهَا، فَاحْتَرَقَ مِنْهَا

٢٨٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (١٢ / ٣٨٦)

الفتيلة: الخيط الذي يضيء به المصباح = الخُمْرَةُ: هي مقدار ما يَضَعُ الرجلُ عليه وجهه في سجوده من حَصِيرٍ أو نَسِيجَةٍ خُوصٍ ونحوه من الثِّبَاتِ = السراج: المصباح

٢٨٨ - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤١٩) (١٢٢٢) صحيح

الفتيلة: الخيط الذي يضيء به المصباح = الخُمْرَةُ: هي مقدار ما يَضَعُ الرجلُ عليه وجهه في سجوده من حَصِيرٍ أو نَسِيجَةٍ خُوصٍ ونحوه من الثِّبَاتِ = السراج: المصباح

مِثْلَ مَوْضِعِ دِرْهِمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَتَحْرِقُكُمْ»^{٢٨٩}

د- تخبط الشيطان الإنسان عند الموت:

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَالْهَدْمِ وَالْعَرِقِ وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيْعًا»^{٢٩٠}.

هـ- إيذاؤه الوليد حين يولد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا»^{٢٩١}.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلِلُ

^{٢٨٩} - صحيح مسلم (١/ ٣٦٣) - ٢٦٠ - (٥٠٦)

^{٢٩٠} - السنن الكبرى للنسائي (٧/ ٢٣٨) (٧٩١٧) صحيح

التَّرَدِّي: السُّقُوطُ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ كَالْجَبَلِ وَالسَّطْحِ أَوْ الْوُقُوعُ فِي مَكَانٍ سَافِلٍ كَالْبَيْتِ. = الْهَدْمُ) : السُّقُوطُ الْبِنَاءِ وَوُقُوعُهُ عَلَى الشَّيْءِ. = التَّخَبُّطُ: الْإِفْسَادُ، وَالْمُرَادُ إِفْسَادُ الْعَقْلِ وَالذِّينِ، وَتَخْصِيصُهُ بِقَوْلِهِ (عِنْدَ الْمَوْتِ) لِأَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْخَاتِمَةِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: اسْتَعَاذْتُهِ مِنْ تَخَبُّطِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ الْمَوْتِ هُوَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهِ الدُّنْيَا، فَيُضِلُّهُ وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، أَوْ يَعُوقُهُ عَنْ إِصْلَاحِ شَأْنِهِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَظْلَمَةٍ تَكُونُ قَبْلَهُ، أَوْ يُؤَيِّسُهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَيَتَأَسَّفُ عَلَى حَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا يَرْضَى بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ مِنَ الْفَنَاءِ وَالثَّقَلَةِ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِسُوءٍ، وَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ سَاحِطٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكُونُ فِي حَالٍ أَشَدَّ عَلَى ابْنِ آدَمَ مِنْهُ فِي حَالِ الْمَوْتِ، يَقُولُ لِأَعْوَانِهِ: دُونَكُمْ هَذَا، فَإِنَّهُ إِنْ فَاتَكُمْ الْيَوْمَ لَمْ تَلْحَقُوهُ بَعْدَ الْيَوْمِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي ذَلِكَ الْمَصْرَعِ وَأَنْ يَخْتِمَ لَنَا وَلِكَافَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا لِقَاءَهُ. عون المعبود - (ج ٣ / ص ٤٧٤)

^{٢٩١} - صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٨) - ١٤٧ - (٢٣٦٦)

فيستهل صارخا الاستهلال: صباح المولود عند الولادة، والصراخ: الصباح والبكاء. = فطعن في الحجاب: في المشيمة، وهي التي يكون فيها المولود. = نزغة: الترغ: النخس. = الفطرة: الخلقة، وأراد به: ملة الإسلام. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (٨/ ٥٢٢)

صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرِيَمَ وَابْنَهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦] ٢٩٢
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ» ٢٩٣
فلما كانت أم مريم - عليها السلام - صادقة في طلبها استحباب الله لها، فأجار مريم وابنها من الشيطان الرجيم.

وَمَنْ أَجَارَهُ اللَّهُ أَيْضًا عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَا هُنَا؟ قَالُوا أَبُو الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «أَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ؟» وَفِي رَوَايَةٍ: الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ يَعْنِي عَمَّارًا ٢٩٤
وَعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: "قَدِمْتُ الشَّامَ، فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَأَتَيْتُ قَوْمًا، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، قُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُيسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسِّرْكَ لِي، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَوْلَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ صَاحِبِ التَّغْلِينَ وَالْوَسَادِ وَالْمِطْهَرَةِ، أَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، أَوْلَيْسَ فِیْكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللَّهِ وَاللَّيْلُ إِذَا

٢٩٢ - صحيح البخاري (١٦٤/٤) (٣٤٣١) وصحيح مسلم (٤/١٨٣٨) ١٤٦ - (٢٣٦٦)

[بمسه الشيطان يناله بيده من غير حاجز. (فيستهل) يصوت عند ولادته. (أعيزها) أجيها وأحصنها. (الرجيم) الطريد من رحمة الله تعالى، (إلا ابن مريم وأمه) هذه فضيلة ظاهرة وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها]

٢٩٣ - صحيح البخاري (١٢٥/٤) (٣٢٨٦)

[ش (يطعن) يضرب. (الحجاب) الجلد التي فيها الجنين وتسمى المشيمة. وقيل الحجاب الثوب الذي يلف فيه المولود]

٢٩٤ - صحيح البخاري (١٢٥/٤) (٣٢٨٧)

[ش (قال) أي أبو الدرداء رضي الله عنه. (أفيكم) أي في العراق. (الذي أجاره الله) منعه وحماه والظاهر أن أبا الدرداء رضي الله عنه سمع هذا من رسول الله ﷺ]

قلت: لا يدل هذا على عصمته، بل هو يخطأ ويصيب رضي الله عنه

يَعْتَسَى وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى وَالدَّكَرَ وَالْأُنْثَى، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيٍّ " ٢٩٥.

و-مرض الطاعون من الجن:

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ ». فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ قَالَ « وَخَزْرُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلِّ شَهْدَاءٍ » ٢٩٦.

وعن مُعَاذَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيَّةِ، قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَفْنَى أُمَّتِي إِلَّا بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: غُدَّةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ، الْمُقِيمُ بِهَا كَالشَّهِيدِ، وَالْفَارُّ مِنْهَا كَالْفَارِّ مِنَ الرَّحْفِ. ٢٩٧.

وَعَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْتُهُ فَمَا الطَّاعُونُ؟ فَقَالَ: غُدَّةٌ تَأْخُذُهُمْ فِي مُرَافَقَتِهِمْ، الْمَيِّتُ فِيهِ شَهِيدٌ، وَالْقَائِمُ الْمُحْتَسِبُ فِيهِ كَالْمُرَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْفَارُّ مِنْهُ كَالْفَارِّ مِنَ الرَّحْفِ. ٢٩٨.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لَأُمَّتِي، وَخَزْرُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ، غُدَّةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ تَخْرُجُ بَيْنَ الْأَبَاطِ وَالْمَرَاقِ، مَنْ مَاتَ مِنْهُ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ أَقَامَ مِنْهُ كَانَ كَالْمُرَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ فَرَّ مِنْهُ كَانَ كَالْفَرَارِ مِنَ الرَّحْفِ» ٢٩٩.

٢٩٥ - شرح السنة للبغوي (١٤ / ١٥٠) (٣٩٤٩) صحيح

٢٩٦ - مسند أحمد - المكثر (٤٢ / ٣٥٥، بترقيم الشاملة آليا) ٢٠٠٥٥ وصحيح الجامع (٤٢٣١) صحيح لغيره

قال السندي: قوله: بالطعن: أراد القتل بالسلاح أعم من أن يكون بالرمح، أو بالسيف، أو غيرهما. = وخز: الوخز بفتح واو وسكون خاء معجمة، بعدها زاي معجمة: طعن بالرمح أو غيره، ليس بنافذ.

وفي قوله: أعدائكم، إشارة إلى أن الطاعنين من الجن كفر = وفي كل: من الطعن والطاعون. مسند أحمد ط الرسالة (٢٩٤ / ٣٢)

٢٩٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) (٨ / ٢٦٤) (٢٥١١٨) ٢٥٦٣١ صحيح

٢٩٨ - مسند إسحاق بن راهويه (٣ / ٧٦١) (١٣٧٦) صحيح

٢٩٩ - معجم ابن الأعرابي (٣ / ١١٤٠) (٢٣٩١) صحيح لغيره

وقد حاول الشيطان الوسوسة لزوجته النبي أيوب عليه السلام، قال تعالى: { وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ } [ص: ٤١]
 وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ قِصَّةَ نَبِيِّ اللَّهِ وَعَبْدِهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِجَسَدِهِ حَتَّى أَرَهَقَهُ الْمَرَضَ، وَابْتَلَاهُ بِأَوْلَادِهِ فَمَاتَ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَتَفَرَّقَ مَنْ تَفَرَّقَ، وَابْتَلَاهُ بِهَلَاكِ مَالِهِ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ عِنْدَهُ مَا يَكْفِي لِعَيْشِهِ، فَصَبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا. وَلَمَّا طَالَ بِهِ الْبَلَاءُ دَعَا رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا: { أَنِّي مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى. وَهُنَا قَالَ: لَقَدْ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، إِذْ أَنَّ أَيُّوبَ لَمَّا طَالَ بَلَاؤُهُ تَخَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ وَأَصْدِقَاؤُهُ إِلَّا زَوْجَتَهُ، وَقَلِيلَةً مِنَ الْأَصْحَابِ. فَأَخَذَ الشَّيْطَانُ يُوسِسُ لَهُؤُلَاءِ الْمُقِيمِينَ عَلَى الْإِحْلَاصِ لِأَيُّوبَ لِيُفَرِّهُمْ مِنْهُ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ يُحِبُّ أَيُّوبَ مَا ابْتَلَاهُ. فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدُعَاءِ أَيُّوبَ لَمَّا رَأَى إِخْلَاصَهُ لِرَبِّهِ، وَنُفُورَهُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ. ٣٠٠

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ قَعَدَ عَلَى الطَّرِيقِ فَاتَّخَذَ تَابُوتًا يُدَاوِي النَّاسَ فَقَالَتْ امْرَأَةُ أَيُّوبَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ هَاهُنَا مُبْتَلَى، مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَكَذَا. فَهَلْ لَكَ أَنْ تُدَاوِيَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. بِشَرَطٍ إِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ يَقُولَ: أَنْتَ شَفَيْتَنِي لَا أُرِيدُ مِنْهُ أَجْرًا غَيْرَهُ. فَأَنْتَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: وَيْحَكَ...!
 ذَاكَ الشَّيْطَانُ، لِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ شَفَانِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَجْلِدَكَ مِائَةَ جَلْدَةٍ فَلَمَّا شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ ضَعْفًا فَأَخَذَ عَذْقًا فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاحٍ، فَضَرَبَ بِهَا ضَرْبَةً وَاحِدَةً. ٣٠١

ز- بعض الأمراض الأخرى:

عَنْ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَتْ: كُنْتُ أُسْتَحَاضُ حَيْضَةً كَثِيرَةً شَدِيدَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْتَفْتِيهِ وَأُخْبِرُهُ، فَوَجَدْتُهُ فِي بَيْتِ أُخْتِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي امْرَأَةٌ أُسْتَحَاضُ حَيْضَةً كَثِيرَةً شَدِيدَةً، فَمَا تَرَى فِيهَا قَدْ مَنَعَنِي الصَّلَاةَ

الطعن: القتل بالرماح = الطاعون: المرض العام، والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان

٣٠٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٨٩٠، بترقيم الشاملة آليا)

٣٠١ - تفسير ابن أبي حاتم - محققا (١٠ / ٣٢٤٥) (١٨٣٦١) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٠ / ٦٧) حسن

موقوف

وَالصَّوْمَ. فَقَالَ: «أَنْتَ لَكَ الْكُرْسُفُ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الدَّمَ». قَالَتْ: هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاتَّخِذِي ثَوْبًا». فَقَالَتْ: هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. إِنَّمَا أُتِجْتُ ثَجًّا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَامُرُكُ بِأَمْرَيْنِ أَيُّهُمَا فَعَلْتَ أَجْزَأَ عَنْكَ مِنَ الْآخَرِ، وَإِنْ قَوَيْتَ عَلَيْهِمَا فَأَنْتِ أَعْلَمُ». قَالَ لَهَا: «إِنَّمَا هَذِهِ رَكْضَةٌ مِنْ رَكْضَاتِ الشَّيْطَانِ فَتَحِيضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اغْتَسِلِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتِ أَنَّكَ قَدْ طَهُرْتَ، وَاسْتَنْقَأْتَ فَصَلِّي ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَوْ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً وَأَيَّامَهَا وَصُومِي، فَإِنْ ذَلِكَ يَجْزِيكَ، وَكَذَلِكَ فَافْعَلِي فِي كُلِّ شَهْرٍ كَمَا تَحِيضُ النِّسَاءُ، وَكَمَا يَطْهَرْنَ مِيقَاتُ حَيْضِهِنَّ وَطَهْرِهِنَّ، وَإِنْ قَوَيْتِ عَلَى أَنْ تُؤَخِّرِي الظُّهْرَ وَتُعَجِّلِي الْعَصْرَ فَتَغْتَسِلِينَ وَتَجْمَعِينَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَتُؤَخِّرِينَ الْمَغْرِبَ وَتُعَجِّلِينَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ تَغْتَسِلِينَ وَتَجْمَعِينَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فَافْعَلِي، وَتَغْتَسِلِينَ مَعَ الْفَجْرِ فَافْعَلِي، وَصُومِي إِنْ قَدِرْتَ عَلَى ذَلِكَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهَذَا أَعْجَبُ الْأَمْرَيْنِ إِلَيَّ»^{٣٠٢}

ح- مشاركته لبي آدم في طعامهم وشرابهم ومسكنهم:

ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أن يعتدي على طعامه وشرابه فيشركه فيهما، ويشركه في المبيت في منزله، ويكون ذلك منه إذا خالف العبد هدي الرحمن، أو غفل عن ذكر الله، أمّا إذا كان ملتزماً بالهدى الذي هدانا الله إليه، لا يغفل عن ذكر الله، فإن الشيطان لا يجد سبيلاً إلى أموالنا وبيوتنا.

فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يُسمّى، فإذا ذكر اسم الله عليه، فإنه يحرم على الشيطان، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة، قال: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ

^{٣٠٢} - سنن أبي داود (١/ ٧٦) (٢٨٧) وصحيح الجامع (٣٥٨٥) حسن

قال السندي: قوله: "فاتخذى ثوباً"، كأنها فهمت أن الثوب يوضع حيث يوضع الكرّسُف، فقالت: هو أكثر من ذلك، فبين رسول الله ﷺ أن تلجّمي بالثوب. = "سامرك بأمرين": الظاهر أن الأمر الأول إذا كان هناك علامة لمعرفة الحيض من الاستحاضة، والثاني عند عدمها، والجمع أن تجد علامة، فتجعل أيام العلامة حيضاً وتغتسل مع ذلك في بقية الأيام وتصلّي جمعاً، والله أعلم. مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٤٦٨)

اللَّهُ ﷻ يَبِيدُهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ يَدُهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا» ٣٠٣

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللَّقْمَةُ، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، ثُمَّ لْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَّغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ» ٣٠٤

وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق الأبواب، وتخمين الآتية، وذكر اسم الله؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان، ففي صحيح مسلم عن عطاء، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قَرَبَكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا أَنْيَتَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرِضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ» ٣٠٥

٣٠٣ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٩٧) ١٠٢ - (٢٠١٧)

[ش (كأنها تدفع) وفي الرواية الأخرى كأنها تطرد يعني لشدة سرعتها (إن يده في يدي مع يدها) هكذا هو في معظم الأصول يدها وفي بعضها يدهما فهذا ظاهر والتثنية تعود إلى الجارية والأعرابي ومعناه أن يدي في يد الشيطان مع يد الجارية والأعرابي أما على رواية يدها بإفراد فيعود الضمير على الجارية وقد حكى القاضي عياض رضي الله عنه أن الوجه التثنية والظاهر أن رواية الإفراد أيضا مستقيمة فإن إثبات يدها لا ينفي يد الأعرابي وإذا صحت الرواية بالإفراد وجب قبولها وتأويلها على ما ذكرناه]

٣٠٤ - صحيح مسلم (٣/ ١٦٠٧) ١٣٥ - (٢٠٣٣)

فليمط ما كان بها من أذى: الإمالة: الإزالة ، والأذى: ما ينال اللقمة إذا سقطت من تراب وتلوث وغيره.

٣٠٥ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٩٥) ٩٧ - (٢٠١٢) وصحيح البخاري (٤/ ١٢٨) (٣٣٠٤)

[ش (إذا كان جنح الليل) هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا فأمر ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسبابا للسلامة من إيذائه فلا يقدر على كشف إناء ولا حل سقاء ولا فتح باب ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب وجنح الليل بضم

وَعَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السَّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرِضَ عَلَى إِيَّاهُ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفَوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»^{٣٠٦}

ويشرب الشيطان مع الإنسان إذا شرب واقفاً، فعن أبي زياد الطحَّان، مَوْلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَشْرَبُ قَائِمًا فَقَالَ: "أَيْسُرُكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الْهَرُّ؟" قَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ شَرِبَ مَعَكَ الشَّيْطَانُ فِي مَا شَرِبْتَ"^{٣٠٧}

وكي تطرد الشياطين من المنزل لا تنس أن تذكر اسم الله عند دخول المنزل، وقد أرشدنا الرسول ﷺ لذلك، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ".^{٣٠٨}

ط-أول داخل إلى السوق وآخر من يخرج منها:

الجيم وكسرها لغتان مشهورتان وهو ظلامه ويقال أجنح الليل أي أقبل ظلامه وأصل الجنوح الميل (فكفوا صبيانكم) أي امنعوه من الخروج ذلك الوقت (فإن الشيطان ينتشر) أي جنس الشيطان ومعناه أنه يخاف على الصبيان ذلك الوقت من إيذاء الشياطين لكثرتهم حينئذ]

٣٠٦ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٩٤) ٩٦ - (٢٠١٢)

[ش (الفويسقة) المراد بالفويسقة الفارة لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها

(تضرم) أي تحرق سريعاً قال أهل اللغة ضرمت النار وتضرمت وأضرمت أي التهمت وأضرمتها أنا وضرمتها]

٣٠٧ - شعب الإيمان (٨/ ١٢٠) (٥٥٧٩) حسن وفيه كلام، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (البيهقي) رَحِمَهُ اللَّهُ: "يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ عَنِ الشَّرَابِ قَائِمًا عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْأَدَبِ فِي الشُّرْبِ قَاعِدًا أَوْ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّاءِ فِيمَا زَعَمَ أَهْلُ الطَّلَبِ وَخُصُوصًا لِمَنْ كَانَتْ فِيهِ أَسَافِلُهُ عَلَيْهِ يَشْكُوها مِنْ بَرْدٍ أَوْ رُطُوبَةٍ لَا عَلَى التَّحْرِيمِ فَقَدْ"

وصح الشرب واقفا انظر صحيح ابن حبان - محققا (١٣٨/ ١٢) (٥٣١٨-٥٣٢٦)

٣٠٨ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٩٨) ١٠٣ - (٢٠١٨) [ش (قال الشيطان) معناه قال الشيطان لإخوانه وأعدائه ورفقته]

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: قَالَ سَلْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا تَكُنْ أَوَّلَ دَاخِلِ السُّوقِ وَآخِرَ خَارِجِ مِنْهَا، فَإِنَّ بِهَا مَعْرَجَ الشَّيْطَانِ وَمَرَكَزَ رَأْيَتِهِ: قَالَ يَحْيَى: مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ.^{٣٠٩}
وَعَنْ سَلْمَانَ: "لَا تَكُنْ أَوَّلَ أَهْلِ السُّوقِ دُخُولًا وَآخِرَهُمْ خُرُوجًا، فَإِنَّ فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانِ وَفَرَخَ".^{٣١٠}

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ لِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: إِنَّ السُّوقَ مَبِيعُ الشَّيْطَانِ وَمَفْرَحُهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُهَا، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا فَافْعَلْ.^{٣١١}

ظ- مس الشيطان للإنسان (الصرع):

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^{٣١٢}: "وَجُودُ الْحِنِّ ثَابِتٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتِهَا. وَكَذَلِكَ دُخُولُ الْحِنِّ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ ثَابِتٌ بِاتِّفَاقِ أُمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: ٢٧٥]، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ صَفِيَّةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ أَزْوَاجُهُ فَرُحْنَ، فَقَالَ لَصَفِيَّةَ بِنْتُ حِيسٍ لَا تَعْجَلِي حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكَ، وَكَانَ بَيْتُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَنَظَرَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَجَازَا، وَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «تَعَالِيَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حِيسٍ»، قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا».^{٣١٣}

^{٣٠٩} - الزهد لأحمد بن حنبل - دار ابن رجب (١/ ٢٧٩) (٨٢١) صحيح

^{٣١٠} - شعب الإيمان (١٣/ ١٩٣) (١٠١٧٢) صحيح

^{٣١١} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبلة (١٩/ ٢٠٦) (٣٥٨٢٠) صحيح

^{٣١٢} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٢٤/ ٢٧٦)

^{٣١٣} - صحيح البخاري (٣/ ٥٠) (٢٠٣٨)

[ش (فرحن) أي أزواجه من الرواح وهو الرجوع آخر النهار. (أجازا) مضيا]

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قُلْتُ لِأَبِي: إِنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ: إِنَّ الْجَنِّيَّ لَا يَدْخُلُ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ يَكْذِبُونَ هَذَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَمْرٌ مَشْهُورٌ فَإِنَّهُ يَصْرَعُ الرَّجُلَ فَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ وَيُضْرَبُ عَلَى بَدَنِهِ ضَرْبًا عَظِيمًا لَوْ ضُرِبَ بِهِ جَمَلٌ لَأَثَرَ بِهِ أَثَرًا عَظِيمًا. وَالْمَصْرُوعُ مَعَ هَذَا لَا يُحْسُ بِالضَّرْبِ وَلَا بِالْكَلَامِ الَّذِي يَقُولُهُ وَقَدْ يَجُرُّ الْمَصْرُوعُ وَغَيْرَ الْمَصْرُوعِ وَيَجُرُّ الْبَسَاطَ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَيُحَوِّلُ آلَاتٍ وَيَنْقُلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَيُجْرِي غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ مَنْ شَاهَدَهَا أَفَادَتْهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّ النَّاطِقَ عَلَى لِسَانِ الْإِنْسِيِّ وَالْمُحَرِّكَ لِهَذِهِ الْأَجْسَامِ جِنْسٌ آخَرٌ غَيْرُ الْإِنْسَانِ. وَلَيْسَ فِي أُمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكِرُ دُخُولَ الْجَنِّيِّ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ وَغَيْرِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَادَّعَى أَنَّ الشَّرْعَ يُكَذِّبُ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الشَّرْعِ وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ.^{٣١٤}

ع- قائد المعركة في الصراع الدائر بين عالم الشياطين وعالم البشر:

إبليس هو الذي يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها، ومن قاعدته يرسل البعث والسرايا في الاتجاهات المختلفة، ويعقد مجالس يناقش جنوده وجيوشه فيما صنعوه، ويثني على الذين أحسنوا وأجادوا في الإضلال وفتنة الناس.

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ إِبْلِسَ يَضَعُ عَرَشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزَلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُذْنِبُهُ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ " قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ»^{٣١٥}

^{٣١٤} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٢٤ / ٢٧٧)

^{٣١٥} - صحيح مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٦٧ - (٢٨١٣)

العَرْشُ: سَرِيرُ الْمُلِكِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ مَرْكَزَهُ الْبَحْرَ، وَمِنْهُ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ. = يَلْتَزِمُهُ: أَيُّ: يَضُمُّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَيُعَانِقُهُ. = نَعَمْ أَنْتَ: أَيُّ: يَمْدَحُهُ لِإِعْجَابِهِ بِصُنْعِهِ، وَبُلُوغِهِ الْعَالِيَةِ الَّتِي أَرَادَهَا "شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَقِيَهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، (وكان يشك ﷺ أنه الدجال) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَقَالَ هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، مَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَمَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبًا - أَوْ كَاذِبِينَ وَصَادِقًا - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَبَسَ عَلَيْهِ، دَعُوهُ».^{٣١٦}

والشيطان له خبرة طويلة مديدة في مجال الإضلال، ولذلك فإنه يجيد وضع خططه، ونصب مصايده وأحاييله، فهو لم يزل حيًّا يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة: { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُعْتَنُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) } [الحجر: ٣٦ - ٣٨].

وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَحْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي وَحَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي".^{٣١٧}

غ-جنود الشيطان من الجن والإنس:

والشيطان له فريقان من الجنود: فريق من الجن، وفريق من بني الإنسان. وقد سبق ذكر حديث إرساله سراياه من الشياطين لإضلال الناس، وفي القرآن: { وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } [الإسراء: ٦٤]. فله جنود يهاجمون راكبين راجلين، يرسلهم على العباد، يجركونهم إلى الشر تحريكاً: { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا } [مريم: ٨٣]

^{٣١٦} - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٤١) - ٨٧ - (٢٩٢٥) [ش (لبس عليه) أي خلط عليه أمره]

^{٣١٧} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤/ ٢٩٠) (٧٦٧٢) وصحيح الجامع (١٦٥٠) حسن

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَلَطَ الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، لِيَعُورُواهُمْ، وَيَعْرِوهُمْ بَارِتْكَابِ
الْمَعَاصِي، وَيَهَيِّجُوهُمْ لِلْوُقُوعِ فِيهَا؟^{٣١٨}

ف- لكل إنسان قرين:

وكل إنسان له شيطان يلزمه لا يفارقه، كما في صحيح مسلم عن ابن قسيط، حَدَّثَهُ أَنَّ
عُرْوَةَ حَدَّثَهُ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا
لَيْلًا، قَالَتْ: فَغَرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «مَا لَكَ؟ يَا عَائِشَةُ أَغَرْتُ؟»
فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ»
قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ»
قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ».^{٣١٩}

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: التَّمَسَّنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي شَعْرِهِ، فَقَالَ: «قَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ» فَقُلْتُ: أَمَا لَكَ شَيْطَانٌ؟
فَقَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ».^{٣٢٠}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ
الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي
عَلَيْهِ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِحَقٍّ».^{٣٢١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ
قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ
فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».^{٣٢٢}

^{٣١٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٣٣٣، بترقيم الشاملة آليا)

^{٣١٩} - صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٨) ٧٠ - (٢٨١٥)

ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم: قوله: ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم، أي: انقاد وأذعن، وصار طوعا، فلا يكاد
يعرض لي بما لا أريده، فأنا أقوى عليه، وليس من الإسلام الذي هو بمعنى الإيمان.

^{٣٢٠} - سنن النسائي (٧/ ٧٢) (٣٩٦٠) صحيح

^{٣٢١} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٢/ ٣٢) ٣٦٤٨ صحيح

^{٣٢٢} - صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧) ٦٩ - (٢٨١٤)

وفي القرآن: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) } [الزخرف: ٣٦ - ٣٧]

وَمَنْ يَتَعَفَّلْ وَيَتَعَامَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَعَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْهَمِك فِي الْمَعَاصِي، وَلَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.. فَإِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَكُونُونَ لَهُ قُرَنَاءَ، يَزَيِّنُونَ لَهُ ارْتِكَابَ الْمَعَاصِي، وَالِاسْتِعَالَ بِاللَّذَاتِ، فَيَسْتَرْسِلُ فِيهَا فَيَحِقُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ.

وَهَؤُلَاءِ الْقُرَنَاءُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِينَ يُقَيِّضُهُمُ اللَّهُ لِكُلِّ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ، يُحَاوِلُونَ صَرْفَهُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُوسَّوْسُونَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى حَادَّةٍ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنْ غَيَّرَهُ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيُكْرَهُونَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ فَيُطِيعُهُمْ.^{٣٢٣}

وفي الآية الأخرى: {وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ } [فصلت: ٢٥]

وفي الآية الأخرى: {وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ } [فصلت: ٢٥]

وَيَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ أَخْذَانًا وَأَقْرَانًا مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَلَمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ، وَأَوْحُوا إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا حِسَابَ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا وَجَبَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ

[ش (فأسلم) برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه أسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمنا لا يأمرني إلا بخير واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح وهو المختار لقوله ﷺ فلا يأمرني إلا بخير واختلفوا على رواية الفتح قيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم فاستسلم وقيل معناه صار مسلما مؤمنا وهذا هو الظاهر -معناه: أَنَّ الْقَرِينَ أَسْلَمَ وَصَارَ مُؤْمِنًا لَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةً عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي جِسْمِهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِشَارَةٌ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَستِهِ وَإِغْوَاهِهِ، فَأَعْلَمْنَا بِأَنَّهُ مَعَنَا لَتَحْتَرِزَ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ. شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ١٩٥)]

^{٣٢٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٢٤٠، بترقيم الشاملة آليا)

مِمَّنْ فَعَلُوا مِثْلَ أَفْعَالِهِمْ، فَكَانُوا جَمِيعاً فِي الْخَسَارِ وَالذَّمَّارِ، وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ٣٢٤

وللشيطان أتباع من الإنس اتخذوه ولياً، يسرون على خطاه، ويرضون بفكره، مع أنه العدو الأول الذي يسعى في إهلاكهم، وقبيح بالإنسان العاقل أن يتخذ عدوه ولياً: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } [الكهف: ٥٠].

يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ إِلَى عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ، وَلَأَيُّهُمْ آدَمَ، قَبْلَهُمْ، وَيُقَرِّعُهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ إِبْلِيسَ، وَمُخَالَفَةِ الْخَالِقِ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: اذْكُرْ لِقَوْمِكَ إِذْ قَالَ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ، اعْتَرَفَا بِفَضْلِهِ، وَاعْتَدَارَا عَمَّا قَالُوهُ بِحَقِّهِ: { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ }. فَاثْمَثَلُوا جَمِيعاً لِأَمْرِ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ، إِلَّا إِبْلِيسَ، الَّذِي كَانَ مِنَ الْجِنِّ، فَاثْمَتَعَ عَنِ السُّجُودِ، وَخَرَجَ عَنْ أَمْرِ اللهِ (فَسَقَ)، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ اللهَ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يَسْجُدَ لِمَخْلُوقٍ خَلَقَهُ اللهُ مِنَ الطِّينِ، وَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ. فَكَيْفَ تَتَّخِذُونَ، يَا بَنِي آدَمَ، هَذَا الْعَدُوَّ لَكُمْ، هُوَ وَذُرِّيَّتُهُ، أَوْلِيَاءَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، وَتُطِيعُونَ أَوَامِرَهُمْ، وَهُمْ عَلَى مَا عَرَفْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، فَبِئْسَ مَا فَعَلْتُمْ { بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } ٣٢٥.

ولقد خسروا باتخاذهم ولياً خسراناً مبيهاً: { وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا } [النساء: ١١٩]. خسروا لأن الشيطان سيدسي نفوسهم ويفسدها، ويحرمهم من نعمة الهداية، ويرمي بهم في الضلالات والشبهات: { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: ٢٥٧]

٣٢٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤١٢٢، بترقيم الشاملة آليا)

٣٢٥ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢١٩٠، بترقيم الشاملة آليا)

، وخسروا لأنه سيقودهم إلى النار: (إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)
[فاطر: ٦]، وهؤلاء أولياء الشيطان يتخذهم الشيطان مطية وجنوداً، ينفذ بهم مخططاته وأهدافه.

ق- دُخُولُ الْجَنِّ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ حِينَ وَلَادَتِهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانَ فِي حَنْبِيهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ»^{٣٢٦}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ يَلْكُرُهُ الشَّيْطَانُ فِي حَضَنِيهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ وَابْنِهَا، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الصَّبِيِّ حِينَ يَسْقُطُ كَيْفَ يَصْرُخُ؟" قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "ذَلِكَ حِينَ يَلْكُرُهُ الشَّيْطَانُ بِحَضَنِيهِ"^{٣٢٧}
وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦]^{٣٢٨}

ك- كيده وخذلانه لأوليائه:

يتولى كثير من الناس الشيطان، ولكنه يكيد لهم ويوردهم الموارد التي فيها هلاكهم وعطبهم، ويتخلى عنهم، ويسلمهم، ويقف يشمت بهم، ويضحك منهم، فيأمرهم بالقتل

^{٣٢٦} - صحيح البخاري (٤/ ١٢٥) (٣٢٨٦)

[ش (يطعن) يضرب. (الحجاب) الجلدة التي فيها الجنين وتسمى المشيمة. وقيل الحجاب الثوب الذي يلف فيه المولود] المراد بالحجاب: الجلدة التي فيها الجنين ، أي: في المشيمة التي فيها الولد ، أو الثوب الملفوف على الطفل ، قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسلط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت: (إني أعوذ بك وذريتي من الشيطان الرجيم) ، ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى. فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٢٣١)

^{٣٢٧} - مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٤١٢) (٨٨١٥) صحيح

اللكز: هو الوكر، وهو الدفع والطعن والضرب بجمع الكف. = والحضن: الجنب.

^{٣٢٨} - صحيح البخاري (٤/ ١٦٤) (٣٤٣١)

[يمسه الشيطان يناله بيده من غير حاجز. (فيستهل) يصوت عند ولادته. (أعížها) أجيرها وأحصنها. (الرجيم) الطريد من رحمة الله تعالى / آل عمران ٣٦ /]

والسرقة والزنا، ويدلُّ عليهم، ويفضحهم، فعل ذلك بالمشرِّكين في معركة بدر، عندما جاءهم متمثلاً في صورة سراقَة بن مالك، ووعدهم بالنصر والغلب: (وقال لا غالب لكم اليوم من النَّاسِ وإني جَارٌ لَّكُمْ) [الأنفال: ٤٨]، فلما رأى عدو الله الملائكة نزلت لنصرة المؤمنين، ولى هارباً وأسلمهم، فعن ابن عباسٍ قال: جاء إبليسُ في جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَمَعَهُ رَايَةٌ فِي صُورِ رَجَالٍ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ الشَّيْطَانُ: لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ وَأَقْبَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِبْلِيسَ، فَلَمَّا رَأَهُ وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ انْتَزَعَ إِبْلِيسُ يَدَهُ وَوَلَّى مُدْبِرًا وَشَبَّعَتْهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا سُرَاقَةُ، أَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ" ٣٢٩

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت: ٣٣٠

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ أَوْوَأُ نَبِيَّهُمْ... وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
إِلَّا خَصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفٌ... لِلصَّالِحِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارُ
مُسْتَبْشِرِينَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْلُهُمْ... لَمَّا أَتَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ
أَهْلًا وَسَهْلًا فِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ... نِعَمَ النَّبِيِّ وَنِعَمَ الْقَسَمِ وَالْجَارُ
فَأَنْزَلُوهُ بِدَارٍ لَا يَخَافُ بِهَا... مَنْ كَانَ جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدَّارُ
وَقَاسَمُوهُ بِهَا الْأَمْوَالَ إِذْ قَدِمُوا... مُهَاجِرِينَ وَقَسَمَ الْجَاهِدِ النَّارُ
سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ لَحْنِهِمْ... لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْعِلْمِ مَا سَارُوا
دَلَّاهُمْ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ... إِنَّ الْخَبِيثَ لَمَنْ وَالَاهُ غَرَّارُ
وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأَوْرَدَهُمْ... شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ
ثُمَّ التَّقَيْنَا فَوَلَّوْا عَنْ سَرَاتِهِمْ... مِنْ مُنْجِدِينَ وَمِنْهُمْ فَرْقَةٌ غَارُوا
وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها، فإنه أمره بالزنا، ثم بقتلها، ثم دلَّ أهلها عليه، وكشف أمره لهم، ثم أمره بالسجود له، فلما فعل فرَّ عنه وتركه، كما مرَّ.

٣٢٩ - تفسير ابن أبي حاتم - محققا (٥/ ١٧١٥) (٩١٥٧) حسن

٣٣٠ - البداية والنهاية ط هجر (٥/ ١٥٧)

وفي يوم القيامة يقول لأوليائه بعد دخوله ودخولهم النار: (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) [إبراهيم: ٢٢]، فأوردتهم شرّ الموارد، ثم تبرأ منهم كل البراءة.

ل-الشیطان یجند أولیاءه لخدمته ومحاربة المؤمنین:

الناس فريقان: أولیاء الرحمن، وأولیاء الشیطان. وأولیاء الشیطان هم الكفرة على اختلاف مللهم ونحلهم: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ٢٧].

يا بني آدم لا یخدعنكم الشیطان، فیزین لكم المعصية، كما زینها لأبویکم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، یتزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتكشف لهما عوراتهما. إن الشیطان یراکم هو وذریته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلْكَافِرِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يَصْذِقُونَ رَسُولَهُ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ. ٣٣١

والشیطان یسخر هؤلاء لتضليل المؤمنین بما یلقونه من الشبه: { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايُحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } [الأنعام: ١٢١].

وما هذه الشبهات التي یقوم بها المستشرقون والصليبيون واليهود والملحدون إلا من هذا القبيل.

ویدفع الشیطان أولیاءه لإیذاء نفوس المؤمنین: { إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [المجادلة: ١٠]. فقد كان یدفع المشرکین للتناحي حين وجود المسلمین على مقربة منهم، فیظن المسلم أنه یتآمرون علیه...

بل یدفعهم إلى حرب المسلمین وقتالهم: { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [النساء: ٧٦].

وهو دائماً يخوف المؤمنين أوليائه: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران: ١٧٥]، وأوليائه جمع كبير: { } وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوْمنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ (٢١) { [سبأ: ٢٠، ٢١].

وَلَقَدْ ظَنَّ إِبْلِيسُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَقَدَ يَتَّبِعُونَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ يَسْتَطِيعُ غَوَايَتَهُمْ وَإِضْلَالَهُمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْبَطْرِ، فَأَطَاعُوهُ وَعَصَوْا رَبَّهُمْ فَذَمَّرَهُمْ، فَصَدَقَ ظَنُّ إِبْلِيسَ فِيهِمْ. وَلَمْ يَشُدَّ مِنْهُمْ عَنْ إِطَاعَةِ إِبْلِيسَ إِلَّا فِتْنَةٌ قَلِيلَةٌ مُؤْمِنَةٌ ثَبَتَتْ عَلَى الْإِيمَانِ. وَلَمْ يَكُنْ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَةٍ يَحْمِلُهُمْ بِهَا كَرْهًا عَلَى الْكُفْرِ، وَالْبَطْرِ، وَالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ فَأَطَاعُوهُ وَقَدْ سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِيَخْتَبِرَهُمْ، لِيُظْهِرَ حَالَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، وَيُصَدِّقَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، مِمَّنْ هُوَ فِي شَكٍّ مِنْهَا، فَلَا يُؤْمِنُ بِمَعَادٍ وَلَا حَشَرٍ وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ. وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدٌ حَفِيزٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا. ٣٣٢

م- أذاه لعباد الله الصالحين:

عَنِ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ ، قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا قَائِلَةٌ ، قَدْ أُلْقَيْتُ عَلَيَّ مِلْحَفَةً لِي إِذْ جَاءَنِي أَسْوَدُ يُعَالِجُنِي عَنْ نَفْسِي فَبَيْنَمَا هُوَ يُعَالِجُنِي إِذْ أَقْبَلَتْ صَحِيفَةً مِنْ رَقٍّ تَهْوِي مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى وَقَعَتْ عِنْدَهُ فَقَرَأَهَا فَإِذَا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ رَبِّ أَكْبَرِ إِلَى أَكْبَرِ أَمَّا بَعْدُ: فَدَعَا أُمَّتِي بِنْتَ عَبْدِ الصَّالِحِ فَإِنِّي لَمْ أَجْعَلْ لَكَ عَلَيْهَا سَبِيلًا فَانْتَهَرَنِي بِقُرْصَةٍ ثُمَّ قَالَ: أَوَلَا لَكَ قَالَتْ: فَمَا زَالَتِ الْقُرْصَةُ فِيهَا حَتَّى لَقِيتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. ٣٣٣

٣٣٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٠٧، بترقيم الشاملة آليا)

٣٣٣ - الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٦/ ١١٥) (٣٣٣٤) حسن لغيره

الملحفة: اللحف والملحف والملحفة اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد، وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به، واللحف اسم ما يلتحف به = انتهره: زجره ونهاه وعنفه

وعن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ ابْنَةُ عَوْفِ بْنِ عَفْرَاءَ، مُسْتَلْقِيَةً عَلَى فِرَاشِهَا، فَمَا شَعُرَتْ إِلَّا بِزُنْجِيٍّ، قَدْ وَثَبَ عَلَى صَدْرِهَا، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي حَلَقِهَا، فَإِذَا صَحِيفَةٌ صَفْرَاءُ، تَهْوِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى صَدْرِي. فَأَخَذَهَا - تَعْنِي الزُّنْجِيَّ - فَقَرَأَهَا، فَإِذَا فِيهَا: مَنْ رَبِّ لَكِنَّ إِلَى لَكِنَّ: اجْتَنِبْ ابْنَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ لَكَ سَبِيلَ لَكَ عَلَيْهَا، فَقَامَ وَأَرْسَلَ يَدَهُ مِنْ حَلْقِي، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رُكْبَتِي، فَاسْوَدَّتْ، حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ رَأْسِ الشَّاةِ. قَالَتْ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهَا. فَقَالَتْ: يَا ابْنَةَ أَخِي إِذَا حَضَتْ، فَاجْمَعِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ بِيَأْنِ شَاءَ اللَّهُ - قَالَ: فَحَفِظَهَا اللَّهُ بِأَيِّهَا، إِنَّهُ عَلَيَّ كَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ شَهِيدًا. ٣٣٤

وَعَنْ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ أَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ الشَّيْءِ، فَقَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا فِي مَجْلِسِي إِذْ انْشَقَّ سَقْفُ بَيْتِي، فَهَبَطَ عَلَيَّ مِنْهُ أَسْوَدٌ، مِثْلُ الْجَمَلِ، أَوْ مِثْلُ الْحِمَارِ، لَمْ أَرْ مِثْلَ سَوَادِهِ، وَخَلَقَهُ، وَفَطَاعَتَهُ، قَالَتْ: فَدَنَا مِنِّي يُرِيدُنِي، وَتَبِعَتْهُ صَحِيفَةٌ صَغِيرَةٌ فَفَتَحْتُهَا فَقَرَأْتُهَا فَإِذَا فِيهَا: مَنْ رَبِّ عَكَبَ إِلَى عَكَبَ، أَمَّا بَعْدُ فَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ بِنْتِ الصَّالِحِينَ. قَالَ: فَرَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، قَالَ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ: فَأَرْتَنِي الْكِتَابَ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ. ٣٣٥

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ خَرَجَ لِيُصَلِّيَ مَعَ قَوْمِهِ صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَفَقَدَ فَأَنْطَلَقَتْ أَمْرَأَتُهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَحَدَّثَتْهُ بِذَلِكَ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ قَوْمَهَا فَصَدَّقُوهَا فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَرَبَّصَ أَرْبَعَ سِنِينَ فَتَرَبَّصَتْ ثُمَّ أَتَتْ عُمَرَ فَأَخْبَرَتْهُ بِذَلِكَ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ قَوْمَهَا فَصَدَّقُوهَا فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ ثُمَّ إِنَّ زَوْجَهَا الْأَوَّلَ قَدِمَ فَارْتَفَعُوا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ عُمَرُ: «يَغِيبُ أَحَدُكُمْ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ لَا يَعْلَمُ أَهْلُهُ حَيَاتُهُ» قَالَ: إِنَّ لِي عِذْرًا قَالَ: «وَمَا عِذْرُكَ؟» قَالَ: خَرَجْتُ أَصَلِّيَ مَعَ قَوْمِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَسَبَّحَنِي الْجِنُّ أَوْ قَالَ: أَصَابَتْنِي الْجِنُّ فَكُنْتُ فِيهِمْ زَمَانًا طَوِيلًا فَغَزَاهُمْ جِنٌّ مُؤْمِنُونَ فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا سَبَايَا فَكُنْتُ فِيهِمْ أَصَابُوا فَقَالُوا مَا دِينُكَ؟ قُلْتُ: مُسْلِمٌ قَالُوا: أَنْتَ عَلَى

٣٣٤ - دلائل النبوة للبيهقي محققا (١١٦ / ٧) صحيح

وَرُوِيَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ، وَهِيَ صَاحِبَةُ الْقِصَّةِ.

٣٣٥ - مكائد الشيطان (ص: ٢٦) (٦) فيه جهالة ويشهد له ما قبله

دِينَنَا، لَا يَحِلُّ لَنَا سِبَاؤُكَ فَخَيْرُونِي بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ الْقُفُولِ فَاخْتَرْتُ الْقُفُولَ فَأَقْبَلُوا
مَعِيَ، بِاللَّيْلِ بَشَرٌ يُحَدِّثُونَنِي، وَبِالنَّهَارِ إِعْصَارٌ رِيحٌ أَتْبَعُهَا قَالَ: فَمَا كَانَ طَعَامُكَ؟
قَالَ: قُلْتُ: كُلُّ مَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: فَمَا شَرَابُكَ؟ قَالَ: الْحَدَفُ الْحَدَفُ مَا لَمْ
يُخَمَّرْ مِنَ الشَّرَابِ قَالَ: فَخَيْرُهُ عُمَرُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ الصَّدَاقِ " وفي رواية: " فَخَيْرُهُ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الصَّدَاقِ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ فَاخْتَارَ الصَّدَاقَ " قَالَ حَمَّادٌ: وَأَحْسَبُهُ
قَالَ: فَأَعْطَاهُ الصَّدَاقَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ " ٣٣٦

ن- النعاس في الصلاة من الشيطان:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " النَّعَاسُ فِي الْقِتَالِ: أَمَنَةٌ، يَعْنِي مِنَ اللَّهِ، وَالنُّعَاسُ فِي الصَّلَاةِ
مِنَ الشَّيْطَانِ " ٣٣٧

و- التثاؤب في الصلاة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «التَّثَاؤُبُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَكْظَمْ مَا اسْتَطَاعَ» ٣٣٨

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ التَّثَاؤُبَ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا
وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَكْظَمْ». ٣٣٩

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: التَّثَاؤُبُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَشِدَّةُ الْعُطَاسِ وَالنُّعَاسُ عِنْدَ
الْمَوْعِظَةِ. ٣٤٠

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: التَّثَاؤُبُ فِي الصَّلَاةِ وَالْعُطَاسُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهُ. ٣٤١

لا- تقليب الحصى في الصلاة:

٣٣٦ - الهواتف = هواتف الجنان لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٨) (١١٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٧٣٣) (٥٥٧٠)

صحيح موقوف

٣٣٧ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٥/ ١٦٦٤) صحيح

٣٣٨ - سنن الترمذي ت شاكر (٢/ ٢٠٧) (٣٧٠) صحيح

٣٣٩ - صحيح ابن حبان - مخرجا (٦/ ١٢٣) (٢٣٥٩) صحيح

٣٤٠ - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبلة (٥/ ٣١٧) (٨٠٦٨) صحيح موقوف

٣٤١ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٢/ ٤٢٧) (٨٠٦٩) صحيح

عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَاوِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَأَنَا أَعْبَثُ بِالْحَصَى فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَهَانِي فَقَالَ: اصْنَعْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ؟ قَالَ: «كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ كَفَّهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى، وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخْذِهِ الْيُسْرَى»^{٣٤٢}

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ، وَإِنِّي أَقْلَبُ الْحَصَى فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «إِنَّ تَقْلِيبَ الْحَصَى فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَكِنْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخْذِهِ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى، وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ» وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ".^{٣٤٣}

قال ابن عبد البر رحمه الله: "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعَبَثُ فِي الصَّلَاةِ بِالْحَصْبَاءِ (وَهُوَ أَمْرٌ مُجْتَمِعٌ عَلَيْهِ) (وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْحَصْبَاءِ) أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعَبَثُ فِي الصَّلَاةِ بِالْحَصْبَاءِ وَلَا غَيْرِهَا وَإِنْ ذَلِكَ عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ إِذَا كَثُرَ وَطَالَ وَشُغِلَ عَنِ الصَّلَاةِ أَفْسَدَ الصَّلَاةَ وَإِنَّمَا لَمْ يَأْمُرِ ابْنُ عُمَرَ عَلِيًّا هَذَا بِالْإِعَادَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَأَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ يَسِيرًا وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ كَرِهَ مَسْحَ الْحَصْبَاءِ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً كَرَاهِيَةَ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ فَكَيْفَ الْعَبَثُ بِهَا فِي الصَّلَاةِ".^{٣٤٤}

ي- من خلال العجلة في الأمور:

عَنْ أَنَسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرُ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ"^{٣٤٥}

^{٣٤٢} - صحيح مسلم (٤٠٨ / ١) - (٥٨٠)

عبث: لعب وعمل ما لا فائدة فيه = الإبهام: الأصبع الغليظة الخامسة من أصابع اليد والرجل

^{٣٤٣} - مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٩٥ / ٢) (٣٠٤٨) صحيح

^{٣٤٤} - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩٦ / ١٣)

^{٣٤٥} - شعب الإيمان (٢١١ / ٦) (٤٠٥٨) حسن

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ يَسْمَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، تُقْرَأُ فِيهِ»، وَقَالَ: «الثَّانِي مِنَ اللَّهِ
وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^{٣٤٦}

وَعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ التَّبَيَّنَ مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَتَبَيَّنُوا»^{٣٤٧}



^{٣٤٦} - مسند إسحاق بن راهويه (١/ ٤٢٨) (٤٩٤) ضعيف

^{٣٤٧} - مكارم الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٢٨) (٦٨٧) حسن مرسل

المبحث الثاني عشر

أساليب الشيطان في إضلال الإنسان

عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «لَمَّا أَهْبَطَ إِبْلِيسُ قَالَ: أَيُّ رَبٍّ، قَدْ لَعَنْتَهُ فَمَا عَمَلُهُ؟ قَالَ: السَّحَرُ، قَالَ: فَمَا قَرَأْتُهُ؟ قَالَ: الشَّعْرُ، قَالَ: فَمَا كَتَبْتُهُ؟ قَالَ: الْوَشْمُ، قَالَ: فَمَا طَعَامُهُ؟ قَالَ: كُلُّ مَيْتَةٍ وَمَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَا شَرَابُهُ؟ قَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ مَسْكَنَتُهُ؟ قَالَ: الْحَمَّامُ، قَالَ: فَأَيْنَ مَجْلِسُهُ؟ قَالَ: الْأَسْوَاقُ، قَالَ: فَمَا صَوْتُهُ؟ قَالَ: الْمِزْمَارُ، قَالَ: فَمَا مَصَايِدُهُ؟ قَالَ: النَّسَاءُ»^{٣٤٨}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ: يَا رَبِّ قَدْ أَهْبَطَ آدَمُ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ كِتَابٌ وَرُسُلٌ، فَمَا كَتَبْتُهُمْ وَرُسُلُهُمْ؟ قَالَ: قَالَ رُسُلُهُمُ: الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْهُمْ، وَكُتِبَتْ لَهُمُ: التَّوْرَةُ وَالزَّبُورُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْفُرْقَانُ، قَالَ: فَمَا كِتَابِي؟ قَالَ: كِتَابُكَ: الْوَشْمُ، وَقُرْآنُكَ: الشَّعْرُ، وَرُسُلُكَ: الْكَهَنَةُ، وَطَعَامُكَ: مَا لَا يُذَكَّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَشَرَابُكَ: كُلُّ مُسْكِرٍ، وَصِدْقُكَ: الْكَذِبُ، وَبَيْتُكَ: الْحَمَّامُ، وَمَصَائِدُكَ: النَّسَاءُ، وَمُؤَذِّنُكَ: الْمِزْمَارُ، وَمَسْجِدُكَ: الْأَسْوَاقُ " ^{٣٤٩}

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا نَزَلَ الْأَرْضَ قَالَ: يَا رَبِّ، أُنْزِلْتَنِي الْأَرْضَ وَجَعَلْتَنِي رَجِيمًا، أَوْ كَمَا ذَكَرَ، فَاجْعَلْ لِي بَيْتًا. قَالَ: الْحَمَّامُ. قَالَ: فَاجْعَلْ لِي مَجْلِسًا. قَالَ: الْأَسْوَاقُ وَمَجَامِعُ الطُّرُقِ. قَالَ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا. قَالَ: مَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ. قَالَ: اجْعَلْ لِي شَرَابًا. قَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ. قَالَ: اجْعَلْ لِي مُؤَذِّنًا. قَالَ: الْمِزْمَارُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي قُرْآنًا. قَالَ: الشَّعْرُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي

^{٣٤٨} - جامع معمر بن راشد (١١/ ٢٦٨) (٢٠٥١١) صحيح مقطوع

^{٣٤٩} - المعجم الكبير للطبراني (١١/ ١٠٣) (١١١٨١) ضعيف ويشهد له ما بعده

كِتَابًا. قَالَ: الْوَشْمُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي حَدِيثًا. قَالَ: الْكَذِبُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي رُسُلًا. قَالَ: الْكُفَّانُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي مَصَائِدَ. قَالَ: النَّسَاءُ " ٣٥٠

وَعَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّيْطَانِ كُحْلًا وَلَعُوقًا، فَإِذَا كَحَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ كُحْلِهِ نَامَتْ عَيْنَاهُ عَنِ الذِّكْرِ، وَإِذَا لَعَقَهُ مِنْ لَعُوقِهِ ذَرَبَ لِسَانُهُ بِالشَّرِّ» ٣٥١

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ لِلشَّيْطَانِ كُحْلًا، وَلَعُوقًا، وَنُشُوقًا. أَمَّا لَعُوقُهُ: فَالْكَذِبُ، وَأَمَّا نُشُوقُهُ: فَالْعُصْبُ، وَأَمَّا كُحْلُهُ: فَالنَّوْمُ " ٣٥٢

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: لِإِبْلِيسَ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِهِ قَدْ جَعَلَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ سَمَّاهُمْ فَذَكَرَ: ثَبْرٌ، وَالْأَعْوَرُ، وَمِسْوَطٌ، وَدَاسِمٌ، وَزَلْتَبُورٌ.

فَأَمَّا ثَبْرٌ فَهُوَ صَاحِبُ الْمُصِيبَاتِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالتَّبُورِ، وَشَقَّ الْجُيُوبِ، وَلَطَمَ الْخُدُودَ، وَدَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ.

وَأَمَّا الْأَعْوَرُ فَهُوَ صَاحِبُ الزُّنَا الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَيزنيه.

وَأَمَّا مِسْوَطٌ هُوَ صَاحِبُ الْكَذِبِ الَّذِي يَسْمَعُ فَيُلْقِي الرَّجُلَ فَيُخْبِرُهُ بِالْخَبَرِ، فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ لَهُمْ: قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا أَعْرَفُ وَجْهَهُ، وَمَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ حَدَّثَنِي بِكَذَا وَكَذَا.

وَأَمَّا دَاسِمٌ فَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ يُرِيهِ الْعَيْبَ فِيهِمْ وَيُعْضِبُهُ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا زَلْتَبُورٌ فَهُوَ صَاحِبُ السُّوقِ، الَّذِي يَرْكُزُ رَأْيَتَهُ فِي السُّوقِ. ٣٥٣

وَعَنْ بَكَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مَثْبُغَةَ يَقُولُ: " كَانَ رَجُلٌ عَابِدٌ مِنَ السُّبْحِ أَرَادَهُ الشَّيْطَانُ مِنْ قَبْلِ الشَّهْوَةِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالْعُصْبِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ لَهُ شَيْئًا، فَمَثَّلَ لَهُ بِحَيَّةٍ وَهُوَ يُصَلِّي فَالتَوَى بِقَدَمِهِ وَجَسَدِهِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَمْ يَسْتَأْخِرْ مِنْهَا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ التَوَى فِي مَوْضِعِ سَجْدَتِهِ، فَلَمَّا وَضَعَ رَأْسَهُ لِيَسْجُدَ

٣٥٠ - تهذيب الآثار مسند عمر (٢/ ٦٤٥) (٩٥٣) ومكائد الشيطان (ص: ٦٣) (٤٣) والمعجم الكبير للطبراني (٨/

٢٠٧) (٧٨٣٧) ضعيف ويشهد له ما قبله

٣٥١ - المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٢٠٦) (٦٨٥٥) ومسند البزار = البحر الزخار (١٠/ ٤٣١) (٤٥٨٣) صحيح

٣٥٢ - شعب الإيمان (٦/ ٤٦٠) (٤٤٧٨) ضعيف

٣٥٣ - مكائد الشيطان (ص: ٥٤) (٣٥) حسن مقطوع

فَنَحَّاهُ لِيَلْتَقِمَ رَأْسَهُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَجَعَلَ يَعْرُكُهُ حَتَّى اسْتَمَكَنَ مِنَ الْأَرْضِ لِسَجْدَتِهِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: إِنِّي أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي كُنْتَ أَخَوْفُكَ، فَأَتَيْتُكَ مِنْ قَبْلِ الشَّهْوَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالْعُزْبِ، وَأَنَا الَّذِي كُنْتُ أَتَمَثَّلُ لَكَ بِالسَّبَّاحِ وَالْحَيَّةِ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ لَكَ شَيْئًا، وَقَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَصَادِفَكَ، وَلَا أَرَاكَ فِي صَلَاتِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَقَالَ لَهُ: لَأَ يَوْمَ خَوَّفْتَنِي بِحَمْدِ اللَّهِ خَفْتُكَ، وَلَا الْيَوْمَ فِي حَاجَةٍ مِنْ فَضْلِهِ. قَالَ: أَلَا تَسْأَلُنِي عَمَّا شِئْتَ أُخْبِرَكَ. قَالَ: مَا عَسَيْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ؟ قَالَ: أَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ مَالِكَ مَا فَعَلَ بَعْدَكَ؟ قَالَ: لَوْ أَرَدْتُ ذَلِكَ مَا فَارَقْتُهُ. قَالَ: أَفَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ أَهْلِكَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: أَنَا مِتُّ قَبْلَهُمْ. قَالَ: أَفَلَا تَسْأَلُنِي عَمَّا أَضِلُّ بِهِ بَنِي آدَمَ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبِرْنِي، مَا أَوْثَقُ مَا فِي نَفْسِكَ أَنْ تُضِلَّهُمْ بِهِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةٌ أَخْلَقَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِشَيْءٍ مِنْهَا غَلَبَنَاهُ: بِالشُّحِّ وَالْحِدَّةِ وَالسُّكْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ شَحِيحًا قَلَلْنَا مَالَهُ فِي عَيْنِهِ، وَرَغَبْنَاهُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، وَإِذَا صَارَ حَدِيدًا تَزَاوَرْنَاهُ كَمَا يَتَزَاوَرُ الصَّبِيَانُ الْكُرَّةَ، وَلَوْ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى بِدَعْوَتِهِ لَمْ نَبْئَسْ مِنْهُ، فَإِنَّ مَا يَبْنِي يَهْدِمُهُ لَنَا بِكَلِمَةٍ، وَإِذَا سَكَرَ اقْتَدْنَاهُ إِلَى كُلِّ شَهْوَةٍ كَمَا يُقْتَادُ مَنْ أَخَذَ الْعُزْرَ بِأُذُنِهَا حَيْثُ شَاءَ

٣٥٤١١

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ رَأَى فِيهَا شَيْخًا لَمْ يَعْرِفْهُ، قَالَ لَهُ نُوحٌ: مَا أَذْخَلَكَ؟ قَالَ: دَخَلْتُ لِأُصِيبَ قُلُوبَ أَصْحَابِكَ فَتَكُونَ قُلُوبُهُمْ مَعِي، وَأَبْدَانُهُمْ مَعَكَ.

قَالَ نُوحٌ: اخْرُجْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ.

فَقَالَ: خَمْسُ أَهْلِكَ بِهِنَ النَّاسِ، وَسَأُحَدِّثُكَ مِنْهُنَّ بِثَلَاثٍ، وَلَا أُحَدِّثُكَ بِاثْنَتَيْنِ، فَأُوحِي إِلَيْكَ نُوحٌ لَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى الثَّلَاثِ، مُرُّهُ يُحَدِّثُكَ بِاثْنَتَيْنِ، فَإِنَّ بِهِمَا أَهْلَكَ النَّاسَ فَقَالَ هُمَا: الْحَسَدُ، وَبِالْحَسَدِ لُعِنْتُ، وَجَعَلْتُ شَيْطَانًا رَجِيمًا، وَالْحِرْصُ أَبَاحَ لِآدَمَ الْجَنَّةَ كُلَّهَا فَأَصَبْتُ حَاجَتِي مِنْهُ بِالْحِرْصِ.

٣٥٤ - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٥١٨) (١٤٧٢) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء

قَالَ: وَلَقِيَ إِبْلِيسُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُوسَى أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَكَلَّمَكَ تَكْلِيمًا، وَأَنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَذْنَبْتُ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتُوبَ، فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُتُوبَ عَلَيَّ، فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ.

فَقِيلَ يَا مُوسَى قَدْ فَضَيْتُ حَاجَتَكَ، فَلَقِيَ مُوسَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: قَدْ أُمِرْتُ أَنْ تَسْجُدَ لِقَبْرِ آدَمَ وَيُتَابَ عَلَيْكَ، فَاسْتَكْبَرَ وَغَضِبَ، وَقَالَ: لَمْ أَسْجُدْ لَهُ حَيًّا، أَسْجُدُ لَهُ مَيِّتًا؟ ثُمَّ قَالَ إِبْلِيسُ: يَا مُوسَى إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حَقًّا بِمَا شَفَعْتَ لِي رَبِّكَ، فَادْكُرْنِي عِنْدَ ثَلَاثٍ وَلَا هَلَكَ إِلَّا فِيهِنَّ:

اذْكُرْنِي حِينَ تَعْضُبُ فَإِنَّ وَحْيِي فِي قَلْبِكَ، وَعَيْنِي فِي عَيْنِكَ، وَأَجْرِي مِنْكَ مَجْرَى الدَّمِّ. اذْكُرْنِي حِينَ تَلْقَى الرَّحْفَ فَإِنِّي آتِي ابْنَ آدَمَ، حِينَ يَلْقَى الرَّحْفَ فَادْكُرْهُ وَلَدَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَهُ حَتَّى يُؤَلِّيَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تُجَالِسَ امْرَأَةً لَيْسَتْ بِذَاتِ مَحْرَمٍ، فَإِنِّي رَسُولُهَا إِلَيْكَ وَرَسُولُكَ إِلَيْهَا.^{٣٥٥} وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: لَمَّا رَسَتْ السَّفِينَةُ سَفِينَةُ نُوحٍ إِذَا هُوَ بِإِبْلِيسَ عَلَى كَوْثَلِ السَّفِينَةِ، فَقَالَ لَهُ نُوحٌ: وَيْلَكَ قَدْ غَرِقَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِكَ وَقَدْ أَهْلَكْتَهُمْ؟ قَالَ إِبْلِيسُ، فَمَا أَصْنَعُ؟ قَالَ لَهُ: تَتُوبُ.

قَالَ: فَسَلْ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ تَوْبَتَهُ أَنْ يَسْجُدَ لِقَبْرِ آدَمَ.

فَقَالَ لَهُ نُوحٌ: قَدْ جُعِلَتْ لَكَ تَوْبَةٌ.

قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: أَنْ تَسْجُدَ لِقَبْرِ آدَمَ.

قَالَ: تَرَكْتُهُ حَيًّا وَأَسْجُدُ لَهُ مَيِّتًا!!^{٣٥٦}

فَلَا يَأْتِي الشَّيْطَانُ إِلَى الْإِنْسَانِ وَيَقُولُ لَهُ: اتْرُكْ هَذِهِ الْأُمُورَ الْخَيْرَةَ، وَافْعَلْ هَذِهِ الْأُمُورَ السَّيِّئَةَ؛ كَي تَشْقَى فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَنْ يَطِيعَهُ أَحَدٌ، وَلَكِنَّهُ يَسْلُكُ سَبِيلًا كَثِيرَةً، يَغُرَّرُ بِهَا بَعَادَ اللَّهِ.

^{٣٥٥} - مكائد الشيطان (ص: ٦٥) (٤٤) ضعيف

^{٣٥٦} - مكائد الشيطان (ص: ٦٦) (٤٥) صحيح مقطوع

١ - تزوين الباطل:

هذا هو السبيل الذي كان الشيطان، ولا يزال، يسلكه لإضلال العباد، فهو يظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ولا يزال بالإنسان يحسن له الباطل، ويكرهه بالحق، حتى يندفع إلى فعل المنكرات، ويعرض عن الحق، كما قال اللعين لرب العزة: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) } [الحجر: ٣٩، ٤٠].

يقول ابن القيم في هذا الصدد: "ومن مكايده أنه يسحر العقل دائما حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله. كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟ وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟ وكم بهرج من الزيوف على الناقدين، وكم روج من الزغل على العارفين؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم في سبل الضلال كل مسلك وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه على عرشه وتكلمه بكتبه في قالب التزييه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: { عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ } [المائدة: ١٠٥].

والإعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في قالب التقليد، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس.

فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل حين قتل أخاه، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم، وصاحب قوم صالح حين

أهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خسف بهم وأتبعوا بالرحم بالحجارة، وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الرابية، وصاحب عباد العجل حين جرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر، وصاحب كل هالك ومفتون. " ٣٥٧

وبهذا السبيل كاد إبليس اللعين آدم عليه السلام؛ إذ زين له الأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه، فما زال به يزعم له أن هذه هي شجرة الخلد، وأن الأكل منها يجعله خالداً في الجنة، أو ملكاً من الملائكة، حتى أطاعه، فخرج من الجنة.

وانظر إلى أولياء الشيطان اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل في إضلال العباد. فهذه الدعوات إلى الشيوعية والاشتراكية....، يزعمون أنها هي المذهب التي تخلص البشرية من الحيرة والقلق والضيق والجوع.... وهذه الدعوات التي تدعو إلى خروج المرأة كاسية عارية باسم الحرية، وتدعو إلى هذا التمثيل السخيف الذي تداس فيه الأعراض والأخلاق، وتنتهك فيه الحرمات باسم الفن.

وتلك الأفكار المسمومة التي تدعو إلى إيداع المال في البنوك بالربا؛ لتحقيق الأرباح باسم التنمية والربح الوفير.

وتلك الدعوات التي تزعم أن التمسك بالدين رجعية وجمود وتأخر، والتي تسم دعاة الإسلام بالجنون والعمالة لدول الشرق والغرب... إلخ.

كل ذلك امتداد لسبيل الشيطان الذي كاد به آدم منذ عهد بعيد، وهو تزيين الباطل وتحسينه، وتقبيح الحق وتكريه الناس به: { تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَليَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النحل: ٦٣].

يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ رُسُلًا يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ مُعْزِيًا وَمُسَلِّيًا: لَقَدْ كَذَبْتَ الْأُمَمُ رُسُلَهَا فَلَا يُحْمَدُ بِالرُّسُلِينَ قَبْلَكَ أَسْوَةٌ، فَلَا يُهْمَنُكَ تَكْذِيبُ قَوْمِكَ لَكَ. وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِالرُّسُلِ إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الَّذِي زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ

٣٥٧ - إغائة اللفهان من مصاديد الشيطان (١/ ١١٠)

وَضَلَالٍ، وَعِبَادَةٍ أُوثَانٍ وَأَصْنَامٍ وَفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجَازِي اللَّهُ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ جَزَاءً عَادِلًا عَلَى مَا كَذَبُوا وَكَفَرُوا، وَيُلْقُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَمْلِكُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ خَلَاصًا، وَلَا نَصْرًا فَيَذُوقُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.^{٣٥٨}

وهو - والله - سبيل خطر؛ لأن الإنسان إذا زين له الباطل فرآه اندفع بكل قواه؛ لتحقيق ما يراه حقاً، وإن كان فيه هلاكه: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥) { [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

وهؤلاء يندفعون لصدّ الناس عن دين الله ومحاربة أولياء الله، وهم يظنون أنفسهم على الحق والهدى، {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) { [الزحرف: ٣٦، ٣٧].

وَمَنْ يَتَعَاوَلْ وَيَتَعَامَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَعَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْهَمِكْ فِي الْمَعَاصِي، وَلَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.. فَإِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَكُونُونَ لَهُ قُرَنَاءَ، يُزَيِّنُونَ لَهُ ارْتِكَابَ الْمَعَاصِي، وَالِاشْتِغَالَ بِاللذَّاتِ، فَيَسْتَرْسِلُ فِيهَا فَيَحِقُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ.

وهؤلاء القرناء من شياطين الإنس والجن، الذين يُقَيِّضُهُمُ اللَّهُ لِكُلِّ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ، يُحَاوِلُونَ صَرْفَهُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُوسَّسُونَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى حَادَّةِ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّ غَيْرَهُ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيُكْرَهُونَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ فَيُطِيعُهُمْ.^{٣٥٩}

وهذا أسوأ ما يصنعه قرين بقرين. أن يصدّه عن السبيل الواحدة القاصدة ثم لا يدعه يفيق، أو يتبين الضلال فيثوب، إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم! حتى يصطدم بالمصير الأليم.

^{٣٥٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٩٦٤، بترقيم الشاملة آليا)

^{٣٥٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٢٤٠، بترقيم الشاملة آليا)

والتعبير بالفعل المضارع: «لَيَصُدُّوهُمْ».. «وَيَحْسُبُونَ».. يصور العملية قائمة مستمرة معروضة للأنظار يراها الآخرون، ولا يراها الضالون السائرون إلى الفخ وهم لا يشعرون.

ثم تفاجئهم النهاية وهم سادرون: «حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ. فَبِئْسَ الْقَرِينُ!» وهكذا تنتقل في ومضة من هذه الدنيا إلى الآخرة. ويطوى شريط الحياة السادرة، ويصل العمي (الذين يعيشون عن ذكر الرحمن) إلى نهاية المطاف فجأة على غير انتظار. هنا يفيقون كما يفيق المخمور، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال وينظر الواحد منهم إلى قرين السوء الذي زين له الضلال، وأوهمه أنه الهدى! وقاده في طريق الهلاك، وهو يلوح له بالسلامة! ينظر إليه في حنق يقول: «يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ!» يا ليته لم يكن بيننا لقاء. على هذا البعد السحيق! ويعقب القرآن على حكاية قول القرين الهالك للقرين بقوله: «فَبِئْسَ الْقَرِينُ!»^{٣٦٠}

وهذا هو السبب الذي من أجله آثر الكفار الدنيا، وأعرضوا عن الآخرة، كما قال تعالى: { وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) } [فصلت: ٢٥]. يَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ أَخْدَانًا وَأَقْرَانًا مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَلَمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ، وَأَوْحُوا إِلَيْهِمْ إِنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا حِسَابَ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا وَجَبَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا مِثْلَ أَفْعَالِهِمْ، فَكَانُوا جَمِيعًا فِي الْخَسَارِ وَالْدَّمَارِ، وَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.^{٣٦١}

فالقرناء هم الشياطين، زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروها، ودعوههم إلى التكذيب بالآخرة، وزينوا لهم ذلك حتى أنكروا البعث والحساب والجنة والنار.

^{٣٦٠} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٣٩٨٦)

^{٣٦١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤١٢٢، بترقيم الشاملة آليا)

تسمية الأمور المحرمة بأسماء محبة:

ومن تغيير الشيطان بالإنسان وتزيينه الباطل أن يسمي الأمور المحرمة، التي هي معصية لله، بأسماء محبة للنفوس خداعاً للإنسان وتزويراً للحقيقة، كما سمي الشجرة المحرمة بشجرة الخلد، كي يزين لآدم الأكل منها: { قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى } [طه: ١٢٠].

يقول ابن القيم: " ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر: أم الأفراح، وسموا أخاها بلقيمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية، وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان، وسموا أبلغ الكفر، وهو جحد صفات الرب، تزيهاً، وسموا مجالس الفسوق مجالس الطيبة.... " ٣٦٢. واليوم يسمون الربا الفائدة، والرقص والغناء والتمثيل وصناعة التماثيل فناً.

٢ - الإفراط والتفريط:

يقول ابن القيم في هذه المسألة: " وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيستامه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعدده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذراً وجداً وتشميراً ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسول له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعة، وإذا توضأ للصلاة فاغسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصود من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدلوه منه، وهذا بأن يجاوزه

٣٦٢ - إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/ ١١٢)

ويتعداه. وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط. والله المستعان. " ٣٦٣

٣ - تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويق والكسل؛

وله في ذلك أساليب وطرق، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ حَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ». ٣٦٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَرَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلَيْسَتْ تَنْتَنُ ثَلَاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ» ٣٦٥
وعن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: "ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ" ٣٦٦
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الَّذِي يَنَامُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ، قَالَ: "ذَاكَ الَّذِي بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ" ٣٦٧

٣٦٣ - الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٤)

٣٦٤ - صحيح البخاري (٢/ ٥٢) (١١٤٢) وصحيح مسلم (١/ ٥٣٨) ٢٠٧ - (٧٧٦)

[ش (يعقد) يربط فيثقل عليه النومه. (قافية) مؤخرة العنق أو القفا. (يضرب كل عقدة) يحكم عقدة ويؤكد. (فارقد) فتم ولا تعجل بالقيام. (طيب النفس) مرتاح النفس لما وفقه الله تعالى إليه من القيام. (حبث النفس) مكتئبا يلوم نفسه على تقصيره في ترك الخير والقيام في الليل]

٣٦٥ - صحيح البخاري (٤/ ١٢٦) (٣٢٩٥)

[ش (فليستنتش) من الاستنثار وهو إخراج ما في الأنف بنفس. (خيشومه) هو الأنف وقيل أقصى الأنف. والله تعالى - ورسوله - أعلم بحقيقة هذه البيوتة ونحن نؤمن بما قاله رسول الله ﷺ إيماننا جازما ونمثل ما أمرنا به مع تسليمنا أنه ﷺ قد خصه الله تعالى بعلوم وأسرار تقصر عن فهمها وإدراك كنهها عقول عامة البشر]

٣٦٦ - صحيح البخاري (٤/ ١٢٢) (٣٢٧٠)

٣٦٧ - شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٩٢) (٤٠٢٠) صحيح

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ذَكَرْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا، فَقُلْتُ: إِنْ فَلَانًا نَامَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحَ لَمْ يُصَلِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "ذَاكَ رَجُلٌ بَالُ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ، أَوْ فِي أُذُنَيْهِ" ٣٦٨

قال الطحاوي: "كَانَ النَّوْمُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي بَدَأْنَا بِذِكْرِهِ فِي هَذَا الْبَابِ نَوْمًا كَانَ مِنْ نَائِمِهِ تَضْيِيعُهُ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْعِشَاءِ، ثُمَّ خِلَافُهُ لِمَا كَرِهَهُ لَهُ نَبِيُّهُ ﷺ مِنَ النَّوْمِ قَبْلَهَا الَّذِي كَانَ سَبَبًا لِتَضْيِيعِهَا، وَلِتَرْكِ أَدَاءِ فَرَضِهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ أَدَاءَهُ فِيهِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مُخَالَفًا لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُطِيعًا لِلشَّيْطَانِ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْهُ، فَضَرَبَ عَلَى أُذُنَيْهِ بِذَلِكَ النَّوْمِ، وَهُوَ مَا أُلْقِيَ فِيهِمَا مِنْ ثِقَلِ النَّوْمِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي مِثْلَ ذَلِكَ ضَرْبًا عَلَى الْأُذُنِ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَهْلِ الْكَهْفِ: {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا} [الكهف: ١١]، وَأُضِيفَ ذَلِكَ الْفِعْلُ بِهِ إِلَى الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُ مِمَّا يَرْضَاهُ الشَّيْطَانُ مِنْهُ، وَذَكَرَ فِيهِ بَوْلُ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ، أَيْ: فَعَلَ بِهِ أَفْبَحَ مَا يُفْعَلُ بِالنَّوْمِ وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَوْلِ مِنْهُ فِي أُذُنِهِ، وَلَكِنْ عَلَى الْمَثَلِ وَالِاسْتِعَارَةِ فِي الْمَعْنَى كَمِثْلِ مَا قَالَ ﷺ مِمَّا قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَّا فِي كِتَابِنَا هَذَا مِنْ عَقْدِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَأْسٍ مَنْ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ ثَلَاثَ عُقَدٍ مِنَ الْعُقَدِ الَّتِي يَعْقِدُ بِهَا بَنُو آدَمَ، وَلَكِنْ مِثْلًا لَهَا وَاسْتِعَارَةً لِمَعْنَاهَا، لِأَنَّ الْعُقَدَ الَّتِي يَعْقِدُهَا بَنُو آدَمَ تَمْنَعُ مَنْ يَعْقِدُونَهَا بِهَا مِنَ التَّصَرُّفِ لِمَا يُحَاوِلُ التَّصَرُّفَ فِيهِ، فَكَانَ مِثْلُهُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِلنَّائِمِ الَّذِي لَا يَقُومُ مِنْ نَوْمِهِ إِلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ النَّوَامُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنَ الصَّلَاةِ لَهُ، فَهَذَا أَحْسَنُ مَا حَضَرْنَا مِمَّا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْحَدِيثُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَهُ رَسُولُهُ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ" ٣٦٩

وهذا الذي ذكرناه تكسيل وتبسيط من الشيطان بفعله، وقد يثبط الإنسان بالوسوسة، وسبيله في ذلك أن يحب للإنسان الكسل، ويسوف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل، يقول ابن الجوزي في هذا:

٣٦٨ - شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٩٢) (٤٠٢١) صحيح

٣٦٩ - شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٩٣)

كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل في النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهي... وتأمل التوبة ما قابل

وكم من عازم على الجدد سوفه وكم ساع إلى فضيلة ثبطه فلربما عزم الفقيه على إعادته درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد في الليل يصلي فقال له عليك وقت ولا يزال يحب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والإعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير في خير أو ميل أن شر طول الأمل فإن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالتزوع عن الشر والإقبال على الخير إلا أنا يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشي بالنهار سار سيرا فاترا ومن أمل أن يصبح عمل في الليل عملا ضعيفا ومن صور الموت عاجلا جد وَقَدْ قَالَ ﷺ: "صل صلاة مودع".^{٣٧٠}

وقال بعض السلف أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمل قوم في سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبا للرحيل وقال المفرط سأتأهب فرما أقمنا شهرا فضرب بون الرحيل في الحال فاغتنبط المحترز واغتنبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس في الدنيا مهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور المسوف يتجرع مريير الندم وقت الرحلة فإذا كان في الطبع حب التواني وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من أنتبه لنفسه علم أنه في صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افتر في الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا أنه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين. " ^{٣٧١}

^{٣٧٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٧/ ٧٦٤) (٢٣٤٩٨) ٢٣٨٩٤ صحيح

^{٣٧١} - تلبس إبليس (ص: ٣٥٦)

٤ - الوعد والتمنية:

وهو يعد الناس بالمواعيد الكاذبة، ويعلمهم بالأمانى المعسولة؛ كي يوقعهم في وهدة الضلال: { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأُمُرِّنَّهُمْ فَليَتَّكِنَنَّ آذَانَ الْعَنَامِ وَلَأُمُرِّنَّهُمْ فَليَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيَنَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) } [النساء: ١١٧ - ١٢١]

إن الكافرين يدعون من دُونِ الله أوثاناً صَوَّرُوها، وقالوا إِنَّها تُشبه الملائكة التي زعموا أَنَّها بناتُ الله، لذلك عبدوها، وسمَّوها بِأَسْمَاءِ الإناث (مثل اللات والعزى ومناة ..) والذي أمرهم بذلك هو الشَّيْطَانُ، وهو الذي حسنَ لهم ذلك، وزينه في أعينهم، فكانت طاعتهم له عبادةً. والشَّيْطَانُ الذي أضلَّ هؤلاء الكفار قد طرده الله من رحمته، وأخرجه من جوارحه (لعنه) .

وقال الشَّيْطَانُ لربه: إِنَّه سيفتنُ عبادَ الله، وسيُخذلُ منهم نصيباً مُعيناً يجعلهم من أنصاره وأتباعه. ويتابع الشَّيْطَانُ قوله لله: إِنَّه سيعملُ على إضلالِ عبادِ الله عن الحق، وعلى صرفهم عن الهدى، وإِنَّه سيزينُ لهم الاستعجالَ باللذاتِ الحاضرة، والتسويقَ بالتوبة والعملِ الصالح، وسيعدهم الأمانى، وإِنَّه سيأمرهم بتشقيقِ آذانِ البهائمِ السائمة، وجعلها سمةً وعلامةً للبحيرة والسائبة والوصيلة، وسيامرهم بتغييرِ خلقِ الله من الناحية المادية كخصني الدوابِّ والوشم، ومن الناحية المعنوية، ويكون ذلك بتغييرِ الفطرةِ الإنسانية عما فطرت عليه من الميلِ إلى النظرِ والاستدلالِ وطلبِ الحق، وتربيتها وتويدها على الأباطيل والردائل والمنكرات، فالله تعالى قد أحسنَ كلَّ شيء خلقه، وهؤلاء يفسدون ما خلق الله، ويطمسون عقولَ الناس. ومن يتخذ الشَّيْطَانُ ولياً له من دُونِ الله يخسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبرَ لها، ولا استدراكَ لفائتها .

يُخَوِّفُ الشَّيْطَانُ النَّاسَ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا هُمْ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُوسِسُ لَهُمْ بِأَنَّ أَمْوَالَهُمْ تَنْفَدُ أَوْ تَنْقُصُ، وَيُصْبِحُونَ فَقَرَاءً أَذِلَّةً، وَيَعِدُّهُمْ بِالْغِنَى وَالثَّرَةِ حِينَ يُعْرِيهُمْ

بَلَعِبِ الْقِمَارِ وَيُمْنِيهِمْ بِأَنَّهُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَى فِي ذَلِكَ فَوُعُودُهُ بَاطِلَةٌ. ٣٧٢

ويعد الكفرة في قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة، ثم يتخلى عنهم، ويولي هاربا: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) } وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) } [الأنفال: ٤٧، ٤٨]

وَعَلَيْكُمْ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَنْ تَمْتَنِلُوا لِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ تَعَالَى، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَالتَّزَامِ أَوْامِرِهِمَا، وَلَا تَكُونُوا كَأَعْدَائِكُمُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ بَطْرًا بِمَا أَوْثُوا مِنَ النِّعْمَةِ، وَمُرَآةً لِلنَّاسِ لِيُعْجَبُوا بِهِمْ، وَيُثْنُوا عَلَيْهِمْ بِالْغِنَى وَالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ.. وَهُمْ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِخُرُوجِهِمُ الصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْعَ النَّاسِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْحَدَّ مِنْ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَغُزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَسَوْفَ يُجَازِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَإِذْ كُرِّ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ إِذْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ لِكُفَّارٍ قُرَيْشٍ أَعْمَالَهُمْ بِوَسْوَستِهِ، وَإِذْ حَسَنَ فِي أَعْيُنِهِمْ مَا جَاؤُوا لَهُ، وَمَا هُمُوا بِهِ، وَأَطْمَعَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَنصُورُونَ، وَأَنَّهُمْ لَا غَالِبَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَطَمَأْنَهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْتُوا فِي دِيَارِهِمْ أَثْنَاءَ غَيْبَتِهِمْ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، لِأَنَّهُ جَارٌ لَهُمْ وَمُجِيرٌ، فَلَمَّا التَقَى الْمُسْلِمُونَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَرَأَى الشَّيْطَانُ مَلَائِكَةَ اللَّهِ يَحْمُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَّى هَارِبًا { نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ }، وَقَالَ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ: إِنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا يَرَوْنَ، إِنَّهُ يَرَى الْمَلَائِكَةَ يَنْصُرُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَسَطَوْتِهِ، مَا لَا يَعْلَمُهُ أَوْلِيَائُهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَخَافُ اللَّهَ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ تَعَالَى شَدِيدُ الْعِقَابِ. ٣٧٣

٣٧٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٦١٠، بترقيم الشاملة آليا)

٣٧٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٠٨، بترقيم الشاملة آليا)

وَعَنْ قَتَادَةَ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ فَقَالَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ، فَعَلِمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَدَانِ لَهُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَكَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، مَا بِهِ مَخَافَةُ اللَّهِ وَلَكِنْ عَلِمَ أَنَّ لَا قُوَّةَ لَهُ بِهِ، وَلَا مَنَعَةَ لَهُ وَتِلْكَ عَادَةُ عَدُوِّ اللَّهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَانْقَادَ لَهُ حَتَّى إِذَا التَقَى الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ أَسْلَمَهُمْ شَرُّ مُسْلِمٍ وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ. ^{٣٧٤}

ويعد الأغنياء الكفرة بالثروة والمال في الآخرة بعد الدنيا، فيقول قائلهم: { وَلَكِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا } [الكهف: ٣٦]

فقد قاده غروره إلى الكفر بالله، وبِالْآخِرَةِ وَبِالْمَعَادِ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَظُنُّ أَنَّ يَكُونُ هُنَاكَ حَشَرٌ، وَلَا مَعَادٌ، وَلَا حِسَابٌ. وَأَرَدَفَ قَائِلًا: إِنَّهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ سَاعَةٌ وَحَشَرٌ وَمَعَادٌ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِدُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا مِنْ هَذَا الْبُسْتَانِ، لِأَنَّهُ لَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَى اللَّهِ لَمَا أَعْطَاهُ هَذَا الرِّزْقَ الْوَفِيرَ فِي الدُّنْيَا. ^{٣٧٥}

ولكن خاب ظنه، فقد دمر الله كل ما بناه، قال تعالى: { وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقُودُ كَفِيهِ عَلَى مَا أَتَّفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) } [الكهف: ٤٢ - ٤٤]

ويشغل الإنسان بالأمان المعسولة، التي لا وجود لها في واقع الحياة، فيصده عن العمل الجاد المشمر، ويرضى بالتخيل والتمني، وهو لا يفعل شيئاً.

وَهَذِهِ هِيَ عَادَةُ الشَّيْطَانِ مَعَ الْإِنْسَانِ كَمَا بَيَّنَّاهُ تَعَالَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ الْآيَةُ [٥٩ \ ١٦] وَقَوْلِهِ: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ

^{٣٧٤} - تفسير ابن أبي حاتم - محققا (٥/ ١٧١٦) (٩١٦٤) وتفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١/ ٢٢٣)

صحيح مرسل

وانظر تعليقا قيما على الآيات في التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٦٣٠) فما بعدها وفي ظلال القرآن للسيد قطب -

ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٢٠٦٥)

^{٣٧٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢١٧٧)، بترقيم الشاملة آليا

[١٤ \ ٢٢]، إِلَى قَوْلِهِ: إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ. وَكَقَوْلِهِ: يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [٤ \ ١٢٠]، وَقَدْ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [البسيط]

سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ لِحِينِهِمْ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْأَمْرِ مَا سَارُوا
دَلَاهُمْ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ إِنَّ الْخَبِيثَ لَمَنْ وَلَّاهُ غَرَارًا^{٣٧٦}

٥ - إظهار النصح للإنسان:

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية، يزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له: { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } [الأعراف: ٢١].
وَحَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُ نَاصِحٌ لَهُمَا فِيمَا رَغَبَهُمَا فِيهِ مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ الْمُعَلَّظَةِ، إِذْ كَانَ عِنْدَهُمَا مَحَلُّ الشَّكِّ وَالظُّنَّةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمَا.^{٣٧٧}

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كَانَ رَاهِبٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ وَامْرَأَةٌ زَيْنَتْ لَهُ نَفْسَهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: اقْتُلْهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ افْتَضَحَتْ فَفَقَتَلَهَا فَدَفَنَهَا، فَجَاءَهُ فَأَخَذُوهُ فَذَبُّوا بِهِ فَيَبْنِمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي زَيْنْتُ لَكَ فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً أَنْجِيكَ فَسَجَدَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦]^{٣٧٨}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦]، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَاهِبٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُحْسِنُ عِبَادَتَهُ، وَكَانَ يُؤْتَى مِنْ كُلِّ أَرْضٍ فَيُسْأَلُ عَنِ الْفِقْهِ، وَكَانَ عَالِمًا، وَإِنْ ثَلَاثَةٌ إِخْوَةٍ كَانَتْ لَهُمْ أُخْتُ حَسَنَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، وَإِنَّهُمْ

^{٣٧٦} - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١٠٣)

^{٣٧٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٧٦، بترقيم الشاملة آليا)

^{٣٧٨} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢/ ٥٢٦) (٣٨٠١) صحیح موقف ومثله لا يقال بالرأي

أَرَادُوا أَنْ يُسَافِرُوا، فَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُخْلِفُوهَا ضَائِعَةً، فَجَعَلُوا يَأْتِمِرُونَ مَا يَفْعَلُونَ بِهَا؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَذْلَكُمْ عَلَى مَنْ تَتْرَكُونَهَا عِنْدَهُ؟ قَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: رَاهِبٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنْ مَاتَتْ قَامَ عَلَيْهِا. وَإِنْ عَاشَتْ حَفِظَهَا حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَيْهِ؛ فَعَمِدُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ السَّفَرَ، وَلَا نَجِدُ أَحَدًا أَوْثَقَ فِي أَنْفُسِنَا، وَلَا أَحْفَظَ لِمَا وَلِيَ مِنْكَ لِمَا جُعِلَ عِنْدَكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ نَجْعَلَ أُخْتَنَا عِنْدَكَ فَإِنَّهَا ضَائِعَةٌ شَدِيدَةٌ الْوَجَعِ، فَإِنْ مَاتَتْ فَقِمَ عَلَيْهَا، وَإِنْ عَاشَتْ فَأَصْلَحَ إِلَيْهَا حَتَّى نَرْجِعَ، فَقَالَ: أَكْفَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ فَأَنْطَلَقُوا فَقَامَ عَلَيْهَا فِدَاوَاهَا حَتَّى بَرَّاتٍ، وَعَادَ إِلَيْهَا حُسْنَهَا، فَاطْلَعَ إِلَيْهَا فَوَجَدَهَا مُتَصَنِّعَةً، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ لَهُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، ثُمَّ نَذَمَهُ الشَّيْطَانُ فزَيَّنَ لَهُ قَتْلَهَا؛ قَالَ: إِنْ لَمْ تَقْتُلْهَا افْتَضِخْتُ وَعَرَفَ شَبْهَكَ فِي الْوَلَدِ، فَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَعْدِرَةٌ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَهَا، فَلَمَّا قَدِمَ إِخْوَتُهَا سَأَلُوهُ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَاتَتْ فَدَفَنْتُهَا، قَالُوا: قَدْ أَحْسَنْتَ، ثُمَّ جَعَلُوا يَرَوْنَ فِي الْمَنَامِ، وَيُخْبِرُونَ أَنَّ الرَّاهِبَ هُوَ قَتَلَهَا، وَأَنَّهَا تَحْتَ شَجَرَةٍ كَذَا وَكَذَا، فَعَمِدُوا إِلَى الشَّجَرَةِ فَوَجَدُوهَا تَحْتَهَا قَدْ قُتِلَتْ، فَعَمِدُوا إِلَيْهِ فَأَخَذُوهُ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: أَنَا زَيَّنْتُ لَكَ الزَّنَا وَقَتْلَهَا بَعْدَ الزَّنَا، فَهَلْ لَكَ أَنْ أُنْجِيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفْتُطِيعُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً وَاحِدَةً، فَسَجَدَ لَهُ ثُمَّ قُتِلَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }

[الحشر: ١٦] ٣٧٩

وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضي الله عنه أن عبداً كان في بني إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها قال فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل وكان ثقة في أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها في بيت حذاء صومعتي

قَالَ فَأَنْزَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ثُمَّ انْطَلَقُوا وَتَرَكُوهَا فَمَكَثَتْ فِي جِوَارِ ذَلِكَ الْعَابِدِ زَمَانًا
 يَنْزِلُ إِلَيْهَا بِالطَّعَامِ مِنْ صَوْمَعَتِهِ فَيَضَعُهُ عِنْدَ بَابِ الصَّوْمَعَةِ ثُمَّ يَغْلِفُ بَابَهُ وَيَصْعَدُ إِلَى
 صَوْمَعَتِهِ ثُمَّ يَأْمُرُهَا فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا فَتَأْخُذُ مَا وَضَعَ لَهَا مِنَ الطَّعَامِ قَالَ فَتَلَطَّفَ لَهُ
 الشَّيْطَانُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَغِّبُهُ فِي الْخَيْرِ وَيُعْظِمُ عَلَيْهِ خُرُوجَ الْحَارِيَةِ مِنْ بَيْتِهَا نَهَارًا وَيُخَوِّفُهُ
 أَنْ يَرَاهَا أَحَدٌ فَيُعَلِّقَهَا فَلَوْ مَشَيْتَ بِطَّعَامِهَا حَتَّى تَضَعَهُ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا كَانَ أَعْظَمَ
 لِأَجْرِكَ قَالَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَشَى إِلَيْهَا بِطَّعَامِهَا وَوَضَعَهُ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا وَلَمْ يُكَلِّمَهَا
 قَالَ فَلَبِثَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ زَمَانًا ثُمَّ جَاءَ إِبْلِيسُ فَرَغَّبَهُ فِي الْخَيْرِ وَالْأَجْرِ وَحَضَّهُ عَلَيْهِ
 وَقَالَ لَوْ كُنْتَ تَمْشِي إِلَيْهَا بِطَّعَامِهَا حَتَّى تَضَعَهُ فِي بَيْتِهَا كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ قَالَ فَلَمْ
 يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَشَى إِلَيْهَا بِالطَّعَامِ ثُمَّ وَضَعَهُ فِي بَيْتِهَا فَلَبِثَ عَلَى ذَلِكَ زَمَانًا ثُمَّ جَاءَهُ
 إِبْلِيسُ فَرَغَّبَهُ فِي الْخَيْرِ وَحَضَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَوْ كُنْتَ تُكَلِّمَهَا وَتُحَدِّثُهَا فَتَأْنَسُ بِحَدِيثِكَ
 فَإِنَّهَا قَدْ اسْتَوْحَشَتْ وَخَشَتْ شَدِيدَةً قَالَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى حَدَّثَهَا زَمَانًا يَطْلُعُ إِلَيْهَا مِنْ
 فَوْقِ صَوْمَعَتِهِ قَالَ ثُمَّ أَتَاهُ إِبْلِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَوْ كُنْتَ تَنْزِلُ إِلَيْهَا فَتَقْعُدُ عَلَى بَابِ
 صَوْمَعَتِكَ وَتُحَدِّثُهَا وَتَقْعُدُ هِيَ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا فَتُحَدِّثُكَ كَانَ أَنْسَ لَهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى
 أَنْزَلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى بَابِ صَوْمَعَتِهِ يُحَدِّثُهَا وَتُحَدِّثُهُ وَتَخْرُجُ الْحَارِيَةُ مِنْ بَيْتِهَا حَتَّى تَقْعُدَ
 عَلَى بَابِ بَيْتِهَا قَالَ فَلَبِثَا زَمَانًا يَتَحَدَّثَانِ ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَرَغَّبَهُ فِي الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ فِيمَا
 يَصْنَعُ بِهَا وَقَالَ لَوْ خَرَجْتَ مِنْ بَابِ صَوْمَعَتِكَ ثُمَّ جَلَسْتَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ بَيْتِهَا فَحَدَّثْتُهَا
 كَانَ أَنْسَ لَهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى فَعَلَ فَلَبِثَا زَمَانًا ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَرَغَّبَهُ فِي الْخَيْرِ
 وَفِيمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ فِيمَا يَصْنَعُ بِهَا وَقَالَ لَهُ لَوْ دَنَوْتَ
 مِنْهَا وَجَلَسْتَ عِنْدَ بَابِ بَيْتِهَا فَحَدَّثْتُهَا وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهَا فَفَعَلَ فَكَانَ يَنْزِلُ مِنْ
 صَوْمَعَتِهِ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا فَيُحَدِّثُهَا فَلَبِثَا عَلَى ذَلِكَ حِينًا ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَقَالَ لَوْ
 دَخَلْتَ الْبَيْتَ مَعَهَا فَحَدَّثْتُهَا وَلَمْ تَتْرُكْهَا تُبْرِزُ وَجْهَهَا لِأَحَدٍ كَانَ أَحْسَنَ بِكَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ
 حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهَا نَهَارَهَا كُلَّهُ فَإِذَا مَضَى النَّهَارُ صَعَدَ إِلَى صَوْمَعَتِهِ قَالَ ثُمَّ
 أَتَاهُ إِبْلِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمْ يَزَلْ يُزَيِّنُهَا لَهُ حَتَّى ضَرَبَ الْعَابِدُ عَلَى فَخْذِهَا وَقَبَّلَهَا فَلَمْ يَزَلْ
 بِهِ إِبْلِيسُ يُحَسِّنُهَا فِي عَيْنِهِ وَيُسَوِّلُ لَهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا فَأَحْبَلَهَا فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا فَجَاءَ

إِبْلِيسُ فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ أَخُوهُ الْجَارِيَةُ وَقَدْ وَلَدَتْ مِنْكَ كَيْفَ تَصْنَعُ لَا آمَنْ أَنْ تَفْتَضِحَ أَوْ يَفْضَحُوكَ فَأَعَمَدَ إِلَى ابْنِهَا فَادْبَحَهُ وَادْفَنَهُ فَإِنَّهَا سَكَتُكُمْ ذَلِكَ عَلَيْكَ مَخَافَةً إِخْوَتِهَا أَنْ يَطْلُعُوا عَلَى مَا صَنَعْتَ بِهَا فَفَعَلَ فَقَالَ لَهُ أَثَرَاهَا تَكُنُّمْ إِخْوَتِهَا مَا صَنَعْتَ بِهَا وَقَتَلْتَ ابْنَهَا قَالَ خُذْهَا وَادْبَحْهَا وَادْفِنْهَا مَعَ ابْنِهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى ذَبَحَهَا وَأَلْقَاهَا فِي الْحُفْرَةِ مَعَ ابْنِهَا وَأَطْبَقَ عَلَيْهِمَا صَخْرَةً عَظِيمَةً وَسَوَّى عَلَيْهِمَا وَصَعَدَ إِلَى صَوْمَعَتِهِ يَتَعَبَّدُ فِيهَا فَمَكَثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكَّثَ حَتَّى أَقْبَلَ إِخْوَتِهَا مِنَ الْعَزْوِ فَجَاءُوا فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَنَعَا لَهُمْ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا وَبَكَاهَا وَقَالَ كَأَنْتَ خَيْرُ امْرَأَةٍ وَهَذَا قَبْرُهَا فَانْظُرُوا إِلَيْهِ فَأَتَى إِخْوَتِهَا الْقَبْرَ فَبَكَوْا أُخْتَهُمْ وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهَا فَأَقَامُوا عَلَى قَبْرِهَا أَيَّامًا ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ وَأَخَذُوا مَضَاجِعَهُمْ جَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي النَّوْمِ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ مُسَافِرٍ فَبَدَأَ أَكْبَرَهُمْ فَسَأَلَهُ عَنْ أُخْتِهِمْ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ الْعَابِدِ وَمَوْتِهَا وَتَرَحُّمِهِ عَلَيْهَا وَكَيْفَ أَرَاهُمْ مَوْضِعَ قَبْرِهَا فَكَذَّبَهُ الشَّيْطَانُ وَقَالَ لَمْ يَصْدُقْكُمْ أَمْرُ أُخْتِكُمْ إِنَّهُ قَدْ أَحْبَلَ أُخْتَكُمْ وَوَلَدَتْ مِنْهُ غُلَامًا فَذَبَحَهُ وَذَبَحَهَا مَعَهُ فَرَعَا مِنْكُمْ وَأَلْقَاهَا فِي حُفْرَةٍ احْتَفَرَهَا خَلْفَ بَابِ الْبَيْتِ الَّذِي كَأَنْتَ فِيهِ عَنْ يَمِينٍ مَنْ دَخَلَهُ فَانْطَلِقُوا فَادْخُلُوا الْبَيْتَ الَّذِي كَأَنْتَ فِيهِ عَنْ يَمِينٍ مَنْ دَخَلَهُ فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَهُمَا كَمَا أَخْبَرْتُكُمْ هُنَاكَ جَمِيعًا وَأَتَى الْأَوْسَطَ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَى أَصْغَرَهُمْ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الْقَوْمُ أَصْبَحُوا مُعْجَبِينَ مِمَّا رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ عَجَبًا فَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا رَأَى فَقَالَ كَبِيرُهُمْ هَذَا حُلْمٌ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَاْمْضُوا بِنَا وَدَعُوا هَذَا عَنْكُمْ قَالَ أَصْغَرُهُمْ وَاللَّهِ لَا أَمْضِي حَتَّى آتِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ فَانْظُرْ فِيهِ قَالَ فَانْطَلِقُوا جَمِيعًا حَتَّى أَتُوا الْبَيْتَ الَّذِي كَأَنْتَ فِيهِ أُخْتَهُمْ فَفَتَحُوا الْبَابَ وَبَحَثُوا الْمَوْضِعَ الَّذِي وَصَفَ لَهُمْ فِي مَنَامِهِمْ فَوَجَدُوا أُخْتَهُمْ وَابْنَهَا مَدْبُوحَيْنِ فِي الْحُفْرَةِ كَمَا قِيلَ لَهُمْ فَسَأَلُوا عَنْهَا الْعَابِدَ فَصَدَّقَ قَوْلَ إِبْلِيسَ فِيمَا صَنَعَ بِهِمَا فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ مَلَكَهُمْ فَأُنْزِلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَقُدِّمَ لِيُصَلِّبَ فَلَمَّا أَوْثَقُوهُ عَلَى الْخَشَبَةِ أَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي فَتَنْتُكَ بِالْمَرْأَةِ حَتَّى أَحْبَلْتَهَا وَذَبَحْتَهَا وَابْنَهَا فَإِنْ أَنْتَ أَطَعْتَنِي الْيَوْمَ وَكَفَرْتَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَصَوَّرَكَ خَلَّصْتُكَ

مِمَّا أَنتَ فِيهِ قَالَ فَكَفَرَ الْعَابِدُ فَلَمَّا كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى خَلَّى الشَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فَصَلَبُوهُ قَالَ فِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦] ^{٣٨٠}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر: ١٦] قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ تَرْعَى الْعَنْمَ، وَكَانَ لَهَا أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ، وَكَانَتْ تَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ، قَالَ: فَنَزَلَ الرَّاهِبُ فَفَجَرَ بِهَا، فَحَمَلَتْ، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهُ: اقْتُلْهَا ثُمَّ ادْفَعْهَا، فَإِنَّكَ رَجُلٌ مُصَدِّقٌ يُسْمَعُ كَلَامُكَ، فَقَتَلَهَا ثُمَّ دَفَنَهَا؛ قَالَ: فَاتَى الشَّيْطَانُ إِخْوَتَهَا فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الرَّاهِبَ صَاحِبَ الصَّوْمَعَةِ فَجَرَ بِأَخْتِكُمْ؛ فَلَمَّا أَحْبَلَهَا قَتَلَهَا، ثُمَّ دَفَنَهَا فِي مَكَانٍ كَذًا وَكَذَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا وَمَا أَذْرِي أَقْصَاهَا عَلَيْكُمْ أَمْ أَتْرُكُ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ قُصَّصَهَا عَلَيْنَا؛ قَالَ: فَقَصَّصَهَا، فَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ؛ قَالُوا: فَمَا هَذَا إِلَّا لَشَيْءٍ، فَاذْطَلِقُوا فَاسْتَعْدُوا مَلَكَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الرَّاهِبِ، فَأَتَوْهُ فَأَنْزَلُوهُ، ثُمَّ انْطَلِقُوا بِهِ، فَلَقِيَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنِّي أَنَا الَّذِي أَوْفَعْتُكَ فِي هَذَا وَلَنْ يُنَجِّيكَ مِنْهُ غَيْرِي فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً وَاحِدَةً وَأَنَا أُنَجِّيكَ مِمَّا أَوْفَعْتُكَ فِيهِ؛ قَالَ: فَسَجَدَ لَهُ؛ فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ مَلَكَهُمْ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَأَخَذَ فَقَتَلَ " ^{٣٨١}

وهذه القصة يذكرها المفسرون عند قوله تعالى: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) [الحشر: ١٦]، ويذكرون أن المعني بالإنسان هذا العابد وأمثاله. والله أعلم.

٦ - التدرج في الإضلال:

ومن القصة السابقة نعلم أسلوباً من أساليب الشيطان في الإضلال، وهو أن يسير بالإنسان خطوة خطوة، لا يكل ولا يمل، كلما روضه على معصية ما، قاده إلى معصية أكبر منها، حتى يوصله إلى المعصية الكبرى، فيوبقه ويهلكه، وتلك سنة الله في عباده، أنهم

^{٣٨٠} - تلبس إبليس (ص: ٢٦) وذم الهوى (ص: ١٥٩) وهو من الإسرائيليات ولكنه يصلح للعبارة

^{٣٨١} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٥٤٢) فيه ضعف

إذا زاغوا سلط عليهم الشيطان، وأزاع قلوبهم: { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [الصف: ٥].

٧ - إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه :

ومن ذلك ما فعله بآدم، فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربه: { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى } [طه: ١١٥، ١١٦]، وقال صاحب موسى لموسى: { فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا } [الكهف: ٦٣].

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو واحد من أصحابه في المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله، ولكن الشيطان قد ينسى الإنسان أمر ربه، فيجالس هؤلاء المستهزئين: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [الأنعام: ٦٨].

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْلِسُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُحِبُّونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ، فَإِذَا سَمِعُوا اسْتَهْزَؤُوا فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ إِذَا اسْتَهْزَؤُوا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِمْ فَحَذَرُوا، وَقَالُوا لَا تَسْتَهْزِئُوا فَيَقُومُوا. وَالْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الرَّسُولُ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ، مِنَ الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ، وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُدَّ عَنْهُمْ بَوَاجِهِ، وَأَنْ لَا يَجْلِسَ مَعَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ آخَرَ غَيْرَ حَدِيثِ الْكُفْرِ وَالِاسْتَهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ أَوْ تَأْوِيلِهَا بِالْبَاطِلِ مِنْ حَانِبِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَإِذَا أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، هَذَا النَّهْيُ، وَقَعَدْتَ مَعَهُمْ، وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، ثُمَّ ذَكَرْتَ فَقُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَقْعُدْ مَعَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لِأَنفُسِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَالِاسْتَهْزَاءِ بِهَا. ^{٣٨٢}

وطلب نبي الله يوسف إلى السجين الذي ظنَّ بأنه سينجو من القتل، ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه، فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبي الله يوسف، فمكث يوسف في السجن بضع سنين: { وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا }

^{٣٨٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٨٥٨، بترقيم الشاملة آليا)

اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ {
[يوسف: ٤٢].

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكناً كلياً، فإنه ينسيه الله بالكلية: {يَوْمَ يَنْعُثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) } [المجادلة: ١٨ - ٢٠].

وَإِذْ ذُكِّرَ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ حَالُهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَمَا يَنْعُثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً مِنْ قُبُورِهِمْ، فَلَا يُعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَيَحْلِفُونَ لَهُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ شَيْئًا، فَيَقُولُونَ { وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ حَلْفَهُمْ أَمَامَ اللَّهِ نَافِعُهُمْ عِنْدَهُ، كَمَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ الْعِبَادِ حَلْفُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مُنْكَرًا تَصْرِفُهُمْ هَذَا، فَيَقُولُ: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ فِيمَا يَحْلِفُونَ عَلَيْهِ، وَفِيمَا يَظُنُّونَهُ مِنْ أَنَّ أَيْمَانَهُمُ الْكَاذِبَةُ تَرْجِعُ عِنْدَ اللَّهِ، وَتُنْقِذُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ.

استولى الشيطان على قلوبهم، وسيطر عليها بوسوسته، حتى أنسأهم أن يذكروا اسم الله، وأن يتبعوا أوامره، وأن يجتنبوا نواهيه، بما زين لهم الشيطان من الشهوات، فهؤلاء هم جنود الشيطان وحزبه وحزب الشيطان هم الخاسرون لأنهم فوئثوا على أنفسهم التَّعِيمَ، وأوصلوها إلى الجحيم وعذابه.^{٣٨٣}

وسبيل التذكر هو ذكر الله؛ لأنه يطرد الشيطان: {وَإِذْ ذُكِّرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ {
[الكهف: ٢٤].

٨ - تخويف المؤمنين أوليائه:

ومن وسائله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم، ولا يأمرهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا سبحانه

^{٣٨٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٠٠٠، بترقيم الشاملة آليا)

عن هذا فقال: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥].

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي يُخَوِّفُكُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَيُوهِمُكُمْ أَنَّهُمْ ذُوو بَأْسٍ وَقُوَّةٍ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَكُمْ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَلَا تَخَافُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، وَالْحِجْوُ إِلَى اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا، فَإِنَّهُ كَافِيكُمْ إِيَّاهُمْ، وَنَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ. وَخَافُوهُ هُوَ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى النَّصْرِ وَعَلَى الْخُذْلَانِ، وَعَلَى الضَّرِّ وَالنَّفْعِ. ٣٨٤

فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم.

٩ - دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه:

يقول ابن القيم في هذا الموضوع: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، حتى يصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علّم إخوانه وأوليائه من الإنس، إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره، فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مسدود" ٣٨٥ .

ومن مكاييد عدو الله أنه يسحر العقل دائماً حتى يتغلب عليه ولا يسلم من سحره هذا إلا من شاء الله، فتراه يزين ويحسن له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وتراه يقبح له الفعل الذي ينفعه حتى يخيل إليه أنه يضره. فكم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حيل به بين القلب وبين الإسلام، وكم أظهر الباطل في صورة حسنة، وأخرج الحق في صورة قبيحة، فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أصحابها في البدع والخرافات، بل زين لهم عبادة الأصنام والقبور وقطع الأرحام ووعدهم الفوز

٣٨٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٦٨، بترقيم الشاملة آليا)

٣٨٥ - إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان (١/ ١١٢)

بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، فهو صاحب قابيل حين قتل أخاه، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم. وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة، وصاحب قوم لوط حين خسف بهم، وأتبعوا بالرجم بالحجارة، وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا فأغرقوا، وصاحب بني إسرائيل عبّاد العجل حين جرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش حين أخرجهم الله يوم بدر، وهكذا لا يزال عدوا الله يصاحب كل هالك ومفتون إلى قيام الساعة.^{٣٨٦}

ومن هاهنا دخل الشيطان على آدم وحواء كما قال تعالى: { وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } [الأعراف: ٢٠]. يقول ابن القيم: " فشام عدو الله الأبوين، فأحس منهما يناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين، وقال: { وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } [الأعراف: ٢٠]. " ^{٣٨٧}

١٠ - إلقاء الشبهات:

ومن أساليبه في إضلال العباد زعزعة العقيدة بما يلقيه من شكوك وشبهات، وقد حذرنا الرسول ﷺ من بعض هذه الشبهات التي يلقيها، ففي حديث البخاري ومسلم عن ابن شهاب، قال: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهَ " ^{٣٨٨}

^{٣٨٦} - موسوعة خطب المنبر (ص: ٩٦٦)

^{٣٨٧} - إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان (١/ ١١٢)

^{٣٨٨} - صحيح البخاري (٤/ ١٢٣) (٣٢٧٦) وصحيح مسلم (١/ ١٢٠) (٢١٤) - (١٣٤)

[بلغه] بلغ قوله من خلق ربك. (فليستعذ بالله) من وسوسته بأن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. (ولينته) عن الاسترسال معه في هذه الوسوسة]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟، فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ" ٣٨٩

ولم يسلم الصحابة - رضوان الله عليهم - من شبهاته وشكوكه، وجاء بعضهم إلى الرسول ﷺ يشكون ما يعانونه من شكوكه ووساوسه، ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» ٣٩٠

وصريح الإيمان دفعهم وسوسة الشيطان وكراهيتهم واستعظامهم لها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سِئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الْوَسْوَسةِ، قَالَ: «تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ» ٣٩١

وانظر إلى شدة ما كان يعانيه الصحابة من شكوكه، روى أبو داود في سننه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ، يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ، لَأَنْ يَكُونَ حُمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ» ٣٩٢

٣٨٩ - الإيمان لابن منده (١/ ٤٧٨) (٣٥٣) صحيح

٣٩٠ - صحيح مسلم (١/ ١١٩) ٢٠٩ - (١٣٢)

[ش (إنا نجد في أنفسنا ما يتعاطم أي يجد أحدنا التكلم به عظيما لاستحالة في حقه سبحانه وتعالى (ذاك صريح الإيمان) معناه سبب الوسوسة محض الإيمان أو الوسوسة علامة محض الإيمان]

٣٩١ - صحيح مسلم (١/ ١١٩) ٢١١ - (١٣٣)

أي: اسْتَغْطَأْتُمْ الْكَلَامَ بِهِ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ اسْتَغْطَاءَ هَذَا وَشِدَّةَ الْخَوْفِ مِنْهُ وَمِنْ التُّطَلُّقِ بِهِ فَضْلًا عَنْ اعْتِقَادِهِ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا، وَاتَّقَتْ عَنْهُ الرَّيْبَةَ وَالشُّكُوكَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُوسِسُ لِمَنْ أَيْسَ مِنْ إِغْوَائِهِ، فَيَنْكُدُ عَلَيْهِ بِالْوَسْوَسةِ لِعَجْزِهِ عَنْ إِغْوَائِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ شَاءَ، وَلَا يَقْتَصِرُ فِي حَقِّهِ عَلَى الْوَسْوَسةِ، بَلْ يَتَلَاغَبُ بِهِ كَيْفَ أَرَادَ، فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ: سَبَبُ الْوَسْوَسةِ مَحْضُ الْإِيمَانِ، أَوْ الْوَسْوَسةُ عَلَامَةُ مَحْضِ الْإِيمَانِ، وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ الْقَاضِي عِيَّاضٍ. شرح النووي على مسلم - (ج ١ / ص ٢٥١)

٣٩٢ - سنن أبي داود (٤/ ٣٣٠) (٥١١٢) صحيح

ربما كان ذلك شكاً في وجود الله، وربما كان تساؤلاً عن بدء الخلق، وأين كان الله قبل بدء الخلق، وربما كان شكاً في صدق نبوة النبي، أو في صدق بعض الأخبار التي يُخبر بها مما سيحدث في الدنيا والآخرة، وربما كان التساؤل في القدر: لماذا خلق الله بعض الناس وكتب عليهم الخلود في النار وهم في بطون أمهاتهم، ولماذا كتب الله الخطيئة على الإنسان، وإلى ذلك مما لا يستطيع إنسان مؤمن النطق به أو ينجو من التفكير فيه.

وربما كان ذلك شكاً في وجود الله، قال أبو زميل: سألت ابن عباسٍ فقلت: ما شيءٌ أجدُهُ في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: واللَّهِ ما أتكلَّمُ به، قال: فقال لي: «أشْيءٌ مِنْ شَكٍّ؟» قال: وضحك، قال: «ما نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ»، قال: حتَّى أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [يونس: ٩٤]، قال: فقال لي: «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئاً فَقُلْ» { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الحديد: ٣].^{٣٩٤}

وربما كان تساؤلاً عن بدء الخلق، وأين كان الله قبل بدء الخلق، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟

^{٣٩٣} - فَإِنَّهُ كَانَ فِي نَفْسِكَ شَكٌّ، مِمَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الشَّوَاهِدِ، مِنْ قِصَّةِ هُودٍ وَنُوحٍ وَمُوسَى وَغَيْرِهِمْ فَرَضاً وَتَقْدِيرًا، فَاسْأَلْ مَنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِالْكِتَابِ الَّتِي جَاءَتْ قَبْلَكَ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْكِتَابِ مِنَ الْبَشَارَةِ بِبِعْثِكَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَحِينَئِذٍ تَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ.

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ الْوَاضِحُ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَعْلَمُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ، وَيَجِدُونَ نَعْتَكَ وَصِفَتَكَ فِي كُتُبِهِمْ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ، فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٤٥٩)، بترقيم الشاملة آليا

وفي معالِم التنزيل: قوله تعالى { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ } يعني القرآن، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك، فيخبرونك أنك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ، والمراد به غيره على عادة العرب، فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره، كقوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ } وأراد به المؤمنين، وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك، فهذا الخطاب مع أهل الشك، ومعناه إن كنت يا أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد، فاسأل الذين إلخ.

" وما شك رسول الله - ﷺ - ولا امتري. ولقد ورد أنه - ﷺ - عند ما نزل الله عليه: «إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ».. عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ قَالَ: بَلَعْنَا أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: "لَا أَشْكُ، وَلَا أَسْأَلُ" (مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (٩٩٢٢) صحيح مرسل)

ولكن هذا التوجيه وأمثاله وهذا التثبيت على الحق ونظائره تدل على ضخامة ما كان يلقاه - ﷺ - والجماعة المسلمة معه من الكيد والعنت والتكذيب والجحود ورحمة الله - سبحانه - به وهم بهذا التوجيه والتثبيت.. "في ظلال القرآن

للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١٦٢٦)

^{٣٩٤} - سنن أبي داود (٣٢٩/٤) (٥١١٠) حسن

فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرُسُلِهِ ^{٣٩٥}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ ^{٣٩٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَ حَتَّى يُقَالَ لِأَحَدِكُمْ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟" قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَإِنِّي لَجَالِسٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَوَضَعْتُ أُصْبُعِي فِي أُذُنِي، وَصَرَخْتُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ: {لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] ^{٣٩٧}

وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ الْعَبْدَ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلِيْنَتَهُ ^{٣٩٨}

^{٣٩٥} - الدعاء للطيراني (ص: ٣٧٩) (١٢٦٨) (والإيمان لابن منده (١/ ٤٧٨) (٣٥٣) صحيح

^{٣٩٦} - الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٢٨) (٢٧) صحيح

^{٣٩٧} - الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٢٦) (٢٥) حسن

^{٣٩٨} - صحيح البخاري (٤/ ١٢٣) (٣٢٧٦) وصحيح مسلم (١/ ١٢٠) (٢١٤) - (١٣٤) و الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٢٧) (٢٦)

[ش (فليستعذ بالله ولينته) معناه إذا عرض له الوسواس فيلجأ إلى الله تعالى في دفع شره وليعرض عن الفكر في ذلك وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان وهو إنما يسعى بالفساد والإغراء فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها والله أعلم]

أَيُّ: وَلِيْنَتُهُ عَنْ الْإِسْتِرْسَالِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، بَلْ يَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ فِي دَفْعِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ إِفْسَادَ دِينِهِ وَعَقْلِهِ بِهَذِهِ الْوَسْوَسَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي دَفْعِهَا بِالِاسْتِغْثَالِ بِغَيْرِهَا، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَجَهَ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَسَّوَسَ بِذَلِكَ فَاسْتَعَاذَ الشَّخْصَ بِاللَّهِ مِنْهُ وَكَفَّ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ فِي ذَلِكَ ائْتَدَعَ، قَالَ: وَهَذَا بِخِلَافِ مَا لَوْ تَعَرَّضَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ قَطْعَهُ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، قَالَ: وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَدَمِيَّ يَقَعُ مِنْهُ الْكَلَامُ بِالسُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَالْحَالُ مَعَهُ مُحْصُورٌ، فَإِذَا رَاعَى الطَّرِيقَةَ وَأَصَابَ الْحُجَّةَ انْقَطَعَ، وَأَمَّا الشَّيْطَانُ فَلَيْسَ لَوْسُوسَتِهِ انْتِهَاءٌ، بَلْ كُلَّمَا أُلْزِمَ حُجَّةً زَاغَ إِلَى غَيْرِهَا إِلَى أَنْ يُفْضِيَ بِالْمَرَّةِ إِلَى الْحِيرَةِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: عَلَى أَنْ قَوْلَهُ (مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ) كَلَامٌ مُتَهافتٌ يَنْقُضُ آخِرُهُ أَوَّلَهُ، لِأَنَّ الْخَالِقَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا، ثُمَّ لَوْ كَانَ السُّؤَالُ مُتَّجِهًا لَاسْتَلْزَمَ التَّسْلُسُ وَهُوَ

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ، فَلْيَقْرَأْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ" ٣٩٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَسْأَلُوا نَبِيَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هَذَا اللَّهُ خَالِقُ الْخَلْقِ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُلْ: {اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا} [الإخلاص: ٢] أَحَدٌ، ثُمَّ لِيَتَفَلَّ عَنْ يَسَارِهِ، وَلِيَسْتَعِذَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ" ٤٠٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكَمُ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟" قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ، فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّلَاثُ، أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي

وَفِي رَوَايَةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟" قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا اللَّهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصِيَّ بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قَوْمُوا قَوْمُوا صَدَقَ خَلِيلِي" ٤٠١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟" قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَجَالِسٌ يَوْمًا إِذْ قَالَ

مُحَال، وَقَدْ أَتَيْتَ الْعَقْلَ أَنَّ الْمُحَدَّثَاتِ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى مُحَدِّثٍ، فَلَوْ كَانَ هُوَ مُفْتَقِرًا إِلَى مُحَدِّثٍ لَكَانَ مِنَ الْمُحَدَّثَاتِ، أَتَيْتُ، وَالَّذِي نَحَا إِلَيْهِ مِنَ التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ وَسُوسَةِ الشَّيْطَانِ وَمُخَاطَبَةِ الْبَشَرِ فِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّهُ تَبَتَّ فِي مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟" فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ "، فَسَوَى فِي الْكَفِّ عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ بَيْنَ كُلِّ سَائِلٍ عَنْ ذَلِكَ مِنْ بَشَرٍ وَغَيْرِهِ، وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: إِنَّمَا أَمَرَ بِالسَّعَادَةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ بِأَمْرِ آخَرَ وَلَمْ يَأْمُرْ بِالتَّأْمُلِ وَالِاحْتِجَاجِ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِاسْتِعْنَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ الْمَوْجِدِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا يَقْبَلُ الْمُنَاطَرَةَ، وَلِأَنَّ الْإِسْتِرْسَالَ فِي الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ لَا يَزِيدُ الْمَرْءَ إِلَّا حَيْرَةً، وَمَنْ هَذَا حَالُهُ فَلَا عِلَاجَ لَهُ إِلَّا الْمَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالِاعْتَصَامُ بِهِ. فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٦٠)

٣٩٩ - مسند أحمد ط الرسالة (٤٣/ ٢٧١) (٢٦٢٠٣) صحيح

٤٠٠ - السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٩٤) (٦٥٣) صحيح

٤٠١ - صحيح مسلم (١/ ١٢٠ و ١٢١) (٢١٥ - ١٣٥)

لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ: هَذَا اللَّهُ خَلَقْنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَجَعَلْتُ أُصْبِعِي فِي أُذُنِي، ثُمَّ صَحْتُ، فَقُلْتُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^{٤٠٢}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا مَا كَذَا، حَتَّى يَقُولُوا: اللَّهُ خَالِقُ النَّاسِ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَضِلُّونَ^{٤٠٣}.

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَعْزِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي قَالَ: «ذَاكَ الشَّيْطَانُ ادْنُ» فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمِي، قَالَ: فَضْرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي وَقَالَ: «اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ» فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَقُّ بِعَمَلِكَ» قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: «فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ»^{٤٠٤}

^{٤٠٢} - مسند أحمد ط الرسالة (١٥ / ١٠) (٩٠٢٧) صحيح لغيره

^{٤٠٣} - السنة لابن أبي عاصم ٢٨٧ (١ / ٢٩٣) (٦٤٧) صحيح

^{٤٠٤} - سنن ابن ماجه (٢ / ١١٧٤) (٣٥٤٨) صحيح

وقال الألباني رحمه الله في الصحيحة: "وفي الحديث دلالة صريحة على أن الشيطان قد يتلبس الإنسان ويدخل فيه ولو كان مؤمناً صالحاً، وفي ذلك أحاديث كثيرة، وقد كنت خرجت أحدها فيما تقدم برقم (٤٨٥) يعلى بن مرة، عن أبيه، قال: سافرت مع رسول الله ﷺ فرأيتُ منه شيئاً عجيباً، نزلنا منزلاً فقال: انطلق إلى هاتين الشجرتين فقل: إن رسول الله ﷺ يقول لكم أن تجتمعا فائطلقت فقلت لهما ذلك: فالتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرت كل واحدة إلى صاحبتيها فالتقيا جميعاً ففضي رسول الله ﷺ حاجته من ورأيهما ثم قال: انطلق فقل لهما لتعود كل واحدة إلى مكانها فأتيتهما فقلت ذلك لهما فعادت كل واحدة إلى مكانها. وأتته امرأة فقالت: إن ابني هذا به لَمَمٌ منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين، فقال رسول الله ﷺ: أذنيه فأدنته منه فتفل في فيه وقال: اخرج عدو الله أنا رسول الله ﷺ ثم قال لها رسول الله ﷺ: إذا رجعتا فأعلمينا ما صنع فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعها كبشان وأقط وسمن، فقال لي رسول الله ﷺ: خذ هذا الكبش فأتخذ منه ما أردت فقالت: والذي أكرمك ما رأيتنا به شيئاً منذ فارقتنا، ثم أتاه يعير فقام بين يديه فرأى عيني تدمعان فبعث إلى أصحابه فقال: ما يعيركم هذا يشكوكم؟ فقالوا: كنا نعمل عليه فلما كبر وذهب عمله تواعدنا عليه لننحره غداً، فقال رسول الله ﷺ: لا تنحروا واجعلوه في الإبل يكون معها. المستدرک علی الصحیحین - دار المعرفة بیروت (٢ / ٦١٧) (٤٢٣٢) .. وبالجمله فالحديث بهذه المتابعات جيد والله أعلم \ ولكنني من جانب آخر أنكر أشد الإنكار على الذين يستغلون هذه العقيدة، ويتخذون

ومن جملة ما يلقيه في النفوس مشككاً ما حدثنا الله عنه في قوله: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) } [الحج: ٥٢ - ٥٤].

لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ رَسُولًا نَبِيًّا إِلَى قَوْمٍ إِلَّا وَتَمَنَّى أَنْ يَتَّبِعَهُ قَوْمُهُ وَأَنْ يَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. وَلَكِنَّ مَا تَمَنَّى نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةُ السَّامِيَّةُ إِلَّا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي سَبِيلِهِ الْعَوَائِقَ وَأَثَارَ الشُّكُوكِ وَوَسْوسَ فِي صُدُورِ النَّاسِ، لَسْلَبَهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِمَا وَهَبَهُ مِنْ قُوَّةِ الْعَقْلِ، وَسَلَامَةِ الْفِكْرِ، فَتَارُوا فِي وَجْهِ النَّبِيِّ وَصَدَّوهُ عَنْ غَايَتِهِ. فَإِذَا ظَهَرُوا فِي

استحضار الجن ومخاطبتهم مهنة لمعالجة المجانين والمصابين بالصرع، ويتخذون في ذلك من الوسائل التي تزيد على مجرد تلاوة القرآن مما لم يتزل الله به سلطاناً، كالضرب الشديد الذي قد يترتب عليه أحياناً قتل المصاب، كما وقع هنا في عمَّان، وفي مصر، مما صار حديث الجرائد والمجالس، لقد كان الذين يتولون القراءة على المصروعين أفراداً قليلين صالحين فيما مضى، فصاروا اليوم بالملثات، وفيهم بعض النسوة المترجحات، فخرج الأمر عن كونه وسيلة شرعية لا يقوم بها إلا الأطباء عادة إلى أمور ووسائل أخرى لا يعرفها الشرع ولا الطب معاً، فهي عندي نوع من الدجل والوساوس يوحى بها الشيطان إلى عدوه الإنسان { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } [الأنعام: ١١٢]، وهو نوع من الاستعاذة بالجن التي كان عليها المشركون في الجاهلية المذكورة في قوله تعالى: { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا } [الجن: ٦]، فمن استعان بهم على فك سحر - زعموا - أو معرفة هوية الجن المتلبس بالإنسي أذكر هو أم أنثى؟، مسلم أم كافر؟، وصدقه المستعين به ثم صدق هذا الحاضرون عنده، فقد شملهم جميعاً وعيد قوله - ﷺ - فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُتْرِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ». السنن الكبرى للبيهقي - دائرة المعارف النظامية (١٣٥/٨) (١٦٩٣٨) صحيح وفي حديث آخر عن بعض أزواج النبي - ﷺ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». السنن الكبرى للبيهقي - دائرة المعارف النظامية (١٣٨/٨) (١٦٩٥٢) صحيح فينبغي الانتباه لهذا، فقد علمت أن كثيراً ممن ابتلوا بهذه المهنة هم من الغافلين عن هذه الحقيقة، فأَنصَحهم - إن استمروا في مهنتهم - أن لا يزيدوا في مخاطبتهم على قول النبي - ﷺ - : «اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ»، مذكراً لهم بقوله تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: ٦٣]، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله " سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٠٢) (٢٩١٨)

بادئ الأمر ظنوا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَلَكِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ سَتَكُونُ دَائِمًا هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ هِيَ السُّفْلَى دَائِمًا.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَشَكٌّ وَتَفَاقٌ، أَوْ انْحِرَافٌ (مِنَ الْمُنَافِقِينَ)، وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالْكَفَّارِ وَالْمُعَانِدِينَ فَيَجِدُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ مَادَّةً لِلْجَدَلِ وَاللَّحَاجِ وَالشَّقَاقِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ.

وَأَمَّا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ فَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى بَيَانِ اللَّهِ، وَحُكْمِهِ الْفَاصِلِ، لِأَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ بِالْعِلْمِ الَّذِي أُوتُوهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَيُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ وَيُصَدِّقُونَهُ، وَيَنْقَادُونَ إِلَيْهِ، وَتَخَضَعُ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَتَذِلُّ فَتُخْبِتُ، وَاللَّهُ يَهْدِي الَّذِينَ آمَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى اتِّبَاعِهِ، وَيُوقِفُهُمْ إِلَى مُخَالَفَةِ الْبَاطِلِ وَإِلَى اجْتِنَابِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُجَنِّبُهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ.^{٤٠٥}

والمراد بالتمني هنا حديث النفس، والمراد أن النبي ﷺ كان إذا حَدَّثَ نَفْسَهُ ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة، فيقول: لو سألت الله - عز وجل - أن يغنمك ليتسع المسلمون، أو يتمنى إيمان الناس جميعاً... فينسخ الله ما يلقيه الشيطان بوسواسه في أمانة النبي ﷺ، وذلك بتنبيهه إلى الحق، وتوجيهه إلى مراد الله...، وما قيل من أن مراد الآية أن الشيطان يدخل في القرآن ما ليس منه فكذب بيقين، ويرده أن الرسول ﷺ معصوم في التبليغ.

قال شقيق: "ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢].

وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فأقرأ: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦].

ومن قبل يميني يأتيني من قبل النساء، فأقرأ: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: ١٢٨].

^{٤٠٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٥٢٧، بترقيم الشاملة آليا)

ومن قبل شمالى فيأتيني من قبل الشهوات، فأقرأ: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبا: ٥٤].

قلت: السبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير، فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه، وتارة على شماله، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأى سبيل سلكها من هذه وجد الشيطان عليها رسدا له، فإن سلكها في طاعة وجده عليها يُثَبِّطُ عنها ويقطعه، أو يعوقه ويبطئه، وإن سلكها لمعصية وجده عليها حاملا له وخادما ومعينا ومُنِيّا، ولو اتفق له الهبوط إلى أسفل لآتاه من هناك.^{٤٠٦}

١١ - ١٤ - انغمروا بالميسر والأنصاب والأزلام:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) { [المائدة: ٩٠ - ٩١].

يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَعَاطِي الْخَمْرِ وَلَعِبِ الْقِمَارِ (الْمَيْسِرِ)، وَعَنْ ذَبْحِ الْقَرَايِنِ عِنْدَ الْأَنْصَابِ، (وَهِيَ حَجَارَةٌ كَانَتْ تُحِيطُ بِالْكَعْبَةِ)، كَمَا يَنْهَاهُمْ عَنِ الْاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ (وَالْأَزْلَامُ ثَلَاثَةُ قِدَاحٍ أَوْ سِهَامٍ يُجِيلُونَهَا ثُمَّ يُلْقَوْنَهَا، وَقَدْ كُتِبَ عَلَى أَحَدِهَا (افْعَلْ)، وَعَلَى الْآخَرِ (لَا تَفْعَلْ)، وَالثَّالِثُ غُفْلٌ مِنَ الْكِتَابَةِ. فَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ (افْعَلْ) فَعَلْ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ (لَا تَفْعَلْ) لَمْ يَفْعَلْ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الْغُفْلُ مِنَ الْكِتَابَةِ أَعَادَ الْاسْتِقْسَامَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ إِنَّ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ: الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ.. إِنَّمَا هِيَ شَرٌّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ (رِجْسٌ) فَاجْتَنِبُوا هَذَا الرَّجْسَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَتَفُوزُونَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ لَكُمْ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَلَعِبَ الْمَيْسِرِ، لِيُعَادِيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَبْغِضَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَيَتَشَتَّى أَمْرُكُمْ بَعْدَ أَنْ أَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَجَمَعَ بِأَخَوَةِ الْإِسْلَامِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَصْرِفَكُمْ بِالسُّكْرِ وَالِاسْتِغَالِ بِالْمَيْسِرِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي بِهِ

^{٤٠٦} - إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/ ١٠٤)

صَلَّاحُ أَمْرِكُمْ، فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَعَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ، تَزَكِيَةً لِنَفُوسِكُمْ، وَتَطْهِيراً لِقُلُوبِكُمْ.

وَالْخَمْرُ تُفْقِدُ الْإِنْسَانَ عَقْلَهُ الَّذِي يَمْنَعُهُ عَنْ إِثْبَانِ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَعَنْ تَوْجِيهِ الْأَقْوَالِ الشَّائِنَةِ إِلَى النَّاسِ، فَإِذَا شَرِبَهَا الْإِنْسَانُ أَقْدَمَ عَلَى مَا لَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ وَهُوَ صَاحِبُ مَتَمَالِكٍ قَوَاهُ فَيُسَيِّءُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ، وَيُؤْذِيهِمْ فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالْبَعْضَاءِ.

وَالْمَيْسِرُ يُثِيرُ الْبَعْضَاءَ وَالشَّحْنَاءَ بَيْنَ اللَّاعِبِينَ وَالْحَاضِرِينَ، وَكَثِيراً مَا يُفْرِطُ الْمُقَامِرُ فِي حُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، حَتَّى يُوشِكُ أَنْ يَمُوتَهُ كُلُّ وَاحِدٍ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ لِيُفَوِّتُوا عَلَى إِبْلِيسَ غَرَضَهُ.^{٤٠٧}

والخمر: كل ما يسكر، والميسر: القمار، والأنصاب: كل ما نصب كي يعبد من دون الله، من حجر، أو شجر، أو وثن، أو قبر، أو علم. والأزلام: القداح كانوا يستقسمون بها الأمور؛ أي: يطلبون بها علم ما قسم لهم.

وهذه قد تكون أقداحاً أو سهاماً أو حُصَيَّاتٍ أو غير ذلك، يكون مكتوباً على واحد منها أمري ربي، وعلى الآخر نهائي ربي، فإذا شاء أحدهم زواجاً أو سفراً أو نحو ذلك، أدخل يده في الشيء الذي فيه هذه القداح أو السهام، فإن خرج الذي فيه الأمر بالفعل فعل، وإن خرج الآخر ترك.

فالشيطان يحض الناس على هذه الأربع؛ لأنها ضلال في نفسها، وتؤدي إلى نتائج وخيمة، وآثار سيئة، فالخمر تفقد شاربها عقله، فإذا فقد عقله فعل الموبقات، وارتكب المحرمات، وترك الطاعات، وآذى عباد الله.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَقُولُ: "اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ فَعَلَقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ فَأَنْطَلِقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفَقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَاباً أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيئةٌ خَمْرٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ

^{٤٠٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٧٦٠، بترقيم الشاملة آليا)

الْخَمْرِ كَأْسًا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، فَقَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرَمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتْلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنَبُوا الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يُخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ^{٤٠٨} وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ أَبَاهُ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ، يَقُولُ: "اجْتَنَبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ، وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ وَالْإِيمَانُ أَبَدًا إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يُخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ^{٤٠٩}

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَنَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَلَسُوا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا أَعْظَمَ الْكِبَائِرِ فَلَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ فِيهَا عِلْمٌ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ فَأَرْسَلُونِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَعْظَمَ الْكِبَائِرِ شُرْبُ الْخَمْرِ فَأَتَيْتُهُمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ وَوَبَّوْا إِلَيْهِ جَمِيعًا حَتَّى أَتَوْهُ فِي دَارِهِ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذَ رَجُلًا فَخَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ أَوْ يَقْتُلَ نَفْسًا أَوْ يَزْنِيَ أَوْ يَأْكُلَ لَحْمَ الْخَنَزِيرِ أَوْ يَقْتُلُوهُ إِنْ أَبَى فَاخْتَارَ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ وَأَنَّهُ لَمَّا شَرَبَهَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْ شَيْءٍ أَرَادُوهُ مِنْهُ» وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا مُجِيبًا: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْرَبُهَا فَيَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَلَا يَمُوتُ وَفِي مَثَانَتِهِ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا حُرِّمَتْ عَلَيْهِ بِهَا الْجَنَّةُ، فَإِنْ مَاتَ فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً» ^{٤١٠}

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفْتُ أَمْ سَعْدُ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ

^{٤٠٨} - السنن الكبرى للنسائي (١٠١ / ٥) (٥١٥٦) صحيح

أغوته: الإغواء: الإضلال، والغنى ضد الرشاد. = وضيفة: امرأة وضيفة، أي: جميلة حسنة. = فلم يرم: لم يرم فلان عن موضعه، أي: لم يرح. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (١٠٤ / ٥)

^{٤٠٩} - السنن الكبرى للنسائي (١٠١ / ٥) (٥١٥٧) صحيح

^{٤١٠} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (١٦٣ / ٤) (٧٢٣٦) صحيح

ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي { وَفِيهَا } وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } [لقمان: ١٥] قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً، فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذَتْهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ، فَقُلْتُ: نَقَلَنِي هَذَا السَّيْفَ، فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ، فَقَالَ: «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ» فَأَنْطَلَقْتُ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبْضِ لِمَتْنِي نَفْسِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ، قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ» قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال: ١] قَالَ: وَمَرَضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمَ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ، قَالَ فَأَبَى، قُلْتُ: فَالْصَّفَ، قَالَ فَأَبَى، قُلْتُ: فَالثَّلْثَ، قَالَ فَسَكَتَ، فَكَانَ، بَعْدَ الثَّلْثِ جَائِزًا. قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمَكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ - وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ، وَزِقُّ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِي الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بَأَنفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: ٩٠] ٤١

٤١١ - صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٧) - ٤٣ - (١٧٤٨)

نَفْلِي: نَفْلَتُهُ كَذَا، أَي: أَعْطَيْتُهُ نَافِلَةً وَزِيَادَةً عَلَى سَهْمِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ. = الْقَبْضُ: بِسُكُونِ الْبَاءِ: مَصْدَرُ قَبَضْتُ الشَّيْءَ قَبْضًا: أَخَذْتَهُ إِلَيْكَ، فَصَارَ فِي قَبْضَتِكَ، أَي: فِي يَدِكَ وَتَحْتَ تَصْرُفِكَ، وَبِفَتْحِ الْبَاءِ: الشَّيْءُ الْمَقْبُوضُ، وَأَرَادَ بِهِ: مَا يَجْمَعُ مِنَ الْغَنَائِمِ وَيَجْرُزُ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ. = الْجَزُورُ: الْبَعِيرُ، ذَكَرَا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَأَصْلُهُ: الْبَعِيرُ يَنْحَرُ وَيَقْطَعُ لَحْمَهُ، إِلَّا أَنَّ اللَّفْظَةَ مَوْثَقَةٌ. = الْمَيْسِرُ: الْقِمَارُ. = الْأَنْصَابُ: الْأَصْنَامُ أَوْ الْحِجَارَةُ الَّتِي كَانُوا يَذْبَحُونَ عَلَيْهَا لِأَهْلَتِهِمْ. = وَالْأَزْلَامُ: الْقِدَاحُ، وَاحِدُهَا: زَلْمٌ، وَزَلْمٌ - بِفَتْحِ الزَّايِ وَضَمِّهَا - هِيَ سَهَامٌ بِلَا نَصُولٍ وَلَا رِيشٍ، كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا فِي الْقِمَارِ لِيَعْرِفُوا نَصِيبَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَكَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا أَيْضًا عِنْدَ الشَّرْعِ فِي الْأَمْرِ يَعْرِضُ لَهُمْ مِنْ سَفَرٍ أَوْ زَوَاجٍ أَوْ بَيْعٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، يَعْرِفُونَ بِهَا فِي زَعْمِهِمْ مَا هُوَ الْأَصْلَحُ لَهُمْ، فَإِنْ خَرَجَ لَهُمْ أَفْعَلُ فَعَلُوا، وَإِنْ خَرَجَ لَا تَفْعَلُ لَمْ يَفْعَلُوا. = رَجَسَ: الرَّجَسُ: النَّجَسُ. = شَجَرُوا فَاهَا: أَي: فَتَحُوهُ كَرَاهًا. = أَوْجَرْتُ: الدَّوَاءُ فِي فِيهِ: إِذَا أَلْقَيْتَهُ فِيهِ، فَشَبَّهِ إَلْقَاءَ الطَّعَامِ فِي فِيهَا كَرَاهًا بِإِلْقَاءِ الدَّوَاءِ عَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ. جَامِعُ الْأَصُولِ فِي أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ط مَكْتَبَةُ الْحُلُوفِ الْأُولَى (٩/

(١٣

وفي رواية عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: أَنْزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَزَادَ قَالَ فَكَأَنَّهُ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصَا، ثُمَّ أَوْجَرُوهَا، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا: فَضْرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ، فَفَزَرَهُ وَكَانَ أَنْفُ سَعْدٍ مَفْزُورًا.^{٤١٢}

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ، أَنَّهُ قَالَ: "صَنَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ طَعَامًا فَدَعَانَا، قَالَ: فَشَرَبْنَا الْخَمْرَ حَتَّى انْتَشَيْنَا، فَتَفَاخَرَتِ الْأَنْصَارُ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: نَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَحْيَ حَمَلٍ فَضْرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ فَفَزَرَهُ، فَكَانَ سَعْدٌ أَفْزَرَ الْأَنْفِ. قَالَ: فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ}

[المائدة: ٩٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ "^{٤١٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، صَنَعَ طَعَامًا وَشَرَابًا، فَدَعَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا حَتَّى ثَمَلُوا، فَقَدَّمُوا عَلَيَّ يُصَلِّي بِهِمُ الْمَغْرِبَ، فَقَرَأَ: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، أَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ، وَأَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَأَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣] ^{٤١٤}

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: "لَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ النَّاسُ، وَقَدْ كَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: ٢١٩]، فَقَالُوا: هَذَا شَيْءٌ قَدْ جَاءَ فِيهِ رُخْصَةٌ، نَأْكُلُ الْمَيْسِرَ وَنَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَنَسْتَغْفِرُ مِنْ ذَلِكَ. حَتَّى أَتَى رَجُلٌ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، أَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. فَجَعَلَ لَا يَجُودُ ذَلِكَ وَلَا يَدْرِي مَا

^{٤١٢} - صحيح مسلم (١٨٧٨ / ٤) ٤٤ - (١٧٤٨)

[ش (شجروها فاهها بعصا ثم أوجروها) أي فتحوه ثم صبوا فيه الطعام وإنما شجروه بالعصا لثلا تطبقه فيمتنع وصول الطعام جوفها وهكذا صوابه شجروا وهكذا في جميع النسخ قال القاضي ويروى شجروا ومعناه قريب من الأول أي أوسعوه وفتحوه والشحو التوسعة ودابة شحو واسعة الخطو ويقال أوجره ووجره لغتان الأولى أفصح وأشهر (ففزره) يعني شقه وكان أنفه مفزورا أي مشقوقا]

^{٤١٣} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٦٥٩ / ٨) صحيح

^{٤١٤} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤٦ / ٧) صحيح

يَقْرَأُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} [النساء: ٤٣]، فَكَانَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَيَدْعُونَ شُرَبَهَا، فَيَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا يَقُولُونَ. فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ} [المائدة: ٩٠] إِلَى قَوْلِهِ: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١]، فَقَالُوا: انْتَهَيْنَا يَا رَبُّ " ٤١٥

وقد رأينا الرجل الذي بلغ من الكبر عتياً عندما يشرب الخمر يتصرف تصرفات المجانين، ويضحك منه الكبار والصغار، ويفترش الطريق تدوسه الناس بأقدامها.

والميسر مرض خطير كالخمر، إذا تأصل في نفس الإنسان صعب الشفاء منه، وهو سبيل لضیاع الوقت والمال، والميسر ينشئ الأحقاد، ويدفع الحرام.

والشيطان يدعو إلى إقامة النصب كي تتخذ بعد ذلك آلهة تُعبد من دون الله، وقد انتشرت عبادة الأنصاب قديماً وحديثاً، والشياطين تلازم هذه الأصنام، وتخطب عبادها في بعض الأحيان، وترتهم بعض الأمور التي تجعل عابديها يثقون بها، فيقصدها وبالحاجات، ويدعوها في الكربات، ويستنصرون بها في الحروب، ويقدمون لها الذبائح والهدايا، ويرقصون حولها ويطربون، ويقيمون لها الأعياد والاحتفالات، وقد أضل بهذا الكثير، كما قال إبراهيم داعياً ربه: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ { [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

ولا تزال عبادة القبور منتشرة بين المسلمين، يقصدها بالدعاء والألطف والذبائح... وانتشرت بدعة جديدة اليوم - يضحك بها الشيطان على بني الإنسان - تلك هي نصب الجندي المجهول، يزعمون أنه رمز الجندي المقاتل، ويكرمونه بالهدايا والورود والتعظيم، وكلما زار البلاد التي فيها مثل هذه النصب زعيم، جاء هذا النصب وقدم له هدية، وكل هذا من عبادة الأنصاب، التي هي من عمل الشيطان. وشر من هذا النصب التي توضع للزعماء والملوك في كل مكان من أجل تعظيمها، وهي بلا ريب أشد تحريماً، وأكثر شركاً والعياذ بالله.

٤١٥ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٨/ ٦٥٨) فيه ضعف

الاستقسام بالأزلام:

الأمر المستقبلي من مكنون علم الله، ولذلك شرع لنا الرسول ﷺ الاستخارة، إذا أردنا سفرًا أو زواجًا أو غير ذلك، نرجو من الله أن يختار لنا خير الأمور. وأبطل الاستقسام بالأزلام، فإن السهام والقداح لا تعلم أين الخير ولا تدريه، فاستشارتها خلل في العقل، وقصور في العلم. ومثل ذلك زجر الطير: كان من يريد سفرًا، إذا خرج من بيته، ومَرَّ بطائر زجره، فإن تيامن، كان سفرًا ميمونًا، وإن مرَّ عن شماله، كان سفرًا مشؤومًا...، وكل ذلك من الضلال.

١٥ - السحر:

ومما يضل به الشيطان أبناء آدم السحر، فهم يعلمونهم هذا العلم، الذي يضر ولا ينفع، ويكون هذا العلم سبيلًا للتفريق بين المرء وزوجه، والتفريق بين الزوجين: يعلّمه الشيطان من أعظم الأعمال التي يقوم بها جنوده كما سبق أن ذكرنا. قال تعالى: {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٢].

وَلَقَدْ صَدَّقُوا مَا تَقُولُهُ الشَّيَاطِينُ وَالْفَجْرَةُ مِنْهُمْ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ، بَلْ كَانَ سَاحِرًا يَسْتَمِدُّ الْعَوْنَ مِنْ سِحْرِهِ، وَأَنَّ سِحْرَهُ هَذَا هُوَ الَّذِي وَطَّدَ لَهُ الْمُلْكُ، وَجَعَلَهُ يُسَيِّرُ عَلَى الْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَالرِّيَّاحِ، فَتَسْبُو بِذَلِكَ الْكُفْرَ لِسُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الْفَجْرَةَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إِذْ تَقَوَّلُوا عَلَيْهِ الْأَقَاوِيلَ، وَأَخَذُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَمِنْ آثَارِ مَا أُنْزِلَ بِبَابِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ. مَعَ أَنَّ هَذَيْنِ الْمَلَكَيْنِ مَا كَانَا يُعَلِّمَانِ

أَحَدًا حَتَّى يَقُولَا لَهُ: إِنَّمَا نَعْلَمُكَ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْكَفْرِ فَاعْرِفْهُ وَاحْذَرْهُ، وَتَوَقَّ الْعَمَلَ بِهِ. وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمْ يَأْخُذُوا بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ، فَاسْتَخْدَمُوا، مِمَّا تَعَلَّمُوهُ مِنْهُمَا، مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ. لَقَدْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الْفَجَرَةُ إِذْ تَقُولُوا هَذِهِ الْأَقَاوِيلُ، وَاتَّخَذُوا مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ وَأَسَاطِيرِهِمْ ذُرِيَةً لَتُعَلِّمَ الْيَهُودَ السِّحْرَ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِسِحْرِهِمْ هَذَا أَحَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَأْذَنُ بِالضَّرَرِ إِنْ شَاءَ، وَأَنْ مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمْ مِنْ سِحْرٍ لِيَضُرَّ مَنْ تَعَلَّمَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَعْلَمُونَ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّ مَنْ اتَّجَهَ هَذَا الْاِتِّجَاهَ لَنْ يَكُونَ لَهُ حَظٌّ أَوْ نَصِيبٌ فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَلَبِئْسَ مَا اخْتَارَهُ هَؤُلَاءِ لَأَنْفُسِهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.^{٤١٦}

هل للسحر حقيقة؟

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل: إنه تخيل لا حقيقة له: { فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى } [طه: ٦٦]، ومن قائل: إن له حقيقة كما دلت عليه آية البقرة، والصحيح أنه نوعان: نوع هو تخيل، يعتمد على الحيل العلمية وخفة الحركة، ونوع له حقيقة، يفرق به بين المرء وزوجه، ويؤذى به...

سحر اليهود للرسول ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ اللَّيْثُ: كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: "أَشْعَرْتُ أَنْ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِيمَا ذَا، قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَجَفٍّ طَلْعَةٍ ذَكَرَ، قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَيْرٍ ذَرَوَانَ " فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَقُلْتُ اسْتَخَرَجْتُهُ؟

^{٤١٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٠٩)، بترقيم الشاملة آليا

فَقَالَ: «لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا» ثُمَّ دُفِنَتِ الْبِئْرُ

٤١٧

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَحَرَهُ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشْعُرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ، أَتَانِي مَلَكٌ أَوْ فَفَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ الْآخَرُ: مَطْبُوبٌ، فَقَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طَلَعَ نَخْلَةً ذَكَرَ، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَيْتِ ذُرْوَانَ» قَالَتْ: وَأَتَاهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحَنَاءِ، وَكَأَنَّ رَأْسَ نَخْلِهَا رُغُوسُ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا اسْتَخَرَجْتَهَا؟ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ شَرًّا»^{٤١٨}

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثَانِ: أَنَّ يَهُودَ بَنِي زُرَيْقٍ، عَقَدُوا عَقْدَ سِحْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلُوهَا فِي بَيْتِ حَزْمٍ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْكِرُ بَصَرَهُ وَدَلَّهُ اللَّهُ عَلَى مَا صَنَعُوا، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ حَزْمِ النَّبِيِّ فِيهَا الْعَقْدَ فَانْتَرَعَهَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَحَرْتَنِي يَهُودُ بَنِي زُرَيْقٍ» وَأَنْكَرَ قَائِلُ

٤١٧ - صحيح البخاري (١٢٢ / ٤) (٣٢٦٨)

[ش (وعاء) حفظه. (أفتاني) أحرني. (أتاني) أي في المنام. (رجلان) أي ملكان في صورة رجلين. (مطبوب) مسحور. (مشاقة) ما يخرج من الكتان حين يمشق والمشق جذب الشيء ليمتد ويطول. وقيل المشاقة ما يغزل من الكتان. (جف الطلعة) وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف. (بئر ذروان) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود. (رؤوس الشياطين) أي شبيه لها لقبح منظره. (شرا) أي في إظهاره كتذكر السحر وتعلمه. (دفنت البئر) طمت بالتراب حتى استوت مع الأرض]

٤١٨ - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٤ / ٥٤٧) (٦٥٨٤) صحيح

قلت: والسحر الذي أصيب به - ﷺ - هو من قبيل الأمراض التي تعرض للبدن دون أن تؤثر على شيء من العقل، ولا يعدو أن يكون نوعاً من أنواع العقد عن النساء، وهو الذي يسمونه (رباطاً)، فكان - ﷺ - يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ من العام المخصوص، ففي رواية ابن عيينة عند البخاري (٥٧٦٥). "حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن". وانظر "الفتح" ١٠/٢٢٦-٢٢٧.

هَذِهِ الْمَقَالَةُ أَنْ يَكُونَ السَّاحِرُ يَقْدِرُ بِسِحْرِهِ عَلَى قَلْبِ شَيْءٍ عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَاسْتِسْخَارِ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا نَظِيرَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ سَائِرُ بَنِي آدَمَ، أَوْ إِنْشَاءِ شَيْءٍ مِنَ الْأَجْسَامِ سِوَى الْمَخَارِيقِ وَالْخِدَعِ الْمُتَخَيَّلَةِ لِلْأَبْصَارِ النَّاطِرِينَ بِخِلَافِ حَقَائِقِهَا الَّتِي وَصَفْنَا. وَقَالُوا: لَوْ كَانَ فِي وَسْعِ السَّحَرَةِ إِنْشَاءُ الْأَجْسَامِ وَقَلْبُ الْحَقَائِقِ الْأَعْيَانِ عَمَّا هِيَ بِهِ مِنَ الْهَيْئَاتِ، لَمْ يَكُنْ يَبْنِي الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَضْلًا، وَلَجَازَ أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ الْمَحْسُوسَاتِ مِمَّا سَحَرَتْهُ السَّحَرَةُ فَقَلَبَتْ أَعْيَانَهَا. قَالُوا: وَفِي وَصْفِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ يَقُولُهُ: {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٦]. وَفِي خَبَرٍ عَائِشَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَحَرَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ، أَوْ ضَحُّ الدَّلَالَةِ عَلَى بُطُولِ دَعْوَى الْمُدَّعِينَ: أَنَّ السَّاحِرَ يُنْشِئُ أَعْيَانَ الْأَشْيَاءِ بِسِحْرِهِ، وَيَسْتَسْخِرُ مَا يَتَعَدَّرُ اسْتِسْخَارُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ، كَالْمَوَاتِ وَالْجَمَادِ وَالْحَيَوَانِ، وَصِحَّةُ مَا قُلْنَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: قَدْ يَقْدِرُ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ أَنْ يُحَوِّلَ الْإِنْسَانَ حِمَارًا، وَأَنْ يَسَحَرَ الْإِنْسَانَ وَالْحِمَارَ وَيُنْشِئَ أَعْيَانًا وَأَجْسَامًا. وَاعْتَلُّوا فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: "قَدِمَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ دُومَةَ الْجَنْدَلِ، جَاءَتْ تَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ حَدَاثَةَ ذَلِكَ، تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ دَخَلَتْ فِيهِ مِنْ أَمْرِ السَّحَرِ وَلَمْ تَعْمَلْ بِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، فَرَأَيْتَهَا تَبْكِي حِينَ لَمْ تَجِدْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَشْفِيهَا، كَأَنَّهُ تَبْكِي حَتَّى إِنِّي لَأَرْحَمُهَا، وَتَقُولُ: إِنِّي لَأَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ، كَانَ لِي زَوْجٌ فَعَابَ عَنِّي، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزٌ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنْ فَعَلْتَ مَا أَمُرُكَ بِهِ فَأَجْعَلُهُ يَأْتِيكَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَنِي بِكَلْبَيْنِ أَسْوَدَيْنِ، فَرَكِبْتُ أَحَدَهُمَا وَرَكِبْتُ الْآخَرَ، فَلَمْ يَكُنْ كَشَيْءٍ حَتَّى وَقَفْنَا بِبَابِلَ، فَإِذَا بِرَجُلَيْنِ مُعَلَّقَيْنِ بَأَرْجُلِهِمَا، فَقَالَا: مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقُلْتُ: أَتَعْلَمُ السَّحَرَ؟ فَقَالَا: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرِي وَارْجِعِي، فَأَبَيْتُ وَقُلْتُ: لَا، فَقَالَا: اذْهَبِي إِلَى ذَلِكَ التَّنُورِ فَبُولِي فِيهِ. فَذَهَبْتُ فَفَزَعْتُ فَلَمْ أَفْعَلْ، فَارْجَعْتُ إِلَيْهِمَا، فَقَالَا: أَفَعَلْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَا: فَهَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا؟

قُلْتُ: لَمْ أَرِ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: لَمْ تَفْعَلِي، ارْجِعِي إِلَى بِلَادِكَ وَلَا تَكْفُرِي. فَأَيَّيْتُ، فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى ذَلِكَ التَّنُورِ فَبُولِي فِيهِ. فَذَهَبْتُ، فَأَقْشَعَرَّتْ وَخَفْتُ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ: فَمَا رَأَيْتِ؟ فَقُلْتُ: لَمْ أَرِ شَيْئًا، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَمْ تَفْعَلِي، ارْجِعِي إِلَى بِلَادِكَ وَلَا تَكْفُرِي، فَإِنَّكَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ. فَأَيَّيْتُ، فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى ذَلِكَ التَّنُورِ فَبُولِي فِيهِ. فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَبُلْتُ فِيهِ، فَرَأَيْتُ فَارِسًا مُتَقَنَّعًا بِحَدِيدٍ خَرَجَ مِنِّي حَتَّى ذَهَبَ فِي السَّمَاءِ وَغَابَ عَنِّي حَتَّى مَا أَرَاهُ، فَجِئْتُهُمَا فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتِ؟ فَقُلْتُ: فَارِسًا مُتَقَنَّعًا خَرَجَ مِنِّي فَذَهَبَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى مَا أَرَاهُ، فَقَالَ: صَدَقْتَ، ذَلِكَ إِيْمَانُكَ خَرَجَ مِنْكَ اذْهَبِي. فَقُلْتُ لِلْمَرْأَةِ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا وَمَا قَالَا لِي شَيْئًا، فَقَالَتْ: بَلَى، لَنْ تُرِيدِي شَيْئًا إِلَّا كَانَ، خُذِي هَذَا الْقَمْحَ فَأَبْذُرِي، فَبَذَرْتُ، فَقُلْتُ: أَطْلِعِي، فَأَطْلَعَتْ، وَقُلْتُ: أَحْقِلِي، فَأَحْقَلَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: أَفْرِكِي. فَأَفْرَكْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيَّسِي، فَأَيَّسَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: أَطْحِنِي. فَأَطْحَنَتْ، ثُمَّ قُلْتُ: أَخْبِرِي، فَأَخْبَرَتْ. فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنِّي لَا أُرِيدُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ سُقُطَ فِي يَدِي وَنَدِمْتُ وَاللَّهِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ شَيْئًا قَطُّ وَلَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا " ٤١٩

قَالَ أَهْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِمَا وَصَفْنَا وَاعْتَلَوْا بِمَا ذَكَرْنَا، وَقَالُوا: لَوْلَا أَنَّ السَّاحِرَ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلٍ مَا ادَّعَى أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِهِ مَا قَدَرَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، قَالُوا: وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَذَلِكَ لَوْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْحَقِيقَةِ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِ التَّخْيِيلِ وَالْحُسْبَانِ، لَمْ يَكُنْ تَفْرِيقًا عَلَى صِحَّةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ عَلَى صِحَّةٍ. وَقَالَ آخِرُونَ: بَلِ السَّحَرُ أَخْذٌ بِالْعَيْنِ.. " ٤٢٠

وَلَا يَقَالُ: إِنَّ سِحْرَ الرَّسُولِ ﷺ يوجب له لباساً في النبوة والرسالة؛ لأن أثر السحر لم يتجاوز ظاهر الجسم الشريف، فلم يصل إلى القلب والعقل. فهو كسائر الأمراض التي قد تعرض له، والتشريع محفوظ بحفظ الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٤١٩ - وإسناده صحيح

٤٢٠ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢/ ٣٥٢) صحيح مرسل

١٦ - ضعف الإنسان:

في الإنسان نقاط ضعف كثيرة، هي في الحقيقة أمراض، والشيطان يعمق هذه الأمراض في نفس الإنسان، بل تصبح مداخله إلى النفس الإنسانية، ومن هذه الأمراض: الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغي، والاحود، والكنود، والعجلة، والطيش، والسفه، والبخل، والشح، والحرص، والجلد، والمراء، والشيء، والريبة، والجهل، والغفلة، واللد في الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والطغيان، وتجاوز الحدود، وحب المال، والافتتان بالدنيا.

فالإسلام يدعو إلى إصلاح النفس، والتخلص من أمراضها، وهذا يحتاج إلى جهد يبذل، كما يحتاج إلى صبر على مشقات الطريق.

أما اتباع الهوى، وما تميله النفس الأمارة بالسوء، فإنه سهل ميسور، فالأول مثله مثل من يصعد بصخرة إلى أعلى الجبل، ومثل الثاني كمن يهوي من أعلى الجبل إلى أسفله، ولذلك كانت الاستجابة للشيطان كثيرة، ووَجِدَ دعاة الحق صعوبة، وأي صعوبة في الدعوة إلى الله تعالى.

ونحن نسوق إليك بعض كلام السلف؛ لنوضح كيف يستغل الشيطان نقاط الضعف في الإنسان.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسُوسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَّسَ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ: ذَكَرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ، أَوِ: الْوَسْوَاسَ يَنْفُثُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْحُزْنِ وَعِنْدَ الْفَرَحِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَّسَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {الْوَسْوَاسِ} قَالَ: هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْمُرُ، فَإِذَا أُطِيعَ خَنَّسَ. ٤٢١

٤٢١ - تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٥٤٠)

وعن الحسن بن صالح قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطأ، وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي.^{٤٢٢}
وعن وهب بن منبه - رضي الله عنه -: أن راهباً في صومعته أراد الشيطان أن يضلّه فعجز عنه فناداه ليفتح له فسكت، فقال: إن ذهبت ندمت فسكت، فقال: أنا المسيح، فأجابته وقال: إن كنت المسيح فما أصنع بك؟ ألسنت قد أمرتنا بالعبادة والجهاد ووعدتنا القيامة، فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم تقبله منك، فأخبر أنه الشيطان جاء ليضلّه فلم يستطع، ثم قال: له سلني عما شئت أخبرك، قال: ما أريد أن أسألك عن شيء فوكلي الشيطان مديراً، فقال له الراهب: ألا تسمع قال: بلى. قال: أخبرني أي أخلق بني آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحدة (الغضب) إن الرجل إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.^{٤٢٣}

وعن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: "كان رجل عابداً من السباح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب، فلم يستطع له شيئاً، فمثّل له بحية وهو يصلي فالتوى بقدمه وجسده، ثم أطلع رأسه عند رأسه، فلم يلتفت من صلاته ولم يستأخر منها، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجده، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه فوضع رأسه فجعل يعركه حتى استمكن من الأرض لسجده، فقال له الشيطان: إني أنا صاحبك الذي كنت أخوفك، فأثيتك من قبل الشهوة والرغبة والغضب، وأنا الذي كنت أتمثل لك بالسباع والحية، فلم أستطع لك شيئاً، وقد بدا لي أن أصادقك، ولما أراك في صلاتك بعد اليوم. فقال له: لا يوم خوفني بحمد الله خفتك، ولما اليوم في حاجة من فضله. قال: ألا تسألني عما شئت أخبرك. قال: ما عسيت أن أسألك عنه؟ قال: ألا تسألني عن مالك ما فعل بعدك؟ قال: لو أردت ذلك ما فارقته. قال: أفلا تسألني عن أهلِكَ من مات منهم؟ قال: أنا مت قبلهم. قال: أفلا تسألني عما أضل به بني آدم؟ قال: بلى، فأخبرني، ما أوثق ما في نفسك أن تضلهم به؟ قال: ثلاثة

^{٤٢٢} - مكائد الشيطان (ص: ٥٩) (٣٧) صحيح مقطوع

^{٤٢٣} - آفات على الطريق كامل (١٧/٢) وإحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤/٢٩) والزواجر عن

اقتراف الكبائر (١/٨٦) وتلبس إبليس (ص: ٣٠)

أَخْلَقَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِشَيْءٍ مِنْهَا غَلَبَنَاهُ: بِالشُّحِّ وَالْحِدَّةِ وَالسُّكْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ شَحِيحًا قَلَّلْنَا مَالَهُ فِي عَيْنِهِ، وَرَعَبْنَاهُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، وَإِذَا صَارَ حَدِيدًا تَزَاوَرْنَا كَمَا يَتَزَاوَرُ الصَّبِيَانُ الْكُرَّةَ، وَلَوْ كَانَ يُحِبُّ الْمَوْتَى بِدَعْوَتِهِ لَمْ نَيَأْسَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَا يَبْنِي يَهْدِمُهُ لَنَا بِكَلِمَةٍ، وَإِذَا سَكِرَ اقْتَدَنَاهُ إِلَى كُلِّ شَهْوَةٍ كَمَا يُقْتَادُ مَنْ أَخَذَ الْعِزَّ بِأُذُنِهَا حَيْثُ شَاءَ ٤٢٤

وَعَنْ ثَابِتٍ قَالَ: لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ يُرْسِلُ شَيَاطِينَهُ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَجِئْتُونِ إِيَّاهُ بِصُحُفِهِمْ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا تُصِيبُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: مَا صَحَبْنَا قَوْمًا مِثْلَ هَؤُلَاءِ. فَقَالَ: رُويَدًا بِهِمْ، فَعَسَى أَنْ تُفْتَحَ لَهُمُ الدُّنْيَا، هُنَالِكَ تُصِيبُونَ حَاجَتَكُمْ مِنْهُمْ. ٤٢٥

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ النَّاجَ، قَالَ: فَيَخْرُجُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبْرَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلبِسُهُ النَّاجَ» ٤٢٦

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ النَّاجَ. فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِلُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، قَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ. وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّى عَقَّ، قَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَبْرَ. وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّى زَنَى، قَالَ: أَنْتَ. وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّى شَرِبَ الْخَمْرَ. قَالَ: أَنْتَ. قَالَ: وَيَقُولُ آخَرُ لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّى قَتَلَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ. ٤٢٧

٤٢٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤ / ٥٢) حسن مقطوع

٤٢٥ - مكائد الشيطان (ص: ٦٠) (٣٩) صحيح مرسل

٤٢٦ - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٤ / ٦٨) (٦١٨٩) صحيح

٤٢٧ - مكائد الشيطان (ص: ٥٥) (٣٦) صحيح موقوف

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَتْ شَجَرَةٌ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ إِلَيْهَا فَقَالَ: لَأَقْطَعَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَجَاءَ لِيَقْطَعَهَا غَضَبًا لِلَّهِ فَلَقِيَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

قَالَ: إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْبُدْهَا فَمَا يَضُرُّكَ مِنْ عِبَادَتِهَا؟ قَالَ: لَأَقْطَعَنَّهَا. فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: هَلْ لَكَ فِيهَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، لَا تَقْطَعُهَا وَلَكَ دِينَارَانِ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا أَصْبَحْتَ عِنْدَ وَسَادَتِكَ.

قَالَ: فَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: أَنَا لَكَ.

فَرَجَعَ فَأَصْبَحَ فَوَجَدَ دِينَارَيْنِ عِنْدَ وَسَادَتِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا فَقَامَ غَضَبًا لِيَقْطَعَهَا، فَتَمَثَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

قَالَ: كَذَبْتَ، مَا لَكَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ، فَذَهَبَ لِيَقْطَعَهَا فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ وَخَنَفَهُ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُهُ.

قَالَ: أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟ أَنَا الشَّيْطَانُ، جِئْتَ أَوَّلَ مَرَّةٍ غَضَبًا لِلَّهِ فَلَمْ يَكُنْ لِي سَبِيلٌ فَخَدَعْتُكَ بِالْدَّيْنَارَيْنِ فَتَرَكْتَهَا، فَلَمَّا جِئْتَ غَضَبًا لِلدَّيْنَارَيْنِ سَلَطْتُ عَلَيْكَ. "٤٢٨

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ رَأَى فِيهَا شَيْخًا لَمْ يَعْرِفْهُ، قَالَ لَهُ نُوحٌ: مَا أَذْخَلَكَ؟ قَالَ: دَخَلْتُ لِأُصِيبَ قُلُوبَ أَصْحَابِكَ فَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ مَعِي، وَأَبْدَانُهُمْ مَعَكَ.

قَالَ نُوحٌ: أَخْرِجْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ.

فَقَالَ: خَمْسُ أَهْلِكَ بِهِنَّ النَّاسُ، وَسَأُحَدِّثُكَ مِنْهُنَّ بِثَلَاثٍ، وَلَا أُحَدِّثُكَ بِاثْنَتَيْنِ، فَأُوحِي إِلَيْكَ نُوحٌ لَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى الثَّلَاثِ، مُرُّهُ يُحَدِّثُكَ بِاثْنَتَيْنِ، فَإِنَّ بِهِمَا أَهْلَكَ النَّاسَ فَقَالَ

٤٢٨ - مكائد الشيطان (ص: ٧٩) (٦٠) والترغيب والترهيب لقوام السنة (١/ ١٢٦) (١٢٥) حسن مقطوع

هُمَا: الْحَسَدُ^{٤٢٩}، وَبِالْحَسَدِ لُعِنْتُ، وَجُعِلْتُ شَيْطَانًا رَجِيمًا، وَالْحِرْصُ أَبَاحَ لَأَدَمَ الْجَنَّةَ كُلَّهَا فَأَصَبْتُ حَاجَتِي مِنْهُ بِالْحِرْصِ^{٤٣٠}.

قَالَ: وَلَقِيَ إِبْلِيسُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُوسَى أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَكَلَّمَكَ تَكْلِيمًا، وَأَنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَذْنَبْتُ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتُوبَ، فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُتُوبَ عَلَيَّ، فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ.

فَقِيلَ يَا مُوسَى قَدْ قَضَيْتُ حَاجَتَكَ، فَلَقِيَ مُوسَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: قَدْ أَمَرْتُ أَنْ تَسْجُدَ لِقَبْرِ آدَمَ وَيُنَابَ عَلَيْكَ، فَاسْتَكْبَرَ وَغَضِبَ، وَقَالَ: لَمْ أَسْجُدْ لَهُ حَيًّا، أَسْجُدُ لَهُ مَيِّتًا؟ ثُمَّ قَالَ إِبْلِيسُ: يَا مُوسَى إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حَقًّا بِمَا شَفَعْتَ لِي رَبِّكَ، فَادْكُرْنِي عِنْدَ ثَلَاثٍ وَلَا هَلَكَ إِلَّا فِيهِنَّ: اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ فَإِنَّ وَحْيِي فِي قَلْبِكَ، وَعَيْنِي فِي عَيْنِكَ، وَأَجْرِي مِنْكَ مَجْرَى الدَّمِّ.

اذْكُرْنِي حِينَ تَلْقَى الرَّحْفَ فَإِنِّي آتِي ابْنَ آدَمَ، حِينَ يَلْقَى الرَّحْفَ فَادْكُرْهُ وَلَدَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَهُ حَتَّى يُؤَلِّيَ.

وَأَيَّاكَ أَنْ تُجَالِسَ امْرَأَةً لَيْسَتْ بِذَاتِ مَحْرَمٍ، فَإِنِّي رَسُولُهَا إِلَيْكَ وَرَسُولُكَ إِلَيْهَا.^{٤٣١} وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: لِإِبْلِيسَ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِهِ قَدْ جَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ سَمَّاهُمْ فَذَكَرَ: ثَبْرٌ، وَالْأَعْوَرُ، وَمَسْوَطٌ، وَدَاسِمٌ، وَرَئِثُورٌ. فَأَمَّا ثَبْرٌ فَهُوَ صَاحِبُ الْمُصِيبَاتِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالثُّبُورِ، وَشَقَّ الْجُيُوبِ، وَلَطَمَ الْخُدُودِ، وَدَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ. وَأَمَّا الْأَعْوَرُ فَهُوَ صَاحِبُ الزُّنَا الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَبِزْنِهِ.

^{٤٢٩} - الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه والأول مذموم والثاني محمود وعليه قوله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين".

^{٤٣٠} - الحرص شدة الإرادة والشره إلى المطلوب وهو نوعان: حرص فاجع وحرص نافع فالأول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها الثاني: حرصه على طاعة الله تعالى خوف أن تفوت.

^{٤٣١} - مكائد الشيطان (ص: ٦٥) (٤٤) وتلبس إبليس (ص: ٢٨) ضعيف

وَأَمَّا مَسْوُوطٌ هُوَ صَاحِبُ الْكَذِبِ الَّذِي يَسْمَعُ فَيَلْقَى الرَّجُلَ فَيُخْبِرُهُ بِالْخَبَرِ، فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ لَهُمْ: قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا أَعْرَفُ وَجْهَهُ، وَمَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ حَدَّثَنِي بِكَذَا وَكَذَا.

وَأَمَّا دَاسِمٌ فَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ يُرِيهِ الْعَيْبَ فِيهِمْ وَيُعْضِبُهُ عَلَيْهِمْ. وَأَمَّا زَلَنْبُورٌ فَهُوَ صَاحِبُ السُّوقِ، الَّذِي يَرَكُزُ رَأْيَتَهُ فِي السُّوقِ.^{٤٣٢}

وليس بعيداً عنّا ما فعله الشيطان بيوسف وإخوته، وكيف أوغر صدور الإخوة على أخيهم، وقد قال يوسف: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } [يوسف: ١٠٠].

وَقَدْ أَكْرَمَنِي رَبِّي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ بَرَاءَتِي، وَسَمَّا بِي إِلَى عَرْشِ الْمَلِكِ، وَإِذْ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَادِيَةِ حَيْثُ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ عِيشَةَ الشَّطَفِ وَالْحُشُونَةِ، فَاجْتَمَعَ شَمْلُنَا مِنْ حَدِيدٍ، بَعْدَ أَنْ أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي، وَقَطَعَ مَا بَيْنَنَا مِنْ وَشَائِحِ الرَّحِمِ. وَإِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ، فَإِذَا قَضَى أَمْرًا وَأَرَادَهُ هَيَأْ لَهُ أَسْبَابُهُ، وَقَدَّرَهُ وَيَسِّرَهُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ.^{٤٣٣}

١٧ - النساء وحب الدنيا:

أما فتنة النساء:

فقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه ما ترك بعده فتنة أشد على الرجال من النساء، ولذلك أمرت المرأة بستر جسدها كله إلا الوجه والكفين^{٤٣٤}

، وأمر الرجال بغض أبصارهم، قال تعالى: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } [النور: ٣٠]

^{٤٣٢} - مكائد الشيطان (ص: ٥٤) (٣٥) صحيح مقطوع، ولكن لا نستطيع الجزم به، وإنما سقناه للبررة

^{٤٣٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٦٩٧)، بترقيم الشاملة آليا

^{٤٣٤} - هناك خلاف طويل حول وجوب ستر الوجه، ولا خلاف في مشروعيته واستجابته، وأوجه بعض أهل العلم إذا خشيت المرأة الفتنة على نفسها

يَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنْ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ الْبَصَرُ عَلَى مُحَرَّمٍ عَلَيْهِمْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ بَصَرَهُ سَرِيعاً، كَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ فُرُوجِهِمْ عَنِ الزَّنى، وَبِحِفْظِهَا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَزْكَى لِدِينِهِمْ.^{٤٣٥}

وأمر النساء بغض أبصارهن وحفظ فروجهن، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]

وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَعْضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ عَوْرَاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَنْ يَعْضُنَ بَصَرَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ عَنْهُنَّ، لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِنَّ وَأَلْيَقُ، وَأَنْ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ، وَعَنْ أَنْ يَرَاهُنَّ أَحَدٌ، وَأَنْ لَا يُظْهَرَنَّ شَيْئاً مِنَ الزَّيْنَةِ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ كَالرِّدَاءِ وَالتَّيَّابِ وَالْخُلْخَالِ (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ وَالْخَاتَمَ)، وَأَنْ يُقَيِّنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى فَتَحَاتِ ثِيَابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ (جُيُوبِهِنَّ) لِيَسْتُرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ حَتَّى لَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنْ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (كَالسَّوَارِ وَالْخَاتَمِ وَالْكُحْلِ وَالْخِصَابِ...) إِلَّا لِلْأَزْوَاجِ وَأَبَاءِ الْأَزْوَاجِ وَالْإِخْوَةِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءِ الْأَخَوَاتِ، وَأَبْنَاءِ الْأَزْوَاجِ، وَبَقِيَّةِ الْمَحَارِمِ الَّذِينَ عَدَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَوِ لِلنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ (نِسَائِهِنَّ) - وَقِيلَ إِنَّ نِسَاءَهُنَّ تَعْنِي النِّسَاءَ الْمُخْتَصَّاتِ بِصُحْبَتِهِنَّ وَخِدْمَتِهِنَّ (، أَوْ لِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنْ عِبِيدَ مُسْلِمِينَ) (وَقِيلَ حَتَّى لِعَبِيدِ الْمُسْلِمِينَ)، أَوِ الْأَتْبَاعِ الْمُعْفَلِينَ وَفِي عُقُولِهِمْ وَلَهُ، وَلَا يَشْتَهُونَ النِّسَاءَ (وَهُمْ التَّابِعُونَ غَيْرُ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ

^{٤٣٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٧٠٣، بترقيم الشاملة آليا)

الرِّجَالِ)، أو لِلأَطْفَالِ الصَّغَارِ الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ أَحْوَالَ النِّسَاءِ وَعَوْرَاتِهِنَّ، أَمَّا إِذَا كَانَ الطِّفْلُ مُرَاهِقًا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيَدْرِيه، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّوْهَاءِ وَالْحَسَنَاءِ فَلَا يُسَمَحُ لَهُ بِالِدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ).

كَمَا أَمَرَهُنَّ بِأَنْ لَا يَمْشِينَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَفِي أَرْجُلِهِنَّ الْخَلَاخِيلَ فَيَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ الْأَرْضَ لِيَسْمَعَ صَوْتُ مِشْيَتِهِنَّ، وَلِتَلْتَفِتَ الْأَنْظَارُ إِلَيْهِنَّ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ نِسَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ. وَارْجِعُوا تَائِبِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنَ التَّخَلُّقِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَاتْرُكُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، فَإِنَّ الْفَلَاحَ فِي فِعْلٍ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ، وَتَرْكُ مَا نَهَى عَنْهُ. ٤٣٦

ونهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالمرأة، فعن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْخُلُوتَ بِالنِّسَاءِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَلَا رَجُلٌ وَامْرَأَةً إِلَّا دَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا، وَلِيزَحِمَنَّ رَجُلٌ خَنْزِيرًا مُتَلَطِّخًا بِطِينٍ، أَوْ حَمَاطَةً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزَحِمَ مِنْكِ مَنَكِبَ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ» ٤٣٧

وَعَنْ ابْنِ عُمر، قَالَ: خَطَبَنَا عُمرُ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا، فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بُحْبُوحَةَ الْحَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ - قَالَهَا ثَلَاثًا - وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، أَلَا وَمَنْ سَرَّتهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ». ٤٣٨

٤٣٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤: ٢٧٠، بترقيم الشاملة آليا)

٤٣٧ - المعجم الكبير للطبراني (٨/ ٢٠٥) (٧٨٣٠) حسن لغيره

٤٣٨ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (١/ ١٩٧) (٣٨٧) صحيح

يفشو: فشا الشيء إذا ظهر وانتشر. = يُحْبُوْحَة: بحبوحة الجنة: وسطها، وبحبوحة كل شيء وسطه وخياره. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (٦/ ٦٧٠)

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ بْنِ أَنْعَمَ قَالَ: بَيْنَمَا مُوسَى جَالِسٌ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ إِذْ أَقْبَلَ إِبْلِيسُ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ لَهُ يَتَلَوْنَ فِيهِ أَلْوَانًا، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ خَلَعَ الْبُرْنُسَ فَوَضَعَهُ ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُوسَى.

قَالَ لَهُ مُوسَى: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: إِبْلِيسُ.

قَالَ: فَلَا حَيَّاكَ اللَّهُ، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ لِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَكَاتِكَ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا الَّذِي رَأَيْتُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: بِهِ أَخْتَطِفُ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ.

قَالَ: فَمَاذَا إِذَا صَنَعَهُ الْإِنْسَانُ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: إِذَا أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَاسْتَكْبَرَتْ عَمَلُهُ، وَنَسِيَ ذُنُوبَهُ، وَأَحْذَرُكَ ثَلَاثًا: لَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّهُ مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ إِلَّا كُنْتُ صَاحِبَهُ دُونَ أَصْحَابِي، حَتَّى أَفْتِنَهُ بِهَا، وَلَا تُعَاهِدِ اللَّهَ عَهْدًا إِلَّا وَفَّيْتَ بِهِ، فَإِنَّهُ مَا عَاهَدَ اللَّهَ أَحَدٌ عَهْدًا إِلَّا وَكُنْتُ صَاحِبَهُ حَتَّى أَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَفَاءِ بِهِ، وَلَا تُخْرِجَنَّ صَدَقَةً إِلَّا أَمْضَيْتَهَا فَإِنَّهُ مَا أَخْرَجَ رَجُلٌ صَدَقَةً فَلَمْ يُمْضِهَا إِلَّا كُنْتُ دُونَ أَصْحَابِي حَتَّى أَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَفَاءِ بِهَا.

ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ ثَلَاثًا، عَلِمَ مُوسَى مَا يُحْذَرُ بِهِ بَنِي آدَمَ. " ٤٣٩

ونحن اليوم نشاهد عظم فتنة خروج النساء كما وصفهم الرسول ﷺ كاسيات عاريات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَنَفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سَبَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» ٤٤٠

٤٣٩ - مكائد الشيطان (ص: ٧١) (٤٧) فيه ضعف

٤٤٠ - صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٠) ١٢٥ - (٢١٢٨)

[ش (صنفان الخ) هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين (كاسيات عاريات) قيل معناه تستر بعض بدنهما وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ونحوه وقيل معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنهما (مميلات) قيل يعلمن غيرهن الميل وقيل مميلات لأكتافهن (مائلات) أي يمشين متبخترات وقيل مائلات يمشين المشية المائلة وهي مشية البغايا ومميلات يمشين غيرهن تلك المشية

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رَجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوحٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنَمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ خَدَمَهُنَّ نِسَاؤُكُمْ، كَمَا خَدَمَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ»^{٤٤١} وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ " .^{٤٤٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ أَقْرَبَ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا»^{٤٤٣} وَعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: احْبِسُوا النِّسَاءَ فِي الْبُيُوتِ فَإِنَّ النِّسَاءَ عَوْرَةٌ وَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ وَقَالَ لَهَا: إِنَّكَ لَا تُمْرِينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أُعْجِبَ بِكَ.^{٤٤٤}

وَعَنْ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: أَنْتِ نِصْفُ جُنْدِي، وَأَنْتِ سَهْمِي الَّذِي أُرْمِي بِهِ فَلَا أخطأ، وَأَنْتِ مَوْضِعُ سِرِّي وَأَنْتِ رَسُولِي فِي حَاجَتِي.^{٤٤٥}

(البخت) قال في اللسان البخت والبختة دخيل في العربية أعجمي معرب وهي الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج (والفالج البعير ذو السنامين وهو الذي بين البختي والعربي سمي بذلك لأن سنامه نصفان) الواحد بخي جمل بخي وناقعة بخنية ومعنى رؤسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمونها بلف عمامة أو عصاية أو نحوها]

^{٤٤١} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٦٤ / ١٣) (٥٧٥٣) ومسند أحمد (عالم الكتب) (٧٢٢ / ٢) (٧٠٨٣) حسن وقوله: "كأشباه الرجال" بالحاء المهملة، جمع رخل، وهو للبعير كالسرج للفرس، قوله: «كاسيات عاريات»، وصف للنساء، وقيل في معناه: إلهن كاسيات من نعم الله، عاريات من الشكر، وقيل: هو أن يكشفن بعض جسدن ويسدلن الحمر من ورائهن؛ فهن كاسيات كعاريات. وقيل: أراد أنهن يلبسن ثياباً رفاقاً يصفن ما تحتها من أجسامهن؛ فهن كاسيات في الظاهر، عاريات في المعنى. "النهاية" لابن الأثير (٣١٧/٤).

^{٤٤٢} - شرح مشكل الآثار (٩٩ / ١١) (٤٣٢٢) وأخرجه الجماعة المسند الجامع (١ / ١٤٠) (١٦٠)

^{٤٤٣} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٤١٢ / ١٢) (٥٥٩٨) صحيح

^{٤٤٤} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبة (٥٠١ / ٩) (١٨٠٠٦) صحيح موقوف

^{٤٤٥} - مكائد الشيطان (ص: ٥٩) (٣٧) صحيح مقطوع

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَامَ فَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: "إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِثْلَ هَذَا فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ الشَّيْطَانِ، وَتُتَوَلَّى فِي صُورَةِ الشَّيْطَانِ" ^{٤٤٦}

وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ: أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فُسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَاخْتِلَاطِ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزُّنَا، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ، وَالطَّوَاعِينِ الْمُتَّصِلَةِ. ^{٤٤٧}

وقد قامت مؤسسات في الشرق والغرب تستخدم جيوشاً من النساء والرجال لترويج الفاحشة بالصورة المرئية، والقصة الخليعة، والأفلام التي تحكي الفاحشة وتدعو لها! أما حبّ الدنيا فهو رأس كل خطيئة، وما سفكت الدماء، وهتكت الأعراض، وغصبت الأموال، وقطعت الأرحام،... إلا لأجل حيازة الدنيا، والصراع على حطامها الفاني، وحرصاً على متعتها الزائدة.

وأما حب الدنيا

فقد ورد ذمه في القرآن والسنة، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [لقمان: ٣٣]

يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَاهُ لِيُنْقِذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْوَالِهِ، فَهُوَ يَوْمٌ لَا يَسْتَطِيعُ فِيهِ أَحَدٌ نَفْعَ أَحَدٍ، فَلَا الْوَالِدُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْدِيَ ابْنَهُ، وَلَا الْمَوْلُودُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْدِيَ وَالِدَهُ، أَوْ أَنْ يَنْفَعَهُ شَيْءٌ، أَوْ أَنْ يَحْمِلَ مِنْ ذُنُوبِهِ شَيْئًا، وَلَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا إِيمَانُهُ بِرَبِّهِ، وَإِحْلَاصُهُ الْعِبَادَةَ لَهُ، وَعَمَلُهُ الصَّالِحِ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِالْأَلَا ثُلْهِهِمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، وَزِينَتِهَا، وَمَتَاعِهَا، عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ لِيَوْمِ

^{٤٤٦} - معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ١٧٩٤) (٤٥٤٤) صحيح

قضى حاجته: المراد معاشرته وجماع النساء = وكلى الشيء وتولى: إذا ذهب هاربا ومُدبراً، وتولى عنه، إذا عَرَضَ

^{٤٤٧} - الطرق الحكمية (ص: ٢٣٩)

الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا . كَمَا يَأْمُرُهُمْ بَلَاءً يَغْرَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي بِتَزْيِينِهَا لَهُمْ .^{٤٤٨}

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) } [فاطر: ٥ - ٦]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .. هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيَّةٍ، فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، عَنْ طَلَبِ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ حُلُولِ مَوْعِدِ الْحَشْرِ، وَبَعْثِ الْخَلَائِقِ، وَلَا تَدْعُوا الشَّيْطَانَ يَغُرَّكُمْ، وَيَفْتِنَكُمْ، وَيَصْرِفَكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ رُسُلِ اللَّهِ، وَتَصْدِيقِ كَلِمَاتِهِ، فَإِنَّهُ غَرَارٌ كَذَابٌ فَلَا تَغُرَّكُمْ - فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ وَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ .

إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ يُوسَّسُ لَكُمْ لِيُضِلَّكُمْ وَيَدْفَعَ بِكُمْ إِلَى هَاوِيَةِ الْجَحِيمِ، فَاحْذَرُوا مِنْهُ وَكُونُوا أَنْتُمْ أَعْدَاءَهُ، وَخَالِفُوهُ وَكَذِّبُوهُ فِيمَا يَغُرَّكُمْ بِهِ، وَهُوَ يَدْعُو حِزْبَهُ وَأَوْلِيَائَهُ وَشَبِيعَتَهُ، إِلَى اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالرُّكُودِ إِلَى اللَّذَاتِ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ، لِيُضِلَّهُمْ وَيُلْقِيَهُمْ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ، فِي سَعِيرٍ جَهَنَّمَ .^{٤٤٩}

وبين مثل الحياة الدنيا بسرعة زوالها، فقال تعالى: { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [يونس: ٢٤]

ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي جَمَالِهَا وَبَهْجَتِهَا، ثُمَّ فِي سُرْعَةِ فَنَائِهَا، بِالنَّبَاتِ الَّذِي أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَرْضِ بِمَا أُنْزِلُهُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَطَرِ، مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْ زُرُوعٍ وَثَمَارٍ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا، وَمِمَّا تَأْكُلُ الْحَيَوَانَاتُ (الْأَنْعَامُ) حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زِينَتَهَا الْفَانِيَةَ (زُخْرُفَهَا) وَازِيدَتْ بِمَا خَرَجَ فِي رُبَاهَا مِنْ زُهُورٍ نَضِرَةٍ

^{٤٤٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٣٨٣، بترقيم الشاملة آليا)

^{٤٤٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٤٦، بترقيم الشاملة آليا)

مُخْتَلِفَةً الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، كَمَا تَتَزَيَّنُ الْعُرُوسُ لَيْلَةَ زَفَافِهَا، وَظَنَّ أَهْلُهَا، الَّذِينَ زَرَعُوهَا وَغَرَسُوهَا، أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى جَزَائِهَا وَحَصَادِهَا، وَحَنِي ثَمَارِهَا، وَالتَّمَتُّعِ بِهَا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَأْمُلُونَ ذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهَا صَاعِقَةٌ، أَوْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ فَأَيَّسَتْ أَوْرَاقَهَا، وَأَثْلَفَتْ ثَمَارَهَا، فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِينًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَهَكَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ الْحُجَجَ وَالْآيَاتِ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَذَا الْمَثَلِ، فِي زَوَالِ الدُّنْيَا عَنْ أَهْلِهَا سَرِيعًا، مَعَ اغْتِرَارِهِمْ بِهَا. ^{٤٥٠}

وبين مواد الخداع فيها حيث قال تعالى: {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أُوْبِتُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ (١٥) } [آل عمران: ١٤، ١٥]

يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الشَّهَوَاتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَذَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْأَمْوَالِ وَالْخَيْلِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، وَهِيَ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَزَيْنَتُهَا الزَّائِلَةُ، وَهِيَ لَا تُقَاسُ بِمَا ادَّخَرَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَعِنْدَ اللَّهِ حُسْنُ الْمَرْجِعِ، وَعِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ .

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ أَثَرِيْدُونَ أَنْ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا زَيْنَ لِلنَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ نَعِيمِهَا الزَّائِلِ؟ هُوَ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَحْبَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ، مِنْ جَنَّاتٍ تَتَفَجَّرُ فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ، مُخَلَّدِينَ فِيهَا لَا تَزُولُ عَنْهُمْ أَبَدًا، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا تَحَوُّلًا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالْخُبْثِ وَالْكَيْدِ وَسُوءِ الْخُلُقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَرِي النِّسَاءَ . وَيَعْمُرُهُمْ رِضْوَانُ اللَّهِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَبَدًا، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ، يُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعَطَاءِ . ^{٤٥١}

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» ^{٤٥٢}

^{٤٥٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٣٨٩، بترقيم الشاملة آليا)

^{٤٥١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٠٨، بترقيم الشاملة آليا)

^{٤٥٢} - الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ٢٧) (٩) صحيح مرسل

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَالنِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ، وَالْخَمْرُ دَاعِيَةُ كُلِّ شَرٍّ»^{٤٥٣}

وحذر الرسول ﷺ من فتنها وخداعها، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ حَلِيفُ لِبْنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، وَكَانَ شَهِيدًا بِدِرٍّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزَيْتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحُ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشُرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»^{٤٥٤}

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ"^{٤٥٥}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا، وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ فِتْنَةَ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^{٤٥٦}

^{٤٥٣} - الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٢) (٤٩٧)

^{٤٥٤} - صحيح البخاري (٥/ ٨٥) (٤٠١٥) وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٣) ٦ - (٢٩٦١)

^{٤٥٥} - شرح مشكل الآثار (١١/ ١٠١) (٤٣٢٥) صحيح

قَالَ الطحاوي: فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِهِ الْمَالُ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةُ النِّسَاءِ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: "مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ" هُوَ عَلَى الْفِتْنَةِ الَّتِي تَلْحَقُ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ أَنَّهُ تَرَكَ ﷺ فِي أُمَّتِهِ فِتْنًا سِوَى النِّسَاءِ، وَكَانَ قَوْلُهُ ﷺ: "فِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ" عَلَى فِتْنَةِ نَعْمِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنْ أُمَّتِهِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ أَوْسَعَ وَأَكْثَرَ أَهْلًا مِنَ الْفِتْنَةِ الْآخَرَى، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَأَهْلُهَا الْأَهْلُ الَّذِينَ قَدْ دَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَلَيْهِمْ مَنْ هُمْ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ ﷺ مِنْ تَحْذِيرِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَمِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ.

^{٤٥٦} - مستخرج أبي عوانة (٣/ ١٥) (٤٠٢٧) صحيح - خضرة: غَضَّةٌ نَاعِمَةٌ طَرِيَّةٌ نَضْرَةٌ كَالثَمَرَةِ الطَّيْبَةِ

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ بِالنِّسَاءِ" ٤٥٧

بل تعوذ النبي ﷺ من فتنة الدنيا، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِكَلِمَاتِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ» ٤٥٨
وَعَنْ ثَابِتٍ قَالَ: لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ يُرْسِلُ شَيَاطِينَهُ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَجِئْتُونَ إِلَيْهِ بِصُحُفِهِمْ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا تُصِيبُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: مَا صَحَبْنَا قَوْمًا مِثْلَ هَؤُلَاءِ. فَقَالَ: رُويَدًا بِهِمْ، فَعَسَى أَنْ تُفْتَحَ لَهُمُ الدُّنْيَا، هُنَالِكَ تُصِيبُونَ حَاجَتَكُمْ مِنْهُمْ. ٤٥٩

ولم تتكالب أمم الأرض على المسلمين إلا بسبب حب الدنيا وكرهية الموت، فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كُغْثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» ٤٦٠
وَعَنْ ثَوْبَانَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى عَلَى الْقَصْعَةِ أَكَلَتُهَا». قِيلَ: أَوْ مِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «لَا بَلْ أَنْتُمْ أَكْثَرُ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كُغْثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْآخِرَةِ» ٤٦١

٤٥٧ - شرح مشكل الآثار (١١/ ١٠٢) (٤٣٢٦) صحيح

٤٥٨ - صحيح البخاري (٨/ ٨٠) (٦٣٧٤)

٤٥٩ - مكائد الشيطان (ص: ٦٠) (٣٩) صحيح مقطوع

٤٦٠ - سنن أبي داود (٤/ ١١١) (٤٢٩٧) صحيح

تداعى: التداعى: التتابع، أي: يدعو بعضها بعضا فتجيب.= الأكلة: جمع آكل.= غثاء: الغثاء: ما يلقيه السيل.

٤٦١ - مسند الشاميين للطبراني (١/ ٣٤٤) (٦٠٠) صحيح

١٨ - الغناء والموسيقى:

الغناء والموسيقى طريقان يفسد الشيطان بهما القلوب، ويخرب النفوس، يقول ابن القيم: "ومن مكاييد عدو الله ومصايد، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين، سماع المكاء، والتصديّة، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المني، كاد به الشيطان النفوس المبطلّة، وحسنه لها مكرّاً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيته عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرايت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خمارة النفوس، ففعل فيها أعظم ما تفعله حُمَيّة الكؤوس، فلغير الله، بل الشيطان، قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزههم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخزّ في صدورهم وخزاً. وأزّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزا، فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسُيْطُ الديار. فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام، بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكناً، ولا أزعج له قاطناً، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تلي عليه قرآن الشيطان، وولج مزمور سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيا أيها الفاتن

المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان، عند سماع القرآن؟ وهذه الأذواق والمواجيد، عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السنيات، عند تلاوة السور والآيات؟ ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدراً وشرعاً، والمشاكلة سبب الميل عقلاً وطبعاً، فمن هذا أين الإخاء والنسب؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خلافاً؟

{أَفْتَتَحِدُونَهُ وَذُرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠].

ولقد أحسن القائل:

ثَلِيَّ الْكِتَابِ فَأَطْرُقُوا لَا خِيْفَةَ... لَكِنَّهُ إِطْرَاقُ سَاهٍ لَاهِي
وَأَتَى الْغَنَاءَ فَكَالِذُبَابِ تَرَاقَصُوا... وَاللَّهُ مَا رَقَصُوا مِنْ أَجْلِ اللَّهِ
دُفٌّ وَمَزْمَارٌ وَنَعْمَةٌ شَاهِدٍ... فَمَتَى شَهِدْتَ عِبَادَةَ بِمَلَاهِي
ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا... تَقْيِيدُهُ بِأَوَامِرٍ وَتَوَاهِي
وَعَلَيْهِمْ خَفَّ الْغِنَاءُ لَمَّا رَأَوْا... إِطْلَاقُهُ فِي الْهَوَى دُونَ مَنَاهِي
يَا فِرْقَةً مَا ضَرَّ دِينَ مُحَمَّدٍ... وَجَنَى عَلَيْهِ وَمَلَهُ إِلَّا هِي
سَمِعُوا لَهُ رَعْدًا وَبَرْقًا إِذْ حَوَى... زَجْرًا وَتَخْوِيفًا بِفِعْلِ مَنَاهِي
وَرَأَوْهُ أَعْظَمَ قَاطِعٍ لِلنَّفْسِ عَنْ... شَهَوَاتِهَا يَا وَيْحَهَا الْمُتَنَاهِي
وَأَتَى السَّمَاعُ مُوَافِقًا أَغْرَاضَهَا... فَلَا جُلَّ ذَاكَ غَدَاً عَظِيمَ الْجَاهِ
أَيْنَ الْمُسَاعَدُ لِلْهَوَى مِنْ قَاطِعٍ... أَسْبَابُهُ عِنْدَ الْجَهُولِ السَّاهِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ خَمَرُ الْجُسُومِ فَإِنَّهُ... خَمَرُ الْعُقُولِ مُمَاتِلٌ وَمُضَاهِي
فَانْظُرْ إِلَى التَّشْوَانِ عِنْدَ شَرَابِهِ... وَانْظُرْ إِلَى التَّشْوَانِ عِنْدَ تَلَاهِي
وَانْظُرْ إِلَى تَمْزِيْقِ ذَا أَثْوَابِهِ... مِنْ بَعْدِ تَمْزِيْقِ الْفُؤَادِ اللَّاهِي
فَاحْكُمْ بِأَيِّ الْخَمَرَتَيْنِ أَحَقُّ بِال... تَحْرِيمٍ وَالتَّائِيْمِ عِنْدَ اللَّهِ

وقال آخر:

بَرُّنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعْشَرٍ... بِهِمْ مَرَضٌ مِنْ سَمَاعِ الْغِنَا

وَكَمْ قُلْتُ يَا قَوْمُ، أَنْتُمْ عَلَى... شَفَا جُرْفٍ مَائِهِ مِنْ بِنَا
 شَفَا جُرْفٍ تَحْتَهُ هُوَّةٌ... إِلَى دَرْكِ، كَمْ بِهِ مِنْ عَنَا
 وَتَكَرَّرُ النَّصْحُ مِنَّا لَهُمْ... لِنُعْذِرَ فِيهِمْ إِلَى رَبِّنَا
 فَلَمَّا اسْتَهَانُوا بِتَنْبِيهِنَا... رَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرِنَا
 فَعِشْنَا عَلَى سُنَّةِ الْمُصْطَفَى... وَمَاتُوا عَلَى تِنْتِنَا تِنْتِنَا

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى، تصيح هؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر من سلوك سبيلهم، واقتفاء آثارهم من، جميع طوائف الملة.^{٤٦٢}

ومن عجب أن بعض الناس، الذين يدعون التعبد، يتخذون الغناء والرقص والتمايل طريقاً للتعبد، يتركون السماع الرحمانى، ويذهبون إلى السماع الشيطاني، وقد عدَّ ابن القيم رحمه الله لهذا السماع بضعة عشر اسماً: اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزموور الشيطان، والسمود^{٤٦٣}

وأطال النفس في بيان تحريمه، وما فيه من زور وبهتان، فراجع إن شئت. ^{٤٦٤}

وقال أيضاً رحمه الله ^{٤٦٥}: "فَأَمَّا الْمَسْمُوعُ فَعَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ:

أَحَدُهَا: مَسْمُوعٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ، وَأَنْتَى عَلَى أَهْلِهِ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ بِهِ.

الثَّانِي: مَسْمُوعٌ يُبْغِضُهُ وَيَكْرَهُهُ، وَنَهَى عَنْهُ، وَمَدَحَ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ.

الثَّالِثُ: مَسْمُوعٌ مُبَاحٌ مَا ذُوْنُ فِيهِ، لَا يُحِبُّهُ وَلَا يُبْغِضُهُ، وَلَا مَدَحَ صَاحِبِهِ وَلَا ذَمَّهُ، فَحُكْمُهُ حُكْمُ سَائِرِ الْمُبَاحَاتِ مِنَ الْمَنَاطِرِ، وَالْمَشَامِ، وَالْمَطْعُومَاتِ، وَالْمَلْبُوسَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَمَنْ

^{٤٦٢} - إغائة اللهفان من مصاديد الشيطان (١/ ٢٢٤-٢٢٦) وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٨/ ٣٣٤)

^{٤٦٣} - إغائة اللهفان من مصاديد الشيطان (١/ ٢٣٧)

^{٤٦٤} - انظر حول أحكام الغناء الموسوعة الفقهية الكويتية (٣١/ ٢٩٤-٢٩٨): غِنَاءٌ وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية - وزارة الأوقاف الكويتية (٣٧/ ١٠٧) مِزْمَارٌ والموسوعة الفقهية الكويتية - وزارة الأوقاف الكويتية (٣٨/ ١٦٧-١٨١): مَعَارِفُ، ففيها تفصيل حول ما يحل وما يحرم من ذلك وكذلك حول حكم الاستماع الموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٨٥-٩٧): اسْتِمَاعٌ

^{٤٦٥} - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٧٩) فما بعدها

حَرَّمَ هَذَا النَّوعَ الثَّلَاثَ فَقَدْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَمَنْ جَعَلَهُ دِينًا وَقُرْبَةً يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَشَرَعَ دِينًا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وَضَاهَا بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ.

فَأَمَّا النَّوعُ الْأَوَّلُ فَهُوَ السَّمَاعُ الَّذِي مَدَحَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَأَمَرَ بِهِ وَأَنْشَى عَلَى أَصْحَابِهِ، وَذَمَّ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ وَلَعَنَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ سَبِيلًا، وَهُمْ الْقَائِلُونَ فِي النَّارِ {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملوك: ١٠] وَهُوَ سَمَاعُ آيَاتِهِ الْمُتْلَوَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ، فَهَذَا السَّمَاعُ أُسَاسُ الْإِيمَانِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ بِنَاؤُهُ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ، سَمَاعُ إِدْرَاكِ بِحَاسَّةِ الْأُذُنِ، وَسَمَاعُ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، وَسَمَاعُ فَهْمٍ وَإِجَابَةٍ وَقَبُولٍ، وَالثَّلَاثَةُ فِي الْقُرْآنِ.

فَأَمَّا سَمَاعُ الْإِدْرَاكِ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُؤْمِنِي الْجَنِّ قَوْلُهُمْ {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ} [الجن: ١] وَقَوْلِهِ: {يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} [الأحقاف: ٣٠] الْآيَةَ، فَهَذَا سَمَاعُ إِدْرَاكِ اتَّصَلَ بِهِ الْإِيمَانُ وَالْإِجَابَةُ، وَأَمَّا سَمَاعُ الْفَهْمِ فَهُوَ الْمَنْفِيُّ عَنْ أَهْلِ الْإِعْرَاضِ وَالْعَقْلَةِ، يَقُولُهُ تَعَالَى {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ} [الروم: ٥٢] وَقَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢].

فَالْتَخَصِصُ هَاهُنَا لِلسَّمَاعِ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ، وَإِلَّا فَالَسَّمْعُ الْعَامُّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْحُجَّةُ لَا تَخَصِصَ فِيهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال: ٢٣] أَيْ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِي هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ قُبُولًا وَاتِّقِيادًا لَأَفْهَمَهُمْ، وَإِلَّا فَهُمْ قَدْ سَمِعُوا سَمْعَ الْإِدْرَاكِ {وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال: ٢٣] أَيْ وَلَوْ أَفْهَمَهُمْ لَمَا اتَّقَادُوا وَلَا اتَّفَعُوا بِمَا فَهَمُوا؛ لِأَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ دَاعِيِ التَّوَلَّى وَالْإِعْرَاضِ مَا يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْإِتِّفَاعِ بِمَا سَمِعُوهُ.

وَأَمَّا سَمَاعُ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [البقرة: ٢٨٥] فَإِنَّ هَذَا سَمْعُ قَبُولٍ وَإِجَابَةٍ مُثْمَرٌ لِلطَّاعَةِ. وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ، وَأَنَّهُمْ أَخْبَرُوا بِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا الْمَسْمُوعَ وَفَهِمُوهُ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ.

وَمِنْ سَمْعِ الْقَبُولِ: قَوْلُهُ تَعَالَى {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} [التوبة: ٤٧] أَي قَابِلُونَ مِنْهُمْ مُسْتَجِيبُونَ لَهُمْ، هَذَا أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ فِي الْآيَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُيُونُ لَهُمْ وَجَوَاسِيسُ فَضَعِيفٌ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ حِكْمَتِهِ فِي تَثْبِيطِهِمْ عَنِ الْخُرُوجِ بِأَنْ خُرُوجَهُمْ يُوجِبُ الْخَبَالَ وَالْفَسَادَ، وَالسَّعْيَ بَيْنَ الْعَسْكَرِ بِالْفِتْنَةِ، وَفِي الْعَسْكَرِ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ، فَكَانَ فِي إِفْعَادِهِمْ عَنْهُمْ لُطْفًا بِهِمْ وَرَحْمَةً، حَتَّى لَا يَفْعُوا فِي عَنَتِ الْقَبُولِ مِنْهُمْ.

أَمَّا اشْتِمَالُ الْعَسْكَرِ عَلَى جَوَاسِيسٍ وَعُيُونٍ لَهُمْ فَلَا تَعْلُقَ لَهُ بِحِكْمَةِ التَّثْبِيطِ وَالْإِفْعَادِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَوَاسِيسَهُمْ وَعُيُونَهُمْ مِنْهُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَقْعَدَهُمْ لِنَلَا يَسْعُوا بِالْفَسَادِ فِي الْعَسْكَرِ، وَلِنَلَا يَبْغُوهُمْ الْفِتْنَةَ، وَهَذِهِ الْفِتْنَةُ إِنَّمَا تَنْدَفِعُ بِإِقْعَادِهِمْ، وَإِقْعَادِ جَوَاسِيسِهِمْ وَعُيُونِهِمْ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْجَوَاسِيسَ إِنَّمَا تُسَمَّى عُيُونًا هَذَا الْمَعْرُوفُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ لَا تُسَمَّى سَمَّاعِينَ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي إِخْوَانِهِمُ الْيَهُودِ {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلْسُّخْتِ} [المائدة: ٤٢] أَي قَابِلُونَ لَهُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ سَمَاعَ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ الْمُقَرَّرِينَ هُوَ سَمَاعُ الْقُرْآنِ بِالْإِغْتِبَارَاتِ الثَّلَاثَةِ: إِدْرَاكًا وَفَهْمًا، وَتَدْبِيرًا، وَإِجَابَةً. وَكُلُّ سَمَاعٍ فِي الْقُرْآنِ مَدَحَ اللَّهِ أَصْحَابَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ بِهِ أَوْلِيَائِهِ فَهُوَ هَذَا السَّمَاعُ.

وَهُوَ سَمَاعُ الْآيَاتِ، لَا سَمَاعُ الْأَنْبِيَاءِ، وَسَمَاعُ الْقُرْآنِ، لَا سَمَاعُ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، وَسَمَاعُ كَلَامِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لَا سَمَاعُ قَصَائِدِ الشُّعْرَاءِ، وَسَمَاعُ الْمَرَاشِدِ، لَا سَمَاعُ الْقَصَائِدِ، وَسَمَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، لَا سَمَاعُ الْمُعَنِّينَ وَالْمُطَرِّبِينَ.

فَهَذَا السَّمَاعُ حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَى جِوَارِ عِلَامِ الْغُيُوبِ، وَسَائِقٌ يَسُوقُ الْأَرْوَاحَ إِلَى دِيَارِ الْأَفْرَحِ، وَمُحَرِّكٌ يُثِيرُ سَاكِنِ الْعَزَمَاتِ إِلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ وَأَرْفَعَ الدَّرَجَاتِ، وَمُنَادٍ يُنَادِي لِلْإِيمَانِ، وَذَلِيلٌ يَسِيرُ بِالرَّكْبِ فِي طَرِيقِ الْجَنَانِ، وَدَاعٍ يَدْعُو الْقُلُوبَ بِالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ، مِنْ قَبْلِ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ.

فَلَمْ يُعَدِّمْ مَنْ اخْتَارَ هَذَا السَّمَاعَ إِرْشَادًا لِحُجَّتِهِ، وَتَبَصُّرَةً لِعِبْرَةٍ، وَتَذَكُّرَةً لِمَعْرِفَةِ، وَفِكْرَةً فِي آيَةٍ، وَدَلَالَةٍ عَلَى رُشْدٍ، وَرَدًّا عَلَى ضَلَالَةٍ، وَإِرْشَادًا مِنْ غِيٍّ، وَبَصِيرَةً مِنْ عَمَى، وَأَمْرًا بِمَصْلَحَةٍ، وَنَهْيًا عَنْ مَضَرَّةٍ وَمَفْسَدَةٍ، وَهِدَايَةً إِلَى نُورٍ، وَإِخْرَاجًا مِنْ ظُلْمَةٍ، وَزَجْرًا عَنْ هَوًى، وَحَثًّا عَلَى ثَقَى، وَجَلَاءً لِبَصِيرَةٍ، وَحَيَاةً لِقَلْبٍ، وَغِذَاءً وَدَوَاءً وَشِفَاءً، وَعِصْمَةً وَنَجَاةً، وَكَشَفَ شُبْهَةً، وَإِضَاحَ بُرْهَانٍ، وَتَحْقِيقَ حَقٍّ، وَإِبْطَالَ بَاطِلٍ.

وَنَحْنُ نَرْضَى بِحُكْمِ أَهْلِ الذَّوْقِ فِي سَمَاعِ الْآيَاتِ وَالْقَصَائِدِ، وَنُنَاشِدُهُمْ بِالَّذِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ هُدًى وَشِفَاءً وَنُورًا وَحَيَاةً هَلْ وَجَدُوا ذَلِكَ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ فِي الدُّفِّ وَالْمِزْمَارِ؟ وَنَعْمَةُ الشَّادِنِ وَمُطَرِّبَاتِ الْأَلْحَانِ؟. وَالْغِنَاءُ الْمُسْتَمَلُّ عَلَى تَهْيِيجِ الْحُبِّ الْمُطْلَقِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ مُحِبُّ الرَّحْمَنِ، وَمُحِبُّ الْأَوْطَانِ، وَمُحِبُّ الْإِخْوَانِ، وَمُحِبُّ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ، وَمُحِبُّ الْأَمْوَالِ وَالْأَثْمَانِ، وَمُحِبُّ النَّسْوَانِ وَالْمُرْدَانِ، وَمُحِبُّ الصُّلْبَانِ، فَهُوَ يَثِيرُ مِنْ قَلْبِ كُلِّ مُشْتَقٍ وَمُحِبٍّ لَشَيْءٍ سَاكِنُهُ، وَيُزَعِّجُ قَاطِنَهُ، فَيَثُورُ وَجَدُهُ، وَيَبْدُو شَوْقُهُ، فَيَتَحَرَّكُ عَلَى حَسَبِ مَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالشَّوْقِ وَالْوَجْدِ بِذَلِكَ الْمَحْبُوبِ كَانَتْ مَا كَانَ، وَلِهَذَا تَجِدُ لَهُؤُلَاءِ كُلَّهُمْ ذَوْقًا فِي السَّمَاعِ، وَحَالًا وَوَجْدًا وَبُكَاءً.

وَيَا لِلَّهِ الْعَجَبِ! أَيُّ إِيْمَانٍ وَنُورٍ وَبَصِيرَةٍ وَهُدًى وَمَعْرِفَةٍ تَحْصُلُ بِاسْتِمَاعِ آيَاتِ بِالْحَانَ وَتَوْفِيعَاتِ، لَعَلَّ أَكْثَرَهَا قِيلَتْ فِيمَا هُوَ مُحَرَّمٌ يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُعَاقِبُ عَلَيْهِ مِنْ غَزَلٍ وَتَشْنِيبِ بَمَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أُثْنِيَ؟ فَإِنَّ غَالِبَ التَّغَزُّلِ وَالتَّشْنِيبِ إِنَّمَا هُوَ فِي الصُّورِ الْمُحَرَّمَةِ، وَمَنْ أُنْذِرَ النَّادِرِ تَغَزُّلَ الشَّاعِرِ وَتَشْنِيبُهُ فِي امْرَأَتِهِ، وَأُمِّهِ وَأُمِّ وَلَدِهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا وَاقِعٌ لَكِنَّهُ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، فَكَيْفَ يَقَعُ لِمَنْ لَهُ أَدْنَى بَصِيرَةٍ وَحَيَاةٍ قَلْبٍ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ، وَيَزْدَادَ إِيْمَانًا وَقُرْبًا مِنْهُ وَكَرَامَةً عَلَيْهِ، بِالتَّذَادِ بِمَا هُوَ بَغِيضٌ إِلَيْهِ، مَقِيَّتٌ عِنْدَهُ، يَمَقُّتُ قَائِلُهُ وَالرَّاضِي بِهِ؟ وَتَتَرَقَّى بِهِ الْحَالُ حَتَّى يَزْعُمَ أَنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ لِقَلْبِهِ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؟!.

يَا لِلَّهِ! إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ مَخْسُوفٌ بِهِ، مَمْكُورٌ بِهِ مَنَكُوسٌ، لَمْ يَصْلُحْ لِحَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَأَذْوَاقِ مَعَانِيهِ، وَمُطَالَعَةِ أَسْرَارِهِ، فَبَلَّاهُ بِقُرْآنِ الشَّيْطَانِ، كَمَا فِي مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا أُنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ: يَا رَبِّ أَنْزَلْتَنِي

إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلْتَنِي رَجِيمًا أَوْ كَمَا ذَكَرَ فَاجْعَلْ لِي بَيْتًا، قَالَ: الْحَمَّامُ. قَالَ: فَاجْعَلْ لِي مَجْلِسًا، قَالَ: الْأَسْوَاقُ، وَمَجَامِعُ الطُّرُقِ. قَالَ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا. قَالَ: مَا لَا يُذَكَّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: اجْعَلْ لِي شَرَابًا، قَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ. قَالَ: اجْعَلْ لِي مُؤَدَّنًا، قَالَ: الْمَزَامِيرُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي قُرْآنًا. قَالَ: الشَّعْرُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي كِتَابًا، قَالَ: الْوَسْمُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي حَدِيثًا، قَالَ: الْكَذِبُ. قَالَ: اجْعَلْ لِي مَصَايِدَ، قَالَ: النَّسَاءُ^{٤٦٦}

الجرس مزامير الشيطان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ»^{٤٦٧}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ»^{٤٦٨}

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ مَوْلَاةً لَهُمْ ذَهَبَتْ بِابْنَةِ الزُّبَيْرِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَفِي رِجْلِهَا أَجْرَاسٌ، فَقَطَعَهَا عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مَعَ كُلِّ جَرَسٍ شَيْطَانًا»^{٤٦٩}

وَعَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، قَالَ: دَخَلَتْ جَارِيَةٌ عَلَى عَائِشَةَ وَفِي رِجْلِهَا حَلَاجِلُ فِي الْخَلْخَالِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «أَخْرِجُوا عَنِّي مُفَرَّقَةَ الْمَلَائِكَةِ»^{٤٧٠}
وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بَابِيهِ مَوْلَى أَبِي تَوْفَلٍ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ وَلَا تَصْحَبُ رُفْقَةً فِيهَا جَرَسٌ»^{٤٧١}

^{٤٦٦} - المعجم الكبير للطبراني (٨ / ٢٠٧) (٧٨٣٧) ضعيف

^{٤٦٧} - صحيح مسلم (٣ / ١٦٧٢) ١٠٤ - (٢١١٤)

^{٤٦٨} - صحيح مسلم (٣ / ١٦٧٢) ١٠٣ - (٢١١٣)

^{٤٦٩} - سنن أبي داود (٤ / ٩٢) (٤٢٣٠) فيه جهالة

^{٤٧٠} - جامع معمر بن راشد (١٠ / ٤٥٩) (١٩٦٩٩) فيه جهالة

^{٤٧١} - السنن الكبرى للنسائي (٨ / ٣٨٨) (٩٤٨٣) صحيح

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: بَيَّنَّمَا هِيَ عِنْدَهَا إِذْ دَخَلَ عَلَيْهَا بِحَارِيَّةٍ وَعَلَيْهَا جَلَاجِلٌ يُصَوِّتْنَ، فَقَالَتْ: لَا تُدْخِلْنَهَا عَلَيَّ إِلَّا أَنْ تَقْطَعُوا جَلَاجِلَهَا، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ»^{٤٧٢}

١٩ - تهاون المسلمين في تحقيق ما أمروا به :

إذا التزم المسلم بإسلامه فإن الشيطان لا يجد سبيلاً لإضلاله والعبث به، فإذا تهاون وتكاسل في بعض الأمور، فإن الشيطان يجد فرصة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) { [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

يَدْعُو اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَخْذِ بِجَمِيعِ غُرَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، وَالْعَمَلِ بِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وَيُرْشِدُهُمْ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِتِّفَاقُ وَالِاتِّحَادُ، لَا التَّفَرُّقُ وَالْإِنْفِسَامُ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَجْتَنِبُوا مَا يَأْمُرُهُمُ بِهِ الشَّيْطَانُ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَيَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، وَلِهَذَا كَانَ الشَّيْطَانُ عَدُوًّا بَيِّنَ الْعَدَاوَةِ لِلْإِنْسَانِ.

فَإِنْ عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَحَدَّثْتُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي دَعَاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ السِّلْمُ، وَسَرَّيْتُمْ فِي طَرِيقِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ طَرِيقُ الْخِلَافِ وَالْإِفْتِرَاقِ، بَعْدَ مَا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى أَنَّ صِرَاطَ اللَّهِ هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ، فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فِي انتِقَامِهِ، لَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، حَكِيمٌ فِي أَحْكَامِهِ، وَفِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ.^{٤٧٣}

فالدخول في الإسلام في كل الأمور هو الذي يخلص من الشيطان، فمثلاً إذا كانت صفوف المصلين مرصوفة، فإن الشياطين لا تستطيع أن تتخلل المصلين، فإذا تُركت فُرْجٌ بين الصفوف، فإن الشياطين تتراقص بين صفوف المصلين؛ فعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

^{٤٧٢} - سنن أبي داود (٩٢ / ٤) (٤٢٣١) حسن-الجلال: جمع الجلال وهو الجرس الصغير وقد يتخذ إناء

^{٤٧٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢١٥، بترقيم الشاملة آيا)

ﷺ: " أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ لَا يَتَخَلَّلَكُمْ كَأُولَادِ الْحَذَفِ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَوْلَادُ
 الْحَذَفِ؟ قَالَ: " سُودٌ جُرْدٌ، تَكُونُ بِأَرْضِ الْيَمَنِ " ٤٧٤
 وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَاصُوا الصُّفُوفَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّيَاطِينَ
 تَخَلَّلَكُمْ كَأَنَّهَا أَوْلَادُ الْحَذَفِ» ٤٧٥
 وَعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، وَتَرَاصُوا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرَى
 الشَّيَاطِينَ بَيْنَ صُفُوفِكُمْ كَأَنَّهَا غَنَمٌ عُفْرٌ. ٤٧٦



٤٧٤ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٠ / ٥٨٣) (١٨٦١٨) صحيح
 قال السندي: قوله: كأولاد الحذف. يفتح حاء مهملة وذل معجمة: هي الغنم الصغار الحجازية، جمع حذفة، يفتحين
 أيضاً، والمراد الشياطين، فإنها تدخل في أوساط الصفوف، كأولاد الحذف. = جرد، أي: ليس على جلدها شعر، والله تعالى
 أعلم.
 ٤٧٥ - مسند أبي يعلى الموصلي (٤ / ٤٧٤) (٢٦٠٧) صحيح لغيره
 ٤٧٦ - مسند أبي الطيب السبي - طبعة دار هجر - مصر (٤ / ٢٨) (٢٢٢٢) وصحيح الجامع (١١٩٤) صحيح لغيره
 "تراصوا": تلاصقوا بغير خلل. "غنم عفر": أي بيض ليس بياضها بناصع.

المبحث الثالث عشر

كيف يصل الشيطان بوسوسته إلى نفس الإنسان

١ - الوسوسة:

الشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بطريقة لا ندركها، ولا نعرفها، يساعده على ذلك طبيعته التي خلق عليها، وهذا هو الذي نسميه بالوسوسة، وقد أخبرنا الله بذلك إذ سماه: {الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} [الناس: ٤ - ٦].

أي من شرّ الشَّيْطَانِ الْمَوْسُوسِ، الكثير الاختفاء عن أعين الناس، الذي يذهب بالنفس إلى أسوأ مصير إذا أطاعت وسوسته، وأنسأقت معه. وهذا الوسواس الخناس يوسوس في صدور الناس، ويؤثر فيهم الشرّ والساء ليصرفهم عن سبيل الهدى والإيمان. وقد يكون هذا الوسوس من الجن، وقد يكون من البشر.^{٤٧٧}

قال ابن كثير في تفسيره: عن ابن عباس في قوله: {الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسِ} قال: الشَّيْطَانُ جَاءَهُمْ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسَّوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَّسَ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ: ذَكَرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ، أَوْ: الْوَسْوَاسَ يَنْفُثُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْحُزْنِ وَعِنْدَ الْفَرَحِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَّسَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {الْوَسْوَاسِ} قَالَ: هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْمُرُ، فَإِذَا أُطِيعَ خَنَّسَ.

وقوله: {الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكُونون قد دخلوا في لفظ الناس تعليلًا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم (رجال من الجن) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.

^{٤٧٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٦١١١، بترقيم الشاملة آليا)

وَقَوْلُهُ: {مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ} هَلْ هُوَ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: {الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} ثُمَّ بَيَّنَّهُمْ فَقَالَ: {مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ} وَهَذَا يُقَوِّي الْقَوْلَ الثَّانِي. وَقِيلَ قَوْلُهُ: {مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ} تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: ١١٢] ٤٧٨

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَلَمَّا رَجَعَتْ مَشَى مَعَهَا، فَأَبْصَرَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ دَعَاهُ فَقَالَ: "تَعَالَ هِيَ صَفِيَّةٌ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانٌ: هَذِهِ صَفِيَّةٌ -، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ" ٤٧٩

وَعَنِ الْمَقْدَادِ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنْ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَعْتَزَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اِحْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا»، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهَا نَصِيبَهُ، وَتَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبُهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْحَدَ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيَتَحَفُّونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلْتُ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَدَمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، مَا صَنَعْتَ أَشْرَبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَيَّ شِمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمِي خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِئُنِي التَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى

٤٧٨ - تفسير ابن كثير ت سلامة (٨ / ٥٤٠) وانظر الدر المنثور في التفسير بالماثور (٨ / ٦٩٤)

٤٧٩ - صحيح البخاري (٣ / ٥٠) (٢٠٣٩)

[ش (يدراً) يدفع عن نفسه ما يوجه إليه من سوء بالقول أو الفعل. (وهل هو إلا ليل) فهل الإتيان منها في وقت إلا في الليل لأنهن ما كن يخرجن في النهار]

الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْزُرِ أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفْلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِّالِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَشْرَبْتُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاولَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوَى وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِحْدَى سَوَاتِكَ يَا مَقْدَادُ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصَيِّبَانِ مِنْهَا»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتُهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ" ٤٨٠

وَعَنِ الْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ، فَتَعَرَّضْنَا لِلنَّاسِ فَلَمْ يُضِفْنَا أَحَدٌ، فَأَنْطَلَقَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ وَعِنْدَهُ أَرْبَعُ

٤٨٠ - صحيح مسلم (٣/ ١٦٢٥) ١٧٤ - (٢٠٥٥)

[ش (الجهد) بفتح الجيم هو الجوع والمشقة (فليس أحد منهم يقبلنا) هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به (ما به حاجة إلى هذه الجرعة) هي بضم الجيم وفتحها حكاهما ابن السكيت وغيره والفعل منه جرعت (وغلط في بطني) أي دخلت وتمكنت منه (حافلة) الحفل في الأصل الاجتماع قال في القاموس الحفل والحفول والحفيل الاجتماع يقال حفل الماء واللبن حفلا وحفولا وحفيلا إذا اجتمع وكذلك يقال حفله إذا جمعه ويقال للضرع المملوء باللبن ضرع حافل وجمعه حفل ويطلق على الحيوان كثير اللبن حافلة بالتأنيث (رغوة) هي زيد اللبن الذي يعلوه وهي بفتح الراء وضمها وكسرهما ثلاث لغات مشهورات ورغوة بكسر الراء وحكي ضمها ورغاية بالضم وحكى الكسر وارتغيت شربت الرغوة (فلما عرفت الخ) معناه أنه كان عنده حزن شديد خوفا من أن يدعو عليه النبي ﷺ لكونه أذهب نصيب النبي ﷺ وتعرض لأذاه فلما علم أن النبي ﷺ قد روي وأجبت دعوته فرح وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكته لذهاب ما كان به من الحزن وانقلابه مسرورا بشرب النبي ﷺ وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه وجريان ذلك على يد المقداد وظهور هذه المعجزة (إحدى سوءاتك) أي أنك فعلت سوءة من الفعلات فما هي (ما هذه إلا رحمة من الله) أي إحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته وإن كان الجميع من فضل الله]

أَعْنَزُ، فَقَالَ لِي: " يَا مِقْدَادُ، جَزَّيْ أَلْبَانَهَا بَيْنَنَا أَرْبَاعًا "، فَكُنْتُ أُجْزُّهُ بَيْنَنَا أَرْبَاعًا، فَاحْتَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَتَى بَعْضَ الْأَنْصَارِ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، وَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، فَلَوْ شَرِبْتُ نَصِيْبَهُ، فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُمْتُ إِلَى نَصِيْبِهِ فَشَرِبْتُهُ، ثُمَّ غَطَيْتُ الْقَدَحَ، فَلَمَّا فَرَعْتُ أَخَذَنِي مَا قَدُمُ وَمَا حَدَثُ، فَقُلْتُ: يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَائِعًا وَلَا يَجِدُ شَيْئًا فَتَسَجَّيْتُ، وَجَعَلْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ تَسْلِيمَةً يُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، وَلَا يُوقِظُ النَّائِمَ، ثُمَّ أَتَى الْقَدَحَ فَكَشَفَهُ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَقَالَ: " اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي "، وَاعْتَنَنْتُ الدَّعْوَةَ، فَقُمْتُ إِلَى الشَّفْرَةِ فَأَخَذْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ الْأَعْنَزَ فَجَعَلْتُ أَجْسُهَا أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَلَا تَمُرُّ يَدَيَّ عَلَى ضَرْعٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا وَجَدْتُهَا حَافِلًا، فَحَلَبْتُ حَتَّى مَلَأْتُ الْقَدَحَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: " بَعْضُ سَوَاتِكَ يَا مِقْدَادُ، مَا الْخَبَرُ؟ " قُلْتُ: اشْرَبْ، ثُمَّ الْخَبَرَ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: " مَا الْخَبَرُ؟ " فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: " هَذِهِ بَرَكَةٌ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَلَّا أَعْلَمْتَنِي حَتَّى نَسْقِيَ صَاحِبِينَا " فَقُلْتُ: إِذَا أَصَابَتْنِي وَإِيَّاكَ الْبَرَكَةُ فَمَا أُبَالِي مَنْ أَخْطَأْتُ ". ٤٨١

النهي عن البول في المغتسل:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقِلٍ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْبُولَ فِي الْمَغْتَسَلِ وَقَالَ: " إِنْ مِنْهُ الْوَسْوَاسُ ". ٤٨٢
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقِلٍ، قَالَ: نُهِيَ أَوْ زُجِرَ أَنْ يُبَالَ فِي الْمَغْتَسَلِ. ٤٨٣
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقِلٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَبُولُ فِي مَغْتَسَلِهِ؟ قَالَ: " يُخَافُ مِنْهُ الْوَسْوَاسُ ". ٤٨٤
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقِلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ، فَإِنْ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ» ٤٨٥

٤٨١ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٢٢٨) (٢٣٨٠٩) صحيح

٤٨٢ - السنن الكبرى للبيهقي (١/ ١٦٠) (٤٧٥) صحيح

٤٨٣ - المستدرک علی الصحیحین - دار المعرفة بیروت (١/ ١٨٥) (٦٦٣) صحيح

٤٨٤ - السنن الكبرى للبيهقي (١/ ١٦٠) (٤٧٧) صحيح

٤٨٥ - السنن الكبرى للنسائي (١/ ٨٥) (٣٣) صحيح وآخره موقوف

وبهذه الوسوسة أضل آدم وأغواه بالأكل من الشجرة: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].
فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ نَاصِحٍ مُّشْفِقٍ، وَحَاوَلَ إِغْرَاءَهُ وَإِضْلَالَهُ لِيُخَالَفَ مَا عَاهَدَ إِلَيْهِ رَبُّهُ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ الشَّجَرَةَ الَّتِي نَهَاكَمَّا اللَّهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا هِيَ شَجَرَةُ الْخُلْدِ، مَنْ أَكَلَ مِنْهَا أَصْبَحَ مِنَ الْخَالِدِينَ، وَأَصْبَحَ ذَا سُلْطَانٍ، وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ وَلَا يَنْتَهِي، فَضَعُفَ آدَمُ وَزَوَّجَهُ تَحَاةَ هَذَا الْإِغْرَاءِ بِالْمُلْكِ، وَالْعُمُرِ الْمَدِيدِ، وَنَسِيَ مَا عَاهَدَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمَا، فَأَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ.^{٤٨٦}

وقد تتمثل الشياطين في صورة بشر، وقد يحسدون الإنسان، ويسمعونه، ويأمرونه، وينهونه، بمرادهم...

وقال ابن تيمية رحمه الله: "الْوَسْوَاسُ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: لَا يَمْنَعُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنْ تَدْبِيرِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي فِي الصَّلَاةِ بَلْ يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْخَوَاطِرِ فَهَذَا لَا يُبْطِلُ الصَّلَاةَ؛ لَكِنْ مَنْ سَلِمَتْ صَلَاتُهُ مِنْهُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَمْ تَسْلَمْ مِنْهُ صَلَاتُهُ. الْأَوَّلُ شِبْهُ حَالِ الْمُقَرَّبِينَ وَالثَّانِي شِبْهُ حَالِ الْمُقْتَصِدِينَ. وَأَمَّا الثَّانِي: فَهُوَ مَا مَنَعَ الْفَهْمَ وَشُهُودَ الْقَلْبِ بَحَيْثُ يَصِيرُ الرَّجُلُ غَافِلًا فَهَذَا لَا رَيْبَ أَنَّهُ يَمْنَعُ الثَّوَابَ كَمَا رَوَى عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَخَفَّفَهُمَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، أَرَأَيْكَ قَدْ خَفَّفْتَهُمَا، قَالَ: إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا الْوَسْوَاسَ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، أَوْ ثَمَنُهَا، أَوْ سَبْعُهَا، أَوْ سُدُسُهَا» حَتَّى آتَى عَلَى الْعَدَدِ.^{٤٨٧}

مستحمة: المستحمة: موضع الاستحمام، وهو الاغتسال، وسمي مستحمة باسم الحميم، وهو الماء الحار الذي يغتسل به، وإنما ينهى عن ذلك إذا كان المكان صلباً، أو لم يكن له مسلك يذهب فيه البول ويسيل، فيوهم المغتسل أنه أصابه شيء من قطره ورشاشه، فيحصل منه الوسواس، (والوسواس) ما يحصل في النفس من الأحاديث والأفكار التي تزعجه، ولا تدعه يستقر على حال. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (١١٨ / ٧)

^{٤٨٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٤٣٥، بترقيم الشاملة آليا)

^{٤٨٧} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٥ / ٢١٠) (١٨٨٩) صحيح

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ قَدْ لَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا الْعَشْرُ... وَلَكِنْ هَلْ يُبْطِلُ الصَّلَاةَ وَيُوجِبُ الْإِعَادَةَ ؟ فِيهِ تَفْصِيلٌ. فَإِنَّهُ إِنْ كَانَتْ الْعَفْلَةُ فِي الصَّلَاةِ أَقَلَّ مِنَ الْحُضُورِ وَالْعَالِبُ الْحُضُورُ لَمْ تَجِبِ الْإِعَادَةُ، وَإِنْ كَانَ الثَّوَابُ نَاقِصًا فَإِنَّ النُّصُوصَ قَدْ تَوَاتَرَتْ بِأَنَّ السَّهْوَ لَا يُبْطِلُ الصَّلَاةَ وَإِنَّمَا يُجْبَرُ بَعْضُهُ بِسَجْدَتَيْ السَّهْوِ، وَأَمَّا إِنْ غَلَبَتِ الْعَفْلَةُ عَلَى الْحُضُورِ فَبِهِ لِلْعُلَمَاءِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ صَحَّتْ فِي الظَّاهِرِ كَحَقْنِ الدَّمِ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَ الصَّلَاةِ لَمْ يَحْصُلْ فَهُوَ شَبِيهُ صَلَاةِ الْمُرَائِي، فَإِنَّهُ بِالِاتِّفَاقِ لَا يَبْرَأُ بِهَا فِي الْبَاطِنِ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ حَامِدٍ وَأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ وَغَيْرِهِمَا .

وَالثَّانِي: تَبْرَأُ الذِّمَّةُ فَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ وَإِنْ كَانَ لَا أَجَرَ لَهُ فِيهَا وَلَا ثَوَابَ بِمَنْزِلَةِ صَوْمٍ الَّذِي لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلُ بِهِ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ. وَهَذَا هُوَ الْمَأْثُورُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَاسْتَدْلُوا بِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا تُوبَ بِهَا أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّوْبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَذْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَذْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ" ٤٨٨

فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الشَّيْطَانَ يُذَكِّرُهُ بِأُمُورٍ حَتَّى لَا يَذْرِي كَمْ صَلَّى، وَأَمَرَهُ بِسَجْدَتَيْنِ لِلْسَّهْوِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالْإِعَادَةِ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. وَهَذَا الْقَوْلُ أَشْبَهُ وَأَعْدَلُ؛ فَإِنَّ النُّصُوصَ وَالْآثَارَ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْأَجَرَ وَالثَّوَابَ مَشْرُوطٌ بِالْحُضُورِ لَا تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْإِعَادَةِ لَا بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ٤٨٩

هل يعلم الشيطان بما توسوس به نفس الإنسان ؟

٤٨٨ - صحيح البخاري (٢/ ٦٩) (١٢٣١) وصحيح مسلم (١/ ٢٩١) ١٦ - (٣٨٩)

(وله ضراط) تمثيل لشدة خوفه عند إداره أو يكون ذلك حقيقة لشدة خوفه أيضا. (توب) أقم للصلاة وهو المراد

هنا. (النداء) الأذان. (يخطر) يوسوس ويشغل المصلي عما هو فيه]

٤٨٩ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٢٢/ ٦١١)

لقد ذكر صاحب كتاب آكام المرجان بابا سماه "إخبار الوسواس بما وقع في قلب ابن آدم"^{٤٩٠} وساق بعض الأخبار التي يصح منها خبر واحد عن المعصوم ولا عمن روى عنهم، بين في هذه الأخبار أن الجن قد تعلم ما يوسوس به الإنسان في نفسه ثم تخبر الناس فيه، وهو أمر في غاية الخطورة، والفساد، ولا يجوز تصديق ذلك بتاتا لأنه يفضي إلى كشف أسرار الناس والإيقاع بينهم، والفتن والحروب، بل وفساد والمجتمعات الإنسانية .

وهذا أمر لم يعطه الله تعالى لأحد من خلقه إلا على سبيل المعجزة الخارقة للعادة لبعض الرسل كما في حديث وابصة ونحوه^{٤٩١}

وقد بين تعالى أنه يعلم كل شيء عن الإنسان، بما في وسوسة النفس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ [ق: ١٦ - ١٨]

يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى قُدْرَتَهُ عَلَى بَعْثِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَأْتُهُ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَأَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمٍ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأُمُورِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مَا يَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ فِكْرٍ، وَمَا تُحَدِّثُهُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ عَمَلٍ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا . ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْإِنْسَانَ تَحْتَ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقَهْرِهِ، وَإِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ الْمُكَلَّفِينَ بِحِفْظِ الْإِنْسَانِ وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِ هُمْ مُلَازِمُونَ لَهُ دَائِمًا، حَتَّى إِنَّهُمْ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ أَقْرَبُ مِنَ الْوَرِيدِ الَّذِي يَمْتَدُّ فِي عُنُقِهِ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَائِكِينَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ يَرْقُبَانِهِ وَيَتَرَصَّدَانِهِ، وَيُحْصِيَانِ عَلَيْهِ كُلَّ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيَكْتُبَانِهِ . مَلَكٌ عَنْ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَمَلَكٌ عَنْ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ . وَلَا يَصُدُّ عَنْ

^{٤٩٠} - آكام المرجان في أحكام الجنان (ص: ٢٢٤)

^{٤٩١} - انظر دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (٦ / ٢٩٢) بَابُ مَا رُوِيَ فِي إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ السَّائِلَ بِمَا أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْهُ قَبْلَ سُؤَالِهِ

الإنسان لفظ أو كلمة إلا ولديه ملك حاضر معه، مراقب لأعماله يُثبِتُها في صَحِيفَتِهِ
٤٩٢ .

بل إن صحابة رضي الله عنهم أصابهم خوف شديد إذا كان يسجل عليهم حديث النفس ويحاسبون به، وذلك عندما نزل قول الله تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٨٤]

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهِنَّ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِيهِنَّ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ وَلَا الظُّوَاهِرُ، وَأَنَّهُ سَيَحَاسِبُ عِبَادَهُ عَلَى مَا فَعَلُوهُ، وَمَا أَخْفَوْهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٤٩٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، كُلُّنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نَطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نَطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَثْرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: {أَمَّا الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَهِ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

٤٩٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٥٢٥، بترقيم الشاملة آليا)

٤٩٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٥٢٥، بترقيم الشاملة آليا)

{أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ:نَعَمْ " {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ:نَعَمْ " {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ:نَعَمْ " {وَاغْفِرْ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٦] " قَالَ:نَعَمْ" ٤٩٤

وقد بين النبي ﷺ أن الله تعالى عفا عن الوسوسة وحديث النفس ما لم يتبعه قول أو عمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» قَالَ قَتَادَةُ: «إِذَا طَلَّقَ فِي نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ» ٤٩٥

وعن أبي هريرة ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي كُلِّ شَيْءٍ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ " ٤٩٦

قَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ الَّذِي حَدَّثَنَا هَؤُلَاءِ جَمِيعًا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَيْهِ هُوَ: حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا بِالضَّبِّ ، فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى حَدِيثِهَا بِهِ أَنْفُسَهَا ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ يُخَالِفُونَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا بِالرَّفْعِ ، وَأَنَّ أَنْفُسَهَا حَدِيثُهَا بِهِ عَنْ غَيْرِ اخْتِيَارِهَا إِيَّاهُ ، وَلَا اجْتِنَابِهَا لَهُ مِنْهَا ، قَالُوا: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦] قَالُوا: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَذَكِّرُوا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: إِنِّي أَحَدْتُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ ؛ لَأَنْ أُخْرِجَ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ فَقَالَ: " ذَاكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ أَوْ قَالَ: صَرِيحُ الْإِيمَانِ " (صحيح)

وعن ابن عباس، أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَنَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالشَّيْءِ ، لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، فَقَالَ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى الْوَسْوَسَةِ " (صحيح)

٤٩٤ - صحيح مسلم (١/ ١١٥) ١٩٩ - (١٢٥)

٤٩٥ - صحيح البخاري (٧/ ٤٦) (٥٢٦٩) وصحيح مسلم (١/ ١١٦) ٢٠١ - (١٢٧)

٤٩٦ - شرح مشكل الآثار (٤/ ٣٢٢) (١٦٣٥) صحيح

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَحَدِّثُ أَنْفُسَنَا بِالشَّيْءِ لَأَنْ نَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى الْوَسْوَسةِ " (صحيح)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: إِنِّي أَحَدْتُ نَفْسِي بِشَيْءٍ وَلَأَنْ أَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ فَقَالَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ " (صحيح)

قَالُوا: وَهَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ فِيهِ: وَإِنْ أَحَدْنَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ، وَهُوَ مِمَّا ذَكَرَهُ عَنْهُ ابْنُ مَسْعُودٍ ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ أَوْ مَحْضُ الْإِيمَانِ ، أَوْ لَتَوْقِيكُمْ أَنْ تَقُولُوا ذَلِكَ بِاللَّسْتِكُمْ فَتُؤْخَذُونَ بِهِ ، فَكَانَ تَوْقِيكُمْ ذَلِكَ وَمَنْعَ أَنْفُسِكُمْ مِنْهُ إِيمَانًا وَمَا ذَكَرَهُ عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَهُوَ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكُمْ إِلَّا عَلَى الْوَسْوَسةِ ، أَوْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ ، الَّتِي لَا تُؤْخَذُونَ بِهَا بَلْ تُثَابُونَ عَلَى تَوْقِيكُمْ أَنْ تُطْلَقُوهَا " قَالُوا: وَهَذَا الْحَدِيثُ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ فِيهِ: إِنْ أَحَدْنَا تُحَدِّثُ نَفْسَهُ ، أَوْ إِنَّا نَحَدِّثُ أَنْفُسَنَا ، فَإِنَّ جَوَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ هُوَ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَإِلَيْهِ قَصَدَ بِهِ ، وَهُوَ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى الْوَسْوَسةِ " أَوْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ " فَعَادَ ذَلِكَ إِلَى وَسْوَاسِهِ أَنْفُسَهُمْ بِمَا تَوَسَّسُوهُمْ بِهِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَتَأَمَّلْنَا نَحْنُ هَذَا الْحَدِيثَ وَهَلْ يَحْتَمِلُ خِلَافَ مَا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ فِيهِ ، مِمَّا يُوَافِقُ مَا كَانَ الَّذِينَ أَخَذْنَاهُ عَنْهُمْ حَدَّثُونَا بِهِ ، مِمَّا يَعُودُ إِلَى مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا بِالنَّصْبِ أَمْ لَا ، فَوَجَدْنَا مِنْهُ ذِكْرَ التَّجَاوُزِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ فِي أُمَّتِهِ عَمَّا تَجَاوَزَ لَهَا عَنْهُ ، فَكَانَ التَّجَاوُزُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ مَا لَوْ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَنْهُ ، لَكَانُوا مُعَاقِبِينَ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ مِمَّا قَدْ عَقَلْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَغْفُورِ عَنْهَا ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُجْتَلَبَةِ بِالْهَمُومِ بِهَا ، فَكَانَ وَجْهُ ذَلِكَ عِنْدَنَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، عَلَى مَا يَهُمُّ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي لِيَعْمَلَهَا ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَنْهُمْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُؤْخَذْهُمْ بِهِ وَلَمْ يُعَاقِبْهُمْ عَلَيْهِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا

فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا ، وَإِذَا هُمْ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَلَا تَكْتُبُوهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ هُوَ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً " (صحيح)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: سَمِعْتُ يُوسُفَ يَقُولُ: ثُمَّ قَرَأْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى سُفْيَانَ ، بَعْدَ أَنْ حَدَّثَنَا بِهِ ، فَرَأَدَنِي فِي الْحَسَنَةِ: " فَاكْتُبُوهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ " ، وَرَأَدَنِي فِي السَّيِّئَةِ: " فَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ خَشْيَتِي " فَانْتَفَى بِذَلِكَ مَا أَدْعَاهُ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، مِمَّا قَدْ ذَكَرْنَاهُ مَعَهُمْ ، وَعَادَ الْحَدِيثُ إِلَى مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا بِالنَّصَبِ ، كَمَا تَقْلُوهُ إِلَيْنَا ، لَا بِالرَّفْعِ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ " ٤٩٧

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " قال الكرمانى: فيه أن الوجود الذهني لا أثر له وإنما الاعتبار بالوجود القولي في القوليّات والعمليّ في العملّيات، وقد احتج به من لا يرى المؤاخذه بما وقع في النفس ولو عزم عليه، وانفصل من قال يؤاخذ بالعزم بأنه نوع من العمل يعني عمل القلب.

قلت: وظاهر الحديث أن المراد بالعمل عمل الجوارح لأن المفهوم من لفظ " ما لم يعمل " يشعر بأن كل شيء في الصدر لا يؤاخذ به سواء توطن به أم لم يتوطن، وقد تقدّم البحث في ذلك في أواخر الرقاق في الكلام على حديث " من هم بسَيِّئَةٍ لا تُكْتَبَ عَلَيْهِ.

وفي الحديث إشارة إلى عظيم قدر الأمة المحمّدية لأجل نبينا ﷺ لقوله: "تجاوز لي " وفيه إشعار باختصاصها بذلك، بل صرح بعضهم بأنه كان حكم الناسي كالعالم في الإثم، وأن ذلك من الإصر الذي كان على من قبلنا. ٤٩٨

٢ - تمثل الشياطين:

أحياناً تأتي الشياطين لا بطريق الوسوسة؛ بل تتراءى له في صورة إنسان، وقد يسمع الصوت، ولا يرى الجسم، وقد تتشكل بصور غريبة... وهي أحياناً تأتي الناس وتعرفهم

٤٩٧ - شرح مشكل الآثار (٤/ ٣٢٣) فما بعد

٤٩٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (١١/ ٥٥٢)

بأنها من الجن، وفي بعض الأحيان تكذب في قولها، فتزعم أنها من الملائكة، وأحياناً تسمي نفسها برجال الغيب، أو تدعي أنها من عالم الأرواح.... وهي في كل ذلك تحدث بعض الناس، وتخبرهم بالكلام المباشر، أو بوساطة شخص منهم يسمى الوسيط، تتلبس وتحدث على لسانه، وقد تكون الإجابة بوساطة الكتابة وقد تقوم بأكثر من ذلك، فتحمل الإنسان، وتطير به في الهواء، وتنقله من مكان إلى مكان، وقد تأتي له بأشياء يطلبها، ولكنها لا تفعل هذا إلا بالضالين، الذين يكفرون بالله رب الأرض والسموات، أو يفعلون المنكرات والموبقات.... وقد يتظاهر هؤلاء بالصالح والتقوى، ولكنهم في حقيقة أمرهم من أضل الناس وأفسقهم، وقد ذكر القدامى والحدثون من هذا شيئاً كثيراً، لا مجال لتكذيبه والطعن فيه؛ لبلوغه مبلغ التواتر.

فمن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحلاج قال: "وَكَانَ مِنْ "مَخَارِقِهِ" أَنَّهُ بَعَثَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَى مَكَانٍ فِي الْبَرِّيَّةِ يُخْبِئُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْفَاكِهَةِ وَالْحَلَوَى ثُمَّ يَجِيءُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَى قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا تَشْتَهُونَ أَنْ آتِيَكُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ؟ فَيَسْتَهِي أَحَدُهُمْ فَاكِهَةً أَوْ حَلَاوَةً فَيَقُولُ: أَمْكُثُوا؛ ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ وَيَأْتِي بِمَا خَبَأَ أَوْ بِيَعُضِهِ فَيَظُنُّ الْحَاضِرُونَ أَنَّ هَذِهِ كَرَامَةٌ لَهُ وَكَانَ صَاحِبُ سِيمَا وَشَيَاطِينٍ تَخْدُمُهُ أحياناً كَانُوا مَعَهُ عَلَى جَبَلٍ أَبِي قَبِيْسٍ فَطَلَبُوا مِنْهُ حَلَاوَةً فَذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُمْ وَجَاءَ بِصَحْنٍ حَلَوَى فَكَشَفُوا الْأَمْرَ فَوَجَدُوا ذَلِكَ قَدْ سُرِقَ مِنْ دُكَّانٍ حَلَاوِي بِالْيَمَنِ حَمَلَهُ شَيْطَانٌ مِنْ تِلْكَ الْبُقْعَةِ. وَمِثْلُ هَذَا يَحْصُلُ كَثِيرًا لِغَيْرِ الْحَلَّاجِ مِمَّنْ لَهُ حَالٌ شَيْطَانِيٌّ وَنَحْنُ نَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ فِي زَمَانِنَا وَغَيْرِ زَمَانِنَا: مِثْلُ شَخْصٍ هُوَ الْآنَ بِدِمَشْقَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَحْمِلُهُ مِنْ جَبَلِ الصَّالِحِيَّةِ إِلَى قَرْيَةٍ حَوْلَ دِمَشْقَ فَيَجِيءُ مِنَ الْهَوَى إِلَى طَاقَةِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ النَّاسُ فَيَدْخُلُ وَهُمْ يَرَوْنَهُ. وَيَجِيءُ بِاللَّيْلِ إِلَى "بَابِ الصَّغِيرِ" فَيَعْبُرُ مِنْهُ هُوَ وَرُفْقَتُهُ وَهُوَ مِنْ أَفْجَرِ النَّاسِ. وَآخِرُ كَانَ بِالشَّوَيْكِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: "الشَّاهِدَةُ" يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُ وَكَانَ شَيْطَانٌ يَحْمِلُهُ وَكَانَ يَقَطْعُ الطَّرِيقَ. وَأَكْثَرُهُمْ شَيْوُخُ الشَّرِّ يُقَالُ لِأَحَدِهِمْ "الْبُؤْيُ" أَيْ الْمُخْبَثُ

يَنْصِبُونَ لَهُ حَرَكَاتٍ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَيَصْنَعُونَ خُبْرًا عَلَى سَبِيلِ الْقُرْبَاتِ فَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ وَلَا كِتَابٌ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ؛ ثُمَّ يَصْعَدُ ذَلِكَ الْبَوَاءُ فِي الْهَوَى وَهُمْ يَرَوْنَهُ. وَيَسْمَعُونَ خَطَابَهُ لِلشَّيْطَانِ وَخِطَابَ الشَّيْطَانِ لَهُ وَمَنْ ضَحِكَ أَوْ شَرَقَ بِالْخُبْرِ ضَرَبَهُ الدَّفُّ. وَلَا يَرُونَ مَنْ يَضْرِبُ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانِ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ مَا يَسْأَلُونَهُ عَنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَقْرَبُوا لَهُ بَقْرًا وَخَيْلًا وَغَيْرَ ذَلِكَ وَأَنْ يَخْنُقُوهَا خَنْقًا وَلَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا فَإِذَا فَعَلُوا قَضَى حَاجَتَهُمْ. وَشَيْخٌ آخَرُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كَانَ يَزْنِي بِالنِّسَاءِ وَيَتَلَوَّطُ بِالصَّبِيَّانِ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ " الْحَوَارَاتُ " وَكَانَ يَقُولُ: يَا تَيْنِي كَلْبُ أَسْوَدَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نُكْتَتَانِ بَيَضَاوَانِ فَيَقُولُ لِي: فُلَانٌ إِنْ فُلَانًا نَذَرَ لَكَ نَذْرًا وَغَدًا يَأْتِيكَ بِهِ وَأَنَا قَضَيْتُ حَاجَتَهُ لِأَجْلِكَ فَيُصْبِحُ ذَلِكَ الشَّخْصُ يَأْتِيهِ بِذَلِكَ النَّذْرِ؛ وَيُكَاشِفُهُ هَذَا الشَّيْخُ الْكَافِرُ. قَالَ: وَكُنْتُ إِذَا طَلَبَ مِنِّي تَغْيِيرَ مِثْلِ اللَّاذِنِ أَقُولُ حَتَّى أَغِيبَ عَنْ عَقْلِي؛ وَإِذَا بِاللَّاذِنِ فِي يَدِي أَوْ فِي فَمِي وَأَنَا لَا أَدْرِي مَنْ وَضَعَهُ قَالَ: وَكُنْتُ أَمْشِي وَبَيْنَ يَدَيَّ عَمُودٌ أَسْوَدٌ عَلَيْهِ نُورٌ. فَلَمَّا تَابَ هَذَا الشَّيْخُ وَصَارَ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَحْتَنِبُ الْمَحَارِمَ: ذَهَبَ الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ وَذَهَبَ التَّغْيِيرُ؛ فَلَا يُؤْتَى بِلَاذِنٍ وَلَا غَيْرِهِ. وَشَيْخٌ آخَرُ كَانَ لَهُ شَيَاطِينُ يُرْسِلُهُمْ يَصْرَعُونَ بَعْضُ النَّاسِ فَيَأْتِي أَهْلَ ذَلِكَ الْمَصْرُوعِ إِلَى الشَّيْخِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ إِبْرَاءَهُ فَيُرْسِلُ إِلَى أَتْبَاعِهِ فَيَفَارِقُونَ ذَلِكَ الْمَصْرُوعَ وَيُعْطُونَ ذَلِكَ الشَّيْخَ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً. وَكَانَ أَحْيَانًا تَأْتِيهِ الْجَنُّ بِدَرَاهِمٍ وَطَعَامٍ تَسْرِقُهُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى إِنْ بَعْضُ النَّاسِ كَانَ لَهُ تَيْنٌ فِي كَوَارَةِ فَيَطْلُبُ الشَّيْخَ مِنْ شَيَاطِينِهِ تَيْنًا فَيَحْضِرُونَهُ لَهُ فَيَطْلُبُ أَصْحَابُ الْكُوَارَةِ التَّيْنَ فَوَجَدُوهُ قَدْ ذَهَبَ. وَآخَرُ كَانَ مُشْتَغِلًا بِالْعِلْمِ وَالْقِرَاءَةِ فَجَاءَتْهُ الشَّيَاطِينُ أَغْرَتْهُ وَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ نُسْقِطُ عَنْكَ الصَّلَاةَ وَنُحْضِرُ لَكَ مَا تُرِيدُ. فَكَانُوا يَأْتُونَهُ بِالْحَلَوَى وَالْفَاكِهَةِ حَتَّى حَضَرَ عِنْدَ بَعْضِ الشُّيُوخِ الْعَارِفِينَ بِالسُّنَّةِ فَاسْتَأْذَنَهُ وَأَعْطَى أَهْلَ الْحَلَاوَةِ ثَمَنَ حَلَاوَتِهِمُ الَّتِي أَكَلَهَا ذَلِكَ الْمَقْتُونُ بِالشَّيْطَانِ. فَكُلُّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَانَ لَهُ حَالٌ: مِنْ مَكْاشِفَةٍ أَوْ تَأْثِيرٍ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ حَالٍ نَفْسَانِيٍّ؛ أَوْ شَيْطَانِيٍّ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَالٌ بَلْ هُوَ يَتَشَبَّهُ بِأَصْحَابِ الْأَحْوَالِ فَهُوَ صَاحِبُ حَالٍ بَهْتَانِيٍّ. وَعَامَّةُ أَصْحَابِ الْأَحْوَالِ الشَّيْطَانِيَّةِ يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْحَالِ الشَّيْطَانِيِّ وَالْحَالِ الْبَهْتَانِيِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هَلْ

أَتَبُكُّمُ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُنْقُونَ السَّمْعَ
وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) { [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣] .و " الْحَلَّاجُ " كَانَ مِنْ أَثِمَّةِ
هَؤُلَاءِ أَهْلِ الْحَالِ الشَّيْطَانِيِّ وَالْحَالِ الْبَهْتَانِيِّ. وَهَؤُلَاءِ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ. " ٩٩

وبين شيخ الإسلام بعض طرق الشيطان في الإغواء، فقال: "وَلَمَّا كَانَتْ الْخَوَارِقُ كَثِيرًا
مَا تَنْقُصُ بِهَا دَرَجَةُ الرَّجُلِ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ يَتُوبُ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
تَعَالَى كَمَا يَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ: كَالزُّنَا وَالسَّرْقَةِ وَتَعَرُّضُ عَلَى بَعْضِهِمْ فَيَسْأَلُ اللَّهَ زَوَالَهَا
وَكُلُّهُمْ يَأْمُرُ الْمُرِيدَ السَّالِكَ أَنْ لَا يَقِفَ عِنْدَهَا وَلَا يَجْعَلَهَا هِمَّتَهُ وَلَا يَتَّبَحَّجَ بِهَا؛ مَعَ
ظَنِّهِمْ أَنَّهَا كَرَامَاتٌ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ بِالْحَقِيقَةِ مِنَ الشَّيَاطِينِ تُعْوِيهِمْ بِهَا فَإِنِّي أَعْرِفُ
مَنْ تُخَاطِبُهُ النَّبَاتَاتُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَإِنَّمَا يُخَاطِبُهُ الشَّيْطَانُ الَّذِي دَخَلَ فِيهَا
وَأَعْرِفُ مَنْ يُخَاطِبُهُمُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ وَتَقُولُ: هَنِينًا لَكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ فَيَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ
فَيَذْهَبُ ذَلِكَ. وَأَعْرِفُ مَنْ يَقْصِدُ صَيْدَ الطَّيْرِ فَتُخَاطِبُهُ الْعَصَافِيرُ وَغَيْرُهَا وَتَقُولُ: خُذْنِي
حَتَّى يَأْكُلْنِي الْفُقَرَاءُ وَيَكُونُ الشَّيْطَانُ قَدْ دَخَلَ فِيهَا كَمَا يَدْخُلُ فِي الْإِنْسِ وَيُخَاطِبُهُ
بِذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ وَهُوَ مُعْلَقٌ فَيَرَى نَفْسَهُ خَارِجَهُ وَهُوَ لَمْ يَفْتَحْ
وَبِالْعَكْسِ وَكَذَلِكَ فِي أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ وَتَكُونُ الْجِنُّ قَدْ أَدْخَلَتْهُ وَأَخْرَجَتْهُ بِسُرْعَةٍ أَوْ تَمُرُّ
بِهِ أَنْوَارٌ أَوْ تَحْضُرُ عِنْدَهُ مَنْ يَطْلُبُهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَتَصَوَّرُونَ بِصُورَةِ صَاحِبِهِ
فَإِذَا قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ذَهَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ. وَأَعْرِفُ مَنْ يُخَاطِبُهُ مُخَاطَبٌ وَيَقُولُ
لَهُ أَنَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَيَعِدُّهُ بِأَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَيَظْهَرُ لَهُ الْخَوَارِقُ مِثْلُ
أَنْ يَخْطُرَ بِقَلْبِهِ تَصَرُّفٌ فِي الطَّيْرِ وَالْجَرَادِ فِي الْهَوَاءِ؛ فَإِذَا خَطَرَ بِقَلْبِهِ ذَهَابُ الطَّيْرِ أَوْ
الْجَرَادِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا ذَهَبَ حَيْثُ أَرَادَ وَإِذَا خَطَرَ بِقَلْبِهِ قِيَامُ بَعْضِ الْمَوَاشِيِّ أَوْ نَوْمُهُ أَوْ
ذَهَابُهُ حَصَلَ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ مِنْهُ فِي الظَّاهِرِ وَتَحْمِلُهُ إِلَى مَكَّةَ وَتَأْتِي بِهِ وَتَأْتِيهِ
بِأَشْخَاصٍ فِي صُورَةٍ جَمِيلَةٍ وَتَقُولُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ الْكَرُوبِيُّونَ أَرَادُوا زِيَارَتَكَ فَيَقُولُ
فِي نَفْسِهِ: كَيْفَ تَصَوَّرُوا بِصُورَةِ الْمُرْدَانِ فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ فَيَجِدُهُمْ يَلْحَى وَيَقُولُ لَهُ عَلَامَةٌ

إِنَّكَ أَنْتَ الْمَهْدِيُّ إِنَّكَ تَنْبُتُ فِي جَسَدِكَ شَامَةً فَتَنْبُتُ وَيَرَاهَا وَغَيْرُ ذَلِكَ وَكُلُّهُ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ. وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ لَوْ ذَكَرْتُ مَا أَعْرِفُهُ مِنْهُ لاحتِاجَ إِلَى مُجَلِّدٍ كَبِيرٍ".^{٥٠٠}

وبين رحمه الله ذلك بقوله: "وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ وَالْبِدْعِ الَّذِينَ فِيهِمْ زُهْدٌ وَعِبَادَةٌ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ وَلَهُمْ أَحْيَانًا مُكَاشَفَاتٌ وَلَهُمْ تَأْثِيرَاتٌ يَأْوُونَ كَثِيرًا إِلَى مَوَاضِعِ الشَّيَاطِينِ الَّتِي نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِيهَا؛ لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِهَا وَتُخَاطِبُهُمْ الشَّيَاطِينُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ كَمَا تُخَاطِبُ الْكُفَّانَ وَكَمَا كَانَتْ تَدْخُلُ فِي الْأَصْنَامِ وَتُكَلِّمُ عَابِدِي الْأَصْنَامِ وَتُعِينُهُمْ فِي بَعْضِ الْمَطَالِبِ كَمَا تُعِينُ السَّحَرَةَ وَكَمَا تُعِينُ عِبَادَ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَكِبِ إِذَا عَبْدُوهَا بِالْعِبَادَاتِ الَّتِي يَظُنُّونَ أَنَّهَا تُنَاسِبُهَا مِنْ تَسْبِيحِ لَهَا وَلِبَاسٍ وَبُخُورٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَإِنَّهُ قَدْ تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ شَيَاطِينٌ يُسَمُّونَهَا رُوحَانِيَّةَ الْكَوَكِبِ وَقَدْ تَقْضِي بَعْضَ حَوَائِجِهِمْ إِمَّا قَتْلَ بَعْضِ أَعْدَائِهِمْ أَوْ إِمْرَاضَهُ وَإِمَّا حَلَبَ بَعْضٍ مِنْ يَهُوُونَهُ وَإِمَّا إِحْضَارَ بَعْضِ الْمَالِ وَلَكِنَّ الضَّرَرَ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُمْ بِذَلِكَ أَعْظَمُ مِنَ النَّفْعِ بَلْ قَدْ يَكُونُ أَضْعَافٌ أَضْعَافِ النَّفْعِ".^{٥٠١}

الذين تخدمهم الشياطين يتقربون إليها بالمعاصي:

هؤلاء الذين يزعمون الولاية - والحقيقة أن الشياطين تخدمهم - لا بد أن يتقربوا إلى الشياطين. بما تحبه من الكفر والشرك؛ كي يقضوا بعض أغراضه، ويذكر ابن تيمية رحمه الله: "وَالْإِنْسَانُ إِذَا فَسَدَتْ نَفْسُهُ أَوْ مَزَاحَهُ يَشْتَهِي مَا يَضُرُّهُ وَيَلْتَذِي بِهِ بَلْ يَعِشُ ذَلِكَ عَشَقًا يَفْسُدُ عَقْلُهُ وَدِينُهُ وَخَلْقُهُ وَبَدَنُهُ وَمَالُهُ وَالشَّيْطَانُ هُوَ نَفْسُهُ حَيْثُ فَإِذَا تَقَرَّبَ صَاحِبُ الْعِزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ وَكُتِبَ الرُّوحَانِيَّاتِ السَّحَرِيَّةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ بِمَا يَجْبُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ صَارَ ذَلِكَ كَالرَّشْوَةِ وَالْبُرْطِيلِ لَهُمْ فَيَقْضُونَ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ كَمَنْ يُعْطَى غَيْرَهُ مَا لَا لِيَقْتُلَ لَهُ مِنْ يُرِيدُ قَتْلَهُ أَوْ يُعِينُهُ عَلَى فَاحِشَةٍ أَوْ يَنَالُ مَعَهُ فَاحِشَةً وَلِهَذَا كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يَكْتُبُونَ فِيهَا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّجَاسَةِ وَقَدْ يَقْلِبُونَ حُرُوفَ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} أَوْ غَيْرَهَا بِتَجَاسَةٍ إِمَّا دَمٍ وَإِمَّا غَيْرِهِ وَإِمَّا بَغَيْرِ تَجَاسَةٍ وَيَكْتُبُونَ غَيْرَ ذَلِكَ

^{٥٠٠} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١١ / ٣٠٠) فما بعد

^{٥٠١} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٤١)

مِمَّا يَرْضَاهُ الشَّيْطَانُ أَوْ يَتَكَلَّمُونَ بِذَلِكَ فَإِذَا قَالُوا أَوْ كَتَبُوا مَا تَرْضَاهُ الشَّيَاطِينُ أَعَانَتْهُمْ عَلَى بَعْضِ أَغْرَاضِهِمْ إِمَّا تَغْوِيرَ مَاءٍ مِنَ الْمِيَاهِ وَإِمَّا أَنْ يَحْمِلَ فِي الْهَوَاءِ إِلَى بَعْضِ الْأُمُكِنَةِ وَإِمَّا أَنْ يَأْتِيَهُ بِمَالٍ مِنْ أَمْوَالِ بَعْضِ النَّاسِ كَمَا تَسْرِقُهُ الشَّيَاطِينُ مِنْ أَمْوَالِ الْخَائِنِينَ وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيَأْتِي بِهِ وَإِمَّا غَيْرَ ذَلِكَ وَلَوْ سَقْنَا فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُعِينَةَ وَمَنْ وَقَعَتْ لَهُ مِنْ عَرَفْنَاهُ وَمَنْ لَمْ نَعْرِفْهُ لَطَالَ ذَلِكَ جَدًّا".^{٥٠٢}

وقال ابن تيمية رحمه الله: "وَالَّذِينَ يَسْتَخْدِمُونَ الْجِنَّ بِهَذِهِ الْأُمُورِ يَزْعَمُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَسْتَخْدِمُ الْجِنَّ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا مَاتَ كَتَبَتِ الشَّيَاطِينُ كِتَابَ سِحْرٍ وَكَفَرٍ وَجَعَلَتْهَا تَحْتَ كُرْسِيِّهِ وَقَالُوا: كَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَعْمَلُ لِيَسْتَخْدِمَ الْجِنَّ بِهَذِهِ، فَطَعَنَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَذَا السَّبَبِ، وَآخَرُونَ قَالُوا: لَوْلَا أَنَّ هَذَا حَقٌّ جَائِزٌ لَمَا فَعَلَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَضَلَّ الْفَرِيقَانِ هَؤُلَاءِ بِقَدْحِهِمْ فِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهَؤُلَاءِ بِاتِّبَاعِهِمُ السَّحَرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)} وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)} وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)} [البقرة: ١٠١-١٠٢]، فَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ هَذَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، إِذْ كَانَ النَّفْعُ هُوَ الْخَيْرُ

^{٥٠٢} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٣٤) وآكام المرجان في أحكام الجان (ص: ١٥٠)

الْخَالِصُ أَوْ الرَّاجِحُ، وَالضَّرَرُ هُوَ الشَّرُّ الْخَالِصُ أَوْ الرَّاجِحُ، وَشَرُّ هَذَا إِمَّا خَالِصٌ أَوْ رَاجِحٌ".^{٥٠٣}.

من رجال الغيب ؟:

١ - معنى رجال الغيب في اللغة:

قال الخليل: "هذا رَجُلٌ أي ليس بأثنى، وهذا رجل أي كامل"^{٥٠٤}.
وقال الجوهري: "والرَّجُلُ خلاف المرأة، والجمع رِجَالٌ ورجالات، مثل جمال وجمالات، وأَرَجِلٌ"^{٥٠٥}. فالرجال في اللغة جمع رجل وهو خلاف المرأة، أي ليس بأثنى.
وأما الغيب، فيقول ابن فارس: "الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، ثم يقاس. من ذلك الغيب ما غاب، مما لا يعلمه إلا الله. ويقال غابت الشمس تغيب غيبة وغيوباً وغييباً"^{٥٠٥}.

فرجال الغيب في اللغة هم الرجال المستترون عن العيون.

٢ - معنى رجال الغيب في الاصطلاح:

يعتقد بعض العوام والصوفية أن رجال الغيب أولياء الله من الإنس، وهم غائبون عن أبصار الناس، وكلهم الله بتصريف الأمر^{٥٠٦}..
والحقيقة أن ما يسمونه رجال الغيب هم جن تمثلت بصور الإنس، أو رؤيت في غير صور الإنس، والجن يسمون رجالاً، قال - تعالى - : {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن - ٦] ^{٥٠٧}...
والجن تفعل ذلك كي تلبس على الإنس، ليعظموهم. قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : "ورجال الغيب هم الجن، وهو يحسب أنه أنسي، وقد يقول له أنا الخضر، أو إلياس، بل أنا محمد، أو إبراهيم الخليل، أو المسيح، أو أبو بكر، أو عمر، أو أنا الشيخ فلان، أو الشيخ

^{٥٠٣} - أحكام المرجان في أحكام الجنان (ص: ١٥١) ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٤٢)

^{٥٠٤} - العين ١٠١/٦. الصحاح ١٧٠٥/٤.

^{٥٠٥} - معجم مقاييس اللغة ٤٠٣/٤، وانظر: العين ٤٥٤/٨ - ٤٥٦، الصحاح ١٩٦/١.

^{٥٠٦} - انظر: مجموع الفتاوى ٣٦٢/١، ٢١٧/١٣.

^{٥٠٧} - انظر: المرجع السابق ٤٤٣/١١، منهاج السنة ٣٨٠/٣.

فلان، ممن يحسن بهم الظن. وقد يطير به في الهواء، أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة، فيظن هذا كرامة، بل آية ومعجزة، تدل على أن هذا من رجال الغيب، أو من الملائكة، ويكون ذلك شيطاناً لبس عليه" ٥٠٨.

وليس في أولياء الله المتقين، ولا عباد الله المخلصين الصالحين، ولا أنبيائه المرسلين، من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس ٥٠٩..

٣- الناس في رجال الغيب أحزاب مختلفة ٥١٠:

حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عن عاينهم، أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم قد يخضعون لهم. وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء. وهؤلاء ضلال.

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا يكون الرسول هو ممداً للطائفتين. فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحق أن هؤلاء من أتباع الشياطين وأن رجال الغيب هم الجن، وإلا فالإنس يؤنسون أي يشهدون، ويرون، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله، وسبب الضلال فيهم وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة، عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

فرجال الغيب إذا ليسوا من الأنس بل هم جن يلبسون على الجهال والعوام، فيحسبونهم من أولياء الله وليسوا كذلك. ٥١١

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَسْمَعُ خَطَابًا أَوْ يَرَى مَنْ يَأْمُرُهُ بِقَضِيَّةٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ الْخَطَابُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَيَكُونُ ذَلِكَ الَّذِي يُخَاطِبُهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنْ رِجَالِ الْغَيْبِ. وَرِجَالُ الْغَيْبِ هُمُ الْجِنُّ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ إِنْسِيٌّ وَقَدْ يَقُولُ لَهُ: أَنَا الْخَضِرُ أَوْ الْيَاسُ بَلْ أَنَا مُحَمَّدٌ أَوْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ أَوْ الْمَسِيحُ

٥٠٨ - مجموع الفتاوى ٧١/١٣.

٥٠٩ - انظر: المرجع السابق ٤٤٣/١١.

٥١٠ - انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٧٦٦/٢ - ٧٦٧.

٥١١ - الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية (ص: ٤٥٣)

أَوْ أَبُو بَكْرٍ أَوْ عُمَرُ أَوْ أَنَا الشَّيْخُ فَلَانٌ أَوْ الشَّيْخُ فَلَانٌ مِمَّنْ يُحْسِنُ بِهِمُ الظَّنَّ وَقَدْ يَطِيرُ بِهِ فِي الْهَوَاءِ أَوْ يَأْتِيهِ بَطْعَامٌ أَوْ شَرَابٌ أَوْ نَفَقَةٌ فَيُظُنُّ هَذَا كَرَامَةً؛ بَلْ آيَةٌ وَمُعْجَزَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا مِنْ رِجَالِ الْغَيْبِ أَوْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا لَبَسَ عَلَيْهِ فَهَذَا وَمِثْلُهُ وَاقِعٌ كَثِيرًا أَعْرَفُ مِنْهُ وَقَائِعٌ كَثِيرَةٌ كَمَا أَعْرَفُ مِنَ الْعَلَطِ فِي السَّمْعِيَّاتِ وَالْعَقْلِيَّاتِ. فَهَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَ ظَنًّا لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا وَلَوْ لَمْ يَتَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ بَلْ اعْتَصَمُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ.. " ٥١٢

وقال أيضا: " وَلَمَّا ظَهَرَ أَنَّ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ خُفْرَاءَ لَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ الْمُسْلِمِينَ بِرِجَالِ الْغَيْبِ وَأَنَّ لَهُمْ خَوَارِقَ تَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ صَارَ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ثَلَاثَةَ أَحْزَابٍ. حِزْبٌ يُكَذِّبُونَ بَوْجُودَ هَؤُلَاءِ؛ وَلَكِنْ عَايَنَهُمُ النَّاسُ وَتَبَتَ ذَلِكَ عَمَّنْ عَايَنَهُمْ أَوْ حَدَّثَهُ الثَّقَاةُ بِمَا رَأَوْهُ وَهَؤُلَاءِ إِذَا رَأَوْهُمْ أَوْ تَيَقَّنُوا وَجُودَهُمْ خَضَعُوا لَهُمْ. وَحِزْبٌ عَرَفُوهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى الْقَدَرِ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ ثَمَّ فِي الْبَاطِنِ طَرِيقًا إِلَى اللَّهِ غَيْرَ طَرِيقَةِ الْأَنْبِيَاءِ. وَحِزْبٌ مَا أَمَكَنَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ خَارِجِينَ عَنْ دَائِرَةِ الرَّسُولِ فَقَالُوا: يَكُونُ الرَّسُولُ هُوَ مُمِدًّا لِلطَّائِفَتَيْنِ لَهُؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فَهَؤُلَاءِ مُعَظَّمُونَ لِلرَّسُولِ جَاهِلُونَ بِدِينِهِ وَشَرْعِهِ وَالَّذِينَ قَبْلَهُمْ يُجَوِّزُونَ أَتْبَاعَ دِينٍ غَيْرِ دِينِهِ وَطَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ بِدِمَشْقَ لَمَّا فَتَحَتْ عَكَا ثُمَّ تَبَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَتْبَاعِ الشَّيَاطِينِ وَأَنَّ رِجَالَ الْغَيْبِ هُمْ الْجِنُّ وَأَنَّ الَّذِينَ مَعَ الْكُفَّارِ شَيَاطِينُ وَأَنَّ مَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ فَهُوَ مِنْ جِنْسِهِمْ شَيْطَانٌ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ أَعْدَاءُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}. وَكَانَ سَبَبُ الضَّلَالِ عَدَمَ الْفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ.. " ٥١٣

وقال أيضا: " وَلَيْسَ فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ؛ وَلَا عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ وَلَا أَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ مَنْ كَانَ غَائِبَ الْجَسَدِ دَائِمًا عَنْ أَبْصَارِ النَّاسِ بَلْ هَذَا مِنْ جِنْسِ قَوْلِ الْقَائِلِينَ

٥١٢ - مجموع الفتاوى (٧١ / ١٣)

٥١٣ - مجموع الفتاوى (٢١٥ / ١٣)

إِنَّ عَلِيًّا فِي السَّحَابِ وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ فِي جِبَالِ رَضْوَى وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ بِسِرْدَابِ سَامِرِيِّ وَإِنَّ الْحَاكِمَ بِجَبَلِ مِصْرَ وَإِنَّ الْأَبْدَالَ الْأَرْبَعِينَ رِجَالُ الْعَيْبِ بِجَبَلِ لُبْنَانَ فَكُلُّ هَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ؛ نَعَمْ قَدْ تُخْرِقُ الْعَادَةَ فِي حَقِّ الشَّخْصِ فَيَغِيبُ تَارَةً عَنْ أَبْصَارِ النَّاسِ إِمَّا لِدَفْعِ عَدُوٍّ عَنْهُ وَإِمَّا لِغَيْرِ ذَلِكَ وَإِمَّا أَنَّهُ يَكُونُ هَكَذَا طَوْلَ عُمُرِهِ فَبَاطِلٌ نَعَمْ يَكُونُ نُورُ قَلْبِهِ وَهُدَى فُؤَادِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَانَتِهِ وَأَنْوَارِهِ وَمَعْرِفَتِهِ غَيْبًا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَيَكُونُ صَلَاحُهُ وَوَلَايَتُهُ غَيْبًا عَنْ أَكْثَرِ النَّاسِ فَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ وَأَسْرَارُ الْحَقِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.. " ٥١٤

قال شارح الطحاوية: "وَلَا يَجُوزُ الْإِسْتِعَاذَةُ بِالْجِنِّ، فَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦]. قَالُوا: كَانَ الْإِنْسِيُّ إِذَا نَزَلَ بِالْوَادِي يَقُولُ: أَعُوذُ بِعَظِيمِ هَذَا الْوَادِي مِنْ سُفْهَاتِهِ، فَيَبِيتُ فِي أَمْنٍ وَجِوَارٍ حَتَّى يَصْبَحَ، {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦]، يَعْنِي الْإِنْسُ لِلْجِنِّ، بِاسْتِعَاذَتِهِمْ بِهِمْ، رَهَقًا، أَيْ إِثْمًا وَطُغْيَانًا وَجَرَاءَةً وَشَرًّا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: قَدْ سُدَّنَا الْجِنُّ، وَالْإِنْسُ! فَالْجِنُّ تَعَاظَمَ فِي أَنْفُسِهَا وَتَزَدَادُ كُفْرًا إِذَا عَامَلَتْهَا الْإِنْسُ بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ: ٤٠، ٤١]. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَيُخَاطِبُونَهُمْ بِهَذِهِ الْعَرَائِمِ، وَأَنَّهَا تَنْزَلُ عَلَيْهِمْ ضَالُّونَ، وَإِنَّمَا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [النعام: ١٢٨]. فَاسْتَمْتَعَ الْإِنْسِيُّ بِالْجِنِّيِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ، وَإِخْبَارِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُعَيَّيَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَاسْتَمْتَعَ الْجِنُّ بِالْإِنْسِ: تَعْظِيمُهُ إِيَّاهُ، وَاسْتِعَانَتُهُ بِهِ، وَاسْتِعَانَتُهُ وَخُضُوعُهُ لَهُ.

ونوع منهم بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبته رجال الغيب، وأن لهم حواراً تقتضي أنهم أولياء الله! وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين. والناس من أهل العلم فيهم [على] ثلاثة أحزاب: حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم [الناس]، وثبت عنهم عاينهم] أو حدته الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم، وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء! وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممداً للطائفتين، فهؤلاء معظّمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه، والحق: أن هؤلاء [من] أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمّون رجالاً، كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦]. وإلا فالإنس يؤتسون، أي يشهدون ويرون، وإنما يحتجب الإنسي أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلظه وجهه، وسبب الضلال فيهم، وأفتراق هذه الأحزاب الثلاثة، عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.^{٥١٥}

فلا بد أن يكون عند العبد الميزان الذي يفرق به بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والصالحين والطالحين، وإلا ضل وزاغ، وظن أعداء الله أولياءه، وهذا الميزان هو الكتاب والسنة، فإذا كان العبد ملتزماً بهما فنعم، وإلا فإنه ليس على شيء، ولو رأيناه يحيي الأموات، ويحول المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة.

يقول ابن تيمية: "وَمَنْ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْأَحْوَالِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالنَّفْسَانِيَّةِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَمَنْ لَمْ يُنَوِّرْ اللَّهُ قَلْبَهُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَاتَّبَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يَعْرِفْ طَرِيقَ الْمُحَقِّ مِنَ

^{٥١٥} - شرح الطحاوية - ط دار السلام (ص: ٥٠٥) وشرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص: ٥٢٠)

الْمُبْطِلِ؛ وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَالْحَالُ كَمَا التَّبَسَّ عَلَى النَّاسِ حَالُ مُسَيَّلَمَةَ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ
وغيره من الكذابين في زعمهم أنهم أنبياء؛ وإنما هم كذّابون..^{٥١٦}

وقال العلامة البراك:

" من العوالم التي خلقها الله الملائكة والإنس والجن، فأما الملائكة فهم من عالم الغيب
وقد يتمثلون فيما يشاء الله، كما تمثل جبريل لمريم بشراً سوياً، والملائكة أضيافاً لإبراهيم
- عليه السلام -، وكان جبريل يأتي أحياناً إلى النبي - ﷺ - بصورة رجل غريب أو
بصورة دحية الكلبي، وأما الجن فهم كذلك من عالم الغيب، إلا أنهم يسكنون مع الناس
في هذه الأرض، وقد يتمثلون بصور مختلفة تارة بصورة إنسان، وتارة بصورة حيوان، وأما
إذا كانوا على خلقتهم فإن الناس لا يرونهم كما قال سبحانه وتعالى: "إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ
وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ" [الأعراف: ٢٧]، وأما الإنس فهم من عالم الشهادة فهم
محسوسون مشاهدون، ولا يكون أحداً من الناس غائباً بحيث لا يرى في حال من
الأحوال، وعلى هذا فرجال الغيب ليسوا من الإنس بل هم من الجن، ومن الجن
رجال، كما قال سبحانه وتعالى: "وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ
فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا" [الجن: ٦]، وأما من ورد فيهم حديث "إذا أضل أحدكم دابته في فلاة
فليقل: يا عباد الله احبسوا" فيحتمل أن يكون - إن صح الحديث المراد بهم
الملائكة، ويحتمل أن يكون المراد بهم الجن، وفي الجن الصالحون ومن دونهم، كما قال
تعالى: "وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا"، ومنهم المسلم والكافر، كما
قال سبحانه وتعالى: "وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
وَلَا رَهَقًا وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا"
[الجن: ١٣-١٤]، فالاعتقاد أن رجال الغيب من الإنس اعتقاد باطل، والله أعلم.^{٥١٧}

حكم الاستعانة بالجن في العلاج الطبي وغيره:

يقول الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة حفظه الله:

^{٥١٦} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١١٧/٣٥)

^{٥١٧} - فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (٢/٢٧٦): رجال الغيب - المحيب عبد الرحمن بن ناصر البراك

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

" الجن خلق من خلق الله عز وجل وقد أخبرنا الله جل جلاله أنه قد خلقهم من نار فقال تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ} سورة الرحمن الآية ١٥، وقال تعالى: {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} سورة الحجر الآية ٢٧، وطبيعة الجن وخصائصهم وقدراتهم تخالف الإنس، قال تعالى مخبراً عن الجن: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْتَئِتَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا} سورة الجن الآيتان ٨ - ٩.

وأخبر عز وجل عن تسخير الجن لسليمان عليه السلام فقال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سورة سبأ الآيتان ١٢ - ١٣).

والجن مكلفون بعبادة الله سبحانه وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (سورة الذاريات ٥٦ وقال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ) (سورة الأنعام الآية ١٣٠) وقد أسلمت طائفة من الجن، قال تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) (سورة الأحقاف الآية ٢٩).

وقال تعالى: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) (سورة الجن الآية ١. فالجن منهم المسلمون ومنهم الكفار كما قال تعالى: (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) (سورة الجن الآية ١١).

إذا تقرر هذا فإن مسألة استعانة الإنسان بالجان من المسائل التي أثارت قديماً وحديثاً، بل إن الناس في الجاهلية كانوا يستعينون بالجن كما قال تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) (سورة الجن الآية ٦).

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله استعانة الإنس بالجن حيث قال: [وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ الْجِنَّ مَعَ الْإِنْسِ عَلَى أَحْوَالٍ: فَمَنْ كَانَ مِنَ الْإِنْسِ يَأْمُرُ الْجِنَّ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحُدِّهِ وَطَاعَةِ نَبِيِّهِ وَيَأْمُرُ الْإِنْسَ بِذَلِكَ فَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ فِي ذَلِكَ مِنْ خُلَفَاءِ الرَّسُولِ وَنَوَابِهِ.

وَمَنْ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الْجِنَّ فِي أُمُورٍ مُبَاحَةٍ لَهُ فَهُوَ كَمَنْ اسْتَعْمَلَ الْإِنْسَ فِي أُمُورٍ مُبَاحَةٍ لَهُ وَهَذَا كَانَ يَأْمُرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَعْمِلُهُمْ فِي مُبَاحَاتٍ لَهُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذَلِكَ وَهَذَا إِذَا قُدِّرَ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ فِي عُمُومِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِثْلَ النَّبِيِّ الْمَلِكِ مَعَ الْعَبْدِ الرَّسُولِ: كَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الْجِنَّ فِيمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ إِمَّا فِي الشَّرِّ وَإِمَّا فِي قَتْلِ مَعْصُومِ الدِّمِ أَوْ فِي الْعُدْوَانِ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ الْقَتْلِ كَتَمْرِضِهِ وَإِنْسَائِهِ الْعِلْمَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الظُّلْمِ وَإِمَّا فِي فَاحِشَةٍ كَجَلْبِ مَنْ يُطْلَبُ مِنْهُ الْفَاحِشَةُ فَهَذَا قَدْ اسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ثُمَّ إِنْ اسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ كَافِرٌ وَإِنْ اسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي فَهُوَ عَاصٍ: إِمَّا فَاسِقٌ وَإِمَّا مُذْنِبٌ غَيْرُ فَاسِقٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَأَمَّ الْعِلْمَ بِالشَّرِّعَةِ فَاسْتَعَانَ بِهِمْ فِيمَا يُظَنُّ أَنَّهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ: مِثْلُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِمْ عَلَى الْحَجِّ أَوْ أَنْ يَطِيرُوا بِهِ عِنْدَ السَّمَاعِ الْبِدْعِيِّ أَوْ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى عَرَافَاتٍ وَلَا يَحُجُّ الْحَجَّ الشَّرْعِيَّ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَأَنْ يَحْمِلُوهُ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهَذَا مَعْرُورٌ قَدْ مَكْرُوا بِهِ. وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ لَا يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْجِنَّ بَلْ قَدْ سَمِعَ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَهُمْ كَرَامَاتٌ وَخَوَارِقٌ لِلْعَادَاتِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ الْقُرْآنِ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْكَرَامَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَبَيْنَ التَّلَيِّسَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ فَيَمَكُرُونَ بِهِ بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ...]" ^{٥١٨}

^{٥١٨} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١١ / ٣٠٧) وما بعدها

وقد اعتمد كثير من الناس على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية السابق في جواز الاستعانة بالجن في العلاج، ولكن المحققين من العلماء يرون أن كلام ابن تيمية لا يفيد ذلك، قال العلامة العثيمين: [وقد اتخذ بعض الرقاة كلام شيخ الإسلام رحمه الله متكماً على مشروعية الاستعانة بالجن المسلم في العلاج بأنه من الأمور المباحة، ولا أرى في كلام شيخ الإسلام ما يسوغ لهم هذا فإذا كان من البدهيات المسلم بها أن الجن من عالم الغيب يرانا ولا نراه الغالب عليه الكذب معتد ظلوم غشوم مجهولة عدالته لذا روايته للحديث ضعيفة فما هو المقياس الذي نحكم به على أن هذا الجني مسلم وهذا منافق وهذا صالح وذاك طالح؟] عن شبكة الإنترنت.

والذي تطمئن إليه نفسي أنه لا يجوز شرعاً الاستعانة بالجن في الطب والعلاج ولا في إجراء العمليات الجراحية لما يلي:

أولاً: سلمنا أن للجن قدرات خارقة، وهذا ثابت بالكتاب والسنة، ولكن رسول الله ﷺ - وهو قدوتنا وأسوتنا - لم يستعن بالجن في هذه الأمور ولا في غيرها مع أنه ﷺ مرّ في ظروف عصيبة هو وأصحابه الكرام فلم يثبت أنه ﷺ استعان بالجن، فمن ذلك حادثة الحجر فقد كان ﷺ بأمس الحاجة للمساعدة لينجو من كفار قريش، وكذلك فلم يستعن بالجن في غزواته ﷺ، وكذلك عندما مرض ﷺ أو عندما سحر، أو عندما مرض أو جرح عدد من الصحابة رضوان الله عليهم في الغزوات وغيرها فلم يثبت أنهم استعانوا بالجن. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: [والنوع الثالث أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله، كما يستعمل الإنس في مثل ذلك، فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الإنس وينهاهم، وهذا حال نبينا محمد ﷺ، وحال من اتبعه واقتدى به من أمته وهم أفضل الخلق، فيأمرهم بالإنس والجن بما أمرهم الله به ورسوله، وينهون الإنس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله...]^{٥١٩}

^{٥١٩} - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨٨/١٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً: [فلم يستخدم الجن أصلاً - أي رسول الله ﷺ - لكن دعاهم إلى الإيمان بالله، وقرأ عليهم القرآن، وبلغهم الرسالة، وبايعهم كما فعل بالإنس] ٥٢٠

ثانياً: إن الإسلام قد شرع التداوي، فإذا مرض الإنسان فعليه أن يذهب إلى الأطباء للمعالجة وهذا من باب الأخذ بالأسباب ولا ينافي التوكل على الله، وقد جاء في حديث أسامة بن شريك، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ فَسَلَّمْتُ وَقَعَدْتُ، قَالَ: فَجَاءَتِ الْأَعْرَابُ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا أَشْيَاءَ، لَا بَأْسَ بِهَا؟ قَالَ: "عِبَادَ اللَّهِ، وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ إِلَّا امْرَأً أَقْرَضَ امْرَأً مُسْلِمًا ظُلْمًا، فَذَلِكَ الَّذِي حُرِجَ وَأَهْلَكَ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ؟ قَالَ: "خُلُقٌ حُسْنٌ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَتَدَاوَى؟ قَالَ: "تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً فِي الْأَرْضِ إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً إِلَّا الْهَرَمَ" قَالَ: فَكَانَ هَذَا الشَّيْخُ يَقُولُ: هَلْ تَعْلَمُونَ لِي مِنْ دَوَاءٍ؟ قَالَ: "ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُقْبِلُونَ يَدَهُ، فَأَخَذَتْهَا فَوَضَعَتْهَا عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا هِيَ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلَجِ" ٥٢١

وقد قرر العلماء أن الذي يتولى المداواة لا بد أن يكون من أهل الطب والخبرة فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَطَبَّبَ، وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ، فَهُوَ ضَامِنٌ» ٥٢٢

وفي رواية أخرى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا طَبِيبٍ تَطَبَّبَ عَلَى قَوْمٍ، لَا يُعْرِفُ لَهُ تَطَبُّبٌ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَعْنَتَ فَهُوَ ضَامِنٌ» قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: «أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّعْتِ إِنَّمَا هُوَ قَطْعُ الْعُرُوقِ وَالْبَطْ، وَالْكَيُّ» ٥٢٣

ولا يجوز اللجوء إلى المشعوذين أو الدجالين ونحوهم للمعالجة وإن تحقق على أيديهم شفاء بعض الحالات المرضية فلا يجوز أن ننخدع بصدقهم فإنهم دجالون كذبة.

٥٢٠ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/٨٩.

٥٢١ - شعب الإيمان (٣/١٠٧) (١٤٣٥) صحيح وقال العلامة الألباني: حديث صحيح.

٥٢٢ - سنن أبي داود (٤/١٩٥) (٤٥٨٦) حسن

٥٢٣ - سنن أبي داود (٤/١٩٥) (٤٥٨٧) حسن لغيره

ثالثاً: لو كان الأمر كما يزعم هؤلاء المستعنين بالجن في إجراء العمليات الجراحية، لما كان هنالك حاجة لدراسة الطب، ولا حاجة لإنشاء كليات الطب ولا المستشفيات ولا العيادات ونحوها، ولكان الناس في غنى عن كل ذلك، وإذا كان الأمر كما يزعمون فلماذا لا يستعينون بالجن في أمور أعظم من ذلك!!!

رابعاً: إن زعم هؤلاء أنهم يستعينون بالجن المسلم، كلام غير مقبول ولا يقوم على دليل صحيح، لأنهم يعتمدون على خبر الجن بأنهم مسلمون، وخبرهم محتمل للصدق وللكذب، فما الذي يدرينا أنهم مسلمون حقاً؟

خامساً: لو سلمنا جدلاً بصحة زعم هؤلاء، فيجب إغلاق هذا الباب من باب سد الذرائع، لما قد يترتب عليه من المفساد، كإيقاع بعض الناس في الشرك، فمن المعلوم عند أهل العلم أن الجن في الغالب لا يقدمون خدمة للإنسان إلا إذا أشرك بالله عز وجل.

سادساً: [الجن خلق من خلق الله يعترهم الجهل والقصور، ولا يعلمون ما غاب عنهم إلا بالطريقة الخلقية من خبر أو نظر، فكيف تستطيع الجن أن تعرف خبر علة خفية، أو عين نفسية، وهي التي مكثت سنة كاملة بين يدي سليمان عليه السلام تخدمه بكل تعب وعناء، وما علمت بموته؟! قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (سورة سبأ الآية ١٤) ٥٢٤

وأخيراً أنبه على أن كثيراً من أهل العلم المعاصرين قد أفتوا بتحريم الذهاب إلى من يدعون العلاج عن طريق الاستعانة بالجن فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية ما يلي: [لا يجوز لذلك الرجل أن يستخدم الجن، ولا يجوز للناس أن يذهبوا إليه طلباً لعلاج الأمراض عن طريق ما يستخدمه من الجن ولا لقضاء المصالح عن ذلك الطريق. وفي العلاج عن طريق الأطباء من الإنس بالأدوية المباحة مندوحة وغنية عن ذلك مع السلامة من كهانة الكهّان. وقد صحّ عن الرسول ﷺ أنه قال (من أتى عرافاً فسأله عن شيء: لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة) رواه مسلم. وخرّج أهل السنن الأربعة

٥٢٤ - تحذير أهل الإيمان من إبادة العبيكان الاستعانة بالجان ص ٢٢.

والحاكم وصححه أن النبي ﷺ قال (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد). وهذا الرجل وأصحابه من الجن يعتبرون من العرافين والكهنة، فلا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم] ٥٢٥

وخلاصة الأمر أنه لا يجوز شرعاً الذهاب إلى من يدّعي أنه يقوم بإجراء العمليات الجراحية وغيرها من وسائل العلاج عن طريق الجن، وأن هذا باب شرٍ يجب سده. ٥٢٦

قلت: وهذا الذي أذهب إليه فلا يجوز الاستعانة بالجن في مثل هذه الأمور، لأنها خطيرة جداً، أما فيما سوى ذلك من أمور واجبة أو مستحبة أو مباحة فهي موضع خلاف..

وقد استفاض ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى حول تسخير الإنس الكفار للجن الكفار، بما يشبهه على كثير من الناس أنه نوع من الكرامة، وإذا صحَّ هذا مع كفر الفريقين، فيصحُّ عكسه مع إيمان الفريقين بالله تعالى والاعتماد عليه، واستمداد الحول القوة منه، وسأنقل شيئاً من كلام ابن تيمية رحمه الله بما يدلُّ على الجواز والمراد، قال رحمه الله: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أُمُورٍ مُبَاحَةٍ إِمَّا إِحْضَارَ مَالِهِ أَوْ دَلَالَةً عَلَى مَكَانٍ فِيهِ مَالٌ لَيْسَ لَهُ مَالِكٌ مَعْصُومٌ أَوْ دَفْعَ مَنْ يُؤْذِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهَذَا كَاسْتِعَانَةٍ الْإِنْسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ". ٥٢٧

ثم يقول: "النَّوْعُ الثَّالِثُ: أَنْ يَسْتَغْمِلَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَمَا يُسْتَغْمَلُ الْإِنْسُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ فَيَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ كَمَا يَأْمُرُ الْإِنْسُ وَيَنْهَاهُمْ. وَهَذِهِ حَالُ نَبِيِّنَا - ﷺ - وَحَالُ مَنْ اتَّبَعَهُ وَاقْتَدَى بِهِ مِنْ أُمَّتِهِ وَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُمْ يَأْمُرُونَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَيَنْهَوْنَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ؛ إِذْ كَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ - ﷺ - مَبْعُوثًا بِذَلِكَ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لَهُ: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

٥٢٥ - فتاوى اللجنة الدائمة ١ / ٤٠٨ - ٤٠٩.

٥٢٦ - فتاوى يسألونك (١٣ / ٢٩) فما بعدها

٥٢٧ - ابن تيمية، دقائق التفسير، ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤١.

اتَّبَعْنِي وَسُبِّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (يوسف: ١٠٨)، وَقَالَ: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (٣١) سورة آل عمران.

"وَعُمَرُ رضي الله عنه لَمَّا نَادَى: يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا يُبْلَغُونَ صَوْتِي ^{٥٢٨}. وَجُنُودُ اللَّهِ هُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ صَالَحِيَ الْجَنِّ، فَجُنُودُ اللَّهِ بَلَّغُوا صَوْتَ عُمَرَ إِلَى سَارِيَةِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ نَادَوْهُ بِمِثْلِ صَوْتِ عُمَرَ، وَإِلَّا نَفْسُ صَوْتِ عُمَرَ لَا يَصِلُ نَفْسُهُ فِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ ^{٥٢٩}، وَهَذَا كَالرَّجُلِ يَدْعُو آخَرَ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، فَيَعَانُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَهُمَا: يَا فُلَانُ، وَقَدْ يَقُولُ لِمَنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ: يَا فُلَانُ احْسِبِ الْمَاءَ، تَعَالَ إِلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيُنَادِيهِ الْوَاسِطَةُ بِمِثْلِ ذَلِكَ يَا فُلَانُ احْسِبِ الْمَاءَ أَرْسِلِ الْمَاءَ؛ إِمَّا بِمِثْلِ صَوْتِ الْأَوَّلِ إِنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا صَوْتَهُ وَإِلَّا فَلَا يَضُرُّ بِأَيِّ صَوْتٍ كَانَ إِذَا عَرَفَ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ نَادَاهُ" ^{٥٣٠}.

قلت: لقد أثبت في كلامه أن استخدام الجن في المباحات مباح، وفي المستحبات مستحب، ويبين أن الذي أوصل صوت عمر هو أحد صالحي الجن!! وهو قول العديد من أهل العلم المعاصرين ^{٥٣١}.

^{٥٢٨} - قول عمر: "إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا يُبْلَغُونَ صَوْتِي" لم أجده بهذا اللفظ.

^{٥٢٩} - قلت: طالما أنها كرامة، والكرامة حرق للعادة، فهل يعجز الله تعالى عن إيصال صوت عمر رضي الله عنه للمجاهدين أينما كانوا دون وسائل؟ فهذا التعليل فيه نظر؛ لأنه يكاد يمنع الكرامة.

^{٥٣٠} - ابن تيمية، دقائق التفسير، ج ٢، ص ١٣٩ - ١٤١.

^{٥٣١} - انظر تفاصيل هذه المسألة http://www.alraqi.org/?page_id=99، فقد أجاز العلامة ابن عثيمين التعامل مع الجن في الأمور المباحة والواجبة شرعا إذا كان الجن مسلما صالحا عملا بفتوى لابن تيمية يرحمه الله (٢٠٠٨/٠٥/١٢):

http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_694.shtml وكذلك (٢٠٠٨/٠٥/١٢).

http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_800.shtml.

وكذلك أجاز الشيخ مقبل الوادعي التعامل معهم إذا كان الجن صالحين مسلمين. كتاب غارة الأشرطة على أهل الجهل والفسفسطة، ج ٢، ص ٢٣٦ - ٢٣٧، منشورات دار الحرم.

وموقع الشيخ المشيقيح، رقم ٢٥٥٣٠، تاريخ الفتوى ١٤٢٩/٤/٢٨ هـ - ٢٠٠٨/٥/٤ م، (٢٠٠٨/٠٥/١٣ م):

http://www.almoshaiqeh.com/index.php?option=com_ftawa&task=view&id=25530.&catid=&Itemid=35

قلت :

" والذي نراه راجحا في هذه المسألة هو أن طلب المعونة من الجن محرم شرعا لأن الجن عالم من الغيب، ولما يترتب على فتح باب الاستعانة بهم في أوجه الخير من الفساد العريض، والذي رأينا كثيرا منه في بلاد المسلمين، فقد اتخذ كثير من السحرة والمشعوذين فتوى بعض أفاضل العلماء بجواز الاستعانة بالمسلم من الجن في المباحات تكأة لبسوا بها على عوام الناس وأوهموهم أن ما يفعلونه من الدجل والكهانة أمر جائز شرعا، ولو لم يكن إلّا سد ذريعة هذا الشر لكفى مقتضيا لتحريم هذا الفعل، فكيف وقد انضاف إليه أوجه أخرى تقتضي بالمنع منها أن هذا الفعل محدث، فإن السلف رحمهم الله من الصحابة ومن بعدهم لم ينقل عنهم أنهم استخدموا هذا الطريق، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فهذا النبي ﷺ تمر عليه أحلك الظروف وأصعب المواقف في أحد الأحزاب، وغيرها ومع ذلك لم يعلق قلبه إلا بالله ولم يستعمل من الأسباب إلا ما كان في مقدور البشر.

وقد استدل بعض أهل العلم على منع التعامل معهم بقوله تعالى: هَلْ أَتَبُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {الشعراء: ٢٢٢، ٢٢١}.
وبقوله تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ {الأنعام: ١٢٨}، وبقوله: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ فَرَادُوهُم رَهَقًا {الجن: ٦}.

فدلت الآية بوضوح على أن استعانة الأنسي بالجن لا تزيد الإنسي إلّا رهقا وذلا والعياذ بالله، ثم إن الغالب في الجن أنهم لا يخدمون الإنس إلا إذا تقربوا إليهم بأنواع من القربات المحرمة: كأن يذبح لهم، أو يكتب كلام الله تعالى بالنجاسات وغير ذلك.

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الجن لا ينفع الإنس إلا أن يستمتع به كما قال تعالى حكاية عنهم: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، وبين رحمه الله بعض أوجه هذا الاستمتاع فقال: ومن استمتع الإنس بالجن استخدامهم في الإخبار بالأمر الغائبة كما يخبر الكهان، فإن في الإنس من له غرض في هذا، لما يحصل به من الرياسة والمال وغير

ذلك، فإن كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال: إنه كاهن كما كان بعض العرب كهاناً، وقدم النبي - ﷺ - المدينة وفيها كهان، وكان المنافقون يطلبون التحاكم إلى الكهان وكان أبو أبرق الأسلمي أحد الكهان قبل أن يسلم، وإن كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن، بل يجعل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان، فإنه لا يخدم الإنسي بهذه الأخبار إلا لما يستمتع به من الإنسي بأن يطيعه الإنسي في بعض ما يريده، إما في شرك وإما في فاحشة وإما في أكل حرام وإما في قتل نفس بغير حق، فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان، ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وإن لم يكن فيه منفعة لهم، وهم يأمرسون السارق أن يسرق ويذهبون إلى أهل المال فيقولون: فلان سرق متاعكم. اهـ. ^{٥٣٢}

فدل هذا وغيره على أن الواجب على المسلمين سد هذا الباب وأن يجتنبوا هذا المترلق الخطير من مترلقات الشيطان التي استزل فيها كثيراً من المسلمين والله المستعان.

وبهذا يتبين جواب سؤالك وتعلم أن الاستعانة بالجن لا تجوز مطلقاً، والله أعلم. ^{٥٣٣}

وقال العلامة عبد الرحمن حسن حينئذ الميادني رحمه الله:

" هل يلقي الجنُّ للإنس علوماً وأخباراً ؟

أما العلوم والأخبار التي يمكن أن يلقيها الجنُّ إلى قرنائهم من الكهان، فهي بحسب مواضع هذه العلوم التي يلقونها :

أ- فإن كانت من العلوم التي تتعلق بالأمور المشهودة، أو الإخبار عن الوقائع الماضية، فإنها أخبار تحتل الصدق والكذب، وليس ببعيد أن يوجد في الجن كذابون، وقد أثبت

^{٥٣٢} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٣ / ٨٢)

^{٥٣٣} - انظر للتوسع: فتاوى الشبكة الإسلامية (١ / ٤١٥١): حكم الاستعانة بالجن في أعمال الخير و (١ / ٤٣٠١): الاستعانة بالجن في أعمال الخير و (١ / ٤٣١١): عدم جواز الاستعانة بالجن ولو في أعمال الخير وفتاوى موقع الألوكة (١ /): العنوان: حكم الاستعانة بالجن، وكيفية تحضيرهم وفتاوى واستشارات الإسلام اليوم (٢ / ٢٥٢): استخدام الجن في العلاج و (٢ / ٥٠٩): الاستعانة بالجن وموقع الإسلام سؤال وجواب (١ / ٨٥٥): هل يجوز أن يتعالج عند من يزعم أنه يتعامل مع طبيب من الجن المسلم ؟

الله تعالى أن منهم العصاة والكافرين، ومن جهة ثانية فإنه لا يصح الثقة بشيء من أخبارهم، لانعدام مقاييس تحديد الصادقين، والكاذبين فيهم بالنسبة إلينا.

ب- وإن كانت من المغيبات فهي :

إما أن تكون من المغيبات التي استأثر الله بعلمها، وهذه لا يمكن لإنس ولا جن معرفة شيء منها، ولا يكون التحدث بشيء منها إلا كذباً وافتراً على الله، ووراداً على لسان أحد القرينين من الإنس والجن .

وإما أن تكون من المغيبات التي قضى أمرها في السماء، وأصبحت معلومة لذوي الاختصاص من الملائكة، كما أصبحت معدة لتبليغها للملائكة الموظفين بتنفيذ أمر الله فيها، وهذه قد جاء فيها عن رسول الله ﷺ ما يلي :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ " ٥٣٤
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسَّلْسَلَةِ عَلَى صَفْوَانَ - قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانَ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرْقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقُهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ - فَتَلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ،

٥٣٤ - صحيح البخاري (٤ / ١١١) (٣٢١٠)

[ش (فتسترق) تختلس وتستمع ستخفية كالسارق. (فتوحيه) فتلقيه. (الكهان) جمع كاهن وهو الذي يتعاطى الإخبار عن الكائنات في المستقبل ويدعي معرفة الأسرار]

فَيُصَدِّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ^{٥٣٥}

وَعَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا قَضَى الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَصَوْتِ السَّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ، فَإِذَا فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقَّ قَالَ الَّذِي قَالُوا لَهُ الْحَقَّ: قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ قَالَ: فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقَو السَّمْعِ وَهُمْ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ وَاحِدٍ، وَاحِدٌ فَوْقَ وَاحِدٍ، وَاحِدٌ فَوْقَ وَاحِدٍ، وَاحِدٌ فَوْقَ وَاحِدٍ، وَأَشَارَ سَفِيَانُ بِأَصْبَعِهِ نَصَبَهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَفَرَحَهَا، «فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ قَالَ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيَرْمِي بِهَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا حَتَّى تُلْقَى عَلَى فَمٍ سَاحِرٍ أَوْ كَاهِنٍ قَالَ: فَيَكْذِبُ مَعَهَا مَائَةٌ كَذِبَةٍ فَيُصَدِّقُ، فَيُقَالُ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا بِكَذَا، وَيَوْمَ كَذَا بِكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ^{٥٣٦}

وهذا هو استراق الشياطين السمع من الملائكة بعد نزولها إلى جو الأرض، وليس هو استراقها السمع من السماء، كما كان دأبهم قبل بعثة النبي ﷺ الذي منعوا به بالشهب . وفي تكذيب مَنْ يلقي سمعه للشياطين، وإثمه الكبير قال الله تعالى: {هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَى مَنْ نَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ} (٢٢١) نَنْزِلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) { [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٤] " ^{٥٣٧} .

^{٥٣٥} - صحيح البخاري (٦/ ٨٠) (٤٧٠١) وهذا أشار إليه الشيخ ولم يذكر نصه .

[ش (خضعاناً) مصدر من خضع أي طاعة وانقياداً. (كالسلسلة على صفوان) لها صوت كصوت السلسلة على الحجر الأملس. (علي) بن عبد الله شيخ البخاري. (غيره) أي غير سفيان الذي روى عنه علي. (ينفذهم ذلك) ينفذ الله إلى الملائكة الأمر الذي قضاه وهذه الجملة زيادة غير سفيان. (فزع عن قلوبهم) زال عنها الخوف والفزع. (قالوا) أي سأل عامة الملائكة خاصتهم. (قالوا) أي الخاصة كجبريل وميكائيل عليهما السلام. (للذي قال) لأجل ما قضاه الله تعالى وقاله أو قالوا للذي سأل. (مسترقو السمع) وهم مردة الشياطين. (الساحر) المنجم.]

^{٥٣٦} - التوحيد لابن منده (١/ ١٤٧) (٣٤) صحيح - زيادة مني

^{٥٣٧} - (العقيدة الإسلامية وأسسها - ٢٩٠) ط ٢

وفي فتاوى أستاذنا الزحيلي حفظه الله: "هل يجوز الاستعانة بالجن المسلم؟ وما حكم من استعان بالجن المسلم لخدمة المسلمين؟ وما حكم الاستعانة بالجن بشكل عام؟".
الجواب:

يحرم الاستعانة بالجن أياً كانوا، فهو مذموم شرعاً لقوله تعالى في سورة الجن: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦].^{٥٣٨}

٣ - تحضير الأرواح:

انتشر في عصرنا القول بتحضير الأرواح، وصدّق بهذه الفرية كثير من الذين يعدّهم الناس عقلاء وعلماء.
وتحضير الأرواح المزعوم سبيله ليس واحداً، فمنه ما هو كذب صراح، يستعمل فيه الإيحاء النفسي، والمؤثرات المختلفة، والحيل العلمية، ومنه ما هو استخدام للجن والشياطين.

وقد كشف الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين في كتابه (الروحانية الحديثة) كثيراً من خداع هؤلاء وتزويرهم للحقيقة، فهم لا يجرون تجاربهم كلها إلا في ضوء أحمر خافت، هو أقرب إلى الظلام، وظواهر التجسيد، والصوت المباشر، ونقل الأجسام، وتحريكها تجرى في الظلام الدامس، ولا يستطيع المراقب أن يتبين مواضع الجالسين، ولا مصدر الصوت، ولا يستطيع كذلك أن يميز شيئاً من تفاصيل المكان، كجدرانه أو أبوابه أو نوافذه.

وتكلم الدكتور محمد عن (الخباء) وهو حجرة جانبية معزولة عن الحاضرين أو جزء من الحجرة التي يجلسون فيها تفصل بحجاب كثيف، وهذا المكان المنفصل معدّ لجلوس الوسيط الذي تجرى على يديه ظواهر التجسد المزعوم. ومن هذا المكان المحجوب بستار يضاف إلى حجاب الظلام السابق تخرج الأرواح المزعومة متجسدة، وإليه تعود بعد قليل، ولا يسمح للحاضرين بلمس الأشباح.

^{٥٣٨} - فتاوى الزحيلي (٢/ ٣٧٣) وهي في موقعه على النت

ويرى الدكتور أن الروحانيين لا يعدمون في مثل هذا الجو المظلم قوالب علمية يصبون فيها حيلهم.

والتدليس على الناس بالحيل طريقة قديمة معروفة، يضل بها شياطين الإنس عباد الله، يطلبون الوجاهة عند الناس، كما يطلبون مالهم، فقد ذكر ابن تيمية عن فرقة في عصره كانت تسمى (البطائية): "وَبَلَّغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ طَافُوا عَلَى عَدَدٍ مِنْ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ وَقَالُوا أَنْوَاعًا مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ مِنَ التَّلْبِيسِ وَالْإِفْتِرَاءِ الَّذِي اسْتَحْوَذُوا بِهِ عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْأَكْبَارِ وَالرُّؤَسَاءِ مِثْلَ زَعْمِهِمْ أَنَّ لَهُمْ أَحْوَالًا لَا يُقَاوِمُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَأَنَّ لَهُمْ طَرِيقًا لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَأَنَّ شَيْخَهُمْ هُوَ فِي الْمَشَايِخِ كَالْخَلِيفَةِ وَأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ عَلَى الْخَلْقِ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ الْمَنِيغَةِ وَأَنَّ الْمُنْكَرَ عَلَيْهِمْ هُوَ آخِذٌ بِالشَّرْعِ الظَّاهِرِ غَيْرُ وَاصِلٍ إِلَى الْحَقَائِقِ وَالسَّرَائِرِ. وَأَنَّ لَهُمْ طَرِيقًا وَلَهُ طَرِيقٌ. وَهُمْ الْوَاصِلُونَ إِلَى كُنْهِ التَّحْقِيقِ وَأَشْبَاهِ هَذِهِ الدَّعَاوَى ذَاتِ الزُّخْرُفِ وَالتَّزْوِيقِ. وَكَانُوا لِفِرْطِ انْتِشَارِهِمْ فِي الْبِلَادِ وَاسْتِحْوَاذِهِمْ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْأَجَنَادِ لَخَفَاءِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَاسْتِبْدَالِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِالنُّورِ الظَّلَامِ، وَطُمُوسِ آثَارِ الرَّسُولِ فِي أَكْثَرِ الْأَمْصَارِ وَدُرُوسِ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ فِي دَوْلَةِ التَّنَارِ لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعٌ هَائِلٌ وَلَهُمْ فِيهِمْ مِنَ الْإِعْتِقَادِ مَا لَا يَزُولُ بِقَوْلِ قَائِلٍ. قَالَ الْمُخْبِرُ: فَعَدَا أُولَئِكَ الْأُمَرَاءُ الْأَكْبَارُ وَخَاطَبُوا فِيهِمْ نَائِبَ السُّلْطَانِ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِمُ الْبَاهِرِ وَذَكَرَ لِي أَنْوَاعًا مِنَ الْخِطَابِ وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الصَّوَابِ وَالْأَمِيرُ مُسْتَشْعِرٌ ظُهُورَ الْحَقِّ عِنْدَ التَّحْقِيقِ فَأَعَادَ الرَّسُولَ إِلَيَّ مَرَّةً ثَانِيَةً فَبَلَغَهُ أَنَّا فِي الطَّرِيقِ وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ الْبِدْعِ الْأَضْدَادِ كَطَوَائِفَ مِنَ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْمُتَفَقَّرَةِ وَأَتْبَاعِ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ مُجِدِّينَ فِي نَصْرِهِمْ بِحَسَبِ مَقْدُورِهِمْ مُجَهِّزِينَ لِمَنْ يُعِينُهُمْ فِي حُضُورِهِمْ. فَلَمَّا حَضَرَتْ وَجَدْتُ النُّفُوسَ فِي غَايَةِ الشَّوْقِ إِلَى هَذَا الْجَمْعِ مُتَطَلِّعِينَ إِلَى مَا سَيَكُونُ طَالِبِينَ لِلْإِطْلَاعِ. فَذَكَرَ لِي نَائِبُ السُّلْطَانِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ بَعْضَ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْإِفْتِرَاءِ. وَقَالَ إِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّكَ طَلَبْتَ مِنْهُمْ الْإِمْتِحَانَ وَأَنْ يَحْمُوا الْأَطْوَاقَ نَارًا وَيَلْبَسُوهَا فَقُلْتُ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ. وَهَذَا أَنَا ذَا أَصْفٍ مَا كَانَ. قُلْتُ لِلْأَمِيرِ: نَحْنُ لَا نَسْتَحِلُّ أَنْ نَأْمُرَ أَحَدًا بِأَنْ يَدْخُلَ نَارًا وَلَا تَجُوزُ طَاعَةٌ مَنْ يَأْمُرُ

بَدْخُولِ النَّارِ. وَفِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحُ. وَهَؤُلَاءِ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ وَهُمْ كَذَّابُونَ مُبْتَدِعُونَ قَدْ أَفْسَدُوا مِنْ أَمْرِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَدُثِّيَاهُمْ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ. وَذَكَرْتُ تَلْبِيسَهُمْ عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَنَّهُمْ لَبَسُوا عَلَى الْأَمِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْأَيْدَمَرِيِّ. وَعَلَى قَفْجَقِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ وَعَلَى غَيْرِهِمَا وَقَدْ لَبَسُوا أَيْضًا عَلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَتِفًا فِي مُلْكِهِ وَفِي حَالَةِ وَلَايَةِ حُمَاهُ وَعَلَى أَمِيرِ السَّلَاحِ أَجَلٌ أَمِيرٍ بِدِيَارِ مِصْرَ وَضَاقَ الْمَجْلِسُ عَنْ حِكَايَةِ جَمِيعِ تَلْبِيسِهِمْ. فَذَكَرْتُ تَلْبِيسَهُمْ عَلَى الْأَيْدَمَرِيِّ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يُرْسِلُونَ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ يَسْتَخْبِرُ عَنْ أَحْوَالِ بَيْتِهِ الْبَاطِنَةِ ثُمَّ يُخْبِرُونَهُ بِهَا عَلَى طَرِيقِ الْمُكَاشَفَةِ وَوَعْدُوهُ بِالْمُلْكِ وَأَنَّهُمْ وَعْدُوهُ أَنْ يُرَوِّهُ رِجَالُ الْغَيْبِ فَصَنَعُوا خَشَبًا طَوَالًا وَجَعَلُوا عَلَيْهَا مَنْ يَمْشِي كَهَيْئَةِ الَّذِي يَلْعَبُ بِأَكْرِ الزُّجَاجِ فَجَعَلُوا يَمْشُونَ عَلَى جَبَلِ الْمَزَّةِ وَذَلِكَ يَرَى مِنْ بَعِيدٍ قَوْمًا يَطُوفُونَ عَلَى الْجَبَلِ وَهُمْ يَرْتَفِعُونَ عَنِ الْأَرْضِ وَأَخَذُوا مِنْهُ مَالًا كَثِيرًا ثُمَّ انْكَشَفَ لَهُ أَمْرُهُمْ. قُلْتُ لِلْأَمِيرِ: وَوَلَدُهُ هُوَ الَّذِي فِي حَلَقَةِ الْحَيْشِ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَهُوَ مِمَّنْ حَدَّثَنِي بِهَذِهِ الْقِصَّةِ. وَأَمَّا قَفْجَقُ فَإِنَّهُمْ أَدْخَلُوا رَجُلًا فِي الْقَبْرِ يَتَكَلَّمُ وَأَوْهَمُوهُ أَنَّ الْمَوْتَى تَتَكَلَّمُ وَأَتَوْا بِهِ فِي مَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ إِلَى رَجُلٍ زَعَمُوا أَنَّهُ الرَّجُلُ الشَّعْرَانِيُّ الَّذِي بِجَبَلِ لُبْنَانَ وَلَمْ يُقَرِّبُوهُ مِنْهُ بَلْ مِنْ بَعِيدٍ لَتَعُودَ عَلَيْهِ بَرَكَتُهُ وَقَالُوا إِنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ جُمْلَةً مِنَ الْمَالِ؛ فَقَالَ قَفْجَقُ الشَّيْخُ يُكَاشِفُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ خَزَائِنِي لَيْسَ فِيهَا هَذَا كُلُّهُ وَتَقَرَّبَ قَفْجَقُ مِنْهُ وَجَذَبَ الشَّعَرَ فَأَنْقَلَعَ الْجِلْدُ الَّذِي أَلْصَقُوهُ عَلَى جِلْدِهِ مِنْ جِلْدِ الْمَاعِزِ. ٥٣٩

وقد بين الدكتور محمد محمد حسين أن الوسيط - وهو شخص يزعم أهل هذا المذهب الروحيون أن فيه استعداداً فطرياً يؤهله لأن يكون أداة يجري عن طريقها التواصل - غالباً ما يكون دجالاً كبيراً، وغشاشاً مدلساً، وبين كيف أن كثيراً من هؤلاء الوسطاء لا يكون على خلق ولا دين، بل إن الروحانيين لا يشترطون في الوسيط شيئاً من ذلك، وقد ذكر حادثة جرت معه شخصياً تبين له بعد تحقيق منه في الموضوع أن الوسيط كان دجالاً كاذباً.

وبين كيف أن بعض الحضور يكونون متواطئين مع المحضرين، وكيف يُحتسب في انتقاء الذين يسمح لهم بحضور مثل هذه الجلسات، وكيف يعللون إخفاقهم إذا وجد في الحضور بعض الأذكاء النبهاء.

وقد أفاض الدكتور محمد محمد حسين في الكشف عن الطريق الأولى التي يزعم الروحانيون أنهم يحضرون بها الأرواح، وهي طريق الدجل والكذب، واستعمال المؤثرات النفسية والحيل العلمية.

وأشار مجرد إشارة إلى الطريق الثانية وهي استخدام الجن، وأرى أن غالب الدعوات التي يزعم أصحابها تحضير الأرواح هي من هذا القبيل.

تحضير الأرواح دعوة قديمة:

دعوى تحضير الأرواح ليست جديدة، بل هي قديمة، وقديمة جداً، وقد نقلنا فيما سبق كيف كان بعض الناس يتصلون بالجن، بل حفظت لنا كتب الثقات أن بعض الناس كانوا يزعمون أن أرواح الموتى تعود إلى الحياة بعد الموت، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وَمِنْ هَؤُلَاءِ (أي أهل الحال الشيطاني من الكفرة والمشركين والسحرة ونحوهم) مَنْ إِذَا مَاتَ لَهُمْ مَيِّتٌ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَجِيءُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ فَيُكَلِّمُهُمْ وَيَقْضِي دُيُونَهُ وَيَرُدُّ وَدَائِعَهُ وَيُوصِيهِمْ بِوَصَايَا فَإِنَّهُمْ تَأْتِيهِمْ تِلْكَ الصُّورَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ شَيْطَانٌ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِهِ؛ فَيُظَنُّونَهُ إِيَّاهُ. وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَسْتَغِيثُ بِالْمَشَايخِ فَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي فَلَانٌ أَوْ يَا شَيْخُ فَلَانٌ أَقْضِ حَاجَتِي. فَيَرَى صُورَةَ ذَلِكَ الشَّيْخِ تُخَاطِبُهُ وَيَقُولُ: أَنَا أَقْضِي حَاجَتَكَ وَأُطِيبُ قَلْبَكَ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا قَدْ تَمَثَّلَ فِي صُورَتِهِ لَمَّا أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَدَعَا غَيْرَهُ. وَأَنَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا وَقَائِعَ مُتَعَدِّدَةٍ؛ حَتَّى إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِي ذَكَرُوا أَنَّهُمْ اسْتَعَاثُوا بِي فِي شِدَائِدٍ أَصَابَتْهُمْ. أَحَدُهُمْ كَانَ خَائِفًا مِنَ الْآرَمَنِ وَالْآخَرُ كَانَ خَائِفًا مِنَ التُّر: فَذَكَرَ كُلُّ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَعَاثَ بِي رَأَيْتُ فِي الْهَوَاءِ وَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ عَدُوَّهُ. فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِهَذَا وَلَا دَفَعْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا؛ وَإِنَّمَا هَذَا الشَّيْطَانُ تَمَثَّلَ لِأَحَدِهِمْ فَأَعْوَاهُ لَمَّا أَشْرَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَهَكَذَا جَرَى لِعَيْرٍ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمَشَايِخِ مَعَ أَصْحَابِهِمْ؛ يَسْتَغِيثُ أَحَدُهُمْ بِالشَّيْخِ فَيَرَى الشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَقَضَى حَاجَتَهُ وَيَقُولُ ذَلِكَ

السَّيِّخُ: إِنِّي لَمْ أَعْلَمْ بِهَذَا فَيَتَيَّنُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ شَيْطَانًا. وَقَدْ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا لَمَّا ذَكَرَ لِي أَنَّهُ اسْتَعَاثَ بِاثْنَيْنِ كَانَ يَعْتَقِدُهُمَا وَأَنَّهُمَا أَتِيَاهُ فِي الْهَوَاءِ؛ وَقَالَ لَهُ طَيْبٌ قَلْبِكَ نَحْنُ نَدْفَعُ عَنْكَ هَؤُلَاءِ وَنَفْعَلُ وَنَصْنَعُ. قُلْتُ لَهُ: فَهَلْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: لَا. فَكَانَ هَذَا مِمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا شَيْطَانَانِ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ وَإِنْ كَانُوا يُخْبِرُونَ الْإِنْسَانَ بِقِصَّةٍ أَوْ قِصَّةٍ فِيهَا صِدْقٌ فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ أَضْعَافَ ذَلِكَ كَمَا كَانَتْ الْجِنُّ يُخْبِرُونَ الْكُفَّانَ. وَلِهَذَا مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى مُكَاشَفَتِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَخْبَارِ الْجِنِّ كَانَ كَذِبُهُ أَكْثَرَ مِنْ صِدْقِهِ؛ كَشَيْخٍ كَانَ يُقَالُ لَهُ: "الشیاح" توبناه وَجَدَدْنَا إِسْلَامَهُ كَانَ لَهُ قَرِينٌ مِنَ الْجِنِّ يُقَالُ لَهُ: "عَنْتَر" يُخْبِرُهُ بِأَشْيَاءَ فَيَصْدُقُ تَارَةً وَيَكْذِبُ تَارَةً فَلَمَّا ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّكَ تَعْبُدُ شَيْطَانًا مِنْ دُونِ اللَّهِ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ: يَا عَنْتَرُ لَا سُبْحَانَكَ؛ إِنَّكَ إِلَهٌ قَدِيرٌ وَتَابَ مِنْ ذَلِكَ فِي قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ. وَقَدْ قَتَلَ سَيْفُ الشَّرْعِ مَنْ قَتَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ مِثْلَ الشَّخْصِ الَّذِي قَتَلْنَاهُ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَكَانَ لَهُ قَرِينٌ يَأْتِيهِ وَيُكَاشِفُهُ فَيَصْدُقُ تَارَةً وَيَكْذِبُ تَارَةً وَقَدْ انْقَادَ لَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَنْسُوبِينَ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرَّئَاسَةِ فَيُكَاشِفُهُمْ حَتَّى كَشَفَهُ اللَّهُ لَهُمْ. وَذَلِكَ أَنَّ الْقَرِينَ كَانَ تَارَةً يَقُولُ لَهُ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَيَذْكُرُ أَشْيَاءَ تُنَافِي حَالَ الرَّسُولِ فَشَهِدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الرَّسُولَ يَأْتِينِي وَيَقُولُ لِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْفُرُ مَنْ أَضَافَهَا إِلَى الرَّسُولِ؛ فَذَكَرْتُ لَوْلَا الْأُمُورِ أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الْكُفَّانِ وَأَنَّ الَّذِي يَرَاهُ شَيْطَانًا؛ وَلِهَذَا لَا يَأْتِيهِ فِي الصُّورَةِ الْمَعْرُوفَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَلْ يَأْتِيهِ فِي صُورَةٍ مُنْكَرَةٍ وَيَذْكُرُ عَنْهُ أَنَّهُ يَخْضَعُ لَهُ؛ وَيُسَبِّحُ لَهُ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْمُسْكِرَ وَأُمُورًا أُخْرَى. وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الرُّؤْيَا؛ وَلَمْ يَكُنْ كَاذِبًا فِي أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الصُّورَةَ؛ لَكِنْ كَانَ كَافِرًا فِي اعْتِقَادِهِ أَنَّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ. وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ. وَلِهَذَا يَحْصُلُ لَهُمْ تَزَلُّاتٌ شَيْطَانِيَّةٌ بِحَسَبِ مَا فَعَلُوهُ مِنْ مُرَادِ الشَّيْطَانِ؛ فَكَلَّمَا بَعُدُوا عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَطَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ قَرُبُوا مِنَ الشَّيْطَانِ. فَيَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ؛ وَالشَّيْطَانُ طَارَ بِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْرَعُ الْحَاضِرِينَ وَشَيْطَانِيَّةُ صَرَعتِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْضِرُ طَعَامًا وَإِدَامًا وَمَلَأَ الْإِبْرِيْقَ مَاءً مِنَ الْهَوَاءِ وَالشَّيَاطِينُ فَعَلَتْ ذَلِكَ فَيَحْسَبُ الْجَاهِلُونَ أَنَّ هَذِهِ كَرَامَاتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ؛ وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ جِنْسِ أَحْوَالِ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَأَمْثَالِهِمْ. وَمَنْ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْأَحْوَالِ الرَّحْمَانِيَّةِ

والنفسانية اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَمَنْ لَمْ يُنَوِّرِ اللَّهُ قَلْبَهُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَاتَّبَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يَعْرِفْ طَرِيقَ الْمُحَقِّقِ مِنَ الْمُبْطِلِ؛ وَالتَّبَسُّعُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَالْحَالُ كَمَا التَّبَسُّعُ عَلَى النَّاسِ حَالُ مُسَيَّلِمَةٍ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكَذَّابِينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ؛ وَإِنَّمَا هُمْ كَذَّابُونَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِتْنَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»....^{٥٤١}

تجربة معاصرة:

هذه تجربة حصلت مع الكاتب أحمد عز الدين البيانوني، ذكرها في كتاب الإيمان بالملائكة، حرصت على نقلها بنصها في هذا الموضوع يقول الكاتب:

"لقد شغل (استحضار الأرواح) المزعوم أفكار الناس في الشرق والغرب، فكتب في مقالات، بلغات مختلفات، نُشرت في مجلات عربية وغير عربية، وألفت فيه مؤلفات، وبحث فيه باحثون، وجربه مجربون، اهتدى بعد ذلك العقلاء منهم إلى أنه كذب وبهتان، ودعوة إلى كفر وطغيان.

إن استحضار الأرواح، الذي يزعمه الزاعمون، كذبٌ ودجل وخداع، وما الأرواح المزعومة إلا شياطين تتلاعب بالإنسان، وتخدعه.

وليس في استطاعة أحد أن يستحضر روح أحد؛ فالأرواح بعد أن تفارق الأجساد، تصير إلى عالم البرزخ.

ثم هي إما في نعيم وإما في عذاب، وهي في شغل شاغل عما يدعيه مستحضرو الأرواح. وقد دُعيتُ أنا إلى ذلك، من قبل هذه الأرواح، وجربته بنفسي تجربة طويلة، وظهر لي أنه كذب ودجل وخداع، علي أيدي شياطين تتلاعب، غرضهم من ذلك تضليل الناس وخداعهم، وموالاته من يواليهم....".

بدء التجربة:

^{٥٤٠} - صحيح البخاري (٤/ ٢٠٠) (٣٦٠٩)

^{٥٤١} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١١٥ / ٣٥)

ويتابع أحمد عزّ الدين كلامه قائلاً:

"عرفت منذ أكثر من عشر سنوات تقريباً رجلاً، يزعم أنه يستخدم الجن في أمور صالحة في خدمة الإنسان، وذلك بوساطة وسيط من البشر. ويزعم أنه توصّل إلى ذلك بتلاوات وأذكار طويلة، قضى فيها زمناً طويلاً، دلّله عليها بعض من يزعم أنه على معرفة بهذا العلم! جاءني الوسيط ذات يوم يبلغني دعوة فلان وفلانة من الجن، لحديث هامّ، لي فيه شأن عظيم. فذهبت في الموعد المحدد، متوكلاً على الله، فرحاً بذلك، لأطلع في هذه التجربة على جديد".

كيف بدأت المخادعة؟

"من أول أساليب الخداع التي سلكت معي، أن طريقة الاستحضار، استغفار وتهليل وأذكار، مما يجعل الإنسان لأول وهلة، يظن أنه يتحدث مع أرواح علوية صادقة طاهرة. دخلت بيت الوسيط، وخلقونا معاً في غرفة، وجلس هو على فراش، وبدأنا - بدلالته طبعاً - نستغفر وتهلل - حتى أخذته إغفاءة، فأضجعتة أنا على فراشه، وسجّيته بغطاء، كما علمني أن أفعل، وإذا بصوت خافت، يسلم صاحبه عليّ، ويظهر حفاوته بي وحبّه، ويعرفني بنفسه، إنه مخلوق، يزعم أنه ليس من الملائكة، ولا من الجن، ولكنه خلق آخر، من نوع آخر، ووجد بقوله تعالى "كن" فكان.

وهذا على زعمه أنّ الجن لا يصدرون إلا عن أمره، وأن بينه وبين الله تعالى في تلقي الأوامر خمس وسائط فقط، خامسهم جبريل عليه السلام. وأخذ يثني عليّ، ويقول: إنهم سيقطعون كل علاقة لهم بالبشر، وسيكتفون بلقائي، لأنني على زعمهم صاحب الخصوصية في هذا العصر، وموضع العناية من الله تعالى، وأن الله تعالى هو الذي اختارني لذلك.

ووعدني بعود رائعة، فيها العجب العجيب.

واستسلمت لهذه التجربة الجديدة، والدعوة الخادعة، متوكلاً على الله عزّ وجلّ، سائلاً الله تعالى أن يعصمني من الزلل، وأن يهديني إلى الحقّ المبين، مستضيئاً بنور العلم، سالكاً سبيل الاستقامة، والحمد لله تعالى.

ولما انقضى اللقاء الأول، دعاني إلى لقاء آخر، في موعد آخر، ثم دلني هو نفسه على تلاوة خاصة؛ لإيقاظ الوسيط من غيبوبته.

وكان ذلك، وجلس الوسيط، وعرك عينيه، كأنه انتبه من نوم عميق، ولا علم له بشيء مما جرى.

ورجعت في الموعد المحدد أيضاً، وتم بيننا بعد لقاءات مدة طويلة، وفي كل لقاء، تتجدد الوعود الحسنة، ويوصف لي المستقبل الرائع الذي ينتظرني، والنفع العظيم الذي تلقاه الأمة على يديّ.

تطور الموضوع:

وتطور الأمر، فأخذ كثير من الأرواح يزوروني في كل لقاء، بمقدمات من الأذكار، وبغير مقدمات، فقد أكون مع الوسيط على طعام، أو على تناول كأس من الشاي، فتأخذه الإغفاءة المعهودة، فيميل رأسه إلى الأمام، وتلتصق ذقنه ب صدره، ويحدثني الزائر الذي يزعم أنه من الملائكة، أو من الجن، أو من الصحابة، أو من الأولياء، حديثاً يغلب عليه طابع الاحترام والإجلال، والتبرك بزيارتي، وتبشيري بالمستقبل الزاهر المبارك، ثم ينصرف، ويحيي غيرَه وغيره...".

من الزائرون؟

" زارني فيما زعموا أفراد من الملائكة، وأفراد من الجن، وأبو هريرة رضي الله عنه من الصحابة، وطائفة من الأولياء، أمثال أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وطائفة من أهل العلم والفضل، المشهود لهم بالعلم والولاية، أمثال الشيخ أحمد الترماني رحمه الله تعالى، وبعض من أدركتهم من أهل العلم والفضل، ثم أدركتهم الوفاة، ومنهم والذي رحمه الله تعالى.

وبشروني بزيارة والدي إياي، في وقت عينوه، وانتظرت الموعد بلهف، ولما كان الموعد المنتظر، كلفوني أن أقرأ سورة ((الواقعة)) جهراً، فقرأتها، ولما فرغت من قراءتها، قالوا: سيحضر والدك بعد لحظات، فاسمع ما يقول، ولا تسأله عن شيء!!!".

بدء انتباهي:

"وبعد دقائق جاعني، جاء من يزعم أنه أبي، فسلم علي، وأظهر سروره بلقائي، وفرحه بي على صلتي بهذه الأرواح، وأوصاني أن أعتني بالوسيط وأهله! وأن أراعاه رعاية عطف وإحسان، إذ لا مورد له من المال إلا من هذا الطريق.

وختم حديثه بالصلاة الإبراهيمية، وأنا أعلم أنه رحمه الله تعالى، كان شديد الولع بالصلاة على النبي ﷺ، ولا سيما الإبراهيمية.

وكان من العجب أن لهجة المتحدث شبيهة إلى حد ما بلهجة الوالد. ثم سلم وانصرف.

وأخذت أتسائل في نفسي: لم أوصوني أن لا أسأله عن شيء؟!!

في الأمر سرٌّ ولا شك!

السرُّ الخفي الذي انكشف لي آنذاك، أنه ليس بوالدي، ولكنه قرينه من الجن، الذي صحبه مدة حياته، فجاءني يمثل لي صوته، ويتشبه بخصوصية من خصوصياته.

أوصوني أن لا أسأله عن شيء؛ لأن القرين من الجن، مهما عرف من شأن والدي وحفظ من أحواله، فلن يستطيع أن يحفظ كل جزئية يعرفها الولد من أبيه، فحذروا أن أسأله عن شيء من ذلك، فلا يجيبني، فيفتضح الأمر.

ثم سلكوا معي في لقائي مع الآخرين، أن لا يعرفوني بأسمائهم إلا عند انصرافهم، فيقول أحدهم: أنا فلان، ويسلم، وينصرف على الفور.

وفي ذلك من السرِّ ما ذكرت: فلو أخبرني واحد منهم عن نفسه، وهو مشهود له بالعلم، فبحثت معه في إشكال علمي، لعجز عن الجواب، وانكشف الأمر.

وقد أتاني آت مرة يناقشني في إباحة كشف وجه المرأة، وأنه ليس بعبورة، فرددت عليه، ورد عليّ رداً ليس فيه رائحة العلم، واحتدم الجدل بيننا.

فقلت له: وماذا تجيب عن أقوال الفقهاء الذي قالوا:

إن وجه المرأة عورة، أو يجب ستره خشية الفتنة؟

وانتهى الجدل إلى غير جدوى، ثم أخبرني أنه الشيخ أحمد الترماني، وانصرف.
فانكشف لي أنه الكذب لا شك فيه، لأن الشيخ المذكور من كبار فقهاء
الشافعية، والسادة الشافعية يقولون: المرأة كلها عورة، ولو عجوزاً شمطاء.
فلو أنه كان هو الشيخ المذكور، وانكشف له من العلم جديد، وهو في عالم
البرزخ، لأخبرني بذلك، وأرشدني إلى دليله.
ولكنه الكذب والخداع، وإرادة التضليل. وأبى الله تعالى - والحمد لله - إلا هداي، وثباتي
على الحق والهدى.

فكشفُ المرأة وجهها، ولا سيما في هذا الزمان الفاسد والمجتمع المريض، أمر لا يُقره ذو
عقل ودين".

انكشف الحقيقة!

" ولم تزل تنكشف لي الحقيقة على وجهها مرة بعد مرة، وفي تجربة بعد تجربة، حتى تحقق
عندي أن الأمر كله كذب وبهتان، ودجل وطغيان، لا أساس له من تقوى، ولا قائمة له
على دين.

فالوسيط الذي يعتنون بشأنه، ويوصون بحسن رعايته وإكرامه، تارك صلاة، ولا يأمرونه
بها.

وهو يخلق لحيته، ولا يأمرونه بإطلاقها.

ثم هو يأكل أموال الناس بالباطل، وبالوعود الخادعة، ولا مورد له إلا من هذا الطريق
الخبث.

جاءني رجل بعدما عرف صلي بهذا الوسيط، يشكو إليّ أنه خدعه، فأخذ منه ثلاثمائة ليرة
سورية، وهو فقير، وفي أشد الحاجة إليها.

فألزمت الوسيط بردها إليه، فاستجاب لذلك حرصاً منه ومن شياطينه على بقاء صلي
بهم.

والوسيط وأسرتة تقوم حياتهم على الكذب في أكثر شؤونهم).

الخاتمة:

وختم الشيخ أحمد عز الدين كلامه على هذه التجربة بقوله:
" حاولت هذه الأرواح بعدما انكشف لي أمرها أن تسلك معي مسلك التهديد، فلم يزل ذلك من قلبي شيئاً، والحمد لله.
وقد كنت كتبت في هذه المدة الطويلة مما حدثوني به ما ملأ دفتريين كبيرين، جمعت فيهما أكثر ما حدثوني به.
ولما ظهر الباطل ظهوراً لا يحتمل التأويل، قطعت الصلة بهم، وحكمت عليهم بما حكمت، وأحرقت الدفتريين اللذين امتلأا بالكذب والخداع.
فهذه الأرواح التي تدّعي أنها أرواح رجال من الصحابة والأولياء والصالحين، كلها شياطين، لا ينبغي لمؤمن عاقل أن ينخدع بها. وجميع الصور التي اعتادها مستحضرو الأرواح كذب وباطل.
سواء في ذلك طريقة الوسيط التي ذكرتها وجربتها، وطريقة المنضدة والفناجين التي ذكرها لي بعض من جربها، ووصل إلى النتيجة التي وصلت إليها.
ومن عجيب الأمر أني قرأت بعد ذلك كتباً مؤلفة في هذا الموضوع، فإذا بالمجريين العاقلين وصلوا إلى مثل ما وصلت إليه، وحكموا على تلك الأرواح، أنها قرناء بني آدم من الجن، كما هداني الله تعالى إلى ذلك من قبل، والحمد لله.
وقد أدبت بكلمتي هذه النصح الواجب، والله الهادي والموفق "

خطر هذه الدعوات:

هذه الدعوات التي تزعم أن بإمكانها تحضير الأرواح اتخذها شياطين الجن والإنس سبيلاً لإفساد الدين، فهذه الأرواح التي تُحضّر، وهي في الحقيقة شياطين تتكلم بكلام يحطم الدين وينسفه، وتقر مبادئ ومثلاً جديدة تعارض الحق كل المعارضة، ففي واحدة من هذه الجلسات زعمت الروح (الشیطان) على لسان الوسيط أن جبريل قد حضر هذه الجلسة، ولما كان الحضور لا يعرفون جبريل قالت: " ألا تعرفون جبريل الذي كان يتزل بالقرآن على محمد؟ ! إنه يبارك هذا الاجتماع "

وينقل الدكتور محمد محمد حسين عن مجلة (عالم الروح) من مقال لها بعنوان (حديث الروح الكبير هوايت هوك) ما يأتي: (يجب أن نتحد في هذه الحركة، في هذا الدين الجديد، يجب أن تسودنا المحبة، ويجب أن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم...

رسالتي (المتحدث هنا الروح أي الشيطان) أي أواسي المحروم، وأساعد الإنسان على تحرره في نفسه من الله تعالى، (وصدق وهو كذوب فهذه رسالته، أي يجعله يكفر بالله) الإنسان إله مكسو بعناصر الأرض (هكذا ينفخ في الإنسان، ويكذب عليه ليضله)، وهو لن يدرك ما في مقدوره ما لم يحس بجزئه الملائكي الإلهي...، الروحية ستكون أقدر من غيرها على تأسيس دين جديد واسع للعالم كله".

وينقل عن هذه المجلة أيضاً تعريفاً بالمنظمة التي أسست لهذه الغاية "إن هذه المنظمة ستكون لكل البشرية، وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيعته، إنهم سوف يأتون لنا بالسلام والطمأنينة الروحية وبسعادة النفس والقلب، سوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، وبين العقائد والأديان (هكذا)... إن العضوية في هذه المنظمة بدون نظر للوطن أو اللون أو الدين أو المذهب السياسي".

وقد تزعم الأرواح أنها مرسله من عند الله، فالدكتور محمد محمد حسين يذكر أن محمد فريد وجدي نقل عن هذه الأرواح (الشياطين) قولها: "نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون قبلنا، غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم، فإلهنا هو إلههم، إلا أن إلهنا أظهر من إلههم، وأقل صفات بشرية وأكثر صفات إلهية...، لا تخضع لأي عقيدة مذهبية، ولا تقبل بلا بصر ولا روية تعاليم لا تستند إلى العقل".

وهم يزعمون أن الرسل والأنبياء ما هم إلا وسطاء على درجة عالية من الوساطة، وأن المعجزات التي جرت على أيديهم ليست إلا ظواهر روحية، كالظواهر التي تحدث في حجرة تحضير الأرواح، ويزعمون أنهم يستطيعون أن يعيدوا أحداث ما نسب للمسيح عن طريق الأرواح.

وقد قامت بعض الصحف بحملة دعائية كبيرة، زعمت أن أحد محضري الأرواح في أمريكا يستطيع أن يقوم بمثل معجزات المسيح، فهو يعيد البصر إلى الأعمى، والنطق إلى الأبكم، والحركة للمشلول، بقي أن تعلم أن الطبيب المزعوم طفل في العاشرة من عمره يدعى (ميشيل). وعندما يأتيه المريض يضع أنامله عليه، ويتمتع ببعض الأدعية والكلمات فتحدث المعجزة. ويقولون: إن هذا الطفل ورث الموهبة الروحانية عن والده، وهو لا يتقاضى شيئاً من المال عما يقوم به من أعمال^{٥٤٢}.

ووراثه هذا الطفل الأعمال من أبيه تذكرنا بقصة تروى في بعض نواحي فلسطين، يقول الرواة: إن أحد الرجال الذين كانوا يظهرن الصلاح والتقى، كان يفعل عجباً، فقد كان - في ذلك الوقت الذي لم تظهر فيه الطائرة والسيارة - ينطلق إلى الحج في ليلة عرفة، فيشهد ذلك اليوم مع الحجيج، ويسلمهم رسائل من أقاربهم وذويهم، ويأخذ منهم رسائل إلى أقاربهم وذويهم، ويعود في الليلة الأخرى، وكان كثير من الناس يعتقد فيه الصلاح والخير، على الرغم من أنه ما كان يقوم بمناسك الحج، ولا يمكث في منى المدة المقررة، ولا يرمي الجمرات.

ثم شاء الله أن يكشف باطله، ويظهر أمره للناس، فعندما جاءه الموت استدعى ابنه الأكبر، وأخبره أن جملاً سيأتيه ليلة عرفة، ويحمله إلى عرفات في كل عام، ولما جاء الحمل وركبه الابن، وسار مسافة وقف، وتحدث إلى الابن وأخبره أنه شيطان، وأن أباه كان يعبد، ويسجد له، وفي مقابل ذلك يخدمه مثل هذه الخدمات، ولما رفض الابن السجود له، واستعاذ بالله منه، تركه في الصحراء، وقدر الله له الرجوع، وكشف حقيقة أبيه الكافر. وقد أشار إلى هذه القصة البيانوني في كتابه (الملائكة) بأخصر مما أثبتناه هنا.

هل يمكن استحضر الأرواح؟

لقد وضعت مجلة (سينتفيك أمريكيان) جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية، ولا تزال الجائزة قائمة لم يظفر بها أحد على الرغم من انتشار

^{٥٤٢} - ملحق جريدة القبس الكويتية: ١٧/١٠/١٩٧٧م.

الروحيين ونفوذهم وبراعتهم في أمريكا، وقد ضم إلى هذه الجائزة جائزة أخرى تبرع بها الساحر الأمريكي دننجر للغرض نفسه، ولم يظفر بها أحد أيضاً.

حكم الشريعة في تحضير الأرواح:

ما موقف الإسلام من إمكان إحضار روح المتوفى؟ إن التأمل في النصوص التي وردت في هذا تجعل الباحث يعطي حكماً جازماً أن ذلك مستحيل، فقد أخبرنا الله أن الروح من عالم الغيب الذي لا سبيل إلى إدراكه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥].

وأخبر الحق - تبارك وتعالى - أنه يتوفى الأنفس، وأنه يمسك النفوس عند موتها: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: ٤٢] وقد وكل الله بالأنفس ملائكة يعذبونها إن كانت شقية كافرة، وينعمونها إن كانت صالحة تقية.

وقد بين لنا الرسول ﷺ كيف يقبض ملك الموت الأرواح وما يفعل بها بعد ذلك. والأرواح إذا كانت ممسكة عند ربها وكل الله بها حفظة أقوىاء مهرة، فلا يمكن أن تتفلت منهم، وتهرب لتأتي إلى هؤلاء الذين يتلاعبون بعقول العباد. وبعض هؤلاء يزعم أنه حضر روح عبد من عبيد الله الصالحين من الأنبياء والشهداء، فكيف يتركون جنان الخلد إلى حجرة التحضير المظلمة، فقد أخبرنا الله أن الشهداء أحياء عند ربهم: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩].

وعن عبد الله، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، يعني أرواح الشهداء، فقيل: "جعلت في أجواف طير خضر تأوي إلى قناديل تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت، فاطلع إليهم ربك اطلاعة، فقال: هل تستزيذوني فأزيدكم؟"، قالوا: وما تستزيدك في الجنة تسرح فيها حيث نشاء، ثم اطلع إليهم ربك اطلاعة، فقال: هل تستزيذوني شيئاً

فَأَزِيدُكُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَسْأَلُوهُ، قَالُوا: تُرَدُّ أَرْوَاحُنَا فِي أَحْسَادِنَا فنُقْتَلُ فِي سَبِيلِكَ
مَرَّةً أُخْرَى ٥٤٣

فكيف يزعم دجالو العصر أنهم يحضرون أرواح هؤلاء؟ كيف؟ { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا } [الكهف: ٥].

شبهة وجوابها:

يقولون: فكيف تعللون معرفة الأرواح بأخلاق وأعمال الرجل الذي تزعم أنها كانت
تسكنه؟

قلنا: هذا الذي يزعم أنه روح إنما هو شيطان، ولعل هذا الشيطان هو القرين الذي كان
يلزم الإنسان، وقد ذكرنا النصوص التي تدلّ على أن لكل إنسان شيطاناً، فهذا القرين
الملازم للإنسان يعلم عنه الكثير من أخلاقه وعاداته وصفاته، ويعرف أقاربه
وأصدقاءه. فعندما يُخْتَبَرُ ما أسهل أن يجيب؛ لأنه على علم ودراية، فإن قيل: كيف
تفسرون الإجابات العلمية التي قد نحصل عليها من الأرواح؟ نقول: سبق أن بينا أن
الشياطين والجن لديهم القدرات العلمية التي تمكنهم من الإجابة والإفادة.

ولكنها إفادة تحمل في طياتها الإضلال العظيم، فهم لا يفيدوننا إلا بمقدار، كي نثق بهم، ثم
يوجهوننا الوجهة الضالة السيئة، التي توبقنا في ديانا وأحرانا. ٥٤٤

قلت: وقد كثرت الفتاوى والبحوث حول هذا الموضوع الخطير أكتفي باثنين منها

جاء في فتاوى الأزهر، هل تحضير الأرواح صحيح؟

وأجاب على ذلك بالتفصيل الدكتور عطية صقر رحمه الله بقوله:

" تقرر الرسالات السماوية كلها أن الإنسان مادة وروح. قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ
سَاجِدِينَ (٧٢) } [ص: ٧١ - ٧٢] وأنه أحد العوالم الثلاثة التي كلفها الله

٥٤٣ - مستخرج أبي عوانة (٤ / ٤٧٠) (٧٣٧٠) صحيح

٥٤٤ - انظر كتاب عالم الجن والشياطين (ص: ١٠٠) فما بعد

بعبادته، وهي: الملائكة والإنس والجن، وكلها مادة وروح وإن كانت مادة الملائكة هي النور، ومادة الإنس هي الطين، ومادة الجن هي النار.

والروح سرُّها عجيب لا يدرك الإنسان منه إلا قليلاً، على الرغم من إدراكه الكثير من سر المادة، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥]، واهتم علماء المسلمين بدراستها وبيان أثرها في الحياة وفي الفكر وفي السلوك وفي مصيرها بعد خروجها من البدن بالموت. ومن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الروح لابن القيم.

وعلى الرغم من الاتجاه المادي للعالم الغربي نشطت أخيراً الدراسات الروحية، في كليات أو معاهد خاصة، وتكونت جمعيات تمارس أنشطة متصلة بالروح، كبعض الأنشطة التي مارسها بعض المسلمين وغيرهم، باسم السحر وتحضير الأرواح، وما إلى ذلك، ونريد هنا أن نبين موقف الإسلام من تحضير الأرواح.

إن الأرواح هي ثلاثة أصناف من العوالم، الملائكة، والإنس ومعهم الحيوانات والطيور وكل ما يدب على الأرض، والجن.

فما هي صلة الإنسان بهذه الأرواح؟

١ - الملائكة عالم شفاف مخلوق من نور، يعطيهم الله القدرة على التشكل بالأشكال المختلفة، ولئن كان الله سخرهم لصالح البشر في مهمات وكلها إليهم كتبليغ الوحي وتسجيل ما يقع من الناس من أقوال وأفعال، ومعونة المؤمنين في الحرب وغيرها، فإن كل أنشطتهم بأمر الله وتوجيهه، لا سلطان لأحد غيره عليهم، ولا يستطيع إنسان أن يتسلط عليهم ولا أن يستعين بهم مباشرة، إلا بأمر الله سبحانه، ولما فطر الوحي عن النبي ﷺ كان يشاق لتزول جبريل عليه، فلم يتزل إلا عندما أذن الله له. فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فَنَزَلَتْ: {وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا} [مريم: ٦٤] ٥٤٥

ومن هنا لا يمكن لبشر أن يحضر ملكا أو يحضر روحه.

٢ - الإنسان عندما تفارق روحه جسده لا يعرف بالضبط مكانها إلا الله سبحانه، وإن جاءت الأخبار بأن لها صلة بالميت بقدر ما يسمع ويحسب على سؤال الملكين، ويحس بالنعيم والعذاب ويرد السلام على من سلم عليه، أو بقدر أكبر من ذلك كما قيل عن الأنبياء في قبورهم، وكما قيل عن الشهداء في قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠) { [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]، فقد روى مسلم عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في خوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطَّلَاعَةً»، فقال: "هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء تشتهي ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن نرد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا" ٥٤٦

وستظل الأرواح محبوسة عند الله لا ترد إلى الأجساد إلا عند البعث من القبور للحساب. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لعلِّي أعمل صالحا فيما تركت كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) { [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]، ولا يمكن لبشر أن يتسلط على روح الميت ويحضرها ويتحدث إليها لتخبره بما هي فيه من نعيم أو عذاب، أو بأحداث في الكون غائبة عنه، وقد يحدث الاتصال بها -دون تسلط عليها- في الرؤى والأحلام، ويقول المهتمون بتعبير الرؤيا: إن أحوال الميت وما يقوله ويخبر به حق، لأنه انتقل من دار الباطل إلى دار الحق. وقد سبق بيان قول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم "عن

٥٤٦ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٢) ١٢١ - (١٨٨٧)

الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «إِذَا رَأَاهُ فِي صُورَتِهِ»^{٥٤٧} لكن هذه الرؤى ليست باختيار الإنسان، وليس فيها تسلط على الأرواح.

٣ - الجن عالم شفاف خلق من نار، يعطيهم الله القدرة على التشكل بالأشكال المختلفة، وكما لا ترى الملائكة في حالتها النورية، إلا بإعجاز من الله تعالى كما قيل في رؤية النبي ﷺ لجبريل في الغار وليلة المعراج، لا يرى الجن في حالتهم الشفافة، كما قال تعالى: { إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ٢٧]، ولهم عالمهم الخاص من الأكل والشرب والتزواج، وسائر الأنشطة التي تنظم حياتهم ومنهم الصالحون وغير الصالحين، كما قال سبحانه: { وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا } [الجن: ١١]، وقد التقى النبي ﷺ ببعضهم واستمعوا القرآن وآمنوا، كما جاء في قوله تعالى: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) } [الأحقاف: ٢٩ - ٣٣]

^{٥٤٧} - صحيح البخاري (٣٣/٩) (٦٩٩٣) وصحيح مسلم (٤/١٧٧٥) ١١ - (٢٢٦٦)

[في الحديث أن رؤية النبي ﷺ في المنام صحيحة لا تنكر وليست بأضغاث أحلام ولا من تشبيهات الشيطان. وقيل إذا رئي على الصفات الحميدة دل ذلك على الخصب والأمطار الكثيرة وكثرة الرحمة ونصرة المجاهدين وظهور الدين وظفر الغزاة والمقاتلين ودمار الكفار وظفر المسلمين بهم وصحة الدين. وإذا رئي على صفات مكروهة ربما دل ذلك على الحرارة وظهور الفتن والبدع وضعف الدين (فسيراني في اليقظة) قيل المراد أهل عصره أي من رآه في المنام وفقه الله تعالى للهجرة إليه والتشرف بلفائه ﷺ. أو يرى تصديق تلك الرؤيا في الدار الآخرة أو يراه فيها رؤية خاصة في القرب منه والشفاعة. (لا يتمثل الشيطان بي) لا يحصل له مثال صورتي ولا يتشبه بي. (إذا رآه في صورته) أي أن رؤيته للنبي ﷺ لا تعتبر إلا إذا رآه على صفته التي وصف بها]

وتسلط الإنس على الجن لم يكن لأحد إلا لسيدنا سليمان عليه السلام بأمر ربه، حيث سخر الله له الريح والشياطين كما في قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) } [ص: ٣٥ - ٣٩]، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: " إِنْ عَفَرَيْتَا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لَيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ".^{٥٤٨}

^{٥٤٨} - صحيح البخاري (١/ ٩٩) (٤٦١) وصحيح مسلم (١/ ٣٨٤) ٣٩ - (٥٤١)

[تفلفت] عرض لي فلتة أي بغتة في سرعة. (البارحة) هي أقرب ليلة مضت. (سارية) أسطوانة ودعامة. (فذكرت..). أي فتركته ولم أربطه لما ذكرت ذلك. (لا ينبغي لأحد) لا يكون لأحد من البشر / ص ٣٥ / (حاسنا) مطرودا ذليلا]

وكان سليمان عليه السلام يراهم ويخاطبهم، ويميزي الحسن منهم بإحسانه ويعاقب المسيء منهم، قال ابن كثير في تفسيره: وقوله: وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وقماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ أي: موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تَمَرَّدَ وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى.

وليس سليمان عليه السلام وحده هو الذي كان يرى الجن، بل إن العلماء ذكروا أن أصحابه أيضا كانوا يرون الجن على هيتهم، واستدلوا بحدث الباب، قال البغوي في شرحه للحديث: وفيه دليل على أن رؤية الجن غير مستحيلة، وفيه دليل على أن أصحاب سليمان ﷺ كانوا يرون الجن وتصرفهم. شرح السنة للبغوي. ٣- ٢٧٠.

وقال العيني: وفيه دليل على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن وهو من دلائل نبوته ولولا مشاهدتهم إياهم لم تكن تقوم الحجة له لمكانته عليهم. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ٤- ٣٤٦.

وقال الحافظ ابن حجر: واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيتهم حال تصرفهم. فتح الباري ٦- ٤٥٩.

وحتى على قول من نفى رؤية الناس للجن، فإن الأنبياء مستثنون من ذلك، قال الشافعي في أحكام القرآن. ٢- ١٩٤: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلت شهادته، لأن الله عز وجل يقول: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ {سورة الأعراف: ٢٧}. إلا أن يكون نبيا.

وجاء في رواية مسلم عن أبي الدرداء، قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك» ثم قال «ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقولهُ قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: "إنَّ عدوَّ الله إبليس، جاء بشهابٍ من نارٍ ليَجعله في وجهي، فقلت: أعوذُ بالله منك، ثلاث مرَّات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التَّامة، فلم يستأخر، ثلاث مرَّات، ثم أردتُ أخذه، والله لوْلا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثِقاً يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ" ٥٤٩

وفي رواية النسائي عن عائشة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَخَنَفَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِي، وَلَوْلا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَأَصْبَحَ مُوثِقاً حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ» ٥٥٠

وعن أبي هريرة، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اعْتَرَضَ لِي الشَّيْطَانُ فِي مُصَلَّايَ فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَخَنَفْتُهُ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى كَفِّي، وَلَوْلا مَا كَانَ مِنْ دَعْوَةِ أَخِي سُلَيْمَانَ، لَأَصْبَحَ مَرْبُوطاً تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ» ٥٥١

وعن أبي سعيد الخدري، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، وَهُوَ خَلْفُهُ، فَقَرَأَ، فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: "لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَإِبْلِيسَ، فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي، فَمَا زِلْتُ أَخْتِفُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إِصْبَعَيْ هَاتَيْنِ -

ونقل ابن حجر كلام الشافعي ثم قال: هذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، وأما من ادعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوان فلا يقدر فيه، وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور. فتح الباري ٦ - ٣٤٤. وفتاوى الشبكة الإسلامية (١/ ٤٠٢٦): رؤية سليمان للجن وهل يمكن لغير الأنبياء رؤيتهم

٥٤٩ - صحيح مسلم (١/ ٣٨٥) ٤٠ - (٥٤٢)

أي: بقوله: { رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي } ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مُخْتَصَّ بِهَذَا ، فَامْتَنَعَ نَبِيًّا - ﷺ - مِنْ رَيْطِهِ، إِمَّا أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ لِذَلِكَ، وَإِمَّا لِكَوْنِهِ لَمَّا تَذَكَّرَ ذَلِكَ لَمْ يَتَعَاطَ ذَلِكَ تَوَاضُعًا وَتَأَدُّبًا. شرح النووي على مسلم - (ج ٢ / ص ٣٠٣)

٥٥٠ - السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٢٣٤) (١١٣٧٥) صحيح

٥٥١ - السنن الكبرى للنسائي (١/ ٢٩٥) (٥٥٦) صحيح

الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا - وَلَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ، لَأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، يَتَلَاعَبُ بِهِ صَبِيَانُ الْمَدِينَةِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ ٥٥٢

وقال أبو عُبَيْدٍ، حَاجِبُ سُلَيْمَانَ: رَأَيْتُ عَطَاءَ بْنَ يَزِيدَ اللَّيْثِيَّ قَائِمًا يُصَلِّي، مُعْتَمًا بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ، مُرَخَّ طَرَفُهَا مِنْ خَلْفِهِ، مُصَفِّرَ اللَّحْيَةِ، فَذَهَبْتُ أَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَرَدَّنِي: ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، وَهُوَ خَلْفُهُ، فَقَرَأَ، فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: "لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَإِبْلِيسَ، فَأُهَوِّتُ يَدَيَّ، فَمَا زِلْتُ أَخْتُمُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إصْبَعِي هَاتَيْنِ - الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا - وَلَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ، لَأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، يَتَلَاعَبُ بِهِ صَبِيَانُ الْمَدِينَةِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ ٥٥٣

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً مَكْتُوبَةً فَضَمَّ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «لَا إِلَّا أَنْ الشَّيْطَانَ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيَّ فَخَنَقْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدَيَّ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ لَا مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِ أَخِي سُلَيْمَانُ لَنِيَطَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَطِيفَ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ». ٥٥٤

ومن هنا لا يمكن لبشر أن يتسلط على الجن بتحضيره وقهره على عمل معين، لكن الجن يتسلطون على الأنس ويقهروهم على سلوك معين، إلا من أعطاه الله القوة فنجاه منهم، قال تعالى على لسان إبليس: { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) } [ص: ٨٢، ٨٣].

كما أن المتمردين منهم يمكنهم بغير الوسوسة والإغواء أن يضروا الإنس بأي نوع من الضرر، حيث لا دليل يمنع من ذلك.

٥٥٢ - مسند أحمد ط الرسالة (١٨ / ٣٠٢) (١١٧٨٠) صحيح

٥٥٣ - مسند أحمد ط الرسالة (١٨ / ٣٠٢) (١١٧٨٠) حسن - هذا الحديث زيادة مني

٥٥٤ - المعجم الكبير للطبراني (٢ / ٢٥١) (٢٠٥٣) صحيح - زيادة مني

وقد صحَّ أن كل واحد من بني آدم له قرين يلزمه من يوم ميلاده إلى أن يموت، روى مسلم عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ نَخَسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ» ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنَّ شَيْئَكُمْ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦].^{٥٥٥}

ويتسلط هذا القرين على صاحبه يحاول إفساد حياته عليه، إلا العباد المخلصين كما التزم وهو أمام الله بقضاء منه سبحانه {إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢]. وروى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَأَيَّايَ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^{٥٥٦}

غير أن الإنسان إذا لم يستطع التسلط على الجن إلا بإذن الله، فليس ذلك بممانع أن يتصل به ويتعاون معه ليحقق له بعض الأغراض وهذا الاتصال يتم بعدة أساليب، ووقع ذلك لبعض الناس في القدم والحديث، وعرف منهم الكهان والعرافون والسحرة. وكان من هذا الاتصال ما يسمَّى الآن بتحضير الأرواح. وهذا التحضير كما سبق ذكره لا يكون لأرواح الملائكة ولا الآدميين بعد موتهم، وإنما هو لهذه الأرواح المعروفة بالجن. والقرين من الجن له قدرة على تقليد صاحبه في صوته وقد يتشكل بشكله، وهو

^{٥٥٥} - صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٨) ١٤٦ - (٢٣٦٦)

[ش (إلا ابن مريم وأمه) هذه فضيلة ظاهرة وظاهر الحديث اختصاصها بعبسى وأمه واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها]

^{٥٥٦} - صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧) ٦٩ - (٢٨١٤)

[ش (فأسلم) برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه أسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمنا لا يأمرني إلا بخير واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح وهو المختار لقوله ﷺ فلا يأمرني إلا بخير واختلفوا على رواية الفتح قيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم فاستسلم وقيل معناه صار مسلما مؤمنا وهذا هو الظاهر، قال القاضي واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان]

على دراية واسعة بحاله الظاهرة، وقد يكون بحاله الباطنة أيضا مما تدلُّ عليه الظواهر، وللقراءة صلةٌ ببعضهم يعرفون عن طريقها الأخبار التي تحدث للناس، فيمكن لقريين سعد مثلا أن يعرف أحوال سعيد عن طريق سؤال قريته، ومن هنا يمكن لقريين سعد أن يخبر سعدا بحال سعيد، إما بصوت يسمعه ولا يرى صاحبه، وهو ما يعرف باسم الهاتف، وإما بطريق آخر من طرق الأخبار، وقد يكون هذا القريين مساعدا لصاحبه في بعض الأعمال فتسهل عليه، وقد يكون على العكس مشاكسا فيضع العراقيل في طريقه فيحسُّ بالضيق والألم وقد يحصل غير ذلك، فإن الجن عالم الغيب يخفى علينا الكثير من أحواله. وكل هذه التصرفات في دائرة الإمكان.

فإذا قام إنسان -على مواصفات معينة وبطرق مختلفة- بتحضير روح إنسان فهو يحضّر روح قريته، الذي يستطيع أن يقلّد صوته ويخبر عن كثير من أحواله، وعن أمور غائبة عرفها القراء وتبادلوا أخبارها، فيحسب الإنسان أن الروح التي تتكلم هي روح آدمي، وهي روح قريته، التي لا تستطيع أبدا أن تخبر عن المستقبل فمجالها هو الحاضر الذي يخفى على بعض الناس. ذلك أن الجن لا يعلمون الغيب أبدا، قال تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥]، وقال عن جن النبي سليمان عليه السلام بعد موته: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ: ١٤]، وقد يكذب القراء في أخبارهم، فيقول قريين الكافر مثلا إنه في نعيم، وهو بنص القرآن في عذاب أليم، والروح الحقيقية لأي إنسان لا تكذب بعد الموت، فهو في دار الحق التي لا كذب فيها، ولم يحدث أن ادّعى من يزاولون تحضير الأرواح أنهم أحضروا روح نبي من الأنبياء، وذلك لأن الشياطين لا تمثل بهم ولا تستطيع تقليد أصواتهم، كما يحدث من القراء مع بقية البشر.

فالخلاصة أن تحضير الأرواح هو تحضير لأرواح الجن وليس لأرواح الملائكة أو البشر، ولا يجوز الاعتماد على ما تخبر به هذه الأرواح، فقد تكون صادقة وقد تكون

كاذبة فيما تقول. وتحضيرُ أرواح الجنِّ أمرٌ ممكنٌ غير مستحيل، لعدم ورود ما يمنعه، ولحدوثه واقعا والذي لا يمكن ويسمى خرافة هو تحضير أرواح الملائكة وأرواح بني آدم.

ومن الواجب ألا يستغلَّ إمكان تحضير الجن استغلالا سيئا، كما يفعل الدجالون والمشعوذون، كما أن من الواجب ألا يخرج بنا الحماس في مقاومة الدجل والشعوذة إلى حد الإنكار لوجود الجن، فهم موجودون ومكلفون مثل البشر، وهم يستطيعون الإضرار بالناس بإذن الله، كما يضرُّ الناس بعضهم بعضا، وليس هذا الإضرار قاصرا فقط على الوسوسة والإغواء، بل منه ما يكون في الماديات التي تتعلق بالإنسان في مأكله ومشربه وملبسه، بل وفي جسمه، فليس هناك دليل على منعه، والأمر بالتسمية لطرد الشيطان معروف.

والواجب أن نتحصن بقوة الإيمان والثقة بالله، والإقبال على طاعته والبعد عن معصيته ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وأن نزنَ أمورنا بميزان العقل الذي كرمنا الله به، وأن نحكمه فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة، وما استعصى علينا فهمه ينبغي ألا نبادر بإنكاره، بل علينا التريث والتدبر حتى تتضح الأمور وتظهر الأدلة القاطعة على صدقه أو كذبه".^{٥٥٧}

وفي فتاوى الألوكة^{٥٥٨}: ما حكم ما يُسمى بعلم تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي؟
"لقد شاع بين كثير من الناس من الكتّاب وغيرهم ما يسمى بعلم تحضير الأرواح، وزعموا أنهم يستحضرون أرواح الموتى بطريقة اخترعها المشتغلون بهذه الشعوذة يسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك من الشؤون التي يظن أن عند الموتى علما بها في حياتهم، ولقد تأملت هذا الموضوع كثيرا فأتضح لي أنه علم باطل وأنه شعوذة شيطانية يراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس على المسلمين

^{٥٥٧} - فتاوى الأزهر (١٠ / ١٤٨): تحضير الأرواح - المفتي عطية صقر. مايو ١٩٩٧

^{٥٥٨} - فتاوى موقع الألوكة العنوان: حكم ما يُسمى بعلم تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي - رقم الفتوى: ١٧٧٢

المفتي: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة؛ ولهذا رأيت أن أكتب في ذلك كلمة موجزة لإيضاح الحق والنصح للأمة وكشف التلبيس عن الناس.

فأقول: لا ريب أن هذه المسألة مثل جميع المسائل يجب ردها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فما أثبتناه أو أحدهما أثبتناه، وما نفيه أو أحدهما نفينا - كما قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

ومسألة الروح من الأمور الغيبية التي اختص الله سبحانه وتعالى بعلمها ومعرفة كنهها؛ فلا يصح الخوض فيها إلا بدليل شرعي - قال الله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} (٢٧) { [الجن: ٢٦ - ٢٧]، وقال سبحانه في سورة النمل: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: ٦٥].

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في المراد بالروح في قوله تعالى في سورة الإسراء: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥]، فقال بعضهم: إنه الروح الذي في الأبدان؛ وعلى هذا فالآية دليل على أن الروح أمر من أمر الله لا يعلم الناس عنه شيئاً إلا ما علمهم الله إياه؛ لأن ذلك أمر من الأمور التي اختص الله سبحانه بعلمها وحجب ذلك عن الخلق.

قد دل القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ على أن أرواح الموتى تبقى بعد موت الأبدان؛ وما يدل على ذلك قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [الزمر: ٤٢].

وثبت عن أبي طلحة، أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقفذوا في طوي من أطواء بدر حيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بدير اليوم الثالث أمر براجلته فشدد عليها رحلها، ثم مشى

وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرُّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيْسُرُكُمْ أَنْتُمْ أَمْ أَطْعَمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَكَلَّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرَوَّاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»...^{٥٥٩}

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ، مِنْ اللَّيْلِ بَيْرَ بَدْرٍ قَالَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُنَادِي يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ " هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا»^{٥٦٠}

وَبُثِّتَ عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعَدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ" ^{٥٦١}

^{٥٥٩} - صحيح البخاري (٧٦ / ٥) (٣٩٧٦)

[ش (صناديد) جمع صنديد وهو السيد الشجاع. (طوي) هي البئر التي بنيت جدرانها بالحجارة. (خبيث) غير طيب. (محبث) من قوله أحبث إذا اتخذ أصحابا خبثا أي زاد خبثه بالقاء هؤلاء الخبيثين فيه. (شفة الركي) طرف البئر. (أنكم أطعمتم) أي لو أنكم أطعمتم. (نقمة) وفي نسخة (نقيمة) وهي المكافأة بالعقوبة]

^{٥٦٠} - السنن الكبرى للنسائي (٢ / ٤٨٢) (٢٢١٣) صحيح

^{٥٦١} - صحيح البخاري (٢ / ٩٩) (١٣٧٤) وصحيح مسلم (٤ / ٢٢٠٠) (٧٠) - (٢٨٧٠)

[ش (ما كنت تقول في هذا الرجل) يعني بالرجل النبي ﷺ وإنما يقوله بهذه العبارة التي ليس فيها تعظيم امتحانا للمسئول لئلا يتلقى تعظيمه من عبارة السائل ثم يثبت الله الذين آمنوا (يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويمأ عليه

قال العلامة ابن القيم رحمه الله^{٥٦٢}: "والسلف مجمعون على، هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} [الزمر: ٤٢] قَالَ: «تَلْتَقِي أَرْوَاحُ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ فِي الْمَنَامِ، فَيَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ، فَيَمْسِكُ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمَوْتَى وَيُرْسِلُ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ إِلَى أَجْسَادِهَا»^{٥٦٣}

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} [الزمر: ٤٢] الْآيَةِ، قَالَ: «يَجْمَعُ بَيْنَ أَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ، وَأَرْوَاحِ الْأَمْوَاتِ، فَيَتَعَارَفُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَعَارَفَ، فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجْسَادِهَا»^{٥٦٤}

وَعَنِ السُّدِّيِّ، فِي قَوْلِهِ: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} [الزمر: ٤٢] قَالَ: "تُقَبَّضُ الْأَرْوَاحُ عِنْدَ نِيَامِ النَّائِمِ، فَتُقَبَّضُ رُوحُهُ فِي مَنَامِهِ، فَتَلْقَى الْأَرْوَاحُ بَعْضُهَا بَعْضًا أَرْوَاحُ الْمَوْتَى وَأَرْوَاحُ النَّبِيَّامِ، فَتَلْتَقِي فَتَسَاءَلُ، قَالَ: فَيُخَلَّى عَنْ أَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَى أَجْسَادِهَا، وَتُرِيدُ الْأُخْرَى أَنْ تَرْجِعَ، فَيُحْبَسُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، قَالَ: إِلَى بَقِيَّةِ أَجَالِهَا" ^{٥٦٥}

خضرا) الخضر ضبطوه بوجهين أصحهما بفتح الخاء وكسر الضاد والثاني بضم الخاء وفتح الضاد والأول أشهر ومعناه بملأ نعماً غضة ناعمة وأصله من خضرة الشجرة هكذا فسروه قال القاضي يحتمل أن يكون هذا الفسح له على ظاهره وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة بحيث لا تناله ظلمة القبر ولا ضيقه إذا ردت إليه روحه قال ويحتمل أن يكون على ضرب المثل والاستعارة للرحمة والنعيم كما يقال سقى الله قبره والاحتمال الأول أصح]

^{٥٦٢} - في كتابه «الروح» ص (٥).

^{٥٦٣} - المعجم الأوسط (١/ ٤٥) (١٢٢) حسن، وذكره الشيخ بالمعنى وانظر كتاب «الروح»، ص (٢٠).

^{٥٦٤} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٠ / ٢١٥) حسن مرسل - زيادة من عندي

^{٥٦٥} - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٠ / ٢١٦) حسن مرسل - زيادة من عندي

قال المفسرون: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله، فإذا أرادت جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده، وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها. دلل النبوة للبيهقي محققا الهامش (٧ / ١١) وفتاوى ابن الصلاح (١ / ٩٤)

ثم قال ابن القيم رحمه الله: وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما أخبره.^{٥٦٦} فهذا هو الذي عليه السلف من أن أرواح الأموات باقية إلى ما شاء الله وتسمع، ولكن لم يثبت أنها تتصل بالأحياء في غير المنام.

كما أنه لا صحة لما يدعيه المشعوذون من قدرتهم على تحضير أرواح من يشاؤون من الأموات ويكلمونها ويسألونها؛ فهذه ادعاءات باطلة ليس لها ما يؤيدها من النقل ولا من العقل؛ بل إن الله سبحانه وتعالى هو العالم بهذه الأرواح والمتصرف فيها وهو القادر على ردها إلى أجسامها متى شاء ذلك؛ فهو المتصرف وحده في ملكه وخلقه لا ينازعه منازع، أما من يدعي غير ذلك فهو يدعي ما ليس له به علم ويكذب على الناس فيما يروجه من أخبار الأرواح: إما لكسب مال، أو لإثبات قدرته على ما لا يقدر عليه غيره، أو للتلبيس على الناس لإفساد الدين والعقيدة.

وما يدعيه هؤلاء الدجالون من تحضير الأرواح إنما هي أرواح شياطين يخدمها بعبادتها وتحقيق مطالبها، وتخدمه بما يطلب منها كذباً وزوراً في انتحالها أسماء من يدعونه من الأموات - كما قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئدة الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣)} [الأنعام: ١١٢ - ١١٣]

"وَكَمَا جَعَلْنَا هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالَهُمْ أَعْدَاءَ لَكَ يَا مُحَمَّدٌ، يُخَالِفُونَكَ وَيَعَانِدُونَكَ، وَيُعَادُونَكَ، كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَعْدَاءَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (شَيَاطِينِ الْإِنْسِ هُمُ الْكُفَرَاءُ وَمَنْ يُضِلُّونَ النَّاسَ عَنِ الْهُدَى بِالْوَسْوَسَةِ وَالْإِغْرَاءِ وَالْمُخَادَعَةِ)، وَيُلْقِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ الْمُمَوِّهِ الَّذِي يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَسْتُرُونَ بِهِ قُبْحَ بَاطِلِهِمْ، وَيُؤَدُّونَهُ بِطُرُقٍ خَفِيَّةٍ لَا يَفْطِنُ إِلَى بَاطِلِهَا كُلُّ وَاحِدٍ، حَتَّى يَغُرُّوا النَّاسَ وَيَخْدَعُوهُمْ وَيُمِيلُوهُمْ إِلَى مَا يُرِيدُونَ، كَمَا وَسَّوَسَ الشَّيْطَانُ

^{٥٦٦} - في كتابه «الروح»، ص (٢١).

لَادَمَ وَحَوَاءَ لِلْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنْهَا، وَكَمَا يُوسَّسُ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ لِمَنْ يَجْتَرِحُونَ السَّيِّئَاتِ، فَيَزَيِّنُونَ لَهُمْ مَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ اللَّذَّةِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْحَرِيرَةِ، وَيُمَثِّلُونَهُمْ بِعَفْوِ اللَّهِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَفْعَلُوا ذَلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ إِذْ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقَبُولِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَيُوحِي هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ، بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، الْقَوْلَ الْمَوَّهَ لِيَعْرِثُوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَصْرِفُوهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَلِتَمِيلَ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ الْمَوَافِقُ لَأَنْفُسِهِمْ إِذْ هُمْ يَمِيلُونَ إِلَى حُبِّ الشَّهَوَاتِ الَّتِي مِنْ حُمْلَتِهَا الْأَقَاوِيلُ الْمَرْخَرَفَةُ، وَالْأَبَاطِيلُ الْمَمُوهَّةُ، فَيَرْضَوْنَ ذَلِكَ لَأَنْفُسِهِمْ بِلَا بَحْثٍ وَلَا تَمَحِصٍ فِيهِ، وَيَرْتَكِبُونَ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَعَاصِي مَا هُمْ مُرْتَكِبُونَ بِغُرُورِهِمْ.^{٥٦٧}

وقال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)} [الأنعام: ١٢٨، ١٢٩].

"وَأَذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ، فِيمَا تَقْصُهُ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَتُنْذِرُهُمْ بِهِ، مَا يَجْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللَّهُ الْجِنَّ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَعُودُونَ بِهِمْ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ إِغْوَاءِ الْإِنْسِ وَإِضْلَالِهِمْ، فَأُورِدْتُمُوهُمْ النَّارَ. وَقَالَ أَوْلِيَاءُ الْجِنَّ مِنَ الْإِنْسِ يُجِيبُونَ اللَّهَ تَعَالَى: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، بِمَا كَانَ لِلْجِنَّ مِنَ اللَّذَّةِ فِي إِغْوَانِنَا بِالْأَبَاطِيلِ، وَأَهْوَاءِ الْأَنْفُسِ وَشَهَوَاتِهَا، وَبِمَا كَانَ لَنَا فِي طَاعَتِهِمْ وَوَسْوَستِهِمْ مِنَ الْمُنْتَعَةِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالْإِنْتِمَاسِ فِي اللَّذَاتِ، وَبَلَّغْنَا، بَعْدَ اسْتِمْتَاعِ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، إِلَى الْأَجَلِ الَّذِي قَدَّرْتَهُ لَنَا وَهُوَ الْمَوْتُ (أَوْ هُوَ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ).

فَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: النَّارُ مَثْوَاكُمْ وَمَنْزِلُكُمْ، أَنْتُمْ وَأَوْلِيَاؤُكُمْ، مَا كُنْتُمْ فِيهَا سَرْمَدًا، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْقِذَهُ، وَاللَّهُ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ، عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُ النَّاسُ. وَكَمَا جَعَلْنَا هَؤُلَاءِ الْخَاسِرِينَ مِنَ الْإِنْسِ أَنْصَارًا وَأَوْلِيَاءَ لَتِلْكَ الطَّائِفَةِ الَّتِي أَغْوَتْهُمْ

^{٥٦٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٠٢، بترقيم الشاملة آليا) وهذا التفسير زيادة مني

مِنَ الْجِنِّ، كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِالظَّالِمِينَ، تُسَلِّطُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتُهْلِكُ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ، وَتَنْتَقِمُ مِنْ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ. ٥٦٨

وذكر علماء التفسير أن استمتاع الجن بالإنس بعبادتهم إياهم بالذبائح والنذور
والدعاء، وأن استمتاع الإنس بالجن في قضاء حوائجهم التي يطلبونها منهم وإخبارهم
ببعض المغيبات التي يطلع عليها الجن في بعض الجهات النائية أو يسترقونها من السمع، أو
يكذبون وهو الأكثر. ولو فرضنا أن هؤلاء الإنس لا يتقربون إلى الأرواح التي
يستحضرونها بشيء من العبادة فإن ذلك لا يوجب حل ذلك وإباحته؛ لأن سؤال
الشياطين والعرافين والكهنة والمنجمين ممنوع شرعاً، وتصديقهم فيما يخبرون به أعظم
تحريماً وأكبر إثماً؛ بل هو من شعب الكفر، فعن بعض أزواج النبي ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» ٥٦٩
وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ
٥٧٠»

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا
أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. ٥٧١

٥٦٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩١٨، بترقيم الشاملة آليا) وهذا التفسير زيادة مني

٥٦٩ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٥١) ١٢٥ - (٢٢٣٠)

[ش (عرافا) العراف من جملة أنواع الكهان قال ابن الأثير العراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد
استأثر الله تعالى به وقال الخطابي وغيره العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما]
فَالكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْكَوَائِنِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، وَيَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ، وَمُطَالَعَةَ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَكَانَ فِي
الْعَرَبِ كَهَنَةً يَدْعُونَ مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَئِيسًا مِنَ الْجِنِّ، وَتَابِعَةً تَلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ
كَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ يَسْتَدْرِكُ الْأُمُورَ بِفَهْمٍ أُعْطِيَهُ.

وَالْعَرَّافُ هُوَ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدَّمَاتِ سَبَابٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَوَاقِعِهَا، كَالْمَسْرُوقِ مِنَ الَّذِي
سَرَفَهَا، وَمَعْرِفَةَ مَكَانِ الضَّالَّةِ، وَتَنَهَمُ الْمَرَأَةُ بِالرَّئِيِّ، فَيَقُولُ: مِنْ صَاحِبِهَا؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ.
وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى الْمُنْجِمَ كَاهِنًا. شرح السنة للبيهقي (١٢/ ١٨٢)

٥٧٠ - مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٣٠٠) (٣٨١) صحيح

٥٧١ - كشف الأستار عن زوائد البزار - مؤسسة الرسالة (٣/ ٤٠٠) (٣٠٤٥) صحيح - زيادة مني

وقد جاء في هذا المعنى أحاديث وآثار كثيرة، ولا شك أن هذه الأرواح التي يستحضرونها بزعمهم داخلية فيما منع منه النبي ﷺ؛ لأنها من جنس الأرواح التي تقترب بالكهان والعرافين من أصناف الشياطين فيكون لها حكمها؛ فلا يجوز سؤالها ولا استحضارها ولا تصديقها؛ بل كل ذلك محرم ومنكر بل وباطل - لما سمعت من الأحاديث والآثار في ذلك، ولأن ما ينقلونه عن هذه الأرواح يعتبر من علم الغيب؛ وقد قال الله سبحانه: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [التَّوْحِيد: ٢٥]. وقد تكون هذه الأرواح هي الشياطين المقترنة بالأموات الذين طلبوا أرواحهم فتخبر بما تعلمه من حال الميت في حياته مدعية أنها روح الميت الذي كانت مقترنة به؛ فلا يجوز تصديقها ولا استحضارها ولا سؤالها - كما تقدم الدليل على ذلك، وما يحضره ليس إلا الشياطين والجن يستخدمهم مقابل ما يتقرب به إليهم من العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله؛ فيصل بذلك إلى حد الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة. نعوذ بالله من ذلك.

ولقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في دار الإفتاء السعودية فتوى عن التنويم المغناطيسي الذي هو أحد أنواع تحضير الأرواح هذا نصها:

(التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة؛ باستخدام جني يسلطه المنوم على المنوم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه إن صدق مع المنوم وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المنوم إليه، ويجعل ذلك الجني المنوم طوع إرادة المنوم؛ يقوم بما يطلبه منه من الأعمال بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم. وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذ طريقاً أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم: غير جائز؛ بل هو شرك؛ لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم) انتهى كلام اللجنة.

ومن كشف حقيقة هذه الدعوى الباطلة: الدكتور محمد حسين في كتابه: الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها، وكان ممن خدع بهذه الشعوذة زمناً طويلاً ثم هداه الله إلى

الحق وكشف زيف تلك الدعوى بعد أن توغل فيها ولم يجد فيها سوى الخرافات والدجل، وقد ذكر أن المشتغلين بتحضير الأرواح يسلكون طرقاً مختلفة: منهم المبتدئون الذين يعتمدون على كوب صغير أو فنجان ينتقل بين حروف قد رسمت فوق منضدة وتتكون إجابات الأرواح المستحضرة حسب زعمهم - من مجموع الحروف بحسب ترتيب تنقله فيها. ومنهم من يعتمد على طريقة السلة يوضع في طرفها قلم يكتب الإجابات على أسئلة السائلين، ومنهم من يعتمد على وسيط كوسيط التنويم المغناطيسي.

وذكر أنه يشك في مدعي تحضير الأرواح؛ وأن وراءهم من يدفعهم بدليل الدعاية التي عملت لهم فتسابقت إلى تتبع أخبارهم ونشر ادعاءاتهم صحف ومجلات لم تكن من قبل تنشط لشيء يمس الروح أو الحياة الآخرة ولم تكن في يوم من الأيام داعية إلى الدين أو الإيمان بالله، وذكر أنهم يهتمون بإحياء الدعوة الفرعونية وغيرها من الدعوات الجاهلية. كما ذكر أن الذين روجوا لأصل هذه الفكرة هم أناس فقدوا عزيزاً عليهم فيغرون أنفسهم بالأوهام، وأن أشهر من روج لهذه البدعة المسمى أوليفر لودج الذي فقد ابنه في الحرب العالمية الأولى، ومثله مؤسس الروحية في مصر أحمد فهمي أبو الخير الذي مات ابنه عام ١٩٣٧م، وكان رزق به بعد طول انتظار.

وذكر الدكتور محمد حسين أنه مارس هذه البدعة؛ فبدأ بطريقة الفنجان والمنضدة فلم يجد فيها ما يبعث على الاقتناع، وانتهى إلى مرحلة الوسيط وحاول مشاهدة ما يدعونه من تجسيد الروح أو الصوت المباشر وورونه دليل دعواهم فلم ينجح هو ولا غيره؛ لأنه لا وجود لذلك في حقيقة الأمر وإنما هي ألعايب محكمة تقوم على حيل خفية بارعة ترمي إلى هدم الأديان، وأصبحت الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها، ولما لم يقتنع بتلك الأفكار الفاسدة وكشف حقيقتها انسحب منها وعزم على توضيح الحقيقة للناس ويقول إن هؤلاء المنحرفين لا يزالون بالناس حتى يستلوا من صدورهم الإيمان وما استقر في نفوسهم من عقيدة ويسلمونهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام، ومدعو تحضير الأرواح لا يثبتون للرسول صلوات الله وسلامه عليهم

إلا صفة الوساطة الروحية - كما قال زعيمهم آرثر فندلاي في كتابه: (على حافة العالم الأثيري) عن الأنبياء: هم وسطاء في درجة عالية من درجات الوساطة، والمعجزات التي جرت على أيديهم ليست إلا ظواهر روحية كالظواهر التي تحدث في حجرة تحضير الأرواح.

ويقول الدكتور حسين: إنهم إذا فشلوا في تحضير الأرواح قالوا: الوسيط غير ناجح أو مجهد، أو إن شهود الجلسة غير متوافقين، أو إن بينهم من حضر إلى الاجتماع شاكاً أو متحدياً. ومن بين مزاعمهم الباطلة: أنهم زعموا أن جبريل عليه السلام يحضر جلساتهم ويباركها، قبضهم الله. انتهى المقصود من كلام الدكتور محمد محمد حسين.

ومما ذكرناه في أول الجواب وما ذكرته اللجنة والدكتور محمد محمد حسين في التنويم المغناطيسي: يتضح بطلان ما يدعيه محادثو الأرواح من كونهم يحضرون أرواح الموتى ويسألونهم عما أرادوه، ويعلم أن هذه كلها أعمال شيطانية وشعوذة باطلة داخلية فيما حذر منه النبي ﷺ من سؤال الكهنة والعرافين وأصحاب التنجيم ونحوهم.

والواجب على المسؤولين في الدول الإسلامية منع هذا الباطل والقضاء عليه وعقوبة من يتعاطاه حتى يكف عنه، كما أن الواجب على رؤساء تحرير الصحف الإسلامية أن لا ينقلوا هذا الباطل وأن لا يدنسوا به صحفهم، وإذا كان لابد من نقل فليكن نقل الرد والتزييف والإبطال والتحذير من ألاعيب الشياطين من الإنس والجن ومكرهم وخداعهم وتلبيسهم على الناس. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو المسؤول سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين ويمنحهم الفقه في الدين ويعيدهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ^ﷺ.

٤ - حكم التنويم المغناطيسي:

^{٥٧٢} - وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية (١/ ٤٤٥٢): حقائق حول تحضير الأرواح. وفتاوى موقع الألوكة (١/ ١): العنوان: حكم ما يُسمى بعلم تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي رقم الفتوى: ١٧٧٢ وفتاوى واستشارات الإسلام اليوم (٢/ ٤٧٠): تحضير الأرواح (النورانية) ومجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٠٩): حكم ما يسمى بعلم تحضير الأرواح وموقع الإسلام سؤال وجواب (١/ ٥٣٤): حكم ما يسمى بعلم تحضير الأرواح

لقد تباينت الفتاوى حول التنويم المغناطيسي، وسبب تباينها يكمن في التصنيف الذي يوضع فيه التنويم المغناطيسي، فمن صنفه في مجال الكهانة والسحر واستخدام الجان قال بمنعه دون تفصيل، ومن صنفه في مجال الإيحاءات والمجالات العلمية والنفسية قال بحليته إذا استخدم فيما هو خير كالعلاج ونحوه، وننقل هنا فتويين يبينان هذا الاختلاط.

الفتوى الأولى: فتوى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية^{٥٧٣}:

السؤال: ما حكم الإسلام في التنويم المغناطيسي وبه تقوى قدرة المنوم على الإيحاء بالمنوم وبالتالي السيطرة عليه وجعله يترك محرماً أو يشفى من مرض عصبي أو يقوم بالعمل الذي يطلب المنوم؟ فتقول فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في دار الإفتاء السعودية عن التنويم المغناطيسي: التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني يسلطه المنوم على المنوم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه إن صدق مع المنوم وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المنوم إليه ويجعل ذلك الجني المنوم طوع إرادة المنوم يقوم بما يطلبه منه من الأعمال بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذ طريقاً أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز، بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم. انتهى كلام اللجنة.

الفتوى الثانية: (من موقع الإسلام اليوم)، السؤال: ما حكم التنويم المغناطيسي في العلاج الطبي؟ علماً أن دراسة التنويم المغناطيسي جزء من المنهج الدراسي في الطب، وقد قرأت فتوى أنه حرام، على أساس أنه يتعلق بالجن، وقرأت أيضاً عن هذا العلاج كثيراً، وكله يتركز على أمور نفسية لا علاقة لها بالجن والسحر؟ الجواب: الحمد لله... وبعد: يمكن إيجازه فيما يلي:

^{٥٧٣} - رقم ١٧٧٩ في المجلد الأول (العقيدة) صفحة ٣٩٩ الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - فتاوى الإسلام سؤال وجواب (ص: ٩٠٩): سؤال رقم ١٢٦٣١ - حكم العلاج بالتنويم المغناطيسي وفتاوى موقع الألوكة (/ (١): العنوان: حكم الاستعانة بالجن في معرفة المغيبات والتنويم المغناطيسي رقم الفتوى: ١٢٠٤

- (١) أن المسمى الصحيح لهذا التنويم هو (التنويم الإيحائي).
- (٢) أن بعض الفتاوى التي صدرت في حكم التنويم المغناطيسي إنما كانت بناءً على ممارسات غير صحيحة، وغير داخلة في مسمى التنويم الإيحائي، (المغناطيسي) فالإخبار بالغيبيات واستعمال الجن ينكرها من يمارس هذا النوع من أطباء ومختصين.
- (٣) أن التنويم الإيحائي (المغناطيسي) مجال علمي معروف، ومهمته العلاجية معروفة، وله قواعد وأسس، وتحقق به إنجازات طبية معروفة.
- (٤) أن التنويم الإيحائي يراد منه إقناع المريض بالعلاج الذي كان يرفضه في أحواله الاعتيادية، وكذلك يُراد من هذا التنويم تشكيل قناعة جديدة إيجابية لدى المريض حتى يتجاوز قناعاته السلبية.
- (٥) أن هناك ممارسات اختلطت بالتنويم الإيحائي (المغناطيسي) عند الأداء، وهذه الممارسات احتوت على أمور محرمة، فبدا للناس منها أن هذا التنويم محرم، والحرمه إنما جاءت من الممارسات لا من التنويم كما يحصل في (السيرك) من استعمال السحر والشعوذة.
- (٦) أن التنويم الإيحائي باعتباره نوعاً من المعالجة يمكن أن يستخدم في الخير ويمكن أن يستخدم في الشر، فالإقناع بفكرة ما يعتمد على مشروعية هذه الفكرة أو عدم مشروعيتها فإن كانت الفكرة حسنة جازت المعالجة، وإلا فلا. والله أعلم.^{٥٧٤}
- فإذا تأملنا هاتين الفتوتين عرفنا أن التنويم المغناطيسي يطلق على نوعين من الممارسات يختلف كل منهما عن الآخر اختلافاً كبيراً، وأمكنا - حينئذ - القول إن التنويم المغناطيسي إذا قام على استخدام الجن كان حراماً، ولو كان المراد منه خيراً.^{٥٧٥}
- وإذا كان التنويم المغناطيسي يقوم على الإيحاء والممارسات النفسية كان مباحاً إذا استخدم فيما هو خير، وحراماً إذا استخدم في الشر. والله أعلم.^{٥٧٦}

^{٥٧٤} - العنوان التنويم المغناطيسي في العلاج الطبي، المحيبي د. عبد الرحمن بن أحمد بن فايع الجرعي عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد، التاريخ ١٤٢٦/٧/٢٩ هـ و (١٥ / ٣٠): التنويم المغناطيسي في العلاج الطبي

^{٥٧٥} - ولك أن تراجع في استخدام الجن في الخير الفتوى رقم: ٧٣٦٩ فتاوى الشبكة الإسلامية (١ / ٤٤٤٤): من قال إنه يتعامل مع الجن في أمور الخير

تخلي الشياطين عن أتباعها:

هؤلاء الذين يُدعون بالروحانيين، ويزعمون أنهم يحضرون الأرواح ويعالجون بها كاذبون، وما هذه الأرواح إلا شياطين، وقد تتخلي الشياطين عن هؤلاء فتذلهم وتخذلهم، نشرت جريدة القبس الكويتية مقالاً جاء فيه^{٥٧٧}: "بريطانيا بأسرها تتحدث هذه الأيام عن العالم الروحاني (بيتر غودوين) الذي كان يتمتع بمواهب (روحانية) خارقة، يستطيع بوساطتها أن يشفي المرضى من الأمراض المستعصية، ويكشف الأشياء المفقودة، ويسخر الأرواح لخدمة الإنسان.

وكان (بيتر غودوين) يتمتع بقدره فريدة يستطيع بوساطتها أن يوجد في أكثر من مكان في وقت واحد، فقد كان يشاهده أصدقاؤه في لندن مثلاً، ويشاهده آخرون في اللحظة نفسها في ليفربول، وآخرون في مانشستر، بينما يؤكد فريق رابع أنه لم يكن في هذا المكان ولا ذلك، وإنما كان يجلس في منزله بين زوجته وأولاده.

وأحياناً كانت أجساده الأثيرية المختلفة تتجمع في مكان واحد، فيكون جالساً بين أصدقائه مثلاً، وفجأة... تدخل عليهم جميع شخصياته الأخرى... وتشاركهم الجلسة... فتأتي شخصيته الثانية والثالثة، والرابعة والخامسة، ويصبح (بيتر غودوين) عبارة عن خمس شخصيات تجالس الحضور، وتتحدث إليهم، أو تتحدث بعضها مع بعض...، بينما يكون الجميع مبهورين...، وفجأة حسر (بيتر غودوين) كل شيء وتحول إلى إنسان عادي، ولم يعد قادراً على شفاء المرضى، ولا اكتشاف الأشياء المفقودة، ولا كشف المستقبل، ولا تسخير الأرواح لخدمة الناس.

وقد بدأت مأساة (غودوين) في السنة الماضية عندما حاول استغلال المواهب التي منحت له لتحقيق مكاسب مادية...، وهو ينظر الآن إلى الماضي القريب ويقول: إن ما حدث لي لم يكن في الحسبان، فقد غضبت الأرواح مني، وسلبتني بركتها.^{٥٧٨}

^{٥٧٦} - فتاوى الشبكة الإسلامية (١٢ / ١٢٠٩٨): حكم التنويم المغناطيسي [تاريخ الفتوى] ٥٥ ذو القعدة ١٤٢٨

برقم (١٠١٣٢٠)

^{٥٧٧} - ملحق جريدة القبس، تاريخ ١٢/٦/١٩٧٨ م.

^{٥٧٨} - انظر كتاب عالم الجن والشياطين للأشقر رحمه الله



المبحث الرابع عشر

كيف نقي أنفسنا من كيد الشيطان؟

أولاً: الحذر والحيلة؛

هذا العدو الخبيث الماكر حريص على إضلال بني آدم، وقد علمنا أهدافه ووسائله في الإضلال، فبمقدار علمك بهذا العدو: أهدافه ووسائله والسبل التي يضلنا بها تكون نجاتنا منه، أما إذا كان الإنسان غافلاً عن هذه الأمور فإن عدوه يأسره ويوجهه الوجهة التي يريد.

وقد صور ابن الجوزي هذا الصراع بين الإنسان والشيطان تصويراً بديعاً حيث يقول: "واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثلم^{٥٧٩}، وساكنه العقل، والملائكة تتردد على ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض^{٥٨٠} فيه الهوى، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم.

فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وألا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو لا يفتر. قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة.

وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صورة كل ما يمرّ به، فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان، فتسوّد حيطان الحصن، وتصدأ المرأة، وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرأة، وللعُدو حملات، فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث^{٥٨١}، وربما أقام لغفلة

^{٥٧٩} - الثلمة في السور: الموضع المتهدم منه.

^{٥٨٠} - الربض: المكان الذي يؤوى إليه.

^{٥٨١} - عاث يعيث عبثاً أفسد.

الحراس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان، فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرأة فيمر الشيطان ولا يدري به، وربما جرح الحارس لغفلته، وأسر واستخدم، وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته، وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته وربما صار كالفقيه في الشر قال بعض السلف رأيت الشَّيْطَانَ فَقَالَ لِي قَدْ كُنْتُ أَلْقَى النَّاسَ فَأَعْلَمَهُمْ فَصُرْتُ أَلْقَاهُمْ فَأَتَعْلَمُ مِنْهُمْ وَرَبَّمَا هَجَمَ الشَّيْطَانُ عَلَى الذَّكِيِّ الْفُطْنُ وَمَعَهُ عُرُوسُ الْهُوَى قَدْ جَلَّاهَا فَيَتَشَاغَلُ الْفُطْنُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا فَيَسْتَأْسِرُهُ وَأَقْوَى الْقَيْدِ الَّذِي يُوَثِّقُ بِهِ الْأَسْرَى الْجَهْلُ وَأَوْسَطُهُ فِي الْقَوَى الْهُوَى وَأَضْعَفُهُ الْغَفْلَةُ وَمَا دَامَ دَرَعُ الْإِيمَانِ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَإِنْ نَبَلَ الْعَدُوَّ لَا يَقَعُ فِي مَقْتَلٍ. ٥٨٢

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ الشَّيْطَانُ - لَعَنَهُ اللَّهُ -: لَنْ يَسْلَمَ مِنِّي صَاحِبُ الْمَالِ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ، أَغْدُو عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَرْوَحُ بِهِنَّ: أَخْذُهُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَإِنْفَاقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَأُحِبُّهُ إِلَيْهِ فَيَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ ٥٨٣" وَقَالَ أَبُو غَسَّانَ التَّهْدِيُّ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَنْفَتَحَ لِلْعَبْدِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بَابًا مِنَ الْخَيْرِ يُرِيدُ بِهِ بَابًا مِنَ الشُّوْءِ» ٥٨٤

وَعَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي مَعْبُدُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ بْنِ الْقَيْنِ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، أَنَّ أَخَاهُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِهَا، قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجٍ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَقَفَّهْنَا وَمَعَنَا الْبِرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ الْبِرَاءُ لَنَا: يَا هَؤُلَاءِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ رَأْيَا، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَذْرِي تَوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لَا، قَالَ: قُلْنَا لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ لَا أَدْعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ، يَعْنِي الْكَعْبَةَ، وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقُلْنَا: وَاللَّهِ مَا بَلَّغْنَا أَنْ نَبَيِّنَا يُصَلِّيَ إِلَّا إِلَى الشَّامِ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالَفَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُصَلِّيَ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: لَكُنَّا لَا نَفْعَلُ، فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ، قَالَ

٥٨٢ - تلبیس ابلیس (ص: ٣٦)

٥٨٣ - المعجم الكبير للطبراني (١/ ١٣٦) (٢٨٨) حسن لغيره

٥٨٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٣٣١) صحيح

أَحْيِي: وَقَدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ، وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: يَا ابْنَ أَحْيِي
انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ وَقَعَ فِي
نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ، قَالَ: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ لَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِينَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟
قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ، كَانَ لَا يَزَالُ يَفْقَدُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا
الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ، قَالَ: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ
جَالِسٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ جَالِسٌ فَسَلَّمْنَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِلْعَبَّاسِ: هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟ قَالَ: نَعَمْ هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ
قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الشَّاعِرُ؟
قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، وَهَدَانِي اللَّهُ
لِلْإِسْلَامِ، فَرَأَيْتُ أَنْ لَا أَجْعَلَ هَذِهِ الْبَيْتَةَ مِنِّي بَظَهْرٍ، فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا، وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي
فِي ذَلِكَ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ
عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتُ عَلَيْهَا قَالَ: فَارْجِعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى مَعَنَا إِلَى
الشَّامِ، قَالَ: وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا، نَحْنُ
أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ، قَالَ: وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ
التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مِنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
أَمْرًا فَكَلَّمْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ
بِكَ عَمَّا أَتَتْ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَظْبًا لِلنَّارِ عَدَا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيًّا، قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي
رِحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ
مُسْتَخْفِينَ نَسَلُّ الْقَطَا حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا
امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ نَسِيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عَمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ

النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بِنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمْةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشَّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمٌ مِمَّنْ عَمَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَقَّعُ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزَرَجِ أَوْسَهَا وَخَزَرَجَهَا، إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخَذَ لِنَفْسِكَ، وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغَبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاؤَكُمْ قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا تَمْنَعُ مِنْهُ أَزْرَانَا، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ، وَرِثَانَهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلُ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيَّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرَّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا، يَعْنِي الْعُهُودَ، فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ، وَتَدْعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي أَحَارِبُ مِنْ حَارِبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ، فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تَسْعَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ وَأَمَّا مَعْبُدُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنِي فِي حَدِيثِهِ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ، فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجُبَابِ، وَالْجُبَابِ: الْمَنَازِلُ، هَلْ لَكُمْ فِي مُدَمِّمٍ وَالصُّبَاةِ مَعَهُ؟ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ، قَالَ عَلِيٌّ، يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ مَا يَقُولُهُ عَدُوُّ اللَّهِ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا أَزْبُ الْعَقَبَةِ هَذَا ابْنُ أَزَيْبٍ، اسْمِعْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ، لَأَفْرَغَنَّ لَكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ

عُبَادَةُ بْنِ نَضْلَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِنِ شِئْتِ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مَنَى غَدًا بِأَسْيَافِنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ قَالَ: فَرَجَعْنَا فَمِنَّا حَتَّى أَصْبَحْنَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جُلَّةُ قُرَيْشٍ حَتَّى جَاؤُونَا فِي مَنَازِلِنَا، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا، وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَاللَّهِ إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ، قَالَ: فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا، يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْنَاهُ، وَقَدْ صَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوا مَا كَانَ مِنَّا، قَالَ: فَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: وَقَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ جَدِيدَانِ، قَالَ: فَقُلْتُ كَلِمَةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْرِكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا: مَا تَسْتَطِيعُ يَا أَبَا جَابِرٍ، وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا أَنْ تَتَّخِذَ نَعْلَيْنِ مِثْلَ نَعْلِي هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ فَخَلَعَهُمَا، ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَنْتَعِلَهُمَا قَالَ: يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ: أَحْفَظْتُ، وَاللَّهِ، الْفَتَى، فَارْدُدْ عَلَيْهِ نَعْلَيْهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَرُدَّهُمَا، فَأُلِّهِ صَالِحٌ، وَاللَّهِ لَنَنْ صَدَقَ الْفَالُ لَأَسْلُبْنَهُ. " ٥٨٥

ثانياً: الالتزام بالكتاب والسنة:

أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة علماً وعملاً، فالكتاب والسنة جاءا بالصرائط المستقيم، والشيطان يجاهد كي يخرجنا عن هذا الصراط قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: ١٥٣].

لقد ذلَّ اللهُ تَعَالَى الْعِبَادَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَدَعَاَهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوهُ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْهِدَايَةَ، وَالْفَوْزَ بِرِضَا رَبِّكُمْ وَرِضْوَانِهِ.

٥٨٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) (٥/ ٤٢٥) (١٥٧٩٨) (١٥٨٩١) صحيح

قط: بمعنى أبداً ، وفيما مضى من الزمان = الجَبَاجِب: هي جمع جُبُجْب وهو المستوى من الأرض ليس بجُزْن، وهي أسماء منازل بمعنى = الأَرْب: من أسماء الشَّيَاطِين = مال: اتَّجَه

فَاتَّبِعُوا سَبِيلَ اللَّهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لِأَنَّهُ سَبِيلٌ وَاضِحٌ وَاحِدٌ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ الْمُنْفَرِقَةَ الْمُضِلَّةَ، حَتَّى لَا تَتَفَرَّقُوا شِيعًا وَأَحْزَابًا، وَتَبْعُدُوا عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ السَّوِيِّ.^{٥٨٦}
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا"، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ" ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) [الأنعام: ١٥٣] ^{٥٨٧}

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَحَّاءٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيَحْكُ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلَجُّهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ" ^{٥٨٨}
 وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [الأنعام: ١٥٣] ^{٥٨٩}

إن هذا الدين شريعته كعقيدته في تقرير صفة الشرك أو صفة الإسلام. بل إن شريعته من عقيدته في هذه الدلالة.. بل إن شريعته هي عقيدته.. إذ هي الترجمة الواقعية لها.. كما تتجلى هذه الحقيقة الأساسية من خلال النصوص القرآنية، وعرضها في المنهج القرآني..

^{٥٨٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٤٣، بترقيم الشاملة آليا)

^{٥٨٧} - مسند أحمد ط الرسالة (٧/ ٤٣٦) (٤٤٣٧) صحيح

^{٥٨٨} - مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ١٨١) (١٧٦٣٤) صحيح لغيره

^{٥٨٩} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٥/ ١٤٢١) (٨١٠١) صحيح لغيره

وهذه هي الحقيقة التي زحزح مفهوم «الدين» في نفوس أهل هذا الدين عنها زحزحة مطردة خلال قرون طويلة، بشتى الأساليب الجهنمية الخبيثة.. حتى انتهى الأمر بأكثر المتحمسين لهذا الدين - ودعك من أعدائه والمستهترين الذين لا يحفلونه - أن تصبح قضية الحاكمية في نفوسهم قضية منفصلة عن قضية العقيدة! لا تجيش لها نفوسهم كما تجيش للعقيدة! ولا يعدون المروق منها مروقاً من الدين، كالذي يمرق من عقيدة أو عبادة! وهذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشرعية. إنما هي الزحزحة التي زاولتها أجهزة مدربة، قروناً طويلة، حتى انتهت مسألة الحاكمية إلى هذه الصورة الباهتة حتى في حس أشد المتحمسين لهذا الدين! وهي هي القضية التي تحتشد لها سورة مكية - موضوعها ليس هو النظام وليس هو الشريعة، إنما موضوعها هو العقيدة - وتحتشد لها كل هذه المؤثرات، وكل هذه القرارات بينما هي تنصدى لجزئية تطبيقية من تقاليد الحياة الاجتماعية. ذلك أنها تتعلق بالأصل الكبير.. أصل الحاكمية.. وذلك أن هذا الأصل الكبير يتعلق بقاعدة هذا الدين وبوجوده الحقيقي..

إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك، ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك. ويتخرجون من هذه ولا يتخرجون من تلك.. إن هؤلاء لا يقرأون القرآن. ولا يعرفون طبيعة هذا الدين.. فليقرأوا القرآن كما أنزله الله وليأخذوا قول الله بحمد: «وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ».

وإن بعض هؤلاء المتحمسين لهذا الدين ليشغلون بالهم وبال الناس ببيان إن كان هذا القانون، أو هذا الإجراء، أو هذا القول، منطبقاً على شريعة الله أو غير منطبق.. وتأخذهم الغيرة على بعض المخالفات هنا وهناك.. كأن الإسلام كله قائم، فلا ينقص وجوده وقيامه وكماله إلا أن تمتنع هذه المخالفات! هؤلاء المتحمسون الغيرون على هذا الدين، يؤذون هذا الدين من حيث لا يشعرون. بل يطعنونه الطعنة النجلاء. يمثل هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة.. إنهم يفرغون الطاقة العقدية الباقية في نفوس الناس في هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة.. إنهم يؤدون شهادة ضمنية لهذه الأوضاع الجاهلية. شهادة بأن هذا الدين قائم فيها، لا ينقصه ليكمل إلا أن تصح هذه المخالفات. بينما الدين

كله متوقف عن «الوجود» أصلاً، ما دام لا يتمثل في نظام وأوضاع، الحاكمة فيها لله وحده من دون العباد.

إن وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله. فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين.. وإن مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم، هي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد.. وهي هي المشكلة التي كان يواجهها القرآن الكريم بهذا الحشد من المؤثرات والمقررات والبيانات، ويربطها بقضية الألوهية والعبودية، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر، وميزان الجاهلية أو الإسلام.

إن المعركة الحقيقية التي خاضها الإسلام ليقرر «وجوده» لم تكن هي المعركة مع الإلحاد، حتى يكون مجرد «التدين» هو ما يسعى إليه المتحمسون لهذا الدين! ولم تكن هي المعركة مع الفساد الاجتماعي أو الفساد الأخلاقي - فهذه معارك تالية لمعركة «وجود» هذا الدين!.. لقد كانت المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليقرر «وجوده» هي معركة «الحاكمية» وتقرير لمن تكون.. لذلك خاضها وهو في مكة. خاضها وهو ينشئ العقيدة، ولا يتعرض للنظام والشرعية. خاضها ليثبت في الضمير أن الحاكمية لله وحده لا يدعيها لنفسه مسلم ولا يقر مدعيها على دعواه مسلم.. فلما أن رسخت هذه العقيدة في نفوس العصبة المسلمة في مكة، بسر الله لهم مزاولتها الواقعية في المدينة.. فلينظر المتحمسون لهذا الدين ما هم فيه وما يجب أن يكون. بعد أن يدركوا المفهوم الحقيقي لهذا الدين! ^{٥٩٠}

إنه صراط واحد - صراط الله - وسبيل واحدة تؤدي إلى الله.. أن يفرد الناس الله - سبحانه - بالربوبية، ويدينوا له وحده بالعبودية وأن يعلموا أن الحاكمية لله وحده وأن يدينوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية.. هذا هو صراط الله وهذا هو سبيله.. وليس وراءه إلا السبل التي تتفرق بمن يسلكونها عن سبيله. «ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ

^{٥٩٠} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١٦٥١)

تَتَّقُونَ»..فالتقوى هي مناط الاعتقاد والعمل.والتقوى هي التي تفيء بالقلوب إلى السبيل..^{٥٩١}

فاتباع ما جاءنا من عند الله من عقائد وأعمال وأقوال وعبادات وتشريعات، وترك كل ما نهى عنه، يجعل العبد في حرز من الشيطان، ولذلك قال سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) } [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

يَدْعُو اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَخْذِ بِجَمِيعِ عُرَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، وَالْعَمَلِ بِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وَيُرْشِدُهُمْ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِتِّحَادُ، لَا التَّفَرُّقُ وَالْإِنْقِسَامُ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَجْتَنِبُوا مَا يَأْمُرُهُم بِهِ الشَّيْطَانُ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَيَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، وَلِهَذَا كَانَ الشَّيْطَانُ عَدُوًّا بَيِّنَ الْعَدَاوَةِ لِلْإِنْسَانِ.

فَإِنْ عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَحَدِثْتُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي دَعَاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ السِّلْمُ، وَسِرَّتُمْ فِي طَرِيقِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ طَرِيقُ الْخِلَافِ وَالْإِفْتِرَاقِ، بَعْدَ مَا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى أَنَّ صِرَاطَ اللَّهِ هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ، فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فِي انتِقَامِهِ، لَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، حَكِيمٌ فِي أَحْكَامِهِ، وَفِي نَقْضِهِ وَإِثْرَامِهِ.^{٥٩٢}

إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان. بهذا الوصف المحب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم.. دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة.

وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله، في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم. أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور، ومن نية أو عمل، ومن رغبة أو رهبة، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه

^{٥٩١} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١٦٧٢)

^{٥٩٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢١٥)، بترقيم الشاملة آليا

وقضاه.استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية.الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير، في الدنيا والآخرة سواء.

وتوجيه هذه الدعوة إلى الذين آمنوا إذ ذاك تشي بأنه كانت هنالك نفوس ما تزال يثور فيها بعض التردد في الطاعة المطلقة في السر والعلن.وهو أمر طبيعي أن يوجد في الجماعة إلى جانب النفوس المطمئنة الواثقة الراضية..وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا ليخلصوا ويتجردوا وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع ما يريد الله بهم،وما يقودهم إليه نبيهم ودينهم،في غير ما تلجلج ولا تردد ولا تلفت.

والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام.عالم كله ثقة واطمئنان،وكله رضى واستقرار.لا حيرة ولا قلق،ولا شرود ولا ضلال.سلام مع النفس والضمير.سلام مع العقل والمنطق.سلام مع الناس والأحياء.سلام مع الوجود كله ومع كل موجود.سلام يرف في حنايا السريرة.وسلام يظلل الحياة والمجتمع.سلام في الأرض وسلام في السماء.وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصوره لله ربه،ونصاعة هذا التصور وبساطته..

إنه إله واحد.يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر عليها قلبه فلا تتفرق به السبل،ولا تتعدد به القبل ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك - كما كان في الوثنية والجاهلية - إنما هو إله واحد يتجه إليه في ثقة وفي طمأنينة وفي نصاعة وفي وضوح. وهو إله قوي قادر عزيز قاهر..فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحققة الوحيدة في هذا الوجود.

وقد أمن كل قوة زائفة واطمأن واستراح.ولم يعد يخاف أحداً أو يخاف شيئاً،وهو يعبد الله القوي القادر العزيز القاهر.ولم يعد يخشى فوت شيء.ولا يطمع في غير من يقدر على الحرمان والعطاء.

وهو إله عادل حكيم، فقوته وقدرته ضمان من الظلم، وضمان من الهوى، وضمان من
البخس. وليس كآلهة الوثنية والجاهلية ذوات التزوات والشهوات. ومن ثم يأوي المسلم
من إلهه إلى ركن شديد، ينال فيه العدل والرعاية والأمان.

وهو رب رحيم ودود. منعم وهاب. غافر الذنب وقابل التوب. يجيب المضطر إذا دعاه
ويكشف السوء.

فالمسلم في كنفه آمن آنس، سالم غاثم، مرحوم إذا ضعف، مغفور له متى تاب..
وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربه التي يعرفه بها الإسلام فيجد في كل صفة ما يؤنس
قلبه، وما يطمئن روحه، وما يضمن معه الحماية والوقاية والعطف والرحمة والعزة والمنعة
والاستقرار والسلام

كذلك يفيض السلام على قلب المسلم من صحة تصور العلاقة بين العبد والرب. وبين
الخالق والكون.

وبين الكون والإنسان.. فالله خلق هذا الكون بالحق وخلق كل شيء فيه بقدر
وحكمة. وهذا الإنسان مخلوق قصدا، وغير متروك سدى، ومهيأ له كل الظروف الكونية
المناسبة لوجوده، ومسخر له ما في الأرض جميعا.

وهو كريم على الله، وهو خليفته في أرضه. والله معينه على هذه الخلافة. والكون من
حوله صديق مأنوس، تتجاوب روحه مع روحه، حين يتجه كلاهما إلى الله ربه. وهو
مدعو إلى هذا المهرجان الإلهي المقام في السماوات والأرض ليتملاه ويأنس به. وهو
مدعو للتعاطف مع كل شيء ومع كل حي في هذا الوجود الكبير، الذي يعج بالأصدقاء
المدعويين مثله إلى ذلك المهرجان! والذين يؤلفون كلهم هذا المهرجان! والعقيدة التي
تقف صاحبها أمام النبتة الصغيرة، وهي توحى إليه أن له أجرا حين يرويها من
عطش، وحين يعينها على النماء، وحين يزيل من طريقها العقبات.. هي عقيدة جميلة فوق
ألها عقيدة كريمة. عقيدة تسكب في روحه السلام وتطلقه يعانق الوجود كله ويعانق كل
موجود ويشيع من حوله الأمن والرفق، والحب والسلام.

والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ونفي القلق والسخط والقنوط.. إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض والجزء الأوفى ليس في هذه العاجلة.. إن الحساب الختامي هناك والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب. فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه. ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس، فسوف يوفاه بميزان الله. ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد، فالعدل لا بد واقع. وما الله يريد ظلماً للعباد.

والاعتقاد بالآخرة حاجز كذلك دون الصراع المكنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات.

بلا تخرج ولا حياء. فهناك الآخرة فيها عطاء، وفيها غناء، وفيها عوض عما يفوت. وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة وأن يخلع التحمل على حركات المتسابقين وأن يخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود! ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة، وأنه مخلوق ليعبد الله.. من شأنها - ولا شك - أن ترفعه إلى هذا الأفق الوضيء. ترفع شعوره وضميره، وترفع نشاطه وعمله، وتنظف وسائله وأدواته. فهو يريد العبادة بنشاطه وعمله وهو يريد العبادة بكسبه وإنفاقه وهو يريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج الله فيها. فأولى به ألا يغدر ولا يفجر وأولى به ألا يغش ولا يخدع وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة. وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل، وألا يعتسف الطريق، وألا يركب الصعب من الأمور. فهو بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب في حدود الطاقة.. ومن شأن هذا كله ألا تثور في نفسه المخاوف والمطامع، وألا يستبد به القلق في أية مرحلة من مراحل الطريق.

فهو يعبد في كل خطوة وهو يحقق غاية وجوده في كل خطوة، وهو يرتقي صعوداً إلى الله في كل نشاط وفي كل مجال.

وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر الله، في طاعة الله، لتحقيق إرادة الله.. وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقبات والمشاق وبلا قنوط من عون الله ومدده وبلا خوف من ضلال القصد أو ضياع الجزاء.. ومن ثم يحس بالسلام في روحه حتى وهو يقاتل أعداء الله وأعداءه. فهو إنما يقاتل لله، وفي سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله ولا يقاتل لجاه أو مغنم أو نزوة أو عرض ما من أعراض هذه الحياة.

كذلك شعوره بأنه يمضي على سنة الله مع هذا الكون كله. قانونه قانونه، ووجهته وجهته. فلا صدام ولا خصام، ولا تبديد للجهد ولا بعثرة للطاقة. وقوى الكون كله تتجمع إلى قوته، وتهتدي بالنور الذي يهتدي به، وتتجه إلى الله وهو معها يتجه إلى الله. والتكاليف التي يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحح الفطرة. لا تتجاوز الطاقة ولا تتجاهل طبيعة الإنسان وتركيبه ولا تحمل طاقة واحدة من طاقاته لا تطلقها للعمل والبناء والنماء ولا تنسى حاجة واحدة من حاجات تكوينه الجثماني والروحي لا تلبسها في يسر وفي سماحة وفي رخاء.. ومن ثم لا يحار ولا يقلق في مواجهة تكاليفه. يحمل منها ما يطبق حمله، ويمضي في الطريق إلى الله في طمأنينة وروح وسلام. والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني، في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة، والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال.. كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام.

هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق. هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صورته. ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في جملته خيرا من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية! هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة - آصرة العقيدة - حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان، واللغات والألوان، وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان..

هذا المجتمع الذي يسمع الله يقول له: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٠) سورة الحجرات.. والذي يرى صورته في قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى»..^{٥٩٣}

هذا المجتمع الذي من آدابه: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (٨٦) سورة النساء.. {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (١٨) سورة لقمان.. {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (٣٤) سورة فصلت.. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١١) سورة الحجرات.. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات..

هذا المجتمع الذي من ضماناته: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (٦) سورة الحجرات.. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٢٧) سورة النور.. وقول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُم عَلَىٰ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَىٰ

^{٥٩٣} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٥١)

سورة النور

والذي يخاطب فيه نساء النبي - أظهر نساء الأرض في أظهر بيت في أظهر بيئة في أظهر زمان { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

۳۳۶

الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) { سورة الأحزاب ..

وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها، ويأمن الزوج على زوجته، ويأمن الأولياء
على حرماهم وأعراضهم، ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم. حيث لا تقع العيون على
المفاتن، ولا تقود العيون القلوب إلى المحارم. فإذا الخيانة المتبادلة حينذاك وإما الرغائب
المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب.. بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن
ساكن، ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان!

وأخيرا إنه ذلك المجتمع الذي يكفل لكل قادر عملا ورزقا، ولكل عاجز ضمانا للعيش
الكريم، ولكل راغب في العفة والحصانة زوجة سالحة، والذي يعتبر أهل كل حي
مسؤولين مسؤولية جنائية لومات فيهم جائع حتى ليرى بعض فقهاء الإسلام تغريمهم
بالدية.

والمجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماهم وأموالهم بحكم
التشريع، بعد كفالتها بالتوجيه الرباني المطاع. فلا يؤخذ واحد فيه بالظنة، ولا يتصور على
أحد بيته، ولا يتجسس على أحد فيه متجسس، ولا يذهب فيه دم هدرًا والقصاص
حاضر ولا يضيع فيه على أحد ماله سرقة أو نهبًا والحدود حاضرة.
المجتمع الذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون. كما يقوم على المساواة والعدالة
الصارمة التي يشعر معها كل أحد أن حقه منوط بحكم شريعة الله لا بإرادة حاكم، ولا
هو حاشية، ولا قرابة كبير.

وفي النهاية المجتمع الوحيد بين سائر المجتمعات البشرية، الذي لا يخضع البشر فيه
للشعر. إنما يخضعون حاكمين ومحكومين لله ولشريعته وينفذون حاكمين ومحكومين
حكم الله وشريعته. فيقف الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام الله رب العالمين
وأحكم الحاكمين، في طمأنينة وفي ثقة وفي يقين..

هذه كلها بعض معاني السلم الذي تشير إليه الآية وتدعو الذين آمنوا للدخول فيه كافة. ليسلموا أنفسهم كلها لله فلا يعود لهم منها شيء، ولا يعود لنفوسهم من ذاتها حظ إنما تعود كلها لله في طوعية وفي انقياد وفي تسليم..

ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان، في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام، أو التي عرفته ثم تنكرت له، وارتدت إلى الجاهلية، تحت عنوان من شتى العنوانات في جميع الأزمان.. هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلة الموازين.

وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو «السويد». حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام. وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقدا والعلاج المجاني في المستشفيات. وحيث التعليم في جميع مراحلها بالمجان، مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت.. وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادي والحضاري العجيب..

ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلق القلوب من الإيمان بالله؟ إنه شعب مههد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق التزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب.. ثم الانتحار.. والحال كهذا في أمريكا.. والحال أشنع من هذا في روسيا..

إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة. فلا يذوق طعم السلم الذي يدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافة، ولينعيموا فيه بالأمن والظل

والراحة والقرار: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً.. وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ. إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»..

ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة... حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان. فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان. إما الدخول في السلم كافة، وإما اتباع خطوات الشيطان. إما هدى وإما ضلال. إما إسلام وإما جاهلية. إما طريق الله وإما طريق الشيطان. وإما هدى الله وإما غواية الشيطان.. ويمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه، فلا يتلحج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات.

إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحدا منها، أو يخلط واحدا منها بواحد.. كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته، ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته، ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر.. إن هذا في سبيل الشيطان، سائر على خطوات الشيطان..

ليس هنالك حل وسط، ولا منهج بين بين، ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك! إنما هناك حق وباطل. هدى وضلال. إسلام وجاهلية. منهج الله أو غواية الشيطان. والله يدعو المؤمنين في الأولى إلى الدخول في السلم كافة ويحذرهم في الثانية من اتباع خطوات الشيطان. ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم، ويستثير مخاوفهم بتذكيرهم بعداوة الشيطان لهم، تلك العداوة الواضحة البينة، التي لا ينساها إلا غافل. والغفلة لا تكون مع الإيمان. ثم يخوفهم عاقبة الزل بعد البيان: «فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»..

وتذكيرهم بأن الله «عَزِيزٌ» يحمل التلويح بالقوة والقدرة والغلبة، وأنهم يتعرضون لقوة الله حين يخالفون عن توجيهه.. وتذكيرهم بأنه «حَكِيمٌ».. فيه إيجاء بأن ما اختاره لهم هو الخير، وما نهاهم هو الشر، وأنهم يتعرضون للخسارة حين لا يتبعون أمره ولا ينتهون عما نهاهم عنه.. فالتعقيب بشطريه يحمل معنى التهديد والتحذير في المقام..^{٥٩٥}

^{٥٩٥} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٤٣٧)

وقد أمرهم بالعمل بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ما استطاعوا، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، فالذي يدخل في الإسلام مبتعد عن الشيطان وخطواته، والذي يترك شيئاً من الإسلام فقد اتبع بعض خطوات الشيطان، ولذلك كان تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، أو الأكل من المحرمات والخبائث، كل ذلك من اتباع خطوات الشيطان التي نهينا عنها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) { [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ عَلَى النَّاسِ بِمَا أَبَاحَ لَهُمْ مِنَ الْأَكْلِ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ حَلَالًا طَيِّبًا وَيَنْهَاهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ سِيرَةِ الشَّيْطَانِ فِي الْإِغْوَاءِ وَالِإِضْلَالِ، وَالْوَسْوَسَةِ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَعَنْ اتِّبَاعِ مَسْلَكِهِ وَطَرَائِقِهِ فِيمَا أَضَلَّ بِهِ أَتْبَاعَهُ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ وَالْوَصَائِلِ وَغَيْرِهَا مِمَّا كَانَ زِينَةً لِلْمُشْرِكِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ مُبِينٌ الْعَدَاوَةَ لِلْإِنْسَانِ. وَالشَّيْطَانُ الْعَدُوُّ يُوَسَّوِسُ لِلْكَفَرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الْمُنْكَرَةِ، وَالْفَوَاحِشِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ فِي دِينِهِ مَا لَا يُعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ شَرَعَهُ لِلنَّاسِ، مِنْ عَقَائِدَ وَشَعَائِرَ دِينِيَّةٍ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا الْأَصْلُ فِيهِ التَّحْرِيمُ.^{٥٩٦}

إن الالتزام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً يطرد الشيطان ويغيظه أعظم إغاضة، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا قرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَيَّتُ فَلِيَ النَّارُ".^{٥٩٧}

^{٥٩٦} - صحيح مسلم (٨٧/١) ١٣٣ - (٨١)

[ش (إذا قرأ ابن آدم السجدة) معناه آية السجدة (يا ويله) هو من آداب الكلام وهو أنه إذا عرض في الحكاية عن الغير ما فيه سوء واقتضت الحكاية رجوع الضمير إلى المتكلم صرف الحاكي الضمير عن نفسه تصاوينا عن صورة إضافة السوء إلى نفسه]

^{٥٩٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٠١، بترقيم الشاملة آليا)

" قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: نَظَرْتُ فِي الْمُصْحَفِ فَوَجَدْتُ فِيهِ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ وَتَلَاثِينَ مَوْضِعًا، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: ٦٣] وَجَعَلَ يُكْرِّرُهَا، وَيَقُولُ: وَمَا الْفِتْنَةُ الشَّرُّ، لَعَلَّهُ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَزِيغَ فِيهِ لَكَ، وَجَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ آيَةَ: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } [النساء: ٦٥]، وَقَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ رَدَّ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ» قَالَ الشَّيْخُ: " فَاللَّهُ اللَّهُ إِخْوَانِي احْذَرُوا مُجَالَسَةَ مَنْ قَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ فزَاغَ قَلْبُهُ، وَعَشِيَتْ بَصِيرَتُهُ، وَاسْتَحْكَمَتِ لِلْبَاطِلِ نُصْرَتُهُ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي عَشَوَاءٍ، وَيَعْشُو فِي ظُلْمَةٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ فَافْزَعُوا إِلَى مَوْلَاكُمْ الْكَرِيمِ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَحَضُّكُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَقُولُوا: { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨] " ٥٩٨

وَقَالَ رَجُلٌ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: أُحْرِمُ مِنْ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ؟ فَقَالَ لَهُ: «بَلْ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أُحْرِمْتُ أَنَا مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَقَالَ مَالِكٌ: " { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: ٦٣] " ٥٩٩

قَالَ الشَّاطِئِي: " فَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ خَشِيَ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ فِي الْإِحْرَامِ مِنْ مَوْضِعٍ فَاضِلٍ لَا بُقْعَةَ أَشْرَفَ مِنْهُ، وَهُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَوْضِعُ قَبْرِهِ، لَكِنَّهُ أَبْعَدَ مِنَ الْمِيقَاتِ فَهُوَ زِيَادَةٌ فِي التَّعَبِ قَصْدًا لِرِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَبَيَّنَ أَنَّ مَا اسْتَسْهَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْيَسِيرِ فِي بَادِي الرَّأْيِ يَخَافُ عَلَى صَاحِبِهِ الْفِتْنَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَاسْتَدَلَّ بِالْآيَةِ. فَكُلُّ مَا كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ دَاخِلٌ — عِنْدَ مَالِكٍ — فِي مَعْنَى الْآيَةِ " ٦٠٠

٥٩٨ - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦١) (٩٧)

٥٩٩ - الاعتصام للشاطي (ص: ١٧٤) وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٣/ ٤) والإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦١) (٩٨) والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٢٠٠) (٢٣٦) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٢٦) صحيح

٦٠٠ - الاعتصام للشاطي (ص: ٥٣٥)

قال ابن بطه رحمه الله: "فَالَّذِي ذَكَرْتُهُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَضَضْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِهِ، وَاقْتَفَاءِ أَثَرِهِ مُوَافِقُ كُلِّهِ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ طَرِيقُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَثَمَةِ الْمَهْدِيِّينَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَعَلَيْهِ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ، الَّتِي مَنْ أَتَبَعَ غَيْرَهَا وَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا. فَإِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَوَاهُ الْعُلَمَاءُ، وَاحْتَجَّ بِهِ الْأَثَمَةُ الْعُقَلَاءُ، فَلَا يُعَارِضُهُ بِرَأْيِهِ، وَهَوَى نَفْسِهِ، فَيُصِيبُهُ مَا تَوَعَّدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]، وَهَلْ تَذَرِي مَا الْفِتْنَةُ هَاهُنَا؟ هِيَ وَاللَّهُ الشِّرْكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَالْكَفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [البقرة: ١٩٣] يَقُولُ: حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكَ فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى تَقْتُلُوهُمْ} وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١] يَقُولُ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ أَشَدُّ مِنْ قَتْلِكُمْ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ وَوَقَفْنَا وَإِيَّاكُمْ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ" ٦٠١

وفي شرح أصول الاعتقاد ٦٠٢: "يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيمَا يَحُثُّ عَلَى أَتْبَاعِ دِينِهِ، وَالْإِعْتَصَامِ بِحَبْلِهِ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِرَسُولِهِ ﷺ: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الزمر: ٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]، وَقَالَ: {فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو

٦٠١ - الإبانة الكبرى لابن بطه (١/ ٢٦٨)

٦٠٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠)

الْأَلْبَابِ { [الزمر: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨] .

ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} [الأنفال: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧١]، وَقَالَ: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩]، قِيلَ فِي تَفْسِيرِهَا: إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. ثُمَّ حَدَّرَ مِنْ خِلَافِهِ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] .

وعن خالد بن معدان، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِيِّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ الْكَلَاعِيُّ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعَرَبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} [التوبة: ٩٢]، فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فَقَالَ الْعَرَبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ لَنَا؟ قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبِشِيًّا مُجَدَّعًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ

الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».^{٦٠٣}

ثالثاً: الالتجاء إلى الله والاحتماء به؛

خير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بجنابه، والاستعاذة به من الشيطان، فإنه عليه قادر. فإذا أجار عبده فأنى يخلص الشيطان إليه، قال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)} [الأعراف: ١٩٩ - ٢٠١].

أَعْرِضْ أَيُّهَا النَّبِيُّ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَسِرْ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ، وَخُذِ النَّاسَ بِمَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ، وَأْمُرْهُمْ بِكُلِّ أَمْرٍ مُسْتَحْسَنٍ تَعْرِفُهُ الْعُقُولُ، وَتُذَكِّرُهُ الْأَفْهَامُ.

فَإِذَا مَا اسْتَشَارَ الشَّيْطَانُ غَضَبَكَ لِيُضْذِكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَيَحْمِلَكَ عَلَى مُجَارَاتِهِمْ وَمُجَارَاتِهِمْ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَاسْتَجِرْ بِهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِحُجُلِ الْجَاهِلِينَ عَلَيْكَ، عَلِيمٌ بِمَا يُذْهَبُ عَنْكَ نَزْغُ الشَّيْطَانِ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ الْمُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا أَلَمَ بِهِمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ بَوَسْوَسَتِهِ إِلَيْهِمْ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، أَوْ لِيُوقِعَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ... تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ عَدُوِّهِمْ وَتَذَكَّرُوا أَنَّ رَبَّهُمْ قَدْ حَذَّرَهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزْغِهِ، وَسَوَّسَتِهِ، فَتَابُوا وَأَنَابُوا وَاسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ، وَرَجَعُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا هُمْ قَدْ اسْتَقَامُوا وَصَحُّوا (مُبْصِرُونَ).^{٦٠٤}

خذ العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والصحبة، ولا تطلب إليهم الكمال، ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق. واعف عن أخطائهم وضعفهم ونقصهم.. كل

^{٦٠٣} - صحيح ابن حبان - مخرجا (١/ ١٧٨) (٥) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» عِنْدَ ذِكْرِهِ الْإِخْتِلَافَ الَّذِي يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ مَنْ وَاظَلَ عَلَى السُّنَنِ، قَالَ بِهَا، وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَرَاءِ مِنَ الْفِرَقِ النَّاجِيَةِ فِي الْقِيَامَةِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنَّهُ

^{٦٠٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٥٤)، بترقيم الشاملة آليا

أولئك في المعاملات الشخصية لا في العقيدة الدينية ولا في الواجبات الشرعية. فليس في عقيدة الإسلام ولا شريعة الله يكون التغاضي والتسامح.

ولكن في الأخذ والعطاء والصحة والجوار. وبذلك تمضي الحياة سهلة لينة. فالإغضاء عن الضعف البشري، والعطف عليه، والسماحة معه، واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء. ورسول الله - ﷺ - راع وهاد ومعلم ومرب. فهو أولى الناس بالسماحة واليسر والإغضاء.. وكذلك كان - ﷺ - .. لم يغضب لنفسه قط. فإذا كان في دين الله لم يقيم لغضبه شيء!.. وكل أصحاب الدعوة مأمورون بما أمر به رسول الله - ﷺ - .
فالتعامل مع النفوس البشرية لهاديتها يقتضي سعة صدر، وسماحة طبع، ويسر وتيسير في غير تهاون ولا تفريط في دين الله..

«وأمر بالعرف».. وهو الخير المعروف الواضح الذي لا يحتاج إلى مناقشة وجدال والذي تلتقي عليه الفطر السليمة والنفوس المستقيمة..

والنفس حين تعتاد هذا المعروف يسلس قيادها بعد ذلك، وتتطوع لألوان من الخير دون تكليف وما يصد النفس عن الخير شيء مثلما يصدها التعقيد والمشقة والشدة في أول معرفتها بالتكاليف! ورياضة النفوس تقتضي أخذها في أول الطريق بالميسور المعروف من هذه التكاليف حتى يسلس قيادها وتعتاد هي بذاتها النهوض بما فوق ذلك في يسر وطواعية ولين..

«وأعرض عن الجاهلين».. من الجاهالة ضد الرشد، والجاهالة ضد العلم.. وهما قريب من قريب..

والإعراض يكون بالترك والإهمال والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال والمروءة بها من الكرام وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشدة والجذب، وإضاعة الوقت والجهد..

وقد ينتهي السكوت عنهم، والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها، بدلا من الفحش في الرد واللجاج في العناد. فإن لم يؤد إلى هذه النتيجة فيهم، فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير. إذ يرون صاحب الدعوة محتملا معرضا عن اللغو، ويرون

هؤلاء الجاهلين يحمقون ويجهلون فيسقطون من عيولهم ويعزلون! وما أجدر صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس! ولكن رسول الله - ﷺ - بشر. وقد يثور غضبه على جهالة الجهال وسفاهة السفهاء وحق الحمقى.. وإذا قدر عليها رسول الله - ﷺ - فقد يعجز عنها من وراءه من أصحاب الدعوة..

وعند الغضب يترغ الشيطان في النفس، وهي ثائرة هائجة مفقودة الزمام!.. لذا يأمره ربه أن يستعبد بالله لينفث غضبه، ويأخذ على الشيطان طريقه: «وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».. وهذا التعقيب: «إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».. يقرر أن الله سبحانه سميع لجهل الجاهلين وسفاهتهم عليم بما تحمله نفسك من أذاهم.. وفي هذا ترضية وتسرية للنفس.. فحسبها أن الجليل العظيم يسمع ويعلم! وماذا تبتغي نفس بعد ما يسمع الله ويعلم ما تلقى من السفاهة والجهل وهي تدعو إليه الجاهلين؟! ثم يتخذ السياق القرآني طريقاً آخر للإيحاء إلى نفس صاحب الدعوة بالرضى والقبول، وذكر الله عند الغضب لأخذ الطريق على الشيطان ونزغه اللئيم: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ».. وتكشف هذه الآية القصيرة عن إحياءات عجيبة، وحقائق عميقة، يتضمنها التعبير القرآني المعجز الجميل.. إن احتتام الآية بقوله: «فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» ليضيف معاني كثيرة إلى صدر الآية. ليس لها ألفاظ تقابلها هناك.. إنه يفيد أن مس الشيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة. ولكن تقوى الله ومراقبته وخشية غضبه وعقابه..

تلك الوشيحة التي تصل القلوب بالله وتوقظها من الغفلة عن هداة.. تذكر المتقين.. فإذا تذكروا فتفتحت بصائرهم وتكشفت الغشاوة عن عيولهم: «فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ».. إن مس الشيطان عمى، وإن تذكر الله إبصار.. إن مس الشيطان ظلمة، وإن الاتجاه إلى الله نور.. إن مس الشيطان تجلوه التقوى، فما للشيطان على المتقين من سلطان..^{٦٠٥}

^{٦٠٥} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ١٨٩٦)

وقد أمر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين وحضورهم: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)} [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَمِنْ هَمَزَاتِهِمْ، وَدَفَعَاتِهِمْ، وَنَفْثِهِمْ، وَنَفْخِهِمْ، لَا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الْحِيلُ، وَلَا يَنْفَادُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعْصُومٌ مِنْهَا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي التَّوْقِي، وَتَعْلِيمٍ لَأُمَّتِهِ أَنْ يَتَحَصَّنُوا بِاللَّهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ فِي كُلِّ حِينٍ. وَقُلْ أَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ تَحْضُرَنِي الشَّيَاطِينُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَمَزَاتِهِمْ وَنَخَسَاتِهِمْ. وَيَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الاسْتِعَاذَةُ هُنَا مِنْ حُضُورِهِمْ إِيَّاهُ سَاعَةَ الْوَفَاةِ. وَكَانَ الرَّسُولُ يَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ تَحْضُرَهُ، الشَّيَاطِينُ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَلَا سِيَّما حِينَ الصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَحُلُولِ الْأَجَلِ.^{٦٠٦}

وهمزات الشياطين: نزغاتهم ووساوسهم، فالله يأمرنا بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً، ولا يتبغى غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين آدم.

يقول ابن كثير في تفسيره: "والاستعاذة هي اللّجاء إلى الله والالتصاق بحبائه من شرّ كل ذي شرّ، والعياذة تكون لدفع الشرّ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُهُ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّنْ أُحَاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ... وَلَا يَهَيِضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيُّ: أَسْتَجِيرُ بِحَبَابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلٍ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يَحْثُنِي عَلَى فِعْلٍ مَا نُهِيتُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكْفُهُ عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ، لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَأَمَرَ

^{٦٠٦} - تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١١٤)

بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجَنِّ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ حَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شَرِيرٌ بِالطَّبْعِ وَلَا يَكْفُهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ..^{٦٠٧}

وقد كان ﷺ يكثر من الاستعاذة بربه من الشيطان بصيغ مختلفة، فعن ابنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ: مَنْ هَمَزَهُ، وَنَفَخَهُ، [وَنَفَثَهُ]». ^{٦٠٨}
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ، كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ. ^{٦٠٩}
مواضع الاستعاذة:

١ - الاستعاذة عند دخول الخلاء:

وكان إذا دخل الخلاء يستعيز من الشياطين ذكورهم وإناثهم، كما في الصحيحين ع عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ». ^{٦١٠}
وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضِرَةٌ، فَإِذَا دَخَلَهَا أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ، وَالْخَبَائِثِ». ^{٦١١}

^{٦٠٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٠١)، بترقيم الشاملة آليا

^{٦٠٨} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٧٨ / ٥) (١٧٧٩) صحيح قال عمرو: «هَمَزُهُ: الْمُؤَنَّةُ، وَنَفَخُهُ: الْكَبِيرُ، وَنَفَثَهُ: الشَّعْرُ»

^{٦٠٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٣ / ٣٩٨) (٨٩٤٠) ٨٩٢٧ - والصَّحِيحَةُ (٣٥٨٦) حسن (ينضي شيطانه) أي: يُهْزِلُهُ وَيَجْعَلُهُ نَضْوًا ، أي مهزولا لكثرة إذلاله له ، وجعله أسيرا تحت قهره وتصرفه ، ومن أعز سلطان الله أعزه الله ، وَسَلَّطَهُ عَلَى عَدُوهِ. فيض القدير - (ج ٢ / ص ٤٨٨)
والمراد أن من شأن المؤمن مخالفة الشياطين وتصغيرهم، وفي التشبيه تنبيه على أن حق المؤمن أن يغلب على الشيطان حتى يكون الشيطان تحته مطيعاً له كالدابة، والله تعالى أعلم.

^{٦١٠} - صحيح البخاري (١ / ٤١) (١٤٢) (١٢٢) (٢٨٣ / ١) - صحيح مسلم (١٢٢) (٣٧٥) [(الخلاء) أصله المكان الخالي والمراد موضع قضاء الحاجة كالمراحض وغيره سمي بذلك لخلوه في غير أوقات قضاء الحاجة. (الخبث والخبائث) جمع خبث وخبثته أي ذكور الشياطين وإناثهم وقيل المراد كل شيء مكروه ومذموم]

^{٦١١} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٤ / ٢٥٥) (١٤٠٨) صحيح

٢ - الاستعاذة عند الغضب:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ وَجْهُهُ، وَاتَّفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ" فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟^{٦١٢}

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ غَيْظُهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"^{٦١٣}

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مَا يَجِدُ»، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا هِيَ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^{٦١٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ، لَعَلِّي أَغْفِلُ. قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»^{٦١٥}

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْخُبْتُ جَمْعُ الذُّكُورِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَالْخَبَائِثُ جَمْعُ الْإِنَاثِ مِنْهُمْ، يُقَالُ خَبِثَتْ وَخَبِثَانِ، وَخَبِثَتْ وَخَبِثَتْ، وَخَبِثَتَانِ وَخَبَائِثُ»

"غالب ما يوجد الجن في مواضع النجسات كالحمامات والحشوش والمزابيل والقمامين والشيوخ الذين تقرر بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيرا إلى هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين" أحكام المرحان في أحكام الجن (ص: ٤٩)

^{٦١٢} - صحيح البخاري (٤/ ١٢٤) (٣٢٨٢) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠١٥) ١١٠ - (٢٦١٠)

[ش (يستبان) يشتم كل واحد منهما الآخر. (أوداجه) جمع ودج وهو عرق يكون على جانب العنق وانتفاخها كناية عن شدة الغضب ودليل عليه. (ما يجد) أي ما فيه من الغضب. (هل بي جنون) أي حتى أتعوذ؟ قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم وأما قول هذا الرجل الذي اشتد غضبه هل ترى بي من جنون؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون ولم يعلم أن الغضب من نزعات الشيطان ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب. ثم قال ويحتمل أن هذا القائل.. كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب والله أعلم]

^{٦١٣} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ١٥٠) (١٥١-١٠١٤٩) صحيح

^{٦١٤} - المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ١٤٠) (٢٨٧-٢٨٩) صحيح - يتمزع: التمزيع: التفريق، وفلان يتمزع من الغيظ، أي يتقطع.

^{٦١٥} - مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص: ١٥٠) (٣١٥) صحيح

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: {إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ} [الأعراف: ٢٠١] قَالَ: «هُوَ الْعُضْبُ»^{٦١٦}

وَعَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَعْضِبُ» قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا الْعُضْبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ»^{٦١٧}

٣- الاستعاذة عند الجماع:

وحثنا على الاستعاذة حين يأتي الرجل أهله، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يُبْلَغُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ» متفق عليه^{٦١٨}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا"^{٦١٩}

٤- الاستعاذة عند نزول وادٍ أو منزل:

وإذا نزل المرء وادياً أو منزلاً، فعليه أن يستعيز بالله، لا كما كان يفعل أهل الجاهلية يستعيزون بالجن والشياطين، فيقول قائلهم: أعوذ بزعيم هذا الوادي من سفهاء قومه، فكانت العاقبة أن استكبرت الجن وآذتهم، كما حكى الله عنهم ذلك في سورة

^{٦١٦} - مساوي الأخلاق للخرائطي (ص: ١٥٠) (٣١٦) حسن مقطوع

^{٦١٧} - مساوي الأخلاق للخرائطي (ص: ١٤٩) (٣١٣) صحيح

^{٦١٨} - صحيح البخاري (١/ ٤٠) (١٤١) وصحيح مسلم (٢/ ١٠٥٨) (١١٦) - (١٤٣٤)

[يبلغ به النبي) أي يرفع الحديث ويصل به إلى النبي ﷺ وليس موقوفاً على ابن عباس. (إذا أتى أهله) جامع زوجته والوقاع الجماع. (ما رزقنا) أي من ولد]

أي: لَمْ يَضُرَّ الْوَلَدَ الْمَذْكُورَ ، بِحَيْثُ يَتِمَّكَنُ مِنْ إِضْرَارِهِ فِي دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ رَفْعُ الْوَسْوَسةِ مِنْ أَصْلِهَا ، وَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ يُعْنِي الْمُصَنَّفُ: مَنْ لَا يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ يَقُولُهَا بِالْفَارِسِيَّةِ ؟ ، قَالَ: نَعَمْ. فتح الباري لابن حجر - (ح ١٤١)

^{٦١٩} - صحيح البخاري (٩/ ١١٩) (٧٣٩٦)

الجن: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعَوِّذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦]؛ أي الجن زادت الإنس رهقاً.

وقد علمنا الرسول ﷺ كيف نستعيز بالله عندما نزل منزلاً فَعَنْ حَوْلَةٍ بِنْتِ حَكِيمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ".^{٦٢٠}

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَرَفِ فِي مَنْزِلِهِ ذَلِكَ شَيْئًا يَكْرَهُهُ حَتَّى يَرْتَحِلَ عَنْهُ" قَالَ سُهَيْلٌ: قَالَ أَبِي: فَلَقِيتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَائِشٍ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ لَهُ: حَدِّثْكَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ؟ قَالَ: نَعَمْ.^{٦٢١}

وَعَنْ حَوْلَةٍ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ فِي مَنْزِلِهِ ذَلِكَ شَيْءٌ حَتَّى يَضْطَعَ عَنْهُ"^{٦٢٢}

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ، تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ"^{٦٢٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ الْمَازِنِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ حِمَصَ "فَأَوَانِي اللَّيْلَ إِلَى الْبَقِيعَةِ قَالَ: فَتَزَلْتُ فَحَضَرَنِي مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ مِنَ الْأَعْرَافِ {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} الْآيَةَ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ احْرُسُوهُ الْآنَ حَتَّى يُصْبِحَ. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ رَكِبْتُ دَابَّتِي"^{٦٢٤}

٦٢٠ - مسند أحمد ط الرسالة (٤٥ / ٢٩٠) (٢٧٣١٠) صحيح

٦٢١ - معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤ / ١٨٦٢) (٤٦٨٨) صحيح

٦٢٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٤٥ / ٩٠) (٢٧١٢٣) صحيح لغيره

٦٢٣ - صحيح مسلم (٤ / ٢٠٨٠) ٥٤ - (٢٧٠٨)

[ش (بكلمات الله التامات) قيل معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب وقيل النافعة الشافية وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن]

٦٢٤ - الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٣ / ٤٩) (١٣٥٢) فيه ضعف

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَتَرًا سَبَحْنَا حَتَّى نَحْطَ الرَّحَالَ " ٦٢٥
وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: «كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنَزِلًا سَبَحْنَا حَتَّى نَحْلَ الرَّحَالَ» قَالَ شُعْبَةُ: «تَسْبِيحًا بِاللِّسَانِ» ٦٢٦
وَعَنْ شُعْبَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَمَزَةُ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: «كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنَزِلًا لَمْ نَزَلْ نُسَبِّحْ حَتَّى نُحْلَ الرَّحَالَ» ٦٢٧
وَعَنْ عُثْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَمْ تَرَاهُمْ " وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ ٦٢٨
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَكْتُبُونَ مَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَإِنْ أَصَابَتْ أَحَدًا مِنْكُمْ عَرَجَةٌ أَوْ احْتِاجَ إِلَى عَوْنٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَلْيَقُلْ: أَعِينُوا عِبَادَ اللَّهِ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ يُعَانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " هَذَا مَوْقُوفٌ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، مُسْتَعْمَلٌ عِنْدَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَوْجُودِ صِدْقِهِ عِنْدَهُمْ فِيمَا جَرَّبُوا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ ٦٢٩

٦٢٥ - الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما (٦/

١١٤) (٢١٠٨) إسناده صحيح

٦٢٦ - المعجم الأوسط (٩٨/٢) (١٣٧٦) صحيح

٦٢٧ - مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٦٧/٥) (٩٢٦٣) صحيح لغيره

٦٢٨ - المعجم الكبير للطبراني (١١٧/١٧) (٢٩٠) وبنحوه عن ابن مسعود المعجم الكبير للطبراني (١٠/

٢١٧) (١٠٥١٨) وعن ابن عباس مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٣٩٠/١٠) (٣٠٣٣٩) حسن

لغيره

٦٢٩ - الآداب للبيهقي (ص: ٢٦٩) (٦٥٧) وشعب الإيمان (١/٣٢٥) (١٦٥) ومصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار

السلفية الهندية (٣٩٠/١٠) (٣٠٣٣٩) صحيح موقوف، ومثله لا يقال بالرأي، وقد ورد مرفوعاً

وإسناده حسن، ورجح الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في الضعيفة (٦٥٦) الموقوف لأن حاتم بن إسماعيل

قال فيه النسائي: ليس بالقوي، وقال غيره كانت فيه غفلة، ولذلك قال فيه الحافظ: صحيح الكتاب صدوق يهمل، وقال

في جعفر بن عون: صدوق... هـ بل ذهب أبعد من ذلك عندما زعم أن ابن عباس ربما أخذه عن مسلمة أهل

الكتاب

أقول: وهذا كلام فيه نظر. أما حاتم بن إسماعيل فقال عنه الذهبي في الكاشف: ثقة (٨٤١) وفي التهذيب: قال أحمد: هو

أحب إلى من الدراودي وزعموا أن حاتم كان فيه غفلة، إلا أن كتابه صالح، وقال أبو حاتم: هو أحب إلى من سعيد

بن سالم وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان ثقة مأموناً كثير الحديث، ووثقه ابن حبان، وقال

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، احْبِسُوا عَلَيَّ، يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " ٦٣٠

وَعَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِذَا نَفَرَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ، أَوْ بَعِيرُهُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَرَى بِهَا أَحَدًا فَلْيَقُلْ: أَعِينُوا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ سَيَعَانُ. ٦٣١

وهذا النداء يشمل الإنس والجن والملائكة، بل وغيرهم من مخلوقات الله تعالى، فالكل عبيده فهو قادر على تسخيرهم لعباده المؤمنين عند حاجتهم لذلك. حيث يجوز الاستعانة بخلق الله على العموم، إنسا كانوا أم جنا أم ملائكة أو حتى حيوانا في الأمور الجائزة عند الاضطرار فقط، كما ورد في خبر سفينة الصحابي، فعَنْ سَفِينَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَحْرِ، فَأَنْكَسَرَتْ سَفِينَتُنَا فَلَمْ نَعْرِفِ الطَّرِيقَ، فَإِذَا أَنَا بِالْأَسَدِ قَدْ عَرَضَ لَنَا، فَتَأَخَّرَ أَصْحَابِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: أَنَا سَفِينَةُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَضَلَلْنَا الطَّرِيقَ، فَمَشَى بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى أَوْفَقْنَا عَلَى الطَّرِيقِ، ثُمَّ تَنَحَّى وَدَفَعَنِي كَأَنَّهُ يُرِينِي الطَّرِيقَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُودِّعُنَا. رَوَاهُ الْبُزَّارُ، وَالطَّبْرَانِيُّ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَأَنْكَسَرَتْ سَفِينَتِي

العجلي: ثقة، وكذا قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، وقال ابن المديني: روى جعفر عن أبيه أحاديث مراسيل أسندها، وقرأت بخط الذهبي في الميزان قال النسائي: ليس بالقوي ١ هـ ١٢٨/٢ - ١٢٩ وهذا يتبين لك ضعف ما قاله في حق هذا الرجل فهو ثقة كما قال الذهبي. ولا يجوز الاعتماد على المختصرات في مثل هذه الأمور، فالحديث حسن

٦٣٠ - المعجم الكبير للطبراني (١٠/٢١٧) (١٠٥١٨) حسن لغيره

وفي سنده: معروف بن حسان السمرقندي مجهول. وقد استنكر حديثه عن عمر بن ذر ابن عدي ٦/٣٢٥ وليس هذا منه. وأعل بالانقطاع بين عبد الله بن بريدة وابن مسعود وهذا غير صحيح، فبعد الرجوع لترجمته في التهذيب لم يذكر أحد منهم أنه لم يسمع من ابن مسعود علما أنه ولد لثلاث خلون من خلافة عمر بالكوفة وابن مسعود ذهب إلى الكوفة، فلا شيء يمنع سماعه منه راجع التهذيب ٥/١٥٧ - ١٥٨.

وله طريق آخر عن ابن إسحاق عن أبان بن صالح مرسلا وإسناده صحيح وزعم الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - أنه معضل علما أن أبان روى عن أنس وسمع منه حيث ولد سنة ٦٠ هـ راجع التهذيب ١/٩٤ - ٩٥.

وأعله الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في ضعيفته (٦٥٥) بعله أخرى وهي عن عنة ابن إسحاق وتدلّسه، وقد بينا بطلان هذه التهمة على ابن إسحاق عند الحديث رقم (٥٢٩) وأنه ليس مدلسا فالحديث حسن لغيره، وذكره ابن

القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٢٥) وسكت عليه، ويشهد له حديث ابن عباس

٦٣١ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (١٠/٤٢٤) (٣٠٤٣٨) صحيح مرسل

الَّتِي كُنْتُ فِيهَا، فَرَكِبْتُ لَوْحًا مِنْ أَلْوَحِهَا فَطَرَحَنِي اللَّوْحُ فِي أَجَمَةٍ فِيهَا الْأَسَدُ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ يُرِيدُنِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، أَنَا سَفِينَةُ مُوَلَّى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فَدَفَعَنِي بِمَنْكِبِهِ»^{٦٣٢}.

٥- التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ عِنْدَ سَمَاعِ نَهْيِ الْحِمَارِ:

عَنْ ابْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ صُهَيْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا نَهَى الْحِمَارُ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^{٦٣٣}

وَعَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَا أَرَاهُ إِلَّا رَفَعَهُ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْخُرُوجَ بَعْدَ هَدَاةِ اللَّيْلِ، فَإِنَّ لِلَّهِ دَوَابَّ يَبْثُهَا فِي الْأَرْضِ تَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ بِهِ، فَإِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ نَهْيَ حِمَارٍ، أَوْ نُبَاحَ كَلْبٍ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»^{٦٣٤}

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَقْلُوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هَدَاةِ الرَّجُلِ يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ لِلَّهِ دَوَابَّ يَبْثُهَا فِي الْأَرْضِ تَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ، وَيُكَلِّمُ سَمِعَ نُهَاقَ حِمَارٍ أَوْ نُبَاحَ كَلْبٍ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»^{٦٣٥}

^{٦٣٢} - مسند البزار (٣٨٣٨) والمعجم الكبير للطبراني ج٧، ص٨٠ رقم ٦٤٣٢ والمستدرک للحاکم (٤٢٣٥، ٦٥٥٠) وصححه، ووافقه الذهبي ودلائل النبوة للبيهقي (٢٢٩٣). مجمع الزوائد (١٥٩٧٢): "رواه البزار والطبراني ورجاهما وُثِّقُوا". قلت: وهو حديث حسن.

قلت: إذا كان الإنسان يتعامل مع الجن فإنها تعينه وتساعدته وكلاهما على باطل، فكيف إذا كان من عباد الله الصالحين فكيف لا يساعده عباد الله الصالحون وقت الاضطرار !!؟ وهم موجودون دائما أيضا فالصواب من القول أنه كما يوجد بين أولياء الشيطان من يساعد ويعين بعضهم بعضا، فكذلك يوجد بين أولياء الرحمن من هذا القبيل، وهي نوع من الكرامة يبين، وقد ذكرت أمثلة كثيرة لذلك في كتابي ((الخلاصة في شرح حديث الولي))

^{٦٣٣} - المعجم الكبير للطبراني (٨ / ٣٩) (٧٣١٢) والصحيحة (١٤٢٦) وصحيح الجامع (٨١٦) صحيح لغيره

^{٦٣٤} - جامع معمر بن راشد (١١ / ٤٦) (١٩٨٧٢) صحيح لغيره

^{٦٣٥} - المسند للشاشي (٣ / ١٣٠) (١١٩٨) صحيح لغيره

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَقْلُوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هُدُوءٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ دَوَابَّ يَنْثُنُّ، فَمَنْ سَمِعَ نُبَاحَ الْكَلْبِ، أَوْ نُهَاقَ حِمَارٍ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»^{٦٣٦}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكَلَابِ أَوْ نُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَغَطُّوا الْجِرَارَ، وَأَوْكُتُوا الْقَرَبَ وَأَكْفَتُوا الْآتِيَةَ»^{٦٣٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»^{٦٣٨}

٦- التَّعَوُّذُ حِينَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ:

قال تعالى: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) } [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنْ يَسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِذَا أَرَادُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ.

وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا سُلْطَةَ لَهُ وَلَا سُلْطَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ ذَنْبٍ لَا يَتَوَبُّونَ مِنْهُ.

إِنَّمَا تَسْلُطُهُ بِالْعَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ يَكُونُ عَلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ نَصِيرًا فَيُجِبُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَايِهِ يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ.^{٦٣٩}

^{٦٣٦} - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤٢٢) (١٢٣٣) صحيح

^{٦٣٧} - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤٢٣) (١٢٣٤) صحيح

^{٦٣٨} - صحيح البخاري (٤/ ١٢٨) (٣٣٠٣) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٢) ٨٢ - (٢٧٢٩)

[ش (هقيق الحمار) صوته المنكر]

^{٦٣٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٩٩٩، بترقيم الشاملة آليا)

والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تمهيد للجو الذي يتلى فيه كتاب الله، وتطهير له من الوسوسة واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة لا يشغلها شاغل من عالم الرجس والشر الذي يمثله الشيطان.

فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.. «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فالذين يتوجهون إلى الله وحده، ويخلصون قلوبهم لله، لا يملك الشيطان أن يسيطر عليهم، مهما وسوس لهم فإن صلتهم بالله تعصمهم أن ينساقوا معه، وينقادا إليه. وقد يخطئون، لكنهم لا يستسلمون، فيطردون الشيطان عنهم ويثوبون إلى ربهم من قريب.. «إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» أولئك الذين يجعلونه وليهم ويستسلمون له بشهواتهم ونزواتهم، ومنهم من يشرك به. فقد عرفت عبادة الشيطان وعبادة إله الشر عند بعض الأقوام. على أن اتباعهم للشيطان نوع من الشرك بالولاء والاتباع.^{٦٤٠}

وقد بين ابن القيم الحكمة في الاستعاذة بالله من الشيطان حين قراءة القرآن، فقال:

١ - " إن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوسواس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره الشيطان فيها، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب، ليصادف الداء محلاً خالياً، فيتمكن منه، ويؤثر فيه، كما قيل:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب، وقد خلا من مزاحم ومضاد له، فينجع فيه.

٢ - ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولاً فأولاً، فكلما أحسّ نبات الخير من القلب، سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعيذ بالله - عزّ وجلّ - منه، لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن.

والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها.

^{٦٤٠} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٢٨٥١)

- ٣- ومنها: أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن، وتستمتع لقراءته، كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها المصاييح، فقال عليه الصلاة والسلام: (تلك الملائكة) ^{٦٤١}، والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القارئ أن يطلب من الله تعالى مبادعة عدوه عنه، حتى يحضره خاص ملائكته، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.
- ٤- ومنها: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع في القراءة أن يستعين بالله من الشيطان الرجيم.
- ٥- ومنها: أن القارئ يناجي الله تعالى بكلامه، والله أشد أذناً للقارئ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته ^{٦٤٢}، والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء، فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الربّ قراءته.
- ٦- ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته...، فإذا كان هذا مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم. ولهذا يغلط الشيطان القارئ تارة، ويخلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة، لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا، وربما جمعها له.
- ٧- ومنها: أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير، أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ؛ ليقطعه عنه ^{٦٤٣}

^{٦٤١} - عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ وَصَاحِبٌ لَهُ سَرَيَا فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَإِذَا طَرَفُ سَوَاطٍ أَحَدَهُمَا عِنْدَهُ ضَوْءٌ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: أَمَّا إِنَّا لَوْ حَدَّثْنَا النَّاسَ بِهَذَا كَذِبُونَا، قَالَ مُطَرِّفٌ: الْمُكَذَّبُ أَكْذَبُ. يَقُولُ: الْمُكَذَّبُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَكْذَبُ، وَمُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَإِنَّمَا أوردته عَقِيبَ حَدِيثِ الصَّحَابَةِ لِكَوْنِهِ شَبِيهًا بِمَا أُكْرِمُوا بِهِ. وَقَدْ رَوَيْنَا نُزُولَ الْمَلَائِكَةِ لِلْقُرْآنِ عِنْدَ قِرَاءَةِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى مِثْلَ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ أَتَتْ لِصَوْتِكَ». الاعتقاد للبيهقي (ص: ٣١١) صحيح

^{٦٤٢} - عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ أَذْنَا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ». صحيح ابن حبان - مخرجا (٣/ ٣١) (٧٥٤) حسن

^{٦٤٣} - إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (١/ ٩٢)

٧- تعويد الأبناء والأهل:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ".^{٦٤٤}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ أَعِيدُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ يُعَوِّذُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا^{٦٤٥}

قال أبو بكر ابن الأنباري: "الهامة: واحد الهوام، ويقال: هي كل نسمة تهم بسوء، واللامة: الملمة، وإنما قال: لامة ليوافقه لفظ هامة، فيكون أخف على اللسان"^{٦٤٦}

٨ - عند النوم وعند الاستيقاظ من النوم:

عَنْ أَزْهَرَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي إِلَى فِرَاشِ أَحَدِكُمْ بَعْدَ مَا يَفْرِشُهُ أَهْلُهُ وَيُهَيِّئُونَهُ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ الْعُودَ أَوْ الْحَجَرَ أَوْ الشَّيْءَ، لِيُغَضِبَهُ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ فَلَا يَغْضَبُ عَلَى أَهْلِهِ، قَالَ: لَأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ^{٦٤٧}

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَاصِمٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^{٦٤٨}

^{٦٤٤} - صحيح البخاري (٤/ ١٤٧) (٣٣٧١)

[ش (يعوذ) من التعويد وهو الالتجاء والاستجارة. (التامة) الكاملة في فضلها وبركتها ونفعها. (هامة) كل حشرة ذات سم وقيل مخلوق يهم بسوء. (لامة) العين التي تصيب بسوء وتجمع الشر على المعيون. وقيل هي كل داء وآفة تلم بالإنسان]

^{٦٤٥} - شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٥) (٢٨٨٥) صحيح

^{٦٤٦} - تلييس إبليس: ٤٧.

^{٦٤٧} - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤٠٧) (١١٩١) حسن

^{٦٤٨} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٣/ ٢٤٢) (٩٦٢) صحيح

وَعَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ الْأَنْمَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ وَصَعْتُ جَنْبِي لِلَّهِمَّ اغْفِرْ ذَنْبِي وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي وَفَكَ رِهَانِي وَثَقُلْ مِيزَانِي وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الْأَعْلَى" ٦٤٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ قَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه" «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ» ٦٥٠

وَعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: التَّوَمُّ عِنْدَ الذَّكَرِ مِنَ الشَّيْطَانِ، إِنْ شِئْتُمْ فَجَرِّبُوا، إِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ مَضْجَعَهُ وَأَرَادَ أَنْ يَنَامَ فَلْيَذْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ٦٥١

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِذَا اسْتَيْقَظَ الْإِنْسَانُ مِنْ مَنَامِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ، فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَا نَفْسِي بَعْدَ مَوْتِهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي {يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: ٦٥]، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي {يُمَسِّكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} طَرَدَ الْمَلَكُ الشَّيْطَانُ وَظَلَّ يَكْلُوهُ" ٦٥٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ، وَلْيَسْتَنْتِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خِيَاشِيمِهِ» ٦٥٣

٦٤٩ - شرح مشكل الآثار (١/ ١٠٤) (١١٢) والمعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٢٩٨) (٧٥٩) وسنن أبي داود (٤/ ٣١٣) (٥٠٥٤) صحيح

أخسئ: حسأت الكلب: إذا طرده. = فك رهاني: الفك: التخليص. والرهان: جمع رهن. وأراد به: تخليصه مما نفسه مرهنة به من حقوق الله تعالى. = الندي الأعلى: الندي: النادي، المجلس يجتمع فيه القوم، فإذا تفرقوا عنه فليس بناد ولا ندي. والمراد بالندي الأعلى: مجتمع الملائكة المقربين. ولهذا وصفه بالعلو.

٦٥٠ - السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٣٧) (٧٦٤٤) صحيح

٦٥١ - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤١٤) (١٢٠٨) صحيح

٦٥٢ - الدعاء للطبراني (ص: ١١٠) (٢٨٦) صحيح - يكلؤه أي يحرسه ويحفظ

٦٥٣ - صحيح مسلم (١/ ٢١٢) ٢٣ - (٢٣٨)

[ش (خياشيمه) قال العلماء الخيشوم أعلى الأنف وقيل هو الأنف كله وقيل هي عظام رفاق لينة في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ وقيل غير ذلك وهو اختلاف متقارب المعنى]

قَالَ (الكلاباذي) رحمه الله: "يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِبُعْدِهِ مِنْ مَوَاضِعِ التَّقْيِيدِ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ بَابُ النَّظَرِ إِلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ}، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢١]، وَقَالَ ﷺ: «النَّظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ»، فَهِيَ بَابُ الْعِبَرَةِ، وَالْفَمُ بَابُ الذِّكْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف: ٦٩]، وَالْأُذُنُ بَابُ سَمَاعِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَمَاعُ الْعِلْمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: ١٨]، وَلَيْسَ فِي الْخَيَاشِيمِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اقْتِرَابُ الشَّيْطَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَمَوْضِعُ مَدْخَلِهِ فِيهِ إِمَّا عَنْ طَرِيقِ الْوَسْوسَةِ، أَوْ جَرَيَانِهِ فِيهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»، وَقَالَ فِي التَّائِبِ: «التَّائِبُ [ص: ١٠٨] فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَكْظَمْ مَا اسْتَطَاعَ»، وَقَالَ: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ فِي جَوْفِهِ»، فَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ الْإِنْسَانِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَدْخَلُهُ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ الْخَيَاشِيمِ مِنْ طَرِيقِ الْوَسْوسَةِ، وَهُوَ بَابُ ظَاهِرٍ، وَيَقُولُ النَّاسُ لِمَنْ اسْتَخَفَّهُ أَمْرٌ، أَوْ ظَهَرَ فِيهِ كِبَرٌ: نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنْخَرِهِ. وَقَالَ الْحَجَّاجُ فِي خُطْبَتِهِ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، قَدْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنَاخِرِكُمْ، حَتَّى قُلْتُمْ: مَا بِالْحَجَّاجِ فَمَهُ، وَهَلْ يَرْجُو الْحَجَّاجُ الْخَيْرَ كُلَّهُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ؟ وَهُوَ بَابُ ظَاهِرٍ يَعْنِي الْخَيْشُومَ، لَيْسَ لَهُ طَبَقٌ، وَالْعَيْنُ وَالْفَمُ لهُمَا طَبَقَانِ، وَمَا دُونَ الْإِزَارِ فَمَسْتُورٌ مِنَ الْمُسْلِمِ، وَلَا يَجِدُ الْعَدُوُّ إِلَيْهِ سَبِيلًا، كَمَا لَا يَجِدُ إِلَى السَّقَاءِ إِذَا أَوْكِيَ، وَإِلَى الْبَابِ إِذَا غُلِقَ.^{٦٥٤}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَكْفُوا الْإِنَاءَ، وَخَمِّرُوا الْإِنَاءَ، وَأَطْفُوا الْمَصْبَاحَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غَلَقًا، وَلَا يَحُلُّ وَكَاءً، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، وَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرَمُ عَلَى النَّاسِ بَيْتَهُمْ»^{٦٥٥}

^{٦٥٤} - بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص: ١٠٨)

^{٦٥٥} - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٤١٩): (١٢٢١) صحيح

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا نِمْتَ فَأَغْلِقِ الْبَابَ، وَأَوْكِ السَّقَاءَ، وَخَمِّرِ الْإِنَاءَ، وَأَطْفِئِ السَّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غَلَقًا سُدًّا، وَلَا يَحُلُّ وَكَاءً، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، وَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تَضُرُّ عَلَى النَّاسِ بُيُوتَهُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تُخَمِّرُهُ بِهِ، فَأَعْرِضْ عَلَيْهِ وَلَوْ بَعُودٍ، وَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى»^{٦٥٦}

٩- التَّعَوُّذُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ:

إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْرُسُ عَلَى إِضْلَالِ الْعَبْدِ وَيَسْتَمِرُّ فِي ذَلِكَ حَتَّى عِنْدَ الْمَوْتِ، فَعَنْ أَبِي الْيَسْرِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، وَالْهَدْمِ، وَالْعَرَقِ، وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»^{٦٥٧}

وَعَنْ أَبِي الْيَسْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَرَمِ، وَالْتَرْدِي، وَالْهَدْمِ، وَالْعَمِّ، وَالْحَرِيقِ، وَالْعَرَقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»^{٦٥٨}

وَعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ السُّلَمِيِّ، هَكَذَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَرَقِ، وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»^{٦٥٩}

وَعَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "احْضَرُوا مَوْتَاكُمْ وَلَقِّنُوهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبَشِّرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْحَلِيمَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَتَحَيَّرُونَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمُعَايِنَةٌ

^{٦٥٦} - بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص: ١٠٨) صحيح

^{٦٥٧} - سنن النسائي (٢٨٣/٨) (٥٥٣٢) صحيح

يتخبطني: تخبطه الشيطان: إذا صرعه ولعب به، والتخبط باليدين كالرمح بالرجلين. = مدبرا: المدبر: المنهزم في الجهاد، المولي دبره. = لدیغا: اللدیغ: الملدوغ، فعیل. معنی: مفعول.

^{٦٥٨} - سنن النسائي (٢٨٢/٨) (٥٥٣١) صحيح

^{٦٥٩} - سنن النسائي (٢٨٣/٨) (٥٥٣٣) صحيح

مَلِكِ الْمَوْتِ أَشَدُّ مِنْ أَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَخْرُجُ نَفْسُ عَبْدٍ مِنْ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْلَمَ كُلُّ عِرْقٍ مِنْهُ عَلَى حَيَالِهِ " ٦٦٠

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَارِثَ بْنَ الْخَزْرَجِ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطْلُبُ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رَأْسِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «يَا مَلِكُ الْمَوْتِ ارْفُقْ بِصَاحِبِي، فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ» قَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُحَمَّدُ طَبِّ نَفْسًا وَفَرِّ عَيْنًا، فَإِنِّي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ، وَأَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي لَأَقْبِضُ رُوحَ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا صَرَخَ صَارِخٌ مِنْ أَهْلِهِ قُمْتُ فِي جَانِبِ الدَّارِ، وَمَعِيَ رُوحُهُ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصِّيَاحُ؟ فَوَاللَّهِ مَا ظَلَمْنَا، وَلَا سَبَقْنَا أَجَلَهُ وَلَا اسْتَعْجَلْنَا قَدْرَهُ، وَمَا لَنَا فِي قَبْضِهِ مِنْ ذَنْبٍ، فَإِنْ تَرْضَوْا بِمَا يَصْنَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَصْبِرُوا تُؤْجَرُوا، وَإِنْ أَنْتُمْ تَجْزَعُونَ وَتَسْخَطُونَ تَأْتُمُونَ، وَتُؤْزَرُونَ وَمَا لَكُمْ عِنْدَنَا مِنْ عُتْبَى، وَإِنْ لَنَا عِنْدَكُمْ لَبْعِيَّةٌ عَوْدَةٌ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ وَالتَّجَاهَةَ النَّجَاهَةَ، وَمَا مِنْ أَهْلٍ بَيْتٍ شَعِرٍ وَلَا مَدْرٍ وَلَا سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَأَنَا أَتَصَفَّحُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ حَتَّى إِنِّي لَأَعْرِفُ بِصَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهِ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرْتُ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْأَمَرُ بِقَبْضِهَا " قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: بَلَّغَنِي أَنَّهُ يَتَصَفَّحُهُمْ عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ فَإِذَا حَضَرَ عَبْدًا الْمَوْتُ فَمَنْ كَانَ يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَاةِ دَنَا مِنْهُ الْمَلِكُ وَتَبَاعَدَ الشَّيْطَانُ وَلَقَنَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْحَالِ " ٦٦١

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «كَانَتْ قَرْيَتَانِ إِحْدَاهُمَا صَالِحَةً، وَالْأُخْرَى ظَالِمَةً، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْقَرْيَةِ الظَّالِمَةِ يُرِيدُ الْقَرْيَةَ الصَّالِحَةَ، فَأَتَاهُ الْمَوْتُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، فَاخْتَصَمَ فِيهِ الْمَلِكُ وَالشَّيْطَانُ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ: وَاللَّهِ مَا عَصَانِي قَطُّ، فَقَالَ الْمَلِكُ: إِنَّهُ قَدْ خَرَجَ يُرِيدُ التَّوْبَةَ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَيِّهِمَا أَقْرَبُ، فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ بِشِيرِ فَعُفِّرَ لَهُ»، قَالَ مَعْمَرٌ: «وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ: قَرَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْقَرْيَةَ الصَّالِحَةَ» ٦٦٢

٦٦٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٨٦ / ٥) فيه ضعف

٦٦١ - الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٢٥١ / ٤) (٢٢٥٤) حسن

٦٦٢ - جامع معمر بن راشد (٢٨٤ / ١١) (٢٠٥٥٠) صحيح

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِي قَوْمٍ كُفَّارٍ، وَكَانَ فِيمَا يَلِيهِمْ قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: طَالَمَا كُنْتُ فِي كُفْرِي، وَاللَّهِ لَا تَيْنَ هَذِهِ الْقَرْيَةُ - يَعْنِي الصَّالِحَةَ - فَأَكُونَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَأَنْطَلِقَ، فَأَذْرَكَهُ أَجَلُهُ، وَاحْتَجَّ فِيهِ الْمَلِكُ وَالشَّيْطَانُ، قَالَ هَذَا: أَنَا أَوْلَى بِهِ، وَقَالَ هَذَا: أَنَا أَوْلَى بِهِ، فَقَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمَا بَعْضَ جُنُودِهِ، فَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَقْرَبَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَاسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ بَشِيرٌ، فَكَانَ مِنْهُمْ" ٦٦٣

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةَ فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ وَالْخَرْقَةُ بِيَدِي أَشَدُّ بِهَا لِحْيَتِهِ قَالَ: فَجَعَلَ يَغْرِقُ ثُمَّ يُفَيْقُ وَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا: "لَا بَعْدُ لَا بَعْدُ لَا بَعْدُ فَفَعَلَ هَذَا مَرَّةً، وَثَانِيَةً فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قُلْتُ: يَا أَبَا إِيشَ هَذَا الَّذِي لَهَجْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَمَا تَدْرِي قُلْتُ: لَا فَقَالَ: إِبْلِيسُ - لَعَنَهُ اللَّهُ - قَائِمٌ بِحَدَائِي عَاضٌ عَلَى أُنَامِلِهِ يَقُولُ: يَا أَحْمَدُ فَتَنِي فَأَقُولُ لَا حَتَّى أَمُوتَ " ٦٦٤

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: "تَبَدَّى إِبْلِيسُ لِرَجُلٍ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقَالَ: نَحَوْتُ قَالَ مَا نَحَوْتُ وَمَا أَمْنْتُكَ بَعْدُ" ٦٦٥

وَعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رَفِيعٍ قَالَ: إِذَا عُرِجَ بَرُوحُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: سُبْحَانَ الَّذِي نَجَّى هَذَا الْعَبْدَ مِنَ الشَّيْطَانِ، يَا وَيْحَهُ كَيْفَ نَجَا؟ ٦٦٦

قُلْتُ: قَالَ تَعَالَى: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [إبراهيم: ٢٧]

فَهُوَ تَعَالَى قَدْ ثَبَّتَهُمْ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ - إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ فِتْنَتَهُمْ وَصَرَفَهُمْ عَنْشَ الْإِيمَانِ - كَمَا يُثَبِّتُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْقَبْرِ .

٦٦٣ - الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/٣٧٢)(١٠٥٧) صحيح موقوف ومثله لا يقال بالرأي

٦٦٤ - شعب الإيمان (٢/٢٥٧)(٨٢٦) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/١٨٣) صحيح

٦٦٥ - شعب الإيمان (٢/٢٥٧)(٨٢٧) فيه جهالة

٦٦٦ - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٣٨)(٩٣٧) صحيح مقطوع

وقد وقع خطأ فاحش في السند فجاء سريج بن يونس حَدَّثَنَا عُيَيْنَةُ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مَعْمُولٍ، والصواب عنيسة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول

أَمَّا الْكُفَّارُ الظَّالِمُونَ، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَبْدِيلِ فِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَعَدَمَ اهْتِدَائِهِمْ إِلَى الْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُضِلُّهُمْ عَنِ الْحَقِّ. وَاللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ الْهِدَايَةُ وَالضَّلَالُ. ٦٦٧

١٠ - إخراج الصدقة يطرد وسوسة الشيطان:

عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيَيْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا. ٦٦٨
وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَدَقَةٍ تَخْرُجُ حَتَّى تُفَكَّ عَنْهَا لِحْيَ سَبْعِينَ شَيْطَانًا، كُلُّهُمْ يَنْهَاهُ عَنْهَا» ٦٦٩

١١ - عند دخول المسجد:

عَنْ حَيَّوَةَ بْنِ شَرِيحٍ، قَالَ: لَقِيتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ حَدَّثْتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: أَقْطُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ ٦٧٠

١٢ - التعوذ عند الليل وفي السفر وعند التزول في منزل:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا أَوْ سَافَرَ فَأَدْرَكَهُ اللَّيْلُ، قَالَ: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ، وَشَرِّ مَا فِيكَ، وَشَرِّ مَا خَلَقَ

٦٦٧ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٧٧٨) بترقيم الشاملة آليا

٦٦٨ - أمالي ابن بشران - الجزء الثاني (ص: ٣٤٧) (١٦٥١) صحيح، وقد ضعفه عدد من العلماء لأن الأعمش لم يسمعه من سليمان بن بريدة، وفاتهم أنه رواه عن عبد الله بن السائب وهو ثقة عن ابن بريدة وهو الألباني رحمه الله فصاحبه في صحيح الجامع (٥٨١٤) والصحيحة (١٢٦٨) دون أن ينتبه لما ذكر.
وقوله: "لَحْيَيْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا"، اللَّحْيُ: مَنِيَتِ اللَّحْيَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، أَوِ الْعِظْمَانِ اللَّذَانِ فِيهِمَا الْأَسْنَانُ مِنْ كُلِّ ذِي لَحْيٍ.

٦٦٩ - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٢٢٨) (٦٤٩) حسن موقوف وهو بمعنى المرفوع

٦٧٠ - سنن أبي داود (١/ ١٢٧) (٤٦٦) صحيح

وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ: الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ. = الرَّجِيمِ: الْمَطْرُودُ مِنْ بَابِ اللَّهِ، أَوِ الْمَشْتُومُ بِلَعْنَةِ اللَّهِ = الشَّيْطَانُ الْمُرَادُ: هُوَ قَرِينُهُ الْمُؤَكَّلُ بِإِغْوَائِهِ.

فِيكَ، وَشَرٌّ مَا عَلَيْكَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ أَسَدٍ، وَأَسْوَدَ وَحْيَةٍ وَعَقْرَبٍ وَمِنْ سَاكِنِ
الْبَلَدِ، وَمِنْ شَرِّ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ»^{٦٧١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «يَا أَرْضُ، رَبِّي
وَرَبُّكَ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِيكَ، وَشَرِّ مَا خَلَقَ فِيكَ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ
عَلَيْكَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، مِنَ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا
وَلَدَ»^{٦٧٢}

١٣ - النعوذ عند دخول بلد:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ أَنْ كَعْبًا، حَدَّثَهُ أَنَّ صُهَيْبًا صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَهُ
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرِ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ
وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ
وَمَا ذَرَيْنَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا
وَشَرِّ مَا فِيهَا" ^{٦٧٣}

وَعَنْ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَقُومُ
النَّاسَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَارِ أَبِي جَهْمٍ، وَقَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: وَالَّذِي فَلَقَ
الْبَحْرَ لِمُوسَى، لَإِنْ صُهَيْبًا حَدَّثَنِي، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرِ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا
قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا
أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا» وَحَلَفَ كَعْبٌ بِالَّذِي
فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى، لِإِنِّهَا كَانَتْ دَعَوَاتُ دَاوُدَ حِينَ يَرَى الْعَدُوَّ^{٦٧٤}

١٤ - النعوذ عند ركوب الدابة:

^{٦٧١} - السنن الكبرى للنسائي (٧/ ٢٠٣) (٧٨١٣) حسن

^{٦٧٢} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٢٠٨) (١٠٣٢٢) حسن

^{٦٧٣} - السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٤١٤) (١٠٣٢٠) صحيح

^{٦٧٤} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٢٠٠) (١٠٣٠١) صحيح

عَنْ أَبِي لَاسٍ الْخَزَاعِيِّ ، قَالَ: حَمَلْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِبِلٍ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ ضِعَافٍ لِلْحَجِّ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَرَى أَنْ تَحْمِلَنَا هَذِهِ ، فَقَالَ: " مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا عَلَى ذُرْوَتِهِ شَيْطَانٌ ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ إِذَا رَكِبْتُمُوهَا كَمَا أَمَرَكُمْ ، ثُمَّ امْتَنِعُوا لِنَفْسِكُمْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّهُ ^{٦٧٥} "

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: " إِذَا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ فَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ رَدَفَهُ الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ لَهُ: نَعَنْ ، فَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ ، قَالَ لَهُ: تَمَنَّ ^{٦٧٦} "

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرَّاحِيلَ قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ رَاكِبٍ يَخْلُو فِي مَسِيرِهِ بِاللَّهِ وَذِكْرِهِ إِلَّا رَدَفَهُ مَلَكٌ، وَلَا يَخْلُو بِشَعْرٍ وَنَحْوِهِ إِلَّا رَدَفَهُ شَيْطَانٌ» ^{٦٧٧}

١٥ - التَّعَوُّذُ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ فَجِئْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ» قُلْتُ: وَلِلْإِنْسِ شَيَاطِينٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ^{٦٧٨}

١٦ - الْأَذَانُ عِنْدَ تَغَوْلِ الْغِيلَانِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ، فَإِذَا تَعَوَّلَتْ لَكُمْ الْغِيلَانُ فَتَادُوا بِالْأَذَانِ» ^{٦٧٩}

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَحْصَيْتُمْ فَأَمْكُنُوا الدَّوَابَّ أَسْنِمَتَهَا، وَلَا تَعْدُوا الْمَنَازِلَ، وَإِذَا أَجْدَبْتُمْ فَسِيرُوا، وَعَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ، وَلَا تَنْزِلُوا عَلَى

^{٦٧٥} - السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٤١٤) (١٠٣١٩) والآداب للبيهقي (ص: ٢٦٣) (٦٤١) حسن - امتنهن الشيء: ابتذله واستخدمه

^{٦٧٦} - السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٤١٣) (١٠٣١٨) صحيح موقوف - "ردفه الشيطان": أى ركب خلفه.

^{٦٧٧} - المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٣٢٤) (٨٩٥) صحيح

^{٦٧٨} - السنن الكبرى للنسائي (٧/ ٢٣٠) (٧٨٩١) وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١/ ١٩٥) (٥٣) وغاية المقصد في زوائد المسند ٢ (١/ ٤٣٨) (٣٥٨٨) حسن لغيره

^{٦٧٩} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٤٩) (١٠٧٢٥) وكشف الأستار عن زوائد البرار - مؤسسة الرسالة (٤/ ٣٤) (٣١٢٩) حسن لغيره

جَوَادِّ الطَّرِيقِ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسَّبَّاعِ، وَإِيَّاكُمْ وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا مِنَ الْمَلْعَنِ، وَإِذَا تَعَوَّلَتِ الْغِيلَانُ لَكُمْ فَأَذْنُوا»^{٦٨٠}

وَعَنْ أُسَيْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: ذَكَرَ عِنْدَ عُمَرَ الْغِيلَانُ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَتَحَوَّلُ شَيْءٌ عَنْ خَلْقِهِ الَّذِي خَلَقَ لَهُ، وَلَكِنْ فِيهِمْ سَحَرَةٌ مِنْ سَحَرَتِكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَذْنُوا»^{٦٨١}

١٧ - النهي عن الوحدة في السفر والمبيت:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خَيْبَرَ، فَاتَّبَعَهُ رَجُلَانِ وَآخَرُ يُتْلُوهُمَا، يَقُولُ: ارْجِعَا ارْجِعَا، حَتَّى رَدَّهُمَا، ثُمَّ لَحِقَ الْأَوَّلَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَيْنِ شَيْطَانَانِ، وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ بِهِمَا حَتَّى رَدَدْتُهُمَا، فَإِذَا أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ فَاقْرِئْهُ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّا هَاهُنَا فِي جَمْعٍ صَدَقَاتِنَا، وَلَوْ كَأَنَّتِ تَصْلُحُ لَهُ، لَبَعَثْنَا بِهَا إِلَيْهِ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الرَّجُلُ الْمَدِينَةَ، أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فَعِنْدَ ذَلِكَ " نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَلْوَةِ " ^{٦٨٢}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ فَتَبِعَهُ رَجُلَانِ، وَرَجُلٌ يُتْلُوهُمَا، يَقُولُ: ارْجِعَا، قَالَ: فَارْجِعَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَيْنِ شَيْطَانَانِ، وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ بِهِمَا حَتَّى رَدَدْتُهُمَا، فَإِذَا أَتَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ فَاقْرِئْهُ السَّلَامَ، وَأَعْلِمْهُ أَنَّا فِي جَمْعٍ صَدَقَاتِنَا، وَلَوْ كَأَنَّتِ تَصْلُحُ لَهُ، لَأَرْسَلْنَا بِهَا إِلَيْهِ، قَالَ: " فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عِنْدَ ذَلِكَ عَنِ الْخَلْوَةِ " ^{٦٨٣}

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَحِبْتُ؟» فَقَالَ: مَا صَحِبْتُ أَحَدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ» ^{٦٨٤}

^{٦٨٠} - مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٦٠ / ٥) (٩٢٤٧) صحيح مرسل

^{٦٨١} - مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٦٢ / ٥) (٩٢٤٩) صحيح

^{٦٨٢} - مسند أحمد ط الرسالة (٤ / ٤٥١) (٢٧١٩) صحيح

^{٦٨٣} - مسند أحمد ط الرسالة (٤ / ٣٠٨) (٢٥١٠) صحيح لغيره

^{٦٨٤} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (١١٢ / ٢) (٢٤٩٥) صحيح

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّ التَّفَرُّدَ وَالذَّهَابَ وَحْدَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ، أَوْ هُوَ شَيْءٌ يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقِيلَ عَلَى هَذَا: إِنَّ فَاعِلَهُ شَيْطَانٌ.

قَالَ الْإِمَامُ: مَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدِي مَا رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، مُرْسَلًا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ» شرح السنة للبغوي (٢٢ / ١١)

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُوا، مَا سَارَ رَاكِبٌ بَلِيلٍ وَحْدَهُ»^{٦٨٥}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالْاِثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ.^{٦٨٦}
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالْاِثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ»^{٦٨٧}
وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْوَحْدَةِ، أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ أَوْ يُسَافِرَ وَحْدَهُ
٦٨٨

١٨ - النعوذ من الشيطان الخواطر الشيطانية:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ لِلشَّيْطَانِ لِمَةٌ، وَلِلْمَلِكِ لِمَةٌ، فَأَمَّا لِمَةُ الشَّيْطَانِ فَيَعَادُ بِالشَّرِّ، وَتَكْذِيبُ الْحَقِّ، وَأَمَّا لِمَةُ الْمَلِكِ فَيَعَادُ بِالْخَيْرِ، وَتَصْدِيقُ الْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ مِنَ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَرَأَ { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا }
[البقرة: ٢٦٨] ^{٦٨٩}

وَعَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، حَدَّثَنِي أَبُو إِيَّاسٍ الْبَجَلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: مَنْ تَطَاوَلَ تَنْظِيمًا خَفَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ تَخَشُّعًا رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ لِلْمَلِكِ لِمَةً وَلِلشَّيْطَانِ لِمَةً، فَلِمَةُ الْمَلِكِ إِعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ، فَإِذَا

^{٦٨٥} - صحيح البخاري (٤ / ٥٨) (٢٩٩٨) [ش (ما في الوحدة) الانفراد. (ما أعلم) من المخاطر]

^{٦٨٦} - كشف الأستار عن زوائد البزار - مؤسسة الرسالة (٢ / ٢٧٧) (١٦٩٨) ومسنند البزار = البحر الزخار (١٤ /

٢٥٣) (٧٨٣٤) حسن

^{٦٨٧} - موطأ مالك ت عبد الباقي (٢ / ٩٧٨) (٣٦) صحيح مرسل

^{٦٨٨} - مسند أحمد ط الرسالة (٩ / ٤٦٦) (٥٦٥٠) وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١ /

١٢٩) (٦٠) وصححه وقال الشيخ شعيب إنه شاذ !!

^{٦٨٩} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٢٩) (٨٥٤) صحيح موقوف

رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِيْعَادُ الشَّرِّ وَتَكْذِيبُ الْحَقِّ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^{٦٩٠}

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً، وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، فَلَمَّةُ الْمَلِكِ إِيْعَادُ الْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ الْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَهَا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِيْعَادُ الشَّرِّ، وَتَكْذِيبُ الْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَهَا فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ^{٦٩١}.

١٩ - التعوذ من الشيطان في الصلاة:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ تَفْخِخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ^{٦٩٢}

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَهَمْزِهِ، وَتَفْخِخِهِ، وَنَفْثِهِ» قَالَ: "فَهَمْزُهُ: الْمَوْتَةُ، وَنَفْثُهُ: الشَّعْرُ، وَتَفْخِخُهُ: الْكِبْرِيَاءُ"^{٦٩٣}.

أشياء أخرى تدفع الشيطان:

١ - قراءة سورتي الفلق والناس:

وخير ما يتعوذ به المتعوذون سورتا الفلق والناس، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاحِلَتَهُ فِي غَزْوَةٍ إِذْ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ»، فَقَالَهَا الثَّالِثَةُ، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، فَقَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا نَعُوذُ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ»^{٦٩٤}

^{٦٩٠} - السنن الكبرى للنسائي (١٠ / ٣٧) (١٠٩٨٥) صحيح

اللغة: المرة الواحدة من الإمام ، وهو القرب من الشيء ، والمراد بها: الهمة التي تقع في القلب من فعل الخير والشر والعزم عليه.

^{٦٩١} - الزهد لأبي داود (ص: ١٦٤) (١٦٤) صحيح موقوف

^{٦٩٢} - مسند أبي الطيب - طبعة دار هجر - مصر (١ / ٢١٠) (٣٦٩) صحيح

^{٦٩٣} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (١ / ٣٢٥) (٧٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ / ٥٤) (٢٣٥٦) صحيح

^{٦٩٤} - سنن النسائي (٨ / ٢٥١) (٥٤٣٠) صحيح

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، فَقَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ»^{٦٩٥}

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَصَبْتُ خُلُوعًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ حَتَّى خَتَمَهَا»، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا»، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلِ مِنْهُمَا»^{٦٩٦}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ» قُلْتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ يَتَعَوَّذَ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لَا يَتَعَوَّذَ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ»^{٦٩٧}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ أَوْ سُورَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»^{٦٩٨}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَقْرِئْنِي مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ أَوْ سُورَةِ هُودٍ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بِقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةَ أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْهَا، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَقُوتَكَ فَافْعَلْ»^{٦٩٩}

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ الْجُهَنِيَّ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: "يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَلَا أَدُلُّكَ - أَوْ قَالَ: - أَلَا أُخْبِرُكَ

^{٦٩٥} - سنن النسائي (٢٥٠ / ٨) (٥٤٢٨) حسن

^{٦٩٦} - سنن النسائي (٢٥٠ / ٨) (٥٤٢٩) صحيح

^{٦٩٧} - سنن النسائي (٢٥١ / ٨) (٥٤٣١) صحيح

^{٦٩٨} - السنن الكبرى للنسائي (١٩٦ / ٧) (٧٧٩٠) صحيح

^{٦٩٩} - السنن الكبرى للنسائي (١٩٦ / ٧) (٧٧٩١) صحيح

بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»^{٧٠٠}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَقُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النَّقَابِ إِذْ
قَالَ: «أَلَا تَرَكِبُ يَا عُقْبَةُ؟» فَأَجَلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُرَكِّبَ مَرْكَبَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تَرَكِبُ يَا عُقْبَةُ؟» فَأَشْتَفَقْتُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً، فَنَزَلَ وَرَكِبْتُ
هَنِيئَةً، وَنَزَلْتُ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قُرَأَ
بِهِمَا النَّاسُ؟» فَأَقْرَأَنِي قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ
فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي، فَقَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ
وَقُمْتَ»^{٧٠١}

وَعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ
بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي صَلَاةٍ» وَقَالَ لِي: «اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ، وَكُلَّمَا قُمْتَ»^{٧٠٢}
وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَقُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاحِلَتُهُ فِي غَزْوَةٍ إِذْ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ»
قَالَ: فَاسْتَمَعْتُ ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ» فَاسْتَمَعْتُ فَقَالَهَا الثَّلَاثَةَ فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ فَقَالَ: «قُلْ
هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى
خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذُ
بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ»^{٧٠٣}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ» فَقُلْتُ: مَاذَا
أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ» قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
فَسَكَتَ عَنِّي، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْزُدْهُ عَلَيَّ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ» قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ فَقَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، فَقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»
قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى

^{٧٠٠} - سنن النسائي (٢٥١ / ٨) (٥٤٣٢) صحيح

^{٧٠١} - سنن النسائي (٢٥٣ / ٨) (٥٤٣٧) حسن

^{٧٠٢} - السنن الكبرى للنسائي (١٩٧ / ٧) (٧٧٩٥) صحيح

^{٧٠٣} - السنن الكبرى للنسائي (١٩٨ / ٧) (٧٧٩٧ و ٧٨٠٣) حسن

آخِرَهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِذٌ بِمِثْلِهِمَا»^{٧٠٤}

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَصَبْتُ خُلُوةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَنُوتُ مِنْهُ فَقَالَ لِي: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ لِي: «مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلِ مِنْهُمَا»^{٧٠٥}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأْ يَا جَابِرُ» قُلْتُ: وَمَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: "أَقْرَأْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقَرَأْتُهُمَا فَقَالَ: «أَقْرَأْ بِهِمَا وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا»^{٧٠٦}

وَعَنْ رَجُلٍ، قَالَ: كَانَ فِي مَسِيرٍ وَفِي الظُّهْرِ قَلَّةٌ وَالنَّاسُ يَتَعَقِبُونَ فَحَانَتْ نَزْلَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَزَلْتِي فَلَحِقَنِي مِنْ بَعْدِي فَضْرَبَ مَنْكِبِي، وَقَالَ: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَقُلْتُ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ ثُمَّ قَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ فَقَالَ: «إِذَا صَلَّيْتُ فَأَقْرَأْ بِهِمَا؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا»^{٧٠٧}

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ فَقَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي، وَتُصْبِحُ ثَلَاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ^{٧٠٨}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْإِنْسَانِ، وَعَيْنِ الْجَانِّ، حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعَوَّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا»^{٧٠٩}

٢- الإكثار من قول لا إله إلا الله:

^{٧٠٤} - سنن النسائي (٢٥٣ / ٨) (٥٤٣٨) صحيح

^{٧٠٥} - السنن الكبرى للنسائي (٢٠١ / ٧) (٧٨٠٩) صحيح

^{٧٠٦} - السنن الكبرى للنسائي (٢٠٠ / ٧) (٧٨٠٥ و ٧٨٠٨) صحيح

^{٧٠٧} - السنن الكبرى للنسائي (٢٠٢ / ٧) (٧٨١٠) صحيح

^{٧٠٨} - السنن الكبرى للنسائي (٢٠٢ / ٧) (٧٨١١) حسن

^{٧٠٩} - السنن الكبرى للنسائي (٢٠٠ / ٧) (٧٨٠٤ و ٧٨٧٧) صحيح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ" ٧١٠

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ فِي أَرْضِ الرُّومِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ قَالَ غُدُوَّةً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ بِقَدْرِ عَشْرِ رِقَابٍ، وَأَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ قَالَهَا عَشِيَّةً كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ" ٧١١

وَعَنْ أَبِي عِيَّاشٍ الزُّرَقِيُّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ كَعْدَلِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِذَا أَمْسَى مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ فَرَأَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا عِيَّاشٍ يَرَوِي عَنْكَ كَذًا وَكَذًا؟ فَقَالَ: «صَدَقَ أَبُو عِيَّاشٍ» ٧١٢

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ عَلَى عُثْمَانَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَاشْتَكَى ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَرَرْتُ عَلَى عُثْمَانَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ فِي الْمَسْجِدِ قَاعِدٌ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُرُدَّ عَلَى أَخِيكَ حِينَ سَلَّمَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ أَنَّهُ سَلَّمَ، مَرَّ بِي وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي فَلَمْ أَشْعُرْ أَنَّهُ سَلَّمَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَمَاذَا تُحَدِّثُ نَفْسَكَ؟ قَالَ: خَلَا بِيَ الشَّيْطَانُ فَجَعَلَ يُلْقِي فِي نَفْسِي أَشْيَاءَ مَا أُحِبُّ

٧١٠ - صحيح البخاري (١٢٦ / ٤) (٣٢٩٣) وصحيح مسلم (٤ / ٢٠٧١) ٢٨ - (٢٦٩١)

[عَدْلٌ] مثل. (رقاب) جمع رقبة أي إنسان مملوك عبد أو أمة والمراد ثواب عتقهم]

٧١١ - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ١٦) (٩٧٦٨) صحيح

٧١٢ - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ١٧) (٩٧٧١) صحيح

أَنِّي تَكَلَّمْتُ بِهَا وَأَنَّ لِي مَا عَلَى الْأَرْضِ، قُلْتُ فِي نَفْسِي حِينَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ ذَلِكَ فِي نَفْسِي: يَا لَيْتَنِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا الَّذِي يُنَجِّنَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي أَنْفُسِنَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ اشْتَكَيْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَأَلْتُهُ: مَا الَّذِي يُنَجِّنَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْهُ فِي أَنْفُسِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُنَجِّيكُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَقُولُوا مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ عَمِّي عِنْدَ الْمَوْتِ فَلَمْ يَفْعَلْ»^{٧١٣}

وعن حُصَيْنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ: "قَلَّ مَا ذَكَرَ الشَّيْطَانُ قَوْمًا إِلَّا حَضَرَهُمْ، فَإِذَا سَمِعَ أَحَدًا يَلْعَنُهُ قَالَ: لَقَدْ لَعَنْتُ مُلْعَنًا. وَلَا شَيْءَ أَقْطَعُ لظَهْرِهِ مِنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"^{٧١٤}

٣- كثرة ذكر الله عز وجل:

عن الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: "أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ وَأَمَرَكُمُ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنْ مِثْلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمِثْلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ ذَارِي وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَجَعَلَ الْعَبْدُ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسْرُهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَأَمَرَكُمُ بِالصَّلَاةِ وَأَمَرَكُمُ بِالصِّيَامِ، وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ كَانَتْ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، وَمَعَهُ عَصَابَةٌ كُلُّهُمْ يُعْجِبُهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا، وَإِنَّ الصِّيَامَ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمُ بِالصَّدَقَةِ وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ وَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ أَنْ أَفْدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ قَالَ: فَجَعَلَ يُعْطِيهِمُ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ لِيُفَكَّ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَأَمَرَكُمُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ

^{٧١٣} - مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ١٢١) (١٣٣) والأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم

يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (١/ ٧٩) (٦) حسن لغيره

^{٧١٤} - الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٠٥) (٣٧٩) صحيح مقطوع

طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، حَتَّى أَتَى عَلَى حَصْنٍ حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ ^{٧١٥}

وَعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ، فَأَتَاهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فِيمَا أَنْ تُخْبِرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ أُخْبِرَهُمْ، قَالَ: يَا أَخِي لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهِنَّ أَنْ يُخَسِفَ بِي وَأُعَذَّبَ. قَالَ: فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرُفَاتِ ثُمَّ خَطَبَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأُؤْمِرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلَاهُنَّ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، فَإِنْ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ، أَوْ وَرَقٍ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ دَارًا، فَقَالَ: اعْمَلْ، وَارْفَعْ، إِلَيَّ فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيَرْفَعُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ بَوَاجِهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مَالِهِ، كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَ الصِّيَامِ كَرِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَرَّبُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ، وَجَعَلَ يُعْطِي الْقَلِيلَ، وَالْكَثِيرَ حَتَّى فَدَى نَفْسَهُ، وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ حَتَّى أَتَى حَصْنًا حَصِينًا، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يَنْجُو مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ ^{٧١٦}

٤ - قراءة آية الكرسي:

^{٧١٥} - أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني (ص: ٣٨٩) (٣٣٦) وصحيح ابن حبان - مخرجا (١٢٤ / ١٤) (٦٢٣٣)

(صحيح - الشُّرُف: المكان المرتفع. = ورق: فضة. = أحرز: حمى ومنع. = أحرزت الشيء: إذا حفظته أو ضممته إليك أو

صنَّته عن الأخذ = يحرز: يحمي ويمنع ويحفظ

^{٧١٦} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (١ / ٥٨٢) (١٥٣٤) صحيح.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَى حَاجَةَ شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْتُو مِنَ الطَّعَامِ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةَ وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ " فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْتُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالَ لِي: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَهَا {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] وَقَالَ: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ كَذُوبٌ وَقَدْ صَدَقَكَ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ الشَّيْطَانُ»^{٧١٧}

وعن ابن أبي أن أباها، أخبره: أنه كان لهم جرن فيه تمر، وكان أبي يتعاهده فوجده ينقص، فحرسه فإذا هو بدابة تشبه العلام المحتلم، قال: فسلمت فرد السلام، فقلت: من أنت، أجن أم إنس؟ قال: جن، قال: فناولني يدك، فناولني يده، فإذا يد كلب وشعر

^{٧١٧} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥١) (١٠٧٢٩) صحيح ورواه البخاري معلقا بصيغة الجزم انظر روايات

الحديث في المسند الجامع (١٧/ ٧٩٢) (١٤٤٧٣)

كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلَقُ الْجِنَّ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّ، مَا فِيهِمْ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ لَهُ أَبِي: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ أَبِي: فَمَا الَّذِي يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ غَدَا أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»^{٧١٨}

وعن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ لَجَدِّي حُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ يَجِدُهُ يَنْقُصُ فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شَبَهُ الْعُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ، أَجِنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟ قَالَ: لَا بَلْ جِنٌّ، قَالَ: أَعْطِنِي يَدَكَ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ وَشَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلَقُ الْجِنَّ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّ، مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: أُبَيِّنُ أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥] إِذَا قُلْتَهَا حِينَ تُصْبِحُ أُجِرْتَ مِثْلًا إِلَى أَنْ تُمَسِّيَ، وَإِذَا قُلْتَهَا حِينَ تُمَسِّيَ أُجِرْتَ مِثْلًا إِلَى أَنْ تُصْبِحَ، فَعَدَا أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ قَالَ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»^{٧١٩}

وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ الْخَزَرَجِيِّ: أَنَّهُ قَطَعَ ثَمَرَةَ حَائِطِهِ فَجَعَلَهُ فِي غُرْفَةٍ فَكَانَتْ الْعُورُ تُخَالِفُهُ إِلَى مَشْرَبَتِهِ، فَتَسْرِقُ ثَمَرَهُ وَتُفْسِدُ عَلَيْهِ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تِلْكَ الْعُورُ فَاسْتَمِعْ مِنْهَا فَإِذَا سَمِعْتَ اقْتِحَامَهَا [قَالَ: يَعْنِي وَجَبَهَا فَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ أَجِيبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَفَعَلَ. فَقَالَتْ: يَا أُسَيْدُ إِنْ تُكَلِّفْنِي أَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأُعْطِيكَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا أُخَالِفُكَ إِلَى بَيْتِكَ، وَلَا أَسْرِقُ ثَمَرَكَ، وَأَذُلُّكَ عَلَى آيَةٍ تَقْرُؤُهَا عَلَى بَيْتِكَ فَلَا تُخَالِفُ أَهْلَكَ، وَتَقْرُؤُهَا عَلَى إِيَّاكَ فَلَا يَكْشِفُ غَطَاؤَهُ. قَالَ: فَأَعْطَتْهُ الْمَوْثِقَ الَّذِي رَضِيَ بِهِ مِنْهَا، وَقَالَ الْآيَةُ الَّتِي قَالَتْ: أَدُلُّكَ عَلَى آيَةِ الْكُرْسِيِّ. ثُمَّ حَلَّتْ اسْتِهَا تَضَرُّطُ. فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهَا حِينَ وَلَتْ وَلَهُ ضَرِيطٌ. قَالَ: صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ. " ٧٢٠

^{٧١٨} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥٢) (١٠٧٣٠) صحيح

^{٧١٩} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥٢) (١٠٧٣١) صحيح

^{٧٢٠} - مكائد الشيطان (ص: ٣٢) (١٣) حسن

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى حَائِطٍ لَهُ فَسَمِعَ فِيهِ جَلْبَةً فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ: أَصَابَتْنا السَّيِّئَةُ فَأَرَدْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ ثَمَارِكُمْ أَفَتَطِيبُونَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ خَرَجَ اللَّيْلَةَ التَّالِيَةَ، فَسَمِعَ فِيهِ أَيْضًا جَلْبَةً، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ أَصَابَتْنا السَّيِّئَةُ فَأَرَدْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ ثَمَارِكُمْ أَفَتَطِيبُونَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: أَلَا تُخْبِرُنِي مَا الَّذِي يُعِيدُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ.^{٧٢١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ لِي طَعَامٌ فَتَبَيَّنْتُ فِيهِ التَّقْصَانُ فَكُنْتُ فِي اللَّيْلِ، فَإِذَا غَوْلٌ قَدْ سَقَطَ عَلَيْهِ، فَقَبَضْتُ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ: لَا أَفَارِقُكَ، حَتَّى أَذْهَبَ بِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الْعِيَالِ لَا أَعُودُ. فَحَلَفْتُ لِي فَخَلَيْتُهَا فَجِئْتُ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: كَذَبْتَ وَهِيَ كَذُوبٌ، وَتَبَيَّنَ لِي التَّقْصَانُ، قَالَ: فَإِذَا هِيَ قَدْ وَقَعَتْ عَلَى الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهَا. فَقَالَتْ لِي كَمَا قَالَتْ لِي فِي الْأُولَى. وَحَلَفْتُ أَنْ لَا تَعُودَ، فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَهِيَ كَذُوبٌ. ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي التَّقْصَانُ، فَكَمَنْتُ لَهَا، فَأَخَذْتُهَا فَقُلْتُ: لَا أَفَارِقُكَ أَوْ أَذْهَبُ بِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَتْ: ذَرْنِي حَتَّى أَعْلَمَكَ شَيْئًا، إِذَا قُلْتَهُ لَمْ يَقْرَبْ مَتَاعَكَ أَحَدٌ مِنَّا. إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فَرَأْسِكَ فَاقْرَأْ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فَخَلَيْتُهَا. فَجِئْتُ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: صَدَقْتَ وَهِيَ كَذُوبٌ، صَدَقْتَ وَهِيَ كَذُوبٌ.^{٧٢٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَمْدَ الْمُؤْمِنِ {حَم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)} [غافر: ١ - ٣] وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمَسِّيَ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمَسِّي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُصْبِحَ"^{٧٢٣}

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَقِيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْجِنِّ، فَصَارَعَهُ، فَصَرَعهُ الْإِنْسِيُّ، فَقَالَ لَهُ الْجَنِّيُّ: عَاوِدْنِي. فَعَاوَدَهُ، فَصَرَعهُ الْإِنْسِيُّ، فَقَالَ لَهُ الْإِنْسِيُّ: إِنِّي لَأَرَاكَ ضَعِيلًا شَخِيئًا، كَأَنَّ ذُرَيْعَتَيْكَ: ذُرَيْعَا كَلْبٍ؛ أَفَكَذَلِكَ أَنْتُمْ مَعَاشِرَ الْجِنِّ، أَمْ أَنْتَ مِنْهُمْ كَذَا؟

^{٧٢١} - مكائد الشيطان (ص: ٣٥) (١٥) حسن

^{٧٢٢} - دلائل النبوة للبيهقي محققا (٧/ ١١١) صحيح لغيره

^{٧٢٣} - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١٥٧) (٢٨٧٩) ضعيف

! قال: لا والله إني منهم لضليع، ولكن عاودني الثالثة، فإن صرعتني علمتُك شيئاً ينفعك. قال: فعاوده، فصرعه؛ قال: هات علمني. قال: هل تقرأ آية الكرسي؟ قال: نعم. قال: فإنك لا تقرأها في بيت إلا خرج منه الشيطان، ثم لا يدخله حتى تُصبح. فقال رجل في القوم: يا أبا عبد الرحمن! من ذاك الرجل من أصحاب محمد ﷺ هو عمر؟ فقال: من يكون هو إلا عمر رضي الله عنه؟! ٧٢٤

٥- قراءة سورة البقرة:

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ٧٢٥
وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدُكُمْ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، يَتَعَنَّى وَيَدْعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ يَقْرُوهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ، وَإِنْ أَصْفَرَ الْبُيُوتَ الْجَوْفُ الصَّفَرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ٧٢٦
وقال عبد الله: «جَرِّدُوا الْقُرْآنَ لِيَرُبُوا فِيهِ صَغِيرُكُمْ، وَلَا يَنَأَى عَنْهُ كَبِيرُكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ يُسْمَعُ تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ٧٢٧
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: إنَّ لكلِّ شيءٍ سَنَامًا وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ. ٧٢٨
وعن عبد الله، قال: «افْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتًا يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ». ٧٢٩

٧٢٤ - المجالسة وجواهر العلم (١٤٧/٦) (٢٤٧٥) والمعجم الكبير للطبراني (١٦٥/٩) (٨٨٢٤) وسنن الدارمي

(٤/٢١٢٩) (٣٤٢٤) صحيح لغيره - الضَّيْلُ: الدَّقِيقُ، وَالشَّخِيتُ: الْمَهْزُولُ، وَالصَّلِيْعُ: حَبْدُ الْأَصْلَاعِ، وَالْخَبَجُ: الرِّيحُ "

٧٢٥ - صحيح مسلم (١/٥٣٩) ٢١٢ - (٧٨٠)

٧٢٦ - السنن الكبرى للنسائي (٩/٣٥٣) (١٠٧٣٣) حسن

٧٢٧ - السنن الكبرى للنسائي (٩/٣٥٣) (١٠٧٣٤) صحيح موقوف ومثله لا يقال بالرأي

٧٢٨ - المستدرک علی الصحیحین - دار المعرفة بیروت (١/٥٦١) (٢٠٦٠) صحيح

٧٢٩ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (١/٧٤٩) (٢٠٦٢) صحيح

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا عَامِرَ لَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُسْمَعُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^{٧٣٠}

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تَقْرَأُ فِيهِ»^{٧٣١}

وَعَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ بَيْتُ صِفْرِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ أَنْ يَسْمَعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِيهِ»^{٧٣٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، يَتَعَنَّى وَيَدْعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ يَقْرُؤُهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفُرُ مِنَ الْبَيْتِ تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ، وَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ الْحَوْفُ الصَّفْرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^{٧٣٣}

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»^{٧٣٤}.

٦- قراءة أواخر سورة البقرة:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^{٧٣٥}

^{٧٣٠} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣٠) صحيح

^{٧٣١} - فضائل القرآن للفريابي (ص: ١٨٠) (٧٥) صحيح لغيره

^{٧٣٢} - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٢٧٣) (٧٩١) صحيح مرسل

^{٧٣٣} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥٣) (١٠٧٣٣) حسن

^{٧٣٤} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٣/ ٥٩) (٧٨٠) صحيح دون ذكر الثلاث

^{٧٣٥} - صحيح البخاري (٦/ ١٨٨) (٥٠٠٩) وصحيح مسلم (١/ ٥٥٥) (٢٥٦) (٨٠٨)

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْفَلْغِ سَنَةً، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: بِالْفَلْغِ عَامٌ، فَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَلِجُ بَيْتًا قُرِئَتْ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ " خَالَفَهُ أَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^{٧٣٦}

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْفَلْغِ عَامٌ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَا تُقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرُبُهَا شَيْطَانٌ»^{٧٣٧}

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَتَمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ بِآيَتَيْنِ أَعْطَانِيَهُمَا مَنْ كَتَرَهُ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَعَلَّمُوهُنَّ، وَعَلَّمُوهُنَّ نِسَاءَكُمْ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ، وَقُرْآنٌ، وَدُعَاءٌ".^{٧٣٨}

وَعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حَدَّثَنِي عَنْ قِصَّةِ الشَّيْطَانِ حِينَ أَخَذَتْهُ، فَقَالَ جَعَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَدَقَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلْتُ التَّمْرَ فِي غُرْفَةٍ، فَوَحَدْتُ فِيهَا نُقْصَانًا، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ يَأْخُذُهُ. قَالَ: فَدَخَلْتُ الْغُرْفَةَ فَأَغْلَقْتُ الْبَابَ عَلَيَّ فَجَاءَتْ ظُلْمَةٌ عَظِيمَةٌ فَغَشِيَتْ الْبَابَ، ثُمَّ تَصَوَّرَ فِي صُورَةِ فِيلٍ، ثُمَّ تَصَوَّرَ فِي صُورَةِ أُخْرَى، فَدَخَلَ مِنْ شَقِّ الْبَابِ، فَشَدَدْتُ إِزَارِي عَلَيَّ، فَجَعَلُ يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ، قَالَ: فَوَثَبْتُ عَلَيْهِ فَضَبَطْتُهُ فَالْتَفَتَ يَدَايَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ. فَقَالَ: خَلَّ عَنِّي فَإِنِّي كَبِيرٌ ذُو عِيَالٍ كَثِيرٍ، وَأَنَا فَقِيرٌ، مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَكَانَتْ لَنَا هَذِهِ الْقَرْيَةُ، قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ صَاحِبُكُمْ، فَلَمَّا بُعِثَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا، فَخَلَّ عَنِّي فَلَنْ أَعُودَ إِلَيْكَ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، وَجَاءَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا كَانَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ، فَتَنَادَى مُنَادٍ بِهِ: أَيُّنَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ يَا مُعَاذُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَعُودُ فَعُدُّ. قَالَ: فَدَخَلْتُ الْغُرْفَةَ، وَأَغْلَقْتُ عَلَيَّ الْبَابَ، فَدَخَلَ مِنْ شَقِّ الْبَابِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ، فَصَنَعْتُ بِهِ كَمَا صَنَعْتُ فِي

^{٧٣٦} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥٤) (١٠٧٣٦) صحيح

^{٧٣٧} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥٤) (١٠٧٣٧) صحيح

^{٧٣٨} - المستدرک علی الصحیحین - دار المعرفة بیروت (١/ ٥٦٢) (٢٠٦٦) صحيح

المرّة الأولى. فقال: خلّ عني فإني لن أعود إليك. فقلت: يا عدوّ الله. ألم تقلّ لا أعود. قال: فإني لا أعود، وآية ذلك أنّه لا يقرأ أحدٌ منكم خاتمة البقرة فيدخل أحدٌ منّا في بيته تلك الليلة^{٧٣٩}

٧- الأذان:

عن سهيل، قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة، قال: ومعي غلامٌ لنا - أو صاحبٌ لنا - فنأذاه مُنادٍ من حائطٍ باسمه قال: وأشرفَ الذي معي على الحائط فلم ير شيئاً، فذكرت ذلك لأبي فقال: لو شعرتُ أنّك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلّة فإني سمعتُ أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إن الشيطان إذا نُودي بالصلّة ولّى وله حصاص»^{٧٤٠}

وعن الحسن، أن عمرَ بعث رجلاً إلى سعد بن أبي وقاص، فلمّا كان ببعض الطريق، عرضت له الغول: فلمّا قدّم على سعد قصّ عليه القصة فقال: ألم أقلّ لكم إنّنا كنّا إذا تعوّلت لنا الغول أن ننادي بالأذان، فلمّا رجع إلى عمر، فبلغ قريباً من ذلك المكان عرض له يسير معه، فذكر ما قال له سعد فنأدى بالأذان، فذهب عنه فإذا سكّت عرض له، فإذا أذن ذهب عنه. " ٧٤١

٨- قراءة القرآن تعصم من الشياطين:

^{٧٣٩} - دلائل النبوة للبيهقي محققاً (١٠٩ / ٧) ومكائد الشيطان (ص: ٣٣) (١٤) حسن

^{٧٤٠} - صحيح مسلم (١ / ٢٩١) ١٨ - (٣٨٩)

التثويب: إقامة الصلاة هاهنا، وهو في موضع آخر قول المؤذن في أذان الفجر: «الصلاة خير من النوم» والأصل فيه الترجيع. = خطر هذا الشيء في نفسي: إذا دار في خاطري، والمراد: أن الشيطان يعرض بين المرء ونفسه، فيسول له الأمان ويحدثه الأحاديث. = الحصاص: الضراط مع شدة العدو، وقيل: هو أن ينصب أذنيه ويرفع ذنبه، ثم يعدو.

^{٧٤١} - دلائل النبوة للبيهقي محققاً (١٠٤ / ٧) فيه انقطاع - تغولت: تلونت في صور مختلفة

قال تعالى: { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) } [الإسراء: ٤٥، ٤٦] ^{٧٤٢}

وَإِذَا قَرَأْتَ، يَا مُحَمَّدُ، الْقُرْآنَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مَسْتُورًا عَنِ الْأَبْصَارِ، يَمْنَعُ وَصُولَ الْهَدَى إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَذَلِكَ عُقُوبَةٌ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَاقْتِرَافِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْمَعَاصِيَ، الَّتِي تَجْعَلُ الْقُلُوبَ مُظْلِمَةً، وَتَضَعُ عَلَيْهَا أَغْشِيَةً تَحْجُبُ عَنْهَا الْهَدَى. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْطِيَةً (أَكِنَّةٌ) تَعْشَى عَلَيْهَا فَلَا يَفْقَهُونَ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي تَقْرُؤُهُ شَيْئًا، وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ صَمَمًا ثَقِيلًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّمْعِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَإِذَا تَلَوْتَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَتَحَدَّثُ عَنْ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَدْبَرُوا رَاجِعِينَ نَافِرِينَ مِنْهُ، لَا تَنْتَفِعُونَ سَمَاعَ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ: اللَّاتِ وَالْعُزَّى. ^{٧٤٣}

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: قَالَ شَيْطَانِي: دَخَلْتُ فِيكَ وَأَنَا مِثْلُ الْجَذُورِ، وَأَنَا فِيكَ الْيَوْمَ مِثْلُ الْعُصْفُورِ. قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: تُذَيِّنِي بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ^{٧٤٤}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: شَيْطَانُ الْمُؤْمِنِ مَهْزُولٌ. ^{٧٤٥}

وَعَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِيبِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ وَافِدًا إِلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَعِيَ أَهْلِي فَتَزَلْنَا مَتَزِلًا، وَأَهْلِي خَلْفِي فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ الْعُلَمَاءِ، وَحَلَبْتُهُمْ، فَرَفَعْتُ صَوْتِي بِالْقُرْآنِ فَسَمِعْتُ وَجِبَّةَ شَيْءٍ طُرِحَ، فَسَأَلْتُهُمْ فَقَالُوا: أَخَذَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَلَعِبَتْ بِنَا فَلَمَّا رَفَعْتَ صَوْتَكَ بِالْقُرْآنِ أَلْقَوْنَا وَذَهَبُوا. ^{٧٤٦}

٩- قول: لا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن:

^{٧٤٢} - موقع الإسلام سؤال وجواب (١/ ٥٤٣): كيف نخمي أنفسنا من أذى الجن و الأذكار للنووي ١١٤، ١١٥

ط مصطفى الحلبي والموسوعة الفقهية الكويتية - وزارة الأوقاف الكويتية (١٦ / ٩٥-٩٨): الأذكار التي يُعْتَصَمُ بِهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ مَرَدَّةُ الْجِنِّ وَيُسْتَدْفَعُ بِهَا شَرُّهُمْ

^{٧٤٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٠٧٥، بترقيم الشاملة آليا)

^{٧٤٤} - مكائد الشيطان (ص: ٤٠) (١٨) حسن مقطوع

^{٧٤٥} - مكائد الشيطان (ص: ٤١) (١٩) صحيح موقوف

^{٧٤٦} - مكائد الشيطان (ص: ٤٢) (٢١) وفيه جهالة

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يُرِيدُ سَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ، فَقَالَ حِينَ يَخْرُجُ: بِسْمِ اللَّهِ، آمَنْتُ بِاللَّهِ، اعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا رُزِقَ خَيْرَ ذَلِكَ الْمَخْرَجِ، وَصُرِفَ عَنْهُ شَرُّ ذَلِكَ الْمَخْرَجِ " ٧٤٧

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: إِنِّي لَأَسِيرُ بِنِسْرَةٍ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِهَا زَمَنْ فَنَحْتُ إِذْ قُلْتُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَسَمِعَنِي هَرَبُذٌ مِنْ أَوْلِيَّكَ الْهَرَابِذَةِ، فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ أَحَدٍ مَذْ سَمِعْتُهُ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا أَفْدُ عَلَى الْمُلُوكِ أَفْدٍ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ فَوَفَدْتُ عَامًا عَلَى كِسْرَى فَخَلَفَنِي فِي أَهْلِي شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ عَلَى صُورَتِي فَلَمَّا قَدِمْتُ لَمْ يَهْشَ إِلَيَّ أَهْلِي كَمَا يَهْشُ أَهْلُ الْغَائِبِ إِلَى غَائِبِهِمْ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّكَ لَمْ تَغِبْ. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: وَظَهَرَ لِي الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ: اخْتَرِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْهَا يَوْمٌ وَلِي يَوْمٌ وَإِلَّا أَهْلَكْتُكَ. قَالَ: فَاخْتَرْتُ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَوْمٌ وَلِي يَوْمٌ فَأَتَانِي يَوْمًا ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ يَسْتَرْقِي السَّمْعَ وَإِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ بَيْنَنَا ثُوبٌ وَإِنْ ثَوْبَتِي اللَّيْلَةَ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَجِيءَ مَعَنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ فَلَمَّا أَمْسَى أَتَانِي فَحَمَلَنِي عَلَى ظَهْرِهِ فَإِذَا لَهُ مَعْرِفَةٌ كَمَعْرِفَةِ الْخَنْزِيرِ ، فَقَالَ لِي: اسْتَمْسِكْ فَإِنَّكَ تَرَى أُمُورًا وَأَهْوَالًا فَلَا تُفَارِقْنِي فَتَهْلِكْ. قَالَ: ثُمَّ عَرَجُوا حَتَّى لَصِقُوا بِالسَّمَاءِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ لَا يَكُونُ. قَالَ: فُلِحَ بِهِمْ فَوْفَعُوا مِنْ وَرَاءِ الْعُمَرَانِ فِي غِيَاضٍ وَشَجَرٍ قَالَ: وَحَفَظْتُ الْكَلِمَاتَ فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ أَهْلِي فَكَانَ إِذَا جَاءَ قُلْتُهُنَّ فَيَضْطَرِبُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُوَّةِ الْبَيْتِ فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُهُنَّ حَتَّى انْقَطَعَ عَنِّي ٧٤٨

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ النَّكْرِيِّ، سَمِعْتُ أَبَا الْجَوَّازِ يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا زِمَ بِالْقَلْبِ، مَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى. أَمَّا تَرَوْنَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَأَسْوَاقِهِمْ، يَأْتِي عَلَى أَحَدِهِمْ عَامَّةُ يَوْمِهِ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَالِفًا، مَالَهُ مِنْ

٧٤٧ - الدعاء للمحامي (ص: ٣٨) (١) وتهذيب الآثار مسند علي (٣/ ٩٨) (١٦٧) ومسند أحمد ط الرسالة (١/

٥١٣) (٤٧١) حسن لغیره

٧٤٨ - الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا (ص: ٣١١) (٤٤٢) والهواتف = هواتف الجنان لابن أبي الدنيا

(ص: ٨٣) (٩١) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٣٧١) (١١٢٧) صحيح موقوف

الْقَلْبِ طَرْدُ إِلَّا قَوْلُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ قَرَأَ: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} [الإسراء: ٤٦]. ٧٤٩

١٠ - الوضوء والاغتسال من الغضب:

عَنْ عَطِيَّةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» ٧٥٠
وَعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ وَقَدْ حَبَسَ الْعَطَاءَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُسْلِمٍ: "يَا مُعَاوِيَةُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ بِمَالِكَ وَلَا مَالِ أَبِيكَ وَلَا مَالِ أُمِّكَ. فَأَشَارَ مُعَاوِيَةُ إِلَى النَّاسِ أَنْ امْكُثُوا، وَنَزَلَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ ذَكَرَ أَنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ بِمَالِ أَبِي وَلَا مَالِ أُمِّي، وَصَدَقَ أَبُو مُسْلِمٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالشَّيْطَانُ مِنَ النَّارِ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ»، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ. اغْدُوا عَلَى أُعْطِيَاتِكُمْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ" ٧٥١

وَعَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: "كَأَنَّا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ: كَيْفَ يَغْلِبُنِي ابْنُ آدَمَ؟ إِذَا رَضِيَ كُنْتُ فِي قَلْبِهِ، وَإِذَا غَضِبَ طَرْتُ حَتَّى أَكُونَ فِي رَأْسِهِ" ٧٥٢
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» ٧٥٣

٧٤٩ - مكائد الشيطان (ص: ٤٤) (٢٣) صحيح

٧٥٠ - سنن أبي داود (٤ / ٢٤٩) (٤٧٨٤) حسن

٧٥١ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨ / ١٥٢٥) (٢٧٧٥) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢ /

١٣٠) وأخرجه ابن عساكر (١٦٩ / ٥٩) ضعيف

٧٥٢ - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١ / ٣٥٤) (٩٩٦) صحيح مقطوع

٧٥٣ - صحيح البخاري (٨ / ٢٨) (٦١١٦)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال ابن التين: جَمَعَ ﷺ في قوله: "لا تَغْضَبْ" خَيْر الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّ الْغَضَبَ يُثَوِّلُ إِلَى التَّقَاطُعِ وَمَنْعِ الرَّفْقِ، وَرُبَّمَا آلَ إِلَى أَنْ يُؤْذِيَ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِ فَيُنْتَقِصَ ذَلِكَ مِنَ الدِّينِ.

وقال البيضاوي: لَعَلَّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّ جَمِيعَ الْمَفَاسِدِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَضَبِهِ، وَكَانَتْ شَهْوَةُ السَّائِلِ مَكْسُورَةً فَلَمَّا سَأَلَ عَمَّا يَحْتَرِزُ بِهِ عَنِ الْقَبَائِحِ نَهَاهُ عَنِ الْغَضَبِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ ضَرَرًا مِنْ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ حُصُولِهِ كَانَ قَدْ قَهَرَ أَقْوَى أَعْدَائِهِ انْتَهَى.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالْأَعْلَى عَلَى الْأَدْنَى، لِأَنَّ أَعْدَى عَدُوِّ لِلشَّخْصِ شَيْطَانَهُ وَنَفْسَهُ، وَالْغَضَبُ إِنَّمَا يَنْشَأُ عَنْهُمَا، فَمَنْ جَاهَدَهُمَا حَتَّى يَغْلِبَهُمَا مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْمُعَالَجَةِ كَانَ لِقَهْرِ نَفْسِهِ عَنِ الشَّهْوَةِ أَيْضًا أَقْوَى.

وقال ابن حبان بعد أن أخرجَهُ: أَرَادَ لَا تَعْمَلْ بَعْدَ الْغَضَبِ شَيْئًا مِمَّا نَهَيْتَ عَنْهُ، لَا أَنَّهُ نَهَاهُ عَنْ شَيْءٍ جُبِلَ عَلَيْهِ وَلَا حِيلَةَ لَهُ فِي دَفْعِهِ.

وقال بعض العلماء: خَلَقَ اللَّهُ الْغَضَبَ مِنَ النَّارِ وَجَعَلَهُ غَرِيزَةً فِي الْإِنْسَانِ، فَمَهْمَا قَصَدَ أَوْ نُوزِعَ فِي غَرَضٍ مَا اشْتَعَلَتْ نَارُ الْغَضَبِ وَثَارَتْ حَتَّى يَحْمَرَ الْوَجْهَ وَالْعَيْنَانِ مِنَ الدَّمِّ؛ لِأَنَّ الْبَشَرَةَ تَحْكِي لَوْنِ مَا وَرَاءَهَا، وَهَذَا إِذَا غَضِبَ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَاسْتَشْعَرَ الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ فَوْقَهُ تَوَلَّدَ مِنْهُ انْقِبَاضُ الدَّمِّ مِنْ ظَاهِرِ الْجِلْدِ إِلَى حَوَافِ الْقَلْبِ فَيَصْفَرُّ اللَّوْنُ حُزْنًا، وَإِنْ كَانَ عَلَى النَّظِيرِ تَرَدَّدَ الدَّمُّ بَيْنَ انْقِبَاضٍ وَانْبِسَاطٍ فَيَحْمَرُّ وَيَصْفَرُّ وَيَتَرْتَّبُ عَلَى الْغَضَبِ تَغْيِيرُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ كَتَغْيِيرِ اللَّوْنِ وَالرَّعْدَةِ فِي الْأَطْرَافِ وَخُرُوجِ الْأَفْعَالِ عَنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ وَاسْتِحَالَةِ الْخَلْقَةِ حَتَّى لَوْ رَأَى الْغَضْبَانُ نَفْسَهُ فِي حَالِ غَضَبِهِ لَكَانَ غَضَبُهُ حَيَاءً مِنْ قُبْحِ صُورَتِهِ وَاسْتِحَالَةِ خَلْقَتِهِ، هَذَا كُلُّهُ فِي الظَّاهِرِ، وَأَمَّا الْبَاطِنُ فَقُبْحُهُ أَشَدُّ مِنَ الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَلِّدُ الْحَقْدَ فِي الْقَلْبِ وَالْحَسَدَ وَإِضْمَارَ السُّوءِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، بَلْ أَوْلَى شَيْءٍ يَقْبُحُ مِنْهُ بَاطِنُهُ، وَتَغْيِيرُ ظَاهِرِهِ ثَمَرَةٌ تَغْيِيرِ بَاطِنِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ أَثَرُهُ فِي الْجَسَدِ.

وَأَمَّا أَثَرُهُ فِي اللِّسَانِ فَانْطِلَاقُهُ بِالشَّتْمِ وَالْفُحْشِ الَّذِي يَسْتَحْيِي مِنْهُ الْعَاقِلُ وَيَنْدَمُ قَائِلُهُ عِنْدَ سُكُونِ الْعُصْبِ وَيُظْهِرُ أَثَرَ الْعُصْبِ أَيْضًا فِي الْفِعْلِ بِالضَّرْبِ أَوْ الْقَتْلِ، وَإِنْ فَاتَ ذَلِكَ بِهِرَبِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَمَزَّقُ ثَوْبَهُ وَيَلْطِمُ خَدَّهُ، وَرُبَّمَا سَقَطَ صَرِيحًا، وَرُبَّمَا أُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا كَسَرَ الْإِنِّيَّةَ وَضَرَبَ مَنْ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ جَرِيْمَةٌ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَفَاسِدَ عَرَفَ مِقْدَارَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ اللَّطِيفَةُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ " لَا تَغْضَبْ " مِنَ الْحِكْمَةِ وَاسْتِحْلَابِ الْمَصْلَحَةِ فِي دَرءِ الْمَفْسَدَةِ مِمَّا يَتَعَذَّرُ إِحْصَاؤُهَا وَالْوُقُوفِ عَلَى نَهَائِثِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْعُصْبِ الدُّنْيَوِيِّ لَا الْعُصْبِ الدِّينِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَيُعِينُ عَلَى تَرْكِ الْعُصْبِ اسْتِحْضَارُ مَا جَاءَ فِي كَظْمِ الْغَيْظِ مِنَ الْفَضْلِ، وَمَا جَاءَ فِي عَاقِبَةِ ثَمَرَةِ الْعُصْبِ مِنَ الْوَعِيدِ، وَأَنْ يَسْتَعِيدَ مِنَ الشَّيْطَانِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، وَأَنْ يَتَوَضَّأَ كَمَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ عَطِيَّةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. " ٧٥٤

١١ - إِمْسَاكُ فَضُولِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَالطَّعَامِ وَمُخَالَطَةُ النَّاسِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَتَسَلَطُ عَلَى ابْنِ آدَمَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْ لَمَرَّةٍ، ثُمَّ يَغْضُ بَصَرَهُ إِلَّا أَحَدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا " ٧٥٥

وَعَنْ ابْنِ عُمرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ الشَّيْطَانِ فَمَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَعَقَبَتْهُ عَلَيْهَا إِيْمَانًا يَجِدُ طَعْمَهُ فِي قَلْبِهِ» ٧٥٦

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّظَرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ أَثَابَهُ جَلٌّ وَعَزٌّ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ» ٧٥٧

٧٥٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (١٠ / ٥٢٠)

٧٥٥ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٦ / ٦١٠) (٢٢٢٧٨) ضعيف

قال ابن كثير: "وروي هذا مرفوعاً عن ابن عمر، وحذيفة، وعائشة، رضي الله عنهم ولكن في إسنادها ضعف، إلا أنها في الترغيب، ومثله يُتسامح فيه. تفسير ابن كثير ت سلامة (٦ / ٤٣)

٧٥٦ - مسند الشهاب القضاعي (١ / ١٩٦) (٢٩٣) ضعيف

٧٥٧ - المستدرک علی الصحيحین للحاکم (٤ / ٣٤٩) (٧٨٧٥) ضعيف

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "الشَّيْطَانُ مِنَ الرَّجُلِ فِي ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ: فِي بَصَرِهِ وَقَلْبِهِ وَذَكَرِهِ وَهُوَ مِنَ الْمَرْأَةِ فِي ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ: فِي بَصَرِهَا وَقَلْبِهَا وَعُجْزِهَا" ٧٥٨

وعن ابن عباس في قوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩] قَالَ: «الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَتَمُرُ بِهِمُ الْمَرْأَةُ، فَيَرِيهِمْ أَنَّهُ يَغُضُّ بَصَرَهُ عَنْهَا، فَإِنْ رَأَى مِنْهُمْ غَفْلَةً نَظَرَ إِلَيْهَا، فَإِنْ خَافَ أَنْ يَفْطِنُوا بِهِ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا، وَقَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ وَدَّ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَوْرَتِهَا» ٧٥٩

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَذِيلِ الْعَنْزِيِّ قَالَ: عَادَ عَبْدُ اللَّهِ رَجُلًا مَرِيضًا فَرَأَى رَجُلًا يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةِ الْمَرِيضِ ، فَقَالَ: يَا هَذَا لَوْ ذَهَبَتْ عَيْنَاكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ ٧٦٠

١٢ - عدم الخوف من الشيطان إذا رآه:

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كُنْتُ أَلْقَى مِنْ رُؤْيَا الْعُولِ وَالشَّيَاطِينِ بَلَاءً وَأَرَى خَيَالًا، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَلَى مَا رَأَيْتَ، وَلَا تُفَرِّقَنَّ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَفَرِّقُ مِنْكَ كَمَا تَفَرِّقُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ أَجْبَنَ السَّوَادَيْنِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: فَرَأَيْتُهُ فَأَسْنَدْتُ عَلَيْهِ بَعْصًا حَتَّى سَمِعْتُ وَقَعَتَهُ. ٧٦١

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي، إِذْ قَامَ مِثْلُ الْعُلَامِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ لَأَخْذَهُ، فَوَثَبَ، فَوَقَعَ خَلْفَ الْحَائِطِ، حَتَّى سَمِعْتُ وَقَعَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ يَهَابُونَكُمْ كَمَا تَهَابُونَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ. ٧٦٢

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَّبِعُكُمْ كَمَا تَتَّقُونَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَلَا تَهَابُوهُ فَيَرْكَبُكُمْ، وَلَكِنْ شُدُّوا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَهْرَبُ» ٧٦٣

١٣ - تصفيد مردة الجن في رمضان:

٧٥٨ - الزهد لوكيع (ص: ٧٩٦) (٤٨٥) () والزهد لهناد بن السري (٢ / ٦٥١) حسن

٧٥٩ - مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٧) (١٧٢٢٨) فيه انقطاع

٧٦٠ - الزهد لهناد بن السري (٢ / ٦٥٠) حسن

٧٦١ - المصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٧ / ٤٢٠) (٢٤٠٦٩) صحيح

٧٦٢ - تاريخ الإسلام ت تدمري (٧ / ٢٣٧) صحيح

٧٦٣ - الآثار لأبي يوسف (ص: ١٢٨) (٥٨٥) صحيح مقطوع - الهيبة: من هاب الشيء يهابه إذا خافه وإذا وقَّره وعظمه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَّةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٌ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ" ٧٦٤

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحْتَفَتُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» ٧٦٥

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يُبَشِّرُهُمْ: "قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَيُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حُرْمِ خَيْرِهَا فَقَدْ حُرِمَ" ٧٦٦

وَعَنْ عَرَفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ، وَهُوَ يُحَدِّثُنَا عَنْ رَمَضَانَ، إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَكَتَ عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ، قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ حَدِّثْنَا عَنْ رَمَضَانَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِيهِ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّعِيرِ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، وَيُنَادِي مُنَادٌ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ" ٧٦٧

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْحَلِيمِيُّ: "وَتُصَفَّدُ الشَّيَاطِينُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ أَيَّامُهُ خَاصَّةً، وَأَرَادَ الشَّيَاطِينُ الَّتِي هِيَ تَسْتَرِقُ السَّمْعَ أَلَّا تَرَاهُ، قَالَ: مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ؛ لِأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ كَانَ وَقْتُاً لِنُزُولِ الْقُرْآنِ إِلَى السَّمَاءِ

٧٦٤ - سنن الترمذي ت شاكر (٣/ ٥٨) (٦٨٢) صحيح

[ش (إذا كانت) أي وجدت وتحققت. على أن السكون نام. (صفدت) أي شددت وأوثقت بالأغلال. (مردة) جمع مارد. وهو العاتي الشديد. (يا باغي الخير أقبل) معناه يا طالب الخير أقبل على فعل الخير. (ويا باغي الشر أقصر) معناه يا طالب الشر أمسك وتب فإنه أوان قبول التوبة].

٧٦٥ - صحيح البخاري (٣/ ٢٥) (١٨٩٩) وصحيح مسلم (٢/ ٧٥٨) ٢ - (١٠٧٩)

(فتحت) المراد حقيقة الفتح وقيل هو كناية عن كثرة الطاعات. (أبواب السماء) المراد بالسماء الجنة لأنها يصعد منها إلى الجنة لأنها فوق السماء وسقفها عرش الرحمن. (سلس الشياطين) شددت بالسلاسل ومنعت من الوصول إلى بغيتها من إفساد المسلمين بالقدر الذي كانت تفعله في غير رمضان]

٧٦٦ - شعب الإيمان (٥/ ٢١٨) (٣٣٢٨) صحيح

الدُّنْيَا، وَكَانَتْ الْحِرَاسَةُ قَدْ وَقَعَتْ بِالشُّهْبِ كَمَا قَالَ: {وَحَفِظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ} [الصفات: ٧] فَرِيدُ التَّصْفِيدِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مُبَالَعَةً فِي الْحِفْظِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ أَيَّامُهُ وَبَعْدُهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَخْلُصُونَ فِيهِ مِنْ إِفْسَادِ النَّاسِ إِلَى مَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ لِاشْتِعَالِ أَكْثَرِ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّيَامِ الَّذِي فِيهِ قَمْعُ الشَّهَوَاتِ، وَبِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ " ٧٦٧

١٤ - اتقاء وسواس الوضوء:

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ وَلَهَانٌ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ» ٧٦٨

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "شَيْطَانُ الْوُضُوءِ يُدْعَى الْوَلَهَانُ يَضْحَكُ بِالنَّاسِ فِي الْوُضُوءِ".
وَعَنْ يُونُسَ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: إِنَّ لِلْمَاءِ وَسْوَاسًا فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ. ٧٦٩

١٥ - النهي عن البول في الجحر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْجَحْرِ. قَالَ قَالُوا لِقِتَادَةَ مَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَوْلِ فِي الْجَحْرِ قَالَ كَانَ يُقَالُ إِنَّهَا مَسَاكِينُ الْجَنِّ. ٧٧٠
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي جُحْرٍ» قَالُوا لِقِتَادَةَ: وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَوْلِ فِي الْجَحْرِ؟ قَالَ: يُقَالُ إِنَّهَا مَسَاكِينُ الْجَنِّ " ٧٧١

١٦ - الذكر الجماعي:

٧٦٧ - شعب الإيمان (٢١٩/٥) (٣٣٢٩) و سنن النسائي (١٣٠/٤) (٢١٠٨) صحيح

٧٦٨ - صحيح ابن خزيمة (٦٣/١) (١٢٢) ضعيف جدا وصح وقفه

٧٦٩ - السنن الكبرى للبيهقي (٣٠٤/١) (٩٥٠) صحيح مقطوع

[ش (ولهان) مصدر " وله ". إذا تحير الشيطان لإلقاء الناس في التحير سمي بهذا الاسم. (وسواس الماء) أي وسواس يفضي إلى كثرة إراقة الماء حالة الوضوء والاستنجاء. أو المراد بالوسواس التردد في طهارة الماء ونجاسته بلا طهور علامات النجاسة] .

٧٧٠ - سنن أبي داود - دار الكتاب العربي (١٢/١) (٢٩) و سنن النسائي (٣٣/١) (٣٤) صحيح

٧٧١ - سنن النسائي (٣٣/١) (٣٤) صحيح - (في الجحر) أي الثقب لأنه مأوى الهوام المؤذية فلا يؤمن أن يُصِيبَهُ مَضَرَّةٌ مِنْهَا (قَالَ هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ (مَا يُكْرَهُ) مَا اسْتَفْهَامِيَّةٌ أَيْ لَمْ يُكْرَهُ (إِنَّهَا) أَيْ الْجِحْرَةُ وَالْجِحْرَةُ جَمْعُ جُحْرٍ كَالْأَجْحَارِ "عون المعبود و حاشية ابن القيم (٣٣/١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَكَ الْأَعْمَشُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فَضَّلًا عَنْ كِتَابِ النَّاسِ إِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا بُعِثْكُمْ فَيَحْضُونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَيُّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟» فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ، فَيَقُولُ: «هَلْ رَأَوْنِي؟» فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: «كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا وَتَمْجِيدًا وَذِكْرًا، فَيَقُولُ: «مَا يَسْأَلُونِي؟» فَيَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: «وَهَلْ رَأَوْهَا؟» فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: «فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، فَيَقُولُ: «فَمَنْ أَيْ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟» فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: «وَهَلْ رَأَوْهَا؟» فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: «فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا وَخَوْفًا، فَيَقُولُ: «فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ»، فَيَقُولُونَ: فَإِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يَرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: «هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^{٧٧٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً فَضَّلًا عَنْ كِتَابِ النَّاسِ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ وَيَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ فَتَحْفُضُهُمْ بِأَجْنَحَتِهَا إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: يُكَبِّرُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْكَ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْنِي، فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ تَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، فَيَقُولُ: وَمِمَّا يَتَعَوَّذُونَ؟ فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: مَا رَأَوْهَا، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ

^{٧٧٢} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣٠) (١٨٩٤) صحيح مشهور

لَهَا مَخَافَةٌ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: إِنَّهُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ^{٧٧٣}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^{٧٧٤}

وَعَنِ الْأَعْرَجِ، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَأَهْلٍ ذَكَرَ اللَّهُ أَرْبَعَ: تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَتَحْفُ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَغَشَاهُمُ الرَّحْمَةُ، وَيَذْكُرُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَلَأَ عِنْدَهُ" ^{٧٧٥}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^{٧٧٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَشْهَدَانِ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^{٧٧٧}

وَعَنِ الْأَعْرَجِ أَبِي مُسْلِمٍ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبَا سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَشْهَدَانِ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمْ يَقْعُدْ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^{٧٧٨}

^{٧٧٣} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣١) (١٨٩٧-١٨٩٥) صحيح

^{٧٧٤} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣١) (١٨٩٨) صحيح

^{٧٧٥} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣٢) (١٨٩٩) صحيح

^{٧٧٦} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣٢) (١٩٠٠) صحيح

^{٧٧٧} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣٢) (١٩٠١) صحيح

^{٧٧٨} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣٢) (١٩٠٢) صحيح

وَعَنِ الْأَعْرَبِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^{٧٧٩}

وَعَنِ الْأَعْرَبِيِّ، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا: نَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَأَهْلٍ ذَكَرَ اللَّهُ أَرْبَعَ حَصَالٍ: تَغْشَاهُمُ الرَّحْمَةُ، وَتَنْزِلُ بَيْنَهُمُ السَّكِينَةُ، وَتَحْفُفُ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَيَذْكُرُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ"^{٧٨٠}

وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَحِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^{٧٨١}

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ أَطَافَ بِأَهْلِ مَجْلِسٍ ذَكَرَ لَيْفَتَهُمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَأَتَى عَلَى حَلَقَةٍ يَذْكُرُونَ الدُّنْيَا، فَأَغْرَى بَيْنَهُمْ حَتَّى اقْتَتَلُوا، فَقَامَ أَهْلُ الذِّكْرِ فَحَجَزُوا بَيْنَهُمْ فَتَفَرَّقُوا"^{٧٨٢}

١٧- النفقه في دين الله:

عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَقِيهِ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»^{٧٨٣}

^{٧٧٩} - صحيح مسلم (٢٠٧٤/٤) ٣٩ - (٢٧٠٠)

^{٧٨٠} - الدعاء للطبراني (ص: ٥٣٣) (١٩٠٦) صحيح

^{٧٨١} - صحيح مسلم (٢٠٧٤/٤) ٣٨ - (٢٦٩٩)

[ش (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) معناه من كان عمله ناقصا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل]

^{٧٨٢} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٢٩) (٨٥٥) صحيح

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^{٧٨٤}

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافٍ»^{٧٨٥}

قَالَ فِي الْفَتْحِ: وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الَّذِي يُفِيدُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ وَالْعِلْمُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ.

^{٧٨٣} - ترتيب الأُمالي الخميسية للشجري (١/ ٦٥) (٢٣٢) وجامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٥) (١٢١- ١٢٥)

وشعب الإيمان (٣/ ٢٣٣) (١٥٨٧) من طرق عن ابن عباس وأبي هريرة من طرق صحيح لغيره
وظن الشيخ ناصر رحمه الله أن روح بن جناح قد تفرد به ، ولكن تابعه أخوه مروان بن جناح وهو ثقة ، وابن جريح ، غير شاهد حديث أبي هريرة

^{٧٨٤} - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥٠) (٢٦٨٥) صحيح

^{٧٨٥} - سنن ابن ماجه (١/ ٨١) (٢٢٣) صحيح لغيره

(فما جاء بك تجارة) بتقدير حرف الاستفهام. = تضع أجنحتها لطالب العلم: معنى وضع أجنحة الملائكة لطالب العلم: التواضع والخشوع ، تعظيما لطالب العلم وتوقيرا، لقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ (الإسراء: ٢٤) وقيل: وضع الجناح معناه الكف عن الطيران ، أراد: أن الملائكة لا تزال عنده، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة» وقيل: معناه بسط الجناح وفرشه لطالب العلم ، لتحمله عليها، وتبلغه حيث يريد ، ومعناه: المعونة. = (لم يورثوا) من التوريث. (بحظ وافر) أي بنصيب تام.

قَالَ زَيْنُ الْعَرَبِ وَغَيْرُهُ: قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهَا تَتَوَاضَعُ لِطَالِبِهِ تَوْقِيرًا لِعِلْمِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْجِ مِنَ الرَّحْمَةِ أَيْ تَوَاضَعْ لَهُمَا، أَوِ الْمُرَادُ الْكَفُّ عَنِ الطَّيْرَانِ وَالنَّزُولُ لِلذِّكْرِ، أَوِ مَعْنَاهُ الْمَعُونَةُ وَتَيْسِيرُ الْمُؤْتَةِ بِالسَّعْيِ فِي طَلْبِهِ أَوِ الْمُرَادُ تَلْسِينُ الْجَانِبِ وَالِانْقِيَادُ وَالْفِيءُ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالِانْعِطَافُ أَوِ الْمُرَادُ حَقِيقَتُهُ وَإِنْ لَمْ تُشَاهَدْ وَهِيَ فَرُشُ الْجَنَاحِ وَبَسْطُهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ لِتَحْمِلِهِ عَلَيْهَا وَتُبْلَغُهُ مَقْعَدَهُ مِنَ الْبِلَادِ قَالَهُ الْقَارِئُ (وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ قَبِلَ لِلْحَيَاتَانِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ الْعِلْمَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعُلَمَاءِ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ وَالْأَرْزَاقِ فَهُمْ الَّذِينَ يَبْنُونَ الْحُكْمَ فِيمَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ مِنْهَا وَأَرْشَدُوا إِلَى الْمَصْلَحَةِ فِي بَابِهَا وَأَوْصَوْا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا وَنَفَى الضَّرَرَ عَنْهَا فَأَلْهَمَهَا اللَّهُ الْاسْتِغْفَارَ لِلْعُلَمَاءِ مُجَازَاةً عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِمْ بِهَا وَشَفَقَتِهِمْ عَلَيْهَا (وَالْحَيَاتَانِ) جَمْعُ الْحُوتِ (لَيْلَةُ الْبَدْرِ) أَيْ لَيْلَةُ الرَّابِعِ عَشَرَ (لَمْ يُورَثُوا) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ مِنَ التَّوْرِيثِ (وَرَثُوا الْعِلْمَ) لِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ وَنَشْرِ الْأَحْكَامِ (فَمَنْ أَخَذَهُ) أَيْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ مِيرَاثِ الثُّبُوتِ (أَخَذَ بِحِظٍّ) أَيْ بِنَصِيبٍ (وَافِرٍ) كَثِيرٍ كَامِلٍ".^{٧٨٦}

وَعَنْ بَعْضِ الْبَصَرِيِّينَ قَالَ: كَانَ عَالِمٌ وَعَابِدٌ مُتَوَاحِشَيْنِ فِي اللَّهِ، فَقَالَتِ الشَّيَاطِينُ لِإِبْلِيسَ: إِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا. فَقَالَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ: أَنَا لَهُمَا. فَجَلَسَ بِطَرِيقِ الْعَابِدِ إِذْ أَقْبَلَ الْعَابِدُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ إِبْلِيسَ قَامَ إِلَيْهِ فِي مِثَالِ شَيْخٍ كَبِيرٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ. فَقَالَ لِلْعَابِدِ: إِنَّهُ قَدْ حَاكَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: سَلْ، فَإِنْ يَكُنْ عِنْدِي عِلْمٌ، أَخْبَرْتُكَ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ وَالْمَاءَ فِي بَيْضَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ فِي الْبَيْضَةِ شَيْئًا، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ هَذَا شَيْئًا، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ فِي هَذَا شَيْئًا كَالْمُتَعَجِّبِ، فَوَقَفَ الْعَابِدُ فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: امْضِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ أَهْلَكْتُهُ جَعَلْتُهُ شَاكًا فِي اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ جَلَسَ عَلَى طَرِيقِ الْعَالِمِ فَإِذَا هُوَ مُقْبِلٌ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ إِبْلِيسَ قَامَ إِلَيْهِ إِبْلِيسُ فَقَالَ: يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ حَاكَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ: سَلْ، فَإِنْ يَكُنْ

عِنْدِي عِلْمٌ أَخْبَرْتُكَ. فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ وَالْمَاءَ فِي بَيْضَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ فِي الْبَيْضَةِ شَيْئًا، وَمِنْ غَيْرِ
أَنْ يَنْقُصَ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ: نَعَمْ. قَالَ: فَرَدَّ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ كَالْمُنْكَرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَزِيدَ فِي هَذَا شَيْئًا، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ: نَعَمْ
بِإِثْنَاهَا، وَقَالَ: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. فَقَالَ إِبْلِيسُ
لَأَصْحَابِهِ: مِنْ قَبْلِ هَذَا أَتَيْتُمْ.^{٧٨٧}

١٨ - عدم النوم بين الظل والشمس:

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: «الْقُعُودُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ هُوَ مَقْعَدُ
الشَّيْطَانِ»

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْعُدَ الرَّجُلُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ»

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «حَرَفُ الظِّلِّ مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ»

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: «حَرَفُ الظِّلِّ مَقِيلُ الشَّيْطَانِ»

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: «حَدُّ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ مَقَاعِدُ الشَّيْطَانِ»

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: فِي الَّذِي يَقْعُدُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ، قَالَ: «ذَلِكَ مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ»

وَعَنْ ابْنِ بَرِيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَقْعُدَ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ»

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «الْقُعُودُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ»^{٧٨٨}

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ أَبِي

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَامَ فِي الشَّمْسِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَحَوَّلَ إِلَى الظِّلِّ^{٧٨٩}

١٩ - عدم غرز الضفيرة في الخلف أثناء الصلاة:

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، أَنَّهُ رَأَى أَبَا رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُصَلِّي غَرَزَ

ضَفِيرَتُهُ فِي قَفَاهُ، فَحَلَّهَا أَبُو رَافِعٍ، فَالْتَفَتَ الْحَسَنُ إِلَيْهِ مُغَضَّبًا، فَقَالَ أَبُو رَافِعٍ: أَقْبِلْ عَلَيَّ

^{٧٨٧} - مكائد الشيطان (ص: ٥٠) (٣٠) وفيه جهالة

^{٧٨٨} - الأدب لابن أبي شيبة (ص: ٢٩٩) (٢٩٧-٣٠٤) صحيحة موقوفة ومرفوعة

الفيء: الظل بعد الزوال = قلص: انحصر وانزوى

^{٧٨٩} - صحيح ابن حبان - محققا (٣٩/٧) (٢٨٠٠) صحيح

صَلَاتِكَ وَلَا تَغْضَبْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَلِكَ كِفْلُ الشَّيْطَانِ»، يَقُولُ: مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي مَعْرَزَ ضَفْرَتِهِ. ^{٧٩٠}

٢٠ - العدل في القضاء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْقَاضِي مَا لَمْ يَجْرُ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ» ^{٧٩١}

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اخْتَصَمَ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ وَيَهُودِيٌّ، فَرَأَى عُمَرُ أَنَّ الْحَقَّ لِلْيَهُودِيِّ، فَقَضَى لَهُ. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ. فَضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالدَّرَّةِ، ثُمَّ قَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: إِنَّا نَجِدُ أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ، إِلَّا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ، يُسَدِّدَانِهِ وَيُوفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ، فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرَجًا وَتَرَكَاهُ ^{٧٩٢}

٢١ - السجود لله بعد قراءة آية السجدة:

^{٧٩٠} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٥٦ / ٦) (٢٢٧٩) حسن

معزز ضفره: مغرز الضفرة: هو أصل الضفيرة مما يلي الرأس. = كفل الشيطان: مقعده، وأصل الكفل: أن يجمع الكساء على سنام البعير، ثم يركب عليه، وإنما أمره بإرسال شعره ليسقط معه على الموضع الذي يسجد عليه ويصلي فيه، فيجد معه، ويدل عليه الحديث الآخر: «أمرت أن أسجد على سبعة أراب، ولا أكف شعرا ولا ثوبا». جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (٥ / ٥٢٧)

^{٧٩١} - سنن الترمذي ت شاكر (٣ / ٦١٠) (١٣٣٠) حسن

(مَعَ الْقَاضِي) أَي بِالنُّصْرَةِ وَالْإِعَانَةِ (مَا لَمْ يَجْرُ) بِضَمِّ الْجِيمِ أَي مَا لَمْ يَظْلَمْ (تَخَلَّى عَنْهُ) أَي خَذَلَهُ وَتَرَكَ عَوْنَهُ (وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ) لَا يَنْفَكُ عَنْ إِضْلَالِهِ .. " تخفة الأحوذى (٤ / ٤٦٧)

^{٧٩٢} - موطأ مالك ت عبد الباقي (٢ / ٧١٩) (٢) صحيح

" وَقَوْلُ الْيَهُودِيِّ إِنَّا نَجِدُ أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ إِلَّا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ يُسَدِّدَانِهِ وَيُوفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ فَإِذَا تَرَكَ عَرَجًا وَتَرَكَاهُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْيَهُودِيُّ أَنَّهُ يَقْطَعُ بِأَنَّ الْحَقَّ لَهُ وَأَنَّهُ مِمَّنْ قَدْ شَاهَدَ الْحُكْمَ بِمِثْلِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَنَّهُ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي لَا تَخْتَلِفُ فِيهَا الشَّرَائِعُ، فَاسْتَدَلَّ عَلَى اجْتِهَادِ عُمَرَ وَقَضَائِهِ الْحَقَّ بِأَنْ حَكَمَ لَهُ بِمَا يَعْرِفُ هُوَ أَنَّهُ حَقُّهُ وَعَلِمَ ذَلِكَ بِمَا زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُهُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَنَّ الْحَاكِمَ إِذَا قَضَى بِالْحَقِّ يُرِيدُ قَصْدَهُ وَبَيْنَهُ بِحُكْمِهِ كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ يُسَدِّدَانِهِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ إِنْ زَاغَ عَنْ ذَلِكَ عَرَجًا وَتَرَكَاهُ فَلَا يُوفِّقُ لِلْحَقِّ فَأَمْسَكَ عَنْهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِمَّا تَصَدِّقًا لَهُ وَإِمَّا أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَذْيِهِ مَا أَقْنَعَهُ وَمَا قَالَهُ الْيَهُودِيُّ لَا يَبْعُدُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩] "المنتقى شرح الموطأ (٥ / ١٨٨)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ" ٧٩٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، وَقَالَ: وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ، أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ، فَأَطَاعَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ، فَعَصَيْتُ، فَلِيَ النَّارُ" ٧٩٤

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَأَى ابْنَ آدَمَ سَاجِدًا صَاحَ وَرَنَّ، وَقَالَ: لَهُ الْوَيْلُ، أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَأَطَاعَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ، فَلِيَ النَّارُ" ٧٩٥

٢٢- رص الصفوف في الصلاة حتى لا يدخل الشيطان:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهُا الْحَذَفُ» ٧٩٦

٧٩٣ - صحيح مسلم (٨٧ / ١) ١٣٣ - (٨١)

[ش (إذا قرأ ابن آدم السجدة) معناه آية السجدة (يا ويله) هو من آداب الكلام وهو أنه إذا عرض في الحكاية عن الغير ما فيه سوء واقتضت الحكاية رجوع الضمير إلى المتكلم صرف الحاكي الضمير عن نفسه تصاوينا عن صورة إضافة السوء إلى نفسه]

قَوْلُهُ (يَا وَيْلَهُ) الضَّمِيرُ لِلشَّيْطَانِ جَعَلَ نَفْسَهُ غَائِبًا طَرْدًا لَهُ وَغَضَبًا عَلَيْهِ حَيْثُ أَوْفَعَتْهُ فِي هَذَا الْمَهْلِكِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْحَاكِي لِكَلَامِهِ حِكَاةً غَائِبًا احْتِرَازًا عَنِ الْإِبْهَامِ الْقَبِيحِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الضَّمِيرَ لِابْنِ آدَمَ فَهَذَا مِنْهُ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِسَبَبِ مُبَاشَرَتِهِ الْخَيْرَ عَلَى مُقْتَضَى خُبْرٍ طَبِيعِهِ وَقَوْلُهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ أَيُّ عَلَى الطَّاعَةِ. حَاشِيَةُ السَّنْدِي عَلَى سَنَنِ ابْنِ مَاجَه (١/ ٣٢٥)

٧٩٤ - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٣٤٩) (٩٨١) صحيح

٧٩٥ - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٤٥٥) (١٢٨٦) وتعظيم قدر الصلاة لحمد بن نصر

المروزي (١/ ٣٢٨) (٣١٧) والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٢٩٠) (٩٤٦٣) حسن

٧٩٦ - سنن أبي داود (١/ ١٧٩) (٦٦٧) صحيح

و"الحذف" قال البغوي: غنم سود صغار، واحدها: حذفة، وفي رواية: "كأنها بنات حذف"، ويروى "أولاد الحذف"، قيل: ما أولاد الحذف؟ قال: ضأن سود جرد صغار تكون باليمن.

كيف تصنع بالشيطان إذ سؤل لك الخطايا؟

حكى عن أحد علماء السلف أنه قال لتلميذه: "ما تصنع بالشيطان إذا سؤل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده.

قال هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده جهدي وأرده. قال: هذا أمر يطول، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفّ عنه،^{٧٩٧} .

وهذا فقه عظيم من هذا العالم الجليل، فإن الاحتماء بالله، والالتجاء إليه، هو السبيل القوي الذي يطرد الشيطان ويبعده، وهذا ما فعلته أم مريم إذ قالت: {وإني أعيدُها بك وذريتها من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦].

لماذا لا يذهب الشيطان عندما يستعيد منه الإنسان؟

يقول بعض الناس: إننا نستعيد بالله، ومع ذلك فإننا نحسُّ بالشيطان يوسوس لنا، ويحرضنا على الشر، ويشغلنا في صلاتنا.

والجواب: أن الاستعاذة كالسيف في يد المقاتل، فإن كانت يده قوية، أصاب من عدوه مقتلاً، وإلا فإنه قد لا يؤثر فيه، ولو كان السيف صقيلاً حديداً.

وكذلك الاستعاذة إذا كانت من تقيٍّ ورع كانت ناراً تحرق الشيطان، وإذا كانت من مخلط ضعيف الإيمان فلا تؤثر في العدو تأثيراً قوياً.

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: "واعلم أن مثل إبليس مع المتقي والمخلط، كرجل جالس بين يديه طعام ولحم، فمرَّ به كلب، فقال له: أحسأ، فذهب. فمرَّ بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحسأه (طرده) لم يبرح. فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان، فيكفيه في طرده الذكر، والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه، نعوذ بالله من الشيطان^{٧٩٨} .

^{٧٩٧} - تلبس إبليس (ص: ٣٥)

^{٧٩٨} - تلبس إبليس (ص: ٣٥)

فعلى المسلم الذي يريد النجاة من الشيطان وأحاييله أن يشتغل بتقوية إيمانه، والاحتماء بالله ربه، والالتجاء إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعاً: الاشتغال بذكر الله:

ذكر الله من أعظم ما ينجي العبد من الشيطان، فعن زيد بن سلام، أن أبا سلام، حدثه أن الحارث الأشعري، حدثه أن النبي ﷺ قال: "إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يطيء بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فيما أن تأمرهم، وإما أنا أمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتنى بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتأ المسجد وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأتيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه ضرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسر العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله"، قال النبي ﷺ: «وأنما أمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى

الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَأِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ».^{٧٩٩}

يقول ابن القيم: "فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل، وثب عليه واقتصره، وإذا ذكر الله تعالى، انخنس عدو الله وتصاغر، وانقمع، حتى يكون كالوَصْع [طائر أصغر من العصفور]، وكالذباب، ولهذا سمي (الوسواس الخناس)؛ لأنه يوسوس في صدور الناس، فإذا ذكر الله خنس، أي كف وانقبض. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} [الناس: ٤] قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِئٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَى وَغَفَلَ وَسَّوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ".^{٨٠٠}

ويقول ابن القيم: "الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل".^{٨٠١}

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةٌ، فَجَاءَهُ وَضُوءُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ فَخَلَّصَهُ مِنْهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطِشًا مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ تَحْتِهِ

^{٧٩٩} - سنن الترمذي ت شاكر (٥ / ١٤٨) (٢٨٦٣) صحيح

العصاة: الجماعة من الناس، قيل: تبلغ الأربعين. = الرِّبَّة: في الأصل: جبل فيه عرى كثيرة تشد به الغنم، الواحدة منها ربة، فاستعار للإسلام ربة، يعني بها: العروة يشد بها المسلم نفسه من عرى الإسلام. = جثي: جمع جثوة بالضم، وهي الشيء المجموع من جماعات جهنم، هذا فيمن رواها مخففة، ومن رواها «جُثِّي» - مشددة - فإنه أراد الذين يَجْثُونَ على الركب، واحدها: جاث، من قوله تعالى: {حول جهنم جثيًا} [مریم: ٦٨] قال الهروي: وهذا أحب إلى أبي عبيد. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (٩ / ٥٤٧)

^{٨٠٠} - الزهد لأبي داود (ص: ٢٩٥) (٣٣٧) صحيح

^{٨٠١} - الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٦)

ظُلْمَةً، فَجَاءَهُ حَجُّهُ وَعُمُرُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بِرُّهُ بِوَالِدَيْهِ فَرَدَّ عَنْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُكَلِّمُهُ، فَجَاءَتْهُ صِلَةُ الرَّحِمِ فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا وَاصِلٌ كَانَ وَاصِلًا لِرَحِمِهِ، فَكَلَّمَهُمْ وَكَلَّمُوهُ وَصَارَ مَعَهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي النَّاسَ وَهُمْ حُلُقٌ، فَكَلَّمَا أَتَى عَلَى حَلْقَةٍ طُرِدَ، فَجَاءَهُ اغْتِسَالُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ بِيَدَيْهِ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ وَصَارَتْ ظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ وَسِتْرًا عَلَى وَجْهِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ، فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي هَوَى فِي النَّارِ، فَجَاءَتْهُ دُمُوعُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ إِلَى شِمَالِهِ، فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَجَعَلَهَا فِي يَمِينِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَرْحَفُ عَلَى الصَّرَاطِ مَرَّةً، وَيَجْتُو مَرَّةً، وَيَتَعَلَّقُ مَرَّةً، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَقَامَتْهُ عَلَى الصَّرَاطِ حَتَّى جَاوَزَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَعُلِقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَخَذَتْهُ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ٨٠٢

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: "إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بِرُّهُ بِوَالِدَيْهِ فَرَدَّ عَنْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَ وَضُوءُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطَشًا، كُلَّمَا وَرَدَ حَوْضًا مُنِعَ، فَجَاءَهُ صِيَامُهُ رَمَضَانَ فَاسْتَنْقَذَهُ وَسَقَاهُ وَأَرَوَاهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي وَالتَّبَيُّونَ قُعُودًا حَلَقًا حَلَقًا فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِي، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ

٨٠٢ - الأحاديث الطوال للطبراني (ص: ٢٧٣) حسن

الجُب: الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني، والجنابة الاسم، وهي في الأصل: البُعد. وسُمي الإنسان جُنُبًا لأنه نُهي أن يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر. وقيل لمجائبة الناس حتى يغتسل = الارتعاد: الرجفة والاضطراب من الخوف = السعف: هو ورق النخل وجريده = جاوز الشيء: مر عليه وعبره وتخطاه

ظُلْمَةً، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ، وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِي الظُّلْمَةِ؛ فَجَاءَهُ حُجَّهُ وَعُمُرُهُ فَاسْتَخْرَجَهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَهُ الثُّورَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي لَا يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُكَلِّمُونَهُ، فَجَاءَهُ صَلَاتُهُ لِلرَّحِمِ فَقَالَتْ: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَلِّمُوهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَصِلُ رَحِمَهُ؛ فَكَلَّمَهُ الْمُؤْمِنُونَ، فَكَانَ مَعَهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَقِي وَهَجَ النَّارِ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ فَكَانَتْ سِتْرًا عَلَى وَجْهِهِ، وَظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَخَذَتْهُ الرِّبَانِيَّةُ بِكُلِّ مَكَانٍ، فَجَاءَ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَأَدْخَلُوهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الرَّحِمَةِ، فَصَارَ مَعَهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ، فَجَاءَ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ قَبْلَ شِمَالِهِ، فَجَاءَ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَجَعَلَهَا فِي يَمِينِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قُرْبَ إِلَى الْمِيزَانِ، فَخَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَجَاءَ أَفْرَاطُهُ فَتَقَلُّوا مِيزَانَهُ، يَعْنِي أَوْفَالَهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَجَاءَ وَجَلُّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَضَى، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصِّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ فِي رِيحٍ عَاصِفٍ، فَجَاءَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ فَسَكَنَ رَوْعَتَهُ فَمَضَى عَلَى الصِّرَاطِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَرْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، زَحْفًا أَحْيَانًا وَيَجْتُو أَحْيَانًا، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَمَضَى عَلَى الصِّرَاطِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَعُلِقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي هَوَى فِي النَّارِ فَجَاءَتْ دُمُوعُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنَ النَّارِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَجَاءَتْ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ٨٠٣

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه، والمقصود منه قوله ﷺ «وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي

٨٠٣ - أمالي ابن بشران - الجزء الأول (ص: ١١٨) (٢٤٩) حسن

الجنو: الجلوس على الركبتين = الوجل: الخوف والخشية والفرع = السعف: هو ورق النخل وجريده = الروعة: المرة الواحدة من الرُّوع، الفَرْع

احتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ فَخَلَّصَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ،» فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة وقوله فيه: «وَأَمْرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَتْهُ عَلَى حُصَيْنٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، فَكَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ» فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،» فَيَقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ قَدْ كُفِّتَ وَهُدِيتَ وَوُقِّيتَ؛ فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِّيَ وَهُدِيَ وَوُقِّيَ. ^{٨٠٤}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يَقُولُ الشَّيْطَانُ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا عَمَلٌ " ^{٨٠٥}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِي عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، سَائِرَ يَوْمِهِ إِلَى اللَّيْلِ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا أَتَى بِهِ، إِلَّا مَنْ قَالَ أَكْثَرَ» ^{٨٠٦}
وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ وَيَشْنِي رِجْلَهُ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَالصُّبْحِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَتْ حِرْزًا مِنْ كُلِّ

^{٨٠٤} - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٠٤/٣) (٨٢٢) صحيح

وشرح ابن جريج بالتحديث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة في الأحاديث المختارة - مكتبة النهضة الحديثة (٣٧٢/٤) (١٥٤٠)

^{٨٠٥} - الدعاء للطبراني (ص: ١٥١) (٤٢٨) حسن لغيره

^{٨٠٦} - سنن ابن ماجه (١٢٤٨/٢) (٣٧٩٨) صحيح [ش - (سائر يومه) أي بقية يومه أو كله.]

مَكْرُوهٍ، وَحَرَزًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَمْ يَحِلَّ لِدَنْبٍ يُدْرِكُهُ إِلَّا الشِّرْكُ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ عَمَلًا، إِلَّا رَجُلًا يَفْضُلُهُ، يَقُولُ: أَفْضَلُ مِمَّا قَالَ ^{٨٠٧}

وعن شهر بن حوشب، قال: سمعتُ أُمَّ سَلَمَةَ تُحَدِّثُ أَنَّ فَاطِمَةَ جَاءَتْ تَشْتَكِي الْخِدْمَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَجَلَّتْ يَدَايَ مِنَ الرَّحَى الْخَبْزُ مَرَّةً، وَالْعَجِينَ مَرَّةً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ يَرْزُقُكَ اللَّهُ شَيْئًا يَأْتِيكَ، سَأَدُّكَ عَلَى شَيْءٍ خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَزِمْتَ مَضْجَعَكَ، فَسَبِّحِ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْخَادِمِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فَقُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَعَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَإِنْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تُكْتَبُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَتَحُطُّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، لَا يَحِلُّ بِدَنْبٍ كُتِبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَحَنَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشِّرْكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهِيَ تَحْرُسُكَ مَا بَيْنَ أَنْ تَقُولِيهِ غَدَوَةً إِلَى أَنْ تَقُولِيهِ عَشِيَّةً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^{٨٠٨}

وعن ابن عجلان، قال: حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَأَوْصِنِي، فَقَالَ: إِذَا تَوَجَّهْتَ فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ حَسْبِيَ اللَّهُ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، قَالَ الْمَلَكُ: هُدَيْتَ وَإِذَا قُلْتَ: حَسْبِيَ اللَّهُ، قَالَ الْمَلَكُ: حُفِظْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، قَالَ الْمَلَكُ: كُفَيْتَ. ^{٨٠٩}

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: "«إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَقَرَأْتَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَقَدْ أَمَنْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْمَوْتَ»" ^{٨١٠} ..
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي

^{٨٠٧} - مسند أحمد ط الرسالة (٥١٢ / ٢٩) (١٧٩٩٠) حسن

^{٨٠٨} - المعجم الكبير للطبراني (٣٣٩ / ٢٣) (٧٨٧) حسن

^{٨٠٩} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبة (٣٠٩ / ١٥) (٣٠٢٢٥) فيه انقطاع

^{٨١٠} - مسند البزار - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة (١٢ / ١٤) (٧٣٩٣) ضعيف

مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةَ شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْتَسِرُ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَلِإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةَ شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْتَسِرُ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنْتَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوِيَّتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أُوِيَّتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»^{٨١١}

^{٨١١} - صحيح البخاري (٣/ ١٠١) (٢٣١١) معلقا ودلائل النبوة للبيهقي محققا (٧/ ١٠٧) وتعليق التعليق (٣/

٢٩٥) (٢٣١١) صحيح

[ش (آت) اسم فاعل من أتى وأصله آتٍ فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. (يحثو) يأخذ بكفيه. (علي عيال) نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء. (أسيرك) سمي أسيرا لأنه ربطه بحبل وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل. (البارحة) أقرب ليلة مضت. (فرصدته) ترقبته. (آية الكرسي) الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا وهي قوله تعالى {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} إلى آخر الآية / البقرة ٢٥٥ / (وكانوا) أي الصحابة

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ عَلَى تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَوَجَدَ أَثَرَ كَفٍّ كَأَنَّهُ قَدْ أُخِذَ مِنْهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَهُ؟ قُلْ: سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَكَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ" قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ فَأَتَمَّ بَيْنَ يَدَيَّ، فَأَخَذْتُهُ لَأَذْهَبَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا أَخَذْتُهُ لِأَهْلِ بَيْتِ فَقَرَاءٍ مِنَ الْجَنِّ، وَلَنْ أَعُودَ، قَالَ: فَعَادَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَهُ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «قُلْ سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَكَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ» فَقُلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ، فَأَرَدْتُ لَأَذْهَبَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَعَاهَدَنِي أَنْ لَا يَعُودَ فَتَرَكَتُهُ، ثُمَّ عَادَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَهُ؟ " فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: " قُلْ: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَكَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ " فَقُلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ، قُلْتُ: عَاهَدْتَنِي فَكَذَبْتَ وَعُدْتَ، لَأَذْهَبَنَّ بِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: حَلْ عَنِّي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ، إِذَا قُلْتَهُنَّ لَمْ يَقْرَبَكَ ذَكَرٌ وَلَا أَثْنَى مِنَ الْجِنِّ، فَقُلْتُ: وَمَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتُ؟ قَالَ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ أَقْرَأْهَا عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ كَذَلِكَ؟»^{٨١٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٌ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَبِي

يحرصون على تعلم الخير فيأخذونه حيثما صدر ويبدلون في سبيله كل شيء من متاع الدنيا. (قد صدقك) أحبرك بما يوافق الواقع والحق. (وهو كذوب) من شأنه وخلقه كثرة الكذب]

وفي الحديث من الفوائد أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَعْلَمُ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ، وَأَنَّ الْحِكْمَةَ قَدْ يَتَلَقَّاهَا الْفَاجِرُ فَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا، وَتُؤْخَذُ عَنْهُ فَيَنْتَفِعُ بِهَا، وَأَنَّ الشَّخْصَ قَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْكَافِرَ قَدْ يَصْدُقُ بِبَعْضٍ مَا يَصْدُقُ بِهِ الْمُؤْمِنُ، وَلَا يَكُونُ بِذَلِكَ مُؤْمِنًا، وَأَنَّ الْكَذَّابَ قَدْ يَصْدُقُ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكْذِبَ، وَأَنَّهُ قَدْ يَتَصَوَّرُ بِبَعْضِ الصُّورِ فَيُتَمَكِّنُ رُؤْيَاهُ، وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا كَانَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ الْجِنَّ يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِ الْإِنْسِ، وَأَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ لِلْإِنْسِ لَكِنْ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ، وَأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ الْإِنْسِ، وَأَنَّهُمْ يَسْرِقُونَ وَيَخْدَعُونَ، وَفِيهِ فَضْلُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَفَضْلُ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَفِيهِ أَنَّ السَّارِقَ لَا يُقْطَعُ فِي الْمَجَاعَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْقَدَرُ الْمَسْرُوقُ لَمْ يَبْلُغِ النَّصَابَ وَلِذَلِكَ جَازَ لِلصَّحَابِيِّ الْعَفْوُ عَنْهُ قَبْلَ تَبْلِيغِهِ إِلَى الشَّارِعِ، وَفِيهِ قُبُولُ الْعُدْرِ وَالسُّتْرِ عَلَى مَنْ يُطَنُّ بِهِ الصَّدَقُ. وَفِيهِ إِطْلَاعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُعْتَبَاتِ. وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ. وَفِيهِ جَوَازُ جَمْعِ زَكَاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ لَيْلَةِ الْفِطْرِ وَتَوَكُّيلِ الْبَعْضِ لِحِفْظِهَا وَتَفَرُّقِهَا "فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (٤/ ٤٨٩)، قلت: وفيه منقبة لأبي هريرة رضي الله عنه وحبه لطلب العلم.

^{٨١٢} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥٠) (١٠٧٢٨) صحيح

حَاجَةً شَدِيدَةً، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَى حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْتُو مِنَ الطَّعَامِ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: أَمَّا إِنَّهُ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ " فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْتُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالَ لِي: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَهَا {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] وَقَالَ: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ كَذُوبٌ وَقَدْ صَدَقْتُ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثٍ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ الشَّيْطَانُ»^{٨١٣} وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا آوَى الْإِنْسَانُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، يَقُولُ الْمَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنُهُ طَرَدَ الْمَلَكُ الشَّيْطَانُ وَبَاتَ يَكْلُوهُ " ^{٨١٤}

وَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا آوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، يَقُولُ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ، وَيَقُولُ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ ذَهَبَ

^{٨١٣} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥١) (١٠٧٢٩) صحيح

^{٨١٤} - الدعاء للطبراني (ص: ٩٠) (٢٢١) صحيح

الشَّيْطَانُ وَبَاتَ الْمَلَكُ يَكْلُوهُ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، يَقُولُ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بَشِرٌ، وَيَقُولُ الْمَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، فَإِنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ إِلَيَّ نَفْسِي بَعْدَ مَوْتِهَا وَلَمْ يُمِتِّهَا فِي نَوْمِهَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ خَرَّ مِنْ دَابَّةٍ مَاتَ شَهِيدًا، وَإِنْ قَامَ فَصَلَّى صَلَّيَ فِي الْفَضَائِلِ^{٨١٥}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ»^{٨١٦}

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَعْجِزَنَّ أَحَدُكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبِنِي، وَجَنَّبِ مَا رَزَقْتَنِي الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ، فَإِنْ قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا"^{٨١٧}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا"^{٨١٨}

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبَانَ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ يُصَلِّي، إِذَا هُوَ بِشَيْءٍ إِلَى جَنْبِهِ فَهَيْلَ مِنْهُ، فَقَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ، إِنَّمَا جِئْتُكَ فِي اللَّهِ، أَتَتْ عُرْوَةَ، فَاسْأَلَهُ مَا الَّذِي يَنْعَوُذُ مِنَ الْآبَالِسِ؟ قَالَ: قُلْ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَحْدَهُ، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَاعْتَصَمْتُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَرْمَى»^{٨١٩}

^{٨١٥} - الدعوات الكبير (١/ ٥٣٧) (٤١٨) صحيح

^{٨١٦} - صحيح البخاري (١/ ٤٠) (١٤١) وصحيح مسلم (٢/ ١٠٥٨) (١١٦) - (١٤٣٤)

[يبلغ به النبي) أي يرفع الحديث ويصل به إلى النبي ﷺ وليس موقوفا على ابن عباس. (إذا أتى أهله) جامع زوجته والوقاع الجماع. (ما رزقنا) أي من ولد]

^{٨١٧} - المعجم الكبير للطبراني (٨/ ٢٠٨) (٧٨٣٩) صحيح لغيره

^{٨١٨} - صحيح البخاري (٩/ ١١٩) (٧٣٩٦)

^{٨١٩} - العدة للكرب والشدة لضياء الدين المقدسي (ص: ٧٩) (٣٦) ضعيف

وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ، وَقَالَ: "إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَقُولِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي، سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَعْلَى، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، مَا شَاءَ اللَّهُ قَضَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ مِنَ اللَّهِ مَلَجًا، وَلَا وَرَاءَ اللَّهِ مُلْتَجًا، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود: ٥٦]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: ١١١]. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَقُولُهَا عِنْدَ مَنَامِهِ، ثُمَّ يَنَامُ وَسَطَ الشَّيَاطِينِ وَالْهَوَامِّ فَتَضُرُّهُ»^{٨٢٠}

وَعَنْ سُهَيْلٍ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، قَالَ: وَمَعِيَ غُلَامٌ لَنَا - أَوْ صَاحِبٌ لَنَا - فَنَادَاهُ مُنَادٌ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ قَالَ: وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِيَ عَلَى الْحَائِطِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ: لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَى هَذَا لَمْ أُرْسِلْكَ، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَنَادِ بِالصَّلَاةِ فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا تُودِيَ بِالصَّلَاةِ وَلَّى وَلَهُ خُصَاصٌ»^{٨٢١}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأَذِينَ، فَإِذَا قَضَى الدَّاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُؤَبَّ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّوْبَةَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى" ^{٨٢٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ الدَّاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ. فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ»^{٨٢٣}

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ: كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَفْزَعُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى يَخْرُجَ وَمَعَهُ سَيْفُهُ، فَخَشِيَ عَلَيْهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ

^{٨٢٠} - عمل اليوم والليلة لابن السني (ص: ٦٦٧) ضعيف

^{٨٢١} - صحيح مسلم (١/ ٢٩١) (١٨ - ٣٨٩)

^{٨٢٢} - صحيح مسلم (١/ ٢٩١) (١٨ - ٣٨٩)

^{٨٢٣} - صحيح مسلم (١/ ٢٩١) ١٦ - (٣٨٩) [ش (أحال) ذهب هاربا]

لي: إِنَّ عَفْرِيَّتَا مِنَ الْجِنِّ يَكِيدُكَ، فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ، فَقَالَهُنَّ خَالِدٌ، فَذَهَبَ ذَلِكَ عَنْهُ. ^{٨٢٤}

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: كُنْتُ أَفْرَعُ بِاللَّيْلِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَفْرَعُ بِاللَّيْلِ فَآخِذْ سَيْفِي، فَلَا أَلْقَى شَيْئًا إِلَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِي الرُّوحُ الْأَمِينُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ»، فَقَالَهَا، فَذَهَبَتْ عَنْهُ ^{٨٢٥}

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَكْحُولٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ تَلَقَّتهُ الْجِنُّ بِالشَّرِّ يَرْمُونَهُ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، تَعُوذُ بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: فَزَجَرُوا عَنْهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا بُثَّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ. ^{٨٢٦}

وَقَالَ أَبُو التَّيَّاحِ: سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْبَلٍ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ قَالَ: جَاءَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحَرِّقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْعَبَ مِنْهُ؟ قَالَ جَعْفَرٌ: أَحْسَبُهُ جَعَلَ يَتَأَخَّرُ، وَجَاءَ جَبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ، قَالَ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي

^{٨٢٤} - صحيح البخاري (١/ ١٢٥) (٦٠٨) وصحيح مسلم (١/ ٢٩١) ١٩ - (٣٨٩)

[وله ضراط) تمثيل لشدة خوفه عند إداره أو يكون ذلك حقيقة لشدة خوفه أيضا. (ثوب) أقم للصلاة وهو المراد

هنا. (النداء) الأذان. (يخطر) يوسوس ويشغل المصلي عما هو فيه]

^{٨٢٥} - المعجم الأوسط (٥/ ٣١٥) (٥٤١٥) حسن لغيره

^{٨٢٦} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبة (١٢/ ١٠٧) (٢٤٠٦٦) صحيح لغيره

الأرض، ومن شرٍّ ما يخرج منها، ومن شرٍّ فتن الليل والنهار، ومن شرٍّ كل طارق إلا طارقاً يطرق بخيرٍ يا رحمن، قال: فطفئت نار الشياطين، وهزمهم الله.^{٨٢٧}

وعن يحيى بن سعيد، قال: سمعت رجلاً من أهل الشام يُقال له العباس يحدث عن ابن مسعود رضي الله عنه يُخبر عن النبي ﷺ قال: لما كان ليلة الجن أقبل عفريت من الجن في يده شُعلة من النار، فجعل النبي ﷺ يقرأ القرآن فلا يزداد إلا قرباً، فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام: أأأعلمك كلمات تقولهن ينكب منها لفيه، وتطفأ شعلته؟ قل: أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شرٍّ ما ينزل من السماء، ومن شرٍّ ما يعرج فيها. ومن شرٍّ ما ذرأ في الأرض، ومن شرٍّ ما يخرج منها، ومن شرٍّ فتن الليل والنهار، ومن شرٍّ طوارق الليل، ومن شرٍّ كل طارق إلا طارقاً يطرق بخيرٍ يا رحمن. فقالها، فانكب لفيه وطفئت شعلته.^{٨٢٨}

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ ليلة الجن وهو مع جبريل وأنا معه، فجعل النبي ﷺ يقرأ، وجعل العفريت يدنو ويزداد قرباً، فقال جبريل للنبي ﷺ: "أأأعلمك كلمات تقولهن فيكب العفريت لوجهه، وتطفأ شعلته، قل: أعوذ بوجه الله الكريم، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، من شرٍّ ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شرٍّ ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن شرٍّ طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخيرٍ يا رحمن، فكب العفريت لوجهه، وانطفأت شعلته.^{٨٢٩}

خامساً: لزوم جماعة المسلمين:

ومما يبعد المسلم عن الوقوع في أحابيل الشيطان أن يعيش في ديار الإسلام، ويختار لنفسه الفئة الصالحة التي تعينه على الحق، وتحضه عليه، وتذكره بالخيرات، فإن في الاتحاد والتجمع قوة وأي قوة، قال ابن بطّة: "اعلموا يا إخواني وفقنا الله وإياكم للسداد

^{٨٢٧} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبة (١٢ / ١٠٩) (٢٤٠٦٨) وصحيح الجامع (٧٤) صحيح لغيره

^{٨٢٨} - الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ٩٦) (٦٦٣) صحيح لغيره

^{٨٢٩} - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ٣٤٩) (١٠٧٢٦) صحيح

وَالْإِتْلَافِ، وَعَصَمْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّتَاتِ وَالْإِخْتِلَافِ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْلَمَنَا اخْتِلَافَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ قَبْلَنَا وَإِنَّهُمْ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فَتَفَرَّقَتْ بِهِمُ الطُّرُقُ حَتَّى صَارَ بِهِمُ الْإِخْتِلَافُ إِلَى الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْكَذِبِ عَلَيْهِ وَالتَّحْرِيفِ لِكِتَابِهِ، وَالتَّعْطِيلِ لِأَحْكَامِهِ، وَالتَّعَدِّي لِحُدُودِهِ، وَأَعْلَمْنَا تَعَالَى أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ إِلَى الْفُرْقَةِ بَعْدَ الْإِلْفَةِ، وَالْإِخْتِلَافِ بَعْدَ الْإِتْلَافِ، هُوَ شِدَّةُ الْحَسَدِ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَبَغْيُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَأَخْرَجَهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْجُحُودِ بِالْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَّهُمْ الْبَيَانَ الْوَاضِحَ بَعْدَ صِحَّتِهِ، وَكُلَّ ذَلِكَ وَجَمِيعُهُ قَدْ قَصَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا، وَأَوْعَزَ فِيهِ إِلَيْنَا، وَحَذَرَنَا مِنْ مُوَاقَعَتِهِ، وَخَوْفَنَا مِنْ مُلَابَسَتِهِ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا، وَطَوَائِفِ مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا، وَسَأَلُو عَلَيْنَا مِنْ نَبَأِ مَا قَدْ أَعْلَمْنَاهُ مَوْلَانَا الْكَرِيمُ، وَمَا قَدْ عَلِمَهُ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَأَهْلِ الْعِلْمِ، وَكُتِبَ الْحَدِيثُ وَالسُّنَنُ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَصِيرَةً لِمَنْ عَلِمَهُ، وَنَسِيَهُ، وَلِمَنْ غَفَلَهُ أَوْ جَهَلَهُ، وَيَمْتَحِنُ اللَّهُ بِهِ مَنْ خَالَفَهُ وَجَحَدَهُ، بِأَلَّا يَجْحَدَهُ إِلَّا الْمُلْحِدُونَ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا الزَّائِعُونَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ٢١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: ١٥٩] وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ { [يونس: ٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ } [الشورى: ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } [البينة: ٥] " قَالَ الشَّيْخُ: " إِيَّاهُ فَبِهَذَا نَبَأُ قَوْمٍ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ وَعَلَّمَهُمْ وَبَصَّرَهُمْ وَرَفَعَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ آخَرِينَ إِصْرَارُهُمْ عَلَى الْبَغْيِ عَلَيْهِمْ، وَالْحَسَدُ لَهُمْ إِلَى مُخَالَفَتِهِمْ، وَعَدَاوَتِهِمْ، وَمُحَارَبَتِهِمْ، فَاسْتَنْكَفُوا أَنْ يَكُونُوا لِأَهْلِ الْحَقِّ تَابِعِينَ، وَيَأْهَلِ الْعِلْمِ مُقْتَدِينَ فَصَارُوا أَئِمَّةً مُضِلِّينَ وَرُؤُسَاءَ فِي الْإِلْحَادِ مَتَّبِعِينَ رُجُوعًا عَنِ الْحَقِّ، وَطَلَبَ الرِّيَاسَةِ، وَحُبًّا لِلتَّبَاعِ وَالْإِعْتِقَادِ. وَالنَّاسُ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَسْرَابٌ كَالطَّيْرِ، يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَوْ ظَهَرَ لَهُمْ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ مَنْ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ، لَوَجَدَ عَلَى ذَلِكَ أَتْبَاعًا وَأَشْيَاعًا فَقَدْ ذَكَرْتُ مَا حَضَرَنِي مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي عَابَ اللَّهُ فِيهَا الْمُخْتَلِفِينَ، وَذَمَّ بِهَا الْبَاغِينَ، وَأَنَا الْآنَ أَذْكُرُ لَكَ الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي حَذَرْنَا فِيهَا رَبَّنَا وَتَعَالَى مِنَ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، وَأَمَرْنَا بِزُورِ الْجَمَاعَةِ وَالِائْتِلَافِ، نَصِيحَةً لِإِخْوَانِنَا وَشَفَقَةً عَلَى أَهْلِ مَذْهَبِنَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ثُمَّ حَذَرْنَا مِنْ مُوَافَقَةِ مَا أَتَاهُ مِنْ قَبْلِنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُصَيِّنَا مَا أَصَابَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: ١٠٥] فَأَخْبَرْنَا أَنَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ رَجَعُوا، وَمِنْ بَعْدِ الْبَيَانِ اخْتَلَفُوا، وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: ١٥٣] وَقَالَ تَعَالَى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } [الشورى: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا

تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ} [الروم: ٣١] فَهَلْ بَقِيَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَوْضَحُ مِنْ هَذَا الْبُرْهَانِ أَوْ أَشْفَى مِنْ هَذَا
الْبَيَانِ، وَقَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ خَلَقَ خَلْقًا لِلْاِخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، وَحَذَرْنَا أَنْ نَكُونَ
كَهُمْ لَهُمْ، وَاسْتَشْنَى أَهْلَ رَحْمَتِهِ لِنَوَاطِبِ عَلَى الْمَسْأَلَةِ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ فَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ
شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ
خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: ١١٨] ثُمَّ
حَذَرَ نَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ وَآرَاءَ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنْ
أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]، وَقَالَ: {فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ
مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]، وَقَالَ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا نَبِيَّ
إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ
فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الحاشية: ١٦]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا ذَمَّ بِهِ
الْمُخَالَفِينَ: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون: ٥٣] "
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [الأنعام: ٦٨]، وَقَوْلِهِ: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ
فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آل عمران: ٧]، وَقَوْلِهِ: {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣]، وَقَوْلِهِ: {أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: ١٣]، وَقَوْلِهِ: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا} [الأنعام: ١٥٩]، وَقَوْلِهِ: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} [آل عمران: ١٠٥]، وَقَوْلِهِ: {وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} [الأنبياء: ٩٣]. وَنَحْوُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ

كَثِيرٌ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ، وَنَهَاَهُمْ عَنِ الْاِخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ»^{٨٣٠}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ بِالْحَابِيَةِ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِي مِثْلِ مَقَامِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: «أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُوا الْكَذِبَ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لِيَحْلِفَ عَلَى الْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَحْلَفَ عَلَيْهَا، وَيَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ عَلَيْهَا، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنْ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، أَلَا وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ تَسْوَهُ سَيِّئُهُ، وَتَسْرَهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»^{٨٣١}

وَعَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَخْطُبُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «أَكْرِمُوا أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، وَيَحْلِفَ الرَّجُلُ، وَلَا يُسْتَحْلَفُ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنْ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، وَمَنْ سَرَّهَ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»^{٨٣٢}

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا قَدِمَ الشَّامَ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا كَقِيَامِي فِيكُمْ فَقَالَ: «أَكْرِمُوا أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْكَذِبُ، فَيَحْلِفُ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَّا تَحِلُّ لَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا»^{٨٣٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْحَابِيَةِ فَقَالَ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُوا الْكَذِبَ حَتَّى يَحْلِفَ

^{٨٣٠} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٧٠)

^{٨٣١} - السنن الكبرى للنسائي (٨/ ٢٨٤) (٩١٧٥) صحيح

يفشو: فشا الشيء إذا ظهر وانتشر. = بُحْبُوحَةُ: بحبوحة الجنة: وسطها، وبحبوحة كل شيء وسطه وخياره.

^{٨٣٢} - السنن الكبرى للنسائي (٨/ ٢٨٥) (٩١٧٨) صحيح

^{٨٣٣} - السنن الكبرى للنسائي (٨/ ٢٨٦) (٩١٨٠) صحيح لغيره

الرَّجُلُ، وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَحَتَّى يَشْهَدَ وَلَا يُسْتَشْهَدَ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا شَيْطَانٌ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»^{٨٣٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَرَكُ السُّنَّةَ الْخُرُوجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ»^{٨٣٥}.
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي قَبْلَهَا كَفَّارَةٌ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا كَفَّارَةٌ مَا بَيْنَهُمَا، وَالشَّهْرُ إِلَى الشَّهْرِ يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَتَرْكُ السُّنَّةِ، وَنَكْثُ الصَّفَقَةِ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ لَأَمْرٌ حَدَثَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا نَكْثُ الصَّفَقَةِ، وَتَرْكُ السُّنَّةِ؟ قَالَ: " أَمَّا نَكْثُ الصَّفَقَةِ: فَإِنَّ تَبَايَعَ رَجُلًا بِيَمِينِكَ، ثُمَّ تُخَالِفُ إِلَيْهِ فَتَقَابِلُهُ بِسَيْفِكَ، وَأَمَّا تَرْكُ السُّنَّةِ: فَالْخُرُوجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ " ^{٨٣٦}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ، فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^{٨٣٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اعْتَرَضَ أُمَّتِي لَا يَحْتَشِمُ مِنْ بَرِّهَا، وَلَا فَاجِرِهَا، وَلَا يَفِي لَدِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ خَالَفَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ أَوْ يَعْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ، فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةً»^{٨٣٨}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَخَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرِّهَا، وَفَاجِرِهَا، لَا يُحَاشِي

^{٨٣٤} - السنن الكبرى للنسائي (٢٨٦ / ٨) (٩١٨١) صحيح

^{٨٣٥} - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٨١ / ١) (١٠٧) صحيح

^{٨٣٦} - شعب الإيمان (٢٣١ / ٥) (٣٣٤٨) صحيح

^{٨٣٧} - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٨٢ / ١) (١٠٨) صحيح

^{٨٣٨} - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٨٢ / ١) (١١٠) صحيح

مُؤْمِنًا لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَفِي لَدِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَعْصِبُ لِلْعَصِيَّةِ أَوْ يُقَاتِلُ لِلْعَصِيَّةِ، فَقَتَلْتُهُ جَاهِلِيَّةً»^{٨٣٩}

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»^{٨٤٠}
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَةٍ». ^{٨٤١}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ»^{٨٤٢}
وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^{٨٤٣}
وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ ثَلَاثُ أَثْنَا فِي: الْإِيمَانُ وَالصَّلَاةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَلَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ إِلَّا بِإِيمَانٍ، وَمَنْ آمَنَ صَلَّى وَمَنْ صَلَّى جَامِعٌ، وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ. ^{٨٤٤}

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ حُدَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^{٨٤٥}

وَعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ: بِالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْجَمَاعَةِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ" ^{٨٤٦}
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «الزَّمُوا هَذِهِ الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَأَنْ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا جَعَلَ لَهُ مُنْتَهَى، وَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ تَمَّ وَإِنَّهُ صَائِرٌ إِلَى

^{٨٣٩} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٨٤) (١١٢) صحيح

^{٨٤٠} - السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤١) (٨٣) صحيح لغيره

^{٨٤١} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٨١) (١٠٧) صحيح

^{٨٤٢} - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ٤١٠) حسن

^{٨٤٣} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٩٠) (١٢١) حسن لغيره

^{٨٤٤} - مصنف ابن أبي شيبة - دار القبلة (١٥/ ٦٢٥) (٣١٠٦٦) حسن

^{٨٤٥} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٩٠) (١٢٢ و ١٢٣) حسن

^{٨٤٦} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٩٢) (١٢٥) صحيح

تُقَصَّنَ، وَإِنَّ أَمَارَةَ ذَلِكَ أَنْ تُقَطَعَ الْأَرْحَامُ، وَيُؤْخَذَ الْمَالُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَيُسْفَكَ الدِّمَاءُ وَيَشْتَكِي ذُو الْقَرَابَةِ قَرَابَتَهُ، وَلَا يَعُودُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَيَطُوفُ السَّائِلُ بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ لَا يُوضَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَارَتْ خَوَارِ الْبَقَرِ يَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ إِنَّمَا خَارَتْ مِنْ قِبَلِهِمْ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ كَذَلِكَ إِذْ قَذَفَتِ الْأَرْضُ بِأَفْلَازٍ كَبِدَهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَا يَنْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»^{٨٤٧}

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ قُطَيْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُمَا السَّبِيلُ فِي الْأَصْلِ إِلَى حَبْلِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنْ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفِرْقَةِ»^{٨٤٨}

والجماعة جماعة المسلمين، وإمام المسلمين، الذي يحكم المسلمين بالكتاب والسنة أي بما أنزل الله تعالى، ولا قيمة للجماعة في الإسلام ما لم تلتزم بالحق: الكتاب والسنة، فعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ فَقُلْتُ: فِي قَرْيَةٍ دُوَيْنَ حِمَصٍ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ» قَالَ السَّائِبُ يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ الْجَمَاعَةَ فِي الصَّلَاةِ " ^{٨٤٩}

وَعَنْ الْأَزْهَرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُحْيٍ أَبُو عَامِرٍ الْهَوَزَنِيُّ، قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أُخْبِرَ أَنَّ بِهَا قَاصًّا يُحَدِّثُ بِأَشْيَاءَ تُنْكَرُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ: أَمَرْتُ بِهِذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: عَلِمْتُ نَشْرَهُ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: لَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ لَفَعَلْتُ بِكَ، انْطَلِقْ فَلَا أَسْمَعُ أَنَّكَ حَدَّثْتَ شَيْئًا فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ قَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، فَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ آخَرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ إِلَّا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا يَوْمًا فَقَالَ: «إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي

^{٨٤٧} - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤/ ٥٩٨) (٨٦٦٣) وحلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء (٩/ ٢٤٩)

صحیح

^{٨٤٨} - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٢١) (١٥٨ و ١٥٩) صحیح

^{٨٤٩} - السنن الكبرى للنسائي (١/ ٤٤٥) (٩٢٢) صحیح

الْأَهْوَاءَ - وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، - يَعْنِي الْأَهْوَاءَ - اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ فَاعْتَصِمُوا بِهَا فَاعْتَصِمُوا بِهَا»^{٨٥٠}
وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَامَ حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ بِالنَّاسِ بِمَكَّةَ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»^{٨٥١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^{٨٥٢}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا"، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ" ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) [الأنعام: ١٥٣]^{٨٥٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ وَيَسَارِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [الأنعام: ١٥٣]

^{٨٥٠} - السنة للمروزي (ص: ١٩) (٥٠) حسن

ستفترق: قال الخطابي: قوله - ﷺ -: «ستفترق أمتي» فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة عن الملة والدين، إذ جعلهم من أمته. = يتجارى الكلب: التجارى، تفاعل من الجري، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة، والتداعي فيها، تشبيهاً بجري الفرس، والكلب: داء معروف يعرض للكلب، إذا عض حيواناً عرض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة، فإذا تجارى بالإنسان وتماذى هلك. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (١٠ / ٣٢)

^{٨٥١} - الشريعة للأجري (١ / ٣١٤) (٢٩) صحيح

^{٨٥٢} - سنن الترمذى - المكثر - (٢٨٥٣) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

^{٨٥٣} - مسند أحمد ط الرسالة (٧ / ٤٣٦) (٤٤٣٧) وتفسير ابن كثير ت سلامة (٣ / ٣٦٥) صحيح

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ يَعْنِي الْخُطُوطَ الَّتِي عَنْ يَسَارِهِ وَيَمِينِهِ^{٨٥٤}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا وَخَطًّا عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خُطَطًا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣]^{٨٥٥}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَخَطَّ خَطًّا هَكَذَا أَمَامَهُ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» وَخَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّيْنِ عَنْ شِمَالِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلُ الشَّيْطَانِ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، ثُمَّ قَالَ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]^{٨٥٦}

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورٌ، وَأَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تُعَوِّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ فَتَحَ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَفْتَحْهُ، فَالْصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورُ حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ^{٨٥٧}

^{٨٥٤} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٩٤) (١٢٧) صحيح

^{٨٥٥} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٩٢) (١٢٦) صحيح

^{٨٥٦} - مسند أحمد ط الرسالة (٢٣/ ٤١٧) (١٥٢٧٧) والإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٩٥) (١٢٩) صحيح لغيره

^{٨٥٧} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٩٦) (١٣١) صحيح

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ حَبَلٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذُئِبُ الْإِنْسَانِ كَذُئِبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالشَّارِدَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَامَةِ، وَالْجَمَاعَةِ وَالْمَسَاجِدِ»^{٨٥٨}

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ يَحْتَضِرُهُ الشَّيَاطِينُ يُنَادُونَ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلُمَّ هَذَا الصِّرَاطَ لِيَصُذُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ، فَإِنَّ حَبْلَ اللَّهِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ»^{٨٥٩}

وَعَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ ضُرَيْجٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارْقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ كَأَنَّا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ»^{٨٦٠}

وَعَنْ عَرْفَجَةَ، أَوْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ جَاءَكُمْ يُفَرِّقُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ، فَاضْرِبُوا عَنْقَهُ كَأَنَّا مَنْ كَانَ»^{٨٦١}

^{٨٥٨} - المعجم الكبير للطبراني (٢٠ / ١٦٤) (٣٤٤) والمنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي

(ص: ٦٩) (١٤) (٣٣٨ / ٤) (٢٦٠٠) صحيح لغيره

قال المناوي في الفيض ٢/ ٣٥٠: إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم أي مفسد للإنسان أي باغوائه ومهلك له كذئب أرسل في قطع من الغنم يأخذ الشاة القاصية أي البعيدة عن صوابها وهو حال من الذئب والعامل معني التشبيه وهو تمثيل مثل حالة مفارقة الجماعة واعتزاله عنهم ثم تسلط الشيطان عليه بحالة شاة شاذة عن الغنم ثم افتراس الذئب إياها بسبب انقطاعها ووصف الشاة بصفات ثلاث فالشاذة هي النافرة والقاصية هي التي قصدت البعد لا عن تنفير والناحية بجاء مهمة التي غفل عنها وبقيت في جانب منها فإن الناحية هي التي صارت من ناحية الأرض ولما انتهى التمثيل حذر فقال وإياكم والشعاب أي احذروا التفرق والاختلاف . وعليكم بالجماعة تقرير بعد تقرير وتأکید بعد تأكيد أي الزموها وكونوا مع السواد الأعظم فإن من شذ شذ إلى النار والعامه أي السواد الأعظم من المؤمنين والمسجد أي لزومه

راجع التفاصيل في كتابي ((الخلاصة في أحاديث الطائفة المنصورة)) وكتابي ((الفصل في تخريج حديث افتراق

الامة)) وكلاهما في مكتبة صيد الفوائد وغيرها

^{٨٥٩} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١ / ٢٩٩) (١٣٥) صحيح

^{٨٦٠} - السنن الكبرى للنسائي (٣ / ٤٢٨) (٣٤٦٩) صحيح

^{٨٦١} - الإبانة الكبرى لابن بطة (١ / ٣٠٢) (١٣٩) صحيح

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَإِذَا شَذَّ الشَّاذُّ مِنْهُمْ اخْتَطَفَهُ الشَّيْطَانُ كَمَا يَخْتَطِفُ الذُّبُّ الشَّاةَ مِنَ الْغَنَمِ»^{٨٦٢}

وَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِلْأَبِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^{٨٦٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشْتَرِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ هَاجَ هَيْجَةَ النَّاسِ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ فَأَمَرَ بِوَسَادَةٍ فَبَسِطَتْ لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُحَدِّثَكَ عَمَّا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَشْهَدُ لَسَمْعَتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ الطَّاعَةَ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ لَا طَاعَةَ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، قَالَ ثُمَّ أَنْصَرَفَ^{٨٦٤}

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَجَمَاعَاتُ أَهْلِ بَيْتِ النَّبَوَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَنْقُضِ الْعَهْدَ، وَلَا بَايَعَ أَحَدًا بَعْدَ بَيْعَتِهِ لِيَزِيدَ، فَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى يَبِّعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الْعَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَنْ يُبَايَعَ

^{٨٦٢} - المعجم الكبير للطبراني (١/ ١٨٦) (٤٨٩) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١١٠) (١٤٤)

حسن لغيره

^{٨٦٣} - صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٨) ٥٨ - (١٨٥١)

^{٨٦٤} - مسند عبد الله بن عمر للطرسوسي (ص: ٢٨) (٢٧) صحيح

قوله: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ» يُرِيدُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ طَاعَةِ سُلْطَانِهِ، وَعَدَا عَلَيْهِمُ بِالشَّرِّ غَرِيبَ الْحَدِيثِ لِابْرَاهِيمِ الْحَرَبِيِّ (٣/ ١٠٥٣)

رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ، فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ، وَلَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَيْلَمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. ^{٨٦٥}

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "وَمَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ وَأَصْحَابُهُ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَأَرَادُوهُ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ، فَأَبَى، فَقَالَ ابْنُ مُطِيعٍ: إِنَّ يَزِيدَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ وَيَتَعَدَّى حُكْمَ الْكِتَابِ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا رَأَيْتُمْ مِنْهُ مَا تَذْكُرُونَ، وَقَدْ حَضَرْتُهُ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَرَأَيْتُهُ مُوَاضِبًا عَلَى الصَّلَاةِ، مُتَحَرِّيًا لِلْخَيْرِ، يَسْأَلُ عَنِ الْفِقْهِ، مُلَازِمًا لِلسُّنَّةِ. قَالُوا: فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ تَصَنُّعًا لَكَ. فَقَالَ: وَمَا الَّذِي خَافَ مِنِّي أَوْ رَجَا حَتَّى يُظْهَرَ إِلَيَّ الْخُشُوعُ؟ ! أَفَأُطْلِعُكُمْ عَلَى مَا تَذْكُرُونَ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ؟ فَلَنْ كَانَ أَطْلَعُكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنَّكُمْ لَشُرَكَاءُؤُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَطْلَعُكُمْ فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَشْهَدُوا بِمَا لَمْ تَعْلَمُوا. قَالُوا: إِنَّهُ عِنْدَنَا لِحَقٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَأَيْنَاهُ. فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الشَّهَادَةِ، فَقَالَ: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزحرف: ٨٦]. وَلَسْتُ مِنْ أَمْرِكُمْ فِي شَيْءٍ. قَالُوا: فَلَعَلَّكَ تَكْرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْأَمْرَ غَيْرُكَ، فَتَحْنُ تَوَلِّيكَ أَمْرَنَا. قَالَ: مَا أَسْتَحِلُّ الْقِتَالَ عَلَى مَا تُرِيدُونَنِي عَلَيْهِ تَابِعًا وَلَا مَتَّبِعًا. قَالُوا: فَقَدْ قَاتَلْتَ مَعَ أَبِيكَ. قَالَ جِيئُونِي بِمِثْلِ أَبِي أَقَاتِلُ عَلَى مِثْلِ مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ. فَقَالُوا: فَمُرِ ابْنَيْكَ أَبَا هَاشِمٍ وَالْقَاسِمَ بِالْقِتَالِ مَعَنَا. قَالَ: لَوْ أَمَرْتُهُمَا قَاتَلْتُ. قَالُوا: فَقُمْ مَعَنَا مَقَامًا تَحْضُ النَّاسَ فِيهِ عَلَى الْقِتَالِ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَمْرُ النَّاسِ بِمَا لَا أَفْعَلُهُ وَلَا أَرْضَاهُ؟ ! إِذَا مَا نَصَحْتُ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ. قَالُوا: إِذَا نُكْرَهُكَ. قَالَ: إِذَا أَمْرُ النَّاسِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَلَّا يُرْضُوا الْمَخْلُوقَ بِسَخَطِ الْخَالِقِ. وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ. ^{٨٦٦}

^{٨٦٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٢/ ٣٣٤) (٥٠٨٨) صحيح

^{٨٦٦} - البداية والنهاية ط هجر (١١/ ٤٥٩) والعواصم من القواصم ط الأوقاف السعودية (ص: ٢٢٧) والعواصم من القواصم ط دار الجيل (ص: ٢٣٣)

* إن الذين نسبوا ليزيد ما لا يحل لهم - الرافضة للتوصل إلى التشكيك بالقرآن من وراء الطعن بمعاوية ومن بعده الخلفاء الذين ولوه وأقروه على الحكم، وهم نقلة القرآن وحفظته.

* لقد كان يزيد غائبًا عن الشام حينما مات أبوه فلما وصل دمشق جددت له البيعة، ثم جمع الناس في الجامع وخطب فيهم مما يدل على تقواه قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ، أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَبِضَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ بَعْدَهُ، وَدُونَ مَنْ قَبْلَهُ، وَلَا أَرْكِيهِ عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ أَعْلَمُ بِهِ، إِنْ عَفَا عَنْهُ فَبِرَحْمَتِهِ، وَإِنْ عَاقَبَهُ فَبِدُنْيِهِ، وَقَدْ وَلِيْتُ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَسْتُ أَسَى عَلَى طَلَبٍ، وَلَا أَعْتَدُرُ مِنْ تَفْرِيطٍ، وَإِذَا أَرَادَ

وَعَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمْ الْإِسْلَامَ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءُ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبُعْضَاءَ، فَحَدَّثْتُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: صَدَقَ وَنَصَحَ، فَحَدَّثْتُ بِهِ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ، فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّ أَنْتَ حَدَّثْتَ بِهِذَا مُحَمَّدًا؟ قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: فَحَدِّثْنِي إِذَا" ٨٦٧

سادساً: كشف مخططات الشيطان ومصادره:

عَنْ ابْنِ حَلْبَسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الدُّنْيَا، وَمَكْرُهُ مَعَ الْمَالِ، وَتَزِينُهُ عِنْدَ الْهَوَى، وَاسْتِكْمَالُهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ» ٨٦٨

فعلى المسلم أن يتعرف على سبله ووسائله في الإضلال، ويكشف ذلك للناس، وقد فعل ذلك القرآن، وقام بهذه المهمة الرسول ﷺ خير قيام، فالقرآن عرفنا الأسلوب الذي أغوى الشيطان به آدم. والرسول ﷺ كان يعرف الصحابة كيف يسترق الشيطان السمع، ويلقي بالكلمة التي سمع في أذن الكاهن أو الساحر ومعها مائة كذبة، يبين ذلك لهم كي لا ينخدعوا بأمثال هؤلاء، ويبين لهم كيف يوسوس لهم ويشغلهم في صلاتهم وعبادتهم، وكيف يحاول الشيطان أن يوهمهم بأن وضوءهم قد فسد، والأمر ليس

اللَّهُ شَيْئًا كَانَ. وَقَالَ لَهُمْ فِي خُطْبَتِهِ هَذِهِ: وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ يُعْزِيكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَإِنِّي لَسْتُ حَامِلًا أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَحْرِ، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ يُشْتَبِكُكُمْ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَلَسْتُ مُشْتَبِيًا أَحَدًا بِأَرْضِ الرُّومِ، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ يُخْرِجُ لَكُمْ الْعَطَاءَ ثَلَاثًا، وَأَنَا أَجْمَعُهُ لَكُمْ كُلَّهُ. قَالَ: فَافْتَرَقَ النَّاسُ عَنْهُ وَهُمْ لَا يُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ أَحَدًا. "العواصم من القواصم ط دار الجيل (ص: ٢٣٣) والبداءة والنهاية ط هجر (١١ / ٤٥٩)

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ: لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ وَلَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَيَّامَ الْحَرَّةِ، وَلَمَّا قَدِمَ مُسْلِمٌ بَنُ عُقْبَةَ الْمَدِينَةِ أَكْرَمَ أَبِي وَأَدْنَى مَجْلِسُهُ، وَأَعْطَاهُ كِتَابَ أَمَانٍ.

وَرَوَى الْمَدَائِنِيُّ، أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ بَعَثَ رَوْحَ بْنَ زَيْنَاعٍ إِلَى يَزِيدَ بِبِشَارَةِ الْحَرَّةِ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ قَالَ: وَقَوَّمَاهُ. ثُمَّ دَعَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الْفَهْرِيَّ فَقَالَ لَهُ: تَرَى مَا لَقِيَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَمَا الرَّأْيُ الَّذِي يُجْبِرُهُمْ؟ قَالَ: الطَّعَامُ وَالْأَعْطِيَةُ. فَأَمَرَ بِحَمْلِ الطَّعَامِ إِلَيْهِمْ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ أَعْطِيَتَهُ. وَهَذَا خِلَافُ مَا ذَكَرَهُ كَذِبَةُ الرَّوَافِضِ عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ شِمَتَ بِهِمْ وَشَفَى بِقَتْلِهِمْ.. "البداءة والنهاية ط هجر (١١ / ٦٥٤)

٨٦٧ - الإبانة الكبرى لابن بطة (١ / ٣٠٠) (١٣٦) صحيح مقطوع

٨٦٨ - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٧٩) (٤٨٩) ومكائد الشيطان (ص: ٧٨) (٥٨) حسن مقطوع

كذلك، وكيف يفرق بين المرء وزوجه، وكيف يوسوس للمرء، فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟

سابعاً: معالفة الشيطان؛

يأتي الشيطان في صورة ناصح يحرص على الإنسان كما سبق، فعلى المرء أن يخالف ما يأمر به، ويقول له: لو كنت ناصحاً أحداً لنصحت نفسك، فقد أوقعت نفسك في النار، وجلبت لها غضب الجبار، فكيف ينصح غيره من لا ينصح نفسه.

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ عَمَلًا إِلَّا سَارَ فِي قَلْبِهِ سَوْرَتَانِ، فَإِذَا كَانَتِ الْأُولَى مِنْهُمَا لِلَّهِ فَلَا تَهْدِيهِ الْآخِرَةُ"

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: "يَقُولُ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ وَلَا يُزِيلُهُ وَالَّذِي أَرَادَ الْحَسَنُ بِقَوْلِهِ فَلَا تَهْدِيهِ الْآخِرَةُ، يَقُولُ: إِذَا يَقُولُ: إِذَا صَحَّتْ نِيَّتُهُ فِي الْأَوَّلِ مَا يُرِيدُ الْأَمْرَ مِنَ الْبَرِّ فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: إِنَّكَ تُرِيدُ بِهِذِهِ الرِّيَاءَ فَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَتْ فِيهِ نِيَّتُهُ، وَهَذَا شَبِيهُ بِالْحَدِيثِ الْآخِرِ إِذَا أَتَاكَ الشَّيْطَانُ وَأَنْتَ تُصَلِّي، فَقَالَ إِنَّكَ تُرَائِي فَرِذْهَا طَوْلًا" ٨٦٩

وعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: لَقِيَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِبْلِيسَ فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: أَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ، أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ؟ قَالَ: بَلِ الرُّبُوبِيَّةُ وَالْعِظَمَةُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْطَقَنِي، ثُمَّ يَمِيتُنِي ثُمَّ يَحْيِي. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تَحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ: بَلِ الرُّبُوبِيَّةُ لِلَّهِ الَّذِي يُمِيتُنِي، وَيَمِيتُ مَنْ أَحْيَيْتَ ثُمَّ يَحْيِي.

قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لِإِلَهِ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهِ فِي الْأَرْضِ.

قَالَ: فَصَكَّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِجَنَاحِهِ صَكَّةً فَمَا تَنَاهَى دُونَ قَرْنِ الشَّمْسِ، ثُمَّ صَكَّهُ أُخْرَى فَمَا تَنَاهَى دُونَ الْعَيْنِ الْحَامِيَةِ، ثُمَّ صَكَّهُ صَكَّةً فَأَدْخَلَهُ بِحَارِ السَّابِعَةِ

فَأَسَاخَهُ فِيهَا حَتَّى وَجَدَ طَعْمَ الْحَمَاءِ، فَخَرَجَ مِنْهَا وَهُوَ يَقُولُ: مَا لَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ مَا لَقِيتُ مِنْكَ يَا ابْنَ مَرْيَمَ.^{٨٧٠}

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُصَلِّي عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَلْقِ نَفْسَكَ مِنَ الْجَبَلِ وَقُلْ: قَدَرٌ عَلَيَّ. قَالَ: يَا لَعَيْنَ! اللَّهُ يَخْتَبِرُ الْعِبَادَ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ أَنْ يَخْتَبِرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.^{٨٧١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ فِي ذِي الْكِفْلِ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِمَنْ مَعَهُ: هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُلُ لِي أَلَا يَعْضَبُ، وَيَكُونُ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي، وَيَكُونُ بَعْدِي فِي قَوْمِي؟ فَقَالَ شَابٌّ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ. فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا، فَلَمَّا مَاتَ قَامَ الشَّابُّ بَعْدَهُ فِي مَقَامِهِ فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ لِيُعْضِبَهُ. فَقَالَ الرَّجُلُ: اذْهَبْ مَعَهُ فَجَاءَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ أَنَّهُ فَأَرْسَلَ مَعَهُ آخَرَ فَجَاءَ فَقَالَ: لَمْ أَرِ شَيْئًا. ثُمَّ أَنَّهُ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَانْفَلَتَ مِنْهُ. فَسَمِيَ ذَا الْكِفْلِ لِأَنَّهُ كَفَلَ أَلَا يَعْضَبُ.^{٨٧٢}

وَعَنْ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: "إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ فَتَمَكَّثْ وَإِذَا كُنْتَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا فَتَوَخَّ وَإِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَلَا تُؤَخِّرْهُ وَإِذَا أَتَاكَ الشَّيْطَانُ وَأَنْتَ تُصَلِّي فَقَالَ: إِنَّكَ تُرَائِي فَرِذْهَا طَوَّلًا"^{٨٧٣}

وَعَنْ الْحُرَيْثِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: "إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا مِنَ الْخَيْرِ فَلَا تُؤَخِّرْهُ لَعَدٍ، وَإِذَا كُنْتَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ فَامْكُثْ مَا اسْتَطَعْتَ، وَإِذَا كُنْتَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا فَتَوَخَّ، وَإِذَا كُنْتَ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ لَكَ الشَّيْطَانُ: إِنَّكَ تُرَائِي، فَرِذْهَا طَوَّلًا"^{٨٧٤} وهذا فقه جيد منه، رحمه الله.

^{٨٧٠} - مكائد الشيطان (ص: ٧٦) (٥٤) صحيح مقطوع

^{٨٧١} - مكائد الشيطان (ص: ٧٧) (٥٦) حسن مقطوع

^{٨٧٢} - مكائد الشيطان (ص: ٧٣) (٥١) صحيح مقطوع

^{٨٧٣} - الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٩١) (٢٠٩٢) صحيح مقطوع

^{٨٧٤} - الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١٢ / ١) (٣٥) والسنن الكبرى للنسائي (١٠ / ٤٠٦)

(١١٨٥٦) صحيح مقطوع

وإذا علمنا أن أمراً ما يجبه الشيطان، ويتصف به، فعلينا أن نخالفه، فمثلاً الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، ويأخذ بشماله، لذا وجبت علينا مخالفته. فعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ، وَلِيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، وَلِيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ، وَلِيُعْطِ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ»^{٨٧٥} ورغبنا الرسول ﷺ في القيلولة، معللاً ذلك بأن الشياطين لا تقيل، فعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ..^{٨٧٦}

وحذرنا القرآن من الإسراف، وقد عدّ المبذرين إخوان الشياطين، وما ذلك إلا لأن الشياطين تحب إضاعة المال وإنفاقه في غير وجهه. قال تعالى: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)} [الإسراء: ٢٦، ٢٧] بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، عَطَفَ عَلَىٰ ذِكْرِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ، وَإِلَى صَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ الْعَابِرِينَ، الَّذِينَ انْقَطَعَتْ نَفَقَتُهُمْ.

وَالْمُبَذِّرُونَ هُمْ قُرَنَاءَ الشَّيَاطِينِ فِي السَّفْهِ وَالتَّبْذِيرِ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ كَفُورًا بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، جَحُودًا بِهَا، لِأَنَّهُ أَنْكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ.^{٨٧٧}

ومن الإسراف الإكثار من الأثاث والفراش الذي لا لزوم له، روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال له: «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِمَرْأَتِهِ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ».^{٨٧٨}

^{٨٧٥} - سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٨٧) (٣٢٦٦) صحيح

^{٨٧٦} - الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٢٦١) (١٥١) حسن - قال: نام وسط النهار

^{٨٧٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٠٥٦، بترقيم الشاملة آليا)

^{٨٧٨} - صحيح مسلم (٣/ ١٦٥١) ٤١ - (٢٠٨٤)

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُسْتَحَبَّ فِي أَدَبِ السُّنَّةِ أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ عَلَى فِرَاشٍ، وَزَوْجَتُهُ عَلَى فِرَاشٍ آخَرَ، وَلَوْ كَانَ الْمُسْتَحَبُّ لهُمَا أَنْ يَبِيتَا مَعًا عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ لَا يُرَخَّصُ لَهُ فِي اتِّخَاذِ فِرَاشَيْنِ لِنَفْسِهِ وَلِزَوْجَتِهِ، وَهُوَ إِنَّمَا يُحَسِّنُ لَهُ مَذْهَبَ الْاِقْتِصَادِ، وَالْاِقْتِصَادُ أَقْلُ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ. شرح السنة للبيهقي (١٢/ ٥٥)

ومن هذا المنطلق أمرنا الرسول ﷺ بأن نَمِيطَ الأذى عن اللقمة التي تسقط من أحدنا، ولا نتركها للشيطان، فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللَّقْمَةُ، فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَّغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ».^{٨٧٩}

مراكب الشيطان:

هذه الخيول والدواب التي يقامر عليها ويراهن عليها تعدّ من مراكب الشياطين، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ: فَالَّذِي يُرَبِّطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَعَلَفَهُ وَرَوَّثَهُ وَبَوَّلَهُ، وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ: فَالَّذِي يُقَامَرُ أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ: فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الْإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ"^{٨٨٠} وَعَنْ حَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْخَيْلُ ثَلَاثٌ فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ: فَمَا أُتْخِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقُوتِلَ عَلَيْهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ: فَمَا اسْتَبْطِنَ وَتُحْمَلُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ: فَمَا رُوِهِنَ عَلَيْهِ وَقُومِرَ عَلَيْهِ"^{٨٨١}

العجلة من الشيطان:

^{٨٧٩} - صحيح مسلم (١٦٠٧/٣) - ١٣٥ - (٢٠٣٣)

^{٨٨٠} - مسند أحمد ط الرسالة (٦/٢٩٨) (٣٧٥٦) صحيح

قال السندي: قوله: وذكر ما شاء الله: الظاهر أنه كناية عما عده مع العلف، والخير مقدر لظهوره، وجاء في حديث أبي هريرة، أي: حسنات، ويحتمل أنه كناية عن الخير، فإنه نسيه، فكنى عنه بذلك، والله تعالى أعلم، فالذي يقامر أو يرهّن عليه، أي: اتخذ لذلك فقط، وإلا فإذا اتخذ الله يجوز عليه المراهنة، ويكون من قبيل: (وأعدوا لهم ما استطعتم [الأنفال: ٦٠])، والله تعالى أعلم

^{٨٨١} - المعجم الكبير للطبراني (٤/٨٠) (٣٧٠٧) ضعيف

من الصفات التي يحبها الشيطان العجلة؛ لأنها توقع الإنسان في كثير من الأخطاء، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرُ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ" ^{٨٨٢} وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنَاءَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» ^{٨٨٣} فَعَلَيْنَا أَنْ نَخَالَفَ الشَّيْطَانَ فِي ذَلِكَ، وَنَتَّبِعَ مَا يَرْضَى الرَّحْمَنُ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَشَجِّ أَشَجَّ عَبْدَ الْقَيْسِ: "إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ" ^{٨٨٤}

التَّائِبُ:

ومما يحبه الشيطان من الإنسان التَّائِبُ؛ ولذا أمرنا الرسول ﷺ بكظمه ما استطعنا، فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظَمْ مَا اسْتَطَاعَ» ^{٨٨٥} وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّائِبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقَّقَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمَّتَهُ، وَأَمَّا التَّائِبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَـ، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ" ^{٨٨٦}

وذلك لأن التَّائِبَ علامة الكسل، والشيطان يعجبه ويفرحه من الإنسان كسله وفتوره؛ إذ بذلك يقل عمله وبذله الذي يرفعه عند ربه.

^{٨٨٢} - شعب الإيمان (٦/ ٢١١) (٤٠٥٨) حسن

^{٨٨٣} - مكارم الأخلاق للطبراني (ص: ٣٢١) (٢٧) حسن لغيره

^{٨٨٤} - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٢٠٦) (٥٨٦) وصحيح مسلم (٤٨/ ١) - (١٨)

^{٨٨٥} - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٣) - (٢٩٩٤)

[ش (إذا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ) وقع ههنا في بعض النسخ تَنَاءَبَ بالمد مخففا وفي أكثرها تَنَاءَبَ الواو وكذا وقع في الروايات الثلاث بعد هذه تَنَاءَبَ بالواو قال القاضي قال ثابت ولا يقال تَنَاءَبَ بالمد مخففا بل تَنَاءَبَ بالتشديد الهمزة قال ابن دريد أصله من تَنَاءَبَ الرجل بالتشديد فهو منتصب إذا استرخى وكسل قال الجوهري يقال تَنَاءَبَتِ بالمد مخففا على تفاعلت ولا يقال تَنَاءَبَ (فليكظم) الكظم هو الإمساك قال العلماء أمر بكظم التَّائِبَ ورده ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخوله فمه وضحكه منه]

^{٨٨٦} - صحيح البخاري (٨/ ٤٩) (٦٢٢٣) [ش (العطاس) اندفاع الهواء من الأنف بعنف وصوت

لعارض. (يشمته)]

تعس الشيطان:

عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رِذْفٍ، رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا عَثَرْتَ بِكَ الدَّابَّةُ فَلَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ يَتَعَاظِمُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقَوَّتِي صَنَعْتُهُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَتَصَاغَرُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ" ^{٨٨٧}

وَعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَثَرَ بَعِيرُنَا فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ يَسْتَعْظِمُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقْوَى، وَلَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ. ^{٨٨٨}

قال الطحاوي: "فَقَالَ قَائِلٌ فَقَدْ رَوَيْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ لِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يُلَبَّسُ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهُ وَصَلَاتُهُ أَنْ يَخْسَأَهُ وَذَلِكَ مُثَبَّتٌ مِنْهُ لَهُ وَذَكَرَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِينِي فَيُلَبَّسُ عَلَيَّ قِرَاءَتِي قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَتَاكَ فَاخْسَأْهُ فَفَعَلْتُ فَذَهَبَ عَنِّي"

وفي رواية: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَالِ الشَّيْطَانِ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا حَسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ وَانْقُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا"

فَقَالَ هَذَا الْمُعَارِضُ فَهَلْ تَجِدُونَ وَجْهًا يُخْرِجُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَى الْآخَرِ حَتَّى يَنْتَفِي عَنْهُمَا التَّضَادُّ وَالِاخْتِلَافُ. فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ عَلَى بَنِي آدَمَ هُوَ وَسُوسَتُهُ إِيَّاهُمْ وَإِقَاعُهُ فِي قُلُوبِهِمْ مَا لَا يُحِبُّونَ وَإِنْ سَاوَاهُ إِيَّاهُمْ مَا يَذْكُرُونَ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ صَاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} [الكهف: ٦٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢] فِي قِصَّةِ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَشْيَاءُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، [ص: ٣٤٦] وَلَمْ يُجْعَلْ لَهُ سُلْطَانٌ

^{٨٨٧} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٢٠٥) (١٠٣١٢) صحيح

^{٨٨٨} - المستدرک علی الصحیحین - دار المعرفة بیروت (٤/ ٢٩٢) (٧٧٩٣) صحیح

تعس: أي خاب وخسر. = تصاغر: من الصغار، وهو الذل والهوان، أو هو من الصغر، أي: صار صغيراً بعد عظمه.

فِي إِعْثَارِ دَوَابِّهِمْ وَلَا فِي اسْتِهْلَاكِ أَمْوَالِهِمْ وَأَمَرُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: ٩٨]. فَلَمَّا كَانَ مِنْ رَدْفِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ عُثُورِ جَمَلِهِ أَوْ حِمَارِهِ قَوْلُهُ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ ، وَالتَّعَسَّ: هُوَ السُّقُوطُ عَلَى أَنَّهُ جُعِلَ ذَلِكَ فِعْلًا لِلشَّيْطَانِ لِسُؤَالِهِ بِقَوْلِ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ ، أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ نَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ مَوْقِعٌ لِلشَّيْطَانِ أَنْ ذَلِكَ الْفِعْلُ كَانَ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ ذَلِكَ بِسْمِ اللَّهِ حَتَّى لَا يَكُونَ عِنْدَ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ فِعْلٌ وَلَمَّا كَانَ مِنْ تَشَكِّي عُثْمَانَ إِلَيْهِ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ مَا شَكَاهُ إِلَيْهِ مِنْهُ مِمَّا هُوَ مَوْهُومٌ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ سُلْطَانِهِ عَلَى بَنِي آدَمَ أَمَرَهُ أَنْ يَخْسَأَهُ ، وَهُوَ الْإِبْعَادُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا} فَخَرَجَ مَعْنَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ بِمَا لَا مُضَادَّةَ فِيهِ لِمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ مِنْهُمَا وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ^{٨٨٩}.

ثامناً: التوبة والاستغفار:

ومما يواجه به العبد كيد الشيطان أن يسارع بالتوبة والأوبة إلى الله إذا أغواه الشيطان، وهذا دأب عباد الله الصالحين، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١]. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ الْمُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا أَلَمَ بِهِمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ بَوَسْوَسَتِهِ إِلَيْهِمْ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، أَوْ لِيُوقِعَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ... تَذَكَّرُوا أَنْ هَذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ عَدُوِّهِمْ وَتَذَكَّرُوا أَنْ رَبَّهُمْ قَدْ حَذَّرَهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزَّغَهُ، وَبَوَسْوَسَتِهِ، فَتَابُوا وَأَنَابُوا وَاسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ، وَرَجَعُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا هُمْ قَدْ اسْتَقَامُوا وَصَحَّوْا (مُبْصِرُونَ) ^{٨٩٠}

وهذا يدل على أن الشيطان يكاد يجعل الإنسان في عمية لا يرى الحق ولا يبصره. مما يلقيه عليه من غشاوة، وما يغشي به القلب من الشبهات والشكوك. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ

^{٨٨٩} - شرح مشكل الآثار (١/ ٣٤٣) فما بعدها

^{٨٩٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١١٥٦، بترقيم الشاملة آليا)

اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي. " ٨٩١

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي " ٨٩٢

وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ الْخَزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ أَصْغَرُ فِيهِ وَلَا أَذْهَبُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغِيْظُ مِنْهُ فِي يَوْمٍ عَرَفَةٍ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِمَّا يَرَى مِنْ تَنْزُلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِلَّا مَا رُئِيَ يَوْمَ بَدْرٍ. فَقِيلَ: وَمَا الَّذِي رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ " ٨٩٣

وَعَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ ، قَالَ: "بَلَعْنَا أَنَّ الْخَبِيثَ، إِبْلِيسَ تَبَدَّى لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْصَحَكَ فَقَالَ: كَذَبْتَ أَنْتَ لَا تَنْصَحُنِي وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَنْ بَنِي آدَمَ، فَقَالَ: هُمْ عِنْدَنَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ:

أَمَّا صِنْفٌ مِنْهُمْ فَهُمْ أَشَدُّ الْأَصْنَافِ عَلَيْنَا نُقْبِلُ حَتَّى نَفْتِنَهُ وَنَسْتَمَكِّنَ مِنْهُ ثُمَّ يَفْرُغُ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ فَيُفْسِدُ عَلَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكْنَا مِنْهُ، ثُمَّ نَعُودُ لَهُ فَيَعُودُ، فَلَا نَحْنُ نَيْسَ مِنْهُ وَلَا نَحْنُ نُدْرِكُ مِنْهُ حَاجَتَنَا، فَنَحْنُ مِنْ ذَلِكَ فِي عَنَاءٍ.

وَأَمَّا الصِّنْفُ الْآخَرُ فَهُمْ فِي أَيْدِينَا بِمَنْزِلَةِ الْكُرَةِ فِي أَيْدِي صِبْيَانِكُمْ تُلْقِيهِمْ كَيْفَ شِئْنَا قَدْ كَفَوْنَا أَنْفُسَهُمْ.

٨٩١ - المستدرک علی الصحیحین - دار المعرفة بیروت (٤/ ٢٦١) (٧٦٧٢) حسن

٨٩٢ - مسند أحمد ط الرسالة (١٧/ ٣٤٤) (١١٢٤٤) حسن

٨٩٣ - موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ٤٢٢) (٢٤٥) وأخبار مكة للفاكهي (٤/ ٣٢١) (٢٧٦٢) صحيح مرسل
الدحر: الطرد والإبعاد. = وزعت القوم أزعمهم ، أي كفتهم، والوازع: الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر ،
ووزعت الجيش: إذا حبست أولهم على آخرهم.

وَأَمَّا الصَّنَفَ الْآخَرَ فَهُمْ مِثْلُكَ مَعْصُومُونَ لَا تَقْدِرُ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: عَلَى ذَلِكَ هَلْ قَدَرْتَ مِنِّي عَلَى شَيْءٍ ، قَالَ: لَا إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فَإِنَّكَ قَدَّمْتَ طَعَامًا تَأْكُلُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَشْهِيهِ إِلَيْكَ حَتَّى أَكَلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُ فَنِمْتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَمْ تَقُمْ إِلَى الصَّلَاةِ كَمَا كُنْتَ تَقُومُ إِلَيْهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: لَا جَرَمَ لَا شَبِعْتَ مِنْ طَعَامٍ أَبَدًا حَتَّى أَمُوتَ. فَقَالَ لَهُ الْخَبِيثُ: لَا جَرَمَ لَا نَصَحْتَ آدَمِيًّا بَعْدَكَ ^{٨٩٤}

وعن ثابت البناني، قال: "بَلَغَنِي أَنَّ إِبْلِسَ ظَهَرَ لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَأَى عَلَيْهِ مَعَالِيْقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا إِبْلِسُ مَا هَذِهِ الْمَعَالِيْقُ الَّتِي أَرَى عَلَيْكَ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّهَوَاتُ الَّتِي أُصِيبُ بِهِنَّ ابْنُ آدَمَ قَالَ: فَهَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: رُبَّمَا شَبِعْتَ فَتَقَلْنَاكَ عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ الذِّكْرِ قَالَ: هَلْ غَيْرُ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَمْلَأَ بَطْنِي مِنَ الطَّعَامِ أَبَدًا، قَالَ إِبْلِسُ: وَلِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَنْصَحَ مُسْلِمًا أَبَدًا ^{٨٩٥}

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْقٍ قَالَ: لَقِيَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِبْلِسَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْلِسُ أَخْبِرْنِي مَا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ الْمُؤْمِنُ الْبَخِيلُ، وَأَبْغَضُهُمْ إِلَيَّ الْفَاسِقُ السَّخِي. قَالَ يَحْيَى: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْبَخِيلَ قَدْ كَفَانِي بُخْلُهُ، وَالْفَاسِقُ السَّخِي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَطْلُعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي سَخَاهُ فَيَقْبَلَهُ، ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّكَ يَحْيَى لَمْ أَخْبِرْكَ. ^{٨٩٦}

هذه حال عباد الله: الرجوع من قريب، والتوبة والإنابة إلى الله، ولهم في ذلك أسوة بأبيهم آدم، فإنه لما أكل من الشجرة، تلقى من ربه كلمات فتاب عليه، وتوجه آدم وزوجه إلى الله قائلين: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف: ٢٣].

^{٨٩٤} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨ / ١٤٨) ومكائد الشيطان (ص: ٧٤) (٥٢) صحيح مقطوع

^{٨٩٥} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢ / ٣٢٨) والزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٦٥) (٣٩٣) صحيح مقطوع

لا جرم: هذه كلمة ترد بمعنى تحقيق الشيء. وقد اختلف في تقديرها، فقيل: أصلها التبرئة بمعنى لا بُدَّ، ثم استعملت في معنى حقاً. وقيل جرم بمعنى كسب. وقيل بمعنى وجب وحق.

^{٨٩٦} - مكائد الشيطان (ص: ٧٥) (٥٣)

قَالَ آدَمُ وَزَوْجُهُ نَادِمِينَ مُتَضَرِّعِينَ: رَبَّنَا إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِطَاعَتِنَا لِلشَّيْطَانِ، وَمَعْصِيَتِنَا لِأَمْرِكَ، وَقَدْ أَذْرَرْتَنَا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا مَا ظَلَمْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا، وَتَرْحَمَنَا بِالرَّضَا عَنَّا، وَتُوقِفَنَا لِلْهِدَايَةِ، وَتَرْكِ الظُّلْمِ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ لَأَنْفُسِنَا.^{٨٩٧}

إنها خصيصة «الإنسان» التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه.. الاعتراف، والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة به، وطلب رحمته. مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته.. وإلا كان من الخاسرين..

وهنا تكون التجربة الأولى قد تمت. وتكشفت خصائص الإنسان الكبرى. وعرفها هو وذاتها. واستعد - بهذا التنبيه لخصائصه الكامنة - لمزاولة اختصاصه في الخلافة وللدخول في المعركة التي لا تهدأ أبدا مع عدوه.. «قَالَ: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. قَالَ: فِيهَا تَحْيَوْنَ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ»..

لقد هبطوا جميعا إلى الأرض.. آدم وزوجه، وإبليس وقبيله. هبطوا ليصارع بعضهم بعضا، وليعادي بعضهم بعضا ولتدور المعركة بين طبيعتين وخليقتين: إحداهما محمضة للشر، والأخرى مزدوجة الاستعداد للخير والشر وليتم الابتلاء، ويجري قدر الله بما شاء. وكتب على آدم وذريته أن يستقروا في الأرض ويمكنوا فيها، ويستمتعوا بما فيها إلى حين. وكتب عليهم أن يحيا فيها ويموتوا ثم يخرجوا منها فيبعثوا.. ليعودوا إلى ربهم فيدخلهم جنته أو ناره، في نهاية الرحلة الكبرى.. وانتهت الجولة الأولى لتتبعها جولات وجولات، ينتصر فيها الإنسان ما عاذ بربه. وينهزم فيها ما تولى عدوه.^{٨٩٨}

أما أولياء الشيطان فهم كما قال الله فيهم: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠٢].

وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهُمْ الْجَاهِلُونَ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ اللَّهَ، تَمَكَّنُ الشَّيَاطِينُ مِنْ إِغْوَائِهِمْ فَيَمُدُّونَهُمْ فِي غِيْبِهِمْ وَفَسَادِهِمْ، وَيَزِيدُونَهُمْ ضَلَالًا، وَلَا يَكْفُونَ عَنْ ذَلِكَ وَلَا

^{٨٩٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٩٧٨، بترقيم الشاملة آليا)

^{٨٩٨} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١٧١٥)

يُقَصِّرُونَ فِيهِ، لَا تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، إِذَا شَعَرْتُمْ بِالْزُرُوعِ إِلَى الشَّرِّ وَلَا يَسْتَعِيدُونَ بِاللَّهِ مِنْ نَزْعِ الشَّيْطَانِ وَمَسِّهِ. ٨٩٩

وهم أتباعهم والمستمعون لهم، القابلون لأوامرهم يمدونهم في الغي: أي بالتزيين والتحسين للذنوب والمعاصي، بلا كلل ولا ملل. كقوله: { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزْأًا } [مریم: ٨٣].

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَلَّطَ الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، لِيَعُوَّهُمْ، وَيُعْرِوَّهُمْ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَيَهَيِّجُوهُمْ لِلْوُقُوعِ فِيهَا؟ ٩٠٠

تاسعاً: إزالة اللبس والغموض الذي يدخل الشيطان منه إلى النفوس:

لا تقف مواقف الشبهة، وإذا حدث ذلك فوضِّح للناس حالك، حتى لا تدع للشيطان فرصة الوسوسة في صدور المسلمين، ولك أسوة في رسول الله ﷺ في هذا. فقد روى البخاري ومسلم عن صفية بنت حيي، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثَنِي ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنَهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ» فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا" ٩٠١

وعن علي بن حسين، أن صفية - زوج النبي ﷺ - أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا»، قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ

٨٩٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١١٥٧، بترقيم الشاملة آليا)

٩٠٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٣٣٣، بترقيم الشاملة آليا)

٩٠١ - صحيح البخاري (٤/ ١٢٤) (٣٢٨١) وصحيح مسلم (٤/ ١٧١٢) ٢٤ - (٢١٧٥)

[ش (ليقيني) أي ليردني إلى منزلي (على رسلكما) هو بكسر الراء وفتحها لغتان والكسر أفصح وأشهر أي على هيتكما في المشي فما هنا شيء تكرهانه]

اللَّهُ ﷻ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا» ٩٠٢

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَعَ إِحْدَى نِسَائِهِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَدَعَا، فَجَاءَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ هَذِهِ زَوْجَتِي فَلَانَةُ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِهِ، فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ» ٩٠٣

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْعِلْمِ اسْتِحْبَابُ أَنْ يَحْذَرَ الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ مِمَّا تَجْرِي بِهِ الظُّنُونُ وَيَخْطُرُ بِالْقُلُوبِ، وَأَنْ يَطْلُبَ السَّلَامَةَ مِنَ النَّاسِ بِإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ مِنَ الرَّيْبِ، وَيُحْكِي فِي هَذَا عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَافَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقَعَ فِي قُلُوبِهِمَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ فَيَكْفُرَا، وَإِنَّمَا قَالَهُ ﷺ شَفَقَةً مِنْهُ عَلَيْهِمَا لَا عَلَى نَفْسِهِ. ٩٠٤

٩٠٢ - صحيح البخاري (٨٢ / ٤) (٣١٠١) [ش (نفذا) مضيا في طريقيهما وتجاوزاه. (شينا)]

لَمْ يَنْسُبْهُمَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَنَّهُمَا يَظُنَّانِ بِهِ سُوءًا لِمَا تَقَرَّرَ عِنْدَهُ مِنْ صِدْقِ إِيْمَانِهِمَا، وَلَكِنْ خَشِيَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُوسَّوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمَا غَيْرُ مَعْصُومَيْنِ، فَقَدْ يُفْضِي بِهِمَا ذَلِكَ إِلَى الْهَلَاكِ، فَبَادَرَ إِلَى إِعْلَامِهِمَا حَسْمًا لِلْمَادَّةِ، وَتَعْلِيمًا لِمَنْ بَعْدَهُمَا إِذَا وَقَعَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ كَمَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ كَانَ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عُيَيْنَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّمَا قَالَ لَهُمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِمَا الْكُفْرَ إِنْ ظَنَّا بِهِ التُّهْمَةَ، فَبَادَرَ إِلَى إِعْلَامِهِمَا نَصِيحَةً لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَقْذِفَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِمَا شَيْئًا يَهْلِكَانِ بِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ جَوَازُ اشْتِغَالِ الْمُعْتَكِفِ بِالْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ مِنْ تَشْيِيعِ زَائِرِهِ وَالْقِيَامَ مَعَهُ وَالْحَدِيثَ مَعَ غَيْرِهِ، وَإِبَاحَةَ خَلْوَةِ الْمُعْتَكِفِ بِالزَّوْجَةِ، وَزِيَارَةِ الْمَرْأَةِ لِلْمُعْتَكِفِ، وَبَيَانُ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْإِثْمَ، وَفِيهِ التَّحَرُّزُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِسُوءِ الظَّنِّ وَالِاحْتِفَازُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَالِاعْتِذَارُ، قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: وَهَذَا مُتَّكِدٌ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ يُقْتَدَى بِهِ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلًا يُوجِبُ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ فِيهِ مَخْلَصٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ إِلَى إِبْطَالِ الْإِتِّفَاعِ بِعِلْمِهِمْ، وَمَنْ ثُمَّ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: يُنْبَغِي لِلْحَاكِمِ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْمَحْكُومِ عَلَيْهِ وَجْهَ الْحُكْمِ إِذَا كَانَ خَافِيًا نَفْسًا لِلتُّهْمَةِ، وَفِيهِ جَوَازُ خُرُوجِ الْمَرْأَةِ لَيْلًا. فتح الباري لابن حجر - (ج ٦ / ص ٣٢٦)

٩٠٣ - صحيح مسلم (١٧١٢ / ٤) ٢٣ - (٢١٧٤) والأدب المفرد مخرجا (ص: ٤٣٨) (١٢٨٨)

[ش (هذه زوجتي) هكذا هو في جميع النسخ زوجتي وهي لغة صحيحة وإن كان الأشهر حذفها وبالحذف جاءت آيات القرآن والإنبات كثير أيضا (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) قال القاضي وغيره قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان في مجاري دمه وقيل هو الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه وقيل إنه يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل وسوسته إلى القلب]

٩٠٤ - تلبس إبليس (ص: ٣٣)

ومما أرشدنا الله إليه القول الحسن مع الآخرين حتى لا يدخل الشيطان بيننا وبين إخواننا، فيوقع العداوة بيننا والبغضاء، قال تعالى: { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا } [الإسراء: ٥٣].
يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَنْصَحَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقُولُوا فِي مُحَاطَبَاتِهِمْ، وَمُحَاوَرَتِهِمْ الْكَلَامِيَّةَ، الْعِبَارَاتِ الْأَحْسَنَ، وَالْكَلِمَاتِ الْأَطْيَبَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَوْقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرَّ وَالْمُخَاصَمَةَ، وَالْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، فَهُوَ عَدُوٌّ لِدُرِّيَّةِ آدَمَ، ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ سَافِرُهَا.^{٩٠٥}

وهذا أمر تساهل فيه بعض الناس، فتراهم يقولون الكلام الموهم الذي يحتمل وجوهاً عدة بعضها سيء، وقد يرمي أحدهم أخاه بألفاظ يكرهها، ويناديه بألقاب يمجتها، فيكون ذلك مدخلاً للشيطان، فيفرق بينهما، ويحل العداة محل الوفاق والألفة.^{٩٠٦}

النفس البشرية في معترك الصراع:

في ختام هذا الفصل أحب أن أثبت مبحثاً مهماً من كلام ابن القيم صوّر فيه - رحمه الله - حقيقة الصراع وطبيعته، يقول ابن القيم ما ملخصه: "إن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمي واختاره من بين سائر البرية، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة، وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته في جنته، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه"^{٩٠٧}.

ثم يقول ابن القيم ما نصه: "فهو (أي الشيطان) يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد: ثلاثة مسلطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطهرهم، والجوارح آلة منقاد، فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يجموا.

^{٩٠٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٠٨٣، بترقيم الشاملة آليا)

^{٩٠٦} - انظر كتاب عالم الجن والشياطين: أسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان

^{٩٠٧} - الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٧)

هذا مقتضى حال العبد، فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر، وأمدّه بمدد آخر، يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر، أمره الملك بأمر ربه، وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلم به مرة، وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل، والمحفوظ من حفظه الله تعالى.

وجعل الله له مقابل نفسه الأمانة نفساً مطمئنة، إذا أمرته النفس الأمانة بالسوء، نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمانة عن الخير، أمرته به النفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة، وهذه مرة، وهو الغالب عليه منهما، وربما انقهرت إحدهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً.

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمانة نوراً وبصيرة، وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى، ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر، فإن المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامية، وقطاع الطريق، إن سرت خلف هذا الدليل.

فهو يطيع الناصح مرة، فيبين له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة، فيقطع عليه الطريق، ويؤخذ ماله، وتسلب ثيابه، فيقول: ترى من أين أتيت؟ والعجب أنه يعلم من أين أتى، ويعرف الطريق التي قطعت عليه، وأخذ فيها، ويأبى إلا سلوكها، لأنّ دليله تمكن منه، وتحكم فيه، وقوي عليه، ولو أضعفه بالمخالفة له، وزجره إذا دعاه، ومحاربتة إذا أراد أخذه، لم يتمكن منه، ولكن هو مكنه من نفسه، وهو أعطاه يده. فهو بمثالة الرجل يضع يده في يد عدوه، فيباشره ثم يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يغاث، فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمانة، ثم يطلب الخلاص، فيعجز عنه.

فلما أن بُلي العبد بما بُلي به، أعين بالعساكر والعدد والحصون، وقيل: قاتل عدوك وجاهده، فهذه الجنود خذ منها ما شئت، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها، ورابط إلى الموت، فالأمر قريب، ومدة المراقبة يسيرة جداً، فكأنك بالملك الأعظم

وقد أرسل إليك رسله، فنقلوك إلى داره، واسترحت من هذا الجهاد، وفرق بينك وبين عدوك، وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت، وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه.

فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه، وأيس من الروح والفرج، وأنت فيما اشتهدت نفسك، وقررت عينك، جزاءً على صبرك في تلك المدة اليسيرة، ولزومك النغر للرباط، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت، وكأن الشدة لم تكن.

فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه، فليتدبر قوله عز وجل: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) [الأحقاف: ٣٥] وقوله عز وجل: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) [النازعات: ٤٦]، وقوله عز وجل: (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ - قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ - قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [المؤمنون: ١١٢-١١٤]، وقوله تعالى: (يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا - يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا - نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) [طه: ١٠٢-١٠٤]

عن أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى مُعِيرَبَانَ الشَّمْسِ، حَفَظَهَا مَنْ حَفَظَهَا، وَنَسِيَهَا مَنْ نَسِيَهَا، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، مِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّدُ مُؤْمِنًا، وَيَحْيَا مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّدُ كَافِرًا، وَيَحْيَا كَافِرًا، وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّدُ مُؤْمِنًا، وَيَحْيَا مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ كَافِرًا، أَلَا إِنَّ خَيْرَ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، أَلَا وَشَرُّ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ سَيِّئَ الْقَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ، فَإِذَا كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ، أَوْ حَسَنَ الطَّلَبِ سَيِّئَ الْقَضَاءِ فَإِنَّهَا بِهَا، أَلَا وَإِنْ شَرَّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، أَلَا وَخَيْرُ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ، فَإِذَا كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا، وَإِذَا كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ

بَطِيءَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا، أَلَا إِنَّ الْعَصَبَ حَمْرَةٌ تَوَقَّدُ فِي حَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْأَرْضُ الْأَرْضُ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءً بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ» قَالَ الْحَسَنُ: يُنْصَبُ عِنْدَ اسْتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا وَلَا غَادِرٌ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ» ٩٠٨

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُنَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى سَعَفِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا» ٩٠٩
 عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذِهِ الْخُطْبَةَ وَكَانَ آخِرَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، حَمْدَ اللَّهِ، وَأَتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا، وَلَمْ تَتْرَكُوا سُدًى، وَإِنْ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ، وَيَفْصِلَ بَيْنَكُمْ، وَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَحُرِمَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذَرَ اللَّهَ الْيَوْمَ وَخَافَهُ، وَبَاعَ نَافِلًا بَبَاقٍ، وَقَلِيلًا بَكْثِيرٍ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ، وَسَتَصِيرُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْبَاقِينَ، وَكَذَلِكَ حَتَّى تُرَدُّوا إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ تُشَيِّعُونَ كُلَّ يَوْمٍ غَادِيًا وَرَائِحًا، قَدْ قَضَى نَحْبَهُ، وَانْقَضَى أَجَلُهُ، حَتَّى تُعَيِّبُوهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ، فِي شِقِّ صَدْعٍ، ثُمَّ تَتْرُكُوهُ غَيْرَ مُمَهَّدٍ وَلَا مُوسَّدٍ، فَارْقَ الْأَحْبَابَ، وَبَاشَرَ التُّرَابَ، وَوَجَّهَ لِلْحِسَابِ، مُرْتَهِنٌ بِمَا عَمِلَ، غَنِيٌّ عَمَّا تَرَكَ، فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَمُؤَافَاتِهِ، وَحُلُولَ الْمَوْتِ بِكُمْ، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُبَلِّغُنَا حَاجَتَهُ لَا يَسْعَ لَهُ مَا عِنْدَنَا إِلَّا تَمَنَّيْتُ أَنْ يَبْدَأَ بِي وَبِخَاصَّتِي، حَتَّى يَكُونَ عَيْشُنَا وَعَيْشُهُ وَاحِدًا، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنْ غَضَارَةِ الْعَيْشِ لَكَانَ اللِّسَانُ بِهِ ذُلُولًا، وَكُنْتُ بِأَسْبَابِهِ عَالِمًا، وَلَكِنْ

٩٠٨ - مسند أبي داود الطيالسي (٣/ ٦١٥) (٢٢٧٠) حسن

٩٠٩ - الزهد لابن أبي عاصم (ص: ٩٥) (١٨٩) صحيح

سَبَقَ مِنَ اللَّهِ كِتَابُ نَاطِقٍ، وَسُنَّةٌ عَادِلَةٌ، دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَ رِدَائِهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ»^{٩١٠}

والمقصود أن الله - عز وجل - قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود، والعدد، والأمداد، وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه، وبماذا يفتك نفسه إذا أسر. وعن زيد بن سلام، أن أبا سلام، حدثه أن الحارث الأشعري، حدثه أن النبي ﷺ قال: "إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يُطغى بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا أمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلت المسجد وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن، أوألهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه ذاري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأياكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصاة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، [ص: ١٤٩] وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقد موه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله"، قال النبي ﷺ: «وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة

^{٩١٠} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٢٩٥) وقصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ٦٦) (٧٢) وترتيب الأمالي

الخميسية للشجري (٦/ ٢) (١٣٩٧) صحيح

الإسلام مِنْ عُنْتِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»^{٩١١}

والالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان؛ أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى. والثاني: التفات البصر. وكلاهما منهي عنه. ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه. فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»^{٩١٢}

وفي أثر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَحْسَبُهُ قَالَ: قَائِمًا هُوَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِذَا التَّفَتَ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِلَى مَنْ تَلَفْتُ؟ إِلَى خَيْرٍ مَنِّي؟ أَقْبَلَ يَا ابْنَ آدَمَ إِلَيَّ، فَأَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ تَلَفْتُ إِلَيْهِ " .^{٩١٣}

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس حاضراً معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه؟.

فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته، الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلاً قلبه من هيئته، وذلت عنقه له، واستجى من ربه تعالى أن يقبل على غيره، أو يلتفت عنه. وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةٍ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ بَيْنَهُمَا مِنَ الْفَضْلِ

^{٩١١} - سنن الترمذي ت شاكر (٥ / ١٤٨) (٢٨٦٣) صحيح

^{٩١٢} - صحيح البخاري (١ / ١٥٠) (٧٥١) [ش (اختلاس) خطف بسرعة. (يختلسه الشيطان) يظفر به عند

الالتفات]

^{٩١٣} - كشف الأستار عن زوائد البزار - مؤسسة الرسالة (١ / ٢٦٨) (٥٥٣) ضعيف

لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ «أَنَّ أَحَدَهُمَا يَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ، وَالْآخَرُ سَاهٍ غَافِلٌ»^{٩١٤}

وإذا أقبل على الخالق عز وجل، وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس، والنفس مشغوفة بها، ملأى منها، فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألته الوساس والأفكار، وذهبت به كل مذهب؟

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه وأغبطه للشيطان، وأشدّه عليه، فهو يحرص ويجهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعهده ويمنيه وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها.

فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة، ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة، وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل بقلبه في صلاته؛ فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياها وذنوبه وأثقاله، لم تخف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقاله.

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحسّ بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطاً وراحة وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرّة عينيه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجنٍ وضيقٍ حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، فالخبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوهم ونبيهم: (يَا بَلَّالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ).^{٩١٥}

و لم يقل: أرحنا منها، وقال ﷺ: (وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ).^{٩١٦}

^{٩١٤} - الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٢/ ٢٤) صحيح

^{٩١٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٧/ ٦٥٣) (٢٣٠٨٨) (٢٣٤٧٦) - صحيح

^{٩١٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٤/ ٣٣٠) (١٢٢٩٣) (١٢٣١٨) - صحيح

فمن جعلت قرّة عينه في الصلاة، كيف تقرأ عينه ﷺ بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟
وقد روي أن العبد إذا قام يصلي، قال الله عز وجل: "ارفعوا الحجب، فإذا التفت، قال: أرخوها"، وقد فُسِّرَ هذا الالتفات بالفتات القلب عن الله عز وجل إلى غيره، فإذا التفت إلى غيره، أرخى الحجاب بينه وبين العبد، فدخل الشيطان، وعرض عليه أمور الدنيا، وأراه إيّاها في صورة المرأة، وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت، لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله - تعالى - وبين ذلك القلب، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب، فإن فرّ إلى الله تعالى، وأحضر قلبه فرّ الشيطان، فإن التفت حضر الشيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة.

كيف يجعل المصلي قلبه حاضراً في الصلاة؟

وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل، إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة، وأسرته الهوى، ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه، كيف يخلص من الوسوس والأفكار؟ !

والقلوب ثلاثة: قلب خال من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسوس إليه؛ لأنه قد اتخذ بيتاً ووطناً، وتحكم فيه بما يريد، وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال.

وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم مَنْ أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم مَنْ أوقات غلبه لعدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس لا حترق به، فهو كالسمااء التي حرس بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها لرجم فاحترق، وليست السمااء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له

أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة، ومستقرّ الوحي، وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة، والمعرفة والإيمان، وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفة.

وقد مثل ذلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت:

بيت الملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره.

وبيت للعبد فيه كنوز العبد، وذخائره، وجواهره، وليس جواهر الملك وذخائره.

وبيت خال صفر لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟

فإن قلت: من البيت الخالي، كان محالاً؛ لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن اليهود تزعم أنهما لا توسوس في صلاتهما، فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟

وإن قلت: يسرق من بيت الملك، كان ذلك كالمستحيل الممتنع، فإن عليه من الحرس واليزك (بالتركية - بمعنى المنع والحظر والزجر) ما لا يستطيع اللص الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه، وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجنود ما حوله؟ فلم يبق للصوص إلا البيت الثالث، فهو الذي يشنُّ عليه الغارات.

فيلتأمل اللبيب هذا المثال، وليترله على القلوب، فإنها على منواله.

فقلب خلا من الخير كله، وهو قلب الكافر والمنافق، فذلك بيت الشيطان، قد أحرزه لنفسه واستوطنه، واتخذ سكناً ومستقراً، فأى شيء يسرق منه، وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه؟

وقلب قد امتلأ من جلال الله - عز وجل - وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه، فأى شيطان يجترئ على هذا القلب؟ وإن أراد سرقة شيء منه، فماذا يسرق؟ وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له منها، إذ هو بشر، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع.

وقلب فيه توحيد الله تعالى، ومعرفته، ومحبته، والإيمان به، والتصديق بوعدده، وفيه شهوات النفس وأخلاقها، ودواعي الهوى والطبع.

وقلب بين هذين الداعيين؛ فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعي الشيطان والهوى والطباع، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع، وله منه منازل ووقائع، ويعطي الله النصر من يشاء: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ١٢٦]. وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل إليه الشيطان، فيجد سلاحه عنده، فيأخذه ويقاقل به، فإن أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأمانى الكاذبة، وهي في القلب، فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة، فيأخذها ويصول بها على القلب، فإن كان عند العبد عدة عتيدة، من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها، انتصف من الشيطان، وإلا فالدولة لعدوه عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فإذا أذن العبد لعدوه، وفتح له باب بيته، وأدخله عليه، ومكنه من السلاح يقاتله به، فهو الملولم.

فنفسك لم ولا تلم المطايا ××× ومئت كمداً فليس لك اعتذار^{٩١٧}



^{٩١٧} - الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٥) فما بعدها

المبحث الخامس عشر

الجن وعلم الغيب

شاع لدى كثير من الناس أن الجنّ يعلمون الغيب، ومردة الجن يحاولون أن يؤكّدوا هذا الفهم الخاطئ عند البشر، وقد أبان الله للناس كذب هذه الدعوى، عندما قبض روح نبيه سليمان عليه السلام، وكان قد سخر له الجن يعملون بين يديه بأمره، وأبقى جسده منتصباً، واستمر الجنّ يعملون، وهم لا يدرون بأمر وفاته، حتى أكلت دابة الأرض عصاه المتكى عليها، فسقط، فتبين للناس كذبهم في دعواهم، أنهم يعلمون الغيب: { فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } [سبأ: ١٤].

ولمّا قضى الله تعالى عليه الموت، اتكأ على عصاه وهو واقف، ولَبِثَ فِتْرَةً وهو على تلك الحال، والجنّ يعملون بين يديه، وهم يحسبون أنه حيّ ينظر إليهم فلا يتوقفون عن العمل فيما أمرهم به. ثمّ يحسبون أنه حيّ إليهم فلا يتوقفون عن العمل فيما أمرهم به. ثمّ سخر الله حشرة صغيرة أخذت تنخر عصاه حتى ضعفت فانكسرت وسقط سليمان على الأرض، فعلمت الجنّ أنه مات منذ زمنٍ وهم لا يعلمون ذلك. وتبين من ذلك للناس وللجنّ أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان ساعة خروجه، ولم ينتظروا حتى تأكل دابة الأرض عصاه التي كان يتوكأ عليها فيسقط على الأرض، ولم يستمروا في الأعمال الشاقة التي كلفهم بها سليمان (العذاب المهين).^{٩١٨}

وقد سبق القول كيف أنهم كانوا يسترقون خبر السماء، وكيف زيد في حراسة السماء بعد البعثة، فقلما يستطيع الجن استراق السمع بعد ذلك.

فهؤلاء هم الجن الذين يعبدهم بعض الناس. هؤلاء هم سخرة لعبد من عباد الله. وهؤلاء هم محجوبون عن الغيب القريب وبعض الناس يطلب عندهم أسرار الغيب البعيد!^{٩١٩}

^{٩١٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٠١، بترقيم الشاملة آليا)

^{٩١٩} - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٣٦٦٦)

العرافون والكهان:

وبذلك يعلم عظم الخطأ الذي يقع فيه عوام الناس باعتقادهم أن بعض البشر كالعرافين والكهان يعلمون الغيب، فتراهم يذهبون إليه يسألونهم عن أمور حدثت من سرقات وجنابات، وأمور لم تحدث مما سيكون لهم ولأبنائهم، ولقد خاب السائل والمسؤول، فالغيب علمه عند الله، لا يظهر الله عليه إلا من شاء من رسله: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) } [الجن: ٢٦ - ٢٨].

والله تعالى هو الذي يعلم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه، ولا يُطْلَعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُطْلِعَهُ مِنَ الرُّسُلِ، عَلَى مَا شَاءَ مِنَ الْغَيْبِ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُهُ. وَاللَّهُ يَجْعَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رُسُلِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ، حَفَظَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ، حَتَّى يُبْلَغُوا مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا تَحْفَظُهُمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَدَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ حَتَّى لَا يُؤْذُوهُمْ، وَلَا يَضُرُّوهُمْ.

وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَحْفَظُ رُسُلَهُ لِيَتِمَّ كُنُوتُهَا مِنْ أَدَاءِ رَسُولَاتِهِ، وَيَحْفَظُوا مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ لِيَعْلَمَ إِنْ كَانُوا قَدْ بَلَّغُوا هَذِهِ الرُّسَالَاتِ؛ وَهُوَ تَعَالَىٰ قَدْ أَحَاطَ عِلْمًا بِمَا عِنْدَ الرَّاصِدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَحْصَىٰ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ فَرْدًا فَرْدًا، فَهُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي عِلْمِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا غَيْرُهُمْ^{٩٢٠}

والاعتقاد بأن فلاناً يعلم الغيب اعتقاد آثم ضال، يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تجعل علم الغيب لله وحده.

^{٩٢٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٣٥١، بترقيم الشاملة آليا)

إما إذا تعدى الأمر إلى استفتاء أدعياء الغيب، فإن الجريمة تصبح من العظم. بمكان، ففي صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».^{٩٢١}

وتصديق هؤلاء كفر، فعن عبد الله، قال: مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.^{٩٢٢}

وعن عبد الله، قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^{٩٢٣}

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرُ مُصَدِّقٍ لَهُ، لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^{٩٢٤} وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»^{٩٢٥}

وعن معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رَجُلًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ، قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ.^{٩٢٦}

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَأَتَكُلُّ أُمِّيَّاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ يُصْنِتُونِي، قَالَ عُثْمَانُ: فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ يُسَكِّنُونِي، لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي وَأُمِّي مَا ضَرَبَنِي وَلَا كَهَرَنِي وَلَا سَبَّنِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَحِلُّ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَذَا، إِنَّمَا

^{٩٢١} - صحيح مسلم (٤/ ١٧٥١) ١٢٥ - (٢٢٣٠)

[ش (عرافا) العراف من جملة أنواع الكهان قال ابن الأثير العراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به وقال الخطابي وغيره العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما]

^{٩٢٢} - مسند أبي داود الطيالسي - هجر للطباعة والنشر (١/ ٣٠٠) (٣٨١) صحيح

^{٩٢٣} - السنة لأبي بكر بن الخلال (٤/ ١١٧) (١٣٠٢) و(٤/ ١٥٧) (١٤٠٩) صحيح

^{٩٢٤} - المعجم الأوسط (٦/ ٣٧٨) (٦٦٧٠) حسن لغيره

^{٩٢٥} - السنة لأبي بكر بن الخلال (٤/ ١٥٢) (١٣٩٨) و(١٤٠٠) صحيح

^{٩٢٦} - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٧/ ٣٩١) (٢٣٩٩٠) صحيح

هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَوْمٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَمِنَّا رَجُلٌ يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «لَا تَأْتِهِمْ»، قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَضُرُّهُمْ» ٩٢٧

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ، أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِينَا رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَلَا يَضُرُّكُمْ»، قَالُوا: وَمِنَّا رَجُلٌ يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا كَاهِنًا» ٩٢٨

وَعَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَرَّافِينَ كُهَّانُ الْعَجَمِ، فَمَنْ أَتَى كَاهِنًا يُؤْمِنُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. ٩٢٩

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ حُلُوفِ الْكَاهِنِ. ٩٣٠
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ مَشَى إِلَى سَاحِرٍ، أَوْ كَاهِنٍ، أَوْ عَرَّافٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. ٩٣١

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ

٩٢٧ - مستخرج أبي عوانة (١/٤٦٦) (١٧٢٨) صحيح

٩٢٨ - المعجم الكبير للطبراني (١٩/٣٩٦) (٩٣٣) صحيح

٩٢٩ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٧/٣٩١) (٢٣٩٩١) صحيح

٩٣٠ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٧/٣٩١) (٢٣٩٩٣) صحيح

٩٣١ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٧/٣٩٢) (٢٣٩٩٤) صحيح

الكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْ بَعْضِ الْمُضْمَرَاتِ فَيَصِيبُ بَعْضًا وَيُخْطِئُ أَكْثَرَهَا، وَيَزْعُمُ أَنَّ الْجِنَّ تَخْبِرُهُ بِذَلِكَ، وَالْعَرَّافُ - يَفْتَحُ الْعَيْنَ الْمُهِمَلَةَ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ - كَالْكَاهِنِ، وَقِيلَ: هُوَ السَّاحِرُ، وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: الْعَرَّافُ هُوَ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدَّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى مَوَاقِعِهَا كَالْمَسْرُوقِ مِنَ الَّذِي سَرَقَهُ وَمَعْرِفَةِ مَكَانِ الضَّالَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى الْمُتَنَجِّمَ: كَاهِنًا. إِنْخَافُ الْخَيْرَةِ الْمَهْرَةِ بِزَوَائِدِ الْمَسَانِيدِ الْعَشْرَةِ (٦/١١٤) (٥٤٤٩)

الكهانة، إلّا أنّي خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه" ٩٣٢

قال شارح العقيدة الطحاوية: "وَالْمُنَجَّمُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْعَرَّافِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ هُوَ فِي مَعْنَاهُ. فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالُ السَّائِلِ، فَكَيْفَ بِالْمَسْئُولِ؟". ومراده إذا كان السائل لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، وإذا كان الذي يصدق الكاهن والعراف يكفر بالمتزل على الرسول ﷺ، فكيف يكون حكم الكاهن والعراف؟ ٩٣٣

وعن عائشة قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهّان، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا الْجَنِّيُّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ» ٩٣٤

وعن عائشة قالت: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْكُهَّانَ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بِالشَّيْءِ فَنَجِدُهُ حَقًّا قَالَ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَقُّ، يَخْطِفُهَا الْجَنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ» ٩٣٥

وعن الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ

٩٣٢ - صحيح البخاري (٥/ ٤٣) (٣٨٤٢)

[ش (غلام) عبد. (يخرج له خراج) يأتي له بما يكسبه من الخراج وهو ما كان يقرره السيد على عبده من مال يدفعه من كسبه. (الكهانة) هي الإخبار عما سيكون من غير دليل شرعي]

٩٣٣ - شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص: ٥١٦)

٩٣٤ - صحيح البخاري (٨/ ٤٧) (٦٢١٣) وصحيح مسلم (٤/ ١٧٥٠) ١٢٣ - (٢٢٢٨)

[قر الدجاجة) كصوتها إذا قطعتة والقر ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه، قال الخطابي وغيره معناه أن الجني يقذف الكلمة إلى وليه الكاهن فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحبها فتتجاوب]

٩٣٥ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٥٠) ١٢٢ - (٢٢٢٨)

[ش (يخطفها) معناه استرقه وأخذها بسرعة (يقذفها) معناه يلقيها]

اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَحْفَظُهَا، فَيَقْدِفُهَا فِي أُذُنٍ وَلِيهِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ" ٩٣٦

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وَلَدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّهَا لَا تُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: "الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ: فَيَسْتَخِيرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ" ٩٣٧

وَعَنْ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرُمِيَ بِنَجْمٍ، فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَلَدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنَّهَا لَا تُرْمَى لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاةِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ، فَيَسْتَخِيرُ أَهْلُ السَّمَاءِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ

٩٣٦ - صحيح ابن حبان - محققا (١٣/ ٥٠٦) (٦١٣٦) صحيح

٩٣٧ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٥٠) (١٢٤ - ٢٢٢٩)

[ش (يقرفون) هذه اللفظة ضبطوها من رواية صالح على وجهين أحدهما بالراء والثاني بالذال ووقع في رواية الأوزاعي وابن معقل بالراء باتفاق النسخ ومعناه يخلطون فيه الكذب وهو بمعنى يقذفون وفي رواية يونس قال القاضي ضبطناه عن شيوخنا بضم الباء وفتح الراء وتشديد القاف]

الدُّنْيَا، فَيَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ، فَيَقْدِفُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، فَيَرْمُونَ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ^{٩٣٨}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: «وُلِدَ اللَّيْلَةُ عَظِيمٌ وَمَاتَ عَظِيمٌ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «فَإِنَّهَا لَا يَرْمَى لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاةٍ أَحَدٍ، وَلَكِنْ رُبَّمَا إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُسَبِّحُ أَهْلَ السَّمَاءِ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يُلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ بِتَسْبِيحِ أَهْلِ السَّمَوَاتِ حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَيَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ، فَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَرْقُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ، قَالَ اللَّهُ حَلَّ ثَنَاءُؤُهُ: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ} [سبأ: ٢٣]

وزاد في رواية: قَالَ: «ثُمَّ تَسْتَرْفِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ فَيَأْتُونَ بِهِ الْكَهَنَةَ، فَيَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ، فَتُخَطِئُ الْكَهَنَةُ وَتُضَيَّبُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَنَعَ السَّمَاءَ بِهَذِهِ التُّجُومِ الَّتِي يَفْعُدُونَ بِهَا فَانْقَطَعَتِ الْكَهَانَةُ فَلَا كَهَانَةَ»^{٩٣٩}

وَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ، وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَيَسْتَرْفِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْتَمِعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»^{٩٤٠}
وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلَ نَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ

^{٩٣٨} - السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ١٤٢) (١١٢٠٨) صحيح

ويزيدون: يزيدون فيه دائماً كذباتٍ أخرٍ منضمةٌ إليه. تحفة الأحوذى - (ج ٨ / ص ٦٨)

^{٩٣٩} - الجامع لابن وهب ت مصطفى أبو الخير (ص: ٧٧٢) (٦٩٣ و ٦٩٥) صحيح

^{٩٤٠} - الجامع لابن وهب ت مصطفى أبو الخير (ص: ٧٧٠) (٦٩١) صحيح

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَحْفَظُهَا الْجَنُّ، فَيَقْرُؤُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الزُّجَاجَةِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ»^{٩٤١}

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُّ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُّ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيَقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ " ^{٩٤٢}

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَسَبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَحُلُوانُ الْكَاهِنِ خَبِيثٌ»^{٩٤٣}

سؤال العرافين والكهنة على وجه الامتحان:

يرى ابن تيمية رحمه الله أن سؤال الكهنة، بقصد امتحان حالهم، واختبار باطنهم، ليميز صدقهم من كذبهم، جائز، واستدل بحديث الصحيحين عن الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قَبْلَ

^{٩٤١} - الجامع لابن وهب ت مصطفى أبو الخير (ص: ٧٧١) (٦٩٢) صحيح

^{٩٤٢} - صحيح البخاري (٦/ ١٢٢) (٤٨٠٠)

خُضْعَانًا: الخاضع: المطيع المنقاد الدليل، وخُضْعَانًا جمعه. = صفوان: الصفوان: الحجر الأملس. = فرع عن قلوبهم: أي: كشف عنها الفرع، ومن قرأ: {فَرَّعَ} بالراء والغين المعجمة، أراد: فرغت قلوبهم من الخوف. = فحرفها: حرفها: أي أمالها عن جهتها المستقيمة. = الشهاب: الشعلة من النار، وأراد به: الذي ينقض في الليل شبه الكواكب. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (٥/ ٦١)

^{٩٤٣} - مساوي الأخلاق للخرائطي (ص: ٣٤٩) (٧٣٨) صحيح

الحجام: من يعالج بالحجامة وهي تشريط موضع الألم وتسخينه لإخراج الدم الفاسد من البدن = البغي: الزانية التي تجاهر بالزنا وتتكسب منه = حلوان الكاهن: ما يُعطاه من الأجر والرَّشوة على كَهَاتِهِ. = الكاهن: الذي يتعاطى الخير عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار

ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتى ضرب النبي ﷺ بيده، ثم قال لابن صياد: «تشهد أنني رسول الله؟»، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: «أتشهد أنني رسول الله؟ فرفضه وقال: «آمنت بالله وبرسوله» فقال له: «ماذا ترى؟» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال النبي ﷺ: «خلط عليك الأمر» ثم قال له النبي ﷺ: «إني قد خبأت لك خبيثاً» فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال: «اخسأ، فلن تعدو قدرك» فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله».^{٩٤٤}

فأنت ترى أن الرسول ﷺ سأل هذا المدعي، ليكشف أمره، ويبين للناس حاله.

المنجمون:

وصناعة التنجيم التي مضمونها: الإحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، أو التمزيج بين القوى الفلكية والقوايل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين، قال تعالى: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩]. وقال تعالى: {أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} [النساء: ٥١].

جاء بعض رؤساء اليهود إلى قريش فسألتهُم قريش: أهّم، وما هم عليه من الكفر وعبادَةِ الأصنام، خيرٌ أم محمدٌ وما هو عليه من الإيمان بالله؟ فقال اليهود: بل قريش

^{٩٤٤} - صحيح البخاري (٩٣/٢) (١٣٥٤) وصحيح مسلم (٤/٢٢٤٤) ٩٥ - (٢٩٣٠)

(رهمط) ما دون العشرة من الرجال. (ابن صياد) هو من اليهود وقيل من بني النجار وابنه عمارة شيخ مالك من خيار المسلمين. عيني. (أطم) بناء من حجر كالقصر وقيل هو الحصن. (بني مغالة) قبيلة من الأنصار. (الحلم) البلوغ. (الأميين) العرب نسبة إلى الأمية وهي عدم القراءة والكتابة. (فرفضه) تركه لئأسه من إسلامه. (يأتيني صادق وكاذب) أرى رؤيا ربما تصدق فتقع وربما تكذب فلا تقع. (خلط عليك الأمر) خلط عليك شيطانك ما يلقي إليك. (خبيثاً) شيئاً مخبأً في نفسي. (الدخ) أراد أن يقول الدخان فلم يستطع ولم يهتد إلى ذلك. (اخسأ) اسكت صاغراً مطروداً. (فلن تعدو قدرك) لن تجاوز كونك كاهناً ولن يبلغ قدرك أن تعلم الغيب من قبل الوحي ولا من قبيل الإلهام. (إن يكنه) إن كان هذا هو الدجال. (فلن تسلط عليه) لست أنت الذي يقتله وإنما يقتله عيسى بن مريم عليه السلام.

أَهْدَى سَبِيلًا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، يَعِيبُ فِيهَا عَلَى الْيَهُودِ قَوْلَهُمْ هَذَا، وَتَفْضِيلَهُمُ الْكُفْرَ، وَعِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، عَلَى هُدَى اللَّهِ، وَدِينِهِ الْحَقِّ.

الْجَبْتِ - أَصْلُهُ الْجَبْسُ - وَهُوَ الرَّدِيُّ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ أَوْ السَّحَرُ وَالْأَصْنَامُ وَالْكُهَّانُ وَالْخُرَافَاتُ.

الطَّاغُوتِ - مَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ سَبَبًا لِلطُّغْيَانِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْحَقِّ، مِنْ مَخْلُوقٍ يُعْبَدُ، أَوْ رَجُلٍ يُقْلَدُ، أَوْ هَوًى يُتَّبَعُ. وَقِيلَ إِنَّهُ الشَّيْطَانُ.^{٩٤٥}

وَعَنْ عُمَرَ، قَالَ: {الْجَبْتِ}: السَّحَرُ وَرُويَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٍ، وَالشَّعْبِيِّ، فِي إِحْدَى الرُّوَايَاتِ، وَعِكْرِمَةَ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَعَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ نَحْوُ ذَلِكَ.^{٩٤٦}

تعلييل صدق المنجمين والعرافين في بعض الأحيان:

قد يزعم قائل أن العرافين والكهنة والمنجمين يصدقون أحياناً، والجواب: أن صدقهم في كثير من الأحيان يكون من باب التلبيس على الناس، فإنهم يقولون للناس كلاماً عاماً يحتمل وجوهاً من التفسير، فإذا حدث الأمر، فإنه يفسره لهم تفسيراً يوافق ما قال.

وصدقهم في الأمور الجزئية إما أنه يرجع إلى الفراسة والتنبؤ، وإما أن تكون هذه الكلمة الصادقة مما خطفه الجن من خبر السماء. ففي الصحيحين عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ، يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجَنُّ، فَيَقْرُأُهَا فِي أُذُنٍ وَلِيٍّ قَرَّ الدَّجَاجَةُ، فَيَخْلُطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِثْقَلِ كَذِبَةٍ..^{٩٤٧}

وإذا كانت القضية التي صدق فيها من الأمور التي حدثت كمعرفته بالسارق، أو معرفته باسم الشخص الذي يقدم عليه لأول مرة وأسماء أبنائه وأسرته، فهذا قد يكون بحيلة ما، كالذي يضع شخصاً ليسأل الناس، وتكون عنده وسيلة لاستماع أقوالهم قبل أن

^{٩٤٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٤٤، بترقيم الشاملة آليا)

^{٩٤٦} - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٩٧٤/٣) (٥٤٤٣) صحيح

^{٩٤٧} - صحيح مسلم - ط دار الجيل بيروت (٣٦/٧) ٥٨٧٥- [١٢٣-] وصحيح البخاري (٩/١٦٢) (٧٥٦١)

يمثلوا بين يديه، أو يكون هذا من فعل الشياطين، وعلم الشياطين بالأمور التي حدثت ووقعت ليس بالأمر المستغرب.

لا يجوز الأخذ بكلام المنجمين:

"لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُسَافِرَ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ عَرَضَ لَهُ مُنَجِّمٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تُسَافِرْ، فَإِنَّ الْقَمَرَ فِي الْعَقَرِ، فَإِنَّكَ إِنْ سَافَرْتَ وَالْقَمَرُ فِي الْعَقَرِ هُزِمَ أَصْحَابُكَ، أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: بَلْ تُسَافِرُ ثَقَّةً بِاللَّهِ وَتَوَكَّلَا عَلَى اللَّهِ وَتَكْذِبِيَا لَكَ، فَسَافَرَ فَبُورِكَ لَهُ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ حَتَّى قَتَلَ عَامَّةَ الْخَوَارِجِ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ مَا سُرَّ بِهِ، حَيْثُ كَانَ قِتَالُهُ لَهُمْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ." ٩٤٨

ومثل ذلك ما فعله المنجمون الأفاكون مع الخليفة المعتصم حينما أراد فتح مدينة عمورية استجابة لصرخة امرأة مسلمة، فنهوه أن يغزوهم قبل أن ينضج التين والعنب، فرد قولهم وسافر، فأكذب الله المنجمين، وأعد المسلمين، وسار بتسعين ألفاً كأسد الشرى، نضجت أعمارهم قبل أن ينضج التين والعنب.

ولذا فقد كان المسلم مأموراً بالأفعال، ونبد التطير في سائر شئونه، ومنها السفر. ٩٤٩
قال الإمام الذهبي^{٩٥٠}: "لَمَّا تَجَهَّزَ لِعَزْوِ عَمُورِيَّةَ زَعَمَ الْمُنَجِّمُونَ أَنَّهُ طَالِعٌ نَحْسٍ وَيُكْسِرُ فَاثْتَصَرَ، فَقَالَ أَبُو تَمَامٍ تِلْكَ الْقَصِيدَةُ:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةً... بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشَّهْبِ
أَيْنَ الرُّوَايَةُ أَمْ أَيْنَ التُّجُومُ وَمَا... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلْفَقَةً... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ
قلت: وهذه أبيات من قصيدة أبي تمام^{٩٥١}:

٩٤٨ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٣٥ / ١٧٨) والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٤ / ١)

٩٤٩ - دروس للشيخ سعود الشريم (٤٤ / ١١)، بترقيم الشاملة آليا

٩٥٠ - سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨ / ٣٩٠)

٩٥١ - انظر: تاريخ الإسلام ت تدمري (١٦ / ٣٩٥) وتاريخ الخلفاء (ص: ٢٤٥) والفخري في الآداب السلطانية (ص: ٨٧)، بترقيم الشاملة آليا والطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص: ٨٩)، بترقيم الشاملة آليا وطبقات الشافعية

(أَلَسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ)
(بِضُّ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي... مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ)
(وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٌ... بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ)
(أَيْنَ الرُّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ)
(تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً... لَيْسَتْ بِنِعْ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ)
(عَجَائِبًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً... عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ)
(وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءٍ مَظْلَمَةٍ... إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْعَرَبِيُّ ذُو الذَّنَبِ)
(وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً... مَا كَانَ مُتَقَلِّبًا أَوْ غَيْرَ مُتَقَلِّبِ)
(يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ... مَا دَارَ فِي فَلَكَ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ)
(لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ... لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ)
(فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ... نَظُمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ)
(فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ... وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ)
(يَا يَوْمَ وَقَعَةَ عُمُورِيَّةٍ أَنْصَرَفَتْ... مِنْكَ الْمَنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلْبِ)
(أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنَى الْإِسْلَامِ فِي صَعْدٍ... وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الْحَرْبِ فِي صَبَبِ)
(خَلِيفَةُ اللَّهِ جَاوَزَى اللَّهَ سَعِيكَ عَنْ... جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ)
(بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ)
(أَنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ... مَوْصُولَةٍ وَذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ)
(فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّائِي نُصِرْتَ بِهَا... وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبُ النَّسَبِ)
(أَبْقَيْتَ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُصْفَرَّ كَأَسْمِهِمْ... صُفَرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ)

الكبرى للسبكي (٥٧ / ٢) ووفيات الأعيان (٢٣ / ٢) والصبح المنبي عن حشية المتنبي (١٨٥ / ٢) والفن ومذاهبه في الشعر العربي (ص: ٢٥٧) و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد (٢٢٩ / ٢) وجميع دواوين الشعر العربي على مر العصور — محتويات موقع أدب (١٧٣ / ١٢) وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤٥١ / ٣)

وقد جاء النهي عن التنجيم، فعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، فَمَا زَادَ زَادَ" ٩٥٢

وعن عطاء، قال: قال أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "تَعْلَمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ثُمَّ انْتَهُوا - وَتَعْلَمُوا مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا تُعْرَبُونَ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ ثُمَّ انْتَهُوا - وَتَعْلَمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ثُمَّ انْتَهُوا" ٩٥٣

وعن أبي عون، أن عمر، قال: «تَعْلَمُوا مِنَ الْأَنْسَابِ مَا تَعْلَمُونَ بِهِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنْهَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلَمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقَ، ثُمَّ أَمْسِكُوا» ٩٥٤

وعن حسان بن يزيد، أن عمر رضي الله عنه قال: "كَذَبَ النَّسَابُونَ مَا يَرْجُونَ وَاللَّهِ تَعَالَى: {وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا} [الفرقان: ٣٨] تَعْلَمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ وَتَعْرِفُونَ بِهِ مَوَارِيثَكُمْ، وَتَعْلَمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَهْتَدُونَ بِهِ السَّبِيلَ وَمَنَازِلَ الْقَمَرِ" ٩٥٥

وعن قتادة، قال: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثِ حِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَجَعَلَهَا يُهْتَدَى بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ: رَأْيُهُ وَأَخْطَأَ حَظَّهُ وَأَضَاعَ نَصِيحَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَإِنْ نَاسًا جَهْلَةً بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً، مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ سَافَرَ بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلَّا يُؤَلَّدُ بِهِ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ وَالْحَسَنُ وَالذَّمِيمُ وَمَا عِلْمُ هَذَا النَّجْمِ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ

٩٥٢ - السنن الكبرى للبيهقي (٢٣٩/٨) (١٦٥١٣) والصحيحة (٧٩٣) وصحيح الجامع (٦٠٧٤) صحيح

من اقتبس أي تعلم من قبست من العلم واقتبست من الشيء إذا تعلمته والقبس شعبة من النار واقتباسها الأخذ منها علما من النجوم أي من علم تأثيرها لا تسييرها فلا يناقض ما سبق من خبر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر وقد مر التنبيه على طريق الجمع اقتبس شعبة أي قطعة من السحر ثم استأنف جملة أخرى بقوله زاد ما زاد يعني كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاده اقتباس

علم النجوم اهـ الفيض ٨٠/٦

٩٥٣ - شعب الإيمان (٣/٢٣٨) (١٥٩٤) حسن

٩٥٤ - الزهد للمعافى بن عمران الموصلي (ص: ٢٦٥) (١٤٦) وفيه انقطاع

٩٥٥ - تاريخ المدينة لابن شبة (٣/٧٩٨) ضعيف

مِنَ الْغَيْبِ وَقَضَى اللَّهُ أَنَّهُ {لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْحَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ وَعَلِمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ يَأْكُلُ فِيهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ، وَنَهَى عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْبَلَاءُ حَتَّى وَقَعَ بِمَا نَهَى عَنْهُ وَلَوْ كَانَ يُعْلَمُ الْغَيْبُ لَعَلِمَتْهُ الْجِنُّ حِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَلَبِثَتْ تَعْمَلُ لَهُ حَوْلًا فِي أَشَدِّ الْهَوَانِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَوْتِهِ {مَا ذَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ} [سبأ: ١٤] أَيْ تَأْكُلُ عَصَاهُ {فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ} [سبأ: ١٤] وَهِيَ فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ «تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» وَكَانَتْ الْجِنُّ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَتَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَايْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَجَعَلَ مَوْتَ سُلَيْمَانَ لِلْجِنِّ عِظَةً ٩٥٦

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ: وَالْمَنْهَى مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ مَا يَدَّعِيهِ أَهْلُهَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَمْ تَقَعْ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، مِثْلَ إِخْبَارِهِمْ بِوَقْتِ هُبُوبِ الرِّيحِ، وَمَجِيءِ الْمَطَرِ، وَوُقُوعِ الثَّلَجِ، وَظُهُورِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَتَغْيِيرِ الْأَسْعَارِ وَتَحْوِيلِهَا، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَسْتَدْرِكُونَ مَعْرِفَتَهَا بِسِيرِ الْكَوَاكِبِ، وَاجْتِمَاعِهَا وَافْتِرَاقِهَا، وَهَذَا عِلْمٌ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لُقْمَانَ: ٣٤]، فَأَمَّا مَا يُدْرِكُ مِنْ طَرِيقِ الْمُشَاهَدَةِ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الزَّوَالُ، وَجَهَةُ الْقِبْلَةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِيْمَا نَهَى عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الْأَنْعَام: ٩٧]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [التَّحْلُ: ١٦]، فَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ النُّجُومَ طُرُقٌ لِمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَالْمَسَالِكِ، وَلَوْلَاهَا لَمْ يَهْتَدِ النَّاسُ إِلَى اسْتِقْبَالِهَا، رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقَ، ثُمَّ أَمْسِكُوا» ٩٥٧

٩٥٦ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٢٩١٤/٩) (١٦٥٣٦) صحيح مقطوع وقال ابن كثير عنه:

وَهُوَ كَلَامٌ جَلِيلٌ مَتِينٌ صَحِيحٌ - تفسير ابن كثير ت سلامة (٢٠٧/٦)

٩٥٧ - شرح السنة للبغوي (١٨٣/١٢) ومثله قال المنذري: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٢٥٠/١)

والترغيب والترهيب للمنذري (١٩/٤)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «قَوْمٌ يَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ وَيَكْتُبُونَ أَبْجَادَ أَوْلِيكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ» مِيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: إِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي النُّجُومِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْكِهَانَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْقَدَرَ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الزِّنْدَقَةِ، وَإِيَّاكَ وَشَتَمَ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَكْبِكَ اللَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِكَ^{٩٥٩}

وَعَنْ مِيمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَوْصِنِي ، قَالَ: إِيَّاكَ وَالنُّجُومَ ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكِهَانَةِ ، وَلَا تَسْبِيَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ ﷺ وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تُؤَخِّرْهَا^{٩٦٠}

وقد جاءت أحاديث عديدة تنهى عن الطيرة، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: ذُكِرَتْ الطَّيْرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: " أَحْسَنْهَا الْفَأَلُ، وَلَا تُرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ " ^{٩٦١}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» ^{٩٦٢}

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: خَرَجَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا ظَنِّي قَدْ سَنَحَتْ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ: «مَنْ أَيُّ شَيْءٍ تَطِيرَتْ؟ أَمِنْ قُرُونِهَا حِينَ أَقْبَلْتَ؟ أَمْ مِنْ أَذْنَابِهَا حِينَ أَدْبَرْتَ؟، امْضِ، فَإِنَّ الطَّيْرَةَ شِرْكٌ» ^{٩٦٣}

^{٩٥٨} - الجامع لابن وهب ت مصطفى أبو الخير (ص: ٧٦٩) (٦٩٠) صحيح

^{٩٥٩} - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٠٠) (١١٣٤) والشرعية للآجري (٥/ ٢٥٠٦) (٢٠٠١)

صحيح موقوف

^{٩٦٠} - الشريعة للآجري (٥/ ٢٥٠٦) (٢٠٠١) صحيح موقوف

^{٩٦١} - السنة لأبي بكر بن الخلال (٤/ ١٥٥) (١٤٠٥) ومصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٩/

(٣٩) (٢٦٩٢٠) حسن ن وهناك حول صحة عروة

^{٩٦٢} - سنن أبي داود (٤/ ١٧) (٣٩١٠) والسنة لأبي بكر بن الخلال (٤/ ١٥٤) (١٤٠٤) صحيح

^{٩٦٣} - السنة لأبي بكر بن الخلال (٤/ ١٥٥) (١٤٠٦) فيه انقطاع

وعن زياد بن أبي مریم، أن سعد بن أبي وقاص، كان غازياً، فبينما هو يسير، إذ أقبل في وجوههم طباء يسعين، فلما اقترب من منهم ولين مذبرات، فقال له رجل: انزل أصلحك الله، فقال له سعد: «مماذا تطيرت؟ أم قرونها حين أقبلت؟ أم من أذناها حين أدبرت؟ إن هذه الطيرة لباب من الشرك»، قال: فلم ينزل سعد، ومضى^{٩٦٤}

وعن عمران بن حصين، أنه رأى رجلاً في عضده حلقة من صفر، فقال له: ما هذه؟ قال: نعت لي من الواهنة قال: أما إن مت وهي عليك وكلت إليها، قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطير ولا تُطير له، ولا تكهن ولا تُكهن له، أو سحر أو سُحر له»^{٩٦٥}

وعن عمران بن حصين، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن عقد عقدة - أو قال: من عقد عقدة - ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"^{٩٦٦}

وعن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ، قال: «من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك»، قالوا: يا رسول الله، فما كفارة ذلك؟ قال: "تقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله إلا أنت"^{٩٦٧}

وقد ذهب بعض الحنابلة إلى كراهة التشاؤم والطيرة دون الفأل.. وقال ابن مفلح: إنَّه قول غير واحد من الأصحاب. وقال: الأولى القطع بتحريمها، ولعل مرادهم بالكراهة التحريم. وذهب بعض العلماء إلى أن التشاؤم والطيرة من الكبائر، وإنَّه يحرم اعتقادها والعمل بها. قال النووي: كانت تصدُّهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفي الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا بضر، فهذا معنى قوله

^{٩٦٤} - جامع معمر بن راشد (١٠ / ٤٠٤) (١٩٥٠٦) فيه انقطاع

الطباء: جمع طبي، وهو الغزال = الأذنان: جمع ذنب وهو الذيل = الطيرة: التشاؤم بالطير، فقد كان أحدهم إذا كان له أمر فرأى طيراً طار بمئة استبشر واستمر بأمره، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وتطلق على التشاؤم مطلقاً

^{٩٦٥} - المعجم الكبير للطبراني (١٨ / ١٦٢) (٣٥٥) حسن

^{٩٦٦} - مسند البزار = البحر الزخار (٩ / ٥٢) (٣٥٧٨) حسن

الطيرة: التشاؤم بالطير، فقد كان أحدهم إذا كان له أمر فرأى طيراً طار بمئة استبشر واستمر بأمره، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وتطلق على التشاؤم مطلقاً

^{٩٦٧} - المعجم الكبير للطبراني (١٣ / ٢٢) (٣٨) حسن

ﷺ لَا طَيْرَةَ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: الطَّيْرَةُ شِرْكٌ أَيُّ: اعْتِقَادُ أَنَّهَا تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ إِذَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا مُعْتَقِدِينَ تَأْثِيرَهَا فَهُوَ شِرْكٌ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهَا أَثَرًا فِي الْفِعْلِ وَالْإِجَادِ، وَأَمَّا الْقَالَ، وَقَدْ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْكَلِمَةِ الصَّالِحَةِ وَالْحَسَنَةِ وَالطَّيْبَةِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَكُونُ الْقَالَ فِيمَا يَسُرُّ وَفِيمَا يَسُوءُ، وَالْعَالِبُ فِي الشُّرُورِ، وَالطَّيْرَةُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا يَسُوءُ. قَالُوا: وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِي الشُّرُورِ يُقَالُ: تَفَاءَلْتُ بِكَذَا، بِالتَّخْفِيفِ، وَتَفَالْتُ بِالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ الْأَصْلُ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا أُحِبُّ الْقَالَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَمَّلَ فَائِدَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلَهُ عِنْدَ سَبَبٍ قَوِيٍّ أَوْ ضَعِيفٍ، فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ فِي الْحَالِ وَإِنْ غَلَطَ فِي جِهَةِ الرَّجَاءِ، فَالرَّجَاءُ لَهُ خَيْرٌ، وَأَمَّا إِذَا قَطَعَ رَجَاءَهُ وَأَمَلَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ ذَلِكَ شَرٌّ لَهُ، وَالطَّيْرَةُ فِيهَا سُوءُ الظَّنِّ، وَتَوَقُّعُ الْبَلَاءِ.. " ٩٦٨

الكهنة رسل الشياطين:

وأما كون الكهنة رسله، فلأن المشركين يهرعون إليهم، ويفزعون إليهم في أمورهم العظام، ويصدقونهم، ويتحاكمون إليهم ويرضون بحكمهم، كما يفعل أتباع الرسل بالرسل، فإنهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب، ويخبرون عن المغيبات التي لا يعرفها غيرهم، فهم عند المشركين بهم بمنزلة الرسل، فالكهنة رسل الشيطان حقيقة، أرسلهم إلى حزبه من المشركين وشبههم بالرسل الصادقين، حتى استجاب لهم حظه، ومثل رسل الله بهم لينفر عنهم، ويجعل رسله هم الصادقين العالمين بالغيب، ولما كان بين النوعين أعظم التضاد، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. ٩٦٩

فإن الناس قسمان: أتباع الكهنة، وأتباع رسل الله، فلا يجتمع في العبد أن يكون من هؤلاء وهؤلاء، بل يبعد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقدر قربته من

٩٦٨ - الموسوعة الفقهية الكويتية - وزارة الأوقاف الكويتية (٢٥ / ٣٢٩) وشرح النووي على صحيح مسلم ١٤ /

٢٢٠، ٢١٩.

٩٦٩ - كشف الأستار عن زوائد البزار - مؤسسة الرسالة (٣ / ٤٠٠) (٣٠٤٥) صحيح لغيره

الكاهن، ويكذب الرسول بقدر تصديقه للكاهن وقوله: اجعل لي مصايد، قال: مصايدك النساء، فالنساء أعظم شبكة له، يصطاد بهن الرجال.^{٩٧٠} أقول: ومن يدرس تواريخ الأمم يعلم أن الكهان والسحرة كانوا يقومون مقام الرسل، ولكنهم رسل الشياطين، فالسحرة والكهنة كانت لهم الكلمة المسموعة في أقوامهم، يجلون ويحرمون، ويأخذون المال، ويأمرّون بأنواع من العبادة والطقوس ترضي الشياطين، ويأمرّون بقطيعة الأرحام، وانتهاك الأعراض، وقد بين العقاد شيئاً من ذلك في كتابه المسمى بـ (إبليس).

انقطاع الكهانة والعرافة بعد الإسلام

قال تعالى: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً فَخَدَّاهَا شِدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) } [الجن: ٨ - ٩] هذه الوقائع التي حكاهها القرآن عن الجن من قولهم، توحى بأنهم قبل هذه الرسالة الأخيرة - ربما في الفترة بينها وبين الرسالة التي قبلها وهي رسالة عيسى عليه السلام - كانوا يحاولون الاتصال بالملأ الأعلى، واستراق شيء مما يدور فيه، بين الملائكة، عن شؤون الخلائق في الأرض، مما يكلفون قضاءه تنفيذاً لمشئة الله وقدره.

ثم يوحون بما التقطوه لأوليائهم من الكهان والعرافين، ليقوم هؤلاء بفتنة الناس وفق خطة إبليس! على أيدي هؤلاء الكهان والعرافين الذين يستغلون القليل من الحق فيمزجونه بالكثير من الباطل، ويروجونه بين جماهير الناس في الفترة بين الرسالتين، وخلقوا الأرض من رسول.. أما كيفية هذا وصورته فلم يقل لنا عنها شيئاً، ولا ضرورة لتقصيها. إنما هي جملة هذه الحقيقة وفحواها.

وهذا النفر من الجن يقول: إن استراق السمع لم يعد ممكناً، وإنهم حين حاولوه الآن - وهو ما يعبرون عنه بلمس السماء - وجدوا الطريق إليه محروساً بحرس شديد، يرحمهم بالشهب، فتتنقض عليهم وتقتل من توجه إليه منهم. ويعلنون أنهم لا يدرون شيئاً عن الغيب المقدر للبشر: «وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا»

^{٩٧٠} - إغائة اللفهان من مصايد الشيطان (١/ ٢٥٣)

..فهذا الغيب موكول لعلم الله لا يعلمه سواه.فأما نحن فلا نعلم ماذا قدر الله لعباده في الأرض:قدر أن يتزل بهم الشر.فهم متروكون للضلال،أم قدر لهم الرشد - وهو الهداية - وقد جعلوها مقابلة للشر.فهي الخير،وعاقبتها هي الخير.

وإذا كان المصدر الذي يزعم الكهان أنهم يستقون منه معلوماتهم عن الغيب،يقرر أنه هو لا يدري عن ذلك شيئاً،فقد انقطع كل قول،وبطل كل زعم،وانتهى أمر الكهانة والعرافة.وتمحض الغيب لله،لا يجترئ أحد على القول بمعرفته،ولا على التنبؤ به.وأعلن القرآن تحرير العقل البشري من كل وهم وكل زعم من هذا القبيل! وأعلن رشد البشرية منذ ذلك اليوم وتحررها من الخرافات والأساطير! أما أين يقف ذلك الحرس؟ ومن هو؟ وكيف يرحم الشياطين بالشهب؟ فهذا كله مما لم يقل لنا عنه القرآن ولا الأثر شيئاً،وليس لنا مصدر سواهما نستقي منه عن هذا الغيب شيئاً ولو علم الله أن في تفصيله خيراً لنا لفعل.وإذ لم يفعل فمحاولتنا نحن في هذا الاتجاه عبث لا يضيف إلى حياتنا ولا إلى معرفتنا المثمرة شيئاً! ولا مجال كذلك للاعتراض أو الجدل حول الشهب،وأنها تسير وفق نظام كوني،قبل البعثة وبعدها ووفق ناموس يحاول علماء الفلك تفسيره،بنظريات تخطئ وتصيب.وحتى على فرض صحة هذه النظريات فإن هذا لا يدخل في موضوعنا،ولا يمنع أن ترجم الشياطين بهذه الشهب عند انطلاقها.وأن تنطلق هذه الشهب رجوماً وغير رجوم وفق مشيئة الله الذي يجري عليها القانون! فأما الذين يرون في هذا كله مجرد تمثيل وتصوير لحفظ الله للذكر من الالتباس بأي باطل وأنه لا يجوز أن يؤخذ على ظاهره ..فسبب هذا عندهم أنهم يجيئون إلى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم،أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن.ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل ..ومن ثم يرون الملائكة تمثيلاً لقوة الخير والطاعة.والشياطين تمثيلاً لقوة الشر والمعصية.والرجوم تمثيلاً للحفظ والصيانة... إلخ لأن في مقرراتهم السابقة - قبل أن يواجهوا القرآن - أن هذه المسميات:الملائكة والشياطين أو الجن،لا يمكن أن يكون لها وجود مجسم على هذا

النحو، وأن تكون لها هذه التحركات الحسية، والتأثيرات الواقعية!!! من أين جاءوا بهذا؟ من أين جاءوا بهذه المقررات التي يحاكمون إليها نصوص القرآن والحديث؟ إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره، وفي التصور الإسلامي وتكوينه.. أن ينفذ الإنسان من ذهنه كل تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصويرية أو عقلية أو شعورية سابقة، وأن يبيّن مقرراته كلها حسما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود. ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن.

ولا ينفي شيئا يثبت القرآن ولا يؤوله! ولا يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله. وما عدا مثبت والمنفي في القرآن، فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته .. نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن.. وهم مع ذلك يؤولون نصوصه هذه لتوائم مقررات سابقة في عقولهم، وتصورات سابقة في أذهانهم لما ينبغي أن تكون عليه حقائق الوجود ..

فأما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، ويعتسفون نفي هذه التصورات لمجرد أن العلم لم يصل إلى شيء منها، فهم مضحكون حقاً! فالعلم لا يعلم أسرار الموجودات الظاهرة بين يديه، والتي يستخدمها في تجاربه. وهذا لا ينفي وجودها طبعاً! فضلاً على أن العلماء الحقيقيين أخذت كثرة منهم تؤمن بالجهول على طريق المتدينين، أو على الأقل لا ينكرون ما لا يعلمون! لأنهم بالتجربة وجدوا أنفسهم - عن طريقة العلم ذاته - أمام مجاهيل فيما بين أيديهم مما كانوا يحسبون أنهم فرغوا من الإحاطة بعلمه! فتواضعوا تواضعاً علمياً نبيلاً ليست عليه سمة الادعاء، ولا طابع التطاول على الجهول، كما يتطاول مدعو العلم ومدعو التفكير العلمي، ممن ينكرون حقائق الديانات، وحقائق الجهول! إن الكون من حولنا حافل بالأسرار، عامر بالأرواح، حاشد بالقوى. وهذه السورة من القرآن - كغيرها - تمنحنا جوانب من الحقائق في هذا الوجود، تعين على بناء تصور حقيقي صحيح للوجود وما فيه من قوى وأرواح وحيوات تعج من حولنا، وتتفاعل مع حياتنا وذواتنا. وهذا التصور هو الذي يميز المسلم ويقف به وسطاً بين الوهم

والخرافة، وبين الادعاء والتطاول. ومصدره هو القرآن والسنة. وإليهما يحاكم المسلم كل تصور آخر وكل قول وكل تفسير ..

وإن هنالك مجالاً للعقل البشري معينا في ارتياد آفاق المجهول: والإسلام يدفعه إلى هذا دفعا .. ولكن وراء هذا المجال المعين ما لا قدرة لهذا العقل على ارتياده، لأنه لا حاجة به إلى ارتياده. وما لا حاجة له به في خلافة الأرض فلا مجال له إليه، ولا حكمة في إعانتته عليه. لأنه ليس من شأنه، ولا داخلا في حدود اختصاصه.

والقدر الضروري له منه ليعلم مركزه في الكون بالقياس إلى ما حوله ومن حوله، قد تكفل الله سبحانه ببيانه له، لأنه أكبر من طاقته. وبالقدر الذي يدخل في طاقته. ومنه هذا الغيب الخاص بالملائكة والشياطين والروح والمنشأ والمصير ..

فأما الذين اهتموا بهدى الله، فقد وقفوا في هذه الأمور عند القدر الذي كشفه الله لهم في كتبه وعلى لسان رسوله. وأفادوا منه الشعور بعظمة الخالق، وحكمته في الخلق، والشعور بموقف الإنسان في الأرض من هذه العوالم والأرواح. وشغلوا طاقاتهم العقلية في الكشف والعلم المهيأ للعقل في حدود هذه الأرض وما حولها من أجرام بالقدر الممكن لهم. واستغلوا ما علموه في العمل والإنتاج وعمران هذه الأرض والقيام بالخلافة فيها، على هدى من الله، متجهين إليه، مرتفعين إلى حيث يدعوهم للارتفاع.

وأما الذين لم يهتموا بهدى الله فانقسموا فرقتين كبيرتين: فرقة ظلت تجاهد بعقولها المحدودة لإدراك غير المحدود من ذاته تعالى، والمعرفة الحقيقية المغيبة عن غير طريق الكتب المتزلة. وكان منهم فلاسفة حاولوا تفسير هذا الوجود وارتباطاته، فظلوا يتعشرون كالأطفال الذين يصعدون جبلا شاهقا لا غاية لقمته، أو يحاولون حل لغز الوجود وهم لم يتقنوا بعد أبجدية الهجاء!

وكانت لهم تصورات مضحكة - وهم كبار فلاسفة - مضحكة حقا حين يقرئها الإنسان إلى التصور الواضح المستقيم الجميل الذي ينشئه القرآن. مضحكة بعثرائها. ومضحكة بمفارقاتها. ومضحكة بتخلخلها. ومضحكة بقزامتها بالقياس إلى عظمة الوجود الذي يفسرونه بها .. لا أستثني من هذا فلاسفة الإغريق الكبار، ولا فلاسفة

المسلمين الذين قلدوهم في منهج التفكير. ولا فلاسفة العصر الحديث! وذلك حين يقاس تصورهم إلى التصور الإسلامي للوجود .
فهذه فرقة. فأما الفرقة الأخرى، فقد يئست من جدوى هذا الاتجاه في المعرفة. فعدلت عنه إلى حصر نفسها وجهدها في العلم التجريبي والتطبيقي. ضاربة صفحا عن الجاهل.، الذي ليس إليه من سبيل. وغير مهتدية فيه بهدى الله. لأنها لا تستطيع أن تدرك الله!

وهذه الفرقة كانت في أوج غلوائها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ولكنها أخذت منذ مطلع هذا القرن تفيق من الغرور العلمي الجامح، على هروب المادة من بين أيديها وتحولها إلى إشعاع «مجهول الكنه» ويكاد يكون مجهول القانون! وبقي الإسلام ثابتا على صخرة اليقين. يمنح البشر من المجهول القدر الذي لهم فيه خير. ويوفر طاقتهم العقلية للعمل في خلافة الأرض. ويهيئ لعقولهم المجال الذي تعمل فيه في أمن. ويهديهم للتي هي أقوم في المجهول وغير المجهول! " ٩٧١

واجب الأمة نحو هؤلاء:

ما يدعيه المنجمون، والعرافون، والسحرة، ضلال كبير ومنكر لا يستهان به، وعلى الذين أعطاهم الله دينه، وعلمهم كتابه وسنة نبيه أن ينكروا هذا الضلال بالقول، ويوضحوا هذا الباطل بالحجة والبرهان، وعلى الذين في أيديهم السلطة أن يأخذوا على أيدي هؤلاء الذين يدعون الغيب من العرافين والكهنة وضاري الرمل والحصى، والناظرين في اليد (والفنجان)، وعليهم أن يمنعوا نشر خزعبلاتهم في الصحف والمجلات، ويعاقبوا من يتظاهر ببضاعته وضلالاته في الطرقات، وقد ذم الله بني إسرائيل لتركهم التناهي عن المنكر: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) } [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

٩٧١ - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود (ص: ٤٦٣)

لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَدْ لَعَنَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ اعْتَدَى مِنْهُمْ فِي السَّبْتِ، أَوْ لَعَنَ الْعَاصِينَ الْمُعْتَدِينَ مِنْهُمْ عَامَّةً، وَكَذَلِكَ لَعَنَهُمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ اللَّعْنِ هُوَ تَمَادِيهِمْ فِي الْعِصْيَانِ، وَتَمَرُّدُهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ (بِمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ).

فَقَدْ كَانُوا لَا يَنْهَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَدًا عَنْ مُنْكَرٍ يَقْتَرِفُهُ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْقُبْحِ وَالضَّرَرِ. وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ حِفَاطُ الدِّينِ، وَسِيَاجُ الْفَضَائِلِ وَالْآدَابِ، فَإِذَا تَجَرَّأَ الْمُسْتَهْتَرُونَ عَلَى إِظْهَارِ فِسْقِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَرَأَاهُمُ الْعَوْغَاءُ مِنَ النَّاسِ قَلْدُوهُمْ فِيهِ، وَزَالَ قُبْحُهُ مِنْ نُفُوسِهِمْ، وَصَارَ عَادَةً لَهُمْ، وَزَالَ سُلْطَانُ الدِّينِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَثُرَكَتْ أَحْكَامُهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى فَشْوِ الْمُنْكَرَاتِ فِيهِمْ. وَيُقْبَحُ اللَّهُ تَعَالَى سُوءَ فِعْلِهِمْ، وَيَذُمُّهُمْ عَلَى اقْتِرَافِ الْمُنْكَرَاتِ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَيْهَا وَسُكُوتِ الْآخَرِينَ عَنْهَا، وَرِضَاهُمْ بِهَا.^{٩٧٢}

وروى أبو داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، أَتَقِي اللَّهَ وَدَعَا مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ"، ثُمَّ قَالَ: {لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} إِلَى قَوْلِهِ {فَاسْقُونِ} [المائدة: ٨١]، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا».^{٩٧٣}

وروى الإمام أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي، نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ، فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، قَالَ يَزِيدُ: أَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَسْوَاقِهِمْ، وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى

^{٩٧٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٧٤٨، بترقيم الشاملة آليا)

^{٩٧٣} - سنن أبي داود (٤/ ١٢١) (٤٣٣٦) حسن

لِسَانَ دَاوُدَ، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -
 - مُتَكِنًا، فَجَلَسَ، فَقَالَ: لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى تَأْطُرُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا. " ٩٧٤
 وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَعُونَ
 هَذِهِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ
 يُغَيِّرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعْصَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ». ٩٧٥

الجن والأطباق الطائرة:

كثر الحديث في هذه الأيام عن الأطباق الطائرة، فلا يكاد يمر أسبوع إلا ونسمع أن
 شخصاً أو عدة أشخاص رأوا طبقاً طائراً، رأوه في الجوّ مخلقاً، أو على الأرض جائماً، أو
 رأوا مخلوقات مخالفة لشكل الإنسان تخرج منه، ووصل الأمر إلى الادعاء بأن بعض هذه
 المخلوقات طلبت إلى بعض الناس مصاحبتها إلى الطبق، وأجرت فحوصاً عليه. ٩٧٦
 وقال الدكتور الأشقر بعد نقله بعض المعلومات الصحفية عنها:
 " ويتلخص في إطلاق أجهزة خاصة للفضاء الخارجي؛ للبحث عن رسائل لاسلكية
 قادمة من كواكب أخرى.

ويمكننا بعد هذا العرض أن نقرر ما يأتي:

١ - لا مجال للتكذيب بوجود مخلوقات غريبة غير الإنسان، إذ تواترت الرؤية من
 عشرات الألوف بل مئات الألوف، وقد تابعت ما قيل في هذا الموضوع فترة
 طويلة، فكنت أجد مقالاً كل أسبوع تقريباً أو أكثر أو أقل حول رؤية جماعة أو شخص
 لشيء من هذا.

٩٧٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٤٧) (٣٧١٣) حسن

٩٧٥ - شرح السنة للبغوي (١٤ / ٣٤٤) (٤١٥٣) صحيح

٩٧٦ - راجع جريدة السياسة الكويتية العدد (٣٣٩٩٩): ٥/١٢/٧٧.

وآخر ذلك ما حدث في الكويت، فقد قرر أكثر من شخص أنه رأى طبقاً طائراً، وقد نشرت الصحف الكويتية النبأ
 في حينه. - الكلام للدكتور الأشقر حفظه الله

٢- احتار الناس في تفسير حقيقة هذه الأطباق، وحقيقة المخلوقات التي تستخدمها، خاصة أن سرعة هذه الأطباق خيالية تفوق سرعة أي مركبة اخترعها الإنسان.

٣- أكاد أحزم بأن هذه المخلوقات هي من عالم الجن الذي يسكن أرضنا هذه، والذين تحدثنا عنهم فيما سبق، وبيننا ما لديهم من قدرات وإمكانات تفوق قدرة البشر، ولقد أعطوا سرعة تفوق سرعة الصوت والضوء، كما أعطوا القدرة على التشكل، وهم يستطيعون أن يتمثلوا للإنسان في صور وأشكال مختلفة.

وبذلك يتبين لنا فضل الله علينا إذ عرفنا بهذه الحقائق، خاصة ونحن نشعر بالحيرة والقلق لدى الذين لا يعلمون ما علمناه، وبذلك نوفر طاقاتنا العقلية وقدراتنا العلمية وأموالنا؛ كي نوجهها وجهة نافعة.

وقد يتساءل بعضنا عن السرّ في ظهور هذه الأطباق في أيامنا هذه، وعدم ظهورها في العصور الخالية، فالجواب أن الجن يلبسون لكل عصر لبوسه، وهذا العصر عصر التقدم العلمي، ولذلك فإنهم يضللون البشر بالطريقة التي تثير انتباههم، وتشد نفوسهم، والناس اليوم يتطلعون إلى معرفة شيء عن الفضاء الواسع، وعن إمكانية وجود مخلوقات غيرهم فيه. " ٩٧٧

قلت: كلام الدكتور الأشقر جميل وطيب، ولكن لا نستطيع الجزم به، فليس لدينا أية أدلة قاطعة على أن الأطباق الطائرة هي من صنع الجن، وإن كان ذلك ضمن إمكانيات الجن.

وفي ويكيبيديا، الموسوعة الحرة طبق طائر

هي أجسام طائرة غير مُعرّفة (بالإنجليزية: Unidentified flying object) أو ما تعرف بالـ (UFO)، ظاهرة يؤمن بها بعض الناس في العالم وهي تختص بظهور أجسام لامعة في السماء وهبوط بعضها على الأرض وخروج بعض المخلوقات منها في زيارة سريعة للأرض مع اختطاف بعض الافراد من الأرض.

٩٧٧ - عالم الجن والشياطين (ص: ١٢٢) فما بعدها

ويعتقد كثير من الناس إنها إما أنها كانت نتيجة بداية عصر الطائرة بشكل عام والتي لم تكن معروفة لكثيرين أو أنها طائرات من صنع البشر ولكنها متطورة تقنيا وذات شكل أقرب إلى الأسطوانة، أو الكرة المفلطحة.

شائعات وشكوك

انتابت فكرة الأطباق الطائرة والمخلوقات الفضائية عامة شائعات وشكوك كثيرة عبر التاريخ بدءً بنشر بعض الصحف الأمريكية خبر عن اكتشاف طبق طائر متحطم في منطقة روزويل في ولاية تكساس الأمريكية في ٨ يوليو عام ١٩٤٧. ومنذ ذلك الحين تقريباً ازدادت فكرة الأطباق الطائرة والمخلوقات الفضائية في عقول البعض، وخصوصاً من الأمريكيين، وبعدها بدأ العديد عبر السنين يدعون رؤية أطباق طائرة، أو مخلوقات فضائية أو حتى أنهم تحدثوا معهم أو اختطفوهم أو اختطفوا أحد أقربائهم، الأطباق الطائرة في مصر القديمة

من ضمن الشائعات التي انتشرت بكثرة في العالم وأمريكا خاصة، أن الأطباق الفضائية ظهرت في مصر القديمة وسجل الملك أمنحتب الثالث رؤيتها حتى أن البعض قالوا أن الفضائيين هم من بنوا الأهرامات، واتخذوا مبررات أهمها وجود شيء بيضاوي الشكل يظهر على أحد النصوص المنحوتة في مقبرة أمنحتب الثالث، وفسره هؤلاء على أنه طبق طائر، لكن تم اثبات أن ذلك ليس طبقاً طائراً في الواقع ولكنها كرات البرق، وهي ظاهرة طبيعية نادرة والتي يظهر فيها البرق على شكل كرة برقية مضيئة وتكون قريبة من الأرض وهي أحد الكوارث الطبيعية النادرة، وقال عالم الآثار المصري د. زاهي حواس أن ترجمة النص الحرفي تقول أنه تمت مشاهدة برق على شكل كرات والتي أحرقت بعض المباني في المدينة، وفسر ذلك الكهنة على أنه لعنة من أمون نظراً لأنها كانت ظاهرة غريبة على المصريين، وكما هو مثبت علمياً أيضاً أن المصريين هم من بنوا الأهرامات ولم يتدخل في بنائها أي قوى خارجية، ومن ضمن الدلائل على ذلك أن هناك ألواح حجرية منقوشة بالهيراوغليفية داخل الهرم في غرفة الملك وفي مناطق صعب دخولها، وهذا معناه أنها كتبت أثناء بناء الهرم الأكبر.

الأطباق الطائرة والجن

لقد احتار الناس في وقتها في تفسير هذه الأطباق، وحقائقه المخلوقات التي تستخدمها، خاصة وإن سرعة هذه الأطباق خيالية تفوق أي مركبة يمكن أن يصنعها الإنسان، ولا يمكن الجزم بعدم وجودها، ولقد ذكرت مقالات في بعض المجالات والجرائد تفسر إن هذه المخلوقات هي من عالم الجن المستتر عنا والذي يشاركنا كوكب الأرض، ولديه من القدرات ما يفوق قدراتنا البشرية، وقد نتساءل عن سر ظهورها في عصرنا وعدم ظهورها في العصور الغابرة، فالجواب إن الجن يلبسون لكل عصر لبوسه، وهذا العصر عصر المدنية والتقدم العلمي ولذلك ما نجده سوى تضليل ووهم من عالم الجن يضللون بها البشر بالطريقة التي تثير انتباههم، وتشد نفوسهم، وكما أن العامل النفسي يلعب دوراً هاماً فالكثير من الأفراد الذين يعانون حالات نفسية يميلون أكثر إلى من يحكي لهم عن كل غريب، وعن إمكانية وجود مخلوقات فضائية في الكون.

مبدأ عملها

إن صحت القصة يعتقد العلماء بأن تفسير ذلك أنها تعتمد في طيرانها على مبدأ العزم الذي يتأثر بسبب الحركة الدائرية التي تؤثر على المجال المغناطيسي في داخله التي تكون بدورها مجال جذب بداخلها يشبه جذب المغناطيس للمعدن ولكن بسبب دوراتها السريع على محورها يسبب جاذبية أكبر وخاصة ان المجال المغناطيسي للمغناطيس الذي في داخله من أسفل يؤدي إلى تحويل الجذب من الأعلى للأسفل.

تقنية بشرية

يذهب آخرون أن الأطباق الطائرة ما هي إلا تقنية بشرية أنشأها أحد الجهات وبالأخص الألمان النازيين، ويعتقد أن أصحاب هذه التقنية يجترونها، ولا يريدون أحداً أن يعرف عملها لأهداف سياسية وعسكرية، وخاصة التضليل الإعلامي عنها بأنهم من الفضاء وما إلى ذلك من تلك الأمور التي يراد بها تغيير الفكرة وتضليل العقول إلى أنها لا يمكن صنع شبيه لها بيد البشر.

أشخاص ادعوا رؤيتها

لا يدعي رؤية الأطباق الطائرة أناس متوهمون بل إن ٦١ من المائة من الشعب الأمريكي يعتقد بوجود هذه الأطباق، حسب رأي جريدة السياسة الكويتية، العدد ٣٣٩٩ الصادر في ١٢/٥/١٩٧٨م، حيث ذكرت بأن الرئيس الأمريكي جيمي كارتر لمح شيئا غريبا في السماء بولاية جورجيا عام ١٩٧٧م، وهو يبدي اهتماما بالغاً بالكائنات التي من الفضاء الخارجي، وينسب إلى ملحق جريدة الهدف الكويتية العدد الصادر بتاريخ ٢٣/٣/١٩٧٨، ذكرها الرئيس الصيني السابق ماوتسي تنغ انه كان يؤمن بوجود مخلوقات غيرنا على الكواكب الأخرى ووجود الأطباق الطائرة، وقد قام المخرج السينمائي الأمريكي (ستيفن سبيلبرغ) بإنتاج فيلم سينمائي عن الأطباق الطائرة بعنوان مواجهة من النوع الثالث، وبلغت تكاليفه اثنان وعشرون مليوناً من الدولارات الأمريكية وقد وضع الفلم بعد تجميع المعلومات من الذين ادعوا رؤية الأطباق الطائرة، أو اتصلوا بهم، وعرض الفيلم لأول مرة في البيت الأبيض، وأقتنعت بعدها وكالة الفضاء الأمريكية بضرورة البحث عن الأطباق الطائرة في هذا المجال، وخصصت مليون دولار عن أبحاث عام ١٩٧٩، وقد اطلقت على المشروع السري اسم (سيتي) ويتلخص في إطلاق أجهزة خاصة بالفضاء الخارجي للأرض للبحث عن رسائل لاسلكية من الفضاء الخارجي قادمة من كواكب من نظام شمسي بعيد. وهذا الكلام ليس على درجة عالية من الدقة وبه كثير من الادعاءات الوهمية.

نظريات معارضة

هناك العديد من النظريات العلمية المعارضة لفكرة الأطباق الطائرة من ضمنها * ١ - إذا كان هناك مخلوقات فضائية وهي متطورة عن البشر فلماذا لم نجدهم إلى الآن في الفضاء رغم أن معظم الفضاء المحيط بالكرة الأرضية مصور وممسوح بالكامل من قبل الأقمار الصناعية والمراكز الفضائية؟! * ٢ - ان المدة التي يمكن فيها قطع المسافة بين مجرتنا وأقرب مجرة أخرى هي ٢,٥ مليون سنة ضوئية، مما يجعل فكرة وصول مخلوقات في تلك المدة أمراً مستحيلاً حتى لو كانوا توصلوا للسفر بسرعة الضوء بالفعل

الأطباق الطائرة والماسونية

من ضمن النظريات الأخرى المعارضة لتلك الفكرة، أن الأطباق الطائرة ما هي إلا طائرات وماكينات من صنع البشر، وليست كائنات فضائية جاءت بتلك الأطباق أو حتى من صنع الجن، ولكن ينسبها العديد للماسونيين أو الولايات المتحدة، ويستخدم الماسونيين فكرة التضليل والتشويش الإعلامي على العالم وتوجيه الناس لفكرة أخرى وإيهامهم أن الحكومة الأمريكية نفسها تبحث عن ذلك السر، لتبرير رؤية تلك الطائرات أو الأسلحة بأنها أشياء قادمة من عالم آخر أو من الفضاء، لكي يتمكنوا في النهاية بعد إقناع الناس أجمعين بأنها كائنات فضائية أتت لتهاجم كوكب الأرض وتهدده بالحرب عليه، وبعد ذلك يستدرجون الناس بحجة أنه لا بد أن يتكاتف العالم أجمع لمواجهة أولئك الأعداء، وبالتالي يحاولوا ضم الناس إليهم (الماسونية) إلى ما يسمى بـ "النظام العالمي الجديد". أصبح الراجح عند الكثير من الناس وإيمانهم الشديد بأن صانعو تلك الأطباق الطائرة هم الماسونيون، مستخدمين الألمان النازيين في صناعة تلك الأطباق وربما مستعينين بالجن. وبرر أصحاب النظرية ذلك بأن أغلب الشخصيات الشهيرة التي قالت أنها رأت أطباق طائرة هم في الحقيقة أعضاء في جماعة الماسونيين، ومن ضمنهم الرئيس الأمريكي جيمي كارتر.

لعمل واحدة شبيها بها بشكل نموذج مبسط

تحتاج إلى: ١- مغناطيس قوي طبيعي على شكل قرص - للتسهيل ٢- أسلاك نحاسية - للنقل الأفضل للكهرباء رغم سخونتها السريعة - ٣- محرك سريع - بالرغم أن توليد الحركة يكون في العادة بسبب الجذب المغناطيسي - ٤- بطاريات - بالرغم أن توليد الكهرباء يكون في العادة بسبب الجذب المغناطيسي - ٥- هيكل قابل للدوران حول محور من حديد يتأثر من المغناطيس ويكون خفيف - نعتبر المحور كاس يتساوى ارتفاعه مع قطر الدائرة والجزء القابل من الدوران نسميه صحن وحوافه مغناطيس ولكن ليس مسطح بل بشكل مائل لادخله داخل المجال المغناطيسي -

يوضع المغناطيس في أعلى الكأس نضع المحرك مثلاً في الأسفل نربطه بالصحن نجعله يدور باتجاه الطواف أي عكس اتجاه الساعة بسرعة كبيرة نوصل أسلاك النحاس حول الكأس وأطرافه في المغناطيس والأخرى في تلامس الطبق من الطرف المقارب للكأس ولكن لا يلتصق معاه سوف تلاحظ أن المكنة تحاول الاقتراب من المغناطيس في الأعلى كلما زادت حركة الصحن وبما أن المكنة جزء من كأس وهو في الأسفل سوف يحاول الانجذاب للمغناطيس مما يؤدي إلى ارتفاعه لعدم تساوي مقدار الحركة مع قوة الجذب بسبب عدم انتظام العزم الناتج من الدوران الذي بدوره يتزايد بشكل نسبي بسيط كمثال قام الدكتور العراقي حسن عبد الهادي بصنع طبق طائر.^{٩٧٨}

قلت: وهي احتمالات قوية جداً، وممكنة عقلاً.....

هل الأطباق الطائرة كانت طائرات تجسس أميركية؟

نشرت وكالة (أ ف ب) في ٩٧/٠٨/٥ أن أ.ل (C.I.A). أصدرت دراسة تقول بأن سلاح الجو الأميركي تعتمد الكذب إبان الحرب الباردة في شأن طبيعة الأطباق الطائرة التي شوهدت مرات عدة في أجواء الولايات المتحدة، ولم تكن في الواقع سوى طائرات تجسس تقوم بمهام سرية.

والمشاهدات لم تكن سوى مشاهدات خاطفة لطائرات التجسس (-2U) و(71SR). وكانت التجارب على طائرات (-2U) بدأت في آب ١٩٥٥. وذكرت الدراسة أن طائرات (-2U) كانت تستطيع التحليق على ارتفاع ١٨ ألف متر، بينما لم يكن بإمكان الطائرات المدنية الارتفاع أعلى من ثلاثة آلاف متر. وكانت طائرات التجسس مطلية باللون الفضي الذي يعكس أشعة الشمس خصوصاً عند الشروق وعند الغروب^{٩٧٩}

^{٩٧٨} - <http://ar.wikipedia.org/wiki>

^{٩٧٩} - مجلة الوعي كامل الأعداد (١٥ / ٢٨٤): (C.I.A): الأطباق الطائرة كانت طائرات تجسس أميركية

قلت: وهذا ليس ببعيد أن تفعله الدول الكبرى كأمريكا، فهي لا تتورع عن أي شيء يخدم مصالحها، وهناك كثير من التقارير قريبة من هذا التفسير.^{٩٨٠}

رأي الهنداوي في الأطباق الطائرة:

قال بعد كلام طويل: "ليس كل خبر تتناقله وسائل الإعلام يسلم له ويتزل منزلة الحقيقة الواقعة، وأصل ذلك أن تعلمي أنه لم يثبت بأي وجه من الوجوه أن هنالك أطباقاً طائرة قد نزلت إلى الأرض أو أن هنالك رجالاً من الفضاء قد نزلوا إليها، فهذا أمر إنما هو يساق في بعض وسائل الإعلام وتروجه لغرض الدعاية، وليس هنالك دليل على ثبوت هذا، وقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا}، فأمر جل وعلا بالثبوت، فمتى وجد ذلك وثبت بالدليل القطعي فهذا لا مانع منه، فإن الله جل وعلا يخلق ما يشاء، على أن الذي على كوكب الأرض إنما هو المخلوقات التي قد بينها جل وعلا، والتي مدارها على أربعة مخلوقات: فالأولان من هؤلاء الأربعة هما: (الإنس والجن) وهما الثقلان، وهما العبيد الذين أمروا بطاعة الله جل وعلا وباجتناب معصيته، فهم مكلفون بهذا الاعتبار.

والقسم الثالث: هم ملائكة الرحمن الذين هم موكلون بالأعمال التي أمر الله تعالى من حفظ العباد.

والقسم الرابع: هم الحيوانات التي لا عقل لها، وهذا يشمل بحسب الظاهر البهائم العجماوات، ويشمل كذلك ما دون ذلك من الكائنات الحية حتى التي لا تُرى بالعين المجردة، فلا بد إذن من الثبوت، ولا يمكن الجزم بوقوع هذه الأمور حتى تثبت بطريق نقلي صحيح مقطوع به، وأما أن يتلقف ذلك من بعض وسائل الإعلام فهذا أمر لا طائل من

^{٩٨٠} - انظر الاطباق الطائرة وحديد الوثائق البريطانية <http://www.gulfson.com/vb/f/103364/t19>

والأطباق الطائرة.. حقيقة أم خيال ؟!! <http://www.qenshrin.com/details.php?id=5222>

وحقيقه الظواهر الغريبة على كوكب الارض <http://news.maktoob.com/article/5841506>

الأطباق الطائرة <http://www.hozn.com/vb/showthread.php?p=118291>

ورائه، فإن المؤمن شأنه الثبوت والتمحيص، ولا يأخذ الأمور إلا بعد تروٍ ونظر وتثبت. ٩٨١

قلت: الذي يترجح عندي أن الأطباق الطائرة من عمل بعض الدول الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والدليل على ذلك أمور:

- ١- كثرة التقارير التي ترجح كونها عمل بشري متقن.....
- ٢- وجود تكتّم إعلامي متعمد عن حقيقة الأطباق الطائرة، لأنها نوع من التجسس على الأمم والشعوب....
- ٣- الزعم بأنها مخلوقات من كواكب أخرى زعم لا يدلُّ عليه أيُّ دليل معتبر، وإنما هو من أكاذيب الدول الكبرى للتستر على حقيقة الأمر، ولصرف الناس عن ذلك إلى عوالم مجهولة لا تعرف، ولتغطية جرائم هذه الدول بحق الأمم والشعوب ولا سيما أمة الإسلام التي تكالب عليها العالم كله، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ٩٨٢
- ٤- إذا كانت الأطباق الطائرة هي جنٌّ تشكَّلَ بذلك، فيجوز عندئذ إسقاطها وقتل الجنّي، لأنه قد تمثل بجسم مادي، فإذا غيّر الجنّي شكله وتشبّه ببعض المخلوقات الحسوسة صار مثله مثلها، فيمكن قتله ويذوّده، كما حصل مع الصحابي الذي رأى حية كبيرة في بيته فقتلها، وقتلته الجن لأنها كانت جنية، وليست أفعى ٩٨٣

٩٨١ - http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٦١٤٠

٩٨٢ - فعَنْ نُوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غَتَاءٌ كَغَتَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» سنن أبي داود (٤/ ١١١) (٤٢٩٧) صحيح

تداعي: التداعي: التابع، أي: يدعو بعضها بعضاً فتجيب. = الأكلة: جمع أكل. = غتاء: الغتاء: ما يلقيه السيل.

٩٨٣ - انظر القصة في صحيح مسلم (٤/ ١٧٥٦) ١٣٩ - (٢٢٣٦) والآداب للبيهقي (ص: ١٥١) (٣٦٢) وسنن أبي داود (٤/ ٣٦٥) (٥٢٥٧) وصحيح ابن حبان - مخرجا (١٢/ ٤٥٣) (٥٦٣٧) وقد ذكرته مفصلاً في الكتاب

نزول الملائكة لقراءة القرآن:

وقد كانت الملائكة تنزل لقراءة القرآن فعن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَمَا أَنَا أَقْرَأُ اللَّيْلَةَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ إِذْ سَمِعْتُ وَجْبَةً مِنْ خَلْفِي، فَطَلَنْتُ أَنْ فَرَسِي انْطَلِقَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اقْرَأْ يَا أَبَا عَتِيكَ"، فَالْتَفْتُ فَإِذَا مِثْلُ الْمَصْبَاحِ مُدَلَّى بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "اقْرَأْ يَا أَبَا عَتِيكَ"، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْضِيَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ نَزَلَتْ لِقِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ مَضَيْتَ لَرَأَيْتَ الْعَجَائِبَ" ٩٨٤

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، وَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِذَا هُوَ مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَقْرَأُ الْبَارِحَةَ وَالْفَرَسُ مَرْبُوطَةٌ إِذَا جَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ" قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ قَرِيبًا فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَدْرِي مَا ذَلِكَ؟" قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ أَتَتْ لَصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَ النَّاسُ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ" ٩٨٥

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، كَانَ رَجُلًا حَسَنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا أَقْرَأُ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِي وَالْمَرْأَةُ فِي الْحُجْرَةِ، وَالْفَرَسُ مَرْبُوطٌ بَبَابِ الْحُجْرَةِ، إِذْ غَشِيَنِي مِثْلُ السَّحَابَةِ، فَخَشَيْتُ أَنْ يَنْفِرَ الْفَرَسُ فَتَفْزَعَ الْمَرْأَةُ فَتَسْقُطَ، فَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اقْرَأْ أُسَيْدُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَلَكٌ اسْتَمَعَ الْقُرْآنَ" ٩٨٦

٩٨٤ - صحيح ابن حبان - محققا (٥٨ / ٣) (٧٧٩) صحيح

٩٨٥ - شعب الإيمان (٤ / ٢٢١) (٢٤٢٦) وصحيح البخاري (٦ / ١٩٠) (٥٠١٨) معلقا بصيغة الجزم وهو صحيح

٩٨٦ - معرفة الصحابة لأبي نعيم (١ / ٢٥٩) (٨٨٠) صحيح

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي، ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَيْتُ مِثْلَ الْقَنَادِيلِ نُورًا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فَهَلَّا مَضَيْتَ يَا أَبَا عَتِيكَ؟» قُلْتُ: مَا اسْتَطَعْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَيْتُهُ إِنِّ وَقَعْتُ سَاجِدًا، قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ مَضَيْتَ لَرَأَيْتَ الْعَجَائِبَ كَانَتْ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُوا إِلَى الْقُرْآنِ»^{٩٨٧}

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَنَهَا فَسَكَنَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ أَيْضًا فَسَكَنَهَا فَسَكَنَتْ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهُ فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِمِثْلِ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ عَرَجَتْ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَأَصْبَحَ فَحَدَّثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ الْحُضَيْرِ، هَلْ تَدْرِي مَا ذَاكَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لَصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ» ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا أُسَيْدُ فَقَدْ أُوتِيتَ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»^{٩٨٨}

وتنزل الملائكة على هذا النحو ليس قصرًا على عهد النبوة.^{٩٨٩}



^{٩٨٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٠١، بترقيم الشاملة آليا)

^{٩٨٨} - مستخرج أبي عوانة (٢/ ٤٨٠) (٣٩٠٤ و ٣٩٠٥) صحيح

^{٩٨٩} - انظر عالم الجن والشياطين للأشقر رحمه الله

المبحث السادس عشر

النهي عن التشبه بالجن

لقد هانا رسول الله ﷺ عن التشبه بالشیطان بالأكل والشرب، فعن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله.^{٩٩٠}

وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشرب بشماله، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله.^{٩٩١}

وكذلك فقد أمرنا بالتسمية على الطعام حتى لا يأكل الشيطان معنا، فعن مثنى بن عبد الرحمن الخزاعي، قال: حدثني جدي أمية بن مخشي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يأكل ولم يسم، فلما كان في آخر لقمة قال: بسم الله، أوله وآخره، فقال رسول الله ﷺ: «ما زال الشيطان يأكل معه، فلما سمى قاء الشيطان ما أكل»^{٩٩٢}

وعن حذيفة قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ على طعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإننا حضرنا معه طعاماً فجاءت جارية كأنما تدفع، فذهبت تضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، وجاء أعرابي كأنما يدفع، فذهب يضع يده في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده، إن يده في يدي مع يدهما، يعني: الشيطان -^{٩٩٣}

^{٩٩٠} - صحيح مسلم - المكثر [٣٥٢/ ١٣] (٥٣٨٤) و صحيح ابن حبان [٣٠/ ١٢] (٥٢٢٦)

^{٩٩١} - مسند أبي عوانة مشكلاً [٦٩/ ٥] (٦٥٩٥) صحيح

^{٩٩٢} - السنن الكبرى للنسائي (٢٦٣/ ٦) (٦٧٢٥) والمستدرک على الصحيحین - دار المعرفة بیروت (١٠٨/ ٤)

(٧٠٨٩) و مسند أحمد ط الرسالة (٢٩٦/ ٣١) (١٨٩٦٣) حسن لغيره

^{٩٩٣} - سنن أبي داود - المكثر (٤٠٦/ ٣) (٣٧٦٨) صحيح

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَأَمْبِتَ لَكُمْ، وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ" ٩٩٤

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ» ٩٩٥
وقد جاء النهي عن المشي في خف واحدة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ الْمَشْيِ فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ، وَقَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَمْشِي بِالنَّعْلِ الْوَاحِدَةِ" ٩٩٦
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُخَفِّهَهَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُنْعِلَهُمَا جَمِيعًا» ٩٩٧
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "نَهَى أَنْ يَمْشِيَ الرَّجُلُ فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ" ٩٩٨

فماذا نقول لبعض الناس هداهم الله الذين أبوا إلا أن يجعلوا سنة الرسول ﷺ خلف ظهورهم، وأخذوا بسنة الشيطان اقتداءً في ذلك بما دخل علينا من عادات الكفار.



٩٩٤ - صحيح مسلم (٣/ ١٥٩٨) ١٠٣ - (٢٠١٨) [ش (قال الشيطان) معناه قال الشيطان لإخوانه وأعوانه ورفقته]

٩٩٥ - أخبار أصبهان (٥/ ١٧٧، بترقيم الشاملة آليا) (١٣٥٧) والطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني (١/ ٢٦١) (١٥١) والصحيحة (١٦٤٧) وصحيح الجامع (٤٤٣١) وتاريخ أصبهان = أخبار أصبهان (١/ ٤١٦) والمعجم الأوسط (١/ ١٣) (٢٨) ومعجم ابن المقيئ (ص: ٢٠٦) (٦٤٧) صحيح لغيره

٩٩٦ - شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٨٧) (١٣٥٨) صحيح

٩٩٧ - صحيح البخاري (٧/ ١٥٤) (٥٨٥٦) وصحيح مسلم (٣/ ١٦٦٠) ٦٨ - (٢٠٩٧)

(ليخفهما) من الإحفاء وهو المشي بلا خف ولا نعل

٩٩٨ - شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٨٧) (١٣٥٩) صحيح

لَأَنَّ مَنْ لَبَسَ نَعْلًا وَاحِدَةً، أَوْ خُفًّا وَاحِدًا كَانَ بِذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ سَخِيفًا وَسَخِرُوا مِنْهُ، فَمِثْلُ هَذَا لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَهْيٌ وَجَبَ أَنْ يُنْتَهَى عَنْهُ، وَاللَّهُ تَسَاءَلُهُ التَّوْفِيقُ" شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٨٩)

المبحث السابع عشر

تلبس الجان ببدن الإنسان

لقد أجمع على ذلك علماء أهل السنة والجماعة ولم يخالف في هذا إلا الفرق الضالة كالشيعة والمعتزلة، وقد نقل الإجماع على هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية عن جميع أهل العلم، وذكر عن أبي الحسن الأشعري أنه نقل ذلك عن أهل السنة والجماعة ونقل ذلك أيضا عن أبي الحسن الأشعري العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي المتوفي سنة ٧٩٩ هـ في كتابه [آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان] في الباب الحادي والخمسين من كتابه المذكور، ولأجل ذلك يقول العلامة ابن حجر الهيتمي (توفي سنة ٩٧٤ هـ): "فدخوله (أي الجني) في بدن الإنسان هو مذهب أهل السنة والجماعة".

الأدلة على ذلك من القرآن والسنة

أولا- الأدلة من القرآن الكريم:

١- من الأدلة على تلبس الجني بالإنسي المراد الدخول به ما في كتاب الله تعالى قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٧٥) سورة البقرة.

هذه الآية تشبه حال المراهين بحال الجنون الذي مسه الشيطان، لأن الشيطان قد عمس الإنسان فيصيبه بالصرع والجنون.

ولكن الزمخشري ومن تابعه ينكرون ذلك، ويرون أن كون الصرع أو الجنون من الشيطان باطل لأنه لا يقدر على ذلك، فقد قال الزمخشري في تفسيره: وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. والمس الجنون، ورجل ممسوس - أي مجنون - وهذا أيضا من زعماتهم، وأن الجني عمسه فيختلط

عقله، وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن، ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات»^{٩٩٩}

ومن العلماء الذين تصدوا للرد على الزمخشري ومن تابعه الإمام القرطبي فقد قال في تفسيره عند هذه الآية: "في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصّرْع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مَسٌّ^{١٠٠٠}"

وقال الشيخ أحمد بن المنير: ومعنى قول الزمخشري أن تخبط الشيطان من زعمات العرب، أى من كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها، كما يقال في الغول والعنقاء ونحو ذلك. وهذا القول من تخبط - الشيطان بالقدرية - أى المعتزلة - في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع، ثم قال: واعتقاد السلف وأهل السنة أن هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشارع عنها، والقدرية ينكرون كثيرا مما يزعمونه مخالفا لقواعدهم.. من ذلك السحر، وخبطة الشيطان، ومعظم أحوال الجن. وإن اعترفوا بشيء من ذلك فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة وينبئ عنه ظاهر الشرع في خيط طويل لهم".^{١٠٠١}

وقد تحدث العلامة السيد محمود أفندي الألوسي عن المس الشيطاني للإنسان قائلا: "اعتقاد السلف وأهل السنة أن ما دلت عليه أمور حقيقية واقعة كما أخبر الشرع عنها والتزام تأويلها كلها يستلزم خبطا طويلا لا يميل إليه إلا المعتزلة ومن هذا حذوهم وبذلك ونحوه خرجوا عن قواعد الشرع القويم فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، والآية التي ذكروها في معرض الاستدلال على مدعاهم لا تدل عليه إذ السلطان المنفي فيها إنما هو القهر والإجاء إلى متابعتة لا التعرض للإيذاء والتصدي لما يحصل بسببه الهلاك، ومن تتبع الأخبار النبوية وجد الكثير منها قاطعا بجواز وقوع ذلك من الشيطان بل وقوعه بالفعل".^{١٠٠٢}

^{٩٩٩} - تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٣٢٠.

^{١٠٠٠} - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [ص ٨٧٠] و التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي [١/ ٦٣٤]

^{١٠٠١} - الانتصاف على الكشاف لابن المنير ج ١ ص ٣٢٠ من الكشاف.

^{١٠٠٢} - روح المعاني - نسخة محققة [٢/ ٤٨]

والذي نراه أن ما عليه جمهور العلماء من أن التشبيه على الحقيقة هو الحق، لأن الشيطان قد يمس الإنسان فيصيبه بالجنون، ولأنه لا يسوغ لنا أن تقول القرآن بغير ظاهره بسبب اتجاه لا دليل عليه.^{١٠٠٣}

ويقول السيد قطب رحمه الله: "هذه الصورة المجسمة الحية المتحركة.. صورة المسوس المصروع.. وهي صورة معروفة معهودة للناس. فالنص يستحضرها لتؤدي دورها الإيحائي في إفزاع الحس، لاستحاشة مشاعر المرائين، وهزها هزة عنيفة تخرجهم من مألوف عادتهم في نظامهم الاقتصادي ومن حرصهم على ما يحققه لهم من الفائدة.. وهي وسيلة في التأثير التربوي ناجعة في مواضعها. بينما هي في الوقت ذاته تعبر عن حقيقة واقعة"^{١٠٠٤}

٢- ومن الأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١]

أي: أصابهم "طيف" وقرأ آخرون: "طائف"، وقد جاء فيه حديث، وهما قراءتان مشهورتان، فقليل: بمعنى واحد. وقيل: بينهما فرق، ومنهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من فسره بـمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم من فسره بالهم بالذنب، ومنهم من فسره بإصابة الذنب.

وقوله: {تَذَكَّرُوا} أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعدته ووعيده، فتأبوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب. {فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه.^{١٠٠٥}

أي إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.^{١٠٠٦}

^{١٠٠٣} - التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي [١/ ٦٣٤]

^{١٠٠٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع [١/ ٣٢٤]

^{١٠٠٥} - تفسير ابن كثير - دار طيبة [٣/ ٥٣٤]

^{١٠٠٦} - التفسير الميسر [٣/ ١٦٢] وأيسر التفاسير لأسعد حومد [ص ١١٥٦]

ثانياً - الأدلة من السنة:

عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى. قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَنْتِ النَّبِيُّ ﷺ - فَقَالَتْ إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ « إِنْ شِئْتَ صَبِرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ ». فَقَالَتْ أَصْبِرُ. فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا^{١٠٠٧}.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْخَبِيثَ غَلَبَنِي، فَقَالَ لَهَا: إِنْ تَصْبِرِي عَلَيَّ مَا أَنْتِ عَلَيْهِ تَحِيَّتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبٌ وَلَا حِسَابٌ، قَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْبِرَنَّ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، قَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ الْخَبِيثَ أَنْ يُجَرِّدَنِي فَدَعَا لَهَا، فَكَانَتْ إِذَا أَحَسَّتْ أَنْ يَأْتِيَهَا تَأْتِي أَسْتَارَ الْكُعْبَةِ، فَيَعْلُقُ بِهَا، فَتَقُولُ لَهُ: اخْسَأْ، فَيَذْهَبُ عَنْهَا^{١٠٠٨}..

قال الحافظ في الفتح: "وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط. وقد أخرج البزار وابن حبان من حديث أبي هريرة، قال: جاءت امرأة بها لَمَمٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ لِي، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، وَإِنْ شِئْتَ صَبِرْتَ وَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ، قَالَتْ: بَلَى أَصْبِرُ وَلَا حِسَابَ عَلَيَّ^{١٠٠٩}.

وفي الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو

^{١٠٠٧} - صحيح البخارى - المكثر [٤٣/ ١٩] (٥٦٥٢) وصحيح مسلم - المكثر [٤٥٣/ ١٦] (٦٧٣٦)

^{١٠٠٨} - مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار [٢٨٠/ ١١] (٥٠٧٣) وفيه كلام

^{١٠٠٩} - مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار [٣٢٣/ ١٤] (٧٩٨٠) صحيح

صدق القصد، والآخر من جهة مداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم. ١١٠

وعن عثمان بن أبي العاص قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: ابن أبي العاص؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: ما جاء بك؟ قلت: يا رسول الله، عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي قال: ذاك الشيطان، ادنسه فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي وقال: اخرج عدو الله ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: الحق بعملك. قال: فقال عثمان: فلعمري ما أحسبه خالطني بعد. ١١١

وعن عبد الرحمن بن جوشن، قال: سمعت عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه يقول: عرض لي شيء في صلاتي، فلم يرع بي رسول الله ﷺ إلا وأنا بين يديه قال: فقال لي: اجلس على صدور قدميك قال: فجلست على صدور قدمي قال: وقال: افغر فاك، ففغرت فأي قال: فتفل رسول الله ﷺ في في، وضرب بيده على صدري، وقال: اخرج عدو الله من صدري قال: فما حسست به بعد ذلك ١١٢.

وعن عثمان بن بشر، قال: سمعت عثمان بن أبي العاص يقول: شكوت إلى رسول الله ﷺ نسيان القرآن، فضرب صدري بيده فقال: «يا شيطان اخرج من صدر عثمان» قال عثمان: «فما نسيته منه شيئاً بعد أحببت أن أذكره» ١١٣

وعن يعلى بن مرة، عن أبيه رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فرأيت منه ثلاثاً عجباً: نزلنا بأرض كثيرة الشجر يقال له: الأشاء، فقال: اذهب إلى تلك الأشاتين، فقل لهما: إن النبي ﷺ يأمركما أن تجتمعا، فذهبت إليهما، فقلت لهما: فاجتمعا، فقام النبي ﷺ فقضى حاجته، ثم قال: مرهما أن تفترا، فأمرتهما فافترتا، ثم

١١٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر [١٠/ ١١٥]

١١١ - سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة [٤/ ٥٦٨] (٣٥٤٨) صحيح

١١٢ - الآحاد والمثاني [٣/ ٥٠] (١٥٣٢) صحيح لغيره

١١٣ - المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٤٧) (٨٣٤٧) صحيح لغيره

أَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا يُصْرَعُ فِي الشَّهْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: أَذْنِيهِ، فَأَذْنِيَّتُهُ، فَتَقَلَ فِيهِ، وَقَالَ: أَخْرِجْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: إِذَا رَجَعْتَ فَأَعْلِمِينِي مَا صَنَعَ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ اسْتَقْبَلَتْهُ بِكَبْشَيْنِ، وَسَمَنَ، وَأَقْطَعَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ مِنْهَا أَحَدَ الْكَبْشَيْنِ قَالَ: فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ مِنْهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثُمَّ أَتَاهُ بَعِيرٌ فَرَأَى عَيْنِيهِ تَسِيلَانِ، فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الْبَعِيرُ؟ قَالُوا: لِأَلِ فُلَانٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَتَوْهُ، فَقَالَ: مَا لِهَذَا الْبَعِيرِ يَشْكُوكُمْ؟ قَالُوا: كَانَ نَاضِحًا لَنَا فَكَبِرَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَنْحَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ذَرُوهُ فِي الْإِبِلِ، فَتَرَكُوهُ" ١٠١٤.

وَعَنْ أُمِّ جُنْدُبٍ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، رَمَى حِمْرَةَ الْعَقْبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَهُوَ عَلَى دَابَّتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَتَبِعَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَتَمٍ، مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، بِهِ بَلَاءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا ابْنِي، وَبَقِيَّةُ أَهْلِي، وَإِنْ بِهِ بَلَاءٌ، لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَيْنِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأُتِيَ بِمَاءٍ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ، وَمَضْمَضَ فَا، ثُمَّ أَعْطَاهَا، فَقَالَ: اسْقِيهِ مِنْهُ وَصَبِّي عَلَيْهِ مِنْهُ، وَاسْتَشْفِي اللَّهَ قَالَتْ: فَلَقِيتُ الْمَرْأَةَ مِنَ الْحَوْلِ، فَسَأَلْتُهَا عَنِ الْغُلَامِ، فَقَالَتْ: بَرٌّ وَعَقْلٌ عَقْلًا لَيْسَ كَعُقُولِ النَّاسِ" ١٠١٥.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَحْوَصِ الْأَزْدِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أُمِّي، أَنَّهَا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمِي حِمْرَةَ الْعَقْبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَخَلْفَهُ إِنْسَانٌ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُصِيبُوهُ بِالْحِجَارَةِ وَهُوَ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَإِذَا رَمَيْتُمْ فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ"، ثُمَّ أَقْبَلَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بَابِنٍ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا ذَاهِبُ الْعَقْلِ فَادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ لَهَا: "أَتَيْنِي بِمَاءٍ"، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ، فَتَقَلَ فِيهِ وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ دَعَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "اذْهَبِي فَاغْسِلِيهِ بِهِ وَاسْتَشْفِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ"، فَقُلْتُ لَهَا: هَبِي لِي مِنْهُ قَلِيلًا لِابْنِي هَذَا، فَأَخَذْتُ مِنْهُ قَلِيلًا بِأَصَابِعِي فَمَسَحْتُ بِهَا شِقَّةَ ابْنِي فَكَانَ مِنْ أَبْرِّ النَّاسِ، فَسَأَلْتُ الْمَرْأَةَ بَعْدَ مَا فَعَلَ ابْنُهَا؟ قَالَتْ: بَرٌّ أَحْسَنَ بَرٍّ" ١٠١٦.

١٠١٤ - الأحاد والمثاني [١١٧/ ٣] (١٦١١) حسن لغيره

١٠١٥ - الأحاد والمثاني - دار الراية - الرياض (٥/ ٤٥١) (٣٢٩٣) حسن لغيره

١٠١٦ - مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ١٠١) (٢٧١٣١) حسن لغيره

وَعَنْ حَنْشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلًا مُصَابًا مَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَرَقَاهُ فِي أُذُنِهِ بِهَذِهِ
الْآيَةِ: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} [المؤمنون: ١١٥]، حَتَّى خَتَمَ، فَبَرَأَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِمَاذَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ؟» فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُوقِنًا قَرَأَهَا عَلَى حَبَلٍ لَزَالَ»^{١٠١٧}
وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا قَدْ أَصَابَهُ لَمَمٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ
ﷺ: اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: فَبَرَأَ، فَأَهْدَتْ لَهُ كَبْشَيْنِ وَشَيْئًا مِنْ أَقِطٍ
وَسَمَنٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا يَعْلَى، خُذِ الْأَقِطَ وَالسَّمْنَ، وَخُذْ أَحَدَ الْكَبْشَيْنِ، وَرُدَّهُ عَلَيْهَا
الْآخِرَ^{١٠١٨}.

وقد ذكره الإمام ابن كثير في (البداية والنهاية) ضمن أحاديث أخرى ثم قال
بعدها: (فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحر أن يعلى بن مرة
حدث بهذه القصة في الجملة)^{١٠١٩}
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ
الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّنَائُبِ.^{١٠٢٠}

قال الحافظ في الفتح: "وأما قوله في رواية مسلم: "فإن الشيطان يدخل" فيحتمل أن
يراد به الدخول حقيقة، وهو وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه
ما دام ذاكر الله تعالى، والمتناوب في تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشيطان من الدخول
فيه حقيقة. ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه، لأن من شأن من دخل في
شيء أن يكون متمكناً منه. وأما الأمر بوضع اليد على الفم فيتناول ما إذا انفتح
بالتناوب فيغطي بالكف ونحوه وما إذا كان منطبقاً حفظاً له عن الانفتاح بسبب

^{١٠١٧} - الدعوات الكبير (٢/ ٢٣١) (٥٩٤) والدعاء للطبراني (ص: ٣٣١) (١٠٨١) فيه انقطاع

المبتلى: المصاب بالعاهات والمصائب والأمراض وغيرها

^{١٠١٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) (٦/ ٣٥) (١٧٥٦٣) (١٧٧٠٦) حسن لغيره

^{١٠١٩} - البداية والنهاية (٦/ ١٤٦)

^{١٠٢٠} - صحيح مسلم - المكثر [١٩/ ٧٨] (٧٦٨٣) وصحيح ابن حبان [٦/ ١٢٤] (٢٣٦٠) ومسند أحمد (عالم

الكتب) [٤/ ٢٣٣] (١١٨٨٩) ١١٩١١

ذلك. وفي معنى وضع اليد على الفم وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد الثاؤب بدونها، ولا فرق في هذا الأمر بين المصلي وغيره، بل يتأكد في حال الصلاة كما تقدم ويستثنى ذلك من النهي عن وضع المصلي يده على فمه^{١٠٢١} وعن الزهري، أنا خارجة بن زيد قال: أن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه حدثه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حجها. فلما هبطنا بطن الروحاء عارضت رسول الله ﷺ امرأة لها صبي، فسلمت عليه ﷺ فوقف لها فقالت: يا رسول الله هذا ابني فلان، والذي بعثك بالحق ما زال في حق واحد منذ ولدته إلى الساعة، أو كلمة تشبهها. فأكسع إليها رسول الله ﷺ: فبسط يده، فجعله بينه وبين الرجل. ثم قل ﷺ في فيه. ثم قال: اخرج عدو الله فيائي رسول الله، ثم ناولها ﷺ إياه فقال: خذيه، فلن ترى معه شيئاً يري بك بعد اليوم إن شاء الله تعالى. قال أسامة رضي الله عنه: وفضينا حجتنا، ثم انصرفنا، فلما نزلنا بالروحاء. فإذا تلك المرأة أم الصبي، فجاءت ومعها شاة مصلية. فقالت: يا رسول الله، أنا أم الصبي الذي أتيتك به. قالت: والذي بعثك بالحق ما رأيت منه شيئاً يريني إلى هذه الساعة، قال أسامة رضي الله عنه: فقال لي رسول الله ﷺ: يا أسيم، قال الزهري: وهكذا كان يدعو به تحشمة ناولني ذراعها، قال: فامتلخت الذراع فناولته إياها ﷺ. ثم قال: يا أسيم ناولني الذراع، فامتلخت الذراع فناولته إياها ﷺ. ثم قال: يا أسيم ناولني الذراع فقلت: يا رسول الله، إنك قد قلت ناولني، فناولتكها فأكلتها، ثم قلت ناولني، فناولتكها فأكلتها، ثم قلت: ناولني الذراع، وإئتما للشاة ذراعان؟ فقال ﷺ: أما إنك لو أهويت إليها ما زلت تجد فيها ذراعاً ما قلت لك. قال ﷺ: يا أسيم: قم فخرج فأنظر هل ترى مكاناً يوارى رسول الله ﷺ؟ فخرجت، فمشيت حتى حسرت، وما قطعت الناس وما رأيت شيئاً أرى أنه يوارى أحداً، وقد ملاء الناس ما بين السدين. فأخبرته فقال ﷺ: فهل رأيت شجراً أو رجماً؟ قلت: بلى، قد رأيت نخلات صغاراً إلى جانبيه رجماً من حجارة. فقال ﷺ: يا أسيم، اذهب إلى النخلات فقل لهن: يأمركن رسول الله ﷺ: أن يلحق بعضكن ببعض

^{١٠٢١} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر [١٠ / ٦١٢]

حَتَّى تَكُنْ سُتْرَةً لِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُلْ كَذَلِكَ لِلرَّحِمِ فَأَتَيْتُ النَّخْلَاتِ فَقُلْتُ لَهُنَّ
الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ﷺ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ تَفَاقِرَهُنَّ بِعُرُوقِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ حَتَّى
لَصِقَ بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ، فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقُلْتُ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ. فَوَالَّذِي بَعَثَهُ
بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَاقِرِهِنَّ حَجَرًا حَجَرًا، حَتَّى عَلَا بَعْضُهُنَّ بَعْضًا. فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ
جِدَارًا. فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ ﷺ: خُذِ الْإِدَاوَةَ، فَأَخَذْتُهَا، ثُمَّ انْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَلَمَّا دَنَوْنَا
مِنْهُنَّ سَبَقْتُهُ ﷺ فَوَضَعْتُ الْإِدَاوَةَ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَانْصَرَفَ ﷺ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ
أَقْبَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْإِدَاوَةَ فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ ﷺ، ثُمَّ رَجَعْنَا. فَلَمَّا دَخَلَ ﷺ
الْخَبَاءَ قَالَ ﷺ: يَا أَسِيمُ انْطَلِقْ إِلَى النَّخْلَاتِ، فَقُلْ لَهُنَّ: يَا مُرْكُنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَرْجِعَ
كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَى مَكَانِهَا، وَقُلْ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ. فَأَتَيْتُ النَّخْلَاتِ فَقُلْتُ لَهُنَّ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ
بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَاقِرِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ، حَتَّى عَادَتْ كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَى مَكَانِهَا. وَقُلْتُ ذَلِكَ
لِلْحِجَارَةِ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَاقِرِهِنَّ حَجَرًا حَجَرًا حَتَّى عَادَ كُلُّ
حَجَرٍ إِلَى مَكَانِهِ. فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ ١٠٢٢.

وَعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيٍّ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَرْوَرُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ
قُمْتُ لِأَتَقَلَّبَ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي. وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ
الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ - أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « عَلَى رِسْلِكُمَا إِنِّهَا صَفِيَّةُ
بِنْتُ حُيٍّ ». فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ
مَجْرَى الدَّمِّ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا ». أَوْ قَالَ « شَيْئًا » ١٠٢٣.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ صَفِيَّةَ أَخْبَرَتْهُ. حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُخْبِرُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ صَفِيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا - أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ - وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَلَمَّا رَجَعَتْ مَشَى مَعَهَا، فَأَبْصَرَهُ رَجُلٌ مِنْ

١٠٢٢ - هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ يَحْيَى الصَّدِّيقُ ضَعِيفٌ. وَلَكِنْ لِحَدِيثِهِ شَاهِدٌ مِنْ طَرِيقٍ يَعْلَى بِنِ مَرَّةً، أَخْرَجَهُ
أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ بِزَوَائِدِ الْمَسَانِيدِ الثَّمَانِيَةِ [١٥ / ٥٣٠] (٣٨٠٨)
١٠٢٣ - صَحِيحٌ مُسْلِمٌ - الْمَكْتَر [١٤ / ٣٥٥] (٥٨٠٨) - يَقْلِبُ: يَرُدُّهَا إِلَى مَرْتَلَا

الأنصار، فلَمَّا أَبْصَرَهُ دَعَاهُ فَقَالَ « تَعَالَ هِيَ صَفِيَّةٌ - وَرَبِّمَا قَالَ سُفْيَانُ هَذِهِ صَفِيَّةٌ - فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ » ١٠٢٤ .

وقد استدلل بهذا الحديث على قدرة الجن سلوك بدن الإنسان جماعة من علماء وأئمة أهل السنة والجماعة منهم: القرطبي في تفسيره، وابن تيمية في فتاويه، وابن حجر الهيثمي وردَّ به على المعتزلة منكري ذلك، والبقاعي في تفسيره، وابن حجر العسقلاني في بذل الماعون، والعلامة موفق الدين بن عبد اللطيف البغدادى، والقاسمي في تفسيره، وحكى النووي أن بعض علماء الشافعية استدلوا بالحديث على أن الله جعل للشيطان قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه.

وَعَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ فَتَمَخَّطَ فِيهَا، وَقَالَ: " بَخْ بَخْ، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِي الْكَتَّانِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَخْرُ فِيمَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَحُجْرَةِ عَائِشَةَ مَعْشِيًّا عَلَيَّ مِنَ الْجُوعِ، فَيَمُرُّ بِي الْمَارُّ فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي فَيَقُولُ النَّاسُ: إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ إِلَّا الْجُوعُ " . وَفِي رِوَايَةٍ " إِنِّي لِلْأَخْرِ بَيْنَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَعْشِيًّا عَلَيَّ فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي وَيَرَى أَنَّ بِي جُنُونًا، مَا بِي مِنْ جُنُونٍ إِلَّا الْجُوعُ " ١٠٢٥ .

ووجه الدلالة واضح وهو أن من مرَّ من الصحابة رضوان الله عليهم بأبي هريرة كان يظنه مجنوناً فيضع رجله على رقبته؛ لأن من علاج الجن وإخراجهم الضرب حتى يخرج من بدن المصروع، ولهذا قال الذهبي معقبا على الأثر آنف الذكر: (كان يظنه من يراه مصروعاً، فيجلس فوقه ليرقيه أو نحو ذلك) ١٠٢٦

١٠٢٤ - صحيح البخارى - المكثر [٧ / ٤٠٨] (٢٠٣٩)

لأنقلب: الانقلاب: الرجوع من حيث جئت. = على رِسْلِكَمَا: يقال: افعله على رِسْلِكَ - بكسر الراء - أي: على هيبتك ومَهْلِكَ. = يقذف: يُلقَى ويوقع في أنفسكم. جامع الأصول في أحاديث الرسول [١ / ٣٤٣]

١٠٢٥ - صحيح البخارى - المكثر [٢٤ / ١٣٢] (٧٣٢٤) وشعب الإيمان [١٣ / ٢١٠] (١٠٢٠٧)

الممشق: المصبوغ بالمشق وهو الطين الأحمر

١٠٢٦ - سير أعلام النبلاء - ٢ / ٥٩٠ - ٥٩١

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في كتابه "إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين" ما نصه بعد كلام سبق: (ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع ولم ينكروا وجود الجن، إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا وإن كانوا مخطئين في ذلك. ولهذا ذكر الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون إن الجني يدخل في بدن المصروع، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٧٥] (وهذا مبسوط في موضعه) ١٠٢٧.

وقال أيضا رحمه الله ما نصه: (وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيٍّ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَحَدَّثْتُ عَنْدهُ وَهُوَ عَاكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ مَعِيَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي يَلْعَنِي بَيْتِي، فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ اسْتَحْيَا فَرَجَعَا، فَقَالَ: تَعَالَيَا، فَإِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيٍّ، فَقَالَا: نَعُوذُ بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَقُولُ لَكُمْ هَذَا إِنْ تَكُونَا تَظُنَّانِ سُوءًا، وَلَكِنْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ١٠٢٨.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت: لأبي إن أقواما يقولون: إن الجني لا يدخل بدن المصروع، فقال: يا بني، يكذبون. هو ذا يتكلم على لسانه)، وهذا الذي قاله أمر مشهور، فإنه يصارع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضربا عظيما لو ضرب به جمل لأثر به أثرا عظيما، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا

١٠٢٧ - مجموع الفتاوى " ج ١٩ ص ٩ إلى ص ٦٥

١٠٢٨ - صحيح البخارى - المكثر [٧/ ٤٠٨] (٢٠٣٩) وصحيح ابن حبان [١٠/ ٣٤٧] (٤٤٩٦)

بالكلام الذي يقوله، وقد يجز المصروع غير المصروع ويجز البساط الذي يجلس عليه ويجول الآلات وينقل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علما ضروريا بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان. وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك). اهـ. ١٠٢٩

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "الصَّرع صرعان: صَرَعٌ من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصَرَعٌ من الأخلاق الرديئة. والثاني: هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه.

وأما صَرَعُ الأرواح، فَأَتَمَّتْهُمْ وَعَقَلَتْهُمْ يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأنَّ علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك "بقراط" في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصَّرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصَّرع الذي سببه الأخلاط والمادة. وأما الصَّرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج.

وأما جهلة الأطباء وسقطتهم وسفلتهم، ومن يعتقذ بالزندقة فضيلة، فأولئك يُنكرون صَرَعَ الأرواح، ولا يُقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحسُّ والوجودُ شاهدٌ به، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط، هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها.

وقدما الأطباء كانوا يُسمون هذا الصَّرع: المرضَ الإلهي، وقالوا: إنه من الأرواح. وأما "جالينوس" وغيره، فتأولوا عليهم هذه التسمية، وقالوا: إنما سُمِّوه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس، فتضرُّ بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ. وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها، وتأثيراتها، وجاءت زنادقة الأطباء فلم يُثبتوا إلا صَرَعَ الأخلاط وحده.

وَمَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ وَتَأْثِيرَاتِهَا يَضَحَكُ مِنْ جَهْلٍ هَؤُلَاءِ وَضَعْفَ عَقُولِهِمْ
وَعِلَاجُ هَذَا النُّوعِ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ: أَمْرٌ مِنْ جِهَةِ الْمَصْرُوعِ، وَأَمْرٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعَالِجِ، فَالَّذِي
مِنْ جِهَةِ الْمَصْرُوعِ يَكُونُ بِقُوَّةِ نَفْسِهِ، وَصِدْقِ تَوَجُّهِهِ إِلَى فَاطِرِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ
وَبَارِئِهَا، وَالتَّعَوُّذِ الصَّحِيحِ الَّذِي قَدْ تَوَاطَأَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، فَإِنَّ هَذَا نَوْعُ
مُحَارَبَةٍ، وَالْمُحَارَبِ لَا يَتِمُّ لَهُ الْإِنْتِصَافُ مِنْ عَدُوِّهِ بِالسَّلَاحِ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ: أَنْ يَكُونَ السَّلَاحُ
صَحِيحاً فِي نَفْسِهِ جَيِّداً، وَأَنْ يَكُونَ السَّاعِدُ قَوِيّاً، فَمَتَى تَخَلَّفَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُغْنِ السَّلَاحُ
كَثِيرَ طَائِلٍ، فَكَيْفَ إِذَا عُدِمَ الْأَمْرَانِ جَمِيعاً: يَكُونُ الْقَلْبُ خَرَاباً مِنْ
التَّوْحِيدِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالتَّقْوَى، وَالتَّوَجُّهِ، وَلَا سَلَا حَ لَهُ.

وَالثَّانِي: مِنْ جِهَةِ الْمَعَالِجِ، بَأَنْ يَكُونَ فِيهِ هَذَانِ الْأَمْرَانِ أَيْضاً، حَتَّى إِنْ مِنْ الْمَعَالِجِينَ مَنْ
يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ: "أَخْرِجْ مِنْهُ"، أَوْ بِقَوْلِهِ: "بِسْمِ اللَّهِ"، أَوْ بِقَوْلِهِ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ"، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "أَخْرِجْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ".

وَشَاهَدْتُ شَيْخَنَا يُرْسِلُ إِلَى الْمَصْرُوعِ مَنْ يَخَاطِبُ الرُّوحَ الَّتِي فِيهِ، وَيَقُولُ: قَالَ لَكَ
الشَّيْخُ: أَخْرِجْ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ، وَرَبَّمَا خَاطَبَهَا بِنَفْسِهِ، وَرَبَّمَا كَانَتْ
الرُّوحُ مَارِدَةً فَيُخْرِجُهَا بِالضَّرْبِ، فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ وَلَا يُحِسُّ بِأَلَمٍ، وَقَدْ شَاهَدْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا
مِنْ ذَلِكَ مَرَاراً.

وَكَانَ كَثِيراً مَا يَقْرَأُ فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَّا نَا لَا
تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: ١١٥].

وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ قَرَأَهَا مَرَّةً فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ، فَقَالَتْ الرُّوحُ: نَعَمْ، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ. قَالَ: فَأَخَذْتُ
لَهُ عَصَاً، وَضَرَبْتُهُ بِهَا فِي عُرُوقِ عُنُقِهِ حَتَّى كَلَّتْ يَدَايَ مِنَ الضَّرْبِ، وَلَمْ يَشْكُ الْحَاضِرُونَ
أَنَّهُ يَمُوتُ لِذَلِكَ الضَّرْبِ. فَفِي أَثْنَاءِ الضَّرْبِ قَالَتْ: أَنَا أَحْبُّهُ، فَقُلْتُ لَهَا: هُوَ لَا
يُحِبُّكَ. قَالَتْ: أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحُجَّ بِهِ. فَقُلْتُ لَهَا: هُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ مَعَكَ، فَقَالَتْ: أَنَا أَدْعُهُ
كَرَامَةً لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا وَلَكِنْ طَاعَةَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ، قَالَتْ: فَأَنَا أَخْرِجُ مِنْهُ، قَالَ: فَقَعَدَ
الْمَصْرُوعُ يَلْتَفَتُ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِي إِلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ؟ قَالُوا لَهُ: وَهَذَا الضَّرْبُ

كلُّهُ ؟ فقال: وعلى أى شىء يَضْرِبُنِي الشيخ ولم أَذْنِبْ، ولم يَشْعُرْ بأنه وقع به الضربُ
أَلْبَتَةً.

وكان يعالجُ بآية الكرسيِّ، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومَنْ يعالجه بها وبقراءة
المعوذتين.

وبالجملة.. فهذا النوعُ من الصَّرْع، وعلاجه لا يُنكره إلا قليلُ الحظ من العلم والعقل
والمعرفة، وأكثرُ تسلطِ الأرواح الخبيثة على أهلِهِ تكون من جهة قَلَّةِ دينهم، وخرابِ
قلوبهم وألستهم من حقائق الذِّكر، والتعاويز، والتحصُّنات النبوية والإيمانيَّة، فتَلْقَى الروحُ
الخبيثة الرجلَ أعزَلَ لا سلاح معه، وربما كان غُرِياناً فيؤثر فيه هذا.

ولو كُشِفَ الغطاء، لرأيتَ أكثرَ النفوسِ البشريَّةِ صرَعَى هذه الأرواح الخبيثة، وهى فى
أسْرِها وقبضتها تسوقُها حيثُ شاءتْ، ولا يُمكنُها الامتناعُ عنها ولا مخالفتها، وبها
الصَّرْعُ الأعظمُ الذى لا يُفِيْقُ صاحبه إلا عند المفارقة والمعاناة، فهناك يَتَحَقَّقُ أنه كان
هو المصروعَ حقيقةً، وبالله المستعان.

وعلاجُ هذا الصَّرْع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرُّسُل، وأن تكون
الجنَّةُ والنارُ نُصَبَ عَيْنِيهِ وَقِيلَةَ قَلْبِهِ، ويستحضر أهلَ الدنيا، وحلول المثلوات والآفات
بهم، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر، وهم صرَعَى لا يُفِيْقون، وما أشدَّ داءَ هذا
الصَّرْع، ولكن لما عَمَّتِ البليَّةُ به بحيثُ لا يرى إلا مصروعاً، لم يَصِرْ مستغرباً ولا
مستنكراً، بل صار لكثرة المصروعين عَيْنَ المستنكرِ المستغربِ خلافه.

فإذا أراد الله بعبد خيراً أفاقَ من هذه الصَّرْعَة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يميناً
وشمالاً على اختلاف طبقاتهم، فمنهم مَنْ أَطَبَقَ به الجنون، ومنهم مَنْ يُفِيْقُ أحياناً
قليلةً، ويعودُ إلى جنونه، ومنهم مَنْ يُفِيْقُ مرةً، ويُجَنُّ أُخرى، فإذا أفاق عَمِلَ عَمَلِ أَهْلِ
الإفاقة والعقل، ثم يُعاوِذُهُ الصَّرْعُ فيقعُ فى التخبُّط.

وأما صرْعُ الأخلاط، فهو عِلَّةٌ تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصابِ
منعاً غير تام، وسببه خلطٌ غليظٌ لزج يسدُّ منافذ بطون الدماغ سدةً غيرَ تامة، فيمتنعُ
نفوذُ الحس والحركة فيه وفى الأعضاء نفوذاً تاماً من غير انقطاع بالكُلِّيَّة، وقد تكون

لأسباب أخر كريح غليظ يحتبس في منافذ الروح، أو بُخار ردى يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفية لاذعة، فينقبض الدماغ لدفع المؤذى، فيتبعه تشنُّج في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصباً، بل يسقط، ويظهر في فيه الزُّبْد غالباً.

وهذه العلة تُعدُّ من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة، وقد تُعدُّ من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مُكثِّها، وعُسْر بُرئها، لا سيما إن تجاوز في السن خمساً وعشرين سنة، وهذه العلة في دماغه، وخاصة في جوهره، فإن صرَّع هؤلاء يكون لازماً. قال "أبقراط": إن الصرَّع يبقَى في هؤلاء حتى يموتوا.

إذا عُرف هذا، فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تُصرَّع وتتكشَّف، يجوز أن يكون صرَّعها من هذا النوع، فوعدها النبي ﷺ الجنة بصبرها على هذا المرض، ودعا لها أن لا تتكشف، وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان، فاختارت الصبر والجنة.

وفي ذلك دليل على جواز ترك المعالجة والتداوى، وأنَّ علاج الأرواح بالدعوات والتوجُّه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأنَّ تأثيره وفعله، وتأثير الطبيعة عنه وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جرَّبنا هذا مراراً نحن وغيرنا، وعقلاء الأطباء معترفون بأنَّ لفعل القوى النفسية، وانفعالاتها في شفاء الأمراض عجائب، وما على الصناعة الطبية أضرُّ من زنادقة القوم، وسفلتهم، وجُهاهم.

والظاهر: أن صرَّع هذه المرأة كان من هذا النوع، ويجوز أن يكون من جهة الأرواح، ويكون رسول الله ﷺ قد خيرها بين الصبر على ذلك مع الجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء، فاختارت الصبر والستر.. والله أعلم. اهـ ١٠٣٠

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: وصرَّع الجنُّ للإنس هو لأسباب ثلاثة: تارة يكون الجنُّ يحبُّ المصروع فيصرَّعه ليتمتع به وهذا الصرَّع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الإنسي إذاهم إذا بال عليهم أو صبَّ عليهم ماءً حاراً أو يكون

قَتَلَ بَعْضُهُمْ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذَى وَهَذَا أَشَدُّ الصَّرَعِ وَكَثِيرًا مَا يَقْتُلُونَ الْمَصْرُوعَ وَتَارَةً يَكُونُ بِطَرِيقِ الْعَبَثِ بِهِ كَمَا يَعْبَثُ سُفَهَاءُ الْإِنْسِ بِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ...^{١٠٣١} وقال الحافظ في الفتح: "انحباس الريح قد يكون سبباً للصَّرَعِ، وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسة عن انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصباً بل يسقط ويقذف بالزبد للغلظ الرطوبة، وقد يكون الصَّرَعُ مِنَ الْجِنِّ، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم، إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإما لإيقاع الأذى به، والأوّل هو الذي يثبتته جميع الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني يحجده كثير منهم، وبعضهم يثبتته ولا يعرف له علاجاً إلا بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية لتدفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها.

وَمِمَّنْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَبُقْرَاطُ فَقَالَ لَمَّا ذَكَرَ عِلَاجَ الْمَصْرُوعِ: هَذَا إِنَّمَا يَنْفَعُ فِي الَّذِي سَبَبُهُ أَخْلَاطٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْأَرْوَاحِ فَلَا. اهـ^{١٠٣٢} وأما قوله تعالى: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {إبراهيم: ٢٢}، قال ابن كثير: "أي: مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ عَلَى صِدْقِ مَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ، {إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، هَذَا وَقَدْ أَقَامَتْ عَلَيْكُمْ الرُّسُلُ الْحُجَجَ وَالْأَدْلَةَ الصَّحِيحَةَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ، فَخَالَفْتُمُوهُمْ فَصَرِّحْتُ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، {فَلَا تَلُمُونِي} الْيَوْمَ، {وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ} فَإِنَّ الذَّنْبَ لَكُمْ، لَكُمْ خَالَفْتُمُ الْحُجَجَ وَأَبْغَضْتُمُونِي بِمُجَرَّدِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْبَاطِلِ، {مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ} أَي: بِنَافِعِكُمْ وَمُنْقَذِكُمْ وَمُخَلِّصِكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، {وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} أَي: بِنَافِعِي بِإِيقَازِي مِمَّا أَنَا فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ

^{١٠٣١} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٣ / ٨٢)

^{١٠٣٢} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة [١٠ / ١١٤]

وَالْتَكَالِ، {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ} قَالَ قَتَادَةُ: أَيُّ بِسَبَبٍ مَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ. ١٠٣٣

فالمراد نفي حجته لا نفي قوته على المس، وأما تكريم بني آدم وتفضيلهم فلا يفيد عدم المس لأن المكرم قد يصاب وقد يقتل فيعظم أجره، ولا يفيد ذلك عدم تكريمه وتفضيله. ١٠٣٤

وَقَدْ سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

هَلْ الشَّرُّ الْمَطْهَرُ يُنْكَرُ مَا تَفْعَلُهُ الشَّيَاطِينُ الْجَانَّةُ مِنْ مَسِّهَا وَتَخْبِيطِهَا وَجَوْلَانِ بَوَارِقِهَا عَلَى بَنِي آدَمَ وَاعْتِرَاضِهَا ؟ فَهَلْ لَذَلِكَ مُعَالِجَةٌ بِالْمُخَرَّقَاتِ وَالْأَحْرَازِ وَالْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ وَالرُّقَى وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالتَّمَائِمِ ؟ وَأَنْ بَعْضَ النَّاسِ قَالَ: لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْجَنَّ يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقَائِقِ عِنْدَ عَامِرَةِ الْأَجْسَادِ بِالْبَوَارِ وَأَنَّ هَذِهِ الْخَوَاتِمَ الْمُتَّخِذَةَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ سُرْيَانِيٍّ وَعَبْرَانِيٍّ وَعَجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ لَيْسَ لَهَا بُرْهَانٌ وَأَنَّهَا مِنْ مُخْتَلَقِ الْأَقَاوِيلِ وَخُرَافَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنَ الْقُوَّةِ وَلَا مِنَ الْقَبْضِ بَحِثٌ يَفْعَلُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ مُتَوَلِّي هَذَا الشَّأْنِ عَلَى مَمَرِ الدُّهُورِ وَالْأَوْقَاتِ ؟ فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَجُودُ الْجَنِّ ثَابِتٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتِهَا. وَكَذَلِكَ دُخُولُ الْجَنِيِّ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ ثَابِتٌ بِاتِّفَاقِ أَيْمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٧٥].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْعَوَابِرِ مِنْ

١٠٣٣ - تفسير ابن كثير ت سلامة (٤ / ٤٨٩)

١٠٣٤ - فتاوى الشبكة الإسلامية [١ / ٤٢٣٤] - ثبوت صرع الجن للإنس

رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ، الَّذِي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبٍ» قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا». ١٠٣٥

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قُلْتُ لِأَبِي: إِنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ: إِنَّ الْجَنِّيَّ لَا يَدْخُلُ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ يَكْذِبُونَ هَذَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ. ١٠٣٦

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَمْرٌ مَشْهُورٌ فَإِنَّهُ يَصْرَعُ الرَّجُلُ فَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ وَيُضْرَبُ عَلَى بَدَنِهِ ضَرْبًا عَظِيمًا لَوْ ضُرِبَ بِهِ جَمَلٌ لَأَثَرُ بِهِ أَثَرًا عَظِيمًا. وَالْمَصْرُوعُ مَعَ هَذَا لَا يُحْسُ بِالضَّرْبِ وَلَا بِالْكَلَامِ الَّذِي يَقُولُهُ وَقَدْ يَجْرُ الْمَصْرُوعُ وَغَيْرَ الْمَصْرُوعِ وَيَجْرُ السِّبَاطُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَيُحَوَّلُ آلَاتٌ وَيَنْقَلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَيُجْرِي غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ مَنْ شَاهَدَهَا أَفَادَتْهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّ النَّاطِقَ عَلَى لِسَانِ الْإِنْسِيِّ وَالْمُحَرِّكَ لَهُدِهِ الْأَجْسَامِ جِنْسٌ آخَرُ غَيْرُ الْإِنْسَانِ. وَلَيْسَ فِي أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكَرُ دُخُولَ الْجَنِّيِّ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ وَغَيْرِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَادَّعَى أَنَّ الشَّرْعَ يُكَذِّبُ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الشَّرْعِ وَلَيْسَ فِي الْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ.

وَعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: أَدْرَكْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ عُبَادَةَ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَفَاتَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَأَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عُمَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: "اللَّهُ حَكَمَ قَسْطُ تَبَارَكَ اسْمُهُ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ أَنَّ الرَّجُلَ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَمَا بَالُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِي حَتَّى أَبْتَدِعَ

١٠٣٥ - صحيح البخاري (٤٨ / ٨) (٦٢١٩)

١٠٣٦ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ١٢)

لَهُمْ غَيْرُهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ، فَإِنْ مَا ابْتَدَعَ ضَلَّالَةٌ، وَاتَّقُوا زَيْعَةَ الْحُكْمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِي الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ " قَالَ: «اجْتَنِبُوا مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ كُلِّ مُتَشَابِهِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ» قُلْتُ: هَذَا، وَلَا يَنَاقِ بِكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ يُرَاجِعُ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ، فَإِنْ عَلَى الْحَقِّ نُورًا" ١٠٣٧

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: أَدْرَكْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَفَاتَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَأَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: "اللَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ قَسْطٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولَ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَمَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي، وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِي حَتَّى ابْتَدَعَ لَهُمْ غَيْرُهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ، فَإِنْ مَا ابْتَدَعَ ضَلَّالَةٌ، وَاتَّقُوا زَيْعَةَ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِي الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَيُلْقِي الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ قَالَ: قُلْنَا: وَمَا يُدْرِينَا رَحِمَكَ اللَّهُ أَنْ الْمُنَافِقُ يُلْقِي كَلِمَةَ الْحَقِّ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِي الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ؟ قَالَ: اجْتَنِبُوا مِنْ كَلِمَةِ الْحَكِيمِ كُلِّ مُتَشَابِهِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ قُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يَنَاقِ بِكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعُ، وَيُلْقِي الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ، فَإِنْ عَلَى الْحَقِّ نُورًا" ١٠٣٨

وَعَنِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: "هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولَ: مَا بَالُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِي حَتَّى ابْتَدَعَ لَهُمْ غَيْرُهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ، فَإِنَّمَا ابْتَدَعَ ضَلَّالَةٌ" ١٠٣٩

١٠٣٧ - الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٠٨) (١٤٣) صحيح

١٠٣٨ - الشريعة للأجري (١/ ٤٠٧) (٩١) صحيح

١٠٣٩ - الشريعة للأجري (١/ ٤٠٥) (٩٠) صحيح

وَأَمَّا مُعَالِجَةُ الْمَصْرُوعِ بِالرُّقَى وَالتَّعَوُّذَاتِ فَهَذَا عَلَى وَجْهَيْنِ: فَإِنْ كَانَتْ الرُّقَى وَالتَّعَوُّذُ مِمَّا يُعْرِفُ مَعْنَاهَا وَمِمَّا يَجُوزُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا الرَّجُلُ دَاعِيًا لِلَّهِ ذَاكِرًا لَهُ وَمُخَاطَبًا لِخَلْقِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرْقَى بِهَا الْمَصْرُوعُ وَيُعَوَّذَ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نُرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^{١٠٤٠}

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ لِي خَالٌ يَرْقِي مِنَ الْعَقَرِ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الرُّقَى، قَالَ: فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى، وَأَنَا أَرْقِي مِنَ الْعَقَرِ، فَقَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^{١٠٤١}

وَقَالَ الطَّحَاوِيُّ: "وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي إِبَاحَةِ الرُّقَى كُلِّهَا مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكًا، فَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنَّا نُرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا نُرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَا تَرَى فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، فَلَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكًا» فَهَذَا يُحْتَمَلُ أَيْضًا مَا احْتَمَلَهُ مَا رَوَيْنَا قَبْلَهُ، فَاحْتَجْنَا أَنْ نَعْلَمَ، هَلْ هَذِهِ الْإِبَاحَةُ لِلرُّقَى، مُتَأَخِّرَةٌ عَمَّا رُوِيَ فِي النَّهْيِ عَنْهَا أَوْ مَا رُوِيَ فِي النَّهْيِ عَنْهَا مُتَأَخِّرٌ عَنْهَا، فَيَكُونُ نَاسِخًا لَهَا؟ فَتَظُنُّنَا فِي ذَلِكَ عَنْ جَابِرٍ أَنْ عَمَرُو بْنُ حَزَمٍ دَعَا لَامِرَةً بِالْمَدِينَةِ، لَدَعْنَهَا حَيَّةً، لِيرْقِيَهَا، فَأَبَى فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُ. فَقَالَ عَمَرُو: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَزْجُرُ عَنِ الرُّقَى، فَقَالَ: «اقْرَأْهَا عَلَيَّ» فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا بَأْسَ بِهَا إِنَّهَا هِيَ مَوَاتِيْقُ، فَارْقُ بِهَا»

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى، أَتَاهُ خَالِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى، وَأَنَا أَرْقِي مِنَ الْعَقَرِ. قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ، فَلْيَفْعَلْ»

^{١٠٤٠} - صحيح مسلم (١٧٢٧/٤) - ٦٤ - (٢٢٠٠)

^{١٠٤١} - صحيح مسلم (١٧٢٦/٤) - ٦٢ - (٢١٩٩)

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَرْقُونَ مِنَ الْحَيَّةِ ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الرُّقَى. فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَرْقِي مِنَ الْعَقْرَبِ ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنْ الرُّقَى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ ، فَلْيَفْعَلْ» قَالَ: وَأَتَاهُ رَجُلٌ كَانَ يَرْقِي مِنَ الْحَيَّةِ ، فَقَالَ «اعْرِضْهَا عَلَيَّ» فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ: «لَا بَأْسَ بِهَا ، إِنَّمَا هِيَ مَوَاتِيْقٌ» فَتَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ مَا رُوِيَ فِي إِبَاحَةِ الرُّقَى ، نَاسِخٌ لِمَا رُوِيَ فِي النَّهْيِ عَنْهَا. ثُمَّ أَرَدْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي تِلْكَ الرُّقَى ، كَيْفَ هِيَ؟ فَإِذَا عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ أَيْضًا ، أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ شَرَكٌ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا عَنِ الرَّبَابِ قَالَتْ سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حَنْفِيٍّ يَقُولُ: مَرَرْنَا بِسَيْلٍ ، فَدَخَلْنَا نَعْتَسِلُ ، فَخَرَجْتُ مِنْهُ وَأَنَا مَحْمُومٌ ، فَنِمِي ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا ثَابِتٍ ، فَلْيَتَعَوَّذْ». فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي ، إِنْ الرُّقَى صَالِحَةٌ؟ فَقَالَ: لَا رُقِيَّةٌ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ، مِنَ النَّظَرَةِ ، وَالْحُمَةِ ، وَاللَّدَغَةِ " فَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مَا أَبَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرُّقَى ، هُوَ التَّعَوُّذُ. فَأَمَّا قَوْلُ سَهْلٍ لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ إِبَاحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ نَهْيِهِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا رَوَيْنَا عَنْ غَيْرِهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَخَّصَ فِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» . قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي نَفْسٍ وَنَفْسٍ ، وَعَيْنٍ ، اللَّهُ يَشْفِيكَ ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ، ابْنِ أَخِي مَيْمُونَةَ قَالَ: إِنَّ مَيْمُونَةَ قَالَتْ لَهُ: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: بَلَى قَالَتْ: «بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ ، أَذْهَبَ الْبَأْسَ ، رَبِّ النَّاسِ ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ» فَهَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ مِنَ الرُّقَى ، لَا بَأْسَ بِهِ. وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثِ عَوْفٍ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شَرَكٌ فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ رُقِيَّةٍ لَا شَرَكَ فِيهَا ، فَلَيْسَتْ بِمَكْرُوهَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ١٠٤٢

١٠٤٢ - شرح معاني الآثار (٣٢٨/٤) (٧١٩٢-٧١٩٨) وهي صحيحة وحسنة ، وانظر الآداب للبيهقي

"وَلِهَذَا هُمَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الرَّقِيِّ غَيْرِ الْمَفْهُومَةِ الْمَعْنَى لِأَنَّهَا مَظَنَّةُ الشِّرْكِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفِ الرَّاقِي أَنَّهَا شِرْكٌ وَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الْحُمَى أَوْ شَكَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ" ١٠٤٣

قال ابن تيمية: "وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ كَلِمَاتٌ مُحَرَّمَةٌ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا شِرْكٌ أَوْ كَانَتْ مَجْهُولَةً الْمَعْنَى يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا كُفْرٌ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْقِيَ بِهَا وَلَا يُعَزِّمَ وَلَا يُقْسِمَ، وَإِنْ كَانَ الْحَجِّيُّ قَدْ يَنْصَرِفُ عَنِ الْمَصْرُوعِ بِهَا فَإِنَّ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ كَالسِّيمَا وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ السَّحَرِ، فَإِنَّ السَّاحِرَ السِّمَاوِيَّ وَإِنْ كَانَ يَنَالُ بِذَلِكَ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ كَمَا يَنَالُ السَّارِقُ بِالسَّرِقَةِ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ وَكَمَا يَنَالُ الْكَاذِبُ بِكَذِبِهِ وَبِالْخِيَانَةِ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ وَكَمَا يَنَالُ الْمُشْرِكُ بِشِرْكِهِ وَكَفَرِهِ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ، وَهَؤُلَاءِ وَإِنْ نَالُوا بَعْضَ أَغْرَاضِهِمْ بِهَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ فَإِنَّهَا تَعْقُبُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِمَّا حَصَلُوهُ مِنْ أَغْرَاضِهِمْ. فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ الرُّسُلَ بِتَخْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا فَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ فَمَصْلَحَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَفْسَدَتِهِ وَمَنْفَعَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى الْمَضَرَّةِ. وَإِنْ كَرِهَتْهُ النَّفُوسُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦].

فَأَمَرَ بِالْجِهَادِ وَهُوَ مَكْرُوهٌ لِلنَّفُوسِ لَكِنْ مَصْلَحَتُهُ وَمَنْفَعَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَا يَحْصُلُ لِلنَّفُوسِ مِنْ أَلَمٍ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ يَشْرَبُ الدَّوَاءَ الْكَرِيهَ لِتَحْصُلِ لَهُ الْعَافِيَةِ فَإِنْ مَصْلَحَةُ حُصُولِ الْعَافِيَةِ لَهُ رَاجِحَةٌ عَلَى أَلَمِ شَرْبِ الدَّوَاءِ. وَكَذَلِكَ التَّاجِرُ الَّذِي يَتَغَرَّبُ عَنْ وَطَنِهِ وَيَسْهَرُ وَيَخَافُ وَيَتَحَمَّلُ هَذِهِ الْمَكْرُوهَاتِ مَصْلَحَةُ الرِّبْحِ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ رَاجِحَةٌ عَلَى هَذِهِ الْمَكَارِهِ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» ١٠٤٤.

١٠٤٣ - أكام المرجان في أحكام الجان (ص: ١٥٥)

١٠٤٤ - صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٤) - (٢٨٢٢) وصحيح البخاري (٨/ ١٠٢) (٦٤٨٧)

[ش (حفت الجنة بالمكاره) قال العلماء هذا من بديع الكلام وفصيحته وجوامعه التي أوتيتها ﷺ من التمثيل الحسن ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره والنار إلا بالشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات]

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ السَّاحِرِ: {إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩] وَقَالَ تَعَالَى: {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)} وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)} [البقرة: ١٠٢ - ١٠٤].

بَيْنَ سُبْحَانَهُ أَنْ هَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ أَنَّ السَّاحِرَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ. وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ بَعْضَ أَغْرَاضِهِمْ فِي الدُّنْيَا { وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٠٣] آمَنُوا وَاتَّقَوْا بِفِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ لَكَانَ مَا يَأْتِيهِمْ بِهِ عَلَى ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَحْصُلُ لَهُمْ بِالسِّحْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } [غافر: ٥١، ٥٢]. وَقَالَ: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٧]. وَقَالَ: { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) } [النحل: ٤١، ٤٢]. وَقَالَ: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) } [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢].

وَالْأَحَادِيثُ فِيمَا يُثَبِّتُ اللَّهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَدْفَعَ كُلَّ ضَرَرٍ بِمَا شَاءَ وَلَا يَجْلِبُ كُلَّ نَفْعٍ بِمَا شَاءَ، بَلْ لَا يَجْلِبُ النَّفْعُ إِلَّا بِمَا فِيهِ تَقْوَى اللَّهِ وَلَا يَدْفَعُ الضَّرَرُ إِلَّا بِمَا فِيهِ تَقْوَى اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ

الْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ وَالِدُّعَاءِ وَالْخُلُوعِ وَالسَّهَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَبَاحَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَلَا بَأْسَ بِهِ وَإِنْ كَانَ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ لَمْ يَفْعَلْهُ. فَمَنْ كَذَبَ بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالسَّحَرِ وَمَا يَأْتُونَ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ - كَدُّعَاءِ الْكَوَاكِبِ وَتَخْرِيجِ الْقُوَى الْفَعَّالَةِ السَّمَاوِيَّةِ بِالْقُوَى الْمُنْفَعِلَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ الشَّيَاطِينِ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ فَالشَّيَاطِينُ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ وَيُسَمُّونَهَا رُوحَانِيَّةَ الْكَوَاكِبِ - وَأَتَكْرُوا دُخُولَ الْجِنِّ فِي أَبْدَانِ الْإِنْسِ وَحُضُورَهَا بِمَا يَسْتَحْضِرُونَ بِهِ مِنَ الْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فَقَدْ كَذَبَ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمًا. وَمَنْ جَوَّزَ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ بِمَا رَأَاهُ مُؤَثَّرًا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِنَ ذَلِكَ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ - فَيَفْعَلْ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ وَيَتْرُكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ - وَقَدْ دَخَلَ فِيهَا حَرَمُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِمَّا مِنَ الْكُفْرِ وَإِمَّا مِنَ الْفُسُوقِ وَإِمَّا الْعَصْيَانِ بَلْ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَيَتْرُكَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ.

وَمِمَّا شَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ التَّعَوُّدِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٌ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَى حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ " فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى

تَخْتَمُ الْآيَةَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَهَا {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] وَقَالَ: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ كَذُوبٌ وَقَدْ صَدَقَكَ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ الشَّيْطَانُ»^{١٠٤٥} وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَفَاتِحَةَ حَمِّ الْمُؤْمِنِ {حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ (٣)} [غافر: ١ - ٣] لَمْ يَرِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ حَتَّى يُمَسِّيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يُمَسِّيَ لَمْ يَرِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ حَتَّى يُصْبِحَ»^{١٠٤٦} وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ نَقُولُهُنَّ عِنْدَ النَّوْمِ مِنَ الْفَزَعِ: «بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُون» فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُعَلِّمُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ كَتَبَهَا وَعَلَّقَهَا عَلَيْهِ^{١٠٤٧} وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، قَالَ: إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَرْقَ - حَدِيثُ النَّفْسِ بِاللَّيْلِ - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ ، فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ ، وَعِقَابِهِ ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُون؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ ، وَحَرِيٌّ أَنْ لَا يَقْرُبَكَ" ^{١٠٤٨}

^{١٠٤٥} - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٥١) (١٠٧٢٩) صحيح، ورواه البخاري معلقا بصيغة الجزم

^{١٠٤٦} - سنن الدارمي - المكثر (٣٤٤٩) صحيح

^{١٠٤٧} - الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٧٦) (٤٠٧) صحيح

^{١٠٤٨} - الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٧٥) (٤٠٦) صحيح مرسل

وَعَنْ أَبِي النَّيَّاحِ ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ قَالَ: نَعَمْ تَحَدَّرَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ يُرِيدُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَعَ مِنْهُمْ وَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ: «مَا أَقُولُ؟» ، قَالَ: " قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَبَرًّا وَذَرًّا ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ" قَالَ: فَطُفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ". ١٠٤٩

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْجَنِّ أَقْبَلَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجَنِّ فِي يَدِهِ شُعْلَةٌ مِنَ النَّارِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَلَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبًا، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ يُنَكِّبُ مِنْهَا لَفِيهِ، وَتُطْفَأُ شُعْلَتُهُ؟ قُلْ: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا. وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ. فَقَالَهَا، فَأَنْكَبَ لَفِيهِ وَطُفِئَتْ شُعْلَتُهُ. ١٠٥٠

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجَنِّ وَهُوَ مَعَ جَبْرِيلَ وَأَنَا مَعَهُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ، وَجَعَلَ الْعَفْرِيْتُ يَدْنُو وَيَزْدَادُ قُرْبًا، فَقَالَ جَبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: " أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ فَيَكُوبُ الْعَفْرِيْتُ لَوَجْهِهِ، وَتُطْفَأُ شُعْلَتُهُ، قُلْ: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ

١٠٤٩ - الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٧٢) (٣٥) وقال المنذري في الترغيب والترهيب للمنذري (٢/

٣٠٣): إسناده جيد محتج به وقد رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلاً ورواه التَّسَائِيّ من حديث ابن

مسعود بنحوه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤)

١٠٥٠ - الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٩٦) (٦٦٣) حسن لغيره

طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ، فَكَبَّ الْعِفْرِيْتُ لِوَجْهِهِ، وَانْطَفَأَتْ شُعْلَتُهُ ١٠٥١

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَّانَ الْعَنْبَرِيِّ، أَنَّ حَدِيثَهُ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ قَيْلَةَ بِنْتَ مَخْرَمَةَ كَانَتْ إِذَا أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الْمَضْجَعِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ قَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَصَعْتُ جَنْبِي لِرَبِّي، وَأَسْتَغْفِرُهُ لِدُنْيِي، حَتَّى تَقُولَهَا مَرَارًا ثُمَّ تَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَشَرِّ مَا يَنْزِلُ فِي الْأَرْضِ، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَشَرِّ فِتَنِ النَّهَارِ وَشَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمْتُ بِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَسَلَمَ لِقُدْرَتِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَلَّ لِعِزَّتِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَشَعَ لِمُلْكِهِ كُلُّ شَيْءٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ وَمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ، وَجَدِّكَ الْأَعْلَى وَاسْمِكَ الْأَكْبَرِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْنَا نَظْرَةَ مَرْحُومَةٍ، لَا تَدْعُ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا فَقْرًا إِلَّا جَبَرْتَهُ، وَلَا عَدُوًّا إِلَّا أَهْلَكْتَهُ، وَلَا عَرِيًّا إِلَّا كَسَوْتَهُ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ، وَلَا أَمْرًا لَنَا فِيهِ صَلَاحٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَيْتَنَاهُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمْتُ بِهِ، ثُمَّ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ تَقُولُ: يَا بَنِيَّتِي هَذِهِ رَأْسُ الْخَاتَمَةِ إِنْ بِنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَتْهُ تَسْتَخْدِمُهُ فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنَ الْخَادِمِ؟» قَالَتْ: بَلَى، فَأَمَرَهَا بِهِذِهِ الْمِائَةِ عِنْدَ الْمَضْجَعِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ. ١٠٥٢

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ مَضْجَعِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا أَتَتْ أَخَذُ بِنَاصِيَتِهِ، إِنَّكَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ، اللَّهُمَّ لَا يُهْزِمُ جُنْدُكَ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ» ١٠٥٣

١٠٥١ - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٤٩) (١٠٧٢٦ و ١٠٧٢٧) (موصولا ومرسلا والمرسل صحيح

١٠٥٢ - الدعاء للطبراني (ص: ٩٧) (٢٣٦) حسن

١٠٥٣ - الدعاء للطبراني (ص: ٩٧) (٢٣٧) صحيح

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: "قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَطَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَانُ" ١٠٥٤

فَقَدْ جَمَعَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَذْكَارِ وَالِدَّعَوَاتِ الَّتِي يَقُولُهَا الْعَبْدُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى وَإِذَا نَامَ وَإِذَا خَافَ شَيْئًا وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ. فَمَنْ سَلَكَ مِثْلَ هَذِهِ السَّبِيلِ فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَمَنْ دَخَلَ فِي سَبِيلِ أَهْلِ الْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ الدَّاحِلَةِ فِي الشِّرْكِ وَالسَّحَرِ فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَبِذَلِكَ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ ذَمَّهُ مِنْ مُبَدِّلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَيْثُ قَالَ: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)} وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)} وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَقَوْا لِمَثُوبَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)} [البقرة: ١٠١-١٠٣] وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ. ١٠٥٥

أسباب الصرع:

قال ابن تيمية رحمه الله: "إن الصرع للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق، كما يتفق للإنس مع الإنس...، وقد يكون - وهو الأكثر - عن بغض ومجازاة، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم إما ببول على بعضهم، وإما بصب

١٠٥٤ - السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٦٤) (٣٧٢) حسن لغيره

١٠٥٥ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٢٤ / ٢٧٦) فما بعد وأكام المرجان في أحكام الجان (ص: ١٥٧): الباب الموفي خمسين في بيان صرع الجن للإنس والباب الحادي والخمسون في دخول الجن في بدن المصروع (ص: ١٥٨)

ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الإنس لا يعرف ذلك، وفي الجن جهل وظلم، فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشرّ. تمثل سفهاء الإنس
١٠٥٦. "

واجبنا تجاه هؤلاء:

ذكرنا أن الجن عباد مأمورون متعبدون بالشريعة، فإذا استطاع المسلم أن يصل إلى مخاطبتهم، كما يحدث مع الجنّي الذي يصرع الإنسان، وجب القيام بذلك. فإذا كان صرع الجنّي للإنسي من الباب الأول (عن شهوة وهوى)، فهو من الفواحش التي حرمها الله تعالى على الإنس والجن، ولو كانت برضا الطرف الآخر، فكيف مع كراهته، فإنّه فاحشة وظلم. فيخاطب الجن بذلك، ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة، أو فاحشة وعدوان؛ لتقوم الحجة عليهم بذلك، ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقّلين: الإنس والجن.

وما كان من الثاني (إيذاء بعض الإنس لهم)، فإن كان الإنسي لم يعلم، فيخاطبون بأن هذا لم يعلم، ومن لم يعتمد الأذى لا يستحق العقوبة، وإن كان قد فعل ذلك في داره ومملكه عرفوا بأنّها ملكه، فله أن يتصرف فيها بما يجوز، وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم، بل لكم ما ليس من مساكن الإنس كالخراب والفلوات...

ويقول ابن تيمية^{١٠٥٧}: "والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس، أخبروا بحكم الله ورسوله، وأقيمت عليهم الحجة، وأمرُوا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، كما يفعل بالإنس؛ لأن الله يقول: (وما كنّا معذبين حتّى نبعث رسولاً) [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام: ١٣٠]

النهي عن قتل حيّات البيوت إلا بعد التحذير:

١٠٥٦ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٣٩)

١٠٥٧ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٤٢)

نهى النبي ﷺ عن قتل حيّات البيوت حتى تؤذن ثلاثاً ، فعن عائشة: " أن النبي ﷺ نهى عن قتل حيّات البيوت إلا الأبتَر وذو الطُفَيْتَيْنِ فَإِنَّهُمَا يَخْطِفَانِ - أو قال: يَطْمِسَانِ - الأبصارَ وَيَطْرَحَانِ الْأَجِنَّةَ مِنْ بُطُونِ النِّسَاءِ وَمَنْ تَرَكَهُمَا فَلَيْسَ مِنَّا " ١٠٥٨
وعن أبي سعيد الخُدْرِيّ، قال: سَمِعْتُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ» ١٠٥٩

وعن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ عَلَى الْمَنَبَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَصْلَحُوا عَلَيْكُمْ مَثَاوِيَكُمْ، وَأَخِفُوا هَذِهِ الْجِنَّانَ قَبْلَ أَنْ تُخَيِّفَكُمْ، فَإِنَّهُ لَنْ يَبْدُوَ لَكُمْ مُسْلِمُوهَا، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا سَأَلَمْنَاهُمْ مُنْذُ عَادَيْنَاهُمْ ١٠٦٠

وعن صَيْفِيٍّ - وَهُوَ عِنْدَنَا مَوْلَى ابْنِ أَفْلَحَ - أَخْبَرَنِي أَبُو السَّائِبِ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوْتَبَتْ لَأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَيَّ بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِمَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةً، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَايِنِ قَائِمَةٌ فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرُهُ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَّزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللَّهَ

١٠٥٨ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٢٢٧) صحيح

١٠٥٩ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٥٧) ١٤١ - (٢٢٣٦)

١٠٦٠ - الأدب المفرد مخرجا (ص: ١٥٩) (٤٤٦) حسن

مَثَاوِيَكُمْ جمع مَثْوَى أي: المَثَرَل. = الْجِنَّان: جمع جان: وهي الحية الصغيرة ، وقيل: الحيات التي تكون في البيوت.

يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جُنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» ١٠٦١
وَعَنْ أَبِي السَّائِبِ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ بِالْمَدِينَةِ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَحَدِّثُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنْ بَدَأَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ فَاقْتُلُوهُ بَعْدَ ثَلَاثَ» ١٠٦٢

وَعَنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ السَّائِبُ وَهُوَ عِنْدَنَا أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ سَمِعْنَا تَحْتَ سَرِيرِهِ حَرَكَةً، فَنَظَرْنَا فَإِذَا حَيَّةٌ، وَسَاقُ الْحَدِيثِ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ صَيْفِيٍّ، وَقَالَ فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ ذَهَبَ، وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ» وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ» ١٠٦٣

وَعَنْ أَبِي السَّائِبِ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ، عِنْدَهُ سَمِعْتُ تَحْتَ سَرِيرِهِ تَحْرِيكَ شَيْءٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ، فَقُمْتُ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَيَّةٌ هَاهُنَا. قَالَ: فَتَرِيدُ مَاذَا؟ قُلْتُ: أُرِيدُ قَتْلَهَا. قَالَ: فَأَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي دَارٍ فَعَايَنْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمِّ لِي كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ اسْتَأْذَنَ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُورَسٍ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ بِسِلَاحِهِ، فَأَتَى دَارَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَائِمَةً

١٠٦١ - صحيح مسلم (١٧٥٦/٤) - (٢٢٣٦)

[ش (عراجين) أراد بها الأعواد التي في سقف البيت شبهها بالعراجين والعراجين مفردة عرجون وهو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العذق وهو فعلون من الانعراج والانعطاف والواو والنون زائدتان (بأنصاف النهار) أي منتصفه وكأنه وقت لآخر النصف الأول وأول النصف الثاني فجمعه (فأذنوه) هو من الإيذان بمعنى الإعلام (فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه) قال العلماء معناه وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيت ولا ممن أسلم من الجن بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم]

فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ أَيْ: فَلَيْسَ بِحَيٍّ مُسْلِمٍ، بَلْ هُوَ إِمَّا جَنِّيٌّ كَافِرٌ، وَإِمَّا حَيَّةٌ، وَسَمَاءُ شَيْطَانًا لِمَرَدِّهِ وَعَدَمَ ذَهَابِهِ بِالْإِيْذَانِ. عون المعبود - (ج ١١ / ص ٢٩١)

١٠٦٢ - السنن الكبرى للنسائي (٣٥٦/٩) (١٠٧٤٠) صحيح

١٠٦٣ - صحيح مسلم (١٧٥٦/٤) - (٢٢٣٦) - ١٤٠

[ش (فخرجوا عليها) قال ابن الأثير هو أن يقول لها أنت في حرج أي في ضيق إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرده والقتل]

عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالرُّمَحِ. فَقَالَتْ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ حَتَّى تَنْظُرَ مَا أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَإِذَا حَيَّةٌ مُنْكَرَةٌ، فَطَعَنَهَا بِالرُّمَحِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا فِي الرُّمَحِ تَرْكُضُ. فَقَالَ: لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الرَّجُلُ أَمْ الْحَيَّةُ، فَأَتَى قَوْمُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ صَاحِبَنَا، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ». ثُمَّ قَالَ: «إِنْ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ بِالْمَدِينَةِ قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَحَذِّرُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنْ بَدَأَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ فَاقْتُلُوهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ» ١٠٦٤

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ حَيَاتِ الْبُيُوتِ، فَقَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فِي مَسَاكِنِكُمْ فَقُولُوا: أَنْشَدْنَاكُمْ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُمْ نُوحٌ، وَنُنْشِدُكُمْ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُمْ سُلَيْمَانُ أَنْ تُوْذُونَا، فَإِنْ عُدْنَا فَاقْتُلُوهُمْ" ١٠٦٥

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهَا قَتَلَتْ جَانًّا، فَأُتِيَتْ فِيهَا يَرَى النَّائِمُ، فَقِيلَ لَهَا: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتَ مُسْلِمًا، قَالَتْ: فَلِمَ يَدْخُلُ عَلَيَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقِيلَ لَهَا: مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ إِلَّا وَعَلَيْكَ ثِيَابُكَ، فَأَصْبَحَتْ فِرْعَةَ وَأَمَرَتْ بِائْتِي عَشْرَ أَلْفًا، فَجَعَلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ١٠٦٦

وَعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ "أَنَّ جَانًّا كَانَ لَا يَزَالُ يَطْلُعُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَمَرَتْ بِهِ فَقَتَلَتْ فَأُتِيَتْ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ: قَتَلْتَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ، فَقَالَتْ: لَوْ كَانَ مُسْلِمًا لَمْ يَطْلُعْ إِلَيَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ لَهَا: مَا كَانَ يَطْلُعُ حَتَّى تَجْمَعِيَ عَلَيْكَ ثِيَابُكَ، وَمَا كَانَ يَجِيءُ إِلَّا يَسْتَمِعُ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ أَمَرَتْ بِائْتِي عَشْرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَقُسِمَتْ فِي الْمَسَاكِينِ" ١٠٦٧

وَعَنْ ابْنِ عَجَلَانَ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي عُذْرَةَ، وَأَنَّهُ كَانَ يَوْمًا قَاعِدًا فِي أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ امْرَأَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانَةً تَدْعُوكَ، فَذَكَرَ امْتِنَاعَهُ حَتَّى

١٠٦٤ - صحيح ابن حبان - مخرجا (٢٧ / ١٤) (٦١٥٧) صحيح

الْبَيْدَانِ: بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْإِنْدَارُ وَالْإِعْتِدَارُ. = فَحَذِّرُوهُ، أَيْ: خَوْفُهُ، وَالْمُرَادُ مِنَ التَّحْذِيرِ: التَّشْدِيدُ بِالْحَلْفِ عَلَيْهِ. = بَدَأَ لَكُمْ: ظَهَرَ. عون المعبود - (ج ١١ / ص ٢٩١)

١٠٦٥ - السنن الكبرى للنسائي (٩ / ٣٥٥) (١٠٧٣٨) حسن

١٠٦٦ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٧٧ / ١١) (٣١١٥٤) صحيح

١٠٦٧ - العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥ / ١٦٥٥) والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٠ / ٦٦٧) (٢٣٧٨) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢ / ٤٩) صحيح

رَدَّتْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ، فَقَامَ إِلَيْهَا سَعْدٌ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ أَجُنُنْتَ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى حَيَّةٍ عَلَى الْفَرَّاشِ. فَقَالَتْ: تَرَى هَذَا، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُنِي، إِذْ كُنْتُ فِي أَهْلِي، وَإِنِّي لَمْ أَرَهُ مُنْذُ دَخَلْتُ عَلَيْكَ قَبْلَ يَوْمِي هَذَا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: أَلَا تَسْمَعُ أَنَّ هَذِهِ أَمْرَأَتِي، تَزَوَّجْتُهَا بِمَالِي، وَأَحْلَاهَا اللَّهُ لِي، وَلَمْ يُحِلَّ لَكَ مِنْهَا شَيْئًا، فَادْهَبْ، فَإِنَّكَ إِنْ عُدْتَ قَتَلْتُكَ. قَالَ: فَأَنْسَابَ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَابِ الْبَيْتِ، وَأَمَرَ سَعْدٌ إِنْسَانًا يَتَّبِعُهُ أَنْ يَذْهَبَ، فَاتَّبَعَهُ حَتَّى دَخَلَ مِنْ بَابِ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَسْطِهِ وَثَبَ وَثْبَةً فَإِذَا هُوَ فِي السَّقْفِ. قَالَ: فَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ " ١٠٦٨.

ثمَّ بين ابن تيمية السبب الذي من أجله هُي عن قتل جنان البيوت فقال: " وذلك أن قتل الجن بغير حق لا يجوز، كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق، والظلم محرم في كل حال، فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً، ولو كان كافراً، بل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]. فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جنّاً فتؤذن ثلاثاً، فإن ذهبت وإلا قتلت، فإنها إن كانت حية قتلت، وإن كانت جنية، فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفرعهم بذلك، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك، فلا يجوز " ١٠٦٩.

جواز قتل القنفذ داخل البيت:

عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ جَدِّهِ، قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "كَانَتْ لَيْلَةٌ شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ فَقُلْتُ: لَوْ أَنِّي اغْتَنَمْتُ اللَّيْلَةَ الْعَتَمَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَعَلْتُ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَبْصَرَنِي وَمَعَهُ عُرْجُونٌ يَمْشِي عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا قَتَادَةُ هَذَا السَّاعَةَ هَا هُنَا» قُلْتُ: اغْتَنَمْتُ شُهُودَ الْعَتَمَةِ مَعَكَ فَأَعْطَانِي الْعُرْجُونَ فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ خَلَّفَكَ فِي أَهْلِكَ فَادْهَبْ بِهَذَا الْعُرْجُونَ فَأَمْسِكْ بِهِ حَتَّى تَأْتِيَ بَيْتَكَ فَخُذْهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَيْتِ فَاضْرِبْهُ بِالْعُرْجُونَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَضَاءَ الْعُرْجُونَ بِمِثْلِ الشَّمْعَةِ نُورًا

١٠٦٨ - دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (١١٧/٧) والهواتف = هواتف الجنان لابن أبي الدنيا (ص: ١١٧) (١٣٢)

حسن لغيره

١٠٦٩ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩/٤٥)

فَاسْتَضَاتُ بِهِ فَأَتَيْتُ أَهْلِي فَوَجَدْتُهُمْ رَقَدُوا فَنَظَرْتُ فِي الزَّائِرَةِ فَإِذَا فِيهَا قَضِيبٌ فَلَمْ أَزَلْ
أَضْرِبُهُ بِالْعُرْجُونِ حَتَّى خَرَجَ»^{١٠٧٠}

سبُّ الجان وضربهم:

وذكر ابن تيمية أن واجب المؤمن نصرة أخيه المظلوم، وهذا المصروع مظلوم، ولكن
النصرة يكون بالعدل كما أمر الله، فإذا لم يرتدع الجني بالأمر والنهي والبيان، فإنه يجوز
نهره وسبه وتهديده ولعنه، كما فعل الرسول ﷺ مع الشيطان عندما جاء بشهاب ليرميه
في وجه الرسول ﷺ، فعن أبي الدرداء، قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ
الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ
ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: "إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي
وَجْهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ الثَّامَّةِ، فَلَمْ
يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهِ لَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ
بِهِ وَلِدَانِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ" ^{١٠٧١}

وذكر أنه قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجني عنه إلى الضرب، فيضرب ضرباً كثيراً
جداً، والضرب إنما يقع على الجني، ولا يحسُّه المصروع، حتى يفيق المصروع، ويخبره أنه لم
يحس شيئاً من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو
ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة أو أكثر أو أقل، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على
الجني، والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة، ويذكر ابن تيمية أنه فعل
هذا وجربه مرات كثيرة، يطول وصفها.

^{١٠٧٠} - الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٤/ ١٤) (١٩٥٨) والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٥) (٩) والصَّحِيحَةُ

(٣٠٣٦) حسن

^{١٠٧١} - صحيح مسلم (١/ ٣٨٥) ٤٠ - (٥٤٢)

" وَهَذَا فِعْلُهُ فِي الصَّلَاةِ وَهَذَا مِمَّا احْتَجَّ بِهِ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ مِثْلِ هَذَا فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ كَدْفَعِ الْمَارِّ وَقَتْلِ الْأَسْوَدَيْنِ
وَالصَّلَاةِ حَالِ الْمُسَايَفَةِ. وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي شَيْطَانِ الْجَنِّ إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّيِ هَلْ يَقْطَعُ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ هُمَا
قَوْلَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ.. "مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية- دار الوفاء (٩/ ٥٢)

أقول: وقد يستغل الضرب فيمن يظن أن فيه صرع وهو ليس كذلك، فيكون فيه هلاك
المضروب، ولذلك ينبغي تجنبه.



المبحث الثامن عشر

علاج المس والصرع بالوسائل الشرعية

إنَّ النجاة من ذلك هو ذكر الله والتسمية عند بدء الأمور كلها كما صح عن النبي ﷺ التسمية وذكر الله عند أمور كثيرة مثل أكل الطعام والشراب وعند ركوب الدابة وعند وضع الثياب للحاجة وعند الجماع وغيرها من الأمور..

وأما عن علاجه فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْجِنَّ إِذَا اعْتَدَوْا عَلَى الْإِنْسِ أَخْبَرُوا بِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُقِيمَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَأُمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنُهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ كَمَا يُفَعَّلُ بِالْإِنْسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } [الإسراء: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } [الأنعام: ١٣٠].

وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ حَيَاتِ الْبُيُوتِ حَتَّى تُؤْذَنَ ثَلَاثًا، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ. ١٠٧٢

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا عَنْ صَيْفِيٍّ، وَهُوَ عِنْدَنَا مَوْلَى ابْنِ أَفْلَحَ، أَخْبَرَنِي أَبُو السَّائِبِ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًَا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوْتَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَيَّ بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنْنَا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى

يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةً، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةٌ فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعَنَّهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةً، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَضَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَادْثُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ. ١٠٧٣

وفي رواية فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ ذَهَبَ، وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ. ١٠٧٤

وَذَلِكَ أَنَّ قَتْلَ الْجِنِّ بَغْيٌ حَقٌّ لَا يَجُوزُ كَمَا لَا يَجُوزُ قَتْلُ الْإِنْسِ بِلَا حَقٍّ، وَالظُّلْمُ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ حَالٍ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ كَافِرًا بَلْ قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة: ٨]. ١٠٧٥

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إِذَا عُرِفَ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ فَقَوْلُ: يَجُوزُ بَلْ يُسْتَحَبُّ وَقَدْ يَجِبُ أَنْ يُدَبَّ عَنِ الْمَظْلُومِ وَأَنْ يُنْصَرَ؛ فَإِنْ نَصَرَ الْمَظْلُومُ مَأْمُورٌ بِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَعَنْ الْمَيَاثِرِ، وَالْقَسِيَّةِ، وَالْإِسْتَبْرَقِ، وَالذِّيَّاجِ" ١٠٧٦

١٠٧٣ - صحيح مسلم - ط دار الجيل بيروت (٤٠ / ٧) - ٥٩٠٠ - [٢٢٣٦-١٣٩]

١٠٧٤ - صحيح مسلم - ط دار الجيل بيروت (٤١ / ٧) - ٥٩٠١ - [١٤٠-...]

١٠٧٥ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩ / ٤٢) - فما بعدها

١٠٧٦ - صحيح البخاري (٢٥ / ٧) (٥١٧٥) - صحيح مسلم (٣ / ١٦٣٥) - ٣ - (٢٠٦٦)

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ^{١٠٧٧}.

وَأَيْضًا فِيهِ تَفْرِيجُ كُرْبَةٍ هَذَا الْمَظْلُومِ، فِيهِ صَحِيحُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ..^{١٠٧٨}.

وَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَدَغَتْ رَجُلًا مِّنَّا عَقْرَبٌ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَقِي؟ قَالَ: مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ.^{١٠٧٩}

لَكِنْ يَنْصُرُ أَخَاهُ بِالْعَدْلِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِثْلَ الدَّعِيَةِ وَالذِّكْرِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمِثْلَ أَمْرِ الْجَنِّيِّ وَنَهْيِهِ كَمَا يُؤْمَرُ الْإِنْسِيُّ وَيُنْهَى، وَيَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَجُوزُ مِثْلُهُ فِي حَقِّ الْإِنْسِيِّ مِثْلَ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى انْتِهَارِ الْجَنِّيِّ وَتَهْدِيدِهِ وَلَعْنِهِ وَسَبِّهِ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثُمَّ قَالَ أَلْعُنْكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ

(المبائر) جمع ميثرة وهي فراش صغير من الحرير مشو بالقطن يجعله الراكب تحته. (القسية) نوع من الثياب مصنوع

من كتان مخلوط بحرير ينسب البلدة القسي كانت في مصر

^{١٠٧٧} - صحيح البخاري - دار الشعب (٩ / ٢٨) (٦٩٥٢)

^{١٠٧٨} - صحيح مسلم - ط دار الجيل بيروت (٨ / ٧١) ٦٩٥٢ - [٣٨-٢٦٩٩]

^{١٠٧٩} - صحيح مسلم - ط دار الجيل بيروت (٧ / ١٨) ٥٧٧٨ - [٦١-٢١٩٩]

مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ الثَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهُ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. ١٠٨٠

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْإِسْتِعَاذَةُ مِنْهُ وَلَعْنَتُهُ بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَسْتَأْخِرْ بِذَلِكَ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةً، قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَذَعَّتُهُ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوْثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا، فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبِّ {هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} [ص: ٣٥] فَرَدَّهُ اللَّهُ حَاسِيًا ١٠٨١

فَهَذَا الْحَدِيثُ يُوَافِقُ الْأَوَّلَ وَيُفَسِّرُهُ وَقَوْلُهُ: "ذَعَّتُهُ" أَي: خَنَقَتْهُ فَبَيَّنَ أَنَّ مَدَّ الْيَدِ كَانَ لِيَخَنَقَهُ وَهَذَا دَفْعُ لَعْدْوَانِهِ بِالْفِعْلِ وَهُوَ الْخَنْقُ وَبِهِ انْدَفَعَ عُذْوَانُهُ فَرَدَّهُ اللَّهُ حَاسِيًا. وَأَمَّا الزِّيَادَةُ وَهُوَ رِبْطُهُ إِلَى السَّارِيَةِ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّصَرُّفِ الْمَلَكِيِّ الَّذِي تَرَكَهُ لِسُلَيْمَانَ، فَإِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ كَانَ يَتَصَرَّفُ فِي الْجَنِّ كَتَصَرُّفِهِ فِي الْإِنْسِ تَصَرَّفَ عَبْدٌ رَسُولٍ بِأَمْرِهِمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ لَا يَتَصَرَّفُ لِأَمْرٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَهُوَ التَّصَرُّفُ الْمَلَكِيُّ؛ فَإِنَّهُ كَانَ عَبْدًا رَسُولًا وَسُلَيْمَانُ نَبِيٌّ مَلِكٌ وَالْعَبْدُ الرَّسُولُ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ الْمَلِكِ، كَمَا أَنَّ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّرِينَ أَفْضَلُ مِنْ عُمُومِ الْأَبْرَارِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَقَدْ رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَخَنَقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِي، وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَأَصْبَحَ مُوثَقًا حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ». ١٠٨٢

وعن أبي عبيد، حَاجِبِ سُلَيْمَانَ قَالَ: رَأَيْتُ عَطَاءَ بْنَ يَزِيدَ اللَّيْثِيَّ قَائِمًا يُصَلِّي، مُعْتَمًا بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءٍ، مُرَخٍّ طَرَفَهَا مِنْ خَلْفِهِ، مُصَفِّرًا اللَّحْيَةَ، فَذَهَبَتْ أَمْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَزَدَنِي: ثُمَّ

١٠٨٠ - صحيح مسلم - ط دار الجليل بيروت (٧٢ / ٢) ١١٤٨ - [٤٠-٥٤٢]

١٠٨١ - صحيح البخاري (٦٤ / ٢) (١٢١٠)

قَالَ النَّصْرُ بْنُ شَمِيلٍ: "ذَعَّتُهُ: بِالذَّالِ أَي: خَنَقَتْهُ، وَذَعَّتُهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: {يَوْمَ يُدْعَوْنَ} [الطور: ١٣]: أَي: يُدْفَعُونَ، وَالصَّوَابُ: فَذَعَّتُهُ، إِلَّا أَنَّهُ كَذَا قَالَ، بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ وَالْتِئَاءِ"

(هممت أن أوثقه) عزمت وقصدت أن أربطه. (حاسيا) مطرودا ومبعدا. (يوم يدعون) الطور ١٣

١٠٨٢ - السنن الكبرى للنسائي (٢٣٤ / ١٠) (١١٣٧٥) صحيح

قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، وَهُوَ خَلْفُهُ، فَقَرَأَ، فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَإِبْلِيسَ، فَأُهَوِّتُ بِيَدَيَّ، فَمَا زِلْتُ أُخَنِّقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إِبْصَعَيَّ هَاتَيْنِ، الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ، لَأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، يَتَلَاعَبُ بِهِ صَبِيَانُ الْمَدِينَةِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ. ١٠٨٣

وَهَذَا فِعْلُهُ فِي الصَّلَاةِ وَهَذَا مِمَّا احْتَجَّ بِهِ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ مِثْلِ هَذَا فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ كَذْفُ الْمَارِّ وَقَتْلُ الْأَسْوَدَيْنِ وَالصَّلَاةِ حَالِ الْمُسَايَفَةِ. وَقَدْ تَنَارَعَ الْعُلَمَاءُ فِي شَيْطَانِ الْجِنِّ إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيِّ الْمُصَلِّي هَلْ يَقْطَعُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ هُمَا قَوْلَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ كَمَا ذَكَرَهُمَا ابْنُ حَامِدٍ وَغَيْرُهُ: أَحَدُهُمَا: يَقْطَعُ لِهَذَا الْحَدِيثِ؛ وَلِقَوْلِهِ لَمَّا أَخْبَرَ أَنَّ مُرُورَ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ يَقْطَعُ لِلصَّلَاةِ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ. قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ. ١٠٨٤

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ الْكَلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، وَلَكِنْ أَقْتُلُوا الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ». ١٠٨٥

١٠٨٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) (٤/ ٢٠٨) (١١٧٨٠) ١١٨٠٢ - حسن

١٠٨٤ - صحيح مسلم - ط دار الجيل بيروت (٢/ ٥٩) ١٠٧٢ - [٢٦٥-٥١٠]

(الكلب الأسود شيطان) سمي شيطانا لكونه أعقر الكلاب وأحببها وأقلها نفعا وأكثرها نعاسا

١٠٨٥ - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٢/ ٤٧٥) (٥٦٥٨) صحيح

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ إِنَّهُ شَيْطَانٌ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنْ كَلْبٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْإِبِلِ إِنَّهَا جَنٌّ وَهِيَ مَوْلُودَةٌ مِنَ الْإِبِلِ وَأَجَابَ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ لَهَا بِالْجَنِّ لِأَنَّ الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ أَشْرَ الْكَلَابِ وَأَقْلَهَا نَفْعًا وَالْإِبِلَ تَشْبَهُ الْجَنِّ فِي صُعُوبَتِهَا وَصَوْلَتِهَا وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فَلَانِ شَيْطَانٌ إِذَا كَانَ صَعْبًا شَرِيرًا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ "أحكام المرجان في أحكام الجنان (ص: ٤٥)

فَعَلَّلَ بَأْتَهُ شَيْطَانٌ، وَهُوَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ شَيْطَانُ الْكَلَابِ وَالْجِنُّ تَتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ كَثِيرًا، وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْقِطِّ الْأَسْوَدِ؛ لِأَنَّ السَّوَادَ أَجْمَعُ لِلْقَوَى الشَّيْطَانِيَّةِ مِنْ غَيْرِهِ وَفِيهِ قُوَّةُ الْحَرَارَةِ، وَمِمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْجِنِّ الذَّبَائِحُ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَرُوِيَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، يَرْفَعُ الْحَدِيثَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ ذَبَائِحِ الْجِنِّ، قَالَ: وَأَمَّا ذَبَائِحُ الْجِنِّ أَنْ تَشْتَرِيَ الدَّارَ وَتَسْتَخْرِجَ الْعَيْنَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَتَذْبَحَ لَهَا ذَبِيحَةً لِلطَّيْرَةِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهَذَا التَّفْسِيرُ فِي الْحَدِيثِ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَتَطَيَّرُونَ إِلَى هَذَا الْفِعْلِ مَخَافَةَ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَذْبَحُوا فَيُطْعَمُوا أَنْ يُصِيبَهُمْ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْجِنِّ يُؤْذِيهِمْ، فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا وَنَهَى عَنْهُ. ١٠٨٦

وَإِذَا بَرَأَ الْمُصَابُ بِالْدُّعَاءِ، وَالذِّكْرِ وَأَمَرَ الْجِنِّ وَنَهَاهُمْ وَأَنْتَهَرَهُمْ وَسَبَّاهُمْ وَلَعَنَهُمْ وَنَحَوَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مَرَضَ طَائِفَةٍ مِنَ الْجِنِّ أَوْ مَوْتَهُمْ فَهُمْ الظَّالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ إِذَا كَانَ الرَّاقِي الدَّاعِي الْمُعَالِجُ لَمْ يَتَعَدَّ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَتَعَدَّى عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعَزَائِمِ فَيَأْمُرُونَ بِقَتْلِ مَنْ لَا يَحْجُوزُ قَتْلَهُ، وَقَدْ يَحْسِبُونَ مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حَبْسِهِ؛ وَلِهَذَا قَدْ تُقَاتِلُهُمُ الْجِنُّ عَلَى ذَلِكَ، فَفِيهِمْ مَنْ تَقْتُلُهُ الْجِنُّ أَوْ تُمْرِضُهُ، وَفِيهِمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ أَوْ دَوَابِّهِ.

وَأَمَّا مَنْ سَلَكَ فِي دَفْعِ عَدَاوَتِهِمْ مَسْلَكَ الْعَدْلِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَظْلِمْهُمْ، بَلْ هُوَ مُطِيعٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فِي نَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَالتَّنْفِيسِ عَنِ الْمَكْرُوبِ بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شِرْكٌ بِالْخَلْقِ وَلَا ظُلْمٌ لِلْمَخْلُوقِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا تُؤْذِيهِ الْجِنُّ إِمَّا لِمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُ عَادِلٌ؛ وَإِمَّا لِعِزِّهِمْ عَنْهُ. وَإِنْ كَانَ الْجِنُّ مِنَ الْعَفَارِيتِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فَقَدْ تُؤْذِيهِ، فَيَنْبَغِي لِمِثْلِ هَذَا أَنْ يَحْتَرِزَ بِقِرَاءَةِ الْعُودِ مِثْلَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالْمُعَوِّذَاتِ وَالصَّلَاةِ وَالْدُّعَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُقَوِّي الْإِيمَانَ، وَيُجَنِّبُ الذُّنُوبَ الَّتِي بِهَا

١٠٨٦ - السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٥٢٧) (١٩٣٥٢) واحتج به شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى - دار

الوفاء (١٧/ ٤٨٥)!!

قلت: وهذه الرواية التي ذكرها أبو عبيد والبيهقي ضعيفة لوجهين:

أحدهما: لانقطاعها وهو ظاهر. ثانيهما: أن عمر بن هارون الراوي عن الزهري وإياه منهم، قال يحيى: كذاب خبيث ليس حديثه بشيء. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (٩/ ٣٢٧)

يُسَلِّطُونَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ، فَلْيَحْذَرِ أَنْ يَنْصُرَ الْعَدُوَّ عَلَيْهِ بِذُنُوبِهِ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فَوْقَ قُدْرَتِهِ فَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، فَلَا يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَنْتَصِرُ بِهِ عَلَيْهِمْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٌ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أُسَيْرُكَ الْبَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أُسَيْرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَتَكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أُسَيْرُكَ الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ

- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ»^{١٠٨٧}

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جَرَّبَ الْمُجَرَّبُونَ الَّذِينَ لَا يُحْصُونَ كَثْرَةَ أَنَّ لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي دَفْعِ الشَّيَاطِينِ وَإِبْطَالِ أَحْوَالِهِمْ مَا لَا يَنْضَبُطُ مِنْ كَثْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي دَفْعِ الشَّيْطَانِ عَنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَعَنْ الْمَصْرُوعِ وَعَنْ مَنْ تُعِينُهُ الشَّيَاطِينُ، مِثْلَ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالْعُصَبِ وَأَهْلِ الشَّهْوَةِ وَالطَّرَبِ وَأَرْبَابِ السَّمَاعِ الْمُكَاءِ وَالتَّصَدِيقَةِ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ بِصِدْقِ دَفْعَتِ الشَّيَاطِينِ وَبَطَلَتِ الْأُمُورُ الَّتِي يُخَيِّلُهَا الشَّيْطَانُ، وَيَبْطُلُ مَا عِنْدَ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ مِنْ مَكَاشِفَةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَتَصَرُّفِ شَيْطَانِيٍّ، إِذْ كَانَتْ الشَّيَاطِينُ يُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ بِأُمُورٍ يَظُنُّهَا الْجُهَالُ مِنْ كَرَامَاتِ أَوْلِيَائِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ تَلْبِيسَاتِ الشَّيَاطِينِ عَلَى أَوْلِيَائِهِمِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ.

وَالصَّائِلُ الْمُعْتَدِي يَسْتَحِقُّ دَفْعَهُ سَوَاءً كَانَ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^{١٠٨٨}

فَإِذَا كَانَ الْمَظْلُومُ لَهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ مَالِ الْمَظْلُومِ وَلَوْ يَقْتُلِ الصَّائِلَ الْعَادِي فَكَيْفَ لَا يَدْفَعُ عَنْ عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ وَحُرْمَتِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُفْسِدُ عَقْلَهُ وَيُعَاقِبُهُ فِي بَدَنِهِ، وَقَدْ يَفْعَلُ مَعَهُ فَاحِشَةً إِنْسِيًّا بِإِنْسِيٍّ وَإِنْ لَمْ يَنْدَفِعْ إِلَّا بِالْقَتْلِ جَارَ قَتْلُهُ.

^{١٠٨٧} - صحيح البخاري (٣/ ١٠١) (٢٣١١) معلقا بصيغة الجزم ووصله في شعب الإيمان (٤/ ٥٤) (٢١٧٠)

وأما ابن بشران - الجزء الأول (ص: ٢٣٩) (٥٤٦) وهو صحيح

[ش (أت) اسم فاعل من أتى وأصله آتى فحذفت الباء لالتقاء الساكنين. (يحثو) يأخذ بكفيه. (علي عيال) نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء. (أسيرك) سمي أسيرا لأنه ربطه بحبل وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل. (البارحة) أقرب ليلة مضت. (فرصته) ترقبته. (آية الكرسي) الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا وهي قوله تعالى {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}. إلى آخر الآية / البقرة ٢٥٥. / (وكانوا) أي الصحابة يحرصون على تعلم الخير فيأخذونه حيثما صدر ويبدلون في سبيله كل شيء من متاع الدنيا. (قد صدقك) أخبرك بما يوافق الواقع والحق. (وهو كذوب) من شأنه وخلقه كثرة الكذب]

^{١٠٨٨} - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٥٥) (٣٥٤٤) صحيح

[(دون ماله) مدافعا من يريد أخذ ماله ظلما. (شهيد) له أجر الشهيد عند الله تعالى ولكنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ولا يعامل معاملة الشهيد من هذه الناحية]

وَأَمَّا إِسْلَامُ صَاحِبِهِ وَالتَّخَلِّي عَنْهُ فَهُوَ مِثْلُ إِسْلَامِ أَمَثَالِهِ مِنَ الْمَظْلُومِينَ، وَهَذَا فَرَضٌ عَلَى الْكَفَايَةِ مَعَ الْقُدْرَةِ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{١٠٨٩} فَإِنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ ذَلِكَ أَوْ هُوَ مَشْغُولٌ بِمَا هُوَ أَوْجِبُ مِنْهُ أَوْ قَامَ بِهِ غَيْرُهُ لَمْ يَجِبْ وَإِنْ كَانَ قَادِرًا وَقَدْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ وَلَا يَشْغَلُهُ عَمَّا هُوَ أَوْجِبُ مِنْهُ وَجَبَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا قَوْلُ السَّائِلِ: هَلْ هَذَا مَشْرُوعٌ؟ فَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهُ مَا زَالَ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ يَدْفَعُونَ الشَّيَاطِينَ عَنْ بَنِي آدَمَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ كَمَا كَانَ الْمَسِيحُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَمَا كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَعِنَ مَطَرِ الْأَعْنَقِ، حَدَّثَنِي أُمُّ أَبَانَ بِنْتُ الْوَارِثِ بْنِ الزَّارِعِ، أَنَّ جَدَّهَا الزَّارِعَ، انْطَلَقَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ الْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَكَانَ يُسَمَّى عَبَادَ بْنَ عَمْرٍو، فَانْطَلَقَ مَعَهُ بِابْنٍ لَهُ مَحْتُونٍ أَوْ بِابْنٍ أَخٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ الْأَشَجُّ: يَا زَارِعُ، خَرَجْتَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْرَجْتَ مَعَكَ رَجُلًا مَحْتُونًا، فَقَالَ لَهُ: أَمَّا الْمَحْتُونُ فَإِنِّي أَذْهَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَسَى أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ تَعَالَى فَيُعَافَى أَوْ يَدْعُوَ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ بِالْعَافِيَةِ قَالَ جَدِّي: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، قِيلَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَا مَلَكْنَا أَنْفُسَنَا أَنْ وَثَبْنَا عَنْ رَوَاحِلِنَا، فَجَعَلْنَا نُقْبِلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَأَمَّا الْأَشَجُّ فَإِنَّهُ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ وَعَقَلَهَا، وَطَرَحَ عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ، وَعَمَدَ إِلَى

^{١٠٨٩} - صحيح البخاري (٣/ ١٢٨) (٢٤٤٢) وصحيح مسلم (٤/ ١٩٩٦) ٥٨ - (٢٥٨٠)

[ش (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) أي أعانه عليها ولطف به فيها (ومن فرج عن مسلم كربة) في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيات ونحوهم مما ليس هو معروفا بالأذى والفساد فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة]

ثَوْبَيْنِ كَأَنَّا فِي الْعِيَةِ حَسَنَيْنِ فَلَبِسَهُمَا، وَذَلِكَ بِعَيْنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَصْنَعُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَشْجُ، إِنْ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ قَالَ: وَمَا هُمَا؟ قَالَ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَّتَانِ تَخَلَّقْتُهُمَا أَوْ جَبَلْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلَى اللَّهُ تَعَالَى جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ ﷺ، فَقَالَ جَدِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ مَعِيَ ابْنُ أَخٍ لِي مَجْنُونٌ، أَتَيْتَكَ بِهِ تَدْعُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ قَالَ: أَتَنِي بِهِ، فَأَنْطَلَقْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الرَّكْبِ، فَأَطْلَقْتُ عَنْهُ، وَالْقَيْتُ عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ، وَأَلْبَسْتُهُ ثَوْبَيْنِ حَسَنَيْنِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَذْنُهُ مِنِّي قَالَ: وَهُوَ يَنْظُرُ نَظَرَ الْمَجْنُونِ، فَقَالَ: أَذْنُهُ مِنِّي وَاجْعَلْ ظَهْرَهُ مِمَّا يَلِينِي، فَأَخَذَ بِجَامِعِ ثَوْبِهِ مِنْ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِهِ، وَيَقُولُ: أَخْرِجْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَخْرِجْ عَدُوَّ اللَّهِ قَالَ: فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ نَظَرَ الصَّحِيحِ لَيْسَ بِنَظَرِهِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ أَقْعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَدَعَا لَهُ بِمَاءٍ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَدَعَا لَهُ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الرَّكْبِ أَحَدٌ بَعْدَ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَفْضُلُ عَلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ دَعَا لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ إِذْ أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَوْتُورِينَ، إِذْ أَبَى قَوْمٌ أَنْ يُسَلِمُوا حَتَّى أَوْتَرُوا وَأُخِذُوا، فَمَا زَالَ يَدْعُو لَنَا حَتَّى زَالَتِ الشَّمْسُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ ابْنُ أُخْتٍ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ، أَوْ قَالَ: مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَلَمَّا رَجَعْنَا قَالَ الْأَشْجُ: يَا زَارِعُ، كُنْتُ أَصُوبَ رَأْيَا مِنِّي " ١٠٩٠

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مَرْثَةَ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا مَا رَأَاهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَا يَرَاهَا أَحَدٌ مِنْ بَعْدِي: لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ مَعَهَا صَبِيٌّ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنِي هَذَا أَصَابَهُ بَلَاءٌ، وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلَاءٌ، يُؤْخَذُ فِي الْيَوْمِ لَا أَدْرِي كَمْ مَرَّةً، قَالَ: نَاوِلِينِيهِ، فَرَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ، ثُمَّ فَعَرَ فَاهُ فَتَفَثَ فِيهِ ثَلَاثًا بِسَمِ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ اخْسَأْ عَدُوَّ اللَّهِ، قَالَ: ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: الْقَيْنَا بِهِ فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا فَعَلَ، قَالَ: فَذَهَبْنَا

وَرَجَعْنَا، فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَعَهَا شَيْءٌ ثَلَاثٌ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَبِيُّكَ ؟
قَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ فَاجْتَرِرْ هَذِهِ
الْعَنَمَ، قَالَ: انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً وَرُدِّ الْبَقِيَّةَ.

قَالَ: وَخَرَجْتُ مَعَهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْجَبَّانَةِ، حَتَّى إِذَا بَرَزْنَا قَالَ: اُنْظُرْ وَيْحَكَ ، هَلْ تَرَى مِنْ
شَيْءٍ يُوَارِينِي ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَرَى شَيْئًا يُوَارِيكَ إِلَّا شَجَرَةً مَا أَرَاهَا
تُوَارِيكَ، قَالَ: مَا قُرْبُهَا شَيْءٌ ؟ قُلْتُ: شَجَرَةٌ خَلْفَهَا، وَهِيَ مِثْلُهَا أَوْ قَرِيبٌ مِنْهَا، قَالَ: اذْهَبْ
إِلَيْهِمَا فَقُلْ لَهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: فَاجْتَمَعَتَا
فَبَرَزَ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِمَا فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ
تَرْجِعَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا إِلَى مَكَانِهَا.

قَالَ: وَكُنْتُ جَالِسًا مَعَهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ جَاءَ جَمَلٌ يَخْبُ حَتَّى ضَرَبَ بِجِرَانِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ
ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: اُنْظُرْ وَيْحَكَ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا ، فَخَرَجْتُ أَلْتَمِسُ
صَاحِبَهُ فَوَجَدْتُهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُ جَمَلِكَ هَذَا ؟ قَالَ: وَمَا
شَأْنُهُ ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي وَاللَّهِ مَا شَأْنُهُ، عَمَلْنَا عَلَيْهِ وَتَضَحْنَا عَلَيْهِ حَتَّى عَجَزَ عَنِ السَّقَايَةِ ،
فَاتَّمَرْنَا الْبَارِحَةَ أَنْ نَنْحَرَهُ وَنُقَسِّمَ لَحْمَهُ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ ، هَبْ لِي، أَوْ بَعْنِيهِ، قَالَ: هُوَ لَكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَسَمَهُ سِمَةَ الصَّدَقَةِ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ. ١٠٩١

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ رَأَيْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ
إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْبَعِيرُ جَرَّ جَرًّا وَوَضَعَ جِرَانَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ
ﷺ، فَقَالَ: أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ ؟ فَجَاءَ، فَقَالَ: بَعْنِيهِ فَقَالَ: لَا، بَلْ أَهْبُهُ لَكَ. فَقَالَ: لَا، بَعْنِيهِ
قَالَ: لَا، بَلْ نَهْبُهُ لَكَ، وَإِنَّهُ لِأَهْلٍ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ. قَالَ: أَمَّا إِذْ ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ
أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ، وَقَلَّةَ الْعَلْفِ، فَأَحْسَنُوا إِلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ سَرَرْنَا فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَنَامَ
النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الْأَرْضَ، حَتَّى غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا
اسْتَيْقَظَ ذَكَرْتُ لَهُ. فَقَالَ: هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنْتَ رَبَّهَا أَنْ تُسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَذِنَ
لَهَا.

قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا فَمَرَرْنَا بِمَاءٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جَنَّةٌ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْخَرِهِ، فَقَالَ: اخْرُجْ، إِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ سَفَرِنَا مَرَرْنَا بِذَلِكَ الْمَاءِ، فَأَتَتْهُ الْمَرْأَةُ بِجُزُرٍ وَلَبَنٍ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرُدَّ الْجُزُرَ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ، فَشَرِبُوا مِنَ اللَّبَنِ، فَسَأَلَهَا عَنِ الصَّبِيِّ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَ بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتَا مِنْهُ رَيْبًا بَعْدَكَ. ١٠٩٢

وَلَوْ قَدَّرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ ذَلِكَ لِكَوْنِ مِثْلِهِ لَمْ يَقَعْ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِكَوْنِ الشَّيَاطِينِ لَمْ تَكُنْ تَقْدِرُ [أَنْ] تَفْعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَفَعَلْتَ ذَلِكَ عِنْدَنَا، فَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ نَصْرِ الْمَظْلُومِ وَالتَّنْفِيسِ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَتَنَاوَلُ ذَلِكَ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لَدَغَ سَيِّدُ أَوْلَيْكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلَا نَفْعُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتَفَلُّ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسُهُمْ» ١٠٩٣

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعُنْكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: "إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعُنْكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ الثَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهُ لَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ" ١٠٩٤

وَهَذَا كَدَفَعَ ظَالِمِي الْإِنْسِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفَجَّارِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا التُّرْكَ وَلَمْ يَكُونُوا يَرْمُونَ بِالْقِسِيِّ الْفَارِسِيَّةِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي قِتَالٍ، فَقَدْ

١٠٩٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) (٦/ ٣٥) (١٧٥٦٥) ١٧٧٠٨ فيه جهالة

١٠٩٣ - صحيح البخاري (٧/ ١٣١) (٥٧٣٦) وصحيح مسلم - ط دار الجليل بيروت (٧/ ١٩) ٥٧٨٤ - [٦٥]

[٢٢٠١] [ش (يقروهم) يضيفوهم. (الشاء) الغنم. (يتفل) يخرج بزاقه من فمه مع نفس]

١٠٩٤ - صحيح مسلم (١/ ٣٨٥) ٤٠ - (٥٤٢)

ثَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِقِتَالِهِمْ وَأَخْبَرَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَقَاتِلُهُمْ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ قِتَالَهُمُ النَّافِعَ إِنَّمَا هُوَ بِالْقَسِيِّ الْفَارِسِيِّ وَلَوْ قُوتِلُوا بِالْقَسِيِّ الْعَرَبِيِّ الَّتِي تُشَبِّهُ قَوْسَ الْقُطَنِ لَمْ تُعْنِ شَيْئًا؛ بَلِ اسْتَطَالُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِقُوَّةِ رَمِيهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ قِتَالِهِمْ بِمَا يَقْهَرُهُمْ. وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي عُمَرَةِ الْقَضِيَّةِ بِالرَّمْلِ وَالْاضْطِبَاعِ لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَشْرُوعًا قَبْلَ هَذَا، فَفَعَلَ لِأَجْلِ الْجِهَادِ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْرُوعًا بِدُونِ ذَلِكَ. فَعَنِ بْنِ خُثَيْمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ، فَقُلْتُ: الْأَطْرَافُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تُسَنَدُ بِالْكَعْبَةِ؟ قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ: سَأَلْتُ بَنَ عَبَّاسٍ عَنْهَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانِ فِي صَلَاحِ قُرَيْشٍ بَلَغَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَقُولُ: ثُبَايَعُونَ ضَعَفَاءُ؛ قَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَكَلْنَا مِنْ ظَهْرِنَا، فَأَكَلْنَا مِنْ شُحُومِهَا، وَحَسَوْنَا مِنْ الْمَرَقِ، فَأَصْبَحْنَا غَدًا حَتَّى نَدْخُلَ عَلَى الْقَوْمِ وَبِنَا جِمَامًا؟ قَالَ: "لَا وَلَكِنْ ائْتُونِي بِفَضْلِ أَرْوَادِكُمْ". فَسَطُّوا أَنْطَاعَهُمْ، ثُمَّ جَمَعُوا عَلَيْهَا مِنْ أَطْعِمَاتِهِمْ كُلِّهَا، فَدَعَا لَهُمْ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَضَلَعُوا شَبْعًا، فَانْكَفُوا فِي حُرْبِهِمْ فَضُولَ مَا فَضَلَ مِنْهَا، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قُرَيْشٍ وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ الْحَجَرِ، اضْطَبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "لَا يَرَى الْقَوْمُ فِيكُمْ غَمِيزَةً" وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِي، وَتَغَيَّيْتُ قُرَيْشٌ، مَشَى هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى اسْتَلَمُوا الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ، فَطَافَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ، فَلِذَلِكَ تَقُومُ قُرَيْشٌ وَهُمْ يَمْرُونَ بِهِمْ يَرْمُلُونَ: لَكَائِهِمُ الْغَزْلَانِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكَانَتْ سَنَةَ ١٠٩٥

وَلِهَذَا قَدْ يَحْتَاجُ فِي إِبْرَاءِ الْمَصْرُوعِ وَدَفْعِ الْحِجْنِ عَنْهُ إِلَى الضَّرْبِ فَيُضْرَبُ ضَرْبًا كَثِيرًا جَدًّا، وَالضَّرْبُ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى الْجَنِيِّ وَلَا يَحْسُ بِهِ الْمَصْرُوعُ حَتَّى يَفِيقَ الْمَصْرُوعُ، وَيُخْبِرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْسُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يُؤْتَرُ فِي بَدَنِهِ وَيَكُونُ قَدْ ضُرِبَ بَعْضًا قَوِيَّةً عَلَى رِجْلَيْهِ نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةٍ أَوْ أَرْبَعِمِائَةٍ ضَرْبَةً وَأَكْثَرُ وَأَقَلُّ بِحَيْثُ لَوْ كَانَ عَلَى الْإِنْسِيِّ لَقَتَلَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْجَنِيِّ، وَالْجَنِيُّ يَصِيحُ وَيَصْرُخُ وَيُحَدِّثُ الْحَاضِرِينَ بِأُمُورٍ

١٠٩٥ - صحيح ابن حبان - محققا (٩/ ١٢٠) (٣٨١٢) صحيح

وقوله: "بنا جمام" أي: راحة وشيعة وري. و"اكتفوا في جرحهم" أي: ضموا وجمعوا ما زاد من الطعام فجعلوه في جرحهم. والاضطباع: أن يأخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه أو تحت إبطه الأيمن، ويلقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره. والغميزة: المطعن أو المطمع.

مُعَدَّدَةٌ كَمَا قَدْ فَعَلْنَا نَحْنُ هَذَا وَحَرَّبْنَاهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً يَطُولُ وَصْفُهَا بِحَضْرَةِ خَلْقٍ كَثِيرِينَ.

وَأَمَّا الِاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِمْ بِمَا يُقَالُ وَيُكْتَبُ مِمَّا لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ فَلَا يُشْرَعُ لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ فِيهِ شِرْكٌ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ. وَعَامَّةٌ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْعَزَائِمِ فِيهِ شِرْكٌ، وَقَدْ يَفْرَعُونَ مَعَ ذَلِكَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ وَيُظْهِرُونَهُ وَيَكْتُمُونَ مَا يَقُولُونَهُ مِنَ الشَّرْكِ، وَفِي الِاسْتِشْفَاءِ بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَا يُغْنِي عَنِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَالْمُسْلِمُونَ وَإِنْ تَنَازَعُوا فِي جَوَازِ التَّدَاوِي بِالْمُحَرَّمَاتِ كَالْمَيْتَةِ وَالْخَنزِيرِ فَلَا يَتَنَازَعُونَ فِي أَنَّ الْكُفَرَ وَالشَّرْكَ لَا يَجُوزُ التَّدَاوِي بِهِ بِحَالٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَيْسَ هَذَا كَالْتَكَلُّمِ بِهِ عِنْدَ الْإِكْرَاهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَجُوزُ إِذَا كَانَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، وَالتَّكَلُّمُ بِهِ إِنَّمَا يُؤْتَرُ إِذَا كَانَ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ وَلَوْ تَكَلَّمَ بِهِ مَعَ طُمَأْنِينَةٍ قَلْبِهِ بِالْإِيمَانِ لَمْ يُؤْتَرُ. وَالشَّيْطَانُ إِذَا عَرَفَ أَنَّ صَاحِبَهُ مُسْتَحْفٌ بِالْعَزَائِمِ لَمْ يُسَاعِدْهُ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَكْرَةَ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّكَلُّمِ بِهِ وَلَا ضَرُورَةَ إِلَى إِبْرَاءِ الْمُصَابِ بِهِ لَوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ قَدْ لَا يُؤْتَرُ أَكْثَرَ مِمَّا يُؤْتَرُ مَنْ يُعَالِجُ بِالْعَزَائِمِ فَلَا يُؤْتَرُ بَلْ يَزِيدُهُ شَرًّا. وَالثَّانِي: أَنَّ فِي الْحَقِّ مَا يُغْنِي عَنِ الْبَاطِلِ.

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٌ: قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِدُخُولِ الْجَنِّيِّ فِي الْإِنْسِ. وَقَوْمٌ يَدْفَعُونَ ذَلِكَ بِالْعَزَائِمِ الْمَذْمُومَةِ فَهَؤُلَاءِ يُكَذِّبُونَ بِالْمَوْجُودِ وَهَؤُلَاءِ يَعْصُونَ بَلْ يَكْفُرُونَ بِالْمَعْبُودِ. وَالْأُمَّةُ الْوَسْطَى تُصَدِّقُ بِالْحَقِّ الْمَوْجُودِ وَتُؤْمِنُ بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَعْبُودِ وَبِعِبَادَتِهِ وَدُعَائِهِ وَذِكْرِهِ وَأَسْمَائِهِ وَكَلَامِهِ، فَتَدْفَعُ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

وَأَمَّا سُؤَالُ الْجِنِّ وَسُؤَالُ مَنْ يَسْأَلُهُمْ فَهَذَا إِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ التَّصَدِيقِ لَهُمْ فِي كُلِّ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ وَالتَّعْظِيمِ لِلْمَسْئُولِ فَهُوَ حَرَامٌ^{١٠٩٦} كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ

^{١٠٩٦} - قال الشَّيْبَانِيُّ: "قلت: لَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْدَرُ الْجِنِّ عَلَى قَطْعِ الْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ فِي الزَّمَنِ الْقَصِيرِ بِذَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} [النمل: ٣٩].
فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ حَدَثَةٍ وَقَعَتْ أَوْ شَخْصٌ فِي بَلَدٍ بَعِيدٍ فَمَنْ الْجَائِزُ أَنْ يَكُونَ الْجَنِّيُّ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ تِلْكَ الْحَادِثَةِ، وَحَالُ ذَلِكَ الشَّخْصِ فِيخْبِرُ، وَمَنْ الْجَائِزُ أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَيَذْهَبُ وَيَكْشِفُ ثُمَّ يَعُودُ فِيخْبِرُ وَمَعَهُ هَذَا، فَهُوَ خَيْرٌ وَاحِدٍ، لَا يُفِيدُ غَيْرَ الظَّنِّ، وَلَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ حُكْمٌ غَيْرُ الِاسْتِنْسَانِ... وَأَمَّا سُؤَالُهُمْ عَمَّا لَمْ يَقَعْ وَتَصَدِيقُهُمْ فِيهِ بِنَاءً

مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» قَالَ قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدِّكُمْ» ١٠٩٧

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». ١٠٩٨

وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَسْأَلُ الْمَسْئُولَ لِيَمْتَحِنَ حَالَهُ وَيَخْتَبِرَ بَاطِنَ أَمْرِهِ وَعِنْدَهُ مَا يُمَيِّزُ بِهِ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ فَهَذَا جَائِزٌ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ عِنْدَ أُطَمٍ بَنِي مَعَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «تَشْهَدُ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ؟»، فَظَنَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَرَفَضَهُ وَقَالَ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ» فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلُطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ» ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَّاتُ لَكَ خَبِيئًا» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: «اِخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُو النَّبِيَّ ﷺ».

على أنهم يعلمون الغيب فكفر وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا تأتوهم وقوله من أتى عرافا الحديث والله أعلم. أحكام المرجان في أحكام الجان (ص: ١٩٣)

١٠٩٧ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٤٨) ١٢١ - (٥٣٧)

[ش (الكهان) قال القاضي رحمه الله كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدهما يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسرقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ الثاني أنه يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها وهذه الأضرب كلها تسمى الكهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم (ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه) معناه أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا]

١٠٩٨ - صحيح مسلم (٤/ ١٧٥١) ١٢٥ - (٢٢٣٠)

[ش (عرافا) العراف من جملة أنواع الكهان قال ابن الأثير العراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به وقال الخطابي وغيره العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما]

قَدَرَكُ» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عَنْقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»^{١٠٩٩}

وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَهُ وَيُخْبِرُونَ بِهِ عَنِ الْجِنَّ كَمَا يَسْمَعُ الْمُسْلِمُونَ مَا يَقُولُ الْكُفَّارُ وَالْفُجَّارُ لِيَعْرِفُوا مَا عَنْدهُمْ فَيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَكَمَا يَسْمَعُ خَبْرَ الْفَاسِقِ وَيَتَّبِعِينَ وَيَتَّبِعْتُ فَلَا يُحْزَمُ بِصِدْقِهِ وَلَا كَذِبِهِ إِلَّا بَيِّنَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات: ٦].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا { آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة: ١٣٦] ^{١١٠٠}

فَقَدْ جَازَ لِلْمُسْلِمِينَ سَمَاعُ مَا يَقُولُونَهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ وَلَمْ يُكَذِّبُوهُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ خَبْرُ عُمَرَ، فَكَلَّمَ امْرَأَةً فِي بَطْنِهَا شَيْطَانًا، فَقَالَتْ: حَتَّىٰ يَجِيءَ شَيْطَانِي فَأَسْأَلُهُ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ مُتَزِرًا بِكَسَاءٍ يَهْنَأُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ، وَقَالَ: لَا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا خَرًّا لِمَنْخَرِيهِ، لِلْمَلِكِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَرُوحُ الْقُدُسِ يَنْطِقُ عَلَىٰ لِسَانِهِ. ^{١١٠١}

وَفِي خَيْرٍ آخَرَ أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ جَيْشًا فَقَدِمَ شَخْصٌ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ انْتَصَرُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ وَشَاعَ الْخَيْرُ فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ: هَذَا أَبُو الْهَيْثَمِ بَرِيدُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجِنَّ وَسَيَّاتِي بَرِيدُ الْإِنْسِ بَعْدَ ذَلِكَ فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَةَ أَيَّامٍ. ^{١١٠٢}

^{١٠٩٩} - صحيح البخاري (٩٣/٢) (١٣٥٤) وصحيح مسلم (٤/٢٢٤٤) ٩٥ - (٢٩٣٠)

^{١١٠٠} - صحيح البخاري - دار الشعب (٦/٢٥) (٤٤٨٥)

^{١١٠١} - فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/٢٤٦) (٣٠٤) حسن

^{١١٠٢} - ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى - دار الوفاء (١٩/٦٣) وجاء نحوه في تاريخ الطبري (٤/

وعن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَأَتْ عَلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ خَبْرَ عُمَرَ وَهُوَ أَمِيرُ
الْبَصْرَةِ، وَكَانَ بِهَا امْرَأَةٌ فِي جُبَّتِهَا شَيْطَانٌ يَتَكَلَّمُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولًا فَقَالَ لَهَا: مُرِي
صَاحِبَكَ فَلْيَذْهَبْ فَلْيُخْبِرْنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: هُوَ بِالْيَمَنِ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي، فَمَكْتُوًا
غَيْرَ طَوِيلٍ، قَالُوا: اذْهَبْ فَأُخْبِرْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ قَدْ رَأَتْ عَلَيْنَا، فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ
لَرَجُلٌ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَدْنُو مِنْهُ، إِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ رُوحَ الْقُدُسِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْطَانًا
يَسْمَعُ صَوْتَهُ إِلَّا خَرَّ لَوَجْهِهِ. ١١٠٣

وَيَجُوزُ أَنْ يُكْتَبَ لِلْمُصَابِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَرْضَى شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرُهُ بِالْمَدَادِ
الْمُبَاحِ، وَيُعْسَلُ وَيُسْقَى كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِذَا عَسِرَ
عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَدُهَا، فَيُكْتَبُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَالْكَلِمَاتِ فِي صَحْفَةٍ، ثُمَّ تُعْسَلُ فَتُسْقَى
مِنْهَا: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَكِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ: {كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً، أَوْ ضُحَاهَا}، {كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ
مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ}. ١١٠٤

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي الْمَرْأَةِ يَعْسُرُ عَلَيْهَا وَلَدُهَا قَالَ: يُكْتَبُ فِي قِرْطَاسٍ ثُمَّ تُسْقَى: بِسْمِ اللَّهِ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَكِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَالَى رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، {كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا
الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥]، {كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}
[النازعات: ٤٦] ١١٠٥.

"قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: رَأَيْتُ أَبِي يَكْتُبُ التَّعَاوِذَ لِلَّذِي يَقْرَعُ وَلِلْحَمَى لِأَهْلِهِ وَقَرَابَاتِهِ، وَيَكْتُبُ
لِلْمَرْأَةِ إِذَا عَسِرَ عَلَيْهَا الْوِلَادَةُ فِي جَامٍ أَوْ شَيْءٍ نَظِيفٍ، وَيَكْتُبُ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا أَنَّهُ
كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَ وَقُوعِ الْبَلَاءِ وَلَمْ أَرَهُ يَفْعَلْ هَذَا قَبْلَ وَقُوعِ الْبَلَاءِ، وَرَأَيْتُهُ يَعُوذُ فِي
الْمَاءِ وَيَشْرِبُهُ الْمَرِيضُ، وَيَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ مِنْهُ، وَرَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ

١١٠٣ - فضائل الصحابة لعبد الله بن أحمد ٢٩٠ (١/ ٢٨٩) (٣٨٠) حسن

١١٠٤ - مصنف ابن أبي شيبة - طبعة الدار السلفية الهندية (٧/ ٣٨٥) (٢٣٩٧٤) ومسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد

الله (ص: ٤٤٧) (١٦٢٣) حسن موقوف

١١٠٥ - الدعوات الكبير (٢/ ١٩٨) (٥٦٥) حسن موقوف - عسر على المرأة ولدها: صعبت ولادتها.

فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يَقْبِلُهَا وَأَحْسَبَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى رَأْسِهِ أَوْ عَيْنِهِ فَنَعْمُهَا فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَشْرِبُهُ يَسْتَشْفِي بِهِ، وَرَأَيْتُهُ قَدْ أَخَذَ قِصْعَةَ النَّبِيِّ ﷺ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ أَبُو يَعْقُوبَ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ فَعَسَلَهَا فِي جَبِّ مَاءٍ ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا وَرَأَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ" ١١٠٦

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: إِذَا عَسَرَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَدُهَا؛ فَلْيُكْتَبْ لَهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥] ١١٠٧

قَالَ عَلِيٌّ: يُكْتَبُ فِي كَاغِدَةٍ فَيَعْلَقُ عَلَى عَضِدِ الْمَرْأَةِ قَالَ عَلِيٌّ: وَقَدْ حَرَّبْنَاهُ فَلَمْ نَرَ شَيْئًا أَعْجَبَ مِنْهُ فَإِذَا وَضَعَتْ ثُحْلَهُ سَرِيعًا ثُمَّ تَجَعَلُهُ فِي خِرْقَةٍ أَوْ تُحْرِقُهُ. ١١٠٨

الرقية من النظرة:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ، فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ». ١١٠٩

"وَاحْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِالنَّظْرَةِ فَقِيلَ عَيْنٌ مِنْ نَظَرِ الْجِنِّ وَقِيلَ مِنَ الْإِنْسِ وَبِهِ جَزَمَ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ وَالْأَوَّلَى أَنَّهُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهَا أُصِيبَتْ بِالْعَيْنِ فَلِذَلِكَ ﷺ فِي الْإِسْتِرْقَاءِ لَهَا وَهُوَ دَالٌّ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الرُّقِيَّةِ مِنَ الْعَيْنِ" ١١١٠

١١٠٦ - مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (ص: ٤٤٧) (١٦٢٢)

١١٠٧ - المجالسة وجواهر العلم (٥/ ١٧٠) (١٩٩٦) حسن موقوف

١١٠٨ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (١٩/ ٦٥) و أحكام المرجان في أحكام الجان

(ص: ١٦٣)

١١٠٩ - صحيح البخاري (٧/ ١٣٢) (٥٧٣٩) (جارية) بنت صغيرة أو أمة مملوكة. (سفعة) صفرة

وشحوبا. (النظرة) أي أصابتها العين]

قَوْلُهُ: سَفْعَةٌ، أَي: نَظْرَةٌ، يَعْنِي: مِنَ الْجِنِّ، وَقِيلَ: عَلَامَةٌ. = وَأَرَادَ بِالنَّظْرَةِ: الْعَيْنَ، يَقُولُ: بِهَا عَيْنٌ أَصَابَتْهَا مِنْ نَظَرِ الْجِنِّ،

وَقِيلَ: عُيُونُ الْجِنِّ أَنْفَذُوا مِنْ أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ. شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٦٣)

١١١٠ - فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٠٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ يَحْضُرُهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ»^{١١١}

ما ينبغي أن يكون عليه المعالج:

وينبغي للمعالج أن يكون قوي الإيمان بالله معتمداً عليه، واثقاً بتأثير الذكر وقراءة القرآن، وكلما قوي إيمانه وتوكله قوي تأثيره، وربما كان أقوى من الجني فأخرجه، وربما كان الجني أقوى فلا يخرج، وربما كان المخرج للجني ضعيفاً، فتتقصد الجن إيذاءه، فعليه بكثرة الدعاء والاستعانة عليهم بالله، وقراءة القرآن، خاصة آية الكرسي.

هل يجوز استرضاء الجن؟:

وبعض الناس يحاولون استرضاء الجني الذي يصرع الإنسان بالذبح له، وهذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وروي أنه نهي عن ذبائح الجن.^{١١٢} وقد يزعم بعض الناس أن هذا من باب التداوي بالحرام، وهذا خطأ كبير، فالصواب أن الله لم يجعل الشفاء في شيء من المحرمات، وعلى القول بجواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخمر، فلا يجوز أن يستدل بذلك على الذبح للجني؛ لأن التداوي بالمحرمات فيه نزاع لبعض العلماء، أما التداوي بالشرك والكفر، فلا خلاف بين العلماء في تحريمه، ولا يجوز التداوي به باتفاق.^{١١٣}



^{١١١} - مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ٤١٧) (٩٦٦٨) و مسند الشاميين للطبراني (١/ ٢٦٥) (٤٥٩) فيه انقطاع

وانظر آكام المرجان في أحكام الجنان (ص: ١٧٠): الباب السابع والخمسون في نظرة الجن وإصابتها بني آدم بالعين

^{١١٢} - السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٥٢٧) (١٩٣٥٢) صحيح مرسل

^{١١٣} - انظر كتاب عالم الجن والشياطين (ص: ١٥٥)

المبحث التاسع عشر

حكم التزاوج بين الإنس والجن

يعتبر هذا الموضوع من المواضيع التي تعرض لها العلماء قديماً وحديثاً:

ففي فتاوى الشبكة الإسلامية [هل يتزوج الإنسي من جنية أو يجامعها؟]

فعلى افتراض إمكان زواج الأنسي بجنية فإن ذلك لا يجوز شرعاً، لفهم قوله تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) [النحل: ٧٢] وقوله سبحانه: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً) [الروم: ٢١] قال المفسرون في معنى الآيتين: (جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) أي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقكم. قال الإمام السيوطي في الأشباه والنظائر: (فإن قلت: ما عندك من ذلك؟ قلت: الذي اعتقده التحريم، واستدل بالآيتين المتقدمتين: ثم قال: فروي المنع منه عن الحسن البصري، وقتادة، والحكم بن عيينة، وإسحاق بن راهويه. وقال الجمال السجستاني من الحنفية في كتاب (منية المغني عن الفتاوى السراجية) لا يجوز المناكحة بين الإنس والجن، وإنسان الماء لاختلاف الجنس. وذكر وجوهاً أخرى للمنع منها: أن النكاح شرع للألفة، والسكون، والاستئناس، والمودة، وذلك مفقود في الجن.

ومنها: أنه لم يرد الإذن من الشرع في ذلك، فإن الله تعالى قال: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) [النساء: ٣] والنساء اسم لإناث بني آدم خاصة، فبقي ما عداهن على التحريم، لأن الأصل في الأبضاع الحرمة حتى يرد دليل على الحل. ومنها: أنه قد منع من نكاح الحر للأمة، لما يحصل للولد من الضرر بالإرقاق، ولا شك أن الضرر بكونه من جنية وفيه شائبة من الجن خلقاً وخلقاً، وله بهم اتصال ومخالطة أشد من ضرر الإرقاق الذي هو مرجو الزوال بكثير، ثم قال: وإذا تقرر المنع، فالمنع من نكاح الجني الأنسية أولى وأحرى) انتهى ملخصاً.

وإنما منع زواج الجني من الإنسية لما تقدم، ولئلا تقول المرأة إذا وجدت حاملاً إنها حامل من زوجها الجني فيكثر الفساد. وقال الماوردي بخصوص المناكحة بين بني آدم

والجن: "وهذا القول بأن أمها جنية (أي أم بلقيس على حد زعم البعض) مستنكر في العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفاوت الجسمين، لأن الآدمي جسماني ، والجنّي روحاني ، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار وخلق الجنّي من نار ، ويمتنع الامتزاج من هذا التباين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف، لكنه قيل فذكرته حاكياً." ١١١٤

وأخيراً نقول: إن زواج الإنسي بالجنية على فرض إمكانية وقوعه - وهو مستبعد جداً - يترتب عليه مفسدات كثيرة، لقدرة الجنية على التشكل بصورة أخرى، وكيف يثق أن التي تخالطه هي زوجته حقاً، ربما كانت غيرها، ولأن الزواج لا بد فيه من ولي وشاهدي عدل كشرط صحة للنكاح، ولا بد من خلو المرأة من الموانع، وربما تعذر تحقق كل ذلك لاختلاف طبيعة الجن عن الإنس، إلى غير ذلك من الأمور. والله أعلم. ١١١٥

وقال ابن حجر الهيتمي: "وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي جَوَازِ نِكَاحِهِمْ شَرْعاً وَجَاءَ عَنْ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَحَازَهُ وَلَكِنَّهُ كَرِهَهُ لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ: أَلَّا يَدْعِيَ الْجَبَالِي مِنَ الزَّوْجِ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ، وَكَذَلِكَ كَرِهَهُ الْحَكَمُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَعَقَبَةُ الْأَصَمِ وَالْحَجَّاجُ ابْنُ أَرْطَاةٍ. وَأُخْرِجَ جَرِيرٌ عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَى عَنْهُ، وَمَنْ ثُمَّ كَرِهَهُ إِسْحَاقُ لَكِنْ فِي (الْفَتَاوَى السَّرَاجِيَّةِ) لِلْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الْمُنَاكَحَةُ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَإِنْسَانُ الْمَاءِ لِاخْتِلَافِ الْجِنْسِ، وَبِهِ أَفْتَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْبَارِزِيُّ مِنْ أَئِمَّتِنَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْتَرَنَا عَلَيْنَا بِأَنْ خَلَقَ لَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا أَرْوَاجًا فَلَوْ جَازَ نِكَاحَ الْجِنِّ مَا حَصَلَ الْاِمْتِنَانُ بِذَلِكَ. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: مَعْنَى آيَةِ النَّحْلِ أَيُّ آيَةِ النَّحْلِ وَالرُّومِ {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [النَّحْل: ٧٢] أَيُّ مِنْ جِنْسِكُمْ وَنَوْعِكُمْ وَعَلَى خَلْقِكُمْ...". ١١١٦

وقال أستاذنا الزحيلي أطلال الله عمره: "وعرفه الحنفية بقولهم: عقد يفيد ملك المتعة قصداً، أي حل استمتاع الرجل من امرأة، لم يمنع من نكاحها مانع شرعي، بالقصد

١١١٤ - تفسير الماوردي = النكت والعيون (٤ / ٢١٦)

١١١٥ - فتاوى الشبكة الإسلامية (١٣ / ٥٩٧٩): زواج الإنسي من جنية [تَارِيخُ الْفَتَاوَى] ٢٢ محرم ١٤٢٢

١١١٦ - الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص: ٥٠)

المباشر. خرج بكلمة (المرأة): الذكر والخنثى المشكل لجواز ذكوره، وخرج بقوله «ما لم يمنع من نكاحها ما نع شرعي»: المرأة الوثنية، والمحارم، والجنّة، وإنسان الماء، لاختلاف الجنس؛ لأن قوله تعالى: {والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً} [النحل: ٧٢/١٦] أوضح المراد من قوله تعالى: {فانكحوا ما طاب لكم من النساء} [النساء: ٣/٤] وهو الأنثى من بنات آدم، فلا يثبت حل غيرها بلا دليل، ولأن الجن يتشكّلون بصور شتى، فقد يكون ذكراً تشكّل بشكل أنثى. ^{١١١٧}

وفي فتاوى موقع الألوكة:

" إن تلبس الجن بالإنس أمرٌ واقعٌ ومحسوسٌ، لا ينكره إلا مكابر، وكذلك جماع الجني للإنسية ممكن؛ لقدرة الجن على التشكّل بصورة البشر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": "وَصَرَّعُهُم لِلْإِنْسِ قَدْ يَكُونُ عَنْ شَهْوَةٍ وَهَوًى وَعَشَقٍ، كَمَا يَتَّفِقُ لِلْإِنْسِ مَعَ الْإِنْسِ". ^{١١١٨}

وأما فض البكارة فإنه ممكن أيضاً؛ لأنه إذا أمكنه جماع الإنسية، فيعقل أنه ربما تُفْتَضُّ بكارتها حينئذٍ، ولكن إن ادّعت المرأة ذلك لا تُصَدَّق، وكذلك إذا وُجِدَتْ حَامِلاً وزعمت إنها حامل من زوجها الجني؛ حتى لا يكثر الفساد.

ونبيه الأخت السائلة إلى أنه لا يجوز شرعاً زواج الإنسيّ بجنية أو العكس؛ لقوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ١٢٨]، والتزوج بين الإنس والجن نوع من الاستمتاع، ولأن الله تعالى جعل الزوج من جنس ما يُؤْلَف فقال سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [الروم: ٢١]، يعني - سبحانه - من جنسكم ونوعكم وعلى خلقكم، ولمفهوم قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [النحل: ٧٢].

^{١١١٧} - الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي - دار الفكر (٢٣ / ٩)

^{١١١٨} - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء (٣٩ / ١٩)

قال السيوطي في "الأشباه والنظائر": "الذي أعتقده التحريم". ثم قال: "فروي المنع منه عن الحسن البصري، وقتادة، والحكم بن عتيبة، وإسحاق بن راهويه".

وقال الجمال السجستاني - من علماء الحنفية - في كتاب "منية المغني عن الفتاوى السراجية": "لا يجوز المُنَاكَحَةُ بين الإنس والجن، وإنسان الماء؛ لاختلاف الجنس".

وذكر وجوهاً أخرى للمنع منها: "أن النكاح شرع للألفة، والسكون، والاستئناس، والمودة، وذلك مفقود في الجن.

ومنها: أنه لم يرد الإذن من الشرع في ذلك؛ فإن الله تعالى قال: {فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٣]، والنساء اسم لإناث بني آدم خاصة، فبقي ما عداهن على التحريم؛ لأن الأصل في الأبضاع الحرمة حتى يرد دليل على الحل.

ومنها: أنه قد مُنع من نكاح الحر للأمة، لما يحصل للولد من الضرر بالإرقاق، ولا شك أن الضرر بكونه من جنية وفيه شائبة من الجن خَلْقاً وَخُلُقاً، وله بهم اتصال ومخالطة أشد من ضرر الإرقاق الذي هو مرجو الزوال بكثير"، ثم قال: "وإذا تَقَرَّرَ المنع، فالمنع من نكاح الجني الأنسية أولى وأحرى". انتهى باختصار.

وقال في "أضواء البيان": "قال الماوردي - بخصوص المُنَاكَحَةِ بين بني آدم والجن -: وهذا مُسْتَنْكَرٌ للعقول، لتباين الجنسين، واختلاف الطبعين، إذ الأدمي جسماني، والجني روحاني، وهذا من صلصال كالفخار، وذلك من مارجٍ من نار، والامتزاج مع هذا التباين مدفوع، والتناسل مع الاختلاف ممنوع".

هذا مع ما تقدّم ذكره من سدّ الذريعة إلى الفساد، فقد تنذرَ المرأة الفاجرة بأن الحمل من جني، لتدراً عن نفسها العقوبة، والله أعلم. "١١٩

وفي موقع الإسلام سؤال وجواب:

"أولاً: امتنَّ الله تعالى علينا بأن خلق " الأنثى " من ذات جنسنا، فكانت بشراً حتى يحصل سكن الرجل إليها، ويحصل بينهما مودة ورحمة، وحتى يتم إعمار الأرض بالذرية. قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)

١١٩ - فتاوى موقع الألوكة (١ /): حكم التزاوج بين الجن والإنس رقم الفتوى: ٢٠٨٤

النحل/ من الآية ٧٢. وقال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم/ ٢١.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - قوله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) الآية، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه امتن على بني آدم أعظم منة، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً، من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر: ما حصل الاتلاف، والمودة، والرحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكوراً وإناثاً، وجعل الإناث أزواجاً للذكور، وهذا من أعظم المنن، كما أنه من أعظم الآيات الدالة على أنه جل وعلا هو المستحق أن يعبد وحده. وأوضح في غير هذا الموضع أن هذه نعمة عظيمة، وأنها من آياته جل وعلا، كقوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)، وقوله: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكْ نُطْفِقْهُ مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَخْلَقٍ فَسَوَى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى)، وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا).^{١١٢٠}

وأما بخصوص حكم التزاوج والنكاح بين الجن والإنس: فقد اختلف العلماء فيه إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: التحريم، وهو قول الإمام أحمد.

والقول الثاني: الكراهة، ومن كرهه: الإمام مالك، وكذا كرهه الحكم بن عتيبة، وقتادة، والحسن، وعقبة الأصم، والحجاج بن أرطاة، وإسحاق بن راهويه - وقد يكون معنى "الكراهة" عند بعضهم: التحريم - وهو قول أكثر أهل العلم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : وكره أكثر العلماء مناكحة الجن. "١١٢١

والقول الثالث: الإباحة، وهو قول لبعض الشافعية.....

^{١١٢٠} - تفسير "أضواء البيان" (٢ / ٤١٢)

^{١١٢١} - مجموع الفتاوى (١٩ / ٤٠)

وقال الشيخ ولي زار بن شاهز الدين - حفظه الله - :أما القضية من حيث الواقع:فالكل قد جاوز وقوعها، وحيث إن النصوص ليست قاطعة في ذلك - جوازاً أو منعاً - :فإننا نميل إلى عدم الجواز شرعاً؛ لما يترتب على جوازه من المخاطر التي تتمثل في:

١. وقوع الفواحش بين بني البشر، ونسبة ذلك إلى عالم الجن، إذ هو غيب لا يمكن التحقق من صدقه، والإسلام حريص على حفظ الأعراض وصيانتها ودرء المفسد مقدّم على جلب المصالح، كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية.

٢. ما يترتب على التناكح بينهما من الذرية والحياة الزوجية - الأبناء لمن يكون نسبهم ؟ وكيف تكون خلقتهم ؟ وهل تلزم الزوجة من الجن بعدم التشكل ؟ - ...

٣. إن التعامل مع الجن على هذا النحو لا يسلم فيه عالم الإنس من الأذى، والإسلام حريص على سلامة البشر وصيانتهم من الأذى.

وبهذا نخلص إلى أن فتح الباب سيجر إلى مشكلات لا نهاية لها، وتستعصي على الحل، أضف إلى ذلك أن الأضرار المترتبة على ذلك يقينية في النفس والعقل والعرض، وذلك من أهم ما يحرص الإسلام على صيانتها، كما أن جواز التناكح بينهما لا يأتي بأية فائدة. ولذلك فنحن نميل إلى منع ذلك شرعاً، وإن كان الوقوع محتملاً.

وإذا حدث ذلك، أو ظهرت إحدى المشكلات من هذا الطراز: فيمكن اعتبارها حالة مرضية تعالج بقدرها، ولا يفتح الباب في ذلك.^{١١٢٢}

وقال الشنقيطي رحمه الله: "اختلف العلماء في جواز المُنَاكَحَةِ بَيْنِ بَنِي آدَمَ وَالْجِنِّ. فَمَنْعَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَبَاحَهَا بَعْضُهُمْ.

قَالَ الْمَتَاوِيُّ (فِي شَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ): فِيهِ الْفَتَاوَى السَّرَاجِيَّةُ لِلْحَنَفِيَّةِ: لَا تَجُوزُ الْمُنَاكَحَةُ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَإِنْسَانِ الْمَاءِ ؛ لِاخْتِلَافِ الْجِنْسِ. وَفِي فَتَاوَى الْبَارِزِيِّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ: لَا يَجُوزُ التَّنَاكُحُ بَيْنَهُمَا. وَرَجَّحَ ابْنُ الْعِمَادِ جَوَازَهُ. اهـ.

^{١١٢٢} - موقع الإسلام سؤال وجواب (١ / ٥٥٠): تفصيل القول في وقوع وحكم نكاح الجن للإنس والعكس و الجن في القرآن والسنة (ص ٢٠٦).

وَقَالَ الْمَوْرَدِيُّ: وَهَذَا مُسْتَنَكِرٌ لِلْعُقُولِ ؛ لِتَبَايُنِ الْجَنَسَيْنِ، وَاخْتِلَافِ الطَّبْعَيْنِ ؛ إِذِ الْآدَمِيُّ جُسْمَانِيٌّ، وَالْجَنِّيُّ رُوحَانِيٌّ. وَهَذَا مِنْ صَلَاحِ كَالْفَخَّارِ، وَذَلِكَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَالْإِمْتِرَاجُ مَعَ هَذَا التَّبَايُنِ مَدْفُوعٌ، وَالتَّنَاسُلُ مَعَ هَذَا الْإِخْتِلَافِ مَمْنُوعٌ. اهـ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ: نِكَاحُهُمْ جَائِزٌ عَقْلًا ؛ فَإِنْ صَحَّ نَقْلًا فِيهَا وَنِعِمَّتْ. قَالَ مُقَيِّدُهُ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - : لَا أَعْلَمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ نَبِيِّهِ - ﷺ - نَصًّا يَدُلُّ عَلَى حَوَازِ مُنَاكَحَةِ الْإِنْسِ الْجِنِّ، بَلِ الَّذِي يُسْتَرَوَحُ مِنْ ظَوَاهِرِ الْآيَاتِ عَدَمُ حَوَازِهِ. فَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا الْآيَةَ [١٦ \ ٧٢]، مُمْتَنًا عَلَى بَنِي آدَمَ بَأَنَ أَزْوَاجَهُمْ مِنْ نَوْعِهِمْ وَجِنْسِهِمْ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ مَا جَعَلَ لَهُمْ أَزْوَاجًا تُبَايِنُهُمْ كَمُبَايِنَةِ الْإِنْسِ لِلْجِنِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ.

وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً [٣٠ \ ٢١]، فَقَوْلُهُ: أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا، فِي مَعْرِضِ الْإِثْبَاتِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَا خَلَقَ لَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ غَيْرِ أَنْفُسِهِمْ ؛ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا تَقَرَّرَ فِي الْأَصُولِ مِنْ أَنَّ: «التَّكْرَةَ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ تَعْمٌ»، فَقَوْلُهُ: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا [١٦ \ ٧٢]، جَمْعٌ مُتَكَرِّرٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ فَهُوَ يَعْمُ، وَإِذَا عَمَّ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى حَصْرِ الْأَزْوَاجِ الْمَخْلُوقَةِ لَنَا فِيمَا هُوَ مِنْ أَنْفُسِنَا، أَيْ: مِنْ نَوْعِنَا وَشَكْلِنَا. مَعَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْأَصُولِ زَعَمُوا «أَنَّ الْجُمُوعَ الْمُتَّكِرَةَ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ مِنْ صِبْغِ الْعُمُومِ»، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهَا فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ لَا تَعْمُ، وَعَلَيْهِ دَرَجٌ فِي مَرَاقِي السُّعُودِ ؛ حَيْثُ قَالَ فِي تَعْدَادِهِ لِلْمَسَائِلِ الَّتِي عَدِمَ الْعُمُومُ فِيهَا أَصَحُّ:

مِنْهُ مُتَكَرِّرُ الْجُمُوعِ عُرفًا... وَكَانَ وَالَّذِي عَلَيْهِ انْعَظَفَا

أَمَّا فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ فَالتَّكْرَةُ تَعْمُ. وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأَصُولِ «أَنَّ التَّكْرَةَ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ تَعْمُ»، كَقَوْلِهِ: وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا [٢٥ \ ٤٨]، أَيْ: فَكُلُّ مَاءٍ نَازِلٍ مِنَ السَّمَاءِ طَهُورٌ. وَكَذَلِكَ التَّكْرَةُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ أَوْ الشَّرْطِ أَوْ النَّهْيِ ؛ كَقَوْلِهِ: مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ [٧ \ ٥٩]، وَقَوْلِهِ: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْآيَةَ [٩ \ ٦]، وَقَوْلِهِ: وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آثِمًا الْآيَةَ [٧٦ \ ٢٤]، وَيَسْتَأْنَسُ لِهَذَا بِقَوْلِهِ: وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ

أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ [٢٦ \ ١٦٦]، فَإِنَّهُ يَدُلُّ فِي الْحُمْلَةِ عَلَى أَنَّ تَرْكَهُمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وَتَعَدِّيهِمْ إِلَى غَيْرِهِ يَسْتَوْجِبُ الْمَلَامَ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ عَلَى فَاحِشَةِ اللَّوْاطِ ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ [٢٦ \ ١٦٥ - ١٦٦]، فَإِنَّهُ وَبَّخَهُمْ عَلَى أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا: إِيْتَانُ الذُّكُورِ. وَالثَّانِي: تَرْكُ مَا خَلَقَ لَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ.

وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى أَنَّ مَا خُلِقَ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، هُوَ الْكَائِنُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أَيْ: مِنْ نَوْعِهِمْ وَشَكْلِهِمْ ؛ كَقَوْلِهِ: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا [١٦ \ ٧٢]، وَقَوْلِهِ: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا الْآيَةَ [٣٠ \ ٢١]، فَيُفِيدُ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ غَيْرِ أَنْفُسِهِمْ. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. "١١٢٣"

وقال الشيخ ناصر رحمه الله:

" ما نسمعه في هذا الزمان من أن بعض النسوة يشعرن وهن في فراش الزوجية بالجامعة ممن لا يرينه، إن هو إلا من وسوسة الشيطان، وتلاعبه ببني الإنسان، ويستغل ذلك بعض أولئك الذين يتعاطون مهنة استخراج الجني من الإنسي، ويرتكبون في أثناء ذلك أموراً - غير تلاوة القرآن والمعوذات - مما هو غير وارد في السنة، مثل: مكالمة الجني وسؤاله عن بعض الأمور الخفية، وعن دينهم ومذهبهم! وتصديقهم في كل ما يخبرون به ! وهم من عالم الغيب، لا يمكن للإنس أن يعرفوا مؤمنهم من كافرهم، والصادق من الكاذب منهم، وإذا كان النبي - ﷺ - قد حرم إتيان الكهان وتصديقهم؛ لأنهم ممن يوالون الجن، وهؤلاء كانوا يسترقون السمع ويلقون إلى أوليائهم من الإنس ما استرقوا ويخلطون معه أكثر من مئة كذبة؛ كما في ((الصحيح)) .

أقول: إذا كان إتيان هؤلاء محرماً؛ فبالأولى أن يكون محرماً إتيان أوليائهم من الإنس الذين يخاطبون الجن مباشرة ويستخدمونهم، ويقضون لهم بعض مصالحهم، ليضلّوهم عن

١١٢٣ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢ / ٤١٥) وانظر آكام المرجان في أحكام الجنان (ص: ١٠٥): الباب

الموفى ثَلَاثِينَ فِي مَنَاحِجِ الْجَنِّ

سبيل الله؛ كما كان الأمر في الجاهلية، وذلك قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ
يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦]. "١١٢٤



١١٢٤ - انظر تحقيقاً قيماً للعلامة الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة
(١٢ / ٦٠١) (٥٧٧٦ - ٥٧٧٨)

المبحث العشرون

الحكمة من خلق الشيطان

أولا - الحكمة من خلق الجن والإنس:

قال ابن عثيمين رحمه الله: "قبل أن أتكلم عن هذا السؤال أحب أن أنبه على قاعدة عامة فيما يخلقه الله - عز وجل - وفيما يشرعه. وهذه القاعدة مأخوذة من قوله - تعالى -: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}. وقوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}. وغيرهما من الآيات الكثيرة الدالة على إثبات الحكمة لله - عز وجل - فيما يخلقه وفيما يشرعه أي في أحكامه الكونية، وأحكامه الشرعية، فإنه ما من شيء يخلقه الله - عز وجل - إلا وله حكمة سواء كان ذلك في إيجاد أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله - تعالى - إلا لحكمة سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه، أو إباحته، لكن هذه الحكم التي يتضمنها حكمه الكوني والشرعي قد تكون معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، وقد تكون معلومة لبعض الناس دون بعض حسب ما يؤتيهم الله - سبحانه وتعالى - من العلم والفهم، إذا تقرر هذا فإننا نقول: إن الله - سبحانه وتعالى - خلق الجن والإنس لحكمة عظيمة وغاية حميدة، وهي عبادته - تبارك وتعالى - كما قال - سبحانه وتعالى -: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}. وقال - تعالى -: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}. وقال - تعالى -: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله - تعالى - حكمة بالغة من خلق الجن والإنس وهي عبادته، والعبادة هي: "التذلل لله - عز وجل - محبة وتعظيما بفعل أو أمره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه". قال الله - تعالى -: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً}. فهذه الحكمة من خلق الجن والإنس، وعلى هذا فمن تمرد على ربه واستكبر عن عبادته فإنه يكون نابذا لهذه الحكمة التي خلق الله العباد من

أجلها، وفعله يشهد أن الله خلق الخلق عبثاً وسدى، وهو وإن لم يصرح بذلك لكن هذا هو مقتضى تمرده واستكباره عن طاعة ربه.^{١١٢٥}

ثانياً - الحكمة من خلق الشيطان:

الشيطان منبع الشرور والآثام، فهو القائد إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ورافع الراية في كل وقت ومكان، يدعو الناس إلى الكفران، ومعصية الرحمن، فهل في خلقه من حكمة؟ وما هذه الحكمة؟

أجاب عن هذا السؤال ابن القيم رحمه الله تعالى فقال^{١١٢٦}: "في خلق إبليس وجنوده من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله". فمن ذلك:

١- ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعدائه من إكمال مراتب العبودية:

فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاضته وإغاضة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيدهم من شره وكيدته، فيترتب على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه... والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

٢- خوف العباد من الذنوب:

ومن هنا خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعدما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المتزلة الإبلسية^{١١٢٧} يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك، حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع

^{١١٢٥} - لقاءات الباب المفتوح (١٥٥/٣) ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/٨٧) وفتاوى أركان الإسلام (ص: ٥٠)

^{١١٢٦} - شفاء العليل: ص ٣٢٢.

^{١١٢٧} - إبليس لم يكن من الملائكة يوماً قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } [الكهف: ٥٠]، بل هو من الجن لأن الملائكة لا تستطيع معصية الله تعالى قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)} [التحریم: ٦]

آخر، وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ، وهم يشاهدونه، فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

٣- جعله الله عبرة لمن اعتبر:

ومنها أن الله جعله عبرة لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته، وأصرّ على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهي، أو عصى أمره، ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب، وجعل هذا الأب عبرة لمن أصرّ وأقام على ذنبه، وهذا الأب عبرة إن تاب ورجع إلى ربه، فله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة، والآيات الظاهرة.

٤- جعله فتنة واختباراً لعباده:

ومنها أنه محك امتحن الله به خلقه، ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فإنه - سبحانه - خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن، والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر ما كان في مادتهم، فعن قسامة بن زهير، أنه سمع أبا موسى الأشعري، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ».^{١١٢٨}

فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها، فافتضت الحكمة الإلهية إخراجها وظهوره، فلا بد إذاً من سبب يظهر ذلك، وكان إبليس محكاً يميز به الطيب من الخبيث، كما جعل أنبياءه ورسله محكاً لذلك التمييز، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ

^{١١٢٨} - صحيح ابن حبان - مخرجا (٢٩ / ١٤) (٦١٦٠) صحيح

"السهل": الذي فيه رفق ولين. "الحزن": الذي فيه عنف وغلظة

أَجْرٌ عَظِيمٌ { [آل عمران: ١٧٩]، فأرسل رسله إلى المكلفين، وفيهم الطيب والخبث، فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبث إلى الخبيث.

واقترضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، ولهؤلاء داراً على حدة، حكمة بالغة، وقدرة باهرة.

٥- إظهاره كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد:

ومن هذه الحكم أن يظهر كمال قدرته بخلق الأضداد، مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه؛ فإنه خالق الأضداد كالسما والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبث.

٦- الضد يظهر حسنه الضد:

ومن هذه الحكم أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى.

٧- الابتلاء به إلى تحقيق الشكر:

ومن هذه الحكم أنه سبحانه، يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده، وامتحانهم به من أنواع شكره، ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم وهو في الجنة، قبل أن يخرج منها، وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه، ثم اجتباؤه، وتاب عليه وقبله.

٨- في خلق إبليس قيام سوق العبودية:

ومنها أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهد وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه فالجهد ذروة سنام العبودية، وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكمها وفوائدها، وما فيها من المصالح إلا الله.

٩- ظهور آياته وعجائب قدرته:

ومن هذه الحكم أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم، من تمام ظهور آياته، وعجائب قدرته، ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف ذلك من آياته، وبراهين قدرته، وعلمه، وحكمته، فلم يكن بُدَّ من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك.

١٠ - الخلق من النار آية:

ومن هذه الحكم أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها - سبحانه - هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدره باهرة، وآية دالة على أنه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١].

١١ - ظهور متعلقات أسمائه:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الخافض الرافع، المعزَّ المذل، الحكم العدل، المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولا بدَّ من ظهور متعلقات هذه وهذه.

١٢ - ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفه:

ومن هذه الحكم أنه سبحانه الملك التام الملك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب، والإكرام والإهانة والعدل، والفضل والإعزاز والإذلال، فلا بدَّ من وجود من يتعلق به أحد النوعين، كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

١٣ - وجود إبليس من تمام حكمته تعالى:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الحكيم، والحكمة من صفاته - سبحانه - وحكمته تستلزم وضع كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه، فاقتضت خلق المتضادات، وتخصيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات

والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك؟ فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

١٤ - حمده تعالى على منعه وخفضه:

ومنها أن حمده - سبحانه - تامٌ كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه، وخفضه ورفع، وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه، ورفعته وإكرامه، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا، وهو يحمد نفسه على ذلك كله، ويحمده عليه ملائكته، ورسله وأوليائه، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم، وما كان من لوازم كمال حمده وثمائه، فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كما له عليه الحمد التام، فلا يجوز تعطيل حمده، كما لا يجوز تعطيل حكمته.

١٥ - وبخلقه يظهر الله لعباده حلمه وصبره:

ومنها أنه - سبحانه - يجب أن يظهر لعباده حلمه وصبره، وأناته، وسعة رحمته، وجوده، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجهده في مخالفته، ويسعى في مساحطه، بل يشبهه سبحانه وتعالى، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات، ويرزقه، ويعافيه، ويمكن له من أسباب ما يلتذ به من أصناف النعم، ويجيب دعاءه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءته، فله في ذلك من حكمة وحمد.

ويتحجب إلى أوليائه ويتعرف بأنواع كمالاته، كما في الصحيح عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَى أَذَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». ١١٢٩

١١٢٩ - صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٠) ٤٩ - (٢٨٠٤)

[ش (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله) قال العلماء معناه أن الله تعالى واسع الحلم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والند قال المازري حقيقة الصبر منع النفس من الانتقال أو غيره فالصبر نتيجة الامتناع فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى لذلك قال القاضي والصبور من أسماء الله تعالى وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام]

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى الْحَلِيمِ وَالصَّبُّورِ وَاحِدٌ، وَهُوَ مِنَ الْمُتَشَابِهَةِ الَّتِي لَوْ لَا وُرُودُ السَّمْعِ بِهِ لَمَّا جَارَ وَصْفُ اللَّهِ بِهَا، وَقَدْ سَمِيَ نَفْسُهُ حَلِيمًا، وَيُوصَفُ بِالْحَلَمِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى صَبُورًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: قال الله: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقول له لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا». ١١٣٠

السَّمْعُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى صَبُورًا، وَيُوصَفُ بِالصَّبْرِ، وَرُويَ الْخَبَرُ فِي الصَّبْرِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ بَعْضُهُمْ قَالُوا: الْحِلْمُ بُنْيَ عَلَى التَّجَاوُزِ وَالْعَفْوِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ كَرَمًا وَفَضْلًا، وَالصَّبْرُ يُنْتَى عَلَى تَحْمُلِ الْمَكْرُوهِ، وَتَجَرُّعِ الْعَصَصِ ضَرُورَةً تَكْلَفًا وَتَجَلُّدًا، وَالْعَفْوُ وَالتَّجَاوُزُ وَالْقُدْرَةُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ التَّكْلُفُ وَالتَّجَرُّعُ وَالضَّرُورَةُ مِنْ أَوْصَافِهِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، فَجَوَّزُوا وَصَفَهُ بِالْحِلْمِ، وَمَنَعُوا الصَّبْرَ، وَالصَّبْرُ مِنَ الْخَلْقِ حَبْسُ الثُّغُوسِ، وَمَنَعُهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا الْمَحْظُورَةِ فَرْضًا حَتْمًا، وَعَنْ شَهَوَاتِهَا الْمُبَاحَةِ تَطَرُّفًا وَأَدْبًا وَرِيَاضَةً، وَقَدْ قَالَ الْحَكِيمُ: لَا يَبْغِي أَنْ يُفْعَلَ قَلِيلَ الشَّهْوَةِ وَلَا كَثِيرَهَا، فَإِنْ كَثُرَتْهَا تَلَفٌ، وَقَلِيلُهَا دَنَاءَةٌ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَلَى تَحْمُلِ الْمَكَارِهِ، وَتَجَرُّعِ الْعَصَصِ عِنْدَ مُنَازَعَةِ النَّفْسِ إِلَى الْإِسْتِرْوَاحِ بِالْإِنْتِقَامِ وَالْجَزَعِ إِمَّا خَوْفًا مِمَّا هُوَ أَشَدُّ فِي الْمَكْرُوهِ مِنْهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ، أَوْ حَاجَةً إِلَى الثَّوَابِ الْمُوعُودِ مِنْهُ، وَالْأَدَى كُلُّ مَا يُكْرَهُ وَيُسْخَطُ مِنْ قَوْلٍ، وَيُؤْلَمُ وَيُعْمُ مِنْ فِعْلٍ، فَمَعْنَى الصَّبْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَبْسُ الْعُقُوبَةِ عَنِ الْمُؤْذِي لَهُ بِمَا يُكْرَهُ وَيُسْخَطُ وَيَنْقُصُ مِنَ الْإِشْرَافِ بِهِ، وَجَعَلَ الْأَوْلَادَ لَهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ وَالْأَخْذِ لَهُمْ، وَالتَّدَسُّرِ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ يَحْبِسُ عَنْهُمْ عُقُوبَتَهُ، وَيُؤَخِّرُ عَنْهُمْ عَذَابَهُ، وَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي اسْتَحَقُّوْهَا عَلَى شَرِكِهِمْ بِهِ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَا تَأْخِيرُ الْعُقُوبَةِ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ، فَهُوَ أَصْبَرُ عَلَى الْأَدَى مِنَ الْخَلْقِ، لِأَنَّ الْخَلْقَ يُؤْذُونَ بِمَا قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُمْ وَفِيهِمْ، وَمَا يُؤْذُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ بَوَاحُ مِنْ الْوُجُوهِ حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا وَلَا إِضَافَةً، وَهُمْ إِنْ صَبَرُوا صَبَرُوا ضَرُورَةً وَتَكْلَفًا وَرِقًّا وَعُبُودَةً، ثُمَّ لَا يُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ يُؤْذِيهِمْ، فَفِي الْحَدِيثِ إِبَاقَةٌ عَنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ فِي تَرْكِ مُعَاجَلَةِ الْعُقُوبَةِ، وَتَأْخِيرِ الْعَذَابِ، وَإِذْرَارِ الرِّزْقِ عَلَى الْمُؤْذِي لَهُ وَعَاقِبَتِهِ إِيَّاهُ، فَهَذَا كَرَمُهُ فِي مُعَامَلَةِ مَنْ يُؤْذِيهِ وَيَكْذِبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ بَغِيضُهُ وَعَدُوُّهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِمُعَامَلَتِهِ مَعَ مَنْ يَتَحَمَّلُ الْأَدَى فِيهِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَهُوَ وَلِيُّهُ وَحَبِيبُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {لِلَّهِ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} [البقرة: ٢٥٧]، وَقَالَ {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤]، سُبْحَانَ الْكَرِيمِ الرَّحِيمِ الرَّعُوفِ الْحَلِيمِ، فَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا حَثٌّ عَلَى الصَّبْرِ، وَتَحَمُّلِ الْأَدَى فِيمَا يُصِيبُ الْعَبْدَ مِمَّا يَكْرَهُهُ وَيُعْمُهُ وَيُؤْلَمُهُ وَيَشْقُ، كَأَنَّهُ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤْذِي بِالْغَايَةِ مِنَ الْأَدَى، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَهُوَ يُؤَخِّرُ عَنْهُمْ عُقُوبَتَهُ، وَيَحْبِسُ عَنْهُمْ عَذَابَهُ مَعَ تَعَالِيهِ عَنْ جَرِّ مَنْفَعَةٍ فِيهِ، أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ عَنْهُ، فَالْعَبْدُ الْمُضْطَرُّ الْمُحْتَاجُ إِلَى الثَّوَابِ الْمَوْدُوعِ عَلَى الصَّبْرِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْمُتَوَعَّدِ عَلَى الْجَذَعِ عَلَى أَذْنَى أَدَى يَلْحَقُهُ ثُمَّ يَعْتَاضُ عَلَيْهِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ أَوَّلَى أَنْ يَصْبِرَ وَأَحَقُّ بِحَرْجِ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى

بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص: ١٨٣)

١١٣٠ - صحيح البخاري (٦/ ٢٠) (٤٤٨٢)

[ش (كذبي) نسب إلي ما هو خلاف الحقيقة والواقع. (شتمني) وصفني بما لا يليق بي (فسبحاني) أنزه نفسي. (صاحبة) زوجة]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ: كَذَبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْتًا أَحَدٌ " ١١٣١

وهو سبحانه مع هذا الشتم له، والتكذيب له، يرزق الشاتم المكذب، ويعافيه، ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله، ويأمرهم أن يلينوا له القول، ويرفقوا به.

وعن هَنَادِ بْنِ السَّرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ ، يَقُولُ: " مَا مِنْ لَيْلَةٍ اخْتَلَطَ ظِلَامُهَا وَأَرْخَى اللَّيْلُ سَرِبَالَ سِتْرِهَا إِلَّا نَادَى الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَنْ أَعْظَمَ مِنِّي جُودًا ، وَالْخَلَائِقُ لِي عَاصُونَ وَأَنَا لَهُمْ مُرَاقِبٌ ، أَكَلَوْهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْصُونِي وَأَتَوَلَّى حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، أَجُودُ بِالْفَضْلِ عَلَى الْعَاصِي وَأَتَفَضَّلُ عَلَى الْمُسِيءِ مَنْ ذَا الَّذِي دَعَانِي فَلَمْ أَسْمَعْ إِلَيْهِ أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَنِي فَلَمْ أَعْطِهِ أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي أَنَاخَ بِبَابِي وَنَحَيْتُهُ أَنَا الْفَضْلُ وَمِنِّي الْفَضْلُ أَنَا الْجَوَادُ وَمِنِّي الْجُودُ أَنَا الْكَرِيمُ، وَمِنِّي الْكَرَمُ، وَمِنْ كَرَمِي أَنْ أَعْفَرَ لِلْعَاصِي بَعْدَ الْمَعَاصِي وَمِنْ كَرَمِي أَنْ أُعْطِيَ التَّائِبَ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي ، فَأَيْنَ عَنِّي تَهَرَّبُ الْخَلَائِقُ وَأَيْنَ عَنْ بَابِي يَتَنَحَّى الْعَاصُونَ " ١١٣٢

وعن مُحَمَّدَ بْنِ الْمُنْذِرِ ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ ، يَقُولُ: " مَا مِنْ لَيْلَةٍ اخْتَلَطَ ظِلَامُهَا ، وَأَرْخَى اللَّيْلُ سَرِبَالَ سِتْرِهَا إِلَّا نَادَى الْجَلِيلُ مِنْ بُطْنَانِ عَرْشِهِ: أَنَا الْجَوَادُ وَمَنْ مِثْلِي أَجُودُ عَلَى الْخَلَائِقِ ، وَالْخَلَائِقُ لِي عَاصُونَ وَأَنَا أَرْزُقُهُمْ، وَأَكَلَوْهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْصُونِي وَأَتَوَلَّى حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْصُونِي أَنَا الْجَوَادُ، وَمَنْ مِثْلِي أَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ لَكِي يَتَوَبُّوا فَأَعْفِرُ لَهُمْ فَيَا بُؤْسَ الْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي ، وَيَا شَقَوَةَ مَنْ عَصَانِي وَتَعَدَّى حُدُودِي ، أَيْنَ التَّائِبُونَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ " ١١٣٣

١١٣١ - صحيح البخاري (٦ / ١٨٠) (٤٩٧٤)

١١٣٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨ / ٩٣)

١١٣٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨ / ٩٣)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي وَأَرْزُقُ وَيُشْكِرُ غَيْرِي " ١١٣٤

وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُؤَيِّسْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، بَلْ قَالَ: «مَتَى جِئْتَنِي قَبْلُكَ، إِنْ أَتَيْتَنِي لَيْلًا قَبْلُكَ، وَإِنْ أَتَيْتَنِي نَهَارًا قَبْلُكَ، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ مِنِّي شَبِيرًا تَقَرَّبْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرَوَلْتُ إِلَيْكَ، وَلَوْ لَقَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، أَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، وَلَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَمَنْ أَعْظَمُ مِنِّي جُودًا وَكَرَمًا؟

عِبَادِي يُبَارِزُونَنِي بِالْعِظَائِمِ، وَأَنَا أَكَلُهُمْ عَلَى فُرُشِهِمْ، إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ: أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكِرُ سِوَايَ، خَيْرِي إِلَى الْعِبَادِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُمْ إِلَيَّ صَاعِدٌ، أَتَحَبُّبُ إِلَيْهِمْ بِنِعَمِي، وَأَنَا الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَيَتَبَعَضُونَ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي، وَهُمْ أَفْقَرُ شَيْءٍ إِلَيَّ.

مَنْ أَقْبَلَ إِلَيَّ تَلَقَّيْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي نَادَيْتُهُ مِنْ قَرِيبٍ، وَمَنْ تَرَكَ لِأَجَلِي أَعْطَيْتُهُ فَوْقَ الْمَرِيدِ، وَمَنْ أَرَادَ رِضَايَ أَرَدْتُ مَا يُرِيدُ، وَمَنْ تَصَرَّفَ بِحَوْلِي وَقُوَّتِي أَلَنْتُ لَهُ الْحَدِيدَ.

أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أَقْطَعُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي، إِنْ تَابُوا إِلَيَّ فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، فَإِنِّي أَحَبُّ التَّوَّابِينَ وَأَحَبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَيَّ فَأَنَا طَبِيبُهُمْ، أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ، لِأُطَهِّرَهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي. مَنْ أَثَرَنِي عَلَى سِوَايَ أَثَرْتُهُ عَلَى سِوَاهُ، الْحَسَنَةُ عِنْدِي بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَالسَّيِّئَةُ عِنْدِي بِوَاحِدَةٍ، فَإِنْ نَدِمَ عَلَيْهَا وَاسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُهَا لَهُ. أَشْكُرُ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ، وَأَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ، رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وَحِلْمِي سَبَقَ مُوَاحَدَتِي، وَغَفْوِي سَبَقَ عُقُوبَتِي، أَنَا أَرْحَمُ بِعِبَادِي مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ بِأَرْضٍ مُهْلِكَةٍ دَوِيَّةٍ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَطَلَبَهَا حَتَّى

إِذَا أَيْسَ مِنْ حُصُولِهَا، نَامَ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ، فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا هِيَ عَلَى رَأْسِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ خِطَامُهَا بِالشَّجَرَةِ، فَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ». ١١٣٥

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قُرَأَتْ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ، "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ خَيْرِي يَنْزِلُ إِلَيْكَ، وَشَرُّكَ يَصْعَدُ إِلَيَّ، وَأَتَحَبَّبُ إِلَيْكَ بِالنَّعَمِ، وَتَتَبَعُّضُ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي، وَلَا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ قَدْ عَرَجَ إِلَيَّ مِنْكَ بِعَمَلٍ قَبِيحٍ" ١١٣٦

وَهَذِهِ فَرْحَةٌ إِحْسَانٍ وَبِرٍّ وَلُطْفٍ، لَا فَرْحَةَ مُحْتَاجٍ إِلَى تَوْبَةِ عَبْدِهِ، مُنْتَفِعٍ بِهَا، وَكَذَلِكَ مُوَالَاتُهُ لِعَبْدِهِ إِحْسَانًا إِلَيْهِ، وَمَحَبَّةٌ لَهُ وَبِرًّا بِهِ، لَا يَتَكَبَّرُ بِهِ مِنْ قِلَّةٍ، وَلَا يَتَعَزَّزُ بِهِ مِنْ ذَلَّةٍ، وَلَا يَنْتَصِرُ بِهِ مِنْ غَلَبَةٍ، وَلَا يَعُدُّهُ لِنَائِبَةٍ، وَلَا يَسْتَعِينُ بِهِ فِي أَمْرٍ { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا } [الإسراء: ١١١] فَنفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» ١١٣٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ، فَقَالَ: «لَوْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَكْفُكُمْ، وَلَوْ أَنَّكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا عَنْ الْجَنَّةِ مَا بَنَّاؤُهَا؟ قَالَ: «لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فَضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ أَوْ الْيَاقُوتُ، وَثَرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ، فَلَا يَبْئُوسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ

١١٣٥ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢١١) ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن

تيمية - دار الوفاء (١٠/ ٨٦)

١١٣٦ - شعب الإيمان (٦/ ٣٢٣) (٤٢٦٩) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٧٧)

١١٣٧ - صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٦) ١١ - (٢٧٤٩)

يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْعَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعَزَّيْتُ لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^{١١٣٨}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: أَنْزِلَتْ {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة: ١] وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَاعِدٌ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟" فَقَالَ: أَبْكَانِي هَذِهِ السُّورَةُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ، وَلَا تُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَكُمْ اللَّهُ أُمَّةً مِنْ بَعْدِكُمْ يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ"^{١١٣٩}

١٦- خلق الله خلقه بحيث يظهر فيهم أحكام أسمائه وصفاته وآثارها:

فالله سبحانه لكمال محبته لأسمائه وصفاته اقتضى حمده، وحكمته أن يخلق خلقاً يظهر فيهم أحكامها وآثارها، فلمحبته للعفو خلق من يحسن العفو عنه، ولحبته للمغفرة خلق من يغفر له، ويحلم عنه، ويصبر عليه، ولا يعاجله، بل يكون يحب أمانه وإمهاله. ولحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته، ولحبته للجلود والإحسان والبر خلق من يعامله بالإساءة والعصيان، وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان، فلولا خلقه من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات، لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها، فتبارك الله رب العالمين، وأحكم الحاكمين، ذو الحكمة البالغة، والنعم السابغة، الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته، وله في كل شيء حكمة باهرة، كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات.

١٧- ما حصل بسبب وجود الشيطان من محبوبات للرحمن:

فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب، المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى، يتصل في حبه ما حصل به من مكروهه، والحكيم الباهر الحكمة هو الذي يحصل أحب الأمرين إليه باحتمال المكروه الذي ييغضه ويسخطه، إذا كان طريقاً إلى حصول ذلك المحبوب. ووجود الملزوم بدون لازمه محال.

^{١١٣٨} - شعب الإيمان (٩/ ٣١١) (٦٦٩٩) والمسند الجامع [١٨/ ٥٦٩] (١٥٠٧٤) وصحيح ابن حبان - ط ٢

مؤسسة الرسالة [١٦/ ٣٩٦] (٧٣٨٧) صحيح لغيره - زيادة مني

^{١١٣٩} - شعب الإيمان (٩/ ٣١٢) (٦٧٠١) حسن - زيادة مني

فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من الشرور والمعاصي ما حصل، فكم حصل بسبب وجوده، ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله، ومخالفة هوى النفس وشهواتها له، ويحتمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته، وأحب شيء للحبيب أن يرى محبه يتحمل لأجله من الأذى والوصب ما يصدق محبته.

قال إبراهيم بن أدهم: ١١٤٠

من أجلك قد جعلت خدي أرضاً... للشامت والحسود حتى ترضى

مولاي إلى متى بهذا أحظى... عمري يفنى وحاجتي ما تقضى

لو قطعني الغرام إرباً إرباً... ما ازددت على الملام إلا حبا

لا زلت بكم أسير وجد صبا... حتى أقضي على هواكم نجا

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: "أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ بَعْضُ أَنْبِيَائِهِ: بَعِثَنِي مَا يَتَحَمَّلُ الْمُتَحَمِّلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَمَا يُكَابِدُ الْمُكَابِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِي، فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا صَارُوا إِلَيَّ دَارِي، وَتَبَحَّحُوا فِي رِيَاضِ رَحْمَتِي، هُنَالِكَ فَلْيُبَشِّرِ الْمُصَفُّونَ لِلَّهِ أَعْمَالَهُمْ بِالنَّظَرِ الْعَجِيبِ مِنَ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ، أَثَرَانِي أَنْسَى لَهُمْ عَمَلًا، فَكَيْفَ وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أَجُودُ عَلَى الْمُؤَلِّينَ عَنِّي، فَكَيْفَ بِالْمُقْبِلِينَ عَلَيَّ، وَمَا غَضِبْتُ عَلَى شَيْءٍ كَغَضَبِي عَلَى مَنْ أَخْطَأَ خَطِيئَةً فَاسْتَغْطَمَهَا فِي حَنْبِ عَفْوِي، لَوْ تَعَجَّلْتُ بِالْعُقُوبَةِ أَحَدًا، وَكَانَتْ الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِي، لَعَجَّلْتُ لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي، وَلَوْ رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ اسْتَوْهَبَهُمْ مِمَّنْ اعْتَدَوْا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَحْكُمُ لِمَنْ وَهَبَهُمُ بِالْخُلْدِ الْمُقِيمِ، مَا اتَّهَمُوا فَضْلِي وَكَرَمِي، فَكَيْفَ وَأَنَا الدِّيَانُ الَّذِي لَا تَحِلُّ مَعْصِيَتِي، وَأَنَا الدِّيَانُ الَّذِي أُطَاعَ بِرَحْمَتِي، وَلَا حَاجَةَ لِي بِهِوَانٍ مَنْ خَافَ مَقَامِي، وَلَوْ رَأَيْتُ عِبَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَيْفَ أَرْفَعُ قُصُورًا تَحَارُّ فِيهَا الْأَبْصَارُ فَيَسْأَلُونِي لِمَنْ ذَا؟ فَأَقُولُ: لِمَنْ رَهَبَ مِنِّي، وَلَمْ يَجْمَعْ عَلَى نَفْسِهِ مَعْصِيَتِي وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِي، وَإِنِّي مُكَافِئٌ عَلَى الْمَدْحِ، فَاْمُدُّوْنِي" ١١٤١

١١٤٠ - المدهش (ص: ٥٥، بترقيم الشاملة آليا)

١١٤١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤ / ٦٠) وروضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٦٠) وعدة الصابرين

وذخيرة الشاكرين (ص: ٤٦)

وعن القاسم بن عثمان الجوعى، قال: سمعتُ أبا سليمان الداراني، يقول: "قرأتُ في بعض الكتب يقول الله عز وجل: بَعِثْنِي مَا يَتَحَمَّلُ الْمُتَحَمِّلُونَ مِنْ أَجْلِي وَيُكَابِدُ الْمُكَابِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِي، فَكَيْفَ بِهِمْ وَقَدْ صَارُوا فِي جَوَارِي وَبَحْبُوحَا فِي رِيَاضِ خُلْدِي فَهَذَا لَكَ فُلَيْشِيرُ الْمُصْغُونَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ بِالنَّظَرِ الْعَجِيبِ مِنَ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ، تَرَوْنَ أَنْ أُضَيِّعَ لَهُمْ عَمَلًا وَأَنَا أَجُودُ عَلَى الْمُؤَلِّينَ عَنِّي فَكَيْفَ بِالْمُقْبِلِينَ عَلَيَّ، مَا غَضِبْتُ عَلَى أَحَدٍ كَغَضَبِي عَلَى مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَاسْتَعْظَمَهُ فِي حَنْبٍ عَفْوِي فَلَوْ كُنْتُ مُعْجَلًا أَحَدًا وَكَانَتْ الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِي لَعَاجَلْتُ الْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي، فَأَنَا الدَّيَّانُ الَّذِي لَا تَحِلُّ مَعْصِيَتِي وَلَا أُطَاعُ إِلَّا بِفَضْلِ رَحْمَتِي، وَلَوْ لَمْ أَشْكُرْ عِبَادِي إِلَّا عَلَى خَوْفِهِمْ مِنَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيَّ لَشَكَرْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَجَعَلْتُ ثَوَابَهُمُ الْآمَنَ مِمَّا خَافُوا، فَكَيْفَ بِعِبَادِي لَوْ قَدْ رَفَعْتُ قُصُورًا تَحَارُّ لِرُؤُوسِهَا الْأَبْصَارُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لِمَنْ هَذِهِ الْقُصُورُ؟ فَأَقُولُ: لِمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَلَمْ يَسْتَعْظَمْهُ فِي حَنْبٍ عَفْوِي إِلَّا وَإِنِّي مُكَافِئٌ عَلَى الْمَدْحِ فَاْمَدَحُونِي" ١١٤٢

وقال أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن ميمون: سمعتُ الحارث بن أسد المحاسبي، يقول: «علامة أهل الصدق من المحبين وغاية أملهم في الدنيا أن تصير أبدانهم على الدون وأن تخلص لهم التيات من فسادها ومنهم من يريد في الدنيا شواهد الكرامات عند سرعة الإجابة، وغاية أملهم في الآخرة أن يُنعمهم بنظره إليهم فنعيمها الإسفار وكشف الحجاب حتى لا يمارون في رؤيته، والله ليفعلن ذلك بهم إذا استزارهم إليه» وحدثنني بعض العلماء قال: "أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام: بَعِثْنِي مَا يَتَحَمَّلُ الْمُتَحَمِّلُونَ مِنْ أَجْلِي وَمَا يُكَابِدُ الْمُكَابِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِي فَكَيْفَ إِذَا صَارُوا إِلَى جَوَارِي وَاسْتَزَرْتُهُمْ لِلْمَقْعَدِ عِنْدِي أَسْفَرْتُ لَهُمْ عَنْ وَجْهِ، فَهَذَا لَكَ فُلَيْشِيرُ الْمُصْغُونَ لِلرَّحْمَنِ أَعْمَالَهُمْ بِالنَّظَرِ الْعَجِيبِ مِنَ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ أَثَرَانِي أَنْسَى لَهُمْ عَمَلًا كَيْفَ وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ؟ أَجُودُ عَلَى الْمُؤَلِّينَ عَنِّي فَكَيْفَ بِالْمُقْبِلِينَ عَلَيَّ وَمَا غَضِبْتُ عَلَى شَيْءٍ كَغَضَبِي عَلَى مَنْ أَخْطَأَ خَطِيئَةً ثُمَّ اسْتَعْظَمَهَا فِي حَنْبٍ عَفْوِي وَلَوْ عَاجَلْتُ أَحَدًا بِالْعُقُوبَةِ لَعَاجَلْتُ الْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي وَلَوْ يَرَانِي

عِبَادِي كَيْفَ اسْتَوْهَبْتُهُمْ مِمَّنْ اعْتَدُوا عَلَيْهِمْ بِالظُّلْمِ فِي دَارِ الدُّنْيَا ثُمَّ أُوْجِبْتُ لِمَنْ وَهَبْتُهُمُ النِّعَمَ الْمُقِيمَ لِمَا أَتَّهَمُوا فَضْلِي وَكَرَمِي وَلَوْ لَمْ أَشْكُرْ عِبَادِي إِلَّا عَلَى خَوْفِهِمْ مِنَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيَّ لَشَكَرْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ يَرَانِي عِبَادِي كَيْفَ أَرْفَعُ قُصُورًا تَحَارُّ فِيهَا الْأَبْصَارُ فَيُقَالُ: لِمَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: «لِمَنْ عَصَانِي وَلَمْ يَقْطَعْ رَجَاءَ مَنِّي فَأَنَا الدِّيَّانُ الَّذِي لَا تَحِلُّ مَعْصِيَتِي وَلَا حَاجَةٌ بِي إِلَى هَوَانٍ مَنْ خَافَ مَقَامِي»^{١١٤٣}

فإن الله ما أحب إليه احتمال محبيه أذى أعدائه لهم فيه، وفي مرضاته، وما أنفع ذلك الأذى لهم، وما أحمدهم لعاقبته، وماذا ينالون به من كرامة حبسهم وقربه قرة عيونهم به، ولكن حرام على منكري محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك رائحة، أو يدخلوا من هذا الباب، أو يذوقوا من هذا الشراب.

فَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ... سِوَاكَ تَرَاهَا فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعٍ
وَسَامِحٌ نُفُوسًا بِالْقُشُورِ قَدْ ارْتَضَتْ... وَلَيْسَ لَهَا لِلْبِّ مِنْ مُتَطَلِّعٍ
وَسَامِحٌ نُفُوسًا أَطْفَاءَ اللَّهُ نُورَهَا... بِأَهْوَائِهَا لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَعِي^{١١٤٤}

فإن أغضب هذا المخلوق ربه، فقد أرضاه فيه أنبيأؤه ورسله وأوليأؤه، وذلك الرضا أعظم من ذلك الغضب، وإن أسخطه ما يجري على يديه من المعاصي والمخالفات، فإنه سبحانه أشد فرحاً بتوبة عبده من الفاقد لراحته، التي عليها طعامه وشرابه، إذا وجدها في المفاوز المهلكات، وإن أغضبه ما جرى على أنبيأئه ورسله من هذا العدو اللعين، فقد سره وأرضاه ما جرى على أيديهم من حربه ومعصيته ومراغمته وكتبته وغيظه، وهذا الرضا أعظم عنده وأبرّ لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضي المحبوب. وإن أسخطه أكل آدم من الشجرة، فقد أرضاه توبته وإنابته، وخضوعه وتذللّه بين يديه وانكساره له.

وإن أغضبه إخراج أعدائه لرسوله ﷺ من حرمة وبلدته ذلك الخروج، فقد أرضاه أعظم الرضا دخوله إليها ذلك الدخول.

^{١١٤٣} - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ / ٨١)

^{١١٤٤} - إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤ / ٢٦) ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (ص: ١٩٧) والصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (٣ / ١٢٠٠)

وإن أسخطه قتلهم أوليائه وأحبابه، وتمزيق لحومهم، وإراقة دمائهم، فقد أَرْضَاه نيلهم الحياة التي لا أطيب منها، ولا أنعم، ولا أَلَدَّ في قربه وجواره.

وإن أسخطه معاصي عباده، فقد أَرْضَاه شهود ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة مغفرته وعفوه وبرّه وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك، وحمده وتمجيده بهذه الأوصاف التي حمده بها والثناء عليه بها، أحب إليه، وأَرْضَى له من فوات تلك المعاصي، وفوات هذه المحبوبات.

واعلم أن الحمد هو الأصل الجامع لذلك كله، فهو عقد نظام الخلق والأمر، والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه، فما خلق شيئاً، ولا حكم بشيء إلا وله فيه الحمد، فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره، حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه، والثناء عليه، والإقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به، فتعطيل حكمته غير تعطيل حمده... فكما أنه لا يكون إلا حميداً فلا يكون إلا حكيماً، فحمده وحكمته كعلمه وقدرته، وحياته من لوازم ذاته، ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته وأسمائه ومقتضياتها وآثارها، فإن ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله وكبريائه وعظمته.

١٨ - محبته سبحانه أن يكون ملاذاً ومعاذاً لأوليائه:

وفي هذا يقول ابن القيم: "كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح، فمنها أنه يعيد وينصر ويغيث، فكما يجب أن يلوذ به اللاتذون يجب أن يعوذ به العائدون، وكمال الملوك أن يلوذ بهم أوليائهم، ويعوذوا بهم، كما قال المُتَنَبِّي في مدوحه: ١١٤٥

يَا مَنْ أُلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ

١١٤٥ - تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١١٤) وتراجم شعراء موقع أدب (٤٨/ ٤٦٥) ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ١٦٣) ونفح الأزهار في منتخبات الأشعار (ص: ٤٢) ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٠٥) وديوان المتنبي (٢/ ٢٧٢)

ذكر البيهقي الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (١٥/ ٢٧٨) وقال: "قَدْ بَلَّغَنِي عَنْ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ عَلَى الْمُتَنَبِّيِّ هَذِهِ الْمُبَالَغَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يَصْلُحُ هَذَا لِجَنَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَخْبَرَنِي الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ سَمِعَ الشَّيْخَ يَقُولُ: رَبِّمَا قُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي السُّجُودِ."

وَمَنْ تَوَهَّمَتْ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ جُوداً وَأَنَّ عَطَايَاهَا جَوَاهِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْماً أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْماً أَنْتَ جَابِرُهُ

ولو قال ذلك في ربه وفطره لكان أسعد به من مخلوق مثله.

والمقصود أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به مماليكه، وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله أن يستعيز به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه، وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده إذا أعاده وأجاره من عدوه، فلم يكن إعادته وإجارته منه بأدنى النعمتين، والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين، ويريههم نصره لهم على عدوهم، وحمايتهم منه، وظفرهم به، فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم، وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه.

وما منهما إلا له فيه حكمة ××× يقصر عن إدراكها كل باحث^{١١٤٦}

ثالثاً - الحكمة في بقاء إبليس إلى آخر الدهر:

تحدث العلامة ابن القيم، رحمه الله، عن ذلك في (شفاء العليل) ووضحه، فمن ذلك:^{١١٤٧}

١ - امتحان العباد:

فمما ذكره رحمه الله تعالى: أن الله جعله محكاً ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث، ووليّه من عدوه، ولذا اقتضت حكمته إبقائه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم ألبتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم، فكما اقتضت حكمته امتحان أبي البشر، اقتضت امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، وينحاز إليه من وافقه وولاه.

٢ - وأبقاه مجازاة له على صالح عمله السابق:

ومنها أنه لما سبق حكمه وحكمته أنه لا نصيب له في الآخرة، وقد سبق له طاعة وعبادة، جزاه بها في الدنيا بأن أعطاه البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم

^{١١٤٦} - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٤٠)

^{١١٤٧} - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٤٠)

أحداً حسنة عملها، فأما المؤمن، فيجزيه بحسناته في الدنيا والآخرة، وأما الكافر، فيجزيه بحسناته ما عمل في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له شيء، كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» أُمِّلَى لَهُ لِيَزْدَادَ إِثْمًا:

وبقاؤه إلى يوم القيامة لم يكن كرامة في حقه، فإنه لو مات كان خيراً له، وأخف لعذابه، وأقل لشره، ولكن لما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية ومخاصمة من ينبغي التسليم لحكمه، والقدح في حكمته، والحلف على اقتطاع عبادته، وصددهم عن عبوديته، كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه، فأبقي في الدنيا، وأُمِّلَى لَهُ لِيَزْدَادَ إِثْمًا، على إثم ذلك الذنب، فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر. ولما كان مادة كل شر فعنه تنشأ، جوزي في النار مثل فعله، فكل عذاب يتزل بأهل النار يبدأ فيه، ثم يسري منه إلى أتباعه عدلاً ظاهراً وحكمة بالغة.

٤ - وأبقاه ليتولى المجرمين:

ومن حكم إبقائه إلى يوم الدين أنه قال في مخاصمته لربه: { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) } قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) } وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا

١١٤٨ - صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٢) ٥٦ - (٢٨٠٨) - زيادة مبي

[ش (إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة) معناه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته والظلم يطلق بمعنى النقص (أفضى إلى الآخرة) أي صار إليها]

يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) { [الإسراء: ٦٢ - ٦٥]. ١١٤٩

وعلم الله - سبحانه - أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له، وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك، فاجلس في انتظارهم، وكلما مرّ بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لي ما ملكتك منه، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت ولي المجرمين من الذين غنوا عن موالاتي وابتغاء مرضاتي، قال تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)} { [النحل: ٩٩ - ١٠٠].

فأما إمارة الأنبياء والمرسلين، فلم يكن ذلك لهوائهم عليه، ولكن ليصلوا إلى محل كرامته، ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبتها ومقاساة أعدائهم وأتباعهم، وليحيا الرسل بعدهم، يري رسولا بعد رسول، فإماتتهم أصلح لهم وللأمة، أما هم فلراحتهم من الدنيا، ولحوقهم بالرفيق الأعلى في أكمل لذة وسرور، ولا سيما أنه قد خيرهم ربهم بين البقاء في الدنيا والحق به. ١١٥٠

وأما الأمم فيعلم أنهم لم يطيعوهم في حياتهم خاصة، بل أطاعوهم بعد مماتهم، كما أطاعوهم في حياتهم، وأن أتباعهم لم يكونوا يعبدوهم، بل يعبدون الله بأمرهم

١١٤٩ - وَقَالَ إِبْلِيسُ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ مُتَوَافِحًا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الَّذِي شَرَّفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ عَلَيَّ فَإِنْ أَخَّرْتَنِي وَأَنْظَرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَأُضِلَّنَّ ذُرِّيَّتَهُ، وَلَأُسَيِّرَنَّ عَلَيْهِمْ، وَلَأُحْتَوِيَنَّهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ. أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٠٩٢، بترقيم الشاملة آليا)

١١٥٠ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بَابَائِنَا وَأُمَهَاتِنَا، فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بَابَائِنَا وَأُمَهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِنْ أَمَنٍ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ» صحيح البخاري (٥٧ / ٥) (٣٩٠٤) [(زهرة الدنيا) نعيمها وأعراضها. (خوخة) هي الباب الصغير بين البيتين ونحوه]

ونهيهم، والله هو الحي الذي لا يموت، فكم في إماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمة. هذا وهم بشر، ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف في الأرض، يخلف بعضهم بعضاً، فلو أبقاهم لفانت المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف، ولصاقت بهم الأرض، فالموت كمال لكل مؤمن، ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا، ولا هناء لأهلها بها، فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة.

رابعاً - إلى أي مدى نجح الشيطان في إهلاك بني آدم؟

عندما رفض الشيطان السجود لآدم، وطرده الله من رحمته وجنته، وغضب عليه ولعنه، أخذ على نفسه العهد أمام ربّ العزة بأن يضلنا ويغويننا، ويعبدنا لنفسه: {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمْرُنُهُمْ فَلَيَكُنَّ أَذَانًا لِّلنَّعَامِ وَلَأَمْرُنُهُمْ فَلَيَكُونَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) } [النساء: ١١٨ - ١١٩]، { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٦٢].^{١١٥}

فإلى أي مدى حقق الشيطان مراده من بني الإنسان؟

إن المسرّح نظره في تاريخ البشرية يهوله ما يرى من ضلال الناس، وكيف كذبوا الرسل والكتب، وكفروا بالله ربهم، وأشركوا به مخلوقاته، قال تعالى: { وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف: ١٠٣]

لقد كان الرسول - ﷺ - حريصاً على إيمان قومه، رغبة في إيصال الخير الذي جاء به إليهم، ورحمة لهم مما ينتظر المشركين من نكد الدنيا وعذاب الآخرة. ولكن الله العليم بقلوب البشر، الخبير بطبائعهم وأحوالهم، ينهي إليه أن حرصه على إيمانهم لن يسوق الكثرة المشتركة إلى الإيمان، لأنهم - كما قال في هذه الآيات - يمرون على الآيات

^{١١٥} - قَالَ إِبْلِيسُ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ مُتَوَاقِعًا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الَّذِي شَرَّفْتُهُ وَكَرَّمْتُهُ عَلَيَّ فَإِنْ أَخَّرْتَنِي وَأَنْظَرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَأُضِلَّنَّ ذُرِّيَّتَهُ، وَلَأَسْطِرَّنَّ عَلَيْهِمْ، وَلَأَحْتَوِيَنَّهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ. أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٠٩٢)، بترقيم الشاملة آليا

الكثيرة معرضين. فهذا الإعراض لا يؤهلهم للإيمان، ولا يجعلهم ينتفعون بدلائله المبثوثة في الآفاق.

وإنك لغني عن إيمانهم فما تطلب منهم أجرا على الهداية وإن شأهم في الإعراض عنها لعجيب، وهي تبذل لهم بلا أجر ولا مقابل: «وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»..

تذكرهم بآيات الله، وتوجه إليها أبصارهم وبصائرهم، وهي مبذولة للعالمين، لا احتكار فيها لأمة ولا جنس ولا قبيلة، ولا ثمن لها يعجز عنه أحد، فيمتاز الأغنياء على الفقراء، ولا شرط لها يعجز عنه أحد فيمتاز القادرون على العاجزين. إنما هي ذكرى للعالمين. ومائدة عامة شاملة معروضة لمن يريد..

«وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ».. والآيات الدالة على الله ووحدانيته وقدرته كثيرة مبثوثة في تضاعيف الكون، معروضة للأبصار والبصائر. في السماوات وفي الأرض. يمرون عليها صباح مساء، آناء الليل وأطراف النهار. وهي ناطقة تكاد تدعو الناس إليها. بارزة تواجه العيون والمشاعر. موحية تخايل للقلوب والعقول. ولكنهم لا يرونها ولا يسمعون دعاءها ولا يحسون إيقاعها العميق.

وإن لحظة تأمل في مطلع الشمس ومغيبها. لحظة تأمل في الظل الممدود ينقص بلطف أو يزيد. لحظة تأمل في الخضم الزاخر، والعين الفوارة، والنبع الروي. لحظة تأمل في النبتة النامية، والبرعم الناعم، والزهرة المتفتحة، والحصيد المشيم. لحظة تأمل في الطائر السابح في الفضاء، والسماك السابح في الماء، والدود السارب والنمل الدائب، وسائر الحشود والأمم من الحيوان والحشرات والهوام.. لحظة تأمل في صبح أو مساء، في هدأة الليل أو في زحمة النهار.. لحظة واحدة يتسمع فيها القلب البشري إلى إيقاعات هذا الوجود العجيب..

إن لحظة واحدة لكافية لارتعاش هذا القلب بقشعريرة الإدراك الرهيب، والتأثر المستجيب. ولكنهم «يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ».. لذلك لا يؤمن الأكثرون!

وحتى الذين يؤمنون، كثير منهم يتدسس الشرك - في صورة من صوره - إلى قلوبهم. فالإيمان الخالص يحتاج إلى يقظة دائمة تنفي عن القلب أولا بأول كل خالجة

شيطانية، وكل اعتبار من اعتبارات هذه الأرض في كل حركة وكل تصرف، لتكون كلها لله، خالصة له دون سواه. والإيمان الخالص يحتاج إلى حسم كامل في قضية السلطان على القلب وعلى التصرف والسلوك فلا تبقى في القلب دينونة إلا لله سبحانه، ولا تبقى في الحياة عبودية إلا للمولى الواحد الذي لا راد لما يريد: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ».. مشركون قيمة من قيم هذه الأرض في تقريرهم للأحداث والأشياء والأشخاص. مشركون سببا من الأسباب مع قدرة الله في النفع أو الضرر سواء. مشركون في الدينونة لقوة غير قوة الله من حاكم أو موجه لا يستمد من شرع الله دون سواه. مشركون في رجاء يتعلق بغير الله من عباده على الإطلاق. مشركون في تضحية يشوبها التطلع إلى تقدير الناس. مشركون في جهاد لتحقيق نفع أو دفع ضرر ولكن لغير الله. مشركون في عبادة يلحظ فيها وجه مع وجهه الله.. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، "فِي قَوْلِهِ: "فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا"، قَالَ: الْأَنْدَادُ هُوَ الشَّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةِ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فَلَانَةَ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولَ: لَوْلَا كَلْبُهُ هَذَا لَأَتَانَا اللَّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللَّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فَلَانًا؛ فَإِنَّ هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ". ١١٥٢

ولذا حق عليهم غضب الله وانتقامه: { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } [المؤمنون: ٤٤].

ثُمَّ أَوْجَدَ اللَّهُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الْمُهْلَكِينَ أُمَّةً (قُرُونًا) أُخْرَى، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَلِّغُهُمْ رِسَالَاتِهِ، وَاتَّبَعَ اللَّهُ الرُّسُلَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا (تَتْرَى)، وَكَلَّمَا جَاءَ رَسُولٌ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، كَذَّبَهُ جُمُهورُ الْكُبرَاءِ وَالْقَادَةِ، فَأَهْلَكَهُمْ

١١٥٢ - تفسير ابن أبي حاتم، الأصل - مخرجا (١/ ٦٢) (٢٢٩) صحيح وانظر في ظلال القرآن للسيد قطب -

ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٢٦٦٦)

اللَّهُ، وَالْحَقَّهُمْ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْمُهْلَكِينَ، وَجَعَلَهُمْ أَخْبَاراً وَأَحَادِيثَ يَتَحَدَّثُ بِهَا النَّاسُ، فَأَبْعَدَ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ الْقَوْمَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ رُسُلَهُ. ١١٥٣

وفي الحاضر حيثما نظرنا أبصرنا أولياء الشيطان تعج بهم الحياة يرفعون رايته، وينادون بمبادئه، ويعذبون أولياء الله، ويدلنا على مدى تحقيق الشيطان لمراده، أن الله يأمر آدم يوم القيامة أن يخرج من ذريته بعث النار، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: "أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدٍ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءَ فِي جِلْدٍ ثَوْرٍ أَسْوَدَ» ١١٥٤

وعن عمران بن حصين، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَتَفَاوَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ اللَّيْتَيْنِ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج: ٢] ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَصْحَابُهُ عَرَفُوا أَنَّهُ قَوْلُ يَقُولُهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَاكُمْ؟» ، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ: يَا آدَمُ ابْعَثْ النَّارَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ

١١٥٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٥٩٧، بترقيم الشاملة آلبا)

١١٥٤ - صحيح البخاري (٤/ ١٣٨) (٣٣٤٨)

[ش (لبيك) أنا ملازم طاعتك لزوما بعد لزوم. (سعديك) أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة وإسعادا بعد إسعاد. (بعث النار) حزبا وأهلها. (فعنده) أي عند قول الله تعالى لآدم عليه السلام. (سكاري) جمع سكران وهو الذي غطى أثر الشراب عقله أي هم أشبه بالسكاري من شدة الأهوال وليسوا سكاري حقيقة]

فِي الْحِجَّةِ " ، فَأَبْلَسَ الْقَوْمَ حَتَّى مَا أَوْضَحُوا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ ، قَالَ: "اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتْمَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثُرَتْهُ: يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ " ، قَالَ: فَفُسِّرِي عَنِ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ، فَقَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ»^{١١٥٥} وبذلك يصدق ظنه في هذه الذرية التي لم تعتبر بما جرى لأبيها، ولا بما جرى لأسلافها، ويبقى هذا اللعين يقودها إلى هلاكها، بل أحياناً تسابقه إلى الجحيم.

وما أفصح أن يصدق ظن العدو في عدوه: { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) } [سبأ: ٢٠ - ٢١٢].

لَقَدْ ظَنَّ إِبْلِيسُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَقَدَ يَتَّبِعُونَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ يَسْتَطِيعُ غَوَايَتَهُمْ وَإِضْلَالَهُمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْبَطْرِ، فَأَطَاعُوهُ وَعَصَوْا رَبَّهُمْ فَذَمَّرَهُمْ، فَصَدَّقَ ظَنُّ إِبْلِيسَ فِيهِمْ. وَلَمْ يَشُدَّ مِنْهُمْ عَنْ إِطَاعَةِ إِبْلِيسَ إِلَّا فِتْنَةٌ قَلِيلَةٌ مُؤْمِنَةٌ ثَبَّتَتْ عَلَى الْإِيمَانِ.

وَلَمْ يَكُنْ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَةٍ يَحْمِلُهُمْ بِهَا كَرْهًا عَلَى الْكُفْرِ، وَالْبَطْرِ، وَالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ فَأَطَاعُوهُ وَقَدْ سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِيَحْتَبِرَهُمْ، لِيُظْهِرَ حَالَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، وَيُصَدِّقُ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، مِمَّنْ هُوَ فِي شَكٍّ مِنْهَا، فَلَا يُؤْمِنُ بِمَعَادٍ وَلَا حَشَرٍ وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ. وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ حَفِيظٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.^{١١٥٦}

قبيح بالإنسان أن يتحقق فيه ظن الشيطان، فيطبع هذا العدو، ويعصي ربه. ولقد بلغ الأمر حداً لا يوصف ولا يتصور، فهذه طائفة في العراق وفي جهات أخرى تطلق على نفسها: عبَاد الشيطان، وبعض الكتاب نراهم يحلفون (بحق الشيطان)، فما أعجب أمرهم!

^{١١٥٥} - السنن الكبرى للنسائي (١٨٩ / ١٠) (١١٢٧٧) صحيح

^{١١٥٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٠٧، بترقيم الشاملة آليا)

لا تفكر بكثرة الهالكين:

حريٌّ بالعاقل اللبيب أن لا يعتر بكثرة الهالكين، فالكثرة ليس لها اعتبار في ميزان الله، إنما الاعتبار بالحق ولو قلَّ عدد متبعيه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "لَمَّا كَانَ طَالِبُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ طَالِبَ أَمْرٍ أَكْثَرَ النَّاسِ نَاكِبُونَ عَنْهُ، مُرِيدًا لِسُلُوكِ طَرِيقٍ مُرَافِقُهُ فِيهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَالْعِزَّةِ، وَالثَّنُفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى وَحْشَةِ التَّفَرُّدِ، وَعَلَى الْإِنْسِ بِالرَّفِيقِ، نَبَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الرَّفِيقِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩] فَأَصَافَ الصِّرَاطَ إِلَى الرَّفِيقِ السَّالِكِينَ لَهُ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِيَزُولَ عَنِ الطَّالِبِ لِلْهُدَايَةِ وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ وَحْشَةُ تَفَرُّدِهِ عَنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَبَنِي جَنَسِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ رَفِيقَهُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَكْتَرِبُ بِمُخَالَفَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ لَهُ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَقْلُونَ قَدْرًا، وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ عَدَدًا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَعْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ"، وَكَلَّمَا اسْتَوْحِشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَانْظُرْ إِلَى الرَّفِيقِ السَّابِقِ، وَاحْرِصْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَغُضِّ الطَّرْفَ عَنْ سِوَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُعْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَبِيلِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّكَ مَتَى التَّلْتَفْتَ إِلَيْهِمْ أَخَذُوكَ وَعَاقُوكَ.

وَقَدْ ضَرَبْتُ لِدَلِكَ مَثَلَيْنِ، فَلْيَكُونَا مِنْكَ عَلَى بَالٍ:

الْمَثَلُ الْأَوَّلُ: رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، لَا يُرِيدُ غَيْرَهَا، فَعَرَضَ لَهُ فِي طَرِيقِهِ شَيْطَانٌ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ كَلَامًا يُؤْذِيهِ، فَوَقَفَ وَرَدَّ عَلَيْهِ، وَتَمَاسَكَ، فَرُبَّمَا كَانَ شَيْطَانُ الْإِنْسِ أَقْوَى مِنْهُ، فَقَهَرَهُ، وَمَنَعَهُ عَنِ الْوُضُوءِ إِلَى الْمَسْجِدِ، حَتَّى فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ، وَرُبَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَقْوَى مِنْ شَيْطَانِ الْإِنْسِ، وَلَكِنْ اشْتَغَلَ بِمُهَاوَشَتِهِ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَكَمَالَ إِدْرَاكِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنْ التَّفَتَ إِلَيْهِ أَطْمَعُهُ فِي نَفْسِهِ، وَرُبَّمَا فَتَرَتْ عَزِيمَتُهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ وَعِلْمٌ زَادَ فِي السَّعْيِ وَالْجَمْرِ بِقَدْرِ التَّفَاتِهِ أَوْ أَكْثَرَ، فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَاشْتَغَلَ لِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ، وَخَافَ فَوْتَ الصَّلَاةِ أَوْ الْوَقْتِ لَمْ يَبْلُغْ عَدُوَّهُ مِنْهُ مَا شَاءَ.

الْمَثَلُ الثَّانِي: الطَّبِيُّ أَشَدُّ سَعْيًا مِنَ الْكَلْبِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أَحَسَّ بِهِ التَّفَتَ إِلَيْهِ فَيَضَعُفُ سَعْيُهُ، فَيَذَرُكُهُ الْكَلْبُ فَيَأْخُذُهُ.

وَالْقَصْدُ: أَنَّ فِي ذِكْرِ هَذَا الرَّفِيقِ مَا يُزِيلُ وَحْشَةَ التَّفَرُّدِ، وَيُحِثُّ عَلَى السَّيْرِ وَالتَّشْمِيرِ لِلْحَاقِّ بِهِمْ. ^{١١٥٧}

فكن من أتباع الحق الذين رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، الذين عرفوا الشيطان وأتباع الشيطان، فحاربوهم بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وقبل ذلك بالالتجاء إلى الرحمن، والتمسك بدينه. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) } [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

فهذه عدة كريمة للذين استجابوا لله وللرسول، فدخلوا في دين الله، وأصبحوا في أمة المؤمنين.. وتحمل هذه الدعوة إليهم أن يدخلوا في السلم كافة، والسلام هو الإسلام والسلام والأمن، وقد دخل المسلمون في الإسلام، وبقي عليهم أن يحصّلوا السلام والأمن، وذلك بالتطبيق العملي لدعوة الإسلام، والرعاية الكاملة لأوامره ونواهيه، فهذا هو الذي يحقق للمسلم ثمره الإسلام، فيجد في ظلها السلام مع نفسه ومع الناس، ويستشعر في كيانه طمأنينة الرضا، وثلج الرضوان، بما رعى من حقوق الناس، وببداى من حقوق الله!.

وفي قوله تعالى: «فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» تحذير من وساوس الشيطان، الذي يعمل بكل حوله وحيلته، على أن يغوى المستقيم، ويضل المهتدى، فليس لهجمات على الإنسان موعد، بل إنه هو الذي يتخيّر الفرصة المواتية، ويتفقد أضعف المواقع في الإنسان لينفذ إليه منها، ويعمل أسلحته فيها. وليس مثل زلّة من عرف الحق، وارتفعت لعينيه أمارات الهداية، وأعلام الهدى.. إنّها زلّة مزلة، وسقطة قاتلة، قلّ أن يسلم منها الإنسان إلا إذا استجمع كل قوته وإرادته، وإلا إذا استدعى غائب رشده، وعازب حكمته، وإلا إذا ذكر أنّه إنسان مهياً للسمو، بما فيه

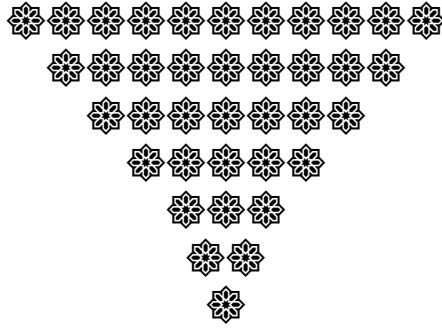
من نفحات علوية من عزيز حكيم، منه تستمد العزة والحكمة.. فليطلبهما الإنسان في هذا الوطن، الذي إن استسلم فيه للهزيمة هوى إلى مرتبة الحيوان، وإن جاهد وانتصر ارتفع إلى ما فوق الإنسان! ١١٥٨

قال الشيخ أبو الفرج: اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه ووضعه فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب وخلق الشيطان محرّضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عدواته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم وقد أمر الله تعالى بالحدز منه فقال سبحانه وتعالى: {لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} وقال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ} وقال تعالى: {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} وقال: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ} وقال تعالى: {إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} وقال: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} وقال تعالى: {وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} وقال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} وفي القرآن من هذا كثير.

فمتى سول للإنسان أمراً فينبغي أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره بإياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحي ببلوغي شهوتي وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما في لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر في عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس.

واعلم أن مثل إبليس مع المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام فمر به كلب
فَقَالَ لَهُ أَحْسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح فالأول مثل
المتقي يمر به الشَّيْطَان فيكفيه في طرده الذكر والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشَّيْطَان
لمكان تخليطه نعوذ بالله من الشَّيْطَان....^{١١٥٩}

نسأل الله أن يجعلنا بمنه وكرمه من الذين دخلوا في السلم دخولاً كلياً، وصلى الله وسلم
على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.^{١١٦٠}



^{١١٥٩} - تلبس إبليس (ص: ٢٣)

^{١١٦٠} - انظر كتاب: عالم الجن والشياطين للأشقر حفظه الله

أهم المصادر

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٣٩٣)
٢. أيسر التفاسير لأسعد حومد
٣. التحرير والتنوير (١٣٩٣)
٤. التفسير الحديث - دار إحياء الكتب العربية القاهرة
٥. التفسير القرآني للقرآن (بعد ١٣٩٠)
٦. التفسير الميسر
٧. التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤٣١)
٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٩١١)
٩. الكشف عن حقائق غوامض التزويل - ط دار الكتاب العربي
١٠. تفسير ابن أبي حاتم - محققا (٣٢٧)
١١. تفسير ابن كثير ت سلامة (٧٧٤)
١٢. تفسير الألوسي = روح المعاني (١٢٧٠)
١٣. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦٠٦)
١٤. تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣١٠)
١٥. تفسير القرطبي - دار عالم الكتب، الرياض
١٦. صفوة البيان فضيلة الشيخ حسنين مخلوف.
١٧. تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن
١٨. دقائق التفسير ابن تيمية
١٩. في ظلال القرآن للسيد قطب - ت - علي بن نايف الشحود
٢٠. آكام المرجان في أحكام الجان (٧٦٩)
٢١. الله يتجلى في عصر العلم
٢٢. شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (٧٩٢)
٢٣. شرح الطحاوية - ط دار السلام (٧٩٢)
٢٤. الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية
٢٥. مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية
٢٦. صراع مع الملاحدة حتى العظم
٢٧. العقيدة الإسلامية وأسسها للجنبكة
٢٨. الاعتقاد للبيهقي

٢٩. عالم الجن والشیاطین (معاصر)
٣٠. کواشف زیوف فی المذاهب الفکرية المعاصرة
٣١. أمالی ابن بشران - الجزء الأول (٤٣٠)
٣٢. أمالی ابن بشران - الجزء الثاني (٤٣٠)
٣٣. أمالی المحاملي رواية ابن یحیی البیع (٣٣٠)
٣٤. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨٤٠)
٣٥. إتحاف المهرة لابن حجر (٨٥٢)
٣٦. الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٢٨٧)
٣٧. الإبانة الكبرى لابن بطة
٣٨. الأحاديث الطوال للطبراني
٣٩. الآداب للبيهقي (٤٥٨)
٤٠. الأدب المفرد مخرجا (٢٥٦)
٤١. الأسماء والصفات للبيهقي (٤٥٨)
٤٢. الإيمان للقاسم بن سلام - مخرجا (٢٢٤)
٤٣. الإيمان لابن منده
٤٤. الاعتقاد للبيهقي (٤٥٨)
٤٥. البعث والنشور للبيهقي (٤٥٨)
٤٦. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين (٣٨٥)
٤٧. الترغيب والترهيب للمنذري (٦٥٦)
٤٨. الدعاء للطبراني (٣٦٠)
٤٩. الدعوات الكبير (٤٥٨)
٥٠. الرد على الجهمية للدارمي
٥١. الزهد الكبير للبيهقي (٤٥٨)
٥٢. الزهد لابن أبي الدنيا
٥٣. الزهد لأبي داود (٢٧٥)
٥٤. الزهد لأحمد بن حنبل (٢٤١)
٥٥. الزهد لوكيع (١٩٧)
٥٦. الزهد للمعافي بن عمران الموصلي
٥٧. الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١٨١)
٥٨. السنة لأبي بكر بن الخلال (٣١١)

٥٩. السنة لابن أبي عاصم (٢٨٧)
٦٠. السنة للمروزي
٦١. السنن الكبرى للبيهقي (٤٥٨)
٦٢. السنن الكبرى للبيهقي - دائرة المعارف النظامية
٦٣. السنن الكبرى للنسائي (٣٠٣)
٦٤. الشريعة للأجري
٦٥. الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني
٦٦. الطيوريات (٥٧٦)
٦٧. العدة للكرب والشدة لضياء الدين المقدسي
٦٨. الكنى والأسماء للدولابي (٣١٠)
٦٩. المجالسة وجواهر العلم (٣٣٣)
٧٠. المستدرک على الصحيحين - دار المعرفة بيروت
٧١. المسند الجامع (معاصر)
٧٢. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٨٥٢)
٧٣. المعجم الأوسط (٣٦٠)
٧٤. المعجم الكبير للطبراني (٣٦٠)
٧٥. بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (٣٨٠)
٧٦. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث
٧٧. تاريخ المدينة لابن شبة
٧٨. جامع الأحاديث
٧٩. جامع معمر بن راشد
٨٠. جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى
٨١. جامع المسانيد والسنن (٧٧٤)
٨٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤٣٠)
٨٣. دلائل النبوة للبيهقي محققا (٤٥٨)
٨٤. صحيح الجامع الصغير للألباني
٨٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني
٨٦. سنن أبي داود (٢٧٥)
٨٧. سنن ابن ماجه (٢٧٣)
٨٨. سنن الترمذي ت بشار (٢٧٩)

٨٩. سنن الترمذي ت شاكر (٢٧٩)
٩٠. سنن الدارقطني (٣٨٥)
٩١. سنن النسائي (٣٠٣)
٩٢. شرح السنة للبيهقي
٩٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة
٩٤. شرح مشكل الآثار (٣٢١)
٩٥. شعب الإيمان (٤٥٨)
٩٦. صحيح ابن حبان - مؤسسة الرسالة
٩٧. صحيح ابن حبان - مخرجا (٣٥٤)
٩٨. صحيح البخاري- المكثر
٩٩. صحيح البخاري (٢٥٦)
١٠٠. صحيح مسلم (٢٦١)
١٠١. صحيح مسلم- المكثر
١٠٢. عمل اليوم والليلة لابن السني (٣٦٤)
١٠٣. عمل اليوم والليلة للنسائي (٣٠٣)
١٠٤. غاية المقصد في زوائد المسند
١٠٥. فضائل الأوقات للبيهقي (٤٥٨)
١٠٦. الزهد لأبي داود
١٠٧. معجم ابن الأعرابي
١٠٨. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢٤١)
١٠٩. كشف الأستار عن زوائد البزار- مؤسسة الرسالة
١١٠. لأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما (٦٤٣)
١١١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨٠٧)
١١٢. مساوي الأخلاق للخرائطي (٣٢٧)
١١٣. مستخرج أبي عوانة (٣١٦)
١١٤. مسند أبي الطيب السبي - طبعة دار هجر - مصر
١١٥. مسند أبي عوانة - دار المعرفة - بيروت
١١٦. مسند أبي يعلى الموصلي (٣٠٧)
١١٧. مسند أحمد (عالم الكتب)
١١٨. مسند أحمد ط الرسالة (٢٤١)

١١٩. مسند إسحاق بن راهويه (٢٣٨)
١٢٠. مسند البزار - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة
١٢١. مسند الشاشي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة
١٢٢. مسند الشاميين للطبراني (٣٦٠)
١٢٣. مصنف ابن أبي شيبة - دار القبلة
١٢٤. مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢١١)
١٢٥. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠)
١٢٦. مكارم الأخلاق للخرائطي (٣٢٧)
١٢٧. مكارم الأخلاق للطبراني
١٢٨. موسوعة السنة النبوية للمؤلف
١٢٩. موطأ مالك ت عبد الباقي (١٧٩)
١٣٠. القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد
١٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة
١٣٢. أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني
١٣٣. الأحاديث الطوال للطبراني (٣٦٠)
١٣٤. ترتيب الأمالي الخميسية للشجري
١٣٥. الجامع لابن وهب ت مصطفى أبو الخير
١٣٦. الدعاء للطبراني
١٣٧. الدعوات الكبير للبيهقي
١٣٨. حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي (٤٥٨)
١٣٩. ذم الملاحى لابن عساكر (٥٧١)
١٤٠. صفة النفاق و ذم المنافقين للفريابي (٣٠١)
١٤١. هواتف الجنان للخرائطي (٣٢٧)
١٤٢. الهواتف = هواتف الجنان لابن أبي الدنيا (٢٨١)
١٤٣. ذم الملاحى لابن أبي الدنيا (٢٨١)
١٤٤. قصر الأمل لابن أبي الدنيا
١٤٥. مكائد الشيطان (٢٨١)
١٤٦. شرح النووي على مسلم
١٤٧. عون المعبود بشرح سنن أبي داود
١٤٨. الفقه الإسلامى وأدلته للزحيلي - دار الفكر

الموسوعة الفقهية الكويتية - وزارة الأوقاف الكويتية	١٤٩.
دروس وفتاوى الحرم المدني	١٥٠.
فتاوى الأزهر	١٥١.
فتاوى ابن الصلاح	١٥٢.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	١٥٣.
الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي	١٥٤.
فتاوى الشبكة الإسلامية	١٥٥.
فتاوى الرملي	١٥٦.
فتاوى السبكي	١٥٧.
فتاوى الزحيلي وهي في موقعه على النت	١٥٨.
فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء	١٥٩.
فتاوى قطاع الإفتاء بالكويت	١٦٠.
فتاوى موقع الألوكة	١٦١.
تحذير أهل الإيمان من إباحة العبيكان الاستعانة بالجان	١٦٢.
فتاوى واستشارات الإسلام اليوم	١٦٣.
فتاوى يسألونك (معاصر)	١٦٤.
مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الوفاء	١٦٥.
مجموع فتاوى ابن باز (١٤٢٠)	١٦٦.
مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤٢١)	١٦٧.
مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية	١٦٨.
موقع الإسلام سؤال وجواب	١٦٩.
إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي	١٧٠.
الروح لابن القيم	١٧١.
الوابل الصيب	١٧٢.
تلييس إبليس (٥٩٧)	١٧٣.
ذم الهوى (٥٩٧)	١٧٤.
موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني	١٧٥.
موسوعة فقه القلوب	١٧٦.
موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية	١٧٧.
نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم	١٧٨.

سير أعلام النبلاء ط الحديث	١٧٩.
تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧١)	١٨٠.
البداية والنهاية ط إحياء التراث (٧٧٤)	١٨١.
البداية والنهاية ط هجر (٧٧٤)	١٨٢.
الخلاصة في أحاديث الطائفة المنصورة للمؤلف	١٨٣.
المفصل في تخريج حديث افتراق الأمة للمؤلف	١٨٤.
إعلام الموقعين عن رب العالمين (٧٥١)	١٨٥.
الطرق الحكمية (٧٥١)	١٨٦.
الوابل الصيب من الكلم الطيب (٧٥١)	١٨٧.
روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٧٥١)	١٨٨.
زاد المعاد في هدي خير العباد (٧٥١)	١٨٩.
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٧٥١)	١٩٠.
طريق المجرتين وباب السعادتين (٧٥١)	١٩١.
عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٧٥١)	١٩٢.
مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٧٥١)	١٩٣.
مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٧٥١)	١٩٤.
نونية ابن القيم = الكافية الشافية	١٩٥.
الجامع الصحيح للسنن والمسانيد	١٩٦.
الحلى بالآثار لابن حزم	١٩٧.
النهاية في غريب الحديث والأثر	١٩٨.
لسان العرب	١٩٩.
المكتبة الشاملة ٣	٢٠٠.
مجلة الوعي	٢٠١.
البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير	٢٠٢.
المدھش لابن الجوزي	٢٠٣.
آفات على الطريق كامل	٢٠٤.
الزواجر عن اقتراف الكبائر	٢٠٥.
دروس للشيخ سعود الشريم	٢٠٦.
مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة	٢٠٧.
الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة	٢٠٨.

٢٠٩. تراجم شعراء موقع أدب
٢١٠. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
٢١١. http://www.alraqi.org/?page_id=٩٩
- ٢١٢.
٢١٣. http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_٦٩٤.shtml
٢١٤. http://www.almoshaiqeh.com/index.php?option=com_٣٥&catid=&Itemid=٢٥٥٣.ftawa&task=view&id=٨٠٠
٢١٥. <http://ar.wikipedia.org/wiki/١٠٣٣٦٤/t١٩>
٢١٦. <http://www.gulfson.com/vb/f٥٢٢٢>
٢١٧. <http://www.qenshrin.com/details.php?id=٥٨٤١٥٠٦>
٢١٨. <http://news.maktoob.com/article/١١٨٢٩١>
٢١٩. <http://www.hozn.com/vb/showthread.php?p=١٤٦١٤٠>
- ٢٢٠.
٢٢١. <http://www.ahlalheeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٦١٤٠>

الفهرس العام

٦	المبحث الأول.....
٦	وجوب الإيمان بالغيب.....
٢٦	المبحث الثاني.....
٢٦	وجوب الإيمان بالجن.....
٣٥	الأدلة الدالة على وجود الجن.....
٣٥	١ - وجودهم معلوم من الدين بالضرورة:.....
٣٦	٢ - النصوص القرآنية والحديثية:.....
٣٨	٣ - المشاهدة والرؤية:.....
٤٠	المبحث الثالث.....
٤٠	أنواع الجن وطوائفهم.....
٤٠	أولاً - طوائف الجن:.....
٤٣	ثانياً - التعريف بالشیطان:.....
٤٤	ثالثاً - أصل الشیطان:.....
٥٢	رابعاً - هل الشیطان أصل الجن أم واحد منهم؟.....
٥٧	خامساً - قبح صورة الشیطان:.....
٥٨	سادساً - الشیطان له قرنان:.....
٦٤	المبحث الرابع.....
٦٤	قدرات الجن.....
٧٧	المبحث الخامس.....
٧٧	مساكن الجن.....
٨٢	المبحث السادس.....
٨٢	طعام الجن.....

٨٦	المبحث السابع
٨٦	الجن كالإنس يموتون
٨٨	المبحث الثامن
٨٨	الجن مكلفون كالإنس
١٠٠	المبحث التاسع
١٠٠	العلاقة بين الجن والإنس
١٢٠	الجن يشهدون للمؤمنين يوم القيامة:
١٢٢	المبحث العاشر
١٢٢	الصراع بين الحق والباطل والإنسان والشیطان
١٣٨	المبحث الحادي عشر
١٣٨	أهداف الشيطان في إغواء الإنسان
١٣٨	أولا - الهدف البعيد
١٣٨	ثانيا - الأهداف القريبة:
١٣٨	١ - إيقاع العباد في الشرك والكفر:
١٤٢	٢ - إيقاعهم في الذنوب والمعاصي:
١٤٨	٣ - إيقاعهم في البدعة:
١٤٨	٤ - صدّه العباد عن طاعة الله:
١٤٩	٥ - إفساد الطاعات:
١٤٩	التلبیس في قراءة المصلي:
١٥٠	إشغاله بأمور الدنيا أثناء الصلاة حتى لا يدري كم صَلَّى:
١٥١	إيهامه المصلي أنه قد أحدث ولم يحدث:
١٥٢	دفع الشيطان الإنسان للمرور بين يدي المصلي:
١٥٣	مسابقة الإمام في الركوع والسجود:
١٥٤	كل مخالفة للرحمن فهي طاعة للشيطان:

- ٦- إشغاله بالمباحات عن الطاعات وبالعمل المفصول عن الفاضل: ١٥٥
- ٧- الإيذاء البدني والنفسي: ١٥٦
- أ- مهاجمة الرسول ﷺ: ١٥٧
- ب- الحلم من الشيطان: ١٥٨
- رؤيا النبي ﷺ في المنام حق: ١٦٢
- ج- إحراق المنازل بالنار: ١٦٤
- د- تحبط الشيطان الإنسان عند الموت: ١٦٥
- هـ- إيذاؤه الوليد حين يولد: ١٦٥
- و- مرض الطاعون من الجن: ١٦٧
- ز- بعض الأمراض الأخرى: ١٦٨
- ح- مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومسكنهم: ١٦٩
- ط- أول داخل إلى السوق وآخر من يخرج منها: ١٧١
- ظ- مس الشيطان للإنسان (الصرع): ١٧٢
- ع- قائد المعركة في الصراع الدائر بين عالم الشياطين وعالم البشر: ١٧٣
- غ- جنود الشيطان من الجن والإنس: ١٧٤
- ف- لكل إنسان قرين: ١٧٥
- ق- دُخُولُ الْجَنِّ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ حِينَ وَلَدَتْهُ: ١٧٨
- ك- كيده وخذلانه لأوليائه: ١٧٨
- ل- الشيطان يجند أوليائه لخدمته ومحاربة المؤمنين: ١٨٠
- م- أذاه لعباد الله الصالحين: ١٨١
- ن- النعاس في الصلاة من الشيطان: ١٨٣
- و- الثناؤب في الصلاة: ١٨٣
- لا- تقليبُ الحصى في الصلاة: ١٨٣
- ي- من خلال العجلة في الأمور: ١٨٤
- المبحث الثاني عشر** ١٨٦

١٨٦	أساليب الشيطان في إضلال الإنسان
١٩٠	١ - تزوين الباطل:
١٩٤	٢ - الإفراط والتفريط:
١٩٥	٣ - تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويق والكسل:
١٩٨	٤ - الوعد والتمنية:
٢٠١	٥ - إظهار النصيح للإنسان:
٢٠٥	٦ - التدرج في الإضلال:
٢٠٦	٧ - إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:
٢٠٧	٨ - تخويف المؤمنين أولياءه:
٢٠٨	٩ - دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه:
٢٠٩	١٠ - إلقاء الشبهات:
٢١٧	١١ - ١٤ - الخمر والميسر والأنصاب والأزلام:
٢٢٣	١٥ - السحر:
٢٢٨	١٦ - ضعف الإنسان:
٢٣٣	١٧ - النساء وحب الدنيا:
٢٣٣	أما فتنة النساء:
٢٣٨	وأما حب الدنيا
٢٤٣	١٨ - الغناء والموسيقى:
٢٥٠	١٩ - تهاون المسلمين في تحقيق ما أمروا به:
٢٥٢	المبحث الثالث عشر
٢٥٢	كيف يصل الشيطان بوسوسته إلى نفس الإنسان
٢٥٢	١ - الوسوسة:
٢٥٧	هل يعلم الشيطان بما توسوس به نفس الإنسان ؟
٢٦٢	٢ - تمثل الشياطين:

الذين تخدمهم الشياطين يتقربون إليها بالمعاصي:	٢٦٦
من رجال الغيب ؟:	٢٦٨
١ - معنى رجال الغيب في اللغة:	٢٦٨
٢ - معنى رجال الغيب في الاصطلاح:	٢٦٨
٣ - الناس في رجال الغيب أحزاب مختلفة:	٢٦٩
حكم الاستعانة بالجن في العلاج الطبي وغيره:	٢٧٣
" هل يلقي الجنُّ للإنس علوماً وأخباراً ؟ "	٢٨٢
٣ - تحضير الأرواح:	٢٨٥
تحضير الأرواح دعوة قديمة:	٢٨٨
تجربة معاصرة:	٢٩٠
خطر هذه الدعوات:	٢٩٥
هل يمكن استحضر الأرواح ؟	٢٩٧
حكم الشريعة في تحضير الأرواح:	٢٩٨
شبهة وجوابها:	٢٩٩
جاء في فتاوى الأزهر، هل تحضير الأرواح صحيح ؟	٢٩٩
فما هي صلة الإنسان بهذه الأرواح ؟:	٣٠٠
وفي فتاوى الألوكة: ما حكم ما يُسمَّى بعلم تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي؟	
	٣٠٨
٤ - حكم التنويم المغناطيسي:	٣١٧
تخلي الشياطين عن أتباعها:	٣٢٠
المبحث الرابع عشر	٣٢٢
كيف نقي أنفسنا من كيد الشيطان ؟	٣٢٢
أولاً: العذر والحيطة:	٣٢٢
ثانياً: الالتزام بالكتاب والسنة:	٣٢٦
ثالثاً: الالتجاء إلى الله والاحتفاء به:	٣٤٤

- ١ - الاستعاذة عند دخول الخلاء: ٣٤٨
- ٢ - الاستعاذة عند الغضب: ٣٤٩
- ٣ - الاستعاذة عند الجماع: ٣٥٠
- ٤ - الاستعاذة عند نزول وادٍ أو منزل: ٣٥٠
- ٥ - التعوذ بالله من الشيطان عند سماع نهيق الحمار: ٣٥٤
- ٦ - التعوذ حين قراءة القرآن: ٣٥٥
- ٧ - تعويد الأبناء والأهل: ٣٥٨
- ٨ - عند النوم وعند الاستيقاظ من النوم: ٣٥٨
- ٩ - التعوذ من الشيطان حتى آخر لحظة في الحياة: ٣٦١
- ١٠ - إخراج الصدقة يطرد وسوسة الشيطان: ٣٦٤
- ١١ - عند دخول المسجد: ٣٦٤
- ١٢ - التعوذ عند الليل وفي السفر وعند التزول في منزل: ٣٦٤
- ١٣ - التعوذ عند دخول بلد: ٣٦٥
- ١٤ - التعوذ عند ركوب الدابة: ٣٦٥
- ١٥ - التعوذ من شر شياطين الإنس والجن: ٣٦٦
- ١٦ - الأذان عند تغول الغيلان: ٣٦٦
- ١٧ - النهي عن الوحدة في السفر والمبيت: ٣٦٧
- ١٨ - التعوذ من الشيطان الخواطر الشيطانية: ٣٦٨
- ١٩ - التعوذ من الشيطان في الصلاة: ٣٦٩
- أشياء أخرى تدفع الشيطان: ٣٦٩
- ١ - قراءة سورتي الفلق والناس: ٣٦٩
- ٢ - الإكثار من قول لا إله إلا الله: ٣٧٢
- ٣ - كثرة ذكر الله عز وجل: ٣٧٤
- ٤ - قراءة آية الكرسي: ٣٧٥
- ٥ - قراءة سورة البقرة: ٣٧٩

- ٦- قراءة أواخر سورة البقرة: ٣٨٠
- ٧- الآذان: ٣٨٢
- ٨- قراءة القرآن تعصم من الشياطين: ٣٨٢
- ٩- قول: لا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن: ٣٨٣
- ١٠- الوضوء والاعتسال من الغضب: ٣٨٥
- ١١- إِمْسَاكَ فَضُولِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَالطَّعَامِ وَمُخَالَطَةِ النَّاسِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا
يتسلط على ابن آدم من هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ: ٣٨٧
- ١٢- عدم الخوف من الشيطان إذا رآه: ٣٨٨
- ١٣- تصفيد مردة الجن في رمضان: ٣٨٨
- ١٤- اتقاء وسواس الوضوء: ٣٩٠
- ١٥- النهي عن البول في الجحر: ٣٩٠
- ١٦- الذكر الجماعي: ٣٩٠
- ١٧- التفقه في دين الله: ٣٩٣
- ١٨- عدم النوم بين الظل والشمس: ٣٩٦
- ١٩- عدم غرز الصغيرة في الخلف أثناء الصلاة: ٣٩٦
- ٢٠- العدل في القضاء: ٣٩٧
- ٢١- السجود لله بعد قراءة آية السجدة: ٣٩٧
- ٢٢- رص الصفوف في الصلاة حتى لا يدخل الشيطان: ٣٩٨
- كيف تصنع بالشيطان إذ سؤل لك الخطايا؟ ٣٩٩
- لماذا لا يذهب الشيطان عندما يستعيد منه الإنسان؟ ٣٩٩
- رابعاً: الاشتغال بذكر الله:** ٤٠٠
- خامساً: لزوم جماعة المسلمين:** ٤١٢
- سادساً: كشف معططات الشيطان ومصادره:** ٤٢٥
- سابعاً: مخالفة الشيطان:** ٤٢٦
- مراكب الشيطان: ٤٢٩

٤٢٩	العجلة من الشيطان:
٤٣٠	التأؤب:
٤٣١	تعس الشيطان:
٤٣٢	ثامناً: التوبة والاستغفار:
٤٣٦	تاسعاً: إزالة اللبس والغموض الذي يدخل الشيطان منه إلى النفوس:
٤٣٨	النفس البشرية في معترك الصراع:
٤٤٥	كيف يجعل المصلي قلبه حاضراً في الصلاة؟
٤٤٨	المبحث الخامس عشر
٤٤٨	الجن وعلم الغيب
٤٤٩	العرافون والكهان:
٤٥٥	سؤال العرافين والكهنة على وجه الامتحان:
٤٥٦	المنجمون:
٤٥٧	تعليل صدق المنجمين والعرافين في بعض الأحيان:
٤٥٨	لا يجوز الأخذ بكلام المنجمين:
٤٦٤	الكهنة رسل الشياطين:
٤٦٥	انقطاع الكهانة والعرافة بعد الإسلام:
٤٦٩	واجب الأمة نحو هؤلاء:
٤٧١	الجن والأطباق الطائرة:
٤٧٢	وفي ويكيبيديا، الموسوعة الحرة طبق طائر
٤٧٧	هل الأطباق الطائرة كانت طائرات تجسس أميركية؟
٤٧٨	رأي الهنداوي في الأطباق الطائرة:
٤٨٠	نزول الملائكة لقراءة القرآن:
٤٨٢	المبحث السادس عشر
٤٨٢	النهى عن التشبه بالجن

٤٨٤	المبحث السابع عشر.....
٤٨٤	تلبس الجان ببدن الإنسان
٤٨٤	أولاً - الأدلة من القرآن الكريم:
٤٨٧	ثانياً - الأدلة من السنة:
٥١١	أسباب الصرع:
٥١٢	النهي عن قتل حيّات البيوت إلا بعد التحذير:
٥١٦	جواز قتل القنفذ داخل البيت:
٥١٧	سبُّ الجان وضربهم:
٥١٩	المبحث الثامن عشر.....
٥١٩	علاجُ المسِّ والصرع بالوسائل الشرعية.....
٥٣٦	الرقية من النظرة:
٥٣٧	ما ينبغي أن يكون عليه المعالج:
٥٣٧	هل يجوز استرضاء الجن ؟:
٥٣٨	المبحث التاسع عشر.....
٥٣٨	حكم التزاوج بين الإنس والجن
٥٤٧	المبحث العشرون.....
٥٤٧	الحكمة من خلق الشيطان
٥٤٧	أولاً - الحكمة من خلق الجن والإنس:
٥٤٨	ثانياً - الحكمة من خلق الشيطان:
٥٤٨	١ - ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبودية:
٥٤٨	٢ - خوف العباد من الذنوب:
٥٤٩	٣ - جعله الله عبرة لمن اعتبر:
٥٤٩	٤ - جعله فتنة واختباراً لعباده:
٥٥٠	٥ - إظهاره كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد:
٥٥٠	٦ - الضد يظهر حسنه الضد:

- ٥٥٠ ٧- الابتلاء به إلى تحقيق الشكر:
- ٥٥٠ ٨- في خلق إبليس قيام سوق العبودية:
- ٥٥٠ ٩- ظهور آياته وعجائب قدرته:
- ٥٥١ ١٠- الخلق من النار آية:
- ٥٥١ ١١- ظهور متعلقات أسمائه:
- ٥٥١ ١٢- ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفه:
- ٥٥١ ١٣- وجود إبليس من تمام حكمته تعالى:
- ٥٥٢ ١٤- حمده تعالى على منعه وخفضه:
- ٥٥٢ ١٥- وبخلقه يظهر الله لعباده حلمه وصبره:
- ٥٥٧ ١٦- خلق الله خلقه بحيث يظهر فيهم أحكام أسمائه وصفاته وآثارها:
- ٥٥٧ ١٧- ما حصل بسبب وجود الشيطان من محبوبات للرحمن:
- ٥٦١ ١٨- محبته سبحانه أن يكون ملاذاً ومعاذاً لأوليائه:
- ٥٦٢ **ثالثاً - الحكمة في بقاء إبليس إلى آخر الدهر:**
- ٥٦٢ ١- امتحان العباد:
- ٥٦٢ ٢- وأبقاه مجازاة له على صالح عمله السابق:
- ٥٦٣ ٣- أملى له ليزداد إثماً:
- ٥٦٣ ٤- وأبقاه ليتولى الجرمين:
- ٥٦٥ **رابعاً - إلى أي مدى نجح الشيطان في إهلاك بني آدم؟**
- ٥٧٠ لا تفكر بكثرة الهالكين: